

تاريخ إيران بعد الإسلام

من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية
(٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م - ١٢٤٣ هـ / ١٩٢٥ م)

نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه

د. / محمد علاء الدين منصور
كلية الآداب - جامعة القاهرة

راجعته

الأستاذ الدكتور / السباغى محمد السباغى
كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢٠٠٠ م - سيف الدين المهراني - الفيحاء
ت : ٩٠٤٦٩٦

تاريخ إيران بعد الإسلام

من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية
(٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م - ١٢٤٣ هـ / ١٩٢٥ م)

نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه

د. / محمد علاء الدين منصور
كلية الآداب - جامعة القاهرة

راجع

الأستاذ الدكتور / السباعي محمد السباعي
كلية الآداب - جامعة القاهرة

دار الثقافة والنشر والتوزيع
٢ شارع سيف الدين الميراني - العبالة
القاهرة ت / ٩٠٤٦٩٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بقلم: دكتور السباعي محمد السباعي

الكتاب الذي أقدم ترجمته اليوم الى اللغة العربية ، ألفه المرحوم عباس اقبال اثنياني باللغة الفارسية ممثلا اتجاها جديدا ومحمودا لتقديم تاريخ ايران قبل الاسلام . وبعده حتى الآن - بأسلوب واضح ومختصر معتمدا على أمهات المصادر والمراجع التي ألفت في كل مرحلة من مراحل تاريخ ايران .

وسأحاول معك أيها القارئ الكريم أن أستعرض أهم المصادر التاريخية التي ألفت في كل مرحلة من مراحل تاريخ ايران الاسلامي ، موضحا ما تم نقله لابناء العربية على يد أساتذتنا الرواد أو الزملاء الذين ينهضون بأداء هذه الأعمال ابرازا لدور أقسام اللغات الشرقية وآدابها بالجامعات المصرية ، وذاكرا في الوقت ذاته الموضوعات التاريخية التي سجلت أو نوقشت كرسائل للماجستير والدكتوراه ، ليتضح الدور الذي قام به تلميذي وصديقي الدكتور محمد علاء الدين منصور في ترجمته لهذا الكتاب الكبير الذي أسماه مؤلفه « تاريخ مفصل ايران از آغاز تا انقراض قاجاريه » . بعد أن أضاف اليه عباس اقبال أثناء المطبع كتابا مختصرا عن تاريخ ايران القديم ألفه حسن بيرنيا « مشير الدولة » عن سفره الكبير في هذا الشأن . قام كاتب هذه السطور وزميله الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم بنقله الى اللغة العربية وراجعته أساتذنا الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب . ومن هنا كانت ترجمة كتاب

عباس اقبال تكملة لما بدأناه حتى يكون الكتاب في صورته الفارسية قد تم نقله الى العربية كاملا ويكون تاريخ ايران منذ النشأة حتى العصر القاجارى في أيدي أبناء العربية .

منذ الفتح العربى لايران أصبحت اللغة العربية لغة رسمية لايران أو لهذا المص من أمصار الدولة الاسلامية الكبيرة وظل الحال على هذا النحو حتى عين طاهر بن الحسين حاكما لخراسان من قبل الخليفة المأمون مكافأة له على ما أداه له من جليل الخدمات وكان ذلك عام ٢٠٦ هـ ، ٨٢١م وقامت الدولة الطاهرية ليكون ذلك أول انقسام للدولة الاسلامية في المشرق واستمرت تلك الدولة من ٢٠٦ هـ حتى ٢٦٠ هـ ، ٨٢١ - ٨٧٣م لم يؤثر عن أحد حكامها تمرده على الخلافة العباسية سوى ما ذكر عن طاهر بن الحسين الذى وافقه المنية ليخلفه ابنه عبد الله بن طاهر . ثم قامت الدولة الصفارية في سيستان أو سجستان من ٢٤٧ هـ / ٢٨٧ هـ ٨٦١ / ٩٠٠م وكانت أشد عداء للعباسيين واللغة العربية وأكثر جهدا في السعى لاعادة احياء اللغة الفارسية .

انتهى الأمر بقيام الدولة السامانية ٢٨٨ / ٣٩٠ هـ // ٩٠٠ / ٩٩٩م ويعتبر عهدها عهد الاحياء الحقيقي للغة الفارسية رغم صلاتها الطيبة بالخلافة العباسية .

ففى تلك المرحلة بدأ نقل المؤلفات العربية فى التاريخ وعلوم التفسير الى الفارسية فترجم تاريخ الطبرى الى الفارسية تحت اشراف البلعمى كما ترجم تفسيره المعروف « جامع البيان فى تفسير القرآن » الى الفارسية أيضا ثم بدأ التأليف بالفارسية وكان التأليف فى الجغرافيا أسبق من التاريخ . ويعتبر كتاب زين الأخبار الذى ألفه عبد الحى الكرديزى أول مؤلف تاريخى أصيل كتب باللغة الفارسية ، شرح فيه مؤلفه الأحداث التاريخية حتى منتصف القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى - ويعد هذا الكتاب المصدر فى التأريخ لأحداث خراسان

في تلك الفترة ، كما ضمنه مؤلفه فصلا عن تاريخ الهند وفصولا عن نشأة الشعوب الاوروبية الغربية وفصولا عن قبائل الترك في آسيا .

ونظرا لأهمية هذا الكتاب قامت الزميلة الأستاذة الدكتورة عفاف زيدان بنقله الى اللغة العربية وأضافت اليه العديد من الحواشي والتعليقات ونشر في القاهرة ويعتبر تاريخ بيهقي أو تاريخ آل سبكتكين الذي ألفه أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي مصدرا ذا أهمية خاصة للتأريخ للعصر الغزنوي ، ومعلما بارزا من معالم كتب التاريخ الاسلامية لما كان ينعم به مؤلفه من مقام في بلاط السلطان مسعود بن السلطان محمود الغزنوي ولرؤيته التي اهتمت بها الى منهج في التأليف والكتابة التاريخية كان سابقا اليه من حيث معرفة أسباب الواقعة بمناحيها المختلفة ونتائجها واعتماده على الوثائق في رصد الحدث التاريخي .

ويذكر أن هذا الكتاب قد كتب في ثلاثين جزءا ، ضاعت كلها ولم يبق منها سوى الجزء الخاص بالسلطان مسعود ١٠٣٠ / ١٠٤١م وقد انتهى البيهقي من كتابة هذا الجزء عام ٤٥١هـ / ١٠٥٩م ولذا يعرف هذا الكتاب أحيانا بـ « تاريخ مسعودي » وحقق هذا المجلد ونشر في تهران عدة مرات أكثرها تحقيقا الطبعة التي حققها الدكتور قاسم غني ولقيمة هذا الكتاب الكبيرة قام أستاذنا الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب وأستاذنا المرحوم الأستاذ صادق نشأت بنقله الى اللغة العربية عن تلك النسخة المحققة وطبع أكثر من مرة .

وقامت الدولة السلجوقية ويخلف التاريخ العديد من المصادر التاريخية بعضها بالعربية وأكثرها بالفارسية – ويعتبر كتاب راحة الصدور وآية السرور الذي ألفه نجم الدين محمد الراوندي وانتهى بأحداثه حتى عام ٥٩٦هـ / ١١٩٩ واحدا من مصادر التأريخ لتلك الفترة خاصة وان مؤلفه عمل في بلاط السلطان السلجوقي طغرل الثالث أحد سلاطين سلاجقة العراق – ونشر المتن الكامل لهذا الكتاب في سلسلة جب التذكارية تحت اشراف الأستاذ محمد اقبال وذلك في عام ١٩٢١م .

والأهمية، هذا الكتاب، وتكملة لما قام به أستاذنا الدكتور عبد النعيم حسنين من الكتابة عن تاريخ الصلاجقة ، قام بترجمة هذا الكتاب إلى العربية ونشر بالقاهرة •

كما ترجمت عن هذه الفترة مؤلفات ليست تاريخية في المقام الأول ، مثل كتاب سياستنامه الذي ألفه الوزير السلجوقي نظام الملك والذي وزر للسلطان السلجوقي ملكشاه فقد درس هذا الكتاب ونقله إلى اللغة العربية المرحوم القزاوي ثم ترجم كتاب جهاز مقالة أي المقالات الأربع وقام بترجمة رائد الدراسات الشرقية في مصر والعالم العربي أستاذنا المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام وأستاذنا الدكتور يحيى الخشاب •

وقامت الدولة الخوارزمية وبسطت نفوذها على القسم الأكبر من المشرق الاسلامي وكان سلطانها قائما على القوة وظهر عنها بالعربية دراسات أبرزها ما قام به حافظ حمدي في كتابين الأول المشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي والثاني الدولة الخوارزمية والمغول كما كتب عنها من قبل ابن خلدون في كتابه العبر أو تاريخ ابن خلدون ومع هذا فيمكن القول بأن هذه الدولة لم تحظ بالدراسة الكافية الذي حظي به دراساتها عن صلاتها بالمغول •

ومع هذا فلدينا كتاب وثائقي مهم يعتبر مصدرا للتأريخ لتلك الفترة ، كتبه مؤلفه باللغة العربية هذا الكتاب هو « سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي » وهو آخر سلاطين الدولة الخوارزمية قبل قضاء المغول عليها • ألف هذا الكتاب محمد بن أحمد النسوي كاتب السلطان جلال الدين خوارزمشاه (أو جلال الدين منكبرتي) تناول فيه مؤلفه الأحداث منذ عام ٦١٥هـ / ٦٢٩هـ // ١٢١٨ / ١٢٣١م وهي فترة هجوم المغول على الدولة الخوارزمية •

وظهر بعد ذلك كتاب آخر لهذا الكاتب ولكنه كتبه باللغة الفارسية ويعرف باسم « نفثة الصدور » وهو كما يتضح من اسمه العربي عبارة

عن خاطرات المؤلف عما شاهده وتعرض له وكابده وتعرضت له ايران من مصائب وأحداث وانتهى من كتابته عام ١٢٣٤ أو ١٢٣٥ م. وسيطر المغول على المشرق الاسلامي كله. وازدهر التأليف التاريخي في تلك الفترة. وقامت دولة المغول في ايران وهو ما يعرف باسم الأيلخانيين وبحاول المغول تخليد تاريخهم فظهرت المؤلفات التاريخية. العديدة كتبها مؤرخون شاركوا في صنع بعض الأحداث لما كانوا ينعمون به من مقام في السلطة آنذاك : من هؤلاء : عطا ملك الجويني الذي ألف كتابا في ثلاثة مجلدات هو تاريخ جهان كساي ١٢٥٩ هـ / ١٢٦٠ م وكان هذا الكتاب موضوع رسالة كاتب هذه السطور للحصول على درجة الدكتوراه حيث قام بدراسته وترجم المجلد الأول منه الى اللغة العربية (ولم تنشر هذه الرسالة حتى الآن) وقام زميلي الأستاذ الدكتور محمد السعيد جمال الدين بدراسة عن الاسماعيليه كما ورد في جهان كساي كرسالة للحصول على الماجستير فترجم الجزء الخاص بالاسماعيليه في هذا الكتاب الذي يعتبر المصدر الرئيسي الوحيد الموجد حتى الآن لكتابهم المفقود المعروف بـ « سرگزشت سيدنا » ومن أشهر مصادر التأريخ لهذا العصر كتاب جامع التواريخ الذي ألفه رشيد الدين فضل الله الطبيب الذي تولى منصب الوزارة في البلاط المغولي وكتب كتابه هذا بأمر من غازان خان السلطان المغولي ولأهمية هذا المؤلف وكتابته اتخذ الأستاذ الدكتور فؤاد الصياد موضوعا لرسالة لنيل درجة الدكتوراه وترجم ومعه المرحوم الدكتور محمد موسى هنداوى والأستاذ صادق نشأت أجزاء من هذا الكتاب الكبير والتي تتعلق بتاريخ هولوكو . ويذكر عباس الغزاوي أن غازان خان أمره في سنة ٧٠٠ هـ فكتب جزءا من كتابه باسم التاريخ المبارك الغازاني بالعربية والفارسية وان التاريخ العربي كان مجهولا الى أن عثر عليه ونشره .

ومن مؤلفي هذه الفترة أيضا شهاب الدين عبد الله بن فضل الله الشيرازي الذي اشتهر باسم وصاف الحضرة ، فقد كتب كتابا بالفارسية اتخذ له اسما عربيا هو « تجزية الامصار وترجية الأعصار » ويقع في

خمسة مجلدات ، ويعتبر ذيلًا لكتاب تاريخ جهان كساي يشرح فيه الأحداث منذ عام ١٦٥٥هـ / ١٧٢٤م // ١٢٢٣ / ١٢٥٧م ويقال إنه أنهاه بأحداث سنة ١٧٢٨هـ وختمه بمناقب السلطان أبي سعيد .

نال هذا الكتاب اهتمام العديد من الباحثين في رسائل الماجستير والدكتوراه شأنه في ذلك شأن كتاب تاريخ كزیده الذي ألفه حمد الله المستوفي في عام ١٧٣١هـ / ١٣٣٠م اعتمد في كتابته على جامع التواريخ وكتب تاريخية أخرى ، ومن بين ما يتميز به هذا الكتاب ما أورده في ثبت عن العلماء والأئمة والفضلاء ، وما ذكره في كتابه عن قزوين من الناحية الجغرافية . وترجم هذا الكتاب الى اللغة التركية كسابقه وقام بترجمته يعقوب باثنا بأمر من السلطان بايزيد وانتهى المترجم من ترجمته سنة ١٩٥٥هـ .

أما كتابه الآخر فهو المعروف باسم ظفرنامه وهو كتاب منظوم ، يقع في خمسة وسبعين ألف بيت ، يبدأ بالتأريخ للعرب ثم تحدث عن سلاطين ايران وحكم المغول وقد بارى في هذا الكتاب الفردوسي في نظمه للشاهنامه . وقد بدأ في تأليفه قبل تاريخ كزیده وأتم منه خمسين ألف بيت ثم عاد الى نظمه بعد ذلك وانتهى من تأليفه عام ١٧٣٥هـ أو سنة ١٧٣٣هـ / ١٢٣٢م .

وكتابه الثالث هو كتاب في الجغرافيا يعرف باسم - نزهت القلوب والذي انتهى من تأليفه سنة ١٧٤٠هـ ورغم قيمة الكتاب من الناحية الجغرافية ، الا انه يحوى كثيرا من المعلومات المتعلقة بالتشكيلات الادارية للمغول والتركماني .

وفي العصر التيموري الذي تلا ذلك العصر يعتبر حافظ ابرو أكبر مؤرخي تلك الفترة فقد التحق بخدمة تيمور ثم ابنه السلطان شاهرخ فقد شاهد أحداث تيمور منذ عام ١٧٨٨هـ وابنه الى أن توفي سنة ١٨٣٤م اكتسب شهرة كبيرة من مؤلفاته التاريخية أفاد فيها من موقعه كنديم للسلطان ، من بين مؤلفاته كتاب ذيل جامع التواريخ الذي ظل

لفترة مجهول المؤلف ، أتم فيه ذكر أحوال المغول فذكر أحوال السلطان محمد خدابنده ، وابنه السلطان أبى سعيد الى أواخر أيام المغول وقد ألف حافظ ابرو (شهاب الدين عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد الخوافي) هذا الكتاب عام ٨٢٠ هـ .

وأكبر مؤلفاته مجمل التواريخ أو « زبدة التواريخ » ويقع في أربعة مجلدات كتبه بعد كتاب ذيل جامع التواريخ .

ويأتى من بعده عبد الرزاق السمرقندى (٨١٦ - ٨٨٧ هـ // ١٤١٣ / ١٤٨٢ م) صاحب كتاب (مطلع السعدين ومجمع البحرين) ويقع في مجلدين ، اعتمد مؤلفه على ما ورد في زبدة التواريخ لحافظ ابرو من وقائع وأحداث حتى سنة ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦ م والجزء الأصيل في هذا الكتاب يبدأ من وقائع سنة ٨٣٠ هـ / ٨٣١ هـ حتى أحداث سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م ثم ألف فصيح خوافي كتابه المعروف باسم « مجمل فصيحى » سنة ٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م ويحتل هذا الكتاب منزلة خاصة بين كتب مؤرخى هذا العصر .

وفي مقابل ما سبق من مؤلفات تاريخية عن هذا العصر نجد مؤلفا ومؤرخا نحا منحى آخر هو ابن عربشاه (أحمد بن محمد بن عبد الله) المتوفى سنة ٤٦٠ - ٨٤٥ هـ // ١٤٤٢ م والمولود سنة ٧٩١ هـ // ١٣٨٩ م ألف كتابا أسماه « عجائب المقدور في أخبار تيمور » اهتم مؤلفه اهتماما كبيرا بأخبار تيمور وأوضح تفاصيل دقائق عن حياته وأحواله كما لو كان من مرافقيه ومدونى وقائعه ، والكتاب صادق في التأريخ لتيمور بمقارنته بمؤرخى تيمور المؤيدين له والذى عاشوا في معيته ، الا في بعض المواطن التى تحامل فيها على تيمور ومع هذا فقيمة الكتاب التاريخية كبيرة وخاصة وانه لم يكتف بذكر تيمور فحسب بل ذكر ما كان معاصرا له من حكومات حاربها وانتصر عليها وقيمة الكتاب الاساسية الأخرى انه كتب باللغة العربية فغطى جانباً من أحداث التاريخ لتلك الفترة . وقد أتمه مؤلفه سنة ٨٤٠ هـ // ١٨٣٧ م ويعتبر ميرخوند (ميرخواند) أكثر مؤرخى تلك الفترة شهرة وانتشارا من سنة ٨٣٧ هـ حتى ٩٠٤ هـ // ١٤٢٣ - ١٤٩٨ م

ولد في مدينة بلخ ثم استقر به المقام في بلاط الشاعر والوزير ميرعليشيرنوائي وزير السلطان حسين بايقرا حيث التقى في هذا البلاط بكبار العلماء والفضلاء في شتى المجالات فأفاد من علمهم ثم انصرف للتأريخ في إحدى تكايا مدينة هرات وأخذ يكتب كتابه التاريخي - وهو في التاريخ العام - أسماء روضة الصفا ويقع في سبعة مجلدات ولكن الأجل وافاه فجأة قبل أن يتم المجلد السابع الذي أتمه حفيده خوندمير ، ويمتاز هذا الكتاب بأنه سجل متضح لما سبقه من مؤلفات تاريخية خصص المجلد الخامس منه للحديث عن جنكيز وأحواله وأولاده ، وتحديث في السادس عن ظهور تيمور ووقائعه وأحداثه وأولاده أما السابع فخصص لأحوال السلطان حسين بايقرا والأقسام الأخيرة بهذا الكتاب بها تفصيلات مهمة عن الترك والمغول والقتار حتى أنه يمكن القول بأن الجزء السادس والسابع يتميزان بالأصالة والدقة التي لم يسبق إليها ونال هذا الكتاب عناية كبيرة عند الأوروبيين وعند أبناء العربية من حيث الدراسة أو الترجمة فقد ترجم تلميذى ومصديقى الدكتور أحمد الشاذلي الجزء الخاص بالدولة الصفارية والسامانية من هذا الكتاب وراجعته وقدمت له ونشر بالقاهرة .

يأتى من بعده خوندمير المولود عام ٨٨٠هـ - ١٤٧٦م الذي عاصر التغيير الذي أصاب الحياة الثقافية والفكرية منذ توفي الوزير على شيرنوائي سنة ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م فلم تبق هراة مركزا ثقافيا يشار إليه ثم توفي السلطان حسين بايقرا فتفرغ خوندمير للتأليف وألف كتابه القيم المعروف باسم « حبيب السير في أخبار أفراد البشر » ويقع في ثلاثة مجلدات ضم فيه ما ذكرته المصادر التاريخية السابقة ويعتبر المجلد الثالث هو المجلد الأصيل في هذا الكتاب وقد انتهى بأحداثه حتى عام ٩٣١هـ / ١٥٢٤م فالمؤلف شاهد عيان لأحداث نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر تناول فيه أحداث التيموريين وبداية الدولة الصفوية حتى وفاة الشاه اسماعيل الصفوى ويعتبر هذا الجزء من الكتاب من الوثائق التاريخية المهمة ومن مؤلفاته كذلك : دستور الوزراء ، وهو بالفارسية

(ح)

تحدث فيه عن الوزراء في إيران منذ أقدم الأزمنة حتى عصر المؤلف حتى عام ١٩١٤ هـ على وجه التدقيق ومن أهم مباحثه ودراساته كلامه عن ابن العلقمي والحسن الصباح والاسماعيلية في مصر وفي إيران والدولة الخوارزمية وآل مظفر ووزراء جنكيز وآل جلاير وتيمور لنك .

ولمنزلة الكتاب ومؤلفه اهتمام به زميلي الدكتور حربي أمين سليمان واتخذ موضوعاً لرسالته للحصول على درجة الدكتوراه ، فدرس المؤرخ وترجم كتابه دستور الوزراء ونشرته الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة سنة ١٩٨٠ م .

أما عن الدولة الصفوية التي تلت ذلك العصر والذي أثرت من قبل الى ما قام به صاحب حبيب السير من تاريخ لبداية ظهور هذه الدولة ومؤسسها .

ثانياً تجد كتاباً باسم « تاريخ شاه اسماعيل صفوي » ومؤلفه غير معلوم ، ثم كتاب لب التواريخ الذي كتبه (يحيى القزويني ٨٨٦/٨٩٣ هـ // ١٤٨١/١٥٥٥ م) ورغم تعصبه للدولة الصفوية إلا أن مدحه لهم كان مقبولا لحد كبير . ويأتي من بعده خورشاه بن قباد الحسيني الذي ألف كتاباً باسم « تاريخ ايلجى نظامشاه » ويقع في ست مقالات تذكر أحداث النصف الأول من القرن السادس عشر في المقالة السادسة ومؤلفه من مؤيدي الدولة الصفوية والمذهب الشيعي ، ويذكر بطروشوفسكي أن هذا الكتاب يحتوي على معلومات مهمة لم تتوفر لغيره من المصادر عن الدولة الصفوية وهناك أحمد بن محمد الغفاري القزويني الذي ألف كتابين في التاريخ أولهما « نكارستان ٨٩٧٠/١٥٦٢ م » ويحوي معلومات قيمة والآخر (نسخ جهان آرائ) .

ثم كتاب أحسن التواريخ الذي ألفه حسن بك روملو بالفارسية ويقع في اثني عشر مجلداً لم يصل الى أيدي الباحثين منها سوى المجلد الحادي عشر والثاني عشر (٨٠٨/٨٩٩ هـ // ١٤٠٥/١٤٩٣ م ، ٩٠٠ هـ // ١٥٨٣/١٤٩٤ م) .

ثم هناك كتاب شرف نامه للبديسي ويقع في مجلدين وانتهى منه في

١٠٥٠هـ / ١٥٩٦م ورغم ما ألف عن الدولة الصفوية فلم يترجم كتب من مصادر تلك الفترة الى اللغة العربية .

وظهرت في القرن الثاني عشر الهجري العديد من المؤلفات التاريخية تناولت نهاية الدولة الصفوية وظهور نادرشاه ، ومن بينها كتاب زبدة التواريخ الذي ألفه محمد محسن مستوفي الذي عمل مستوفيا (مقابيل وزير المالية حاليا) لنادر شاه ١١٥٤هـ - ١١٥٤ / ١٧٤١م) .

وكتاب تذكرة الأحوال بشيخ حزين للشيخ محمد علي حزين للشيخ محمد علي حزين ١١٠٤ / ١١٨٠هـ = ١٦٩٢ / ١٧٦٦م)

وألف عن فتوحات نادرشاه وفترة حكمه أكثر من عشرين كتابا من أهمها مؤلفات ميرزا محمد مهدي خان ومحمد كاظم .

ألف ميرزا مهدي خان « دره نادري » ، ثم جهان كشاي نادري ويعيب مؤلفاته التعصب والمديح ومع هذا ظلها مصدرا أساسيا يعتمد عليه في التاريخ لتلك الفترة الى أن عثر على كتاب محمد كاظم فتفوق على مؤلفات ميرزا مهدي خان ولم يكن اسم الكتاب معروفا في بداية الأمر الى ان عثر على نسخة منه في موسكو باسم « عالم آراي نادري » يتناول المجلد الأول منه احداث تاريخ ايران حتى جلوس نادر شاه على العرش اما المجلد الثاني فيذكر الاحداث التي وقعت بين سنة ١١٤٩ / ١١٥٦هـ - ١٧٣٦ / ١٧٤٣م ويشرح المجلد الثالث فترة حكم نادر شاه ١١٥٦ / ١١٦٠هـ - ١٧٤٣ / ١٧٤٧م . ظهر بعد ذلك كتاب « مجمل تاريخ بعد نادريه » ألفه ابو الحسن بن محمد أمين كلبستانه في مجلدين . يشرح الأول الاحداث من ١١٦٠ حتى ١١٦ - ١٧٤٧ / ١٧٥٠ ويتحدث الناس عن احمد شاه دراني وتأسيس الدولة الافغانية .

ثم ألف ميرزا محمد صادق موسوي كتابا بعنوان « تاريخ كيتي كشاي » او « تاريخ زندية » وهو تأليف لم يكتمل بفترة كريم خان زند (١١٦٣ / ١١٩٣ = ١٧٥٠ - ٧٧٩م) ثم أضيفت اليه اضافتان لكل من ميرزا عبد الكريم ومحمد رضا شيرازي لتفصل احداث الكتاب حتى سنة ١٢٠٩هـ - ١٧٩٤م .

وكتب علي رضا بن عبد الكريم الشيرازي كتابا باسم (تاريخ زنديه) تناول فيه تاريخ الزنديين منذ موت كريم خان زند ١١٩٣ هـ - ١٧٧٩ م حتى وفاة لطفعلی خان (١٢٠٩ هـ / ١٧٩٤ م) .

وكتب ابو الحسن بن ابراهيم القزويني كتابا عن تاريخ ايران في عصر الصفويين والافشاريين والزنديه حتى استتب الامر لآل قاجار اي ١٢ - ١٢١١ هـ - ٧ - ١٧٩٦ م) وجعل عنوان الكتاب « فوائض صفويه » ثم كتب عبد الرازق بك ديبلي (١١٧٦ - ١٢٤٣ هـ / ١٧٦٢ - ١٨٢٧ م كتابا عن تاريخ اول سلطانين لآل قاجار وهما آغا محمد خيaban وفتحعلی شاه وأسماء « مآثر سلطانية » أنهاء بالتاريخ حتى عام ٢٩ - ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ - ١٨١٤ م ويعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما في التاريخ السياسي لايران في نهاية القرن الثامن عشر واولئل القرن التاسع عشر ومن العلاقات مع ايران وروسيا وهذا الكتاب وترجمة موضوع رسالة للحصول على الماجستير سجلها معي تلميذ نابہ أرجو له التوفيق .

هذه مضادز أساسية تتعلق بتاريخ كل مرحلة من مراحل تاريخ ايران منذ الفتح الاسلامي بعامة وبسداية التأليف التاريخي باللغة الفارسية بخاصة حاولت قدر المستطاع بيان ما نقل منها الى اللغة العربية او ما الف منها بالعربية اصلا او ما درس في رسائل للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه .

ثم ظهرت مؤلفات تاريخية باللغة الفارسية تشمل تاريخ ايران عبر عصورها المختلفة وظهر علماء على قدر كبير من الموضوعية حاولوا كتابة تاريخ موسع او مختصر لايران نذكر منهم على سبيل المثال المرحوم حسن بيرنيا الذي اهتم اهتماما كبيرا بتاريخ ايران القديم ، فكتب سفرًا ضخما عن تاريخ ايران القديم ، منذ اقدم العصور حتى الفتح العربي الاسلامي لايران ، ثم كتب مختصرا لهذا السفر الضخم آثرت وزميلي الاستاذ الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم نقله الى العربية وقام بمراجعته لنا استاذنا الاستاذ الدكتور يحيى الخشاب .

وصدرت طبعته الاولى بالقاهرة عام ١٩٧٨ .

(ك)

ومن هؤلاء العلماء ايضا المرحوم عباس اقبال اثنى على الذى اهتم اهتماما كبيرا بتاريخ المغول فكتب كتابا قيما لاغنى عنه لمن يبحث فى تاريخ المغول من الرجوع اليه والاعتماد عليه ، ثم كتب كتابا شاملا - كما يتضح من عنوانه هو تاريخ مفصل ايران - تسعة فصول : القسم الاول منذ ظهور الاسلام حتى المغول ويقع فى تسعة فصول . اما القسم الثانى فيتناول التاريخ للاحداث فى ايران منذ العصر المغولى حتى سقوط الدولة القاجارية ويقع فى تسعة عشر فصلا ينتهى عند أحداث عام ١٣٢٧ هـ ١٩٦٩ م .

يقع هذا الكتاب فى ثمانمائة واربع وستين صحيفة ، اضافها الى المؤلف المختصر الذى ألفه حسن بيرنيا مشير الدولة عن تاريخ ايران لينشر كتابا واحدا فى تهران ، وأشرف على نشره واعداده الدكتور محمد دير سياقى بمكتبة الخيام .

هذا العمل الضخم هو الذى يسعدنى ان اقدمه اليوم كعمل علمى مميز وجهد كبير مشكور واخلاص عميق للتخصص قام به تلميذى وصديقى وزميلى الدكتور محمد علاء الدين فقد نقله الى العربية نقلا أمينيا لم اجد مشقة فى مراجعته ، وعلق عليه و اضاف اليه من الحواشى ما يزيد العمل قيمة وثراء وهو بهذا قد اكمل ما بدأه صديقى الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم وكاتب هذه السطور من ترجمة لتاريخ ايران القديم الذى يمثل الجزء الاول من هذا الكتاب الضخم حسب طبعة هذا الكتاب .

ولا شك ان جهد الدكتور محمد علاء الدين منصور جهد مشكور ، وهو بهذا العمل قد قدم للمكتبة العربية مرجعا اساسيا يملا فراغا ظل شاغرا وأمل ان يستمر الدكتور علاء فى السير على هذا الدرب .

ومن الله العون والتأييد .

انه سميع مجيب .

السباعى محمد السباعى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا الكتاب ترجمة للكتاب الفارسي (تاريخ مفصل ايران از صدر اسلام تا انقراض قاجاريه) أى تاريخ ايران المفصل من صدر الاسلام حتى انقراض الدولة القاجارية ، من تأليفات عباس اقبال الآشتياني ممن حاول تحرى الاسلوب العلمى فى مؤلفاتهم من بين أصحاب التأليف والبحث الايرانيين . ولد اقبال فى عام (١٣١٤ هـ . ق) فى أسرة فقيرة بأشتيان ، مما حدا به الى اتخاذ طريق التعلم والعلم ، فلحق بكتاب بلده ، ثم بدار الفنون بطهران وأنهى دورتها المتوسطة . وحاز على دبلوم منها ، وعمل بالمكتبة العامة بوزارة المعارف الايرانية ، ثم بتدريس الفارسية فى دار الفنون . وبدأ الاقبال يقبل على اقبال منذ ذاك الحين ، فعمل بالتدريس فى مدارس العاصمة الكبرى ، اذ درس الفارسية فى دار المعلمين العليا ، والتاريخ والجغرافيا فى المدرسة السياسية والمدرسة العسكرية ، وعن طريق المدرسة الأخيرة أرسل ليعمل سكرتيراً للهيئة العسكرية الايرانية بفرنسا عام (١٣٤٦ هـ) ، فانكب على تعلم الفرنسية وتحصيل العلم وحاز درجة الليسانس فى الآداب من جامعة السربون .

وقد ساعد اقبالا عمله بمكتبة المعارف وهو بايران على التعرف الى مشاهير علماء وأدباء زمانه من قبيل ملك الشعراء بهار ورشيد ياسمى وسعيد نفيسى فنشر معهم مجلة (دانشكده) أو الكلية ، وصرف بعضها من وقته مع آخرين مثلهم ، مثل محمد على فروغى وأبى الحسن فروغى و غلام حسين رهنما وعبد العظيم قريب ، فأخرج بمشاركتهم مجلة (فروغ تربيت) أو أنوار التربية . وبدأت شهرة اقبال بهاتين المجلتين فحرف اسمه كل من له صلة بالأدب الفارسي . وقد توثقت علاقته وهو

بباريس بالعلامة المحقق محمد بن عبد الوهاب القزويني (متوفى ١٣٧٠ هـ) فزادت معرفته ومصاحبته من مقامه الأدبي والعلمي ، فاختر استاذاً للجامعة ثم عضواً بالمجمع اللغوي الايراني .

وفي عام (١٣٦٢ هـ) حرك اقبالاً شوقه الى رفعة شأن الفارسية وأدبها الى نشر مجلة في تاريخ ايران وأدبها هي (يادكار) أو التذكار استمرت خمس سنوات وكانت من ألمع المجلات الفارسية . ولما امتنعت عن الصدور عام (١٣٧٠ هـ) ركب اقبالاً هم عظيم وبرم بأحوال ايران لمقبل ليقضي ما بقي من عمره في هدوء تمثيل ايران ثقافياً في تركيا وإيطاليا ، وظل مستشاراً ثقافياً حتى موته بإيطاليا في الحادي والعشرين من شهر بهمن (١٣٣٤ هـ . ش) (١٣٧٦ هـ . ق) .

وقد تعد مؤلفات اقبال في الأدب والتاريخ والجغرافيا فضلاً عن مقالاته المتنوعة في المجلات والصحف فبلغت نحو خمسين كتاباً تأليفها وترجمة وتحقيقاً وتصحيحاً وبضع مئات من المقالات . فمن مؤلفاته فوق كتابه تاريخ ايران المفصل كتابه (سرگذشت امير كبير) أي سيرة الأمير الكبير القاجاري ، و (خاندان نوبختي) أو الاسرة النوبختية وكتاب في تاريخ المغول وآخر في تاريخ وزراء السلطنة ، ثم (قابوس وششمكير زياري) و (ابن مقفع) و (بحرین و جزایر خلیج فارس) ، وكتاب في تاريخ ايران في ثلاثة مجلدات ، وآخر في التاريخ العام في ثلاثة مجلدات وثالث في جغرافيا العالم في ثلاثة مجلدات كذلك ، وكتاب في الجغرافيا الاقتصادية وكلها للتدريس بالمدارس ، وأخيراً كتاباه (کلیات تاریخ تمدن) أو کلیات تاریخ الحضارة ، و (کلیات علم جغرافیا) .

أما ما ترجمه وأكثره عن الفرنسية التي حذقها فمنه (سه سال در دربار ایران) أو ثلاث سنوات ببلاط ايران من تأليف الفرنسي فورييه الطبيب الخاص لناصر الدين شاه القاجاري ، و (یاد داشت های زرنال ترازل) أو ذكريات الجيرال ترازل و (مأموریت زرنال کاردان در ایران) أي مأمورية الجنرال جاردان في ايران . (وعن الانجليزية

(طبقات سلاطين اسلام) تأليف ابن بسول •

وصحح اقبال كثيرا من المؤلفات منها روزنامه ميرزا محمد كلانتر فارسي ، وتاريخ نو (التاريخ الجديد) لجهانكير ميرزا قاجار و (جنكهاى ايران وانكليس) أى حروب ايران وانجلترا ، وحدائق السحر للوطواط وفضائل الأنام (مكاتبات غزالي) وأنيس العشاق لرامى ولغت فرس للأسدى ، وديوان أمير معزى وسياست نامه نظام الملك ، وذيل سير العباد للأوحدي و (بيان الأديان) و (تبصره العوام) و (تجارب السلف) ثم (تتمه اليتيمه) و (معالم العلماء) لابن شهر آشوب ، و (طبقات الشعراء) لابن المعتز ، والكتب الثلاثة الأخيرة بالعربية •

وحقق اقبال عدة من المؤلفات وزادها حواشى مفيدة مثل تاريخ طبرستان لابن اسفنديار وسمط العلى فى تاريخ كرمان والمضاف الى بدائع الأزمان فى وقائع كرمان وترجمة محاسن أصفهان الفارسية ، و (عتبة الكتبة) وهو مجموعة من مكاتيب العهد السلجوقى و (مجمع التواريخ) فى تاريخ الصفويين وسلسلة من المقالات التاريخية عن وقائع كبار العهدين الصفوى والقاجارى •

ولاقبال كثرة كثيرة من المقالات الأدبية والتاريخية والاجتماعية نشرت بالصحف والجرائد الايرانية منها مجلات بهار ، دانشكده ، مهر ، ايرانشهر ، يادكار ، ارمغان ، ايران امروز ، يغمما ، آموزش ، شرق ، فروغ تربيت ، نشرية وزارات أمور خارجه ، اطلاعات ماهانه ومجلة دانشكده ادبيات • ويمكن الاطلاع على فهرست مقالاته الهامة المتعلقة بايران فى (فهرست مقالات فارسي) تأليف ايرج افشار ، طبعة طهران (١٣٤٠ هـ • ش) • وكتاب تاريخ ايران المفصل الذى يؤرخ لايران من صدر الاسلام حتى نهاية القاجاريين (١٩٢٥ م) ألحقه الدكتور محمد دبیر سياقى بكتاب حسن بيرينا (مشير الدولة) (تاريخ ايران از آغاز

تا انقراض ساسانيين) أو تاريخ ايران من البداية حتى انقراض الساسانيين ، المقدم له من الدكتور باستاني باريزي ، في مجلد واحد غنواته (دورة تاريخ ايران از آغاز تا انقراض قاجاريه) أى دورة تاريخ ايران من البداية حتى انقراض القاجاريين ، ونشره عام (١٣٤٦ هـ ش) ليضع تحت تصرف القارئ تاريخ ايران من البداية حتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين . وقد قام أستاذنا الدكتور السباعي محمد السباعي والدكتور نور الدين عبد المنعم بترجمة كتاب بيرنيا وتحشيته عام (١٩٧٩) ، فشحجنى هذا على اكمال ترجمة بقية المجلد بترجمة كتاب اقبال واطافة ما يلزم من حواش وتعليقات ، خاصة وأن الكتب التى تعرضت للتاريخ الايراني بعد الاسلام بالعربية جد قليلة ، وان وجدت فليس من بينها كتاب جامع مثل كتاب اقبال الذى ضم بين دفتيه تاريخ ايران بعد الاسلام حتى قيام الدولة البهلوية مستغرقا من الزمان أحد عشر قرنا أو يزيد .

ويقع كتاب تاريخ ايران المفصل في قسمين كبيرين الأول من صدر الاسلام حتى الغزو المغولى والثانى من الغزو المغولى حتى انتهاء القاجاريين . ويضم القسم الأول بدوره قسمين أولهما يؤرخ أحوال الجزيرة العربية والعرب قبل الاسلام في فصل ، وظهور الاسلام والسيرة النبوية في فصل ثان ، وتاريخ الخلفاء الراشدين مشيرا الى معارك المسلمين مع الفرس في فصل ثالث ، ثم تاريخ الأمويين في فصل رابع ، وتاريخ الخلفاء العباسيين في فصل خامس ، تأريخا موجزا . فهذا القسم (مائة صفحة) يمهّد به المؤلف لقرائه الايرانيين للدخول الى تاريخ ايران الذى يبدأ واقعا ببداية الدولة الطاهرية (٢٠٦ هـ) وهو اذن خارج عن التاريخ الايراني داخل وحسب في التاريخ الاسلامى العربى فلا يهم دارس التاريخ الايراني من العرب فى شىء ، كما أن القارئ العربى فى غنية عنه لأن اقبالا مهما أجاد وفصل فلن يبلغ ما كتب المؤرخون العرب كالطبرى والمسعودى وابن الأثير ومن اليهم العمدة فى دراسة التاريخ

الاسلامى عامة والعربى خاصة وكتبهم فى متناول الجميع • لهذا رغبت
عن ترجمة هذا التمهيد وبدأت الكتاب بترجمة تاريخ ايران من بداية
الدولة الطاهرية أى بترجمة القسم الثانى من القسم الاول ثم القسم
الثانى الاكبر • ويشمل هذان القسمان أو الكتاب تاريخ الطاهريين
وعلوي طبرستان وديالة آل زيار وآل بويه والصفاريين والسامانيين
والغزنويين وسلطين الغور والسلاجقة وأتابكة آذربيجان والخوانساريين
وتاريخ المغول والایلخانات وخلفائهم ملوك الطوائف والتموريين
والتراكمة القراقوينلو والآق قوينلو والصفويين والأفشاريين والزنديين
والمقاجاريين • ووقع ما ترجمته فى ند (٧٦٠ صفحة) وعنونت له بتاريخ
ايران من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية القاجارية •

ويتميز اقبال فى كتابه هذا بإيراد تفاصيل هامة عن تاريخ ايران عن
دراسات متعمقة ومراجع أصلية غير عربية ، كما يتميز بحسن تبويبه
وتنظيمه وبسهولة أسلوبه ووضوح مقصده اللهم الا اذا تحرى
التفصيلات فقد يفضى الى شئ من الملل وهذا لحسن الحظ فى قليل جدا
من الأحايين • ولم يكن اقبال محلا أو مفلسفا فى تأريخه بقدر ما كان
قاصدا مثبتا للوقائع كما هى ، كما لم يستطع التخلص
تماما من التعصب الذى يتمتع به الفرس قديما وحديثا وان كان
أقل حفا من غيره فى هذه النقيصة بحمد الله ، مما فرض علينا رده خاصة
فى ظلمه لمحمود الغزنوى وللسامانيين أو تغافله عما بعثه التيموريين فى
ايران من نهضة بسبب أن ذنبهم أنهم لم يكونوا فرسا ، أو انحيازه الى
يعقوب الصفار والصفويين وغير ذلك • وقد أكثرت من الحواشى حين
يحتاج المقام وأقللت منها حين يفصل اقبال خاصة فى الفصول الأخيرة من
الكتاب حتى لا يزيد ضخامة فوق ضخامته ، وفصلت حواشى الدكتور دبیر
سباقى — وهى قليلة — عن حواشى بالإشارة الى حواشيه باسمه
(سياقى) •

والترجمة بلا شك فن ، لكنه فن لا بد أن يتصف فى رأى بالدقة ،

بمعنى أن المترجم عليه الأبقاء على سمات المؤلف الذي يترجم له
التعبيرية وأسلوبه في التأليف ، لأن لكل كاتب شخصية في التعبير تميزه
عن غيره ، فمن الظلم إذن المحافظة على روح المعنى في الترجمة دون روح
التعبير واللفظ كذلك .

والله أسأل ، أخيرا ، أن يكون الكتاب ذا فائدة واقعة للمهتمين
بالتاريخ الإسلامي في إيران وأن تعم فائدته الجميع وهو الهادي الى
الصواب .

(المترجم)

القسم الأول

ايران من بداية الدولة الطاهرية حتى الغزو المغولي

(مقدمة)

بعد أن أتم جند الاسلام فتح الجزء الاعظم من ايران درجت العادة في خلافة الخلفاء الراشدين والأمويين أن يرد ايران وما وراء النهر حكام من طرف ولاية البصرة والكوفة ويعهد اليهم أيضا بقيادة الجيش ويتعدى عملهم كذلك ادارة أمور ولاياتهم الى تأديب الثوار وجهاد الكفار المجاورين وقل أن أنيب هذا العمل الهام الى غير المسلمين العرب ولهذا فان قادة الخلفاء الراشدين والأمويين وولاتهم — الذين كانوا عربا ويعتمدون على قومهم أساسا — كانوا غالبا يرحلون جمعا كبيرا من قبائل الجزيرة العربية معهم ويسكنونهم ايران حتى يستمدوهم حين يلزم الأمر ، وقد نشر هؤلاء الاسلام والتقاليد العربية في الشرق •

لكن في عهد بنى العباس اختلف الأمر فقد كان يؤمر الحكام من دار خلافتهم مباشرة ، وكان العنصر الايراني غالبا فيهم كما ظهر حينما ولي أبو مسلم الخرساني وقتا في عهد السفاح والمنصور والفضل البرمكي في عهد هارون الرشيد وطاهر ذر اليميني والحسن بن سهل السرخسي في عهد المأمون وقد حكم بعضهم جميع ايران والبعض الآخر أجزاء هامة منها • ولما كان هؤلاء — خلافا لحكام ايران قبل بنى العباس — جميعا ايرانيين فقد كانوا يجمعون الايرانيين حولهم وينيبون اليهم الاعمال

الادارية ومصالح البلاد والحكم ويحيا كل منهم في بلاط يقام فيه تأثير من الآداب الايرانية القديمة مقلدين بذلك المرازبة وقادة الجيوش في العصر الساساني . وقد ظهرت عندهم أيضا طبقة الكتاب الذين يمسكون بأزمة الأمور الهامة الحكومية في العصر الساساني ، وكان الخليفة العباسي يسير في بغداد هذه السيرة ، والحق انه باستثناء الدين الاسلامي واللغة العربية في بلاط العباسيين وحكامهم فان كل شيء بعد ذلك كان تقاليد الايرانيين قبل الاسلام ومراسمهم وتشكلاتهم الحربية والحكومية والحضارية .

ومع أن اللغة العربية كانت عند الحكام والولاة لغة الكتابة واللغة الرسمية وكان الكتاب يجبرون على تعلمها والتمرس بها للمكاتبة مع دار الخلافة والأمراء المختلفين الا أن السكان الايرانيين الوطنيين لم يكفوا قط برغم اعتناقهم الدين الاسلامي عن التجدد باللغة الفارسية وكانوا في سعي دائم للحفاظ عليها والعمل بالتقاليد الايرانية وتكرار ذكر سير سلاطين العجم خاصة أولئك الذين كانوا يحيون فيما وراء جبال الألبرز والاماكن النائية في سبتان وخراسان وما وراء النهر التي ظلت بمنجى من السيادة العربية أو بمنأى من دار الخلافة . فبقيت روح القومية الايرانية فيهم أكثر حياة وأعظم قوة وكان كلما ساحت فرصة لهؤلاء السكان الغيورين الذين لم يفرحوا بسيطرة العرب ولا بحكامهم الجائرين كانوا يثورون عليهم ويجلون بقاء الوجود والقومية الايرانيين ، وظل هذا حالهم حتى وفقوا في عهد المأمون في تأسيس أسرة لهم والحصول على استقلالهم فتأسيس الأسرة الطاهرية سنة مائتين وست كان مقدمة لتأسيس أسرات أخرى ايرانية وزوال السيادة والسلطة العباسية في بغداد تدريجا . وهذه الأسرات خلاف الأسرات الايرانية في طبرستان التي كانت تحكم باسم الاستبدادات أو بأسماء أخرى من وقت انقراض الساسانيين ، وذلك خلف الألبرز حكما بلا انقطاع ولم ينصاعوا لأوامر الخلفاء كما كان يقتضى الأمر .

والاسر التي أسست في ايران من عهد المأمون فصاعدا طبقتان ،
الاولى كالعلويين في طبرستان والصفاريين وديالة آل بويه والزياريين
خاصمت خلافة بغداد بسبب اعتناقها مذهباً غير المذهب الرسمي للخلفاء
أى مذهب السنة ، فلم يقبلوا سيادتهم الروحية . والثانية كالسامانيين
والغزنويين واللاحقة فقد كانوا يعترفون بالخلافة لأنهم كانوا على
مذهبهم وكانوا يخطبون باسمه وكانوا يعتبرون أنفسهم أمراء منصبين
من قبله .

الفصل الأول

الطاهريون وعلويو طبرستان

أ - الطاهريون (١)

(٢٠٦ - ٢٥٩ هـ)

بعد أن استقر المأمون على كرسى الخلافة بيد طاهر (٢) وأتباعه ،

(١) . يعد بعض الدارسين سنة (٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م) التى أرسل المأمون فيها طاهرا واليا من لدنه على خراسان هى السنة الاولى لقيام الدولة الطاهرية ، وقد أخذنا برأيهم . (ومنهم ريكا فى كتابه تاريخ الادب الايرانى) ، أما اقبال فقد كان غير دقيق فى تحديده اذ أنه ذكر أولا أن المأمون أرسل طاهرا واليا لخراسان فى شوال (٢٠٥ هـ) ، ثم ذكر بعدها بقليل أن طاهرا قدم خراسان فى ربيع الآخر (٢٠٦ هـ) — كما سيلي — وليس من اللعقول أن ينطلق طاهر من بغداد فى التاريخ الاول ثم يقطع الرحلة الى خراسان فيصلها فى التاريخ الثانى مستغرقا نحو خمسة أشهر وهو الحريص على الابتعاد من المأمون ونقمته لقتله أخاه الأمين . انظر :

Jan Rypka, History Of Iranian Literature. P. 135 (Holland, 1968) .

(٢) . كان طاهر قبل ولايته خراسان من قبل المأمون رئيس شرطته ببغداد وجنده وله باع طويل فى قتال الأمين وحصاره ببغداد بعد أن تفرق عن الأخير جنده وناصره العيارون والابواش والسوقة وكان لهؤلاء صراع طويل مع طاهر والجنود الخراسانيين اذ اذاقوا طاهرا والاييرانيين وبالا وخسرا . قتال يصف بعض هذه الوقائع أحد العيارين :

لنا من طاهر يوم عظيم الشأن والخطب
أتاه كل طرار ولص كان ذا نقب

(للتفصيل رسالة المترجم للدكتوراه (جماعات الفتوة فى الاناضول فى العصرين السلجوقي والعثماني فى مصادرها الفارسية) مكتبة جامعة القاهرة (لم تنشر) (ص ٢٢ حتى ص ٢٥) .

أرسل طاهرا في شوال عام (٢٠٥ هـ) لامارة خراسان مكافأة له على خدماته ظاهرا وإبعادا له عن بغداد وقصرا ليد سيطرته عن أمور الخلافة باطنا لا سيما وأن طاهر قتل الأمين أخاه فأبعده المأمون عن ناظره بهذه الامارة ، وقبل طاهر هذه المهمة لأنه كان يخشى الخليفة على نفسه .

١ - طاهر الحسين

قدم طاهر خراسان في ربيع الآخر من عام ٢٠٦ واليا للمأمون وأقام في مرور عاصمة خراسان ولكنه لم يدع للمأمون في خطبة العام التالي ودعا لأحد أبناء الامام موسى الكاظم وأعلن بذلك استقلاله ، وبهذا ظهرت الاسرة الطاهرية أول أسرة إيرانية بعد الاسلام .

والطاهريون أبناء رجل اسمه مصعب بن رزيق من سكان فوشنج بهراة وان ادعوا أنهم من نسل رسقم بطل الشاهنامه المعروف . وكان جدهم هذا قد قدم في ولاية أحد أشراف العرب من قبيلة خزاعة ولذا فقد سمي الطاهريون بالخزاعيين . وكان مصعب يحكم فوشنج حينما كان دعاة بني عباس ييثون دعوتهم ، ثم دخل في خدمة أحد مساعدي أبي مسلم وقت ثورته كأحد الكتاب ويشتهر طاهر بن الحسين مؤسس الاسرة الطاهرية بلقب (ذو اليمينين) وتختلف الاقوال في سبب هذه النسبة من بينها ما يقال انه لما استقدم طاهر بعد فتح بغداد (وقتل الأمين) الامام الرضا بأمر من المأمون الى هذه المدينة وبايعه بولاية عهده ، بايع طاهر الرضا بيده اليسرى قائلا ان يده اليمنى مشغولة ببيعة المأمون في خراسان فقد كان عادة بني عباس أن يحضر الخليفة ومعه ولى عهده الى المسجد في وقت أخذ البيعة ويبايعهما الناس فيبايع الرجل الخليفة بيده اليمنى وولى عهده بيسراه . ولما نقل الرضا هذه الواقعة للمأمون قال المأمون : أسمى يسرى طاهر اليمنى أيضا حتى لا تنفرد بيعته للامام ومن ثم اشتهر طاهر بلقب ذي اليمينين كما اشتهر وزير المأمون الفضل بن سهل السرخسى بلقب ذي الرياستين لأنه جمع رئاسة

الجيش والديوان (١) • مات طاهر ذو اليمينين في جمادى الآخرة من عام ٢٠٧ هـ في مرو ومشهور أنه توفي في ليلة نفس اليوم الذي أسقط فيه المأمون من الخطبة ، وذكر البعض أنه مات مسموما بأمر من المأمون ، وكانت مدة امارته عاما ونصف عام •

الخوارج :

في زمان خلافة المهدي في سنة ١٦٠ هـ ثار انسان مدعي الامامة من فرق الخوارج التي كانت تكثر في كرمان وسيستان وخراسان وشاطيء بحر عمان وكان من عرب قبيلة بنى ثقيف المهاجرين واسمه يوسف البرم وشملت دعوته القسم الشرقي لخراسان أي في حدود مرو رود والطارقان والجوزجانان واستولى على حكم مدينة فوشبخ التي كانت لمصعب جد طاهر ذي اليمينين ثم سيطر على سائر شرق خراسان • وقد ألفت جماعة أخرى من الخوارج في عهد هارون يترأسها حمزة الخارجي في سيستان وخراسان وقهستان ومكران دولة قوية ولقب حمزة نفسه بلقب أمير المؤمنين ، فقصده هارون خراسان لصدده ولكن حمزة بقي على قوته اذ وافته هارون منيته في هذا السفر • وقد دخل حمزة مع الطاهريين الذين كانوا قد استدلوا على مقاليد الأمور في بلادهم وضبطوا تحت حكمهم خراسان وسيستان في صراع وكان حيننا يغلب وحيننا يغلب حتى انتهى الامر الى غلبه طلحة ابن وخليفة طاهر ذي اليمينين على أمره ومات في ١٢ جمادى الاخرى سنة (٢١٣ هـ) • ولكن الخوارج لم ينتهوا بموته واستمروا في نزاعهم مع آل طاهر حتى انتهت امامتهم الى عمار الخارجي سنة ٢٣٣ والذي قتله يعقوب بن الليث الصفار •

(١) وردت واقعة تسميته طاهر بذي اليمينين كما ذكر المؤلف في كتاب (تاريخ بيهقي) لأبي الفضل البيهقي (٣٨٥ - ٤٧٠ هـ) من كبار كتاب العصر الغزنوي وكتاب رسائل السلاطين الغزنويين ، راجع تفاصيل هذه الواقعة في كتاب تاريخ البيهقي الفارسي تعليق دكتور غياض طبعة عام (١٣٢٤ هـ . ش) (١٤١ - ١٤٢) •

٢ — طلحة بن طاهر

(٢٠٧ — ٢١٣ هـ)

تولى طلحة بن طاهر ذى اليمينين حكم سيستان فى أيام أبيه وكان يعيش فيها حتى موت أبيه فلما وصله خبر وفاة أبيه قدم خراسان ثم أرسل من قبله الى سيستان « الياس بن أسد السامانى » والواقعة الهامة لحكم طلحة حربه مع خوارج سيستان وتغلبه التام على حمزة الخارجى • ومات طلحة بعد هذا الانتصار بقليل وأتاب المأمون خلافته الى أخيه عبد الله الذى كان فى كرمانشاه يتهماً لحرب بابك الخرمى ، فأنفذ عبد الله أخاه آخر هو على من جانبه الى خراسان •

٣ — عبد الله بن طاهر

(٢١٣ — ٢٣٠ هـ)

أسنح موت طلحة وغياب عبد الله عن خراسان فرصة طيبة للخوارج فكانوا قد استولوا على جميع خراسان وعبد الله لم يغادر نيشابور بعد اليهم سنة (٢١٥ هـ) • فبدأ عبد الله فى دفع فتنة الخوارج ثم جرد جيشه لصد المازيار بطبرستان مكلفاً من قبل المعتصم خليفة المأمون وفى عام (٢٢٧ هـ) قبض على المازيار وأرسله الى بغداد •

كان عبد الله شاعراً وأديباً وفاضلاً وعادلاً ، أثر نيشابور عاصمة له وقام فيها بتعمير كبير فقد اهتم خاصة بالزراعة وحفر القنوات وإصلاح الرى وتقسيم المياه وكان عبد الله قبل بلوغه ولاية خراسان والبا للثام من طرف الخليفة لفترة ثم تولى حكم مصر أيضاً لفترة أخرى

٤ — طاهر بن عبد الله

(٢٣٠ — ٢٤٨ هـ)

بعد موت عبد الله أناب الخليفة الواثق ابنه طاهرا الثاني في ولايته وكان في هذا الوقت موجودا في طبرستان وحكم طاهر ثمانية عشر عاما على خراسان وسيستان بعدالة وتقوى ، وليس في فترة امارته من واقعة هامة سوى بعض حروبه الداخلية .

٥ — محمد بن طاهر

(٢٤٨ — ٢٥٩ هـ)

محمد بن طاهر الثاني هو آخر الامراء الطاهريين وكان رجلا غافلا ضعيف النفس ماجنا ، ولهذا فقد كان عماله يعاملون الناس في ولايتهم باستبداد وظلم حتى أن عمه سليمان والى جزء من طبرستان اصطدم مع الاهالى صداما كثيرا وبسبب هذه الاعمال السيئة من سليمان وسائر عماله الآخرين ثار الشعب على الطاهريين واستقدموا العلويين وتخلصوا من حكم آل طاهر .

كان محمد بن طاهرا معاصرا لندين قويى الشكيمة هما الداعى الكبير حسن بن زيد العلوى ويعقوب ابن الليث الصفارى وكان ان صار نهبا لثورتيهما . فقد تمكن الداعى من طرد سليمان ابن عبد الله من طبرستان (٢٥٠ هـ) واستولى عليها ، وسيطر يعقوب على هراة وهاجم خراسان وفي (٢٥٩) سخر نيسابور وأدال بحبس محمد الاسرة الطاهرية بعد ثلاث وخمسين سنة من الحكم .

كان الطاهريون يتولون من عهد أبيهم ادارة شرطة بغداد أيضا وكان أحدهم اذا سيره الخليفة لامارة خراسان ينيب أخاه أو ابنه أو أحدا من بنى عمومته في هذا المنصب . وقد كان من بين الطاهريين جملة

من أهل الفضل والأدب والشعر والحكمة وأشهرهم الأمير أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (٢٢٣ - ٣٠٠ هـ) الذي كان يسمى بسبب أدبه وفضله حكيم آل طاهر ، وقد ترك عمرو بن الليث الصفاري منصب شرطة بغداد اليه (٢٦٦ هـ) فهو بهذا آخر رجل من الطاهريين كان بمنصب ورئاسة .

أسماء الأمراء الطاهريين وزمن امارة كل منهم (١)

- | | |
|----------------------------|------------------|
| ١ — طاهر بن الحسين بن مصعب | (٢٠٦ — ٢٠٧ هـ) |
| ٢ — طلحة بن طاهر | (٢٠٧ — ٢١٣ هـ) |
| ٣ — عبد الله بن طاهر | (٢١٣ — ٢٣٠ هـ) |
| ٤ — طاهر بن عبد الله | (٢٣٠ — ٢٤٨ هـ) |
| ٥ — محمد بن طاهر | (٢٤٨ — ٢٥٩ هـ) |

ب — علويو طبرستان

(٢٥٠ — ٣١٦ هـ)

بعد أن هزم عبد الله بن طاهر واستأسره أناب عمه الحسن بن الحسين من طرف المعتصم في حكومة طبرستان وظل الحسن يحكم على هذا القسم بعدالة وحسين سيره حتى ذى الحجة من عام (٢٢٨ هـ) عام وفاته ولم يتظلم منه الشعب . ثم أنيب حكم طبرستان بعد الحسن الى طاهر ابن عبد الله بن طاهر (مدة حكمه سنة وثلاثة شهور) ثم الى

(١) أنشد أبو نصر الفراهي مؤلف كتاب نصاب الصبيان في هذا شعرا فارسيا هو :

در خراسان ز آل مصعب شاه طاهر وطلحة بود وعبد الله —
باز طاهر دكر محمد دان كو بيعقوب داد تخت وكلاه (سياقى)
ومعناه : كان طاهر في خراسان من آل مصعب طاهر وطلحة وعبد الله ملوكا
ثم طاهر الثانى ثم محمد الذى أعطى التاج والعرش ليعقوب

أخيه محمد بن عبد الله (حكمه قارب سبعة أعوام) • ولما قدم محمد إلى بغداد في صفر (عام ٢٣٧ هـ) ترك من جانبه قسما من طبرستان إلى أخيه سليمان وقسما آخر لأحد المسيحيين كان اسمه (جابر بن هارون) فاستولى جابر هذا على قدر من أراضي الرعية ظلما وزادها على أراضي مخدمه • وعامل (محمد بن أوس البلخي) مساعد سليمان الرعية بنفس هذه المعاملة الجائرة وكان يحصل من أهالي (رويان) (١) و (جالوس) اللتين كان يحكمهما الخراج ثلاث مرات كل سنة ، مرة له وثانية لأحمد ابنه وثالثة لمساعديه المجوس • فلم يجد أهالي طبرستان الذين ضجوا من مظالم هؤلاء العمال خاصة (محمد بن أوس) بدا من أن يمدوا يد التوسل إلى الدعاة العلويين ويستمدوا منهم وهم الذين ثاروا قبل على بنى العباس وعمالهم ثورة العدا والخلاف • ولهذا المقصود طلبوا مبايعة أحد السادات المقيمين برويان وكان من ولد زيد بن الحسن واسمه محمد بن إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن بن قاسم بن الحسين بن زيد ابن الحسن بن علي بن أبي طالب • ولكنه رفض طلبهم لأنه لم يأنس في نفسه الكفاءة لهذا الأمر الخطير ودلهم على زوج أخته وهو الحسن ابن زيد وكان يقيم في الري ويليق لهذا الأمر وأرشدهم إلى دعوته •

١ - الحسن بن زيد الداعي الكبير

(٢٥٠ - ٢٧٠ هـ)

أنقذ الثوار برئاسة (عبد الله بن وندا أميد) رسالة إلى الحسن ابن زيد العلوي الذي كان يعرف (بحالب الحجارة) وكان من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب أيضا ويقيم بالري ودعوة إلى رويان • فأثنى الحسن بن زيد في ٢٥ رمضان من عام (٢٥٠ هـ) إلى قصبته (كلار) من البلاد التي تقع على الحدود بين جيلان وطبرستان وبايعه

(١) هي كلارستان ونوز وكجور الحالية (سياق)

الناس ولقب نفسه (داعي الخلق الى الحق) أو (الداعي الكبير) وصار
بذا مؤسس أسرة العلويين بطبرستان .

وبعد أن سيطر الحسن بن زيد على رويان وجالوس والري أرسل
في طلب جماعة من الدعاة العلويين يدعوهم للاقامة في أطراف طبرستان
والديلم وانضم اليه الناس زرافات ووحدانا ومن بينهم عدد من كبار
الديلم التحقوا بخدمته وارتفع أمر الحسن وأرسل محمد بن أوس أحد
قواد جيشه لدفع الحسن ، لكن الداعي هزمه بسهولة ودخل (آمل) في
٢٣ شوال من عام (٢٥٠ هـ) ثم أرسل من هناك حكاما من لدنه لـ (كلار)
و (رويان) و (جالوس) .

وكان الغريم الكبير لحسن بن زيد أميرا في مازندران من
(آل قارن) من أسرة (السبهدات) وكان اسمه (قارن بن شهریار)
وقد اعتنق الاسلام حوالي عام (٢٤٠ هـ) وكان يحكم في الجزء الشرقي
لمازندران الحالية من طرف الطاهريين ويؤدي لهم الخراج . أراد قارن
في البداية أن يقبض على الحسن بالحيلة ودعاه لمقابلته لكي يبايعه لكن
الحسن وقف على خطته فلم يهتم بدعوته . فاجتمع قارن على سليمان
ابن عبد الله الطاهري وجمع من كبار خراسان وقدموا جميعا لحرب
الداعي في آمل . وكان النصر هذه المرة أيضا من نصيب الداعي خاصة
وأن رجلا من أسرة السبهدات اسمه (هادوسبان) انحاز الى الداعي
فقتل كثيرا من جند سليمان وقارن . وهرب قارن الى رويان وسليمان
الى جرجان وأجبر أمير خراسان محمد بن طاهر أن يمد عمه بجيش
آخر ، وكانت الغلبة أيضا للداعي فتقهقر الطاهريون الى خراسان
منهزمين وأتى قارن الى الداعي ملقبا .

والخلاصة أن الحسن بن زيد استخلص في مدة ثلاثة أعوام
(من رمضان ٢٥٠ حتى ذي الحجة ٢٥٣ هـ) جميع طبرستان وقسما هاما

من الديلم والرى وطرده عمال بنى العباس وأتباعهم ، وأخذ العلويون يتقاطرون عليه من الحجاز والشام والعراق بعد أن علا صيت شوكته وقدرته ، وأقاموا في ولاياته •

وأظهر قارن العصيان مرة أخرى وقام الحسن ليدفعه وأصر في (٢٥٤ هـ) أن يستولى على جرجان وخراسان أيضا ، لكن المعتز الخليفة العباسي أرسل (موسى بن بغا الكبير) و (مفلح) بين كبار قواده الاتراك بجيش الى طبرستان • فاستولوا على الرى وقزوين وسارى وآمل وانهزم الداعي الى جالوس لقلّة عدد جيشه • ولما عاد جند الخليفة ، عاد الحسن في ٢٢ رمضان من عام (٢٥٥ هـ) أي بعد ثورته الاولى بخمسة أعوام الى آمل وجمع أتباعه مرة أخرى بعد أن انفرط عقدهم ثم سار بهم الى جرجان واستولى عليها وضمها الى ولاياته الأخرى •

وفي عام (٢٥٩ هـ) بعد أن أزال يعقوب الصفارى الطاهريين واستولى على خراسان تجاوزت ممتلكاته وولايات الحسن بن زيد العلوى • وكان معلوما أن هذين الرجلين القويين ، وكلاهما قام بثورته في تاريخ واحد تقريبا ومؤسس لأسرة على رغم الخلفاء العباسيين وولائهم أو آل طاهر ، سرف بصحطمان ان عاجلا أو آجلا خاصة وأن كلا منهما كان يرنو ببصره الى بلاد الآخر ، فكان يعقوب يدعى خلافة الطاهريين ويريد جرجان وطبرستان ، وكان الداعي هو أيضا يتوق الى السيطرة على خراسان •

واتفق أن هرب في نفس عام (٢٥٩ هـ) أحد معارضي يعقوب الى جرجان طالبا حماية الحسن بن زيد فأمنه الحسن • فقدم يعقوب الى جرجان في ربيع (٢٦٠ هـ) وفر أمامه الداعي اذ لم يستطع مقاومته وسار الى بلاد الديلم • أما يعقوب فقد يمم شطر خراسان بعد أن أناب عنه عمالا في طبرستان ، لكن قبل عودته اليها ثار أهل جالوس على عامله ، فاضطر

يعقوب الى أن يتحول لتأديبهم • ولكن هذه المرة بفعل رطوبة الجو وأحوال الطرق وهجمات أشداء طبرستان أصيبت جيشه باصابات بالغة ، فلم يجد بدا من العودة من (سارى) الى (الدامغان) وأمر بأن يطلق سراح جميع العلويين الذين اقتادهم معه أسرى • وتمكن الداعى بعون الديلمة أن يعود الى طبرستان ، ثم أخضع فى (٢٦٣هـ) جرجان مرة ثانية • واشتدت هيئته هذه المرة فى القلوب عن ذى قبل وازدت دولته استحكاما وقوة •

وفى عام (٢٦٦هـ) اجتمع ابن وخليفة الاسبهد قارن ، وكان اسمه (رستم) وحاكم نيسابور (أحمد بن عبد الله الخجستانى) الذى استولى عليها بعد موت يعقوب بن الليث على أن يطردا الداعى من جرجان وطبرستان • وتمكن الداعى بعون من أخيه الارشد (محمد بن زيد) من أن يهزم (رستم) ، ومنحه أمانه بعد أن فرض عليه الخراج • أما الخجستانى فقد انتهى الامر به بعد اغارته على بعض بلاد جرجان الى العودة الى نيسابور •

٢ — محمد بن زيد الداعى

(٢٧٠ — ٢٨٧هـ)

مرض الحسن بن زيد فى عام (٢٦٩هـ) ومكث مريضا عاما بعده حتى وافته منيته فى الثالث من رجب عام (٢٧٠هـ) بعد أن حكم تسعة عشر عاما وثمانية شهور ، وخلفه أخوه محمد بن زيد •

كان أحمد بن عبد الله الخجستانى الذى سبق ذكره فى بداية أمره من قواد جيش على أخى يعقوب وعمر الصفاريين — كما سيأتى فى تاريخ الصفاريين — لكنه ، بعد موت يعقوب عام (٢٦٥هـ) ، تمرد على أخيه عمرو وسيطر على نيشابور وأخذ يدعى ملكيتها حتى ارتفع أمره بها وضرب عملتها باسمه • وفى السنة التالية تمكن من جرجان وتغلب على

عمرو في نفس السنة وأخذ يستعد لضم هراة وسيستان لكن غلامين من غلمانه أقدموا في عام (٢٦٨ هـ) على قتله لسوء سيرته وطمعه في نيسابور . والتف أتباع الخجستاني بعد قتله حول (رافع ابن هرثمة) ، وكان رافع هذا يعيش في خدمة محمد الطاهري ، ثم اتجه الى يعقوب . لكن يعقوب طرده عنه لقبح هيئته وشكله ، فالتحق بالخجستاني وظل في خدمته حتى مقتله . ادعى رافع حكم عمرو بن الليث في خراسان عام (٢٧١ هـ) ، لكنه هزم أمام عمرو في نفس العام وظل يعيش متواريا حتى سُمع في العام التالي أن محمدا بن زيد لحقته هزيمة من حاكم (الري) وكان تركيا من أتباع بني العباس ، فانتهاز هذه الفرصة وهاجم جرجان بتحريض من الاسبهد رستم بن قارن الذي كان هاربا من الداعي . ولم يثبت الداعي طويلا فركن الى الفرار أمامهم بعد فترة من المقاومة (٢٧٤ هـ) والتجأ الى الديالة وظل في بلادهم حتى (٢٧٧ هـ) اذ استمد الديالة وطرده بمددهم رافعا من طبرستان . لكنه لم يستطع أيضا مجابهته بسبب كثرة أعدائه الذين انضموا الى رافع .

واستمر حاله على هذا النحو الى أن أصابت رافعا هزائم متكررة من جند الخليفة المعتضد في الري وجيش عمرو بن الليث ، فلم يجد مندوحة من أن يلتجئ - على رغم الخليفة - بمحمد بن زيد ويخطب له . وقبل الداعي بيعته في انظاره ، ولكنه لم يكن سعيدا بقدرته في الباطن ، وظل يحاذره حتى ألحق عمرو بن الليث به هزيمة فادحة (٢٨٣ هـ) ، وهرب رافع الى خوارزم حيث قتله عامل عمرو . وهكذا تخلص الداعي من هذا الخصم القوي المثير للفتنة ، ومن ثم خضعت له ثانية ما بين جيلان وجرجان .

و في عام (٢٨٧ هـ) حينما هزم الأمير اسماعيل الساماني عمرو بن الليث واستأسره اسماعيل ، بدت المتاعب للداعي مرة أخرى . فقد استخلص السامانيون خراسان كلها ، وكان الداعي يعلم أن السامانيين ولاية مخلصون للخلفاء العباسيين ، ولا بد أن يفكروا ان عاجلا أو آجلا

في السيطرة — بأمر الخليفة — على جرجان وطبرستان فسبق الداعي وبادر بجمع جيشه في جرجان للحيلولة دون مقاصد الامير اسماعيل . فجرد اسماعيل جيشه بدوره بقيادة (محمد بن هارون السرخسي) وأرسلها لمواجهة الداعي . وأصيب الداعي من أول القتال بسهم فخر صريعا . وأرسل هارون في شوال (٢٨٧هـ) رأسه وابنه الى بخارا . ودخلت جرجان وطبرستان في طاعة اسماعيل الساماني . ولكن محمدا ابن هارون بعد فترة سلك سبيل العصيان فقدم اسماعيل بنفسه في (٢٨٨هـ) الى طبرستان وطرده منها .

٣ — الحسن بن علي الناصر الكبير

(٣٠١ — ٣٠٤هـ)

بعد قتل محمد بن زيد واستيلاء الامير اسماعيل الساماني على طبرستان ، ظلت هذه الولاية تحت الادارة المباشرة للعمال السامانيين ، ولجأ السادات العلويون الى الديالة والى جيلان ومكثت طبرستان من عام (٢٨٧هـ) الى (٣٠١هـ) — ثلاثة عشر عاما تقريبا — تحت طاعة السامانيين اذ كانوا يرسلون لادارتها من بخارا حاكما خاصا .

وفي رحيل الامير اسماعيل عن طبرستان أناب عمه (أبا العباس عبد الله بن محمد بن نوح) وقصد الري ليجلي محمدا بن هارون عنها — وكان قد استولى عليها — بدعوة من الخليفة . وهرب محمد بن هارون أمام اسماعيل والتجأ الى الديالة (٢٨٨هـ) ، لكنه بعد فترة قصد الري باستدعاء أهلها هذه المرة ثم استخلصها من أيدي عمال الخليفة العباسي بعد أن قتل واليها التركي . فأرسل الخليفة الى اسماعيل أن الري أيضا جزء من حوزة حكمه فعليه أن يستصفيها من ابن هارون . فعجل اليها اسماعيل ، ولكن قبل وصوله اليها تركها محمد بن هارون الى قزوين ومنها الى زنجان وجيلان فاستولى اسماعيل عليها بلا منازع وترك عما

آخر له هو (أبو صالح منصور بن اسحاق) • وابن منصور هذا ، الذي حكم الري من (٢٩٠ هـ) حتى (٢٩٦ هـ) هو من ألف باسمه الحكيم والطبيب المعروف (أبو بكر محمد بن زكريا الرازي) كتابه المعروف (المنصوري) •

توجه محمد بن هارون — بعد لجوئه الى جيلان — الى الدعاة العلويين فيها للانتقام من الامير الساماني • وكان كبير علويي جيلان في هذه الآونة رجلا فصيحا دينيا من أبناء الامام زين العابدين اسمه الحسن بن علي ولقبه الناصر الكبير ، ولقب أيضا بالاطروش لثقل سمعه ، وقد مكث سنين يدعو الناس في جيلان وبلاد الديلم للإسلام فاعتنقه أكثر أهلها • وكان يفكر في الانتقام لدم محمد بن زيد بل أقدم مهاجمة (آمل) عام (٢٨٩ هـ) لكنه لقي هزيمة من الجيش الساماني فالتجأ الى الديالة • فلما قدم اليه محمد بن هارون بسط له يد المبايعة وحثه على استرداد طبرستان وطرده العمال السامانيين من هذه النواحي • وهاجم الناصر الكبير ومحمد بن هارون وبضعة رجال من كبار جيلان — بايعوا الناصر — طبرستان • وفي شتاء (٢٩٠ هـ) على كذب من (آمل) وبعد قتال ضروس دام أربعين ليلة أنزل جندهم بأبي العباس الساماني حاكم طبرستان وخلفائه وهم (اسبهد شهياري) ابن (فادوسبان) و (اسبهد شروين) ابن رستم بن قارن هزيمة قتل فيها ما يقرب من سبعة آلاف جندي ساماني ، ونجا أبو العباس بهرويه الى الري • والسبب الاساسي لهزيمة أبي العباس هو أنه لما طلب المدد من الامير اسماعيل أرسل اسماعيل اليه ابنه أحمد ، لكن أحمد بسبب خصومته لأبي العباس عطل نفسه في الطريق ولم يصل الا بعد أن انهزم أبو العباس • وأرسل أبو العباس أحد قواده الى الري فاحتال هذا حتى قبض على محمد بن هارون وأرسله الى بخارا وزالت فتنته ، وعاد الناصر الكبير الى الديالة ودخلت طبرستان مرة أخرى تحت حكم أبي العباس الساماني •

ولما مات الأمير اسماعيل وخلفه ابنه أحمد أخذ حكم طبرستان من أبي العباس بسبب الخصومة التي كانت بينهما وأتاب فيه أحد غلمانه الاتراك ، لكن هذا الغلام سلك مسلك الظلم وسوء السيرة فلم يدم حكمه لثورة الناس عليه . وأجبر أحمد على أن يسير أبا العباس الى طبرستان عام ٢٩٧ هـ وظل أبو العباس يحكمها حتى يوم موته (في صفر ٢٩٨ هـ) وبعد موت أبي العباس أتاب الأمير أحمد والى الرى (محمد ابن صعلوك) في حكم طبرستان وأرسل وزيره المشهور (أبا الفضل محمدا ابن عبيد الله البلعمى) ممدوح الرودكى (١) من بخارا الى طبرستان حتى يمكن محمدا بن صعلوك من الاستقرار في منصبه .

ولما عاد البلعمى الى نجارا قدم الناصر الكبير — الذى كان ينتظر الفرصة المناسبة للثورة — من جيلان الى كلارستاق وأنفذ ابنه (أبا الحسن أحمد) للاستيلاء على (رويان) . فخف محمد بن صعلوك لضعفه لكنه أصيب بالهزيمة في (جالوس) في جمادى الثانية (٣٠١ هـ) واستصفى الناصر جميع طبرستان له .

وبعد أن وصل خبر غلبة الناصر الكبير الى بخارا أرسل الأمير أحمد وزيره (محمدا بن عبد الله بن عزيز) بجيش الى طبرستان لكنه هزم .

(١) لال البلعمى خاصة أبى الفضل الوزير وابنه أبى على فضل كبير على اللغة الفارسية والنقل اليها والتأليف بها فقد حبا أبو الفضل الرودكى وهو من أوائل من نظم الشعر بالفارسية ونقل ابنه أبو على محمد تاريخ الطبرى الى الفارسية وولى الاول وزارة اسماعيل السامانى وولى ابنه وزارة منصور بن نوح السامانى . لكنه يجب أن يقر الفرس بتسامح السامانيين وتشجيعهم رغم مشايعتهم للخلافة العباسية للغة الفارسية وإثارة الوطنية في نفوس القوم . أما الرودكى (المتوفى عام ٣٢٩ هـ) فهو أبو عبد الله جعفر بن محمد أكبر شعراء القرن الرابع الهجرى ومدح آل سامان . ومكانته في الشعر ينسب عنها تلقيه بأستاذ الشعراء وقبس من جاعوا بعده معاني من شعره ومدحهم له . بلغ شعره مائة ألف بيت كما يظن لم يبق منهم الا قليل وهو أول من نظم كلیلة ودمنة كتاب حكمة الهند شعرا لم يؤثر عنه غير أبيات متفرقة .

هو الآخر ، وقتل الأمير أحمد نفسه في نجارا قبل أن يتحرك للعصف
بـطبرستان •

وبعد مدة حرض الخليفة المقتدر نصرا بن أحمد الساماني للاستيلاء
على طبرستان فأمر نصرا قواده للاتجاه إليها ، لكنه لم يفعل شيئا أمام
شجاعة ابن الناصر (أبي القاسم جعفر) ، فتصالح السامانيون مع
الناصر الكبير وبقيت طبرستان تحت إدارة الداعي تماما • واستقر
الناصر مع ابنه أبي الحسن أحمد و أبي القاسم جعفر في طبرستان وترك
جبلان لأحد السادات الحسينيين واسمه (الحسن بن قاسم) •

وأعلن الحسن بن قاسم العصيان للناصر الذي كان يحبه ويؤثـره
على أولاده والتف حوله بعض الناس فوفق إلى القبض على الناصر
وارسالة إلى قلعة (لاريجان) • لكن هذا الحال لم يدم لأن أهل (آمل)
وجماعة من كبار الديلم أشهرهم (ليلي بن النعمان) (١) قبضوا على
الحسن وأنزلوا الناصر من القلعة المذكورة وأعادوه معززا مكرما إلى
مقامه • وعفا الناصر عن الحسن بن قاسم وزوجه بحفيدته بنت أبي
الحسين وولاه جرجان •

٤ - الحسن بن قاسم الداعي الصغير

(٣٠٤ - ٣١٦ هـ)

اعتزل الناصر الكبير في أواخر عمره وتفرغ للتدريس والعبادة
ونصب الحسن بن قاسم زوج حفيدته في خلافته ثم وافته منيته بعد في
شعبان (٣٠٤ هـ) • ويشتهر الحسن بن قاسم بلقب الداعي الصغير ،
وهو مثل الحسن بن زيد وأخيه محمد من السادات الحسينيين خلافا

(١) اختلف الدارسون حول اسم هذا القائد المعروف بالدبلي .
ويبدو أن اسم (ليلي) تحريف لأحد الأسماء الجيلية وقد أتى بصورته هذا
بسبب جهل الناسخين أما صورته الأصلية فغير معلومة (سياقى) •

للناصر الكبير الذي كان من السادات الحسينيين •

ولم تمض فترة طويلة حتى ثار أبو القاسم جعفر ابن الناصر الكبير على الداعي الصغير — خلافا لأخيه ، وتحالف مع محمد بن صعلوك بالرى ضده • وفي (٣٠٦ هـ) هاجم آمل لكن أهلها طردوه عنها لظلمه ولحسن سيرة الداعي الصغير فيها وكفاءته وسياسته المطيبة • ودخل الداعي آمل (٣٠٧ هـ) وأرسل قائده (ليلى بن نعمان) في السنة التالية الى خراسان ، فاستولى ليلى على نيسابور وهاجم طوس لكنه هزم من السامانيين بها (٣٠٩ هـ) وقتله قائد جيش نصر الساماني •

كان نصر بن أحمد الساماني في قلق دائم لسيطرة الداعي وأصحابه على جرجان وخراسان فجرد جيشا قوامه ثلاثون ألفا يترأسهم أحد قائديه الترك هو (قراتكين) في (٣١٠ هـ) وأنفذه الى جرجان • وقد تحالف في هذه الحرب أبو القاسم جعفر مع أعداء الداعي مرة أخرى ثم ما لبث أن انضم اليه أبو الحسين أحمد أبو زوج الداعي • ومع أن الداعي هزم أبا الحسين ضمه اليه ، لكنه لم يستطع مقاومة جيش قراتكين وأبى القاسم جعفر فالتجأ الى الاسهبند محمد بن شهریار بن فادوسبان • لكن الاسهبند قبض عليه بنذالة وأرسل به الى والى الخليفة العباسي بالرى • وبعد فترة من الزمن تمكن الداعي بعون أحد الامراء الجياليين من الهرب من السجن وأتى جيلان وبعد لم شعت جنده المتفرقين ضبط آمل وسارى وهزم ابني الناصر الكبير في جرجان ، ثم تصالح مع أبي الحسين أحمد أبي زوجته •

وسير نصر بن أحمد الساماني لدفع الداعي هذه المرة (سيمجور) قائدم المعروف الى جرجان التي كانت محل النزاع الدائم بين السامانيين والسادات العلويين • وكان الامير سيمجور لا يميل الى مقاتلة الشيعة العلويين بسبب ميله الى الشيعة الاسماعيليين ، لهذا دعى الداعي الى الصلح وطلب منه أن يترك له جرجان • لكن الداعي لم يقبل فاشتعلت

الحرب بينهما في (٣١٠ هـ) • وهزم الداعي وأبو الحسين نسيبه الجيش الساماني • لكن المهزمين انقلبوا بغتة وهاجموا جيش الداعي والحقوا به هزيمة فر من أثرها الداعي الى آمل وأبو الحسين الى جرجان • وقد رافق الداعي في فراره هذا قائدان من قواده كانا من رؤساء الديلم أولهما (ماكان بن كاكي) والثاني (علي بن بويه) • وعلى هذا هو من تلقب بعد بعماد الدولة وأسس مع أخين آخرين له أسرة دياملة آل بويه كما سيلي •

وسرعان ما جهز الداعي وأبو الحسين وماكان وعلي بن بويه جيشا أخرجوا سيمجور به من جرجان في آخر ذي الحجة (٣١٠ هـ) وعادت هذه البلدة مرة أخرى الى سيطرته وأتاب الداعي أبا الحسين في حكم جرجان •

وفي السنة التالية تأمر أبو الحسين مع أخيه أبي القاسم وماكان بن كاكي ورئيس آخر من رؤساء الديلم ومن أصحاب ماكان اسمه (أسفار ابن شيرويه) على أن يستأسروا الداعي ففر الداعي خفية وأطبق المتحالفون على طبرستان • ولم تمر فترة طويلة حتى مات أبو الحسين في رجب (٣١١ هـ) واستقل أبو القاسم بطبرستان لكن حكمه لم يدم أيضا اذ رحل بعد أخيه بعام عن الدار الدنيا •

وبعد موت أبي القاسم بايع ابنه ماكان وابن عم له اسمه (حسن ابن فيوزان) أحد رؤساء الديلم ، لكن سرعان ما اشتعل النزاع بين ابنه هذا وماكان وانهزم ماكان وتواري • ولكن فكرة استيلائه على جرجان وطبرستان لم تبرح مخيلته فكتب رسائل عدة الى الداعي الصغير المختص بأحد الجبال ليخرج ويستوليا على طبرستان من (السيد أبي جعفر) ابن آخر لأبي الحسين خلف أخاه • فلم يقبل الداعي هذه الدعوة • فقدم ماكان لحرب سيد أبي جعفر منفردا ، لكنه لقي منه ومن أسفار ابن شيرويه الذي تحول عنه وانضم الى أبي جعفر

الهزيمة • وبعد مدة جمع مرة أخرى جيشا وانضم اليه هذه المرة الداعي الصغير وهرب أمامهما سيد أبو جعفر وأسفار •

وفي (٣١٤ هـ) قدم نصر بن أحمد الساماني بنفسه الى طبرستان ليزيل شر الداعي الصغير كلية ، لكن عمال الداعي قطعوا عليه الطرق وخربوا كل جادة وجسر فانحصر الامير نصر ولم يستطع الخلاص الا بعد أداء ثلاثين ألف دينار الى الداعي • وسلك بهذا طريقه الى الري •

وفي (٣١٥ هـ) هزم ماكان أسفارا مرة أخرى ، فاستوحش منه الداعي الصغير ولجأ الى جيلان فأعاد ماكان الداعي باصرار تام ، ثم حمل الاثنان على الري واستوليا عليها من محمد بن صلوك •

وفي أثناء غيبة الداعي وماكان قدم أسفار من خراسان الى جرجان مع جيش ساماني واستولى على جرجان باسم الامير نصر الساماني (٣١٥ هـ) • وبعد ذلك استدعى قائدا من الديلم سمى (مرد آويج بن زيار) وجعله قائد جيشه وتمكن القائدان من استخلاص طبرستان • وعجل الداعي مخالفا لرأى ماكان الى آمل من الري لكي يهزم أسفارا ، لكنه هزم وقتله أتباع أسفار بالقرب من ساري (٣١٦ هـ) •

وبعد قتل الداعي زحف أسفار بجيشه الى الري وفي (٣١٧ هـ) أو (٣١٦ هـ) استصفاهما من ماكان وفر هذا الى الديلم • وبدأ من هذا الوقت صراع بين أسفار ومرداويج وأخيه (وشمكير) وماكان وحسن فيروزان — كما سيلى في تاريخ الديالة — حتى قتل أسفار بيد مرداويج (٣١٦ هـ) وماكان بيد (أبى على الجعاني) في (٣٢٩ هـ) وخلا الميدان لوشمكير وأولاد بويه الصياد وسلمت لهم جيلان وطبرستان •

ومن تاريخ (٣١٦ هـ) سنة قتل الداعي الصغير حتى عهد تسلط الديالة الكامل على طبرستان كان عدد من العلويين بطبرستان وجيلان مجرد آلات بيد الأعداء السابقين لكن لم يك لأحدهم السيادة الفعلية ،

ولهذا السبب تعتبر سنة (٣١٦ هـ) — التي قتل فيها الداعي الصغير —
نهاية امارة الدعاة العلويين بطبرستان •

أسماء السادات العلويين بطبرستان وزمن امارة كل منهم

- ١ — الحسن بن زيد الداعي الصغير (٢٥٠ — ٢٧٠ هـ)
- ٢ — محمد بن زيد أخوه ، الداعي (٢٧٠ — ٢٨٧ هـ)
(الحكام السامانيون) (٢٨٧ — ٣٠١ هـ)
- ٣ — الحسن بن علي الحسيني ، الناصر الكبير أو الاطروش (٣٠١ — ٣٠٤ هـ)
- ٤ — الحسن بن قاسم الحسنی ، الداعي الصغير (٣٠٤ — ٣١٦ هـ)

مدعو الداعي الصغير ومخالفوه

- | | |
|------------------|---------------------------------|
| (٣٠٤ — ٣١١ هـ) | أبو الحسين أحمد بن ناصر الكبير |
| (٣٠٤ — ٣١٢ هـ) | أبو القاسم جعفر بن ناصر الكبير |
| (٣١٢ — ٣١٥ هـ) | أبو علي محمد بن أبي الحسين أحمد |
| (٣١٥ هـ) | أبو جعفر حسن بن أبي الحسن أحمد |

الفصل الثاني

ديالة آل زيار

(٣١٦ - ٤٣٣ هـ)

أرض الديلم : -

كانت ناحية الديلم تشمل - عند القدماء - جزءا من جيلان الحالية التي كانت تحد بولاية قزوین جنوبا ومنطقة (جالوس) (تنكابن الحالية) شرقا . ومع أن جميع جيلان والولايات الساحلية لبحر الخزر كانت تصير جزءا من بلاد الديلم حينما كان الديالة يمدون سيطرتهم اليها ، لكن اسم (الديلم) في الحقيقة هو اسم الجزء الجبلي من جيلان الحالية وحسب وكان يطلق عليه (ديلمان) و (ديلمستان) أيضا . وكان يقابل الجزء المنخفض والسهلي الذي كان يسمى باسم (جيلان) اذن فالـ (ديلمان) أو المديالة والـ (ديلمستان) أو أرض الديلم تعني مساكن جماعة الديلم ، و (جيلان) تعني مساكن جماعة الجيل . وأخذ هذا التحديد يزول تدريجا وصار اسم (جيلان) يطلق على الجزء المحصور بين طبرستان وطالش وطارم وقزوین .

وبسبب الطبيعة الجبلية لمساكن الديلم وصعوبة السيطرة عليها فقد عاش الديلم مستقلين دائما وكان لهم آداب وحياة خاصة بهم قل أن وقعت تحت تأثير من الخارج . ولما كان الديلم رجال حرب وأصحاب شجاعة فقد كانوا يمدون سيطرتهم الى المناطق التي على حدودهم مثل قزوین وطارم وجالوس ، ولجأ سكان هذه المناطق الى بناء الاستحكامات والقلاع لمنع اعتداءاتهم خاصة في قزوین وجالوس .

ولم تنفتح مساكن الديالة أمام المسلمين مع شدة حروبهم لهم ولم تستسلم لهم هذه الجماعة فبقوا على مذهبهم القديم وآدابهم المتوارثة • ولم يتمكن من المسلمين أحد من النفوذ في بلادهم غير السادات العلويين الذين التجأوا الى الديلم وجبال طبرستان في خلافة المتوكل والمستعين بسبب ايذائهما لجميع العلويين • وكما رأينا في الفصل المتعلق بالدعاة العلويين في طبرستان ، فقد وفق السادات بعد مدة من اقامتهم في هذه المنطقة في جمع أتباع وأشباع كثيرين وانتشر الاسلام بذلك في بلاد الديلم •

وقبل اعتناق الديالة للاسلام كان لبلادهم عند المسلمين حكم دار الحرب أى أنها بلاد الكفار الذين يثاب على جهادهم وغزوهم ، فكان حكام الري وقزوين وطبرستان يهاجمون الديلم أحيانا ويستأثرون منهم ويبيعونهم أو يهدون منهم للخلفاء • ولهذا فقد عرف الديلم بسين المسلمين فترة من الزمن على أنهم غلمان أسرى وموال مثلهم كالزنوج والهنود وغيرهم •

ومن بين الاسر القديمة للديلم أسرة (آل جستاق) التى حكمت على حدود نهر (منجيل) وقصبة الديلم الحاليين • قبلوا تبعية الحسـ ابن زيد الداعى الكبير بمجرد أن أعلن ثورته ، ولم ييخلوا عليه طوال مدة امارة الدعاة على طبرستان بصادق عونهم ولذلك كان اذا طردوا من جرجان وطبرستان لا يلجأون الا الى أراضى آل جستاق •

وفي الفترة التى تحكم فيها آل سامان في طبرستان — وقد استمرت ثلاثة عشر عاما (من ٢٨٧ حتى ٣٠١ هـ) كان الناصر الكبير يعيش منزويا بين الديالة ، فصرف كل همه الى أن يدعو بقية الديلم للاسلام وينشر الآداب والأحكام الاسلامية فيهم • ولما كان الناصر مثال الايمان التام والعلم الزهد الكاملين فقد اعتنق أكثرية الديلم الاسلام عن طواعية • وكان من أثر هذا أن استقطاع الناصر في (٣٠١ هـ) أن يخرج

طبرستان مرة أخرى عن قبضة العمال السامانيين .

وخلاف آل جستان دخل أكثر رؤساء الجيل والديلم ، الذين لم يتحملوا أن يظلوا خاملين الذكر وكانوا يطلبون الشهرة وذيوع الصيت ، في خدمة الدعاة ، وأهم هذه الجماعة هم من سبق ذكرهم ضمن تاريخ العلويين خاصة الناصر الكبير وأبنائه مثل (ليلي بن النعمان) و (حسن ابن فيروزان) وابن عمه (ماكان بن كاكي) و (أسفار بن شيرويه) و (مردآويج بن زيار) و (علي بن بويه ماهيكير) .

١ - مردآويج بن زيار

(٣١٦ - ٣٢٣ هـ)

ثورة مردآويج في ٣١٦ هـ :-

كان مردآويج أو مردآميز (١) كما مر في الفصل الاول في بداية أمره من أتباع أسفار بن شيرويه وأسفار بدأ أمره بحياته في خدمة علوي طبرستان ، كما مر الشرح ، ثم تحول عنهم في النهاية ولحق بالأمير نصر الساماني وعماله في خراسان ، وقتل بعون منهم الداعي الصغير في (٣١٦ هـ) وجعل ماكان بن كاكي يتواري . ونتيجة لهذا استولى على جرجان (١) وطبرستان وقزوین والري وقم وكاشان ولرستان . وبعد أن حاز أسفار هذه القوة ثار على الخليفة والأمير نصر . وكان الأمير نصر عازماً على ضربه لكن الأمر انتهى بالصلح وقبول أسفار أن يدفع خراجاً سنوياً وأن يحكم المناطق التي استولى عليها . لكن الرجل ، ولم يكن قد أسلم واستمر على دين آبائه ، لم يحسن معاملة رعيته المسلمين المتعصبين خاصة أهالي قزوین حتى أنه أمر ذات مرة بأن يلقي بمؤذن

(١) أي المتعلق بالرجولة الحرة بها (سياقي) .

(٢) في هذا الفصل والفصول بعده إذ تحدثنا عن جرجان قانماً نعني جرجان القديمة أي كنبد قابوس الحالية ، وليست جرجان الجندة أو استراباد الحالية (سياقي) .

كان يؤذن للصلاة من فوق المنارة وبخراب المساجد وأخذ يحصل من العامة المال متعددا كل حدود النصفة والعدل . وسبق القوقل ان أسفار استدعى لخدمته حينما كان يتأهب لغزو طبرستان أحد كبار قواد الديلم المعروف بـ (مرد آويج بن زيار) . واستولى الاثنان بعد أن أمره على جيشه على طبرستان من الداعي الصغير وماكان بن كاكي (٣١٦ هـ) .

وبعد فتح طبرستان أنفذ أسفار مرد آويج الى طارم حيث كان (سار) أحد أمراء أسرة (آل مسافر) يحكم فيها مستقلا ليدعوه الى بيعه أسفار . وكان مرد آويج شديد البرم بمظالم أسفار فتعاهد سرا مع سار المسافري ، وحينما كان أسفار ينتظر عودته من قزوین أرسل مرد آويج الى جماعة من قواد جيشه كانوا ينقمون على أسفار أيضا وأطلعهم على اتحاده مع سار وعزمهما الثورة على أسفار . فهاج الجند على أسفار ، فلما رأى أسفار هذا ووصله قصد مرد آويج وسار فربا من قزوین الى الري ثم قصد قهستان وطبس . ولما عرف أن ماكان بن كاكي بخراسان وقد دعاه مرد آويج الى قصده ، يمم فارا نحو (الموت) (٣) . فسد مرد آويج عليه الطرق حتى تمكن من القبض عليه في الطالقان ثم قتله في (٣١٦ هـ) . واستقر مرد آويج في الري وقدم اليه ماكان من خراسان فأمره على جيلان وطبرستان .

ولم تمر فترة طويلة حتى تكدر الصفوبين الاثنان وأسرع مرد آويج لدفع ماكان بطبرستان ثم أجلاه عنها وعاد بعد السيطرة على جرجان الى أصفهان غانما منتصرا ألما ماكان فقد هاجم بعون الأمير نصر الساماني جرجان والدامغان لكنه غلب ورجع الى خراسان منهزما .

وبعد قتل أسفار وطرد ماكان تملك مرد آويج طبرستان وجرجان والدامغان والجزء الأعظم للعراق العجمي وتجاورت مناطق حكمه في

(٣) الموت بلغة الديلم (تعليم العقاب) إذ ان أحدهم استحسن الاسم ، وقد علا شأنها لما استولى عليها الحسن بن الصباح كبير الحشاشين الباطنية عام (٤٨٣ هـ) كما سيلي .

(٥٣١٩ هـ) مع ولايات السامانيين من ناحية والبلاد التي يحكمها الخليفة العباسي حكما مباشرا من ناحية أخرى • وأخذ يتقاطر عليه رؤساء الديلم طمعا في المال الذي كان يهبه لجنده وحاشيته ، وطفق اعتباره وشوكته يزيدان يوما بعد يوم •

وفي نفس عام (٥٣١٩ هـ) وجه مردآويج ابن أخته بجيش للسيطرة على همدان ، لكنه لم يحقق شيئا لتأزر لشعب همدان مع نائب الخليفة ، بل لقتل في معركته معه • مما جعل مردآويج يتحرك بنفسه من الري الى همدان ، وبعد أن أتم سيطرته عليها أوقع بها مذبحة استمرت يومين • فبعث المقتدر الخليفة العباسي ابن خاله (هارون بن غريب) بجند كثيف لدفعه • ودارت بينهما معركة شديدة انتهت بهزيمة هارون ، وبذلك امتدت سيطرة مردآويج حتى حدود العراق العربي • وبعد فترة قصيرة قصد فتح أصفهان ، فأنفذ الخليفة حاكما جديدا للدفاع عنها هو (مظفر بن ياقوت) لكن مظفرا فشل في الحفاظ عنها واستخلصها جند مردآويج بسهولة ثم دخلها مردآويج بعد قليل • وقد أطمعه انتصاره في أصفهان في أن يعجل بارسال جزء من جيشه للتمكن من الأهواز وصار على حدود العراق العربي تماما • لكنه سير مبعوثا من لدنه الى المقتدر يتعهد ألا يتعدى على بلاد الخلافة ويدفع سنويا مائتي ألف دينار اليه من خراج همدان والدينور •

وفي عام (٥٣٢٠ هـ) بعث مردآويج قاصدا منه الى أخيه (وشمكير) في جيلان وكان يعمل بالزراعة يستدعيه اليه • فلم يطعه وشمكير في البداية بل لعن أخاه لانه دأب عن الخليفة العباسي وطوع نفسه اليه • وفي النهاية رضى لاصرار الرسول بأن يلحق بأخيه • وفي العام التالي وصل مسامع مردآويج أن السامانيين عادوا وسيطروا على جرجان وأن الأمير نصر بن أحمد ووزيره محمد بن عبيد الله البلعمي وجيشا كثيفا يفتظرون في نيشاپور • فترك الري قاصدا جرجان لكنه أدرك أنه لن يستطيع استردادها فاضطر الى أن يمتنع الى نصيح البلعمي فتصالح

مع الأمير نصر وترك جرجان الى السامانيين وقفل عائدا الى الري •

مردآويج وعلى بن بويه : —

في هذه الآونة كان ماكان الذي نال هزائم متلاحقة من مردآويج وعماله يعيش في خرابسان في حماية السامانيين على أمل الاستيلاء على جرجان وطبرستان • وبعد صلح مردآويج مع الأمير نصر خابت آماله وحار في أمره وتركه أتباعه وذهب كل منهم الى ناحية • وكان من بينهم أبناء (بويه الصياد) الذين عاشوا فترة في خدمته ، فقالوا له (مادمنا وما دام أتباعنا محل اعتمادك في هذه الأيام السوداء فان الأصلح أن تأذن لنا حتى نأتى لخدمتك اذا تحسنت الأمور) فرضى ماكان بهذا الأمر ، وسلك أولاد بويه وأتباعهم طريقهم رأسا الى مردآويج • فاحتفل الأمير الزيارى بمقدمهم وأمر كلا منهم على جزء من العراق العجمي • ومن بينهم على الذي لقب بعد بعماد الدولة والذي عينه في الكرج • ولكن مرد ويح بعد قليل ندم لانه قسم الولايات الهامة بين أولاد بويه والقواد الديالة الآخرين وأراد أن يحول بينهم وبين ما يشتهون • فأرسل رسالة الى أخيه وشمكير ووزيره الحسين بن محمد القمي أبي (ابن العميد) المعروف الذي كان مع وشمكير أيضا بالري (١) ليمنعاهم من التحرك ، واذا رفض أحدهم يرسله اليه • وكان على بن بويه قد شمل العميد الوزير بأفضاله (٢) مما جعله

(١) هو أبو الفضل محمد بن الحسين القمي من وزراء وأدباء البويهيين المعروفين ، وكان والده كاتب ماكان بن كاكى ، ثم صار صاحب ديوان رسائل نوح بن نصر الساماني • وبلغ ابن العميد وزارة ركن الدولة الديلمي وظل في وزارتهم حتى وفاته • كان أستاذا في النجوم والفلسفة والبلاغة ويجمع في تأليفه بين المعاني الدقيقة والصناعة اللفظية ومن آثاره ديوان الرسائل ومذهب في البلاغات ، توفي عام (٣٦٠ هـ) •

(١) قيل في ذلك أن عليا بعد أن وصل الري لم يكن يملك غير سرير عرضه للبيع فاشتراه العميد بمائتي دينار وأرسلها اليه • فأخذ على عشرة دنانير ورد الباقي الى الوزير واكتسب بهذا قلب الوزير وكان يزعم في خبيثة نفسه أن يحقق أحلام سيطرته (سياقى) •

يعرض عليه رسالة مردآويج قبل أن يسلمها لوشمكير ، ثم أشار عليه بقصد الكرج تحت جناح الظلام • . وحينما حل الصباح أطلع الوزير وشمكير على رسالة أخيه فمنع الآخرين من قصد ولاياتهم ، وهم بارسال من يرد عليا ابن بويه عن مقصده ، فتدخل الوزير أيضا بحجة أنه لن يعود مختارا وربما يؤدي به هذا الأمر الى عصيان مردآويج ، وصرفه عن ارادته • . ووصل على الى الكرج وأنشأ يحسن معاملة الرعية وعمال مردآويج ويبعث الى مردآويج برسائل الرضا والشكر ثم أخذ في فتح القلاع على أطراف الكرج • . وسرعان ما أصبح صاحب شوكة في هذه النواحي وملك قلوب الرعية واحترامها الى حد أن جماعة من رؤساء جيش مردآويج قصدوه ساخطين على مردآويج لانه منعهم أعطياتهم فاختلفوا على مخالفا رغبة مردآويج بمقدمهم ، وكان هذه الواقعة بداية الخلاف بين ابن زيار وابن بويه وتصميم مردآويج على ازالته • .

وتحرك على عن طريق الكرج الى أصفهان ومعه ما يقرب من تسعمائة جندي وكان قصده في الظاهر أن يظهر نفسه مطيعا للخليفة بمعاونة مظفر بن ياقوت حاكم أصفهان من قبله ويظل بمنجى من تعرض مردآويج • . فرفض مظفر طلب على وقام ليرده ، ولكن عليا غلب بفئته القليلة جند المظفر الذين أربوا على العشرة آلاف • . وساعده على ظفره انضمام جميع الجيل والديلم في جيش المظفر اليه قبل المعركة ، وهكذا تمكن على من أصفهان (٥٣٢١) • .

وقد أقلق فتح على لأصفهان الخليفة ومردآويج وخاصة الأخير الذي أخذ يتوعد عليا ويوعده محاولا استدعائه اليه مرة ، ومرة سير أخاه وشمكير بجيش عظيم الى أصفهان أملا في القضاء عليه • . أما على فقد تمكن من السيطرة على أرجان (بهبهان الحالية) ورامهرمز بخسراج أصفهان ثم دخل خوزستان منتصرا • . واستغل وشمكير انهماكه في هذه

البلاد فاستعاد أصفهان لكنه لم يهنأ بها إذ أن الخليفة المقادر أرسل إليه أن يتركها لو اليه فتركها بعد أن تلتكأ في خروجه منها •

وهاجم على عن طريق خوزستان فارس وضبط شيراز أيضا (٣٢٢ هـ) فقدم مرد آويج معجلا إلى أصفهان من الرى وأعاد أخاه اليها ليحفظها وتقدم بنفسه لقتال على بن بويه • كان على ومرد آويج يفتحان البلاد في هذه الآونة باسم الخليفة العباسي في الظاهر ، ولكن في باطن الأمر كان كلاهما يهدف الى تكوين دولة خاصة به والاستيلاء على خراج المدن وتحميل الخليفة بأمره ، لأنه لم يعد للخليفة قدرة عسكرية أو سياسية يؤبه بها وكان لا فوت له من أن يحكمه أمير أو قائد غالب •

وهاجم مرد آويج الأهواز ليقطع الطريق على على الذى كان يريد الخليفة وبغداد وليجعل دار الخلافة تحت تهديده الدائم • ولكن الخليفة الذى لم يكن راضيا على أى من هذين الندين أنفذ قائده ياقوت ليدفع مرد آويج • ومع أن مرد آويج كان تمكن من رامهرمز والأهواز في شوال (٣٢٢ هـ) لكنه ظل عاجزا أمام جند الخليفة ولم يستطع التقدم الى العراق • وفي هذه الأثناء أرسل على من فارس يتوسط له عند مرد آويج ويقترح الصلح والعون • فسر مرد آويج بهذا الصلح على شريطة أن يعترف به أميرا وحاكما عليه ويقرأ الخطبة باسمه • فقبل على وأرسل أخاه الحسن الذى لقب بعد بركن الدولة كرهينة اليه محملا بالهدايا النقيصة •

قتل مرد آويج في ٣٢٣ هـ : —

لم يكن مرد آويج مثله مثل أخيه وشمكير وسيده الأول أسفار بن شيرويه ، في الأصل مسلما ، أو قبل الاسلام في الظاهر لكنه كان متعلقا في الباطن بالآداب الايرانية القديمة ومراسيم المذهب الزردشتى • لهذا كان شديد الكره للخليفة العباسي وولاته العرب • وكان يهدف

الى احياء دولة الساسانيين الخالية وتخريب بغداد وتعمير المدائن
وعماثر الملوك الايرانيين وادالة الأسرة العباسية . ولهذا فقد توج
نفسه بتاج مرصع كما كان يفعل أنوشيروان وكان يجلس على عرش
ذهبي وينفق كثيرا في اقامة الأعياد القومية الايرانية . وفي شتاء عام
(٣٢٣ هـ) حينما كان في أصفهان أمر في ليلة عيد النور (١) أن يجمع
وقود كثير وأسباب الاضاءة واشعال النيران على شاطئ نهر (زاینده)
وأن يقام احتفال واحتفاء عظيمان يليق بهذا العيد القديم ويجدر بمثل
ملكه . وقبل اقامة مراسم هذا الاحتفال بيوم انشغل مردآويج بتقصي
الاعداد له ، فوجد أنه لم يعد له الاعداد الكافي فأخذته العزة بالاثم
وأراد البطش بمن عهد اليه به . فخشي رؤساء الجيش على أنفسهم
وخافوا سفكه دمهم واعتزموا الثورة عليه قبل أن يوقع بهم انتقامه
ويتخلصون منه . لكن الحسين بن محمد أحمد هذه الفتنة . وبعد هذا
بأيام أربعة حرض مردآويج جنده الديلم على ضرب غلمانهم من الترك
وتأديبهم لسخطه عليهم وهددهم بالقتل ، لانه لم يصف يوما للاتراك
وكان يسميهم بالشياطين ويبدى كرهه لهم .

فتآمر الغلمان الترك على قتله لكي ينجوا منه ، وانتهزوا ذهابه
للحمام يوما وأمر رئيس حراسه لغضبه منه أن يدع حراسته له

(١) يسميه الفرس (جشن سده) يحتفلون ليلته باشعال النيران
باللوز والجوز ويشربون الخمر حولها ويطربون ويلهون ويقع في شهر بهمن
وهو الشهر الحادي عشر من السنة الشمسية الايرانية ، يقع اليوم العاشر
فيه اما الاحتفال باشعال النور فيحدث ليلة اليوم الحادي عشر ، وسبب
تسميه (سده) أي المئوي انه يقع قبل النيروز بخمسين يوما وخمسين ليلة
وسبب الاحتفال به في عقيدتهم ان أغرويدون في حربه للضحاك كما في
شاهنامه الفردوسي الشهيرة أمر الناس باشعال النيران على أسطح منازلهم
ليلا لكي يتحقق من أن وزير الضحاك المسمى (ارمائيل) كان ينفذ نصف
الشباب المعينين للقتل لكن يدهن الضحاك كتفيه بأخاضهم فتهدا الحيتان
النابتان على كتفيه ولا تؤذيانه اذا أصابتا من هذا الدهن (راجع في أعياد
الفرس كتاب البيروني العالم المشهور : التفهيم لآوائل صناعة التجيم ص
٢٥٣ — ٢٦١ طبعة عام ١٣١٨ هـ . ش بايران تصحيح جلال هبائي) .

فهاجموه في الحمام وقبضوا عليه وقتلوه ثم نهبوا قصره وما به من أثاث وهربوا إلى أصفهان خوفا من الجنود الديالة .

٢ - وشمكير بن زيار

(٣٢٣ - ٣٥٧ هـ)

بعد قتل مرد آويج تحول الجند الجيليون والديلم من أصفهان إلى الري وبايعوا أخاه وشمكير ، كما أن الديالة بخوزستان أخلوها له وأسرعوا إليه ، وسنحت بهذا الفرصة للحسن بن بويه أخى على وكان مقيما بالأهواز في ذلك الوقت كرهينة ، ففر من حبسه ولحق بأخيه في فارس . ولما سمع الأمير نصر بن أحمد الساماني بخبر قتل مرد آويج الذي كان يعتبر دائما ندا خطيرا له سر وعزم على استعادة جرجان وطبرستان والري التي كان مع السامانيين في عهد الأمير اسماعيل وخرجت عن أيديهم في حكم الفاصر الكبير وأسفار ومرد آويج فأصدر أوامره إلى حاكم خراسان الأمير محمد بن مظفر بن مجتاج الجفاني وماكان بن كاكي الذي كان يعيش في كرمان متواريا أن يهاجما قومي الري وجرجان (كان الأمير محمد الجفاني هذا قد استولى على كرمان كما سيأتي في تاريخ السامانيين - في عام (٣٢٢ هـ) وكان ماكان عاملهم هناك) . وأسرع ماكان للسيطرة على الدامغان ولكن عامل وشمكير هزمه وهزم جيش الأمير الجفاني أيضا فأب ماكان إلى نيشابور وبقي فيها حاكما من قبل الأمير نصر .

كان لوشمكير خلاف الأمير نصر عدو كبير هو على بن بويه الذي رأى في آخر عهد مرد آويج أن الصلاح يقتضى وقتذاك الصلح معه وأخذ ينتظر فرصته السانحة في فارس . ولما قتل مرد آويج ونجا الحسن بن بويه أمده أخوه على بجند وبعث به للسيطرة على أصفهان . ففتحها الحسن وتوجه لفتح همدان والري وقزوین وقم وكاشان . فاضطر

وشمكير الى استدعاء ماكان اليه وكان يقضى سنه في نيشابور في حبرة الاستيلاء على جرجان وضياعها فولاه هذه الولاية . وفي هذه الأثناء تملك على بن بويه على خوزستان وأجبر وزير الخليفة على أن يترك له الجند المقيم بالبصرة ليحارب بهم وشمكير ويرسل منهم مددا لأخيه الحسن بأصفهان . وفي عام (٣٢٧ هـ) استخلص وشمكير أصفهان من يد الحسن بن بويه وهرب الحسن الى اصطخر ثم استطاع الأمير الزيارى فتح قلعة (الموت) وزادت قوته وشوكتة .

قتل ماكان في ٣٢٩ هـ : —

ساء الأمير نصر الساماني نكران ماكان لجميله بتركه وذهابه الى عدوه وشمكير فأنفذ أبا على أحمد بن الأمير محمد الجفاني في (٣٢٨ هـ) لتأديبه والسيطرة على جرجان ، وحاصر الأمير الجفاني ماكان في هذه المدينة فسير وشمكير (شيرج) أخا (ليلي بن النعمان) من الري مددا لماكان ، ولكنه بدلا من مناصرة ماكان على أبي على الجفاني توسط بينهما ، فاشتراط أبو على أخذ جرجان لكي يصرف نظره عن أسر ماكان والتجأ ماكان بطبرستان .

وبينما كان وشمكير حزينا على ذهاب جرجان تواطأ الحسن بن بويه وأخوه مع أبي على الجفاني فاستفادوا من أن وشمكير وجه أغلب جنده لمقابلة الجفاني فاستصفوا أصفهان واستأسروا جمعا من قواد وشمكير . وبعد أن أخذ أبو على الجفاني جرجان عهد الى (ابراهيم بن سيمجور) حكمها وأتى الري في بداية ربيع الأول من عام (٣٢٩ هـ) وكان يغرض هو وأبناء بويه الى الاطباق على وشمكير واستخلاص الولايات التي فتحها مردآويج في مدة عشرة أعوام منه . وهكذا وقع وشمكير بين فكي كماشة فلم يجد بدا من الهروب الى الري ليعاونه ماكان بينما كان أولاد بويه قد اقتربوا من حدود الري قادمين من أصفهان بعون من أبي على الجفاني . واشتعلت الحرب بين الفريقين في

الرى فى ٢١ من ربيع الأول من عام (٣٣٩ هـ) ولم يفد ماكان استقباله
شيئاً اذ كانت الغلبة نصيب أبى على الجفانى والحسن بن بويه .
وانتهى أمر ماكان الى القتل (١) وركن وشمكير الى الفرار الى طبرستان
ودخل أبو على الرى وبعث برأس ماكان وأسرى كثيرين من الديلم الى
بخارا حيث الأمير نصر السامانى ثم مد سيطرته الى زنجان وأبهر
وقزوين وقم والكرج وهمدان ونهاوند والدينور وأوصل حدود الدولة
السامانية حتى حلوان .

ولما وصل خبر قتل ماكان الى (سارى) ثار ابن عمه (حسن بن
فيروزان) بحجة أن وشمكير تسبب فى قتل ماكان فى حرب الرى عمداً ،
لكنه غلب على أمره مع حربه مع شيرج بن ليلى ، فالتجأ بأبى على
الجفانى بالعراق وحثه على ضم طبرستان . فبدأ أبو على بحصار سارى
لكنه لم ينل منها شيئاً بسبب قسوة شتائها ومقاومة وشمكير ، وفى
النهاية طلب وشمكير الأمان وقبل أن يخطب للأمير نصر السامانى
من ذاك الوقت فصاعداً . وفى آخر (٣٣٠ هـ) صالح أبو على وشمكير
وتحرك الى بخارا مصطحباً معه سالار ولد وشمكير كرهينة ، ولم يكـد
يصل خراسان حتى وصله خبر موت الأمير نصر .

وشمكير وأولاد بويه : —

رافق حسن بن فيروزان أباً على الجفانى فى عودته الى بخارا ،
وفى أثناء الطريق انقض على معسكر أبى على وهرب راجعاً الى
خراسان بقدر من الأسلاب وبابن وشمكير (سالار) . ثم أخذ جرجان
والدمغان وسمنان ولم ير عامل السامانيين فى جرجان ابراهيم بن
سيمجور غير مصالحته حلاً . وانتهز وشمكير الفرصة أيضاً للاستعداد
الرى بينما أرسل حسن بن فيروزان ابنه سالار اليه وقبل طاعته .

(١) كتب فى نفس هذه الواقعة أبو القاسم الاسكافى كاتب أبى على
الجفانى الى بخارا (أما ماكان فصار كاسمه) (سياقى) .

وحدث الحسن بن بويه حليف أبي علي الجفاني خطأ لاستخلاص الري من قبضة وشمكير الذي انهزم أمامه إلى طبرستان وفر منها إلى خراسان فأطبق الحسن على طبرستان ودخل حسن بن فيروزان في طاعته وزوجه بابنته التي ولدت له فخر الدولة الديلمي .

وكان وشمكير يهدف من فراره إلى خراسان أن يستمد الأمير نوحا ابن نصر وقائده المعروف أبا علي الجفاني . فأمدّه الأمير الساماني بأبي علي هذا و (منصور بن قراتكين) لفتح الري لكنهما لم يستطيعا أمام الحسن بن بويه اللهم الا تمكن وشمكير من اخراج جرجان عن يد حسن ابن فيروزان في صفر من (٣٣٣ هـ) وان لم يستطع الحفاظ عليها طويلا ، بل اضطر إلى الهروب إلى خراسان بحماية من منصور بن قراتكين .

ودعا هذا الأمير نوحا إلى أن يتوجه بنفسه إلى جرجان ويقا تل حسن بن فيروزان والحسن بن بويه ، لكن حاكم طوس (أبا منصور محمد بن عبد الرزاق الطوسي) — الذي جمعت باسمه أول شاهنامه نثرية ولهذا فانه يذكر بالخير في تاريخ الأدب الفارسي (١) — ثار على نوح وتحالف مع آل بويه . فتحول نوح إليه أولا فهرب أمامه إلى الري محتفيا بحلفائه . وأكرمه بن بويه ووجهه إلى آذربايجان لحرب أحد آل مسافر .

وفي عام (٣٣٦ هـ) استخلص منصور بن قراتكين طوس ونيسابور

(١) صار قائد جيش خراسان من قبل أبي علي الجفاني نحو عام (٣٣٥ هـ) أول أمره وحينما فكر في محالفة ركن الدولة الديلمي لضرب وشمكير ابن زياد عرف الأخير بأمره فندس إليه السم فمات (٣٥٠ هـ) . وشهرته الأدبية تفوق شهرته السياسية لأنه أمر أبا منصور المعمرى وزيره بتدوين أخبار الملوك الفرس السابقين بما يسمى الشاهنامه فاستقدم هذا علماء خراسان والعالمين بالتاريخ وأنجزوا هذا العمل عام (٣٤٦ هـ) . وقد صارت هذه الشاهنامه المصدر الرئيسي الذي استقى منه الفردوسي الشاعر الفارسي الشهير (توفي عام ٤١١ أو ٤١٦ هـ) شاهنامه الشعرية وكذلك الشاعر الفارسي الحقيقي (متوفى نحو ٣٦٥ هـ) من قبله .

من أيدي أتباع أبي منصور الطوسي واستأسر أمه وبعض أتباعه وأرسلهم إلى بخارا • وفي نفس العام أخرج الحسن بن بويه وحموه حسن بن فيروزان وشمكير مرة ثانية عن طبرستان وجرجان فلجأ الأمير الزيارى هذه المرة بآل سامان في خراسان ليستمدهم •

ومن هذا التاريخ حتى أن فتح الحسن بن بويه طبرستان للمرة الثانية في (٣٤٢ هـ) حدث صدام كثير بين آل بويه والقواد السامانيين الذين كانوا يقدمون لعون وشمكير وكان النصر للطرفين سجالا إلى أن تصالح أبو على الجعاني مع ركن الدولة البويهى (١) في الري وانتزها البويهى فرصة لكى يزيج وشمكير نهائيا عن طبرستان وجرجان • ففسر وشمكير هاربا إلى خراسان مرة أخرى واتهم أبا على الجعاني أمام الأمير نوح بتحالفه مع البويهيين ، فعزله نوح عن حكم خراسان ، فعصى أبو على وأعلن امارته على نيسابور فحول نوح إليه وشمكير ليزيله فأتجه مضطرا إلى ركن الدولة • فصحبه ركن الدولة إلى جرجان وطرد عنها وشمكير • ولكن هذا الحال لم يدم لأن بمجرد عودة ركن الدولة استولى وشمكير على جرجان بعون الخراسانيين حتى جعل ركن الدولة وشمكير في النهاية يختفى في جيلان (٣٥١ هـ) فعادت إلى طاعة طبرستان وجرجان من جديد •

موت وشمكير في ٣٥٧ هـ : —

وبين هذا الصراع أخرج البويهيون ولاية كرمان أيضا عن يد أميرها (أبي على بن الياس) ، فقصد أبو على الأمير منصور بن نوح الساماني بخارا وشجعه على تملك ولايات آل بويه فوجه إلى السرى جيشا كثيفا يقتاده وشمكير وأبو الحسن سيمجورى •

(٢) في عام ٣٣٤ هـ استولى أحمد بن بويه على بغداد وخليفتهما المستكفي ولقبه الخليفة معز الدولة ولقب أخاه الحسن بركن الدولة وأخاه عليا بعماد الدولة ، وسوف يذكر هؤلاء بالقابهم بعد هذا (سيقى) •

واستمد ركن الدولة جميع أفراد الاسرة البويهية فقدم اليه ابنه
(بناء خسرو) المعروف بعضد الدولة وابن أخيه بختيار الذى لقب بعبد
بعر الدولة ، ولكن قبل أن يلتقى الجيشان ببضعة أيام خر وشمكير فى
أول المحرم من (٣٥٧ هـ) من على جواده بينما كان يصطاد فلقى حتفه •
وانفرط عقد جيشه ونجا الحسن بن بويه من هذا الخطر الداهم •

٣ — بهستون بن وشمكير

(٣٥٧ — ٣٦٦ هـ)

بعد موت وشمكير خلفه ابنه الأكبر أبو منصور بهستون الذى كان
بطبرستان لكن كبار أتباعه الذين رافقوا جيش السامانيين بايعوا أخا
وشمكير الأصغر وهو (قابوس) وانحاز أبو الحسن سيمجورى الى
قابوس أيضا • فركن بهستون الى حماية ركن الدولة الذى ملكه طبرستان
وتزوج ركن الدولة بابنته التى ولدت له عضد الدولة • واستولى قابوس
بعون السامانيين على جرجان ودام هذا الحال حتى عام (٣٦٦ هـ) حين
مات بهستون واستقل قابوس فى ملكه لكن لم يبق له من جميع البلاد
التي فتحها جده مردآويج غير جرجان وقسم من طبرستان وكان يحبا
فيها فى واقع الأمر تحت حماية السامانيين • وقد لقب المطيع الخليفة
العباسى بهستون فى (٣٦٠ هـ) بظهير الدولة بأمر من عضد الدولة وأصدر
أمره بأن يحكم جرجان وطبرستان رسميا •

٤ — شمس المعالى قابوس بن وشمكير

(٣٦٦ — ٤٠٣ هـ)

مات ركن الدولة فى نفس عام تولى قابوس وقسمت بلاده بين
أبنائه الثلاثة عضد الدولة ومؤيد الدولة وفخر الدولة على نحو أن
صارت فارس وكرمان لعضد الدولة ومؤيد الدولة وهمدان وجزء من
عراق العجم لفخر الدولة •

وفي عام (٣٦٩ هـ) طمع عضد الدولة ومؤيد الدولة في ملك فخر الدولة واستخلصا منه همدان . فقدم فخر الدولة الى حماسة قابوس في جرجان فاستقبله بحفاوة وكرم ووعدته أن يقوم لنجدته ويسترد له ملكه من أخويه . وعند ذاك أرسل عضد الدولة ومؤيد الدولة الى قابوس أن يترك فخر الدولة الري اليهما مقابل خراج عام فرفض قابوس هذا المقترح واعتبر قبوله مخالفا للضيافة والمروءة وأغلظ لهما في رده وأصبح هذا ذريعة لغزو أخوي فخر الدولة طبرستان وجرجان .

ولما لم يستطع قابوس المقاومة هرب بعد حرب قصيرة بالقرب من (استراباد) الى خراسان في جمادى الآخرة من (٣٧١ هـ) ولحق به فخر الدولة وخرجت عنهما جرجان وطبرستان .

وكانت حكومة خراسان وامارة جيشها في هذا الوقت لحسام الدولة أبي العباس تاش من طرف السامانيين ، وقد صدر اليه أمر نوح بن منصور باعادة قابوس وفخر الدولة الى بلادهما آمنين . فوجه أبو العباس تاش أحد أتباعه وهو (فايق الخاصة) الى قومس واتجه هو الى جرجان وحاصر فيها مؤيد الدولة واستمر حصاره شهرين لكنه لم يستطع دخول المدينة بالرغم من انضمام فائق اليه . وفي النهاية تواضع مؤيد الدولة مع فائق وجنده ، بعد أن دفع له رشوة طائلة — على أن يهربوا جميعا في أول بداية القتال . وخرج مؤيد الدولة من جرجان في رمضان من (٣٧١ هـ) وحمل على جند تاش وقابوس وفخر الدولة . ولما انسحب فائق وأصحابه بناء على الاتفاق ولم يستطع تاش وقابوس وفخر الدولة الثبات ولوا وجوهم منزهين الى نيسابور ، ولم يحقق الجيش الساماني شيئا . واستمر قابوس في حالة من التشتت بسبب تردى الوضع الداخلى للبلاط الساماني والمنافسة الشديدة بين حسام الدولة تاش وفائق الخاصة ورؤساء الأسرة السيمجورية حتى عام (٣٨٨ هـ) ، ونتيجة لهذا بات قابوس من بعد حكم أربعة أعوام (٣٦٦ — ٣٧١ هـ) محروما من الامارة مدة سبعة عشر عاما (٣٧١ —

(٣٨٨ هـ) بعيدا عن ملك أبيه يعيش في حماية آل سامان في خراسان .
أما فخر الدولة فلما مات أخوه عضد الدولة في (٣٧٢ هـ) وأخوه
مؤيد الدولة في (٣٧٣ هـ) قدم الرى بدعوة صاحب بن عباد وزير مؤيد
الدولة (١) وخلف أخاه وسلك غير سبيل المروءة خلافا لقابوس فبدلا أن
يساعده في وصوله الى حكمه الضائع ، أناب أبا العباس تاش الذى
تحول عن السامانيين واحتفى به في حكم جرجان . وكان المانع في عودة
قابوس الى جرجان والذى صرف فخر الدولة عن هذا الأمر هو وزيره
الصاحب بن عباد الذى لم يكن على صفاء مع قابوس .

وبقيت ولاية جرجان هكذا في يد عمال آل بويه حتى عام (٣٨٨ هـ)
وظل قابوس منتظرا بخراسان مؤملا في عون السامانيين وقواد جيشهم .
بعد موت الصاحب بن عباد في (٣٨٥ هـ) ووفاة فخر الدولة في
(٣٨٧ هـ) ظهر في أحوال دياملة العراق الضعف التام وتولى أمرهم ابن
فخر الدولة الأصغر (مجد الدولة) . فأفاد قابوس من هذا الوضع ، ولما
كان يائسا من عون آل سامان الذين صاروا فريسة الهرج والمرج
والضعف الشديد انتوى أن يستعين برفاقه الديلم والطبريين ويستعيد
جرجان من عمال آل بويه بنفسه .

كان أول من تصدى لعون قابوس هو الاسبهد شهياري بن شروين
من رؤساء طبرستان وتمكن بسهولة من أن يتغلب على أخى زوج فخر
الدولة وهو (رستم بن مرزبان) خال مجد الدولة وأخى (سيدة خاتون)
أمه . واستولى على (آمل) أيضا اثنان من أتباع قابوس ثم أطبقا على

(١) الصاحب بن عباد المتوفى عام (٣٨٥ هـ) من رجال وكتاب
البويهيين ومن أهل الطالقان . لحق في شبابه بخدمة ابن العميد ووزر لمؤيد
الدولة البويهى . ويشتهر أكثر من السياسة بعلمه وأدبه وحده بأهل العلم
والادب والفضل ، وكان لا يقل عنهم ان لم يزد تمكنا في علوم الأدب . وكان
له مكتبة ضخمة بلغ عدد ما فيها أن مائة عشرة مجلدات ، من آثاره كتاب
المحيط في علوم اللغة العربية .

استقرا باد • وسعى فيروزان بن حسن بن فيروزان المعروف مرارا أن يستعيد استراياد لآل بويه من أتباع قابوس ولكنه أصيب بالفشل في كل مرة • ونتيجة لهذا فتحت جرجان أيضا ، وعاد قابوس في شعبان من (٣٨٨ هـ) بعد سبعة عشر عاما من الفراق الى عرشه بدعوة أتباعه •

وزحف مجد الدولة بجيشه يعزم استعادة طبرستان وجرجان من قابوس مرتين ، لكنه أدرك في النهاية أنه ليس كفوا له فاضطر الى مصالحته ، خاصة وأن أخا فيروزان وهو نصر بن حسن الذي كان يحكم قومس من جانب الديلمة قبل عودة قابوس ثم طرده عنها أتباع قابوس قد سلك طريق العصيان ونهب أموال الرعية والظلم والجور وأوجد فتنة كبرى ، وكان مجد الدولة يود أن يدفع شروره بيد قابوس • وهرب الى قهستان خوفا من مجد الدولة وضم الى جانبه أبا القاسم سيمجوري وحثه على مهاجمة الري وأتى به وبأتباعه الى حوالى هذه المدينة • لكنهما لقيا هزيمة فادحة من قابوس ففرا الى السلطان محمود الغزنوى •

وقد وسع شمس المعالى في فترة حكمه الثانية (٣٨٨ — ٤٠٣ هـ) من دائرة ملكه في ناحية الغرب فقد استولى على رويان وجالوس وجيلان وأتاب ابنه (منوچهر) في حكمها • ولما زادت قوة السلطان محمود الغزنوى وشوكته في هذا الوقت بسبب استيلائه على خراسان أرسل اليه قابوس بطريق الحبيطة التحف والهدايا وأظهر له الحب والاخلاص • ولكن هذا الصنف دام فقط حتى (٣٩٠ هـ) • لأن في هذا العام ، على النحو الذى سوف يرد في تاريخ السامانيين بعد ، تكدر الصفو بينهما بسبب ثورة الأمير المنتصر اسماعيل بن نوح السامانى على السلطان محمود والتجأ الأول الى قابوس الذى استقبله بالاكرام ، ولم يعد الوداد كما كان. الا بعد أن خلص قابوس من انحيازه الى الأمير المنتصر ولم يسمح له بالقدوم الى جرجان •

قتل قابوس في ٤٠٣ هـ : —

كان قابوس رجلا فظا غليظا سريع الغضب يحكم بالقتل بسهولة ،
بل ويقتل بيده لأدنى المظنة كل برىء ، ولهذا تجرع من يديه جمع كثير
مرارة الموت ورجفت قلوب المقربين اليه واستقرت الضغينة في صدور
غالب قواد جيشه ورعيته له ، الى أن قتل حاجبه الخاص وكان رجلا
مسالما وديعا يحبه الجيش ، فثار الجند وأحاطوا بمقامه في قلعة
(جناشك) — بين جرجان القديمة واستراباد — ولكنهم لم يتمكنوا من
القبض عليه فذهبوا الى جرجان واستدعوا منوچهر ابنه من طبرستان
وأفهموه أنه اذا لم يتحالف معهم في عزل أبيه فسوف يجلسون غيره
على الحكم • فاستسلم منوچهر طوعا أو كرها وصاحب الجيش للقبض
على أبيه في بسطام حيث التجأ • وتلاقى الأب والابن في هذا المكان •
واعترل قابوس الحكم برغم اصرار ابنه على قبول أمره واستعداداه
لدفع شر الجند ، وقبل أن ينزوى في قلعة جناشك وينشغل بالعبادة •
وعاد منوچهر الى جرجان وذهب قابوس الى جناشك ولكن الجنود
لخوفهم من عودة قابوس وانتقامه انتهزوا فرصة وقتلوه في نفس تلك
القلعة في (٤٠٣ هـ) •

شمس المعالى قابوس أشهر أفراد الأسرة الزيارية لانه كان رجلا
فاضلا وكريما محبا للفضل ومشجعا للشعراء وأديبا حسن الخط ، وكان
دائم الاختلاط والمراسلة مع الفضلاء والعلماء في عهده حتى في أنشاء
غيبته في خراسان وفقدانه للحكم وكان كثير الانعام والاکرام لهم ،
فوصل صيت فضائله الى الأطراف والأكناف • وكان يجارى أفضل بلغاء
اللغة العربية في الانشاء العربى ، ومهر في الشعر الفارسى والعربى ،
وكان بلاطه مجمع الفضلاء والشعراء وكان يغدق عليهم في عيدي النيروز
والمهرجان (١) • ومن شعرائه المعروفين الحكيم أبو بكر محمد بن على

(١) النوروز أو النيروز هو اليوم الجديد أى الاول من كل عام
شمسى فارسى ويصادف أول الاعتدال الربيعى (٢١ مارس) ويحتفل به

الخسروى السرخسى وأبو القاسم زياد بن محمد القمى الجرجانى اللذان مدحاه بالفارسية . وقد كثر الشعراء العرب والحاشية العربية عنده . وقد ألف العالم الجليل أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى كتابه الشهير (الآثار الباقية) عام (٤٣٩٠ هـ) باسم قابوس ، وقصده من خوارزم حبا له الحكيم والطبيب العظيم أبو على الحسين بن سينا ، ولكن قبل وصوله جرجان سمع بخبر القبض عليه وقتله ، فعاد آيسا الى قزوين وهمدان فى حماية آل بويه .

٥ - فلك المعالى منوجهر

(٤٠٣ - ٤٢٣ هـ)

بعد قتل قابوس خلفه ابنه منوجهر ولقبه القادر الخليفة العباسى بفلك المعالى وكان أول عمل له بعد توليه القبض على قتلة أبيه ومعاقبتهم . كان لمنوجهر أخ اسمه (دارا) حكم طبرستان قبله ، لجأ الى السلطان محمود الغزنوى فى غزنة قبل قتل أبيه بفترة لسوء ظن وقع بينهما ، وكان يعيش فى كثف الغزنويين أملا فى الوصول الى الحكم . وقد لقي الخطوة عند السلطان فى أول الأمر ، ولكن محمودا الغزنوى تغير عليه لجفاء قوله فى مجلسه فهرب الى والى الكرج . فأجبر السلطان واليها على أن يسلم اليه دارا ، فلما وصله ألقى به فى السجن ،

الفرس الذين يعتقدون أنه اليوم الأول للزمان كذلك بدأ الزمان به دورته . أما عيد المهرجان فيقع فى اليوم السادس عشر من شهر مهر الشهر السابع من السنة الايرانية الشمسية ويستمر احتفال الفرس حتى اليوم الحادى والعشرين ذكرى انتصار أفرويدون على الضحاك الذى قتل كثيرا من شباب ايران حتى يهدى بدهن رؤوسهم ثائرة ثعابين ظهرا على كتفه انتقاما من الله لظلمه الناس ، كما هو شائع فى أساطيرهم . انظر فى هذين العيدين وغيرهما من أعياد الفرس كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم للعلامة أبى الريحان محمد بن أحمد البيرونى من ص (٢٥٣ - ٢٦١) طبعة جلال همائى عام (١٣١٨ هـ ش) .

وان عفا عنه بعد مدة ، لأنه كان يريد أن يجعله آلة لتنفيذ هدفه في السيطرة على جرجان وطبرستان بأن يصل به الى حكمهما . ولاح قتل قابوس للسلطان فرصة مناسبة لاتمام نيته ، لكن منوجهر بادر بارسال التحف والهدايا واعترف بسيادة سلطان غزنة عليه وطلب ابنته ليتزوج بها . وأصبح هدف محمود واقعا عمليا بسبب أن منوجهر نصبه الخليفة العباسي رسميا وقبل اطاعة السلطان فزوجه بابنته وعقدت بين الطرفين معاهدة مقتضاها قبول منوجهر لتبعية السلطان محمود .

وفي عام (٤٢١ هـ) حينما مرض السلطان محمود مرض الموت سير منوجهر لمسعود خلفه رسولا خشية أن يتخول بعد موت أبيه عن عهده معه ويجعل من دارا أخيه الذي كان يتوقع فرصة ليستولى فيها على جرجان وطبرستان ، العوبة لتحقيق مقاصده فتمكن من تجديد العهد السابق مع الغزنويين ، وبناء عليه لم يتعرض الغزنويون الى بلاده ما دام منوجهر حيا .

وقع بين فلك المعالي منوجهر ومجد الدولة الديلمي صاحب الري خلاف مرتين ، وكان منوجهر ينحاز الى أعداء مجد الدولة عداء له ، لكن هذه الخلافات ، التي سوف يشار اليها في تأريخ أحداث البويهيين والغزنويين ، لم تؤد الى حرب حاسمة وكان الأمر ينتهي بالصلح . ومع أن فلك المعالي لم يكن في مثل فضل أبيه شمس المعالي ، لكنه سار نفس سيرته في اجتلاب الفضلاء واکرام الشعراء ، وأحدث مآثره ظهور الشاعر الفارسي لشهير (منوجهرى الدامغانى) (١) في عهده والذي اشتق تخلصه من اسم هذا الأمير الزيارى .

(١) هو أبو النجم أحمد بن قوص بن أحمد المنوجهرى الدامغانى المتوفى (٤٣٢ هـ) من كبار شعراء القرن الخامس وعصر مسعود الغزنوى مهدوحيه . كان هذا الشاعر على وقوف تام بالأدبين العربى والفارسى وأفاد كثيرا من الأدب العربى معانى وأساليب والفاظا نادرة . ويعد مبتكرا لفن المسط في الشعر الفارسى وبارعا في التشبيه والاستعارات خاصة في وصف الطبيعة والشراب . وفوق الألب كان على دراية بالطب والنجوم وتقرأ الاصطلاحات الفلكية كثيرا في أشعاره

٦ - نوشيروان بن فلك المعالى

(٤٢٣ - ٤٣٥ هـ)

مات فلك المعالى منوجهر بجرجان بعد جلوس السلطان مسعود المغزنوى على عرش أبيه بعامين واشتهر أن خال فلك المعالى وهو (باكاليجار) كوهى بن ويهان (١) قائد ورئيس حجابيه قد دسا له السم حتى يؤوله الحكم الى باكاليجار ، لأن منوجهر لم يكن له وارث غير ابن صبي اسمه نوشيروان .

أنفذ باكاليجار بعد موت منوجهر رسلا الى السلطان مسعود وطلب منه أن يعهد اليه بإدارة بلاد فلك المعالى ، فقبل مسعود عرضه وتزوج بابنته بعد أن عقد معه معاهدة وقبض باكاليجار على زمام الأمور باسم نوشيروان الصبي .

وفي الآونة التى خرج فيها مسعود الى الهند مجاهدا (فى عام ٤٣٥ هـ) سلك باكاليجار سبيل العصيان وامتنع عن دفع الخراج السنوى وتحالف مع جماعة من أعدائه فى الرى وأصفهان . وتحرك مسعود فى ربيع الأول من (٤٣٦ هـ) صوب جرجان ولما سمع باكاليجار بذلك أخذ معه نوشيروان بن فلك المعالى وتحصن بسارى ، فأتاها مسعود بعند تسخيره جرجان واستراباد ، فغادرها باكاليجار مرغما ومعه نوشيروان الى كجور وجيلان ، وكان مسعود يجد للقبض عليه حتى انتهى الى آمل . وفى جمادى الأولى من هذا العام تغلب على جيش باكاليجار فى (ناتل) إحدى قرى عزب آمل وأسر قائد عسكره . ثم أمر مسعود بتحصينه

(٢) يخطئ البعض فيكتبون هذه الكلمة (باكالنجار) مع أنها كلمة صيلية ويبدو أنها مركبة من كلمة (أبو) العربية وكلمة (كاليجار) الديلمية ومعناها الحزب ، وهي ترجمة لكلمة (أبو الهيجاء) و (أبو الحزب) العربيتين . وكان هذا اللقب متداولاً بين الديلم وتلقب به بعض آل بويه (سنياقى) .

المال جزافا من أهل آمل فلما عجزوا عن تسديده آذوهم عماله وجنده وارتكبوا في حقهم قبائح كثيرة . وفي هذا الوقت وصل مسعودا من حدود خراسان أخبار هجمات التركمان السلاجقة فصمم مسعود على ترك طبرستان وجرجان وقصد خراسان . وكان لباكاليجار ابن رهينة مع السلطان مسعود ، فأرسل يابن له آخر له يطلب عفوه فأعاده مسعود الى أبيه بخلع وأبقى باكاليجار في اماره طبرستان وجرجان على أساس المعاهدة السابقة وعاود رحلته الى خراسان .

وظل باكاليجار يحكم باسم نوشيروان بن فلك المعالى من وقت أوبة السلطان مسعود عن جرجان حتى عام (٤٣٣هـ) أى لمدة سبعة أعوام وتسلط على كافة أمور الدولة بعله صغر سن نوشيروان . ولما هزم مسعود فى (٤٣٩هـ) على يد طغرل بيك السلجوقى وسقط الجزء الغربى للبلاد الغزنوية فى يد السلاجقة ، خلص من تبعية الغزنويين ، واعتبر نفسه مستقلا . لكن نوشيروان كان قد بلغ الرشد فى هذا الوقت فقبض على باكاليجار واسترد حكم أجداده وتخلص من قبضته وهذا به من هذا الأمر . ولكن طغرل السلجوقى كان قد استولى فى هذه الأيام على خراسان والعراق وكان بصدد السيطرة على طبرستان وجرجان . وتحرك السلطان السلجوقى قبل أن يبلغه القبض على باكاليجار للاستيلاء على هاتين الولايتين فى (٤٣٣هـ) ، وهرب نوشيروان الى سارى . وفى النهاية لم يجد بدا من قبول تبعيته لطغرل وتعهد به بأداء ثلاثين ألف دينار سنويا . وبقي فى امارته الاسمية تحت أمر عامل السلطان السلجوقى . واستمر هذا الحال حتى (٤٣٥هـ) حينما مات نوشيروان وتولى ابنه (جستان) . وبعد عام (٤٣٣هـ) الذى استولى فيه طغرل على جرجان وطبرستان عام انقراض أسرة آل زيار ، لانه بالرغم من أن أمراء هذه الأسرة كانوا قد فقدوا استقلالهم الواقعى قبل ذلك بفترات وكانوا يعيشون تحت حماية الغزنويين ، لكنهم كانوا يؤدون الخراج الى الغزنويين وحسب حتى سنة استيلاء طغرل فى حين أن طغرل

أرسل من بين أتباعه الديلمية من يسمى (مرد آويج) لحكم جرجان وطبرستان ، فتزوج مرد آويج هذا بأم نوشيروان ، فوقع الأخير تحت مراقبة الأول من كل جهة وانصاع لأمره . ولا يعرف نهاية جستان بن نوشيروان ولا سنة وفاته .

أمراء آل زيار الآخرون

ان من اشتهر من الأمراء الزياريين لسبب خاص في تاريخ ايران اشتهارا جديرا هو الأمير عنصر المعالي كيكافوس الذي كان ابن الابيكندر بن شمس المعالي قابوس وليس يعرف بالضبط هل وصل الامارة حقا ، وهو مؤلف الكتاب الأشهر (قابوسنامه) وقد وضعه في (٤٧٥ هـ) هذا الأمير ككتاب نصيح لتربية ابنه (جيلان شاه) . وكتاب قابوسنامه أحد الكتب السامقة للنثر الفارسي ويمثل كمال المهارة والمقام العالي للأمير عنصر المعالي في الفضل والأدب والاطلاع .

اسماء الامراء الزياريين وزمن اماره كل منهم

- ١ - أبو الخجاج مرد آويج بن زيار (٣١٦ - ٣٢٣ هـ)
- ٢ - أبو طاهر وشمكير بن زيار (٣٢٣ - ٣٥٧ هـ)
- ٣ - ظهير الدولة بهستون بن وشمكير (٣٥٧ - ٣٦٦ هـ)
- ٤ - شمس المعالي أبو الحسن قابوس أخو بهستون (٣٦٦ - ٤٠٣ هـ)
- ٥ - فلك المعالي منوچهر بن قابوس (٤٠٣ - ٤٢٣ هـ)
- ٦ - نوشيروان بن منوچهر (٤٢٣ - ٤٣٥ هـ)
- ٧ - جستان بن نوشيروان (٤٣٥ - ؟)

الفصل الثالث

ديالة آل بويه

(٣٢٠ - ٤٤٧ هـ)

أولاد بويه الصياد :

تم تأسيس دولة آل بويه بيد ثلاثة من الاخوة أبناء رجل جيلاني كان يصيد السمك اسمه بويه وأن أوصل ادعاء بعض المؤرخين القدامى نسبهم الى (بهرام جوبين) (١) في قول ، أو الى (يزدجرد الثالث) (٢) الساساني في قول آخر . وكان الأخ الأكبر هو علي والأوسط الحسن والأصغر أحمد . وحين ثار الدعاة العلويون في جيلان

(١) بهرام جوبين قائد هرمز الرابع الذي اعتلى عرش الساسانيين عام (٥٧٩ م) ، وقد زادت شهرته حينما غلب خاقان التركستان واسر ابنه ، وبعد انتصارات له خافه ملك ايران فارسله ليحارب الروم فهزمه فأهانته هرمز اهانة بالغة جعلته يثور ومعه جنوده وتحرك بهم الى طيسفون العاصمة فاثار اهلها على مليكهم ففرز وقتل . ولما خلف كسرى برويز اباه ارسل الى بهرام يعده الوعود لكنه لم يسمع له فقصده مهاجما فهزمه بهرام وهرب برويز لاجئا الى الروم وجلس بهرام على عرش ايران وهو ليس من نسل الاكاسرة . بيد أن مجرد وصول كسرى الى العاصمة اعاد الى اذهان الناس فكرة أن الملك لا يصلح الا للاكاسرة لا لغيرهم فانفض عنه جنوده والناس مما أدى به الهزيمة والفرار الى الترك . ويحوز بهرام هذا في الادب الفارسي مكانه الطامح العالي الهمة الذي بلغ الملك بكده وجهده لا بحسبه ونسبه وصار كل من يطمح الى الملك يتخذة مثالا ويتنسب اليه (تاريخ ايران لحسن بيرنيا . طبعة تهران ١٣٤٦ ش ص ٢١٩ - ٢٢٢)

(٢) يزدجرد الثالث هو آخر كسرى ساساني الذي اعتلى عرش ايران عام (٦٣٢ هـ) وقد بدأت غزوات المسلمين لبلاده في عهده وانتهى امره على ايديهم (٦٥٢ م / ٣١ هـ) .

وطبرستان على عمال الأمراء السامانيين كان على والحسن قد بلغا سن
الرشد وانحازوا الى العلويين كأغلب الرؤساء الديالة والجيليين ، ثم
دخلوا في البداية في عداد أعوان ماكان بن كاكي قائدهم الديلمي ، وكانوا
بجانبه ، كما مضى الشرح ، الى أن غلب ماكان على يد مردآويج وفر الى
خراسان . وفي هذا الوقت ، أى في حدود ٣١٦ - ٣١٧ هـ ، لحق على
والحسن كما مر في تاريخ آل زيار مع جماعة من قادة الديلم بخدمة
مردآويج . وقد أشرنا الى حياة أبى الحسن على وأبى على الحسن مع
آل زيار حتى أيام بهستون وقابوس في الفصل السابق ، وانما نشير
هنا الى أنه بعد قتل مردآويج في (٣٢٣ هـ) وفرار الحسن بن بويه الذى
كان عند مردآويج كرهينة من طرف أخيه على وحبسه الأمير الزيارى في
الأهواز ، أرسل على الذى استولى في هذا الوقت على شيراز وفارس
أخاه بجيش الى عراق العجم حتى يسيطر على ولايات مردآويج في
في هذه المنطقة . وأخذ الحسن أصفهان بسهولة ، واشتعل النزاع ، كما
فصلنا قبل ، ما بينه وبين وشمكير أخى مردآويج فترات من أجل
السيطرة على قم وكاشان وهمدان والرى والكرج حتى جمع الحسن
كل هذه الولايات تحت تصرفه ، وعلى أثر هذا دخلت فارس والموانىء
والسواحل تحت امرة أبى الحسن على بن بويه وعراق العجم في طاعة
أبى على الحسن بن بويه .

وتقاسم على والحسن هذه البلاد بينهما ، ولكى يمكننا أخاهما
الأصغر أحمد الذى بلغ سن الرشد والكفاءة في هذا الوقت من التملك
والحكم مستقلا أعطياه جيشا مجهزا ووجهاه لفتح كرمان . وهاجم
أبو الحسن أحمد في (٣٢٤ هـ) كرمان وكان قسم منها بيد محمد بن الياس
وقسم آخر بيد رؤساء البلوج ، ومع أنه في حربه مع البلوج في
(جيرفت) بكرمان أصيب في يسراه بضربة فصلت يده من مرفقه كما
انفصل من يميناه أصبع ، الا أنه خرج غالبا وبهذا أضاف كرمان الى
بلاد آل بويه .

أوضاع الخلافة عند ظهور آل بويه : -

بعد موت الخليفة العباسي في (٢٩٥هـ) أنيب ابن المعتضد وكان عمره ثلاثة عشر عاما ، في الخلافة ولقب بالمقتدر بالله ، وكان وزيره الساعي في ذلك . ولما استاء الناس لاختيار هذا الصبي وندم الوزير على ما فعل عزل المقتدر في (٢٩٦هـ) وخلفه عبد الله ابن الخليفة المعتز بلقب المرتضى بالله ، وقد اشتهر عبد الله بابن المعتز وبشعره وانشائه حتى أنه وضع علم البديع وعد من الشعراء المشهورين في العربية . أما من سعى سعيا بليغا في خلع المقتدر والوصول بابن المعتز الى الخلافة فقد كان الحسين بن حمدان من قادة الجيش وأخا (أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان) أسس أولاد أبي الهيجاء بن حمدان في حدود (٣١٧هـ) في الموصل وحلب ، أهم ما في الجزيرة والشام ، أسرة آل حمدان ، وقد دخل أفراد هذه الأسرة ، كما سنرى ، مع آل بويه في صراع متصل الحلقات للاستيلاء على الولايتين المذكورتين وللتمكن من بغداد .

ولم تدم خلافة ابن المعتز ، الذي اشتهر بأنه خليفة اليوم الواحد أكثر من يوم لأن الحسين بن حمدان لعله غير معروفة رحل عن بغداد الى الموصل صباح اليوم التالي لفتحته ، فأعان الأعوان المقتدر ، خاصة مؤنس الخادم ، مع جماعة من الجند على ارتقاء مسند الخلافة مرة ثانية وأمسكوا بابن المعتز وقتلوه بعد حبس يومين . وعفا الخليفة عن الحسين بن حمدان بشفاعته أخيه وأبقاه في جيشه بعد أن خلع عليه .

وثار الحسين في (٣٠٣هـ) في الجزيرة على المقتدر فأرسل اليه أحد غلمان أبيه المعتضد واسمه (رائق) لقتاله ، فانهزم رائق من الحسين لكنه غلب وأسر بيد مؤنس الخادم ثم حبس في بغداد . واستولى مؤنس الذي لقب بالمظفر من هذا الوقت على الخليفة المقتدر وأمور الخلافة استيلاء تاما حتى أن الخليفة أرسله للجهاد على حدود الروم (٣١١هـ) خوفا منه ولابعاده عن بغداد ، لكن مؤنسا المظفر عاد الى دار الخلافة وقد زادت شوكته بعد انتصاراته على حدود الروم .

وفي عام (٣١٥ هـ) أمر المقتدر مؤنسا ثانية أن يتجه الى الشام وحدود الروم فتذرع مؤنس بعدم وصول الأعطيات لجنده وامتنع عن وداع الخليفة وهاج جنده ، لكن المقتدر أرضاه بنحو من الأنحاء وسيره الى مأموريته واستراح مؤقتا من شره .

وفي (٣١٦ هـ) دار نزاع وقتال شديد في بغداد ما بين هارون بن غريب القائد المعروف وابن خال المقتدر ورئيس شرطة بغداد ، وقتل هارون جمعا غفيرا من الشرطة ، وعلا أمره حتى أن الناس تصوروا أن الخليفة أصدر له مرسوما بتولي إمارة الأمراء . فلما وصلت هذه الأنباء الى مؤنس وكان بالشام تحرك الى بغداد وصمم على فتحها بعون رئيس شرطتها وأبى الهيجاء بن حمدان . فأخرج المقتدر في البداية هارون بن غريب عن بغداد ، خوفا ، ووجهه الى الشام ثم حاول استرضاء مؤنس المظفر ، ولكنه وأبا الهيجاء لم يرضيا ، وفي ١٢ من المحرم عام ٣١٧ هـ دخلا بغداد وعزل المقتدر مرة أخرى من الخلافة وأصبح الابن الثاني للمعتضد أو أخو المقتدر خليفة بلقب القاهر بالله .

ولم يدم عزل المقتدر هذه المرة أكثر من يومين لأن الجند ثاروا على الفاتحين وقتل أبو الهيجاء ورئيس شرطة بغداد أعوان مؤنس ، وأعيد المقتدر مرة أخرى . وأبدى مؤنس وجهه الوفاق للثائرين ، ولهذا لم يصب بأذى . وبعد أن عاد المقتدر للخلافة عهد شرطة بغداد الى ابني رائق سابق الذكر (أبي بكر محمد بن رائق) وأخيه (أبي اسحق ابراهيم) وبقيتا في منصبيهما حتى (٣١٨ هـ) . أما حكم الموصل فقد عهد به المقتدر بعد قتل أبي الهيجاء الى ابنه الحسن الذي لقب بعد بناصر الدولة وصار مؤسس أسرة آل حمدان .

وفي (٣١٩ هـ) اصطدم مؤنس والخليفة ثانية لأن الخليفة نزع شرطة بغداد من ولدي رائق وأعطاهما لمحمد بن ياقوت الذي لم يكن على وفاق مع مؤنس . وعلى أثر تهديد مؤنس للخليفة ، عزله من الشرطة

وعزل أباه ياقوتا من رئاسة الحجاب وأعطى العاملين لولدى رائق وأرسل ياقوتا الى فارس وكرمان وابنه المظفر الى أصفهان ومحمدا - ابنا ثالثا لياقوت - الى سيستان ، وقد سبق ذكر حروب ياقوت وابنه المظفر مع مرد آويج وأبناء بويه .

كان بلاط الخلافة في هذا العهد محل تأمر ودسائس عدد من الحاشية ورؤساء الجيش بعضهم ضد الآخر وزالت قوة الخليفة بل كان يعدم المال فلا يستطيع ادارة الأمور ولم يكن يجمع المال بغير الارتشاء من الوزراء اذا أرادوا الوزارة أو بتجريمهم أو مصادرتهم ومصادرة ولاية ولاياته بعون الأمراء وقواد الجيش الأقوياء الذين صار بأيديهم مجرد آلة .

وأعاد القاهر محمدا بن ياقوت كسابق عهده فأثار هذا خوف مؤنس وأبى على ابن مقله الوزير والخطاط المعروف وكانا عدوين لابن ياقوت فجعلا الخليفة تحت ضغط منهما شديد لأنهما كانا يشكلان حزبا قويا . وفي النهاية احتال القاهر بعون جماعة من الجند على مؤنس وأمسك به ثم قتله في (٥٣٢١ هـ) وقتل معه جماعة من أصحابه وأعوانه وارتاح خاطره منه . لكن ابن مقله الذي كان قد تخفى وكان دائما يحرك الجند من مخبئه ضد القاهر نجح في النهاية أن يعزل الخليفة بعون جنده بعد سنة وسبعة شهور من الحكم وعين ابن المقتدر في الخلافة بلقب الراضى بالله وقبض هو على زمام الوزارة .

أما أبناء رائق فقد ولاهم المقتدر في (٥٣١٩ هـ) البصرة وما حولها وانشغلوا بتوسيع أملاكهم وجمع الأموال ، وامتدت حدود أملاكهم في عهد القاهر حتى الأهواز . وظلت ادارة أملاكهم بأيديهم حتى استولى أبو الحسن على بن بويه عليها في عهد الراضى الخليفة في (٥٣٢٢ هـ) كما مر بنا . ولكن عندما تصالح أبو الحسن على مع الخليفة وعاد الى فارس أعيد أبو بكر محمد بن رائق ثانية الى ولايته السابقة فتحالف أبو بكر هذا مع ابن مقله الوزير عدو محمد بن ياقوت . وبعد هذا تمكن ابن

الوزارة مرة أخرى أنابهم في عملهم السابق .

وفي نفس هذه الأيام التي امتنع فيها ابن رائق عن إرسال الخراج إلى بغداد رفض أبو عبد الله البريدي أداء خراج الأهواز أيضا إلى الخليفة وظل هذا الحال باقيا حتى استولى ابن رائق على بغداد واحتاج إلى المال لاعطاء الجند أعطياتهم ولإدارة دفعة الأمور فتحول إلى خراج الأهواز وسير بجكم رئيس جنده الأتراك لضرب البريدي . فاستخلص بجكم في (٣٢٥هـ) الأهواز من البريدي الذي هرب ملتجئا بأبي الحسن علي بن بويه .

فتح آل بويه للأهواز في (٣٢٦هـ) :-

أطعم البريدي - بعد وصوله إلى علي بن بويه - عليا في الاستيلاء على العراق العربي ، فوجه على أخاه الأصغر أبا الحسن أحمد الذي استولى على كرمان قبل عامين برفقة أبي عبد الله البريدي إلى فتح العراق . فتقدم بجكم من الأهواز إلى أرجان (بهبهان الحالية) لنعمهم لكنه لقي منهم الهزيمة فأخلى خوزستان وهرب إلى واسط ليستمد أبا بكر بن رائق . واستولى أبو الحسين أحمد بن بويه على خوزستان بأجمعها . أما البريدي الذي لم يكن له غرض غير السيطرة فسرعان ما فر من أمام أحمد بن بويه وتحالف مع بجكم واسترد الأهواز . فأنجد أبو الحسن على أخاه من فارس وأعاد أحمد بن بويه سيطرته إلى الأهواز وفر البريدي منهزما إلى البصرة .

وأنفذ أمير الأمراء أبو بكر بن رائق لطرده أحمد بن بويه رسولا إلى بجكم المقيم بواسط ودعاه إلى حرب ابن بويه وطمعه في حكم الأهواز . لكن بجكم رفض دعوته وأعلن ثورته فقد كان يفكر في السيطرة على بغداد وأخذ منصب ابن رائق . وتعاهد ابن رائق مع أبي عبد الله البريدي ووعده واسطا إذا طرد بجكم منها فقبل البريدي لطمعه وطلبه السيادة . لكن بجكم هزم البريدي بالقرب من البصرة بسهولة ،

مقلّة من حبس محمد بن ياقوت وظل حبيسا حتى موته فزادت شوكة
أبى بكر بن رائق وأصبح محط الأنظار .

وبعد أن قتل الغلمان الترك سيدهم مرد آويج في أصفهان في
(٣٢٣ هـ) هربوا خوفا من الديلم فالتجأت جماعة منهم بأبى الحسن على
ابن بويه بشيراز واتجهت جماعة أخرى برئاسة (بجكم) الى محمد بن
رائق بالأهواز . وقد امتنع محمد بن رائق مستظفرا بهؤلاء الترك من
أداء الخراج والمال الديوانى في (٣٢٤ هـ) الى الخليفة وأرسل اليه أن
هذا المال يلزمه لنفقات جنده .

ولم يستطع الخليفة ووزيره أن يفعل شيئا مع ابن رائق وفي
النهاية أقدم الراضى على ابعاد ابن مقلّة عن الوزارة حيث كان رجلا
بلا كفاءة يتلاعب به الجند وكان يعيش في أزمار مالية لأن ولاية الأطراف
كان يرفضون ارسال الخراج الى بغداد . وغير الراضى وزارته
أكثر من مرة ولم يجد حيلة الا أن يستدعى أبا بكر بن رائق لأعمال
الوزارة وزمام الأمور الأخرى . ودخل أبو بكر بن رائق بغداد بجيشه
في ذى الحجة من عام (٣٢٤ هـ) ولقبه الخليفة بلقب (أمير الأمراء) .

واحدى الأسر المشهورة التى تدخلت في هذه الأيام في أمور
الخلافة ونالت أهمية عظيمة بسبب كفاءتها ومهارتها أسرة البريدى التى
كانت ضامنة قبل هذا بفترات جمع أموال البصرة والأهواز . وقد بلغت
هذه الأسرة ذروة مجدها أثناء وزارة ابن مقلّة للمقتدر والراضى .
وقد استطاع أحد أفرادها وهو (أبو عبد الله أحمد البريدى) في عام
(٣١٦ هـ) أن ينيط نفسه بجمع خراج الأهواز بعد أن رشى الوزير
بعشرين ألف دينار وتمكن هو وأخوان له من جمع أموال عظيمة بوسيلة
القوة والتهور والمكر . ولم يتعرض لهم الخليفة القاهر بأذى رغم
عدائه لابن مقلّة وأتباعه فلم يمد يده الى شيء من أموالهم وساعدهم
في ذلك اختفاؤهم عن القاهر حتى انتهاء أمره . ولما عاد ابن مقلّة الى

ولكنه لما كان يفكر في الاستيلاء على بغداد والتغلب على ابن رائق
اعتذر للبريدى وصالحه بشرط أن يترك له واسطا بعد أن يستولى على
بغداد • وطبعى أن يقبل البريدى هذا المقترح فتحالف مع بجكم ضد
ابن رائق •

أوضاع بغداد حين فتحها أحمد بن بويه : —

كانت أوضاع دار الخلافة منقلبة كما مر ، واشتدت المنافسة
والخصومة بين الخليفة الراضى وابن مقله الوزير وابن رائق أمير
الأمراء عن ذى قبل ، خاصة وأن الوير وابن رائق كان يسعى كل منهما
للتخلص من الآخر ولم يكن يرعوى عن أى وسيلة لقصر يده عن الأمور •
وانتهى الأمر بابن مقله أن دعا سرا بجكم من واسط من ناحية وشمكير
الزيارى من الرى من ناحية أخرى ليحلا محل ابن رائق ، وحرص
الخليفة على القبض عليه ، ولكن الخليفة لم يكن يجرؤ على فعل ذلك
لخوفه من ابن رائق • وتمكن ابن رائق من الامساك بابن مقله ، فبتر
يده اليمنى ثم لسانه •

وفي نفس عام (٣٢٦ هـ) استولى بجكم في نهاية محاولاته على
بغداد وأجبر الخليفة على أن يعهد اليه بامارة الأمراء • فخرج ابن رائق
عن بغداد — لكنه عاد اليها بعد قليل وتخفى في مكان ما وظل به حتى
تحين خروج الخليفة في بداية (٣٢٧ هـ) ومعه بجكم الى الموصل لحرب
ناصر الدولة الحمدانى ، فظهر من مخبئه واستولى بعون أتباعه الذين
جمعهم في استتاره على بغداد • ولكنه لما كان يعلم أنه لن يستطيع
مجابة الخليفة وبجكم اللذين غلبا في الموصل ، أثر السلامة • وفي
النهاية استقر الأمر على أن يتولى ابن رائق حكم الولايات التى على
حدود الروم في القسم الأعلى للفرات فقبل وأحمد غائلته •

ولما ابتعد ابن رائق ترك بجكم واسطا الى أبى عبد الله البريدى
كما وعده وأوزره للخليفة وأصهر اليه • وكان غرض الاثنين من هذه

القريب والاتحاد هو أن يطبقا على بلاد أولاد بويه من التاحيتين وينتزعا منهم خوزستان وعراق العجم . ولهذا فقد أغار بجكم في (٥٣٢٨ هـ) على حلوان وكرمانشاه . وكان البريدي يريد الهجوم على الأهواز ، لكن سرعان ما اصطدم الاثنان ، كما غلب جند بجكم أيضا في كرمانشاه . فأسقط بجكم البريدي من الوزارة واستعاد منه واسطا . وفر البريدي الى البصرة لينتظر الفرصة التي ينتقم فيها من صهره . وفي السنة التالية حرك جيشه من البصرة الى واسط وتقدم بجكم لمواجهة ، لكن أمير الأمراء أثناء المناوشات قتله كردى بينما كان يصيد ولحق جزء من جنده بالبريدي الذي تمكن من الاستيلاء على واسط وبغداد ببسر والوزارة أيضا . ولما كان قد أطمع الجند في المال الوفير ولم يستطع أن يوفي بعهده لم يجد غير الهروب الى واسط ، فاختار أتباع بجكم والبريدي أحد رؤسائهم وهو (كورتكين) ونصبوه أميراً للأمراء . واغتتم ابن رائق هذا الوضع فأتى من الشام الى بغداد واستخلص منصبه الذي فقده وألقى بكورتكين في الحبس ، ولما كان ابن رائق يخشى مكائد البريدي طلب اليه أن يأتي بغداد ليستوزره . ورفض البريدي وأرسل أخاه بجيش عظيم الى بغداد واستولى عليها في منتصف جمادى الآخرة من عام (٥٣٣٠ هـ) واحتفى ابن رائق والخليفة المتقى بناصر الدولة الحمداني .

وتحرك ناصر الدولة مع المتقى وابن رائق صوب بغداد ليطرد عنها أخوة البريدي ، ولكن في الطريق اتفق أن سقط ابن رائق عن جواده فأمر ناصر الدولة بقتله وأفهم الخليفة أنه ما أقدم على قتله لولا أنه كان يعلم أنه كان يتآمر عليه . فشكر المتقى الى الأمير الحمداني وأعطاه أمانة الأمراء ولقبه — في هذا الوقت فقط — بالقب ناصر الدولة ، ولقب أخاه عليا بسيف الدولة .

ولم يترك أخوة البريدي أثناء توليهم لبغداد ظلماً أو اجحافاً الا والحقوه بالناس فلما سمعوا باقتراب ناصر الدولة والخليفة الى

بغداد تركوها هاربين ، ثم طردهم سيف الدولة عن العراق حتى حدود البصرة . وأراد سيف الدولة أن يضم البصرة فنثار عليه جنده الأتراك وأجبروه على الفرار ثم استولوا على بغداد تماما وأصبح رئيسهم توزون أمير الأمراء .

وفي عام (٣٣٣ هـ) حينما اتجه توزون والمتقى صوب الموصل ، دعا أخوة البريدي أحمد ابن بويه ليأخذ العراق ، فهاجمه أحمد عن طريق الديلم ، ولم يف أخوة البريدي بوعودهم نصرته ، فغلبه توزون بعد أن عاد من الموصل . ولما مات أبو عبد الله البريدي في نفس تلك السنة بعد قتل أخيه وخضعت شوكتهم زادت قوة توزون زيادة عظيمة حتى أن المتقى احتفى بناصر الدولة بالموصل خوفا منه . لكن توزون أعاده الى بغداد بعد أن أقسم اليه بالأمان والصلح . وبعد ذا بيوم سمل عينيه وأجلس المستكفي مكانه .

فتح أحمد بن بويه لبغداد والعراق في (٣٣٦ - ٥٧)

مات توزون بعد سنتين وأربعة أشهر من امارته في المحرم (٣٣٤ هـ) وصارت أوضاع دار الخلافة في زمن خليفته نهب الهرج والمرج . وفي هذا الوقت كان أبو الحسين أحمد بن بويه بالأهواز فدخل والى واسط تحت طاعته وأطمعه في ملك العراق . واستولى أحمد بن بويه وبرفقته كاتبه الشهير أبو محمد حسن بن محمد المهلبى في الحسادى عشر من جمادى الاولى من عام (٣٣٤ هـ) على بغداد بدون قتال وأبدى احترامه للخليفة . فخلع عليه المستكفي ولقبه بلقب (معز الدولة) ثم لقب أخاه أبا الحسن على عماد الدولة وأخاه أبا على حسن بركن الدولة .

ومن هذا الوقت أيضا صار الخلفاء العباسيون طوع أمر الحكام من آل بويه تماما ولم يكن الديالة بسبب تشيعهم يبدون لهم احتراماً بل كانوا يعاملونهم بالشدة والاهانة حتى أن اثنين من رؤسائهم جروا

المستكفي من قصره بعمامة في عنقه حتى مقام معز الدولة بعد استيلائه على بغداد بشهر ونصف الشهر تقريبا ، وأزالوه عن الخلافة ثم ألقوا به في الحبس ثم أعموا عينيه وأجلسوا المطيع لله أو المطيع لمعز الدولة في الحقيقة اطاعة تامة حتى أنه لم يسمح له أن يختار له وزيرا ولم يترك له من كافة أملاكه الا ما يعيشه بالكفاف .

كان معز الدولة يقصد أن يزيل الخلافة العباسية ويباع أحد العلويين ولكن بعض الناصحين أفهمه أن هذا الأمر ليس بالصالح وقالوا له أن بنى العباس لأنهم غصبوا الخلافة كما يعتقد الشيعة فبإمكان الديلم أن يفعلوا بهم كل ما يريدون من عزل وقتل ، وليس هكذا الحال مع العلويين لأنهم أصحاب الحق الوحيدون في الخلافة ، فلا يمكن أن يعاملوهم معاملة العباسيين (١) .

وفي أواخر (٤٣٣هـ) اشتعلت الحرب بين معز الدولة الديلمي وناصر الدولة الحمداني . ومع أن الغلبة كانت لناصر الدولة في البداية حتى أن جنده استولوا على قسم من بغداد لكن معز الدولة غلبه بالخدعة ففر الى الموصل ، ثم تصالح في المحرم من (٤٣٥هـ) مع الأمير الديلمي وأرسل اليه الخراج الذي كان قد منعه وتعهده له بأن يدفع الخراج أيضا كل عام .

(١) لو صدق هذا الرأي ، فمعناه سوء نية البويهيين من البداية للمسلمين ونقصدهم بهم الرعية دون الخلفاء عباسيين كانوا أو علويين لأنهم يريدون أولا وأخيرا التحكم والجبروت والطغيان . ولكن الواقع أن البويهيين ماكانوا يفكرون في انحاء أنفسهم وتولية العلويين وجعل أنفسهم الحكومين لا الحكام والا لباعوا العلويين حقا ، لأنهم كانوا أولا وقبل كل شيء مثلهم مثل سائر حكام ايران العلويين مغالين لجنسهم الايراني واجدين على العرب والاسلام حائقين على من يحكم من دولتهم يتسترون لبلوغ الحكم بالتشجيع وبوجوب ابلاغ الحق لأهله وهم يكرهون العرب جميعا سنة أو شيعة ، وليس ما فعله أبو الحسين أحمد بن الناصر الكبير وأخوه أبو القاسم وما كان بن كاكى وأسفار بن شبرويه الديالة بالداعى العلوى الحسنى الصغير من معاداة وقتل ببيعيد ، راجع أحداث هذا العلوى القتل .

وفي عام (٣٣٦ هـ) انتزع معز الدولة البصرة من أبي القاسم بن أبي عبد الله البريدي ، ثم رحل من البصرة الى خوزستان لملاقاة أخيه عماد الدولة والتقى به في (أرجان) وقبل الأرض بين يديه ، فأعاده عماد الدولة الى بغداد بحسب كبير .

وفي عام (٣٣٧ هـ) هاجم معز الدولة الموصل ، ولم يثبت ناصر الدولة وفر الى نصيبين وسقطت الموصل في يد الديالة ، ولكن معز الدولة لما سمع أن وشمكير ومنصور بن قراتكين وجيش خراسان يقصدون أخاه ركن الدولة صالح ناصر الدولة مرغما وعاد الى بغداد ليمد أخاه .

سيطر معز الدولة على بغداد والعراق سيطرة تامة مدة تقارب الاثنى والعشرين عاما من عام (٣٣٤ هـ) الذي استولى فيه على بغداد حتى عام (٣٥٦ هـ) حين توفي . وغزا في هذه المدة مرات كثيرة أطراف العراق العربي من حدود آذربايجان والجزيرة حتى سواحل الخليج الفارسي وعمان ، وانتصر في أغلب معاركه . ومن بين هذه ، في نفس عام (٣٣٧ هـ) حين وقع أخوه ركن الدولة في خطر عظيم لاحد اق أعدائه الكثيرين به ، أرسل نجدة لأخيه كما أنجده أخوه عماد الدولة من فارس . وكان أعداء ركن الدولة ، كما مر ، هم وشمكير بن زيار ومنصور بن قراتكين قائد السامانيين في خراسان وأحد رؤساء الديالة هو (مرزبان ابن محمد بن مسافر) . وآل مسافر أسرة أخرى من الديالة استولت من أواخر القرن الثالث الهجري على مناطق شمال غرب قزوين وطارم زنجان واتصلوا بالديالة الجستانيين ومحمد بن مسافر أول من نال شهرة منهم إذ أنه عاصر أسفارا ومردوآيج وتمكن مردوآيج بعون منه القضاء على أمر أسفار في ٣١٦ هـ .

وساء ظن محمد بن مسافر بابنيه (مرزبان) و (وهسودان) وكان رجلا فظا حقا فدا فرغب أن يتخلص من ابنيه هذين ، لكنهما علما بمؤامرة أبيهما فحبساه في قلعة في عام ٣٣٠ واستطاع مرزبان أن يستخلص آذربايجان في نفس العام وغزا منها حتى أرمينية .

وفي عام (٣٣٧ هـ) أهدت الصعوبات بركن الدولة الديلمي قطع
مرزبان بن مسافر في الري ولما كان معز الدولة قد أوهن من شأن
رسوله أيضا ، تحالف مع ناصر الدولة ووعد الأمير الحمداني بعون ،
لكن مرزبان لم يحقق تكليفه له بهجوم بغداد واتجه قاصدا الري . ولما
وقف ركن الدولة على أحوال آل زيار أنفذ أبسا منصور محمدا بن
عبد الرزاق الطوسي الذي كان محتما به في هذا الوقت الى دفع مرزبان
فأنزل هو والحسن بن فيروزان ومحمد بن ماکان بمرزبان هزيمة فاحشة
واستصفى أبو منصور آذربايجان من يده ويد أبيه محمد بن مسافر
وأخيه وهسودان ومكث فيها عاما .

أما معز الدولة فقد دخل في حرب مرتين من أجل الخراج الذي كان
ناصر الدولة قرر أن يدفعه اليه سنويا وامتنع عن أدائه ، احداها سنة
٣٤٧ والأخرى ٣٥٣ ، ودخل معز الدولة الموصل في المرتين واستسلم
له الأمراء الحمدانيون .

ومن أهم فتوحات معز الدولة فتح عمان سنة (٣٥٥ هـ) التي
استولى عليها بمدد من ابن أخيه عضد الدولة وضمها الى ممتلكات آل
بويه وسوف نشير بعد الى هذه الواقعة .

وأثناء إمارة معز الدولة على العراق العربي انتشر المذهب الشيعي
في بغداد والعراق انتشارا تاما وخرج الشيعة فيها من شدة ائدهم
السابقة لاسيما وأن معز الدولة وفرقته كانوا لا يألون جهدا في ترويح
شعائر هذا المذهب الى حد أن الأمير الديلمي أمر في سنة (٣٥١ هـ) أن
يكتب على أبواب مساجد بغداد لعن معاوية وغاصبي حق آل على وحث
الناس على أن يقوموا في العاشر من المحرم بتعزية شهداء كربلاء .
ولم يجرؤ الخليفة العباسي ولا حاشيته من السنة بسبب تغلب معز
الدولة وكثرة الشيعة أن يعادى هذه الاجراءات . ووزير معز الدولة
هو « أبو محمد المهلبى » من الفضلاء وذوى الفتوة ومحبة الأدب ،

و (أبو الفرج الأصفهاني) صاحب كتاب الأغاني المشهور ممن كان يعتنى بهم ويربهم • وقد وافت معز الدولة المنية في الثالث عشر من ربيع الآخر سنة (٣٥٦هـ) وورث ملكه ابنه « بختيار » الذي لقب بمعز الدولة •

موت عماد الدولة وامارة عضد الدولة في ٣٣٨ هـ : —

كان الموت أسبق الى أبي الحسن على عماد الدولة من بقية أولاد بويه ولما لم يعقب وكان يقيم في شيراز فقد أوصى في مرض موته أخاه ركن الدولة أن يسير ابنه (بناء خسرو) الى فارس حتى يرثه بعد موته • ولما مات عماد الدولة في جمادى الآخرة سنة (٣٣٨هـ) تملك بناء خسرو ابن ركن الدولة ملك عمه في فارس والسواحل والجزائر التابعة لها ملقباً بـعضد الدولة •

وبسبب أن عماد الدولة كان أرشد أبناء بويه فكان بالنسبة لأخويه الآخرين بصفة الرئيس وأمير الأمراء وكان يتطامن اليه ركن الدولة ومعز الدولة بكل التجارة والاحترام ، وكان حال وفاقهم هذا واتحادهم هو سبب فتحهم تلك البلاد وتكوينهم ذاك الملك العظيم •

ولما مات عماد الدولة انتهت الرئاسة وامارة الأمراء البويهية الى ركن الدولة الذي أخلص النية وأخوه معز الدولة الذي كان نائباً عن أمير الأمراء للأسرة البويهية في بغداد والعراق لكي يقرأ عضد الدولة في فارس ويسبقاً مخالفاً لتتصيب عضد لدولة لصغر سنه وكان لا يتعدى الثالثة عشرة فبعث معز الدولة وزيره بجند الى شيراز وشخص ركن الدولة بنفسه اليها من الري ومكث في فارس ما يقرب من تسعة شهور ولم يعد الى الري الا بعد أن اطمأن على سلطنة ابنه •

تقسيم ممتلكات آل بويه : —

مات عماد الدولة من بين أبناء بويه الثلاثة كما ذكرنا عام (٣٣٨هـ) وخلفه ابن أخيه عضد الدولة ابن ركن الدولة • ومات معز الدولة أيضا

سنة (٣٥٦ هـ) ووخلفه ابنه عز الدولة بختيار ، وظل ركن الدولة الأخ الأوسط حيا حتى (٣٦٦ هـ) وقد نشبت بينه وبين أبي الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور قائد جيش خراسان من طرف الأمير نوح الساماني خصومة شديدة حتى المحرم من سنة (٣٥٧ هـ) حين توفي وشمكير الزيارى بغتة كما مر شرحه في الفصل السابق • وقد جعل ذلك أبا الحسن السيمجورى يحترز حرب ركن الدولة وان بقيت الخصومة بين ركن الدولة والأمير نوح الساماني حتى عام (٣٦١ هـ) • وفي هذا التاريخ حث أبو الحسن السيمجورى الأمير نوحا على مصالحة ركن الدولة ، فاستقر الأمر على أن يؤدي الأمير الديلمي وابنه عضد الدولة مائة وخمسين ألف دينار سنويا للسامانيين فلا يتعرضون الى السرى وكرمان من متصرفات آل بويه • وتزوج نوح ابنة عضد الدولة وقد ظل هذا الاتفاق يحترمه ويرعاه الجانبان حتى أن مات ركن الدولة وبهستون سنة (٣٦٦ هـ) •

وآخر وقائع فترة امارة ركن الدولة الهامة ، وقد حكم أربعاً وأربعين سنة ، هي مقاتلته لحسنويه الكردي (٣٥٩ هـ) • وقد كان حسنويه بن حسين من رؤساء قبائل الأكراد ، وقد بلغ قوّة في بلاد الأكراد في حدود (٣٤٨ هـ) الى حد أنه كان يملك حتى حدود الدينور وهمدان ونهاوند ، وقد أفاد من انشغال ركن الدولة في صراعه مع وشمكير وقواد جيش خراسان ، ولما كان حسنويه يمد ركن الدولة بجند من قبله ، فكان الأمير الديلمي يغض الطرف عن محاربته الا أنه في (٣٥٩ هـ) كثرت شكاوى اعتداءات حسنويه اليه مما جعله يسير وزيره الشهير أبا الفضل محمدا بن الحسين أو ابن العميد المنشئ البليغ المعروف بجيش لدفع حسنويه ، وقد رافق ابن العميد في هذا السفر ابنه أبو الفتح على • ومات ابن العميد بالنقرس في وصوله لهمدان فخلفه ابنه أبو الفتح • وطلب حسنويه الصلح اشفاقا فاكتفى أبو الفتح بأخذ مال منه وآب الى الري حيث ركن الدولة فأقره في وزارته ولقبه

بذى الكفائتين في حين أنه لم يتجاوز الاثني والعشرين سنة •

ومرض ركن الدولة في أواخر (٥٣٦٥ هـ) وقد ناهز السبعين فتحرك من الري لأصرار أبى الفتح ذى الكفائتين الى أصفهان ليلقى ابنه الأرشد عضد الدولة ويعلن خلافته له رسماً ، لأنه لم يك راضياً على ابنه من فترة سبقت ولم يحل المصفاً بينهما بسبب مهاجمة الابن لبغداد ونزاعه مع عز الدولة بختيار كما سيأتى • وقد توسل عضد الدولة بأبى الفتح الوزير لكى يسمح لقاء بينه وبين أبيه فيرضيه عليه حتى لا يحرمه غضبه من خلافته وهو ابنه الأكبر ، ففصل أبو الفتح هذا الأمر كما يجب ، إذ جمع ركن الدولة وأبناءه الثلاثة وقواد الجيش الديلمى في ضيافة كبيرة في أصفهان وأعلن ركن الدولة في هذا المجلس رسماً أن أبا شجاع بنأه خسرو عضد الدولة ولى عهده ووارث ملكه وجعل همدان والري وقزوین وما جاورها لابنه الثانى أبى الحسن على فخر الدولة ، وأصفهان لابنه الثالث أبى منصور بويه مؤيد الدولة وأوصاهما ألا يعصيا أمر أخيهما الأكبر وألا يتخلوا عن الاتفاق والاتحاد اللذين كانا مستتبين بين أبيهم وأخوته وكانا سبب ارتقائهم وعلو أمرهم • وبعد ذلك عاد ركن الدولة الى الري وفاضت نفسه في المحرم (٥٣٣٦ هـ) بها •

ومع أن ركن الدولة أوصى أولاده بالوحدة بعد أن ترك جميع ولايات البويهيين تحت إمرة عضد الدولة إلا عقد انتظام هذه الولايات انفراط من بعد موته بسبب الخلافات التى نشبت بين أولاده من جهة وللصراع الذى قام بين عضد الدولة وابن عمه عز الدولة وكان قد بدأ قبل موت ركن الدولة وانتهى الأمر الى أن تتفسخ ممتلكات أولاد بويه انى أقسام رئيسة كبيرة ، وصار هذا الانقسام نفسه مقدمة لظهور سلسلة من الحروب الداخلية بين أبناء ركن الدولة ومعز الدولة وأولادهم أدت في النهاية الى ضعف أسرهم ووهنها وهيات أسباب انقراضها السريع •

أ - دياملة فارس (٣٣٨ - ٥٤٤٧ هـ)

أول أمراء الدياملة في فارس في حقيقة الأمر هو عماد الدولة أبو الحسن على الذي ذكرنا فيما سبق بالتفصيل استيلاءه على هذا الإقليم في حدود (٥٣٢٠ هـ) وفترة إمارته التي بلغت إحدى عشرة سنة . ولما أن عماد الدولة الذي كان في أيام حياته أمير أمراء الدياملة وصاحب الرئاسة والقيادة على أخويه الآخرين قد حرم من الأبناء الذكور فقد طلب الابن الأكبر لأخيه ركن الدولة وهو عضد الدولة إلى فارس وولاه عهده ، وصار عضد الدولة من بعد وفاة عمه أميراً لفارس وسواحلها وموانئها (٥٣٣٨ هـ) واستقر على عرشها تحت رئاسة أبيه ركن الدولة وطاعة عمه معز الدولة .

١ - عضد الدولة بن ركن الدولة

(٣٣٨ - ٣٧٢ هـ)

أول واقعة هامة لامارة عضد الدولة هي غزوة لعمان في عام ٥٣٥٥ هـ بعون عمه معز الدولة الذي كان أدخلها في العام السابق له تحت بيعته بدون حرب ، بيد أن فريقاً من أناسها ثار على عامل معز الدولة وطردوه منها فسير معز الدولة في السنة التالية وزيره من البصرة إلى عمان فجمع هذا الجند الذي أرسلهم عضد الدولة سابقاً إلى ميناء سيراف (الطاهري حالياً) ودخل بهم عمان وأحمد ثورتها وأدخلها مرة أخرى في طاعة آل بويه . واستمرت عمان تحت طاعة معز الدولة حتى (٥٣٥٦ هـ) حين توفي ، وقد خشي وزيره أن يستوزر عز الدولة واحداً غيره فترك عمان تحت تصرف عمال عضد الدولة وكر راجعاً إلى بغداد وصارت عمان من يومئذ من أملاك عضد الدولة ودياملة فارس وكرمان . وقد عاود عضد الدولة غزو هذه الناحية في (٥٣٦٣ هـ) أثر ثورة نشبت بها وأبقى سيطرته عليها .

استولى أيضا عضد الدولة على كرمان التي كان عمه معز الدولة قد فتحها ولكن أبا علي محمدا ابن الياس وأبناءه كانوا لا يزالون يحكمونها مدعين تحول حكمها اليهم ، فأزال عضد الدولة آل الياس تماما منها وأناب عنه فيها ديلميا اسمه (كوركير بن جستار) وسيطر له هذا الأخير على هرمز ومكران أيضا ومد نفوذ عضد الدولة حتى حدود السند •

وسيطر عضد الدولة كذلك على عراق العرب وبغداد في (٣٦٤هـ) كما سنرى عند تأريخ أحداث عز الدولة الذي استأسره الأول • ولما سمع أبوه ركن الدولة بهذا الخبر ألقي بنفسه من على عرشه لشدة حنقه وأسفه وظل أياما لا يأكل ولا يشرب وركبه شديد المرض وشيع لعنه على عضد الدولة وصمم أن يزيله من العراق اذا دخله بعون عز الدولة فارتعب عضد الدولة خاصة أن أكثر الناس تحول عنه لتغير والده عنه وعصاه قسم من الولايات ، فتوسل عضد الدولة بوزير أبيه أبي الفتح ذي الكفائتين كما سبق القول وقدم بتوسط منه اقتراحات لدى أبيه كان فيها جانب التهديد والطمع في أبيه مما زاد الأب غضبا • وفي النهاية لم يجد عضد الدولة فوتا من أن يطلق سراح عز الدولة ويعيده الى فارس فعاد الى مقامه الأول مرة أخرى • وقد عفا ركن الدولة كما رأينا عن ابنه بتدبير أبي الفتح الوزير وجعله قبل موته ولي عهده وخليفته وأصبح عضد الدولة من عام (٣٦٦هـ) أمير أمراء جميع الديالة •

وبعد عام واحد من موت ركن الدولة هاجم عضد الدولة بغداد مرة أخرى وهرب عز الدولة من أمامه الى الشام فخطب لعضد الدولة في بغداد وتقدم يتعقب ابن عمه الذي التجأ الى آل حمدان وفي تكريت في ١٨ شوال (٣٦٧هـ) هزم عز الدولة وابن ناصر الدولة الحمداني • وفي البداية أسر عز الدولة وقتله ثم أدخل بلاد الحمدانيين في ملكه واستولى على ديار بكر والمنطقة بأعلى الفرات ومد حدود دولته حتى حدود الشام وعمت شهرة قدرته واقتداره على جميع البلاد الاسلامية •

وفي عام (٥٣٦٩ هـ) تحرك عضد الدولة قاصدا أخاه فخر الدولة الذي كان يحكم على همدان والري من قبل والده متذرعاً بأن فخر الدولة قد انحاز الى عز الدولة في صراعه معه بهدف أن يعاونه اذا حارب أخاه ، وخشى فخر الدولة أن يجرى له ما جرى لعز الدولة فترك همدان وهرب لاجئاً الى قابوس بن وشمكير فضم عضد الدولة همدان والري وجمعها لأخيه الآخر مؤيد الدولة نائباً عنه ، ثم ألحق بهما ولايات حسنويه الكردي الذي كان معين فخر الدولة وجعل أحد أبنائه ويسمى بدرا حاكماً من لدنه عليها . وفي عام (٥٣٧١ هـ) هاجم عضد الدولة جرجان لأن قابوس رفض تسليم فخر الدولة فاستولى عليها وفر قابوس ومعه فخر الدولة الى خراسان وقد مضى ذلك في تاريخ قابوس .

وفاة عضد الدولة في (٥٣٧٢ هـ) :

ومات عضد الدولة في شوال من عام (٥٣٧٢ هـ) في سن السابعة والأربعين بمرض الصرع ودفن في النجف بجوار علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكانت مدة أمارته على بغداد من تاريخ قتل عز الدولة بختييار خمسة أعوام ونصف عام .

ومع أن عضد الدولة لم يكن في حسن سيرته وصفاء أخلاقه مثل أبيه وأعمامه الا أنه بسبب فتوحاته وبذله وعطائه وصلاته للشعراء واحترامه لأهل الفضل والأبنية التي شيدها قد عد أشهر ملك في الأسرة البويهية ، وقد لقبه الخليفة بلقب (ملك) الذي كان يقال بالفارسية في ذلك الزمان (شهنشاه) (١) ومدحه بضعة نفر من كبار الشعراء العرب من بينهم أبو الطيب محمد بن الحسين المتنبى بقصائد غراء ، وتجمع علماء كبار من مثل أبي علي الفارسي من مشاهير علماء النجوم وعبد الرحمن الصوفي الرازي من كبار علماء الهيئة وعلي بن

(١) أصل الكلمة (شاهان شاه) أي ملك الملوك فخنفت الى صورتها

هذه .

عباس المجوسى من أجلة الاطباء فى بلاطه وكان عضد الدولة يفخر
بتلمذته اليهم * وخلف عضد الدولة فى العراق وفارس أبنية كثيرة
ذكرى عنه من بينها كثير من عمائر بغداد كانت قد خربت فعمرها وبني
على مشاهد شهداء كربلاء وقبر على بن أبى طالب قبابا وأبنية ، وأقام
فى بغداد وشيراز المستشفى العضدى وصهاريج الماء وشيد السد
المعروف بـ (بندامير) على نهر (كر) لرى سهوب (كربال) فيما وراء
أصطخر فارس *

٢ - شرف الدولة

(٣٧٢ - ٣٧٩ هـ)

ولما مات عضد الدولة أجلس الأمراء وقواد الجيش ابنه أبا كاليجار
مزربان بلقب صمصام الدولة مكانه * ووجه صمصام الدولة أخويه أبا
الحسين أحمد وأبا طاهر فيروزشاه الى فارس لى يحفظا مملكة أبيهم
الأصلية وعاصمته من سيطرة أخ لهم ثالث هو أبو الفوارس شيرذيل (١)
الذى كان يحكم فى كرمان بلقب شرف الدولة ، ولكن قبل أن يصل الى
فارس كان شرف الدولة قد دخل شيراز وجلس مكان أبيه وأسقط اسم
أخيه من الخطبة ثم تحكم فى البصرة وأتاب أبا الحسين أحمد فى حكمها
من طرفه * وحين دفع صمصام الدولة بجيشه لطرده من شيراز ألحق
شرف الدولة الهزيمة بجند أخيه واستقر فى المنطقة الأصلية لعضد الدولة *
وبعد وفاة عضد الدولة بنحو عام مات أخوه مؤيد الدولة أيضا
فى الرى ، فدعا وزيره صاحب اسماعيل بن عباد كما سىلى فخر الدولة
الذى كان يعيش فى خراسان هائما على وجهه الى الرى وأجلسه مكان
أخيه ، فحرك صمصام الدولة الخليفة على أن يرسل الخلع الى فخر
الدولة وفعل مثل ذلك مع عمه وضمه الى صفه بهذا الترتيب وكسب عونه *
وفى عهد اماره شرف الدولة زلزل أبناء عضد الدولة الخمسة أساس

(١.) شيرذيل النطق الديلى لكلمة (شيردل) أى صاحب القلب
الجرىء أو الاسدى القلب (سياتى) *

وحدة دولة آل بويه الأنانية وطلب العلو والنفاس ، ولم يكن لفخر الدولة عنهم تلك القدرة ولا الكلمة النافذة التي تمنع اختلافات الأسرة الناشئة أو تحفظ الوحدة اللازمة ، ولهذا السبب كان يحكم كل منهم ناحية من ممتلكات عضد الدولة في خصام للآخرين ولا يروم غير أن يقضى على أخيه .

وفي (٣٧٤ هـ) خطب أبو الحسين أحمد في الأهواز وأبو طاهر فيروزشاه في البصرة لفخر الدولة وضربا العملة باسمه ولم يلتفتا إلى واحد من أخويه الآخرين شرف الدولة وصمصام الدولة ، ودخلت عمان التي كانت جزءا من فارس في حقيقتها وبعضا من ممتلكات شرف الدولة في طاعة صمصام الدولة .

وفي السنة التالية ثارت جماعة من الجند ورؤساء الديالة في بغداد على صمصام الدولة ، وأعلنوا بيعتهم لشرف الدولة وأرادوا أن يجلسوا الابن الخامس لعضد الدولة وهو أبو النصر بهاء الدولة الذي لم يكن يتعدى الخامسة عشرة من عمره في نيابة شرف الدولة في بغداد مكان صمصام الدولة ، لكن الأخير كان أسبق فأفنى رؤساء الثوار وألقى ببهاء الدولة في الحبس .

وفي عام (٣٧٥ هـ) زحف شرف الدولة بحجة تخليص بهاء الدولة من الحبس ناحية العراق واستخلص الأهواز من أبي الحسين أحمد وفر إلى الري لعمه فخر الدولة . وتلقاه فخر الدولة باكرام أولا ، لكنه أودعه محبسه عندما رأى فيه عزمه على الاستيلاء على أصفهان والثورة عليه ثم أمر بقتله وقت احتضاره .

وبعد أن تملك شرف الدولة الأهواز ألحق بها البصرة أيضا وقبض على أخيه أبي طاهر فيروزشاه ، فلم ير صمصام الدولة مهربا من مصالحة أخيه ، واستقر الاخوان على أن يخلص صمصام الدولة أخاه بهاء الدولة وأن يقدم شرف الدولة عليه ويدخل تحت طاعته على

أن ينوب عنه في بغداد ويخطب باسم شرف الدولة •

ولم يدم هذا الصلح أكثر من عام إذ أن — في (٣٧٦هـ) — شرف الدولة الذي لم يكن يفكر إلا في الاستيلاء على بغداد تقدم بجيشه من الأهواز إلى واسط متذرعاً بتخليص بهاء الدولة من قبضة صمصام الدولة ولم يكن قد أطلق سراحه حتى ذاك الوقت • فسير صمصام الدولة إليه أخاه بهاء الدولة خوفاً ولما رأى اختلاف قواده الديالة والترك في أمر الهجوم أو الدفاع اختلافاً تاماً رأى صلاحه في أن يذهب بنفسه إلى أخيه ويسلم له • ودخل شرف الدولة بغداد وطرح صمصام الدولة في السجن بعد حكم ثلاثة أعوام وأحد عشر شهراً وجلس مكان أبيه وعز الدولة ومعز الدولة •

ومن وقائع حكم شرف الدولة الهامة قتال جنده لبدر بن حسنويه الكردي في (٣٧٧هـ) في كرمانشاه وهزيمتهم منه هزيمة انتهت إلى سيطرة بدر على الجزء الأكبر للعراق العجمي الغربي •

ومات شرف الدولة في غرة جمادى الأولى (٣٧٩هـ) بعد حكم العراق عامين وثمانية أشهر ، لكنه أمر قبل موته بسمل عيني صمصام الدولة وكان محبوساً في أحد قلاع فارس ، وتآمر أخوه الأصغر بهاء الدولة على العراق بعد وفاته •

٣ — بهاء الدولة

(٣٧٩ — ٤٠٣هـ)

أرسل شرف الدولة في مرض موته ابنه الأمير أبا علي إلى فارس لكنه قبل أن يصل شیراز ذاع خبر وفاته فأطلق حراس القلعة التي حبس فيها صمصام الدولة وأخوه أبو طاهر فيروزشاه سراحهما والقف جمع كبير من الديالة حول صمصام الدولة ولما وافى الأمير أبو علي شیراز حدثت حرب بين أتباعه وأصحاب صمصام الدولة وبقي

هذا الحال مدة حتى استدعى بهاء الدولة أبا علي لحمايته فلما رحل ليلاقيه ، أبدى بهاء الدولة احتراما له في بداية الأمر لكنه قبض عليه بعد قليل وقتله وصمم على الاستيلاء على فارس .

وفي (٣٨٠ هـ) فتح بهاء الدولة خوزستان وألحق بجند صمصام الدولة الذين بقوا مستقلين في فارس وخوزستان بعد موت أخيه أبي طاهر هزيمة . وفي النهاية تصالح صمصام الدولة مع بهاء الدولة واستقر الأمر على أن تكون فارس وبهبهان لصمصام وخوزستان والعراق العربي لبهاء الدولة ، وعاد الأخير إلى بغداد بهذا الشرط .

وفي أوائل أيام إمارة بهاء الدولة خرجت الموصل وبلاد آل حمدان عن يد عمال آل بويه (٣٧٩ هـ) من ناحية ، وأخرج الأمير خلف بن أحمد الصفاري كرمان من قبضتهم (٣٨١ هـ) من ناحية أخرى ، ولكن بهاء الدولة استعاد الموصل (٣٨٢ هـ) ثم أعاد سيطرته إلى كرمان هي الأخرى (٣٩٠ هـ) .

وفي (٣٨٢ هـ) استنصر صمصام الدولة خوزستان من يد بهاء الدولة ولم يستطع هذا الأخير بسبب ضعف جنده وعجزه المالي أن يدفع أخاه عنها وظلت خوزستان في يد عمال أخيه سنتين حتى استردها بهاء الدولة (٣٨٤ هـ) ثم تلقفها منه أخوه صمصام الدولة في السنة التالية وتقدم هذه المرة حتى البصرة وضمها له . وظلت هذه المناطق محل نزاع دائم بين الأخوين إلى أن قتل صمصام الدولة في (٣٨٨ هـ) بيد أحد أبناء عز الدولة بختيار وكان هذا انتقاما لمقتل عز الدولة بيد عضد الدولة أبي صمصام . واغتتم بهاء الدولة هذه الفرصة فاستخلص فارس وخوزستان من أيدي أبناء بختيار وخصوم آخرين وهكذا عادت فارس وخوزستان والعراق تحت إمارة أمير واحد .

ومات بهاء الدولة في (٤٠٣ هـ) بعد حكم أربع وعشرين سنة بنفس مرض أبيه وهو الصرع في (أرجان) وحمل نعشه إلى النجف ودفن بجوار أبيه .

٤ - سلطان الدولة

(٤٠٣ - ٤١٥ هـ)

بعد موت بهاء الدولة خلفه ابنه أبو شجاع سلطان الدولة في بغداد وفارس وترك البصرة الى ابن أخيه أبي هلال جلال الدولة وكرمان لآخ له آخر هو أبو الفوارس الذي تلقب بعد بقوام الدولة . وقد ساد بين الأخوة صفاء ظاهري بضع سنين الى حين أن ثار أبو الفوارس في (٤٠٧ هـ) بايعاز جماعة من كبار الديلم على سلطان الدولة ، ولما رأى شيراز قد خلت من أخيه طفق يهاجمها واستولى عليها . ولم يدم استيلاؤه عليها طويلا فسرعان ما أخرجه عنها سلطان الدولة وأراد أن يستخلص كرمان منه أيضا ، فاضطر أبو الفوارس الى اللجوء الى السلطان محمود الغزنوي الذي كان يقيم في تلك الآونة في مدينة بست بـسيستان . واستقبله محمود بحفاوة وأرسل أحد قواده برفقته الى كرمان . وتمكن أبو الفوارس بعون الجند الغزنويين من كرمان وفارس الا أن سلطان الدولة خف من بغداد الى شيراز وأنزل بأبي الفوارس هزيمة فادحة واستعاد منه فارس وكرمان وفر أبو الفوارس الى همدان هذه المرة وحاكمها شمس الدولة بن مجد الدولة بن فخر الدولة . وفي النهاية عفا عنه سلطان الدولة في (٤٠٩ هـ) وأعاده ثانية الى كرمان .

وفي عام ٤١١ هـ تمرد الجند في بغداد على سلطان الدولة وعزلوه من الامارة ونصبوا مكانه أخاه الأصغر أبا على مشرف الدولة والتجأ سلطان الدولة بالأهواز ، وغلب حين عزم استرداد بغداد من أخيه ، وأسقط مشرف الدولة رسما اسمه من الخطبة في دار الخلافة في المحرم ٤١٢ هـ وخطب له . وانتهى الأمر بين الأخوين الى الصلح في السنة التالية على شريطة أن تكون فارس وكرمان لسلطان الدولة والعراق لمشرف الدولة .

٥ - أبو كاليجار مرزبان

(٤١٥ - ٤٤٠ هـ)

ظل سلطان الدولة يحكم على فارس وقسم من خوزستان وكرمان بعد خلعه من اماره بغداد والعراق مدة ثلاث سنوات أخرى ولما مات في (٤١٥ هـ) خلفه ابنه أبو كاليجار مرزبان ولكن جماعة من الجند قامت مشايعة لقوام الدولة أبي الفوارس عمه الذي ولي كرمان من طرف أخيه ودعته الى شيراز • وهاجم أبو الفوارس فارس مرتين ، هزم في أولاها وفي الثانية أخرج جميع فارس عن يد ابن أخيه في البداية لكنه غلب وانهزم الى كرمان واستقر أبو كاليجار في شيراز في (٤١٧ هـ) • وفي السنة التالية هاجم أبو كاليجار كرمان وفر أبو الفوارس أمامه الا أن جند أبي كاليجار قد تأذوا من الحرارة تأذيا شديدا مما حدا به الى أن ينهي صراعه بالصلح مع عمه على أساس أن تصير كرمان لأبي الفوارس وفارس لأبي كاليجار وأن يدفع الثاني عشرين ألف دينار لعمه خراجا • ودام هذا الصلح عاما وحسب لأن قوام الدولة لم يتخل عن فكرة الاستيلاء على فارس وقتا واستقر عزمه أخيرا على أن يجمع جندا للسيطرة على شيراز في (٤١٩ هـ) لكن الموت فاجأه قبل أن يتحرك بجيشه • واشتهر أن رجاله هم الذين سموه لسوء سيرته وجوره ولما انتهى أمره استدعى رجال بلاطه وقواد جيشه أبا كاليجار لضبط كرمان فاستولى أبو كاليجار عليها بيسر وهذا باله من ناحيتها الى خد ما •

أما من ناحية خوزستان والعراق فقد ظل النزاع قائما بين هذا الأمير وابن أبي على مشرف الدولة وخلفه أبو طاهر جلال الدولة إذ أن جلال الدولة هذا كان اعتلى اماره العراق وخوزستان بعد موت أبيه مشرف الدولة وذلك في (٤١٦ هـ) وكان مثل أكثر الديالمة من قبله الذين نازعوا الأمراء البويهيين في فارس حكم البصرة والأهواز ، فدخل مع أبي كاليجار في عداء بسبب هذا الامر أيضا خاصة وأن جلال الدولة

بعد موت أبيه رفض دعوة أهل بغداد للمسير اليها وظل في البصرة لايريم فخطب أهلها لأبي كاليجار لكنه لم يستطع التحرك اليها هو الآخر بسبب انشغاله بحرب أبي الفوارس وخلت بغداد من وجود أمير وبقيت على وضعها هذا عامين آخرين وانقسم أهلها ما بين مشايخ لأبي كاليجار ومبايع لجلال الدولة . وفي النهاية توجه جلال الدولة الى بغداد في (٤١٨ هـ) بسبب قربها منها وانشغال أبي كاليجار بأمر كرمان ونصب أميراً عليها رسماً . لكن انتخابه هذا لم يمهله المهرج والمرج في أهوال العراق فكانت تتجدد في الغالب الخصومات القديمة بين الجند الديلم والترك الى أن عصى الترك في البصرة الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة في (٤١٩ هـ) ودعوا أبا كاليجار وكان قد اطمأن في هذا الوقت من ناحية كرمان لضبط البصرة . ولم يتمكن جلال الدولة لعام أن يستردها منه ولكن في (٤٢٠ هـ) حين غزا أبو كاليجار (واسط) أنزل به جلال الدولة هزيمة شديدة وتملكها والأهواز أيضاً . وفي العام تاليه هزم أيضاً في معركة أخرى واستعاد البصرة بعد استيلائه عليها ، وهكذا ظل الحال على هذا المنوال وصراع الأميرين للسيطرة على البصرة والأهواز وسيادة بغداد حتى (٤٢٨ هـ) . وكان جلال الدولة يقضي غالب وقته في بغداد في مصارعة شيعة أبي كاليجار حتى تصالح في السنة المذكورة هذان الاميران الندان ، ولكي لا يسلك أحدهما سبيل الخلاف ثانية ، زوج جلال الدولة ابنته لأبي كاليجار فزال النزاع بين الطرفين .

ومات جلال الدولة في شعبان من (٤٣٥) في بغداد بعد حكم دام ستة عشر عاماً وأحد عشر شهراً . ومع أن فريقاً من الناس بايع ابنه الملك العزيز أبا منصور الا أن أبا كاليجار ضم اليه أكثر الجند مرة بالوعد وأخرى بالوعيد وهكذا شغل مقام الدولة وفر الملك العزيز وما لبث أن مات بعد مدة من هيامه على وجهه بدون أن يستطيع أن يسترد منصب أبيه ، وضم أبو كاليجار مرة أخرى اليه بلا نزاع العراق

الى خوزستان وفارس •

دامت امارة أبي كاليجار حتى (٤٤٠ هـ) ودخل في آخر أيام امارته في ضرب وطعان مع أفراد أسرة كاكويه والقواد السلاجقة ، حين سيطر السلاجقة على الجزء الأعظم لايران وتمكنوا من أكثر بلاد آل بويه • وأجبر أبو كاليجار في (٤٣٩ هـ) كما سيأتى في تاريخ السلاجقة على مصالحة طغرل السلجوقي وزوج ابنته لطرل وزوج ابنة أبا منصور من ابنة جغرى بك أخى طغرل • وقبل ديامة العراق من هذا التاريخ فصاعدا في الحقيقة حماية السلاجقة لهم •

٦ - الملك الرحيم

(٤٤٠ - ٤٤٧ هـ)

مات أبو كاليجار في (٤٤٠ هـ) في سفره لتأديب عامله الثائر في كرمان فبايع أهل بغداد ابنه أبا نصر خسرو فيروز الذى تلقب بالملك الرحيم • وكان لأبى كاليجار أبناء ادعى كل منهم الحكم ومقام أبيه حتى أن أبا منصور فولادستون (١) استولى على شيراز لكن الملك الرحيم استأسر بعون أخ له هو أبو سعد خسرو شاه فولادستون وتمكن من شيراز وحبس أخاه في قلعة اصطخر وترك أرجان لأخيه الرابع أبى طالب كامروا (٢) وضبط هو وأبو سعد بلاد أبيهما الى أن فر فولادستون من محبسه في (٤٤١ هـ) والتف حوله فريق من الديالة ووفق فولادستون في السيطرة على فارس ، وفي (رامهرمز) تغلب على جند اخوته الثلاثة وأخذ الأهواز منهم لكنه أجبر على اخلائها لهم على أثر ثورة جنده عليه •

وفي (٤٤٣ هـ) تغلب الملك الرحيم على اصطخر وشيراز ولم يجد

(١) محتها العمود الفولادى

(٢) أى الموثق

فولادستون بدا من طلب مدد طغرل السلجوقي فبعث طغرل من أصفهان جيشا كثيفا لعونه مما جعله يهزم الملك الرحيم بقسوة فتملك شيراز من أخيه أبي سعد في (٤٤٥ هـ) وخطب طغرل السلجوقي وأخيه الملك الرحيم وباسمه بعدهما ، ثم استولى على فارس .

وفي (٤٤٧ هـ) طرد أحد قواد الديلم واسمه فولاد وكان حاكما لقلعة أصطخر فولادستون من شيراز وأسقط اسم طغرل من الخطبة وخطب للملك الرحيم وأبي سعد خسروشاه ولكنهما سرعان ما أدركا أنه يخادعهما ولذا فقد هاجم فولادستون وأبو سعد شيراز وأخرجوا فولاد منها بمشقة بالغة واستعادا شيراز باسم الملك الرحيم .

وقع الملك الرحيم كما سنرى في تاريخ السلاجقة أسيرا في يد طغرل السلجوقي عام دخوله بغداد (٤٤٧ هـ) وأمر الخليفة بالخطبة لطغرل وبهذا فان الملك الرحيم هو آخر ديانة العراق ومع أن أخاه فولادستون عاش سنة أخرى وحكم على فارس حتى (٤٤٨ هـ) فانه يجب اعتبار تاريخ أسره واسقاط اسمه من خطبة بغداد وهو بمثابة نهاية عهد اماره آل بويه في بغداد التاريخ الواقعي لانتهاء هذه الأسيرة . وكانت مدة اماره الملك الرحيم ستة أعوام وعشرة أيام .

ب - ديانة العراق وخوزستان وكرمان

سقطت أملاك ديانة عراق العرب وخوزستان وكرمان أي البلاد التي فتحت في بداية الأمر بيد أبي الحسين أحمد معز الدولة ثم انتهت من بعده إلى ابنه عز الدولة بختيار في (٣٥٦ هـ) كما رأينا في يد عضد الدولة بن ركن الدولة بعد قتل عز الدولة في (٣٦٧ هـ) وخرجت عن أسرة معز الدولة ، وصارت هذه الولايات حتى (٤٤٨ هـ) سنة أن طرد أحد رؤساء شبانكاره فولادستون من اماره فارس وكرمان مادة النزاع الدائم بين أبناء عضد الدولة وأحفاده فكانت كلها تقع تحت امرة واحد

منهم حيناً أو يدخل جزء منها أو جزءان تحت طاعة أحدهم حيناً آخر ،
وليست ثمة ضرورة لتكرار شرح هذه المنازعات وتحول هذه الولايات من
أمير لآخر فقد مضى ذلك في ما ذكرناه في تاريخ ديلم الفرس ، ويكفي
أن نذكر أسماء الأمراء الديلمية في العراق والأهواز وكرمان كما يلي : —

في العراق والأهواز وكرمان

- ١ — عز الدولة بختيار بن معز الدولة (٣٥٦ — ٣٦٧ هـ)
- ٢ — عضد الدولة بن ركن الدولة (٣٦٧ — ٣٧٢ هـ) والذي ملك من
(٣٣٨ هـ) فارس أيضاً •
- ٣ — شرف الدولة أبو الفوارس شيرذيل بن عضد الدولة (٣٧٢ —
٣٧٩ هـ) وأيضاً ملك فارس •
- ٤ — بهاء الدولة أبو نصر أخوه (٣٧٩ — ٤٠٣ هـ) وملك فارس كذلك •
- ٥ — سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة (٤٠٣ — ٤١٢ هـ)

في العراق فقط أو في العراق وفارس معا

- ١ — مشرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة (٤١٢ — ٤١٦ هـ)
- ٢ — أبو طاهر جلال الدولة بن مشرف الدولة (٤١٦ — ٤٣٥ هـ) •
- ٣ — أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة (٤٣٥ — ٤٤٠ هـ) وملك
فارس أيضاً •
- ٤ — الملك الرحيم بن أبي كاليجار (٤٤٠ — ٤٤٧ هـ) وقد تملك فارس
أيضاً •

في كرمان فقط أو في كرمان وفارس معا

- ١ - قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة (٤٠٣ - ٤١٩ هـ)
- ٢ - أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة (٤١٩ - ٤٤٠ هـ) وقد ملك فارس والعراق أيضا
- ٣ - أبو منصور فولادستون بن أبي كاليجار (٤٤٠ - ٤٤٨ هـ)

ج - ديانة الري وهمدان وأصفهان

وكانت الري وهمدان وأصفهان كما رأينا سابقا نصيب أبي على حسن ركن الدولة من بين أولاد بويه في البداية ، ثم ترك هذا الأمير في (٣٦٦ هـ) قبل موته أصفهان من هذه الولايات لابنه أبي منصور بويه الملقب بمؤيد الدولة ، والري وهمدان وأعمالهما لابنه الآخر أبي الحسن على الملقب بفخر الدولة ، ثم تعهدا له أن يطيعا أمر أخيهما الأكبر أبي شجاع بناء خسرو عضد الدولة الذي تملك فارس وكرمان .

وعلى هذا فقد توزعت أملاك ركن الدولة في (٣٦٦ هـ) بين ولديه مؤيد الدولة وفخر الدولة ، ولم يدم هذا الحال أكثر من ثلاث سنوات ، فنحن نعلم بالتفصيل أن عضد الدولة تحرك من بغداد عازما تأديب أخيه فخر الدولة بحجة أنه انحاز إلى ابن عمهما عز الدولة بختيار في النزاع الذي شب بينهما مما جعل عز الدولة يقصده مهاجما بعون فخر الدولة فغلب فخر الدولة أملاكه إذ لم يكن يحتمل مقاومة أخيه وكان يخشى أن يعامله أخوه بنفس ما عامل به عز الدولة . ورحل إلى جرجان يحتسب بقابوس بن وشمكير . فضم عضد الدولة الري وهمدان وسائر ولايات فخر الدولة إلى أصفهان وترك في كل ما سبق أخاه مؤيد الدولة خليفة عنه .

١ - مؤيد الدولة

(٣٦٦ - ٣٧٣ هـ)

طرد مؤيد الدولة على نحو ما سبق شرحه في تاريخ قابوس في جمادى الآخرة من عام (٣٧١ هـ) قابوس وفخر الدولة من جرجان إلى خراسان بأمر من عضد الدولة وألحق جرجان وجزءا من طبرستان إلى حوزته هو . وفي رمضان من نفس العام تغلب على قابوس وأبى العباس تاش قائد الأمير نوح بن منصور الساماني الذي قدم يعاون أعداءه ، وأيس فخر الدولة وقابوس بعد أن أخذا بلادهما لما رأياه من قوة مؤيد الدولة وعضد الدولة .

كان مؤيد الدولة يحكم كل العراق العجمي وجرجان وطبرستان من جانب أخيه عضد الدولة حتى سنة وفاة أخيه (٣٧٣ هـ) . فلما مات أخوه استقل بكل هذه الولايات تماما وكان يديرها بتدبير وكفاية وزيره المشهور صاحب أبي القاسم 'اسماعيل بن عباد' (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ) من مشهورى المنشئين والبلغاء في اللغة العربية ، وكان صاحب الذى رباه أبو الفضل بن العميد المنشئ المشهور ووزير ركن الدولة رجلا كريما محبا للفضل معطاء بذالا للشعراء مشجعا لهم ، وكان يعيش في كنفه في الري وأصفهان كل حياته جمع كثير من أهل البحث والعلم والشعر والأدب وكان ينشد الشعر باسمه ويؤلف له الكتب ، وكان صاحب يجارى في هذه السيرة منافسه ومعاصره شمس المعالى قابوس ويساويه وكان له مكتبة عدت في أيامها بلا مثيل في كثرة عدد كتبها وتميز نسخها .

٢ - فخر الدولة

(٣٦٦ - ٣٨٧ هـ)

مات مؤيد الدولة بعد وفاة عضد الدولة بعام واحد في جرجان ، ولما لم يختار مؤيد الدولة من يخلفه فقد حث وزيره صاحب بن عباد كبار المملكة على طلب فخر الدولة من نيسابور ورفعوه وهو أكبر أسرة

بويه وكان المالك الأول لهذه البلاد الى اماره أخيه • وقبل الجميع رأى
الصاحب وقدم فخر الدولة فى رمضان (٣٧٣ هـ) من نيسابور الى
جرجان وتآمر وأبقى الصاحب فى وزارته مع ميله الى أن يعتزلها •

وفى نفس العام عزل أبو العباس حسام الدولة تاش الذى كان قد
قام يحارب مؤيد الدولة بعون فخر الدولة من قيادة جيش خراسان
وخلفه الأمير أبو الحسن سيمجورى ، فاستمد أبو العباس فخر الدولة
وأرسل اليه فى نيسابور جندا غلب به أبا الحسن • وبعد أن غلب
أبو الحسن سيمجورى على أمره مد يد التوسل لذيل شرف الدولة أبى
الفوارس الديلمى أمير فارس • وكان أن أمده شرف الدولة لما كان
يحفظه على فخر الدولة لانحيازه الى صمصام الدولة أخيه ومنافسه ،
وتمكن الأمير سيمجورى بمعاونته أن يلحق بأبى العباس هزيمة نكراء
للذى ركن الى الفرار الى جرجان عند فخر الدولة • واستقبله فخر
الدولة بأكرام تلام وترك له عوضا عن خراسان جرجان واستراباد
ومضافاتهما وكانت ملك شمس المعالى قابوس • وسلك بهذا فخر الدولة
سبيل نكران الجميل وعدم المروءة لصديقه الوفى القديم قابوس الذى
فقد المارته فى سبيله ومن أجله واقترب فخر الدولة أيضا بعمله هذا
أكثر الى وزيره الصاحب بن عباد الذى كان على منافسة وعداء
خاصين لقابوس •

وفى عام (٣٧٩ هـ) حين مات شرف الدولة فى بغداد وخلفه بهاء
الدولة شجع الصاحب بن عباد الذى كان يميل ميلا غريبا الى الاستيلاء
على دار الخلافة ومن ثم وزارة بغداد فخر الدولة على غزو العراق ،
ومع أن الأخير لم يكن راضيا بهذا الأمر الا أنه استسلم للقضاء فى
النهاية لاصرار الوزير واستقر الأمر على أن يتجه فخر الدولة الى
بغداد عن طريق خوزستان والصاحب بن عباد وبدر بن حسنويه الكردي
عن طريق كرمانشاه ، ولكن الأمير الديلمى لما أساء الظن بالصاحب بن
عباد وخشى أن يتحد مع ابن عضد الدولة ضم الوزير اليه قبل الأهواز

واشتد في الطريق على جند الصاحب واشتد سوء الظن بين الطرفين
فاختلت أحوال الجيش خاصة عندما طغى نهر قارون في الأهواز
وتشقت السدود ، فذهب ظن فخر الدولة أن ذلك بفعل وخديعة جيش
بهاء الدولة فاضطر الى أن يخلي الأهواز ويؤوب الى البري . وزال
سوء ظنه بالصاحب تدريجا فوهبه وأصحابه مالا كثيرا ، وبقي الصاحب
في وزارته حتى يوم موته في الري في (٣٨٥هـ) . ومع الخدمات التي
أداها هذا الوزير الفاضل المحنك لفخر الدولة إلا أن هذا الأخير بعد
موته ضبط كل أمواله وصادر جميع أصحابه وجرمهم وأبقى بصنيعه
هذا ذكرا قبيحا له .

٣ - مجد الدولة

(٣٨٧ - ٤٢٠هـ)

وبعد موت الصاحب بن عباد بعامين مات فخر الدولة في قلعة طبرك
بمدينة الري ولأن أولاده لم يبلغوا سن الرشد تصدت زوجته (سيدة
خاتون) ابنه القائد رستم بن مرزبان لأُمور الملك فنصبت ابنها ذا
الأربع سنوات أبا طالب رستم الملقب بمجد الدولة على إمارة الري
وخلافة زوجها وتركت همدان وكرمانشاه لأخيه الآخر أبي طاهر
شمس الدولة .

وكان عام جلوس مجد الدولة مكان أبيه فخر الدولة هو نفس
العام الذي خلف فيه محمود الغزنوي أبا سبكتكين في إمارة غزنة ، أما
العام التالي له (٣٨٨هـ) فقد شهد استيلاء محمود على خراسان بصفته
قائدا لجيش السامانيين من ناحية ، وعودة حليفه قابوس بن وشمكير
بعد سبعة عشر عاما من ممانعة مؤيد الدولة وفخر الدولة الى إمارة
جرجان وطرده لعمال مجد الدولة منها . وهكذا فقد انحصرت مملكة
مجد الدولة في أوان جلوسه على عرشها بين ممالك ندين قويي الشكيمة

مثل محمود الغزنوي وقابوس الزيارى وتهيأ له خطر كبير منهما
للمنافسة القديمة بين ديانة الري وآل زيار وقواد جيش خراسان .
ولكنه ما دامت السيدة خاتون متسلطة على الأمور وتجرى مجريات
الدولة برأيها وتديرها فقد سارت الأمور سيرا عاديا فلم يصدر عن
قابوس ولا ولده فلك المعالى خلاف لمجد الدولة ولم يطمع السلطان
محمود في الري . لكن مجد الدولة عندما بلغ سن الرشد سلك مسلك
العصيان لوالدته واختار وزيره خلاف هواها ، فبدأت السيدة خاتون
برحيلها الى قلعة طبرك ثم هربت منها الى بدر بن حسنويه وعادت
بعونه وعون ابنها الآخر شمس الدولة الى الري في (٣٩٧ هـ) الذي
قبض على مجد الدولة وشغل مكانه وتأمّر بامارته .

وغضبت السيدة خاتون بعد عام على شمس الدولة أيضا
فأعادته الى همدان وأطلقت سراح مجد الدولة وأمرته تحت تصرفها .
ومع أن شمس الدولة رام أن يغلب أمه وأخاه بعون بدر بن حسنويه
لكن أمرا من هذا لم يحدث .

وكانت السيدة خاتون قد أنابت بعد موت زوجها فخر الدولة في
حكم أصفهان ابن خالها أبا جعفر محمد بن دشمنزيار الذي تلقب بعلاء
الدولة ، وكان أبوه دشمنزيار خال السيدة خاتون يقال له بالديلمية
(كاكويه) وتعنى (الخال) بالعربية ولهذا اشتهر علاء الدولة
بأنه ابن كاكويه وأبناؤه بديلمة كاكويه .

وكان علاء الدولة في أصفهان حتى تاريخ فرار السيدة خاتون من
الري ولما هربت من أمام ابنها مجد الدولة أخلى علاء الدولة أصفهان
أيضا والتجأ الى بهاء الدولة وظل عنده الى أن آبت السيدة خاتون الى
الري فعاد الى أصفهان مرة ثانية واستقر على عرشها .

وفي (٤٠٥ هـ) استولى شمس الدولة على أملاك بدر بن حسنويه
الذي ثار عليه جنده وقتلوه وتغلب على ابنه هلال الذي قدم يقاتله

شمس الدولة بتحريض سلطان الدولة وجمع مالا كثيرا لهذا ، ولما زادت قدرته تحرك الى الري لينتقم من أمه وأخيه . وترك مجد الدولة وأمّه الري واعتصما بدملاوند فاستولى عليها شمس الدولة لكنه عزم أن يتعقب أمه وأخاه فعصاه جند مجد الدولة فعاد شمس الدولة الى همدان ورجعت أمه وأخوه الى الري .

وحكم مجد الدولة حتى (٤٢٠ هـ) في الري ولما ماتت أمه في نهاية هذه المدة اختلفت أوضاع بلاطه وعصاه الجند ولم يهتم مجد الدولة كبير اهتمام بأمور الملك بسبب انشغاله بهتج الحياة مرة وبمطالعة الكتب مرة أخرى . وفي النهاية استعان بالسلطان محمود الغزنوي لدفع سطوة جنده واستمده . فأنفذ محمود من أصحابه على الحاجب بجيش الى الري . وفي الري قبض على الحاجب على مجد الدولة وابنه أبى دلف وكتب الى محمود عما عليه الأمر ، فشخص محمود في ربيع الآخر في (٤٢٠ هـ) الى الري وأرسل منها مجد الدولة الى غزنة وبهذا انتهت شعبة الديالة في الري في (٤٢٠ هـ) على يد الغزنويين .

٤ - شمس الدولة

(٣٨٧ - حدود ٤١٢ هـ)

سبق القول ان أبا طاهر شمس الدولة قد نصبته أمه السيدة خاتون في نفس سنة وفاة أبيه فخر الدولة في اماره همدان وكرمانشاه ، وجلس مكان أخيه مجد الدولة في حكم الري ما يقرب من العام في (٣٩٧ هـ) كما مر في تاريخ أحوال أخيه المذكور . وفي (٤٠٥ هـ) ضم الى ملكه بلاد حسنويه الكردي ، لكنه هزم في هذا الوقت حينما أراد أن يخرج الري أيضا من قبضة أمه وأخيه وظل باقيا أميرا على ملكه الأصلي حتى حدود (٤١٢ هـ) .

وترجع شهرته في الأغلب في تاريخ ايران الى أن وزارته كانت

لبعض الوقت للحكيم والطبيب الشهير الشيخ الرئيس أبى على الحسين ابن سينا ، فبعد أن تحرك الشيخ من خوارزم في حدود (٤٠٣ هـ) وسمع بقتل قابوس ومكث مدة في الري وغيرها التحق في حوالى (٤٠٥ هـ) بخدمة شمس الدولة في همدان وأوكل اليه هذا الأمير وزارته حتى أواخر مدته .

٥ - سماء الدولة

(حدود ٤١٢ - ٤١٤ هـ)

آخر ديانة همدان هو أبو الحسن بن شمس الدولة الذى هاجم في (٤١٤ هـ) حاكم (بروجرد) واسمه فرهاد بن مرد آويج الديلمى فتوسل فرهاد بعلاء الدولة كاكويه والى أصفهان ، فجرد علاء الدولة جيشه الى همدان واستأسر شمس الدولة وعامله باحترام وان حبس جميع الأمراء الديالة فيها . وبعد فتح همدان سيطر على دينور وشابور خوالست (خرم آباد الحالية) وبهذا تنتهى شعبة الديالة بهمدان أيضا في (٤١٤ هـ) على يد أسرة كاكويه . أما بقية أحوال الديالة الكاكوية الذين بدأ أمرهم في امارة مجد الدولة كما أشرنا فسوف ترد أثناء تأريخ أحوال الغزنويين والسلاجقة ان شاء الله تعالى .

أسماء أمراء آل بويه وزمان أمارة كل منهم

(أ) ديالة فارس

- ١ — عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه (٣٢٠ — ٣٣٨ هـ)
- ٢ — عضد الدولة وتاج الملة أبو شجاع بناء خسرو بن ركن الدولة (٣٣٨ — ٣٧٢ هـ) *
- ٣ — شرف الدولة أبو الفوارس شيرذيل بن عضد الدولة (٣٧٢ — ٣٧٩ هـ) *
- ٤ — صمصام الدولة أبو كاليجار مرزبان بن عضد الدولة (٣٧٩ — ٣٨٨ هـ) *
- ٥ — بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة (٣٨٨ — ٤٠٣ هـ) *
- ٦ — سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة (٤٠٣ — ٤١٥ هـ) *
- ٧ — عضد الدولة أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة (٤١٥ — ٤٤٠ هـ) *
- ٨ — الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز بن أبي كاليجار مرزبان (٤٤٠ — ٤٤٧ هـ) *

ب — ديالة العراق وخوزستان وكرمان

- ١ — معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه (٣٢٠ — ٣٥٦ هـ) في العراق وخوزستان وفارس وكرمان
- ٢ — عز الدولة بختيار بن معز الدولة (٣٥٦ — ٣٦٧ هـ) في العراق وخوزستان وفارس وكرمان *
- ٣ — عضد الدولة أبو شجاع بن ركن الدولة (٣٦٧ — ٣٧٢ هـ) في العراق وخوزستان وفارس وكرمان *

- ٤ — شرف الدولة أبو الفوارس شيرذيل بن عضد الدولة (٣٧٢ — ٣٧٩ هـ) في العراق وخوزستان وفارس وكرمان •
- ٥ — بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة (٣٧٩ — ٤٠٣ هـ) في العراق وخوزستان وفارس وكرمان •
- ٦ — سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة (٤٠٣ — ٤١٢ هـ) في العراق وخوزستان وفارس •
- ٧ — مشرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة (٤١٢ — ٤١٦ هـ) في العراق فقط •
- ٨ — أبو طاهر جلال الدولة بن مشرف الدولة (٤١٦ — ٤٣٥ هـ) في العراق فقط •
- ٩ — أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة (٤٣٥ — ٤٤٠ هـ) في فارس من (٤١٥) وفي كرمان من (٤١٩) وفي العراق من (٤٣٥ هـ فصاعدا) •
- ١٠ — الملك الرحيم بن أبي كاليجار (٤٤٠ — ٤٤٧ هـ) في العراق فقط
- ١١ — قولاام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة (٤٠٣ — ٤١٩ هـ) في كرمان فقط •
- ١٢ — أبو منصور فولادستون بن أبي كاليجار (٤٤٠ — ٤٤٨ هـ) في كرمان فقط (ومن ٤١٩ حتى ٤٤٠ هـ ضمت كرمان الى فارس) •

ج — ديهالة الري وأصفهان وهمدان

- ١ — ركن الدولة أبو علي حسن بن بويه (٣٢٠ — ٣٦٦ هـ) في كل العراق العجمي وكرمانشاه •
- ٢ — مؤيد الدولة أبو منصور بويه بن ركن الدولة (٣٦٦ — ٣٧٣ هـ) في أصفهان ومن (٣٦٩ هـ) في الري وهمدان وجرجان وجزء من طبرستان •

- ٣ - فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة (٣٦٦ - ٣٨٧ هـ) في
الري وهمدان ومن (٣٧٣ هـ) ملك الولايات مؤيد الدولة .
- ٤ - مجد الدولة أبو طالب رستم بن فخر الدولة (٣٨٧ - ٤٢٠ هـ) في
الري فقط .
- ٥ - شمس الدولة أبو طاهر بن فخر الدولة (٣٨٧ - حدود ٤١٢ هـ)
في همدان فقط .
- ٦ - سماء الدولة أبو الحسن بن شمس الدولة (حدود ٤١٢ - ٤١٤ هـ)
في همدان فقط .

الفصل الرابع

الصفاريون

(٢٤٧ - ٥٣٩٣ هـ)

سيستان قبل قيام يعقوب :-

فتح المسلمون سيستان في خلافة عثمان رضى الله عنه بين عامي (٣٠ و ٥٣٣ هـ) ، ومع أن شعب هذه الناحية الجريء قد ثار مرات الا أن عمال العرب وقوادهم كانوا يؤدبونهم في كل مرة ، وأخذ نفوذ الاسلام والآداب العربية يزيد يوما بعد يوم ويتأصل في هذا الاقليم (١) .

وبعد قتل عثمان والأحداث التي حدثت بعد من مثل عصيان معاوية وحرب صفين وحكم الحكمين واعتزال الامام الحسن الخلافة وشهادة الامام الحسين وحركات يزيد القبيحة الأخرى كالقتل العام في المدينة المنورة وضرب الكعبة بالحجارة وظلم الحجاج وقتل مصعب بن الزبير وأخيه عبد الله - عدت جماعة من المسلمين كانت رأت أو سمعت بسيرة الرسول الطاهرة صلوات الله عليه وسيرة الخلفاء الأئمة كل هذه الأفعال مخالفة للاسلام وخارجة عن حد الانصاف والانسانية فسلكوا سبيل مخالفة خلفاء زمانهم وعمالهم ولحقوا بالخوارج المذنبين جمعهم بهم عقيدة واحدة هي تقبيح هذه الأعمال ، ولما كانوا في شدة من جراءة

(١) يلوح هنا آثار من شعوبية الفرس المحدثين ومن أنهم يعتبرون انتشار الاسلام في اقاليم ايران استعمارا عربيا ، والواقع أن الاسلام وهو دين الله لكل الناس عندهم هو المرادف للقومية العربية وشتان ما بينهما كما يدل بذلك الواقع الاسلامي والتاريخي .

ايذاء عمال بنى آمية فقد كانوا يعتصمون دائما بالولايات البعيدة مثل
سواحل الخليج الفارسي وبحر عمان وافريقية • وكانت كرمان
وسيستان أيضا لهم ملجأ مصونا الى حد ما •

وفي أيام خلافة عبد الملك (٦٥ - ٨٦ هـ) وحكومة الحجاج بن يوسف
على العراقيين أطلع انسان من كبار العرب هو قطري ، وكان شاعرا
وفصيحا وورعا ، أهل سيستان على مظالم الحجاج وفساد أجهزة
الخلافة ، فبايعه جمع كبير منهم وقام بهم ثائرا ، ومع أن الحجاج
أرسل جيشا يدفعه فلم يتمكن من هزيمته وقتل عدد كبير من جنده في
هذه الحرب •

ومن هذا الوقت فظهور يعقوب بن الليث أي من ٨٢ هـ الى ٢٤٧ هـ
كان للخوارج في سيستان قدرة وتجمع كبيران وكانوا ينهكون غالبا
بحكامها وحينما كانوا يسيطرون على أمورها الى حد أنهم كانوا يمنعون
إرسال الخراج من سيستان الى بلاط الخليفة • وأعلن بضعة نفر منهم
الثورة وطردوا عمال الخليفة من سيستان وكرمان وخراسان •

وأكبر رؤساء الخوارج على نحو ما مر بنا في تاريخ الطاهريين هو
الأمير حمزة بن عبد الله الخارجي الذي خرج في (١٨١ هـ) في العام
الحادي عشر من خلافة هارون الرشيد وسيطر على سيستان وكرمان
وخراسان وكان تحت أمره وهو من أصل إيراني ويدعى انتسابه الى
الملوك الكيانيين (٢) من (١٨١ حتى ٢١٣ هـ) سنة وفاته ما بين كابل حتى

(٢) الملوك الكيانيون خلفوا البيشداديين اول البشر في اساطير الفرس
واول البيشداديين هو كيومرث او كيومر في الابستاق كتاب المجوس الذين
يعدونه آدم ابا البشر • وقاتل كيومرث الجان حتى قتلوه فخلفه ابنه سيامك
الذي قتلته الجن أيضا ثم خلفه ابنه هوشنك • وخلف الكيانيون هؤلاء
البيشداديين وأولهم كيقباد حفيد منوجهر وكان قد لجأ الى الجبال وقت تسلط
أفراسياب التركي على ايران فأجلسه بطلبها الشهير رستم على عرشها •
وخلفه ابنه كيكاوس غنفيده كيخسرو ولد سياوش وقد ثار كيخسرو من
أفراسياب القوراني (التركي) لقتله أباه سياوش • ولم يرد تاريخ هذه
الأسرة أو التي قبلها الا في الشاهنامات الأسطورية •

فارس وخراسان من خراج هذه الولايات ما دام حمزة حيا وكان هو نفسه لا يأخذ من الناس شيئا خراجا .

ولما اشتد استيلاء حمزة والامتناع أموال الجزء الشرقي للبلاد الإسلامية عن بغداد على هرون الرشيد تحرك الخليفة في (٩١٢ هـ) الى خراسان لدفع حمزة . لكنه حينما بلغ جرجان نال منه المرض واليأس من دفعه فأرسل اليه في صفر (٩١٣ هـ) رسالة يعده فيه بالأمان والعفو عما سبق منه بشرط تسليمه وقدمه اليه طائعا ، لكن حمزة أرسل اليه جوابا معقولا يبرر فيه علل ثورته وهي لدفع الظلم وحده وقصر يث الظلمة واجراء الأوامر الإلهية وليست لجمع المال والمنال وتسخير البلاد ورفض تكليف هرون وحينما بلغ جواب حمزة هرون في طوس كان الأخير في مرض الموت .

وقد عاش حمزة حتى أيام امارة طلحة بن طاهر الطاهري وتحارب مرات معه ومع عماله حتى وافته المنية في ٢١٣ هـ أو قتل بقول آخر وتصرف الطاهرين في سيستان ولم يكن بمكنتهم الاستيلاء عليها قبل ذلك بسبب تحكم حمزة عليها . لكن قدرة الخوارج لم تنته بموت حمزة فولوا اماما آخر خلفا له واستمروا في عقيدتهم بالاغارة أو بالجهاد .

ابتداء أمر يعقوب : —

وفي زمان خلافة الواثق (٢٢٧ — ٢٣٢ هـ) وامارة طاهر بن عبد الله (٢٣٠ — ٢٤٨ هـ) على خراسان وسيستان ثار في (بست) — ما بين سيستان وهرات وغزنة — رجل اسمه غسان بن النضر من كبار سيستان على حاكمها وكان ابن والي سيستان . فقبض عليه حاكم بست وقطع رأسه وصلب جسده . غاثار هذا الفعل أكثر الناس الذين كانوا يذكرون غسان بالخير ، وبعد قليل التقوا حول أخى غسان صالح بن النضر الذي تابع الثورة ، ولقيت ثورته وثورة أصحابه هناك اهتماما

انتهى بهم في (٢٣٢ هـ) الى الاستيلاء على بست وفر من امامهم حاكمها .

كان غسان وأخوه صالح ومثلهما جمع آخر من المسلمين جزءاً من فرقة (المطوعة) (١) . وهذا اللفظ اصطلاح كان يطلق على الجماعة التي كانت تنهض عن ميل قلبي أو بطوعها للجهاد وقتال الكفار أو الخوارج وكانوا يحتسبون هذا العمل لله تعالى ، ولكي يضموا اليها الأتشياع في ثورتهم كانوا يدعون (العيارين) اليهم من كل بلد . والعيارون طائفة من الناس في كل بلد انحصر عملهم في سلب القوافل ونهبها والاغارة من مكان على مكان غيره . وقد تم أغلب انتصار صالح في الاستيلاء على بست على يد عيارى سيستان وكان من بينهم ابن لصفار أو نحاس اسمه يعقوب بن الليث (٢) .

ومع أن يعقوب بعد وصوله للامارة والسلطنة قد أوصله البعض

(١) المطوعة اسم من أسماء العيارين وهم الفقهاء اهل الفتوة الذين كانوا جنوداً متطوعة أو غير نظاميين يقاتلون مع من يدفع لهم . وكانت المطوعة تقاتل بدافع الايمان وحسب جهادا في سبيل الله ، غير أن غالبيتهم كانت سوقة . وأول ذكر لهم أورده المسعودي (متوفى عام ٣٤٦ هـ) في كتابه مروج الذهب الذي ينتهي تاريخه له في العقود الأولى للقرن الرابع الهجري حين ثاروا في اضطراب بغداد عند مبايعة ابراهيم بن المهدي في غيبة المأمون عام (٢٠٢ هـ) . (للتفصيل رسالة الدكتوراه للمترجم بمكتبة جامعة القاهرة (جماعات الفتوة في الأناضول في العصرين السلجوقي والعثماني في مصادرها الفارسية ص ٧٠) .

(٢) سبق ذكر أن العيارين حاربوا مع الأمين طاهرا بن الحسين قائد المأمون وهم خليط من السوقة وأرباب الحرف والسطار ، والشاطر في اللغة من أعيان أهله خبثا والعيار هو الكثير المجيء والذهب الكثير التطواف وأطلقت على الأسد والشجاع ، وقد دفع هؤلاء العيارين الى الثورة الدائمة ومناصرة من يغدق عليهم فقرهم واتصافهم بالروعة والشجاعة وأخلاق الفتوة ولهم آداب في حربهم وحياتهم . انظر المرجع السابق من ص ٢١ حتى ص ٣٥) وقد انتشرت جماعاتهم على طول بلاد المسلمين وعرضها واليها ينسب يعقوب الصفار كما هو مذكور .

الى (كسرى برويز) (٣) الساساني لكنه يبدو أن هذه النسبة والأصل كاذبان — وكان يعقوب غير معروف قبل حصوله على الشهرة وكان نسبه أيضا يجهله الجميع .

والمسلم به هو أن يعقوب ابن لأحد الصفارين السيستانيين من قرية تسمى (قرنين) على منزل واحد شرق زرنج عاصمة اقليم سيستان — وكان يعقوب هو واخوته الثلاثة (عمرو) و (طاهر) و (على) يتعيشون جميعا على شغل أبيهم .

وبعد مدة من الزمان ترك يعقوب قرنين الى مركز اقليم سيستان أى زربخ وقبل أن يعمل أجيرا لدى صغار بخمسة عشر درهما في اليوم ، لكنه كان ذا فتوة وبذل فكان ينفق كل ما يكتسبه في شبابه على رفاقه وأبناء مدينته وكان يكتسب اليه عوضا عن ذلك قلوبهم . ولم يسمح له فكره الفياض وهمته العالية أن يظل صفارا ويقضى عمره في هذه الحرفة الحقيرة فدخل في زمرة العيارين وقطاع الطرق مع أصحابه الذين جمعهم في شبابه ، لكنه لم يتجاوز في هذا السبيل بشهادة جميع المؤرخين جادة الانصاف ولم يتخل عن رعاية جانب الفتوة وبعد النظر في سرقة وقطعه الطرق (١) . وظل حله هذا الى أن انتحى برفاقه بخدمة صالح السابق

(١) أشهر أكاسرة الساسانيين بعد كسرى انوشروان وشهرته ترجع الى حروبه الطويلة مع هرقل الروم التي ذكرها القرآن الكريم أول سورة الروم فضلا عن قصوره وحريمه وأمواله وبذخه واسراغه وبقي عن ذلك قصص وحكايات خاصة حبه لامراته السريانية (شيرين) في الأدب الفارسي . أما الموسيقى عند المسلمين فتدين بالفضل في الحانها ومصطلحاتها الى مغنيين بلاط هذا الكسرى وأشهرهم باريدي . (تاريخ ايران قديم لبرينا ص ٢٧٧، ٢٢٦)

(٣) لا يفوتن المؤلف أن يثنى على يعقوب ثناء المتعصبين من الفرس وأن يسبغ عليه صفات الفتوة وعلو الهة وغيض الفكر مع أنه كان صفارا ابن صفار سلك طريق السرقة وقطع الطرق والعيارية كما ذكر بنفسه ولم يرعو عن أعمال القتل والنهب لتحقيق أطماعه . ومما يجعله ضرياءه يعلنون من شأن هذا الصفار أنه يحتل في اعتقادهم مكانة المخلص المحرر الذي حرز ايران كما يقولون من الاستعمار الاسلامي أو العربي وأنبعث بشد من

الذكر واستطاع جمعهم السيطرة على مدينة بست • وعهد صالح الى يعقوب في هذا الوقت قيادة جيشه ، وكان هذا أول شرع لأهمية هذا الشجاع السيستاني واعتباره •

ومن عام (٢٣٢ هـ) حتى بداية (٢٣٨ هـ) تسلط صالح بن النضر بعون يعقوب وعصبته على بست تسلطا كاملا • وفي العام الأخير بايع أهالي بست صالحا أميرا وتركوا اليه خراجهم •

وكانت رئاسة خوارج سيستان في هذا الوقت لأحدهم ويدعى (عمار) فأنفذ صالح يعقوب وقائدا آخر من أهل سيستان هو (درهم) لحربه فهزما عمارا وغلباه وكان يعقوب هو المقدم على درهم ، فاتفق عمار مع حاكم سيستان وهاجما في (٢٣٩ هـ) صالحا • ومع أن صالحا قد انهزم في أول الحرب إلا أن كفتها رجحت الى جانبه بعون يعقوب وأخيه عمرو والقواد غيرهما من الساسانيين ، فغلب عمار وحاكم سيستان ،

أزر القومية الفارسية الجريح ويدفع عنها غائلة العربية والاسلام اذ أنه أصر على أن يسقط الخلافة العباسية ويغداد لانها مركز العربية والاسلام وقد تحرك بجيشه — وسوف يلي هذا تفصيلا — لكن سهبه ارتد الى نحره وباء بالهزيمة (٢٦٢ هـ) •

مع أن المؤلف وغيره من المؤرخين يجمعون على أن يعقوب واخوته وصالحا ودرهما وغيرهم من العيارية ما اجتمعوا الا على قتال الخوارج عن الخلافة العباسية وأعدائها الآخرين ، ولم يظهروا في بداية حياتهم من قبل أن يتمكن يعقوب من أغلب ايران الا من أجل هذا الغرض وهو دفع أعداء الخلافة ، فكيف يتناسى يعقوب هدفهم الاولي هذا ثم يتجه لقتال الخلافة العباسية لأنها بنيت في رأيه على الخديعة الا لكر وأمر في نفسه هو كرهه العرب والاسلام جميعا • والواقع أن يعقوب الذي يجسمه الفكر الايراني في صورة البطل المغوار والمخلص المنقذ ما احتل مكانته هذه في نفوسهم الا أنهم يجتمعون معه في نفس حقه على الاسلام والعرب •

وقد أرفف المؤلف في استعراض صفات يعقوب مادحا لفظ الفتوة بلغة العيارية ، وذلك لان العيارية تعني بعض معاني الفتوة وتعد أحد أطوارها التاريخية • والفتى في اللغة هو الشاب والحدث والكامل الجزل من الرجال وهو البسخي الكريم (لسان العرب) وهو في القاموس المحيط الشاب والبسخي أفضل رسالة الدكتوراه للمترجم في هذا صفحات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) •

واعتلى صالح كرسىها • لكنه حين طلب من جنده الاغارة على قصر والى سيستان ، رفض يعقوب ورفاقه السيستانيون قائلين ان صالحا قد اغار على أكثر من ألف ألف درهم من مال أهل سيستان والتفكير فى اغارة أخرى أمر يخالف الفتوة ويخالفها كذلك أن يسمح له أن ينهب قصر حاكمها السابق • فلما اطلع صالح على هذه الواقعة ركن الى الفرار • فجعل يعقوب وأخواه وجماعته يتعقبونه ووقعت بين الطرفين حرب شديدة ، انهزم فيها صالح وقتل طاهر أخو يعقوب أيضا (٥٢٤٤ هـ) •

وبعد فرار صالح بايع الجند درهما وبقي يعقوب قائدا لجيشه وأظهر فى خدمته فى حروبه مع الخوارج والمخالفين غيرهم شجاعة وكفاءة عظيمة حتى استلب ألباب الجند كله وأرواحهم • ونفس درهم على يعقوب جاهه ومقامه فأمر فريقا بقتله ، لكن هذا الرجل السيستانى علم بهذه المؤامرة وصرع أعداءه وألقى بدرهم فى السجن وهو فذ وحيد ونصبه فى الحرم من (٥٢٤٧ هـ) جيش سيستان وتسعها أميرا عليهم •

يعقوب بن الليث

(٢٤٧ - ٥٢٦٥)

مهاربة يعقوب لأعدائه فى الداخل : —

وبعد أن اختير يعقوب اميرا لسيستان انبعث ليقضى على من كانوا يناصرونه العداء والخلاف فيها • وكان أهم أعدائه فى هذا الوقت عمارة الخارجى الذى ترأس خوارج سيستان ثم صالحا الذى كان لا يزال يظن أنه صاحب القوة فى بست ، ودرهما الذى كان قد فر من قبضة يعقوب بينما كان يحارب الخوارج •

فى البداية تغلب يعقوب على درهم وبايع أتباعه يعقوب ، ثم اجلس فى (٥٢٤٨ هـ) أخاه عمرا فى سيستان مكانه وأغار على بست • لكن صالحا أخلى بست وهاجم زرنج من طريق آخر وأوقع عمر بن

الليث في أسره ، فتحرك يعقوب معجلاً الى سيستان واستخلص أخساه وهزم صالحاً . واتجه صالح بعد هذه الهزيمة الى حدود كابل ولجأ الى ملك القسم الشرقي من أفغانستان الحالية وكان مشركاً ويطلق عليه وعلى غيره لقب (رتبيل) وحالفه على حرب يعقوب (١) .

وقد جرت الحرب بين يعقوب وصالح وحليفه في (٥٢٤٩ هـ) على مقربة من بست . وقد ساء الموقف في البداية بالنسبة ليعقوب ، لكن الأمير السيستاني حمل حملة صادقة فأورد رتبيل مورد الغلبة والمهلاك فولى أعداؤه فارين . وقد استأثر يعقوب في هذه الواقعة نحو ثلاثين ألفاً من الجنود وغنم كثيراً منها أربعة آلاف جواد وانضم اليه كثير من أصحاب صالح ورتبيل .

١ وأرسل يعقوب فور هذا النصر من يتعقب صالحاً فأسره وصفده وظل بحبس يعقوب الى أن وافاه أجله في (٥٢٥١ هـ) .

١ أما عمار الخارجي فقد أصابه المقتل في حربه مع يعقوب في (٥٢٥١ هـ) وأمر يعقوب فعلق رأسه على بوابة وجسده على بوابة أخرى في مدينة سيستان ، وزالت بموته شركة الخوارج الأولى فدخلت أكثريتهم في طاعة يعقوب بن الليث الصفار وخمدت فتنتهم .

فتح هراة في ٢٥٤ هـ : —

توجه يعقوب الى فتح هراة في (٥٢٥٣ هـ) بعد أن سلمت له سيستان وجزء من أفغانستان الحالية ، وكانت هراة تعد بوابة خراسان

(١) في تاريخ ايران يقابل دراسة القاب ملوك البلاد التي اتصلت بها وملوكها على مدار تاريخها الطويل ، منهم (رتبيل) شرق أفغانستان الحالية ، و (راي) الهند و (غغفور) الصين هذا في الشرق ، أما في الغرب (أقيصر) الروم و (ملك) العرب . أما لقب ملك ايران فهو (خسرو) تعريبه (كسرى) وكان يطلق على نفسه (شاهنشاه) أي ملك الملوك فهو رئيس الملوك أو ولاية ولايات ايران ولقب كل منهم (شاه) أي ملك . وقد سمي محمود الغزنوي مؤسس الدولة الغزنوية والذي سيرد تفصيل تاريخه (السلطان) وكان أول من سمي نفسه بهذا اللقب

الشرقية • وكانت هذه المدينة مثل سائر ولايات خراسان في هذا الوقت ضمن ملك آل طاهر وكان يحكمها منهم الحسين بن عبد الله بن طاهر من جانب الأمير محمد بن طاهر الثاني آخر أمراء هذه الأسرة •

ولما أغار يعقوب على هراة أغلق الحسين بن عبد الله المدينة أمام المهاجمين فاضطر يعقوب الى حصارها — وبعد فترة من القتال تملك يعقوب هراة وصاحبها • فأرسل الأمير محمد الطاهري قائد جيش خراسان ابراهيم بن الياس بن أسد الساماني بجيش الى بوشنج لدفع يعقوب ، فترك الأخير أخاه عليا على هراة وأسرع الى ابراهيم وهزمه واستخلص بوشنج منه أيضا •

وقدم ابراهيم منهزما الى نيسابور عند الأمير محمد وأفهمه أن صلاح أمره في استمالة يعقوب وترك قتاله ، فسير محمد وكان ضعيفا لقفل طريق يعقوب الى خراسان مرسلا اليه بالتحف والهدايا وترك له رسما حكومة فارس وكرمان وسيستان وكابل • ورجع يعقوب الى سيستان بالسرور والانتصار وأقام شعبها الافراح عند وصوله ومدحه الشعراء بالعربية والفارسية (٢) وصار يخطب له من هذا الوقت •

استيلاء يعقوب على كرمان وفارس في ٢٥٥ هـ : —

كان يعقوب يردد قوله علينا نحن أهل سيستان أن نحفظ سيستان من شر الأجانب ، وفوق ذلك نزيد على اتساعها ونضم اليها الولايات التي على أطرافها وأكنافها ولهذا فقد اتجه فكره الى الاستيلاء على البلاد بعد

(٢) قيل أن أحد الشعراء أنشده شعرا بالعربية فلم يفهم أو استنكف ذلك فأنشأ وزيره محمد بن وصيف السجزي ينشده شعرا بالفارسية عد أول ما قيل نظما بالفارسية في رأي بعض المؤلفين كصاحب تاريخ سيستان . وعامة في أول من قال الشعر الفارسي بعد الاسلام انظر ما أورده محمد العوفي في كتابه لباب الالباب المؤلف في أوائل القرن السابع الهجري ، باهتمام ادوارد هروان ، مطبعة بريل بليدن (١٩٠٦م) ص ٢١ ، وانظر في حادثة وصيف السجزي ما تحت عنوان (رقتن يعقوب بهراة وكرفتن هري) ص ٢٠٨ وما بعدها من كتاب تاريخ سيستان نشر ملك الشعراء بهار في طهران عام ١٣١٤ هـ . ش .

أن دفع أعدائه بالداخل وتوجه الى كرمان وفارس قبل غيرها •

كانت كرمان اسما في هذا التاريخ جزءا من بلاد آل طاهر ، ولكن بسبب ضعف الأمير محمد الطاهري فلم يك لهذه الأسرة فيها أدنى نفوذ • وطمع والى فارس على بن الحسين بن قريش من طرف المعتز الخليفة في كرمان ، ولما كان الخليفة يخشى من على هذا بسبب عصيانه استيلاءه على خوزستان والعراق فقد أمره بالسيطرة على كرمان ، وأرسل بنفس الأمر الى يعقوب الصفاري أيضا هادفا الى أن يتولد العداء والقتال بين على ويعقوب وكان كلاهما يتظاهر بطاعة الخليفة ويبطن العداء له فيستريح من شر الاثنين •

أرسل على من جانبه بقائد على خمسة آلاف فارس هو طوق بن المغلس الى كرمان فاستولى عليها قبل وصول يعقوب اليها • وعلم يعقوب بخبر هذا الاستيلاء عندما اقترب الى كرمان فاضطر أن ينزل قبلها بمنزل ومكث بمنزله ما يقارب الشهرين فلم يبادر بالهجوم عليها ولم يتحرك طوق لدفعه • وفي النهاية أظهر يعقوب أنه بصدد العودة الى سيستان وابتعد عن كرمان بمنزليْن واعتقد طوق أن يعقوب انصرف عن مهاجمة كرمان فترك أمور الحرب وانشغل باللهو واللعب ، فطوى يعقوب المنزليْن اللذين كان قد سارهما في يوم واحد وبلغ كرمان واستبى طوقا واستخلص كرمان •

وسمع على بن الحسين بخبر هزيمة طوق وأسرهم فجمع جندا وكمين في مضيق في طريق يعقوب الى شيراز لكنه لم يستطع أن يغلب جلادة الأمير السيستاني وتدبيره ، فقد هزم يعقوب جيشه بيسر وأسر عليا نفسه — ودخل شيراز في ١٤ جمادى الأولى من (٢٥٥ هـ) • وقد اغتسم في فتحه هذا غنائم كثيرة حتى أن كل جندي من جيشه ناله ثلاثمائة درهم • وعاد يعقوب الى سيستان مظفرا بعد أن أرسل الهدايا من شيراز الى الخليفة المعتز •

فتح كابل في ٢٥٦ هـ : —

وبعد عودة يعقوب من فارس أدخل الخليفة المعتز هذه الولاية في طاعته مرة أخرى ، فغضب يعقوب بسبب أن خراجها يحمل الى بغداد وليس الى سيستان وكان يفكر في أن يعود اليها ثانية لولا أنه سمع أن ابن رتبيل سابق الذكر الذي ألقى به في سجن بست قد نجح في الفرار منه وجمع جيشا كثيفا يطلب به دم أبيه واستولى على الرخج (الرخد) من البلاد القريبة الى كابل وأعلن استقلاله .

وبلغ يعقوب رخج في ذي الحجة من (٢٥٥ هـ) وهاجم كابل في تعقب خصمه واستولى على هذه المدينة وكانت الى هذا الوقت في يد اليهوديين خارجة عن طاعة المسلمين وخرب كثيرا من معابد أصنامها بصفته مجاهدا غازيا وحمل منها غنائم ضخمة من بينها عدد من الأصنام الذهبية والفضية البوذية وأرسل خمسين منها هدية للخليفة المعتمد ليظهر له خدمته للإسلام .

وعلى هذا فان يعقوب كما نرى هو أول مجاهد اسلامي عمل على نشر الاسلام في الجزء الشرقي من أفغانستان الحالية ووادي نهر كابل وحدود معبر خيبر ، ومد من اتساع انتشار هذا الدين حتى حدود القسم الأعلى لوادي السند قبل الغزنويين والغوريين .

وبعد فتح كابل عاد يعقوب الى بست وكرمان عن طريق هراة وتحرك قاصدا استعادة فارس ناحية شيراز في (٢٥٧ هـ) فأرسل الخليفة المعتمد أخاه وولى عهده طلحة الملقب بالموفق اليه وأظهر سخطه عليه لتحركه الى شيراز خلاف رغبته وأعطاه عوضا عنها امانة بنخ وطخارستان (القسم الشمالي من أفغانستان الحالية) فعاد يعقوب الى سيستان وتغلب مرة أخرى في (٢٥٨ هـ) على ابن رتبيل في كابل وفتح بلخ أيضا ثم هاجم هراة وبيوشنج وكان أهلها قد أعلنوا طاعتهم للطاهريين مرة أخرى واسترق الحسين بن طاهر بن الحسين عم أبي الأمير محمد الطاهري . ولم يقبل يعقوب تخليته برغم الحاف الأمير

محمد لخلاصه ، لانه كان يفكر في دفع الطاهريين تماما عن خراسان وكان يتصيد ذريعة لطردهم جميعا من هذا الاقليم •

فتح نيشابور وانتهاء الطاهريين في ٢٥٩ هـ : —

وحيثما كان يعقوب منشغلا بفتح طخارستان وغزو كابل ثار رجل من سيستان اسمه عبد الله بن محمد بن صالح مدعيا الامارة عليه وقام وأخان له بمقاتلته ، لكن يعقوب هزمهم ففر عبد الله وأخواه من سيستان والتجأ بآل طاهر في نيشابور • وطلب الأمير الصفاري من الأمير الطاهري تسليمهم اليه فاستنكف الأمير الطاهري عن طاعة أمره وهياً له حجة قوية ليهاجم نيشابور • وكان يعقوب يعلم جيدا أن آل طاهر هم ولاية خليفة بغداد وكان الخليفة يحبهم ويكرمهم فلم يرد أن يعلن حربه على آل طاهر حتى لا يظهر الخليفة حركته أمام الأعين بصورة العصيان والتمرد ، فتحرك لهذا السبب الى نيشابور بحجة حرب علوي طبرستان الذين قاموا ضد الخلفاء العباسيين وأخذوا طبرستان من يد الطاهريين والعمال العباسيين •

وطلب عبد الله بن محمد بن صالح من الأمير محمد الطاهري أن يمنع يعقوب فيهيء أسباب مجابته وبالغ في طلبه لكن محمدا رفض طلبه لشدة ضعف نفسه قائلا لا طاقة لنا اليوم بيعقوب وجنوده فاضطر عبد الله وأخواه الى الهروب الى الدامغان وجرجان واعتصموا بالحسن ابن زيد الداعي الكبير الذي كان مستوليا على طبرستان وجرجان لأربعة عشر عاما خلست •

وفي اقتراب يعقوب الى نيشابور مال جمع كبير من أتباع الأمير محمد الطاهري وحاشيته الى يعقوب وأطلعوه سرا على سوء وضع الطاهريين وسهولة استيلائه على نيشابور وطمأنوا محمدا من ناحية يعقوب وحسن سيرته حتى وصل يعقوب في الرابع من شوال من (٢٥٩ هـ) الى نيشابور وأحضر محمدا الطاهري اليه عن طريق أخيه عمرو وبعد أن وبخه كثيرا على عدم كفايته وضعف رأيه وعمله صفده بالأغلال وأرسله

ومعه نحو مائة وستين من حاشيته الى سيستان وحبس الجميع بها ،
وسقطت الأسرة الطاهرية بهذا النحو على يد يعقوب .

وبعد فتح نيشابور وانقراض امارة الطاهريين تحرك يعقوب
قاصدا جرجان وطبرستان حتى يقبض على عبد الله بن محمد بن صالح
الذي كان مشغولا في تلك المناطق بجمع الجيش لمعاونة الداعي الكبير
ورفض الداعي تسليمه الى يعقوب ، ولكي يستولى أيضا على جرجان
وطبرستان اللتين كانتا في السابق ضمن أملاك الطاهريين .

وقد ذكرنا بالتفصيل حرب يعقوب وصراعه مع الداعي الكبير في
(٢٦٠ هـ) في فصل علوي طبرستان ونذكر فقط هنا بأن يعقوب أمسك
في النهاية بعبد الله في طبرستان وقتله وأسر أخويه أيضا والى الري
وأرسلهما الى يعقوب ، فأرسلهما يعقوب بدوره الى نيشابور فهدق
أطرافهما أحياء بمسامير من الحديد في حائط وفرغ باله من هؤلاء الأخوة
الثلاثة .

حرب يعقوب للخليفة في (٢٦٢ هـ) : —

وفي عام ٢٦١ هـ أرسل يعقوب رسالة الى الخليفة المعتمد قرر فيها
علة قبضه على محمد الطاهري واختلال أحوال خراسان نتيجة لعدم
كفايته . وأرسل هذه الرسالة الى بغداد ومعها رأس أحد رؤساء الخوارج
وكان قد عصى يعقوب وادعى الخلافة فقتله يعقوب . وتكدر المعتمد
لاجل محمد الطاهري لكنه لم يشأ أن يعلن عداؤه ليعقوب فأمر أن يعلق
رأس هذا الخارجى في بغداد وأن يعود رسول يعقوب عودا حسنا وعمل
على استمالة الامير السيستانى .

وتوجه يعقوب في شعبان من (٢٦١ هـ) الى فارس ولم تبرح فكرة
الاستيلاء عليها عقله واصطحب معه من الأسرى عليا بن الحسين بن
قريش حاكم فارس السابق والأمير محمدا الطاهري في سفره هذا . وما
حرك يعقوب الى أن يتوجه الى فارس هذه المرة هو استيلاء محمد بن
واصل عليها وانخراجها عن أيدي عمال المعتمد . وكان يعقوب قد جعل

محمد بن واصل حاكما من لدنه على كرمان فاستولى محمد قبل تحريك يعقوب بقليل على فارس والأهواز واتجه الى واسط لمهاجمتها أيضا • وما سمع يعقوب بهذا الخبر حتى سلك طريقه الى فارس ، واستقبل في أصطخر مبعوث محمد بن واصل الذي وضع قلعتها تحت تصرف يعقوب • وأخذ يعقوب طريقه صوب شيراز بعد اغتنام ما في هذه القلعة •

وفي هذا الوقت أيضا أخذ حاكم قهستان بخراسان من جانب يعقوب وهو محمد بن زيدويه في اثارة محمد بن واصل على يعقوب بعد أن عزله يعقوب وبعد انضمامه الى محمد بن واصل ، فلما اقترب يعقوب هرب ابن زيدويه بدون نزال وهزم ابن واصل أيضا وكان قد عجل من الأهواز لمنع يعقوب ، وهكذا أعاد يعقوب فارس مرة أخرى الى سيطرته • وبعد أن تحقق ليعقوب فتح فارس عزم الأهواز ففتحها ثم توجه منها الى واسط • وفزع الخليفة المعتمد وأهل بغداد لاقترب يعقوب وأرسل الموفق أخو الخليفة وولى عهده رسولا اليه يستفسر فيه عن سبب قدومه قائلًا في ضمن رسالته ان المعتمد عهد اليه أمانة خراسان وبلخ وطخارستان وجرجان وطبرستان والرى وفارس وشرطة بغداد وأمره بجهاد الكفار فلا يحق له بهذا أن يأتى العراق ، فرد يعقوب (أحسب أن أودى بنفسى واجبات الطاعة للخليفة) • وكان يعقوب يزيد اصرارا في تقدمه الى بغداد كلما زاد المعتمد والموفق في طلبهما عودته بهذه الوعود ، الى أن أمر المعتمد بجمع الجيش وقصد دفعه •

وفي دير العاقول (في مشرق دجلة بين بغداد والمدائن) في رجب من (٢٦٣ هـ) جرت الحرب بين الجيشين • وكان النصر في بداية الأمر ليعقوب ، الا أن وجود الخليفة نفسه بين الجند واستدعائه جمعا اليه من جند يعقوب بأن نادى لهم مناد وأعلن عصيان يعقوب للخليفة أمير المؤمنين ، ومن ناحية أخرى أجروا أنهارا من الماء بين جيشيه كل هذا تسبب في هزيمة يعقوب الذي أصيب نفسه بثلاثة جروح في عنقه ويديه • فأرغم على العودة الى خوزستان دون أن يفتر عزمه ليجمع جيشا آخر

لانتقام لهزيمة التي كانت أول هزيمة له في مجالداته وفتوحاته (١) .

وأطلق سراح الأسرى الذين كانوا برفقة يعقوب ومن بينهم محمد ابن طاهر ، وقد عينه المعتمد في شرطة بغداد وعهد إلى محمد بن واصل حكومة فارس أيضا وأمر أخاه الموفق بتعقب يعقوب في خوزستان . وتقدم الموفق حتى واسط لكنه مرض بها وعاد إلى بغداد ، فأمن يعقوب جانبه وقام بالسيطرة على فارس وأسر محمد بن واصل مرة أخرى .

وقد وقع هذا الفتح الأخير لفارس وأسر محمد بن واصل في عام (٥٢٦٣ هـ) ووقعت في يد يعقوب في هذا الفتح خزائن محمد بن واصل التي كان محفوظة في إحدى قلاع اصطخر وحصل منها على أموال قدرت بأربعين ألف ألف درهم .

وعاود يعقوب هجوم الأهواز بعد أن استراح من أمر فارس ومحمد ابن واصل فاستخلصها من عمال المعتمد واقترب مرة أخرى إلى حدود العراق . وكان المعتمد في هذا الوقت واقعا في ضيق كبير ، فمن ناحية أخذ يعقوب يهدد الخلافة ، ومن ناحية أخرى أدعى شخص اسمه علي بن محمد أنه علوي ولقب بصاحب الزنج لأنه جمع حوله في (٥٢٥٥ هـ) جماعة من العبيد الزنوج واصطدم مرة بعد مرة بقواد الخليفة في البصرة وحدود رأس الخليج والوادي الأعلى لشط العرب وأقام فتنة كبيرة . وكان الخليفة وبلاطه في قلق شديد . ولكن لحسن حظ الخليفة أن أرسل صاحب الزنج إلى يعقوب رسائل مرارا ليتحد الاثنان فيقضي علي الخلافة بعون أحدهما للآخر فكان يعقوب يرفض دعوته مما مكن الخليفة لهذا السبب أن يقضى على كلا الخصمين واحدا بعد الآخر (٢) .

(١) ذكر ابن الأثير أن يعقوب كاد يهزم طلحة أخا المعتمد وقائد جيشه لولا أن تحايل طلحة فكشف رأسه وصاح (أنا الغلام الهاشمي) فحل احترام الخلافة في القلوب فانهزم عنه أصحابه فانقلب النصر هزيمة . راجع الكامل ج ٧ ص ١١٥ .

(٢) ذكر المؤرخون أن يعقوب لما أرسله العلوي يطلب تحالفه رد عليه

=

موت يعقوب في ٢٦٥ هـ :

وفي عام (٢٦٤ هـ) كان يعقوب منصرفا الى جمع جيش للهجوم على بغداد أثناء مكثه بجند يسابور في خوزستان حين أصيب بمرض القولنج . وأرسل المعتمد في هذا الوقت اليه رسولا يزجي اليه رسالة يتملقه فيها بقوله أنه علم أن يعقوب كان رجلا ساذجا ينخدع بقول كل قائل فقصد الخلافة بالسوء ولما أن الله قد نصره عليه فإنه قد عفا عنه ولكي يجدد عفوه له فقد أوكل اليه امانة خراسان وفارس كما كان الحال في الماضي فأمر يعقوب ببعض الخبز الجاف والسك والفجل والبصل على طبق خشبي وقال لرسول الخليفة : قل لسيدك انني ابن صفار تعلمت الصفر من والدي وطعامي كان خبز الشعير والسك والفجل ، وهذه الدولة والمشوكة التي تراها حزت عليهما بشجاعتى وجرأتى لا عن ميراث من أبى أو انعام منك ، فلن أستسلم الا حين أستأصل أسرتك . فان مت فسوف تستريح من جانبي وان عشت فهذا السيف لك وان غلبت أرجع الى سيستان وأقضى بقية عمرى بهذا الخبز الجاف والبصل . وآب رسول الخليفة الى بغداد ليزجي رسالة يعقوب ، لكن خبر موت الأمير الشجاع السيستانى وصل قبل وصوله اليها واستراح خاطر الخليفة من ناحية هذا الند الداهية .

بقوله تعالى (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) الى نهاية السورة . أما صاحب الزنج فما أقامه على الخلافة الا لشدة الظلم الواقع منها على الرعية وخاصة أولئك الزوج المسخرين في خدمة كبار الدولة ودليل هذا ان الخليفة لما غرق الأموال — كما ذكر التاريخ — على أولئك العجزة المساكين انصرفوا عن مخلصهم العلوى المدعى بهزم وانتهت حركته ولكن الظلم لم ينته . انظر في رد يعقوب للعلوى الكامل لابن الأثير (مصر / ١٣٠١ هـ) (ج ٧ ص ١١٥) وفي أخبار صاحب الزنج تاريخ الطبرى (تحقيق محمد أبى الفضل) ٤٠٦/٩ — ٦٦١ ، والكامل ١٤١/٧ ، ١٤٦ ، ٢٠٨ ومروج الذهب للمسعودي (تحقيق محمد الصباغ) ٢٠ / ٤٣٩ ، ٤٤٦ — ٧) وتاريخ العراق الاقتصادى للدورى (بغداد ١٩٤٨ ص ٦٩ — ٧٠) .

وقد وافى يعقوب منيته يوم الاثنين العشرين من شوال سنة ٢٦٥هـ في جنديشاپور بخوزستان ودفن في نفس المدينة ، وقد بلغت مدة امارته من المحرم من (٢٤٧هـ) حتى العشرين من شوال (٢٦٥هـ) نحو سبعة عشر عاما وعشرة شهور .

كان يعقوب رجلا على الهمة بعيد النظر حسن الخلق ذا فتوة واحسان ورأفة روى عنه حكايات كثيرة في شأن هذه الخصال والفضائل لا يتيسر لنا لسوء الحظ نقلها في هذا المجال . قل من معاصريه أن يصل اليه في تحمله للمصائب ومتاعب الأسفار وقوة الارادة . وكان يبدى في قيادة جيشه وتدريبه الحربى الدرجة القصوى من الفهم والذكاء .

كان يعقوب رجلا عاقلا بعيد الفكر قلما رؤى وهو يضحك وكان جنده تابعين مخلصين لسياسته لم يجروا أحدهم على الاقدام على أمر بدون اجازة منه ولم يكن لأحدهم أدنى اجتراء على أن يهاجم بلا أمره أو يتصرف في منعم دون اشارته . وكان يدقق في اصلاح أمر جيشه قبل أى شىء وكان يؤثر جيشه على كل شخص . وحين كان يأتيه أحدهم فكان أول سؤاله هل تعرف القتال والرمى والنزال وتتقن هذه الفنون ؟ فاذا سمع منه اجابة مقنعة سأل : لى من خدمت قبل مجيئك الينا وفي أى ميدان حاربت وأية فنون أظهرت ؟ ثم يأمر له براتب سنوى ويقبله في خدمته . واذا سأل جندى مالا أو راتبا قبل انقضاء العام كان يأمر بأن يؤخذ منه ما معه من مال (١) .

وكان يعقوب أثناء تحرك الجيش يجلس على عرش خشبى يشرف على كل جنده حتى ينظر جيدا فى أحوال الجند فاذا ما رأى نقصا فى أمر من أمورهم قام باصلاحه على الفور . وكان له غلمان يلازمون منزله أو خيمته وعرشه ليأمرهم يعقوب بتنفيذ أوامره .

(١) أفاد يعقوب كثيرا من تنظيمات العيارين وآدابهم العسكرية فضلا عن اتصافه بصفاتهم من الشجاعة والمروءة والتحمل ، انظر فى هذا ما كتبه زرین کوب فى تاريخ ایران (بالفارسية) ص ٦٢١ .

وكانت عاصمة يعقوب مدينة (زرنج) من بلاد سيستان القديمة .
وكانت حوزة ملكه خراسان وسيستان وطخارستان وكرمان وفارس
وكابل وجزءا من وادي السند ثم خوزستان أيضا لفترة من الزمان .
وخطب ليعقوب في مكة والمدينة بأمر من الخليفة لسبع سنوات ، وبلغت
شهرته في أيامه في البلاد المحيطة به الى حد أنه كان يطلق عليه (ملك
الدنيا) و (صاحب قران) (١) . وكنيته هي أبو يوسف .

٢ — عمرو بن الليث

(٢٦٥ — ٥٢٨٧)

حينما كان يعقوب بن الليث مريضا في جنديسابور قدم اليه عمرو
معتذرا اذ كان مناضبا لأخيه في ذاك السفر ورحل الى سيستان مستاء ،
وسر يعقوب لعودة أخيه لأنه كان كسيف البال مجزونا لغضبه ، فأبدى له
حنوف الاكرام . أما عمرو فقد بقى على اخلاصه التام في خدمته ليعقوب
الى أن وافاه أجله . وقد انتخبه يعقوب لخلافته وأوصى أتباعه باطاعة
أمر عمرو .

نزاع عمرو وعلي :

ومع أن يعقوب اختار عمرا خلفا له الا أن أخاه الأصغر عليا لم يرض
بخلافته ، وقد أخذ أكثر الجند جانب علي لأن عمرا كان حديث الوصول

(١) صاحب قران لقب معناه صاحب الاقتران السعيد ، والقران معناه
فلكى اجتماع كوكبين وقران السعديين هو اجتماع كوكبي السعد المشتري
والزهرة ، وقران النحسين هو اجتماع كوكبي النحس زحل والمريخ . واتخذ
هذا اللقب بادىء الأمر الأمير تيمور الكوركانى ويقال ان مولده وقع وقت اقتران
كوكبين من كواكب السعد ، غير أن هذا اللقب أطلق عليه بطبيعة الحال بعد
تفكير تم من بعد . وأطلق الشعراء وأصحاب الملوك هذا اللقب بعد وفاة تيمور
من حين لآخر على حاكم أقل شأنًا منه بل على حكام لا شأن لهم يذكر .
فادعاء تلقيب يعقوب بهذا اللقب أن كاذب . (انظر دائرة المعارف الاسلامة
العربية للتفصيل) .

من سيستان وفارق الجيش مرارا ، الا أن عمرا سرعان ما استخلص قلوب الجند له بتدبيره وكفايته فبايعوه جميعا •

وعلم عمرو وقد كان رجلا بصيرا موزون الفكر أن صلاحه ليس عدا الخليفة في بداية حاله لاسيما وأن الخليفة قد هزم أخاه من قبل ، لهذا فقد أرسل الى الخليفة المعتمد رسالة أظهر فيه طاعته وانقياده ، فسر لذلك الخليفة وأصدر أمرا له بحكم فارس وكرمان وأصفهان وطبرستان وسيستان وعراق العجم وشرطة بغداد مكافأة له ، وتعهده عمرو بارسال عشرين ألف درهم الى دار الخلافة خراجا سنويا وأن يذكر اسم الخليفة في الخطبة •

وقفل الأمير الصفاري من خوزستان الى فارس راجعا بعد أن ترك شرطة بغداد الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الطاهري وأزجى هداياه الى بغداد • وسمع هناك أن أخاه عليا قد أطلق لسانه بتقبيح أخيه مخالفة له والتقليل من شأنه في أنظار الناس فأمر ببقيدته ، لكنه خلى سبيله بوصوله الى سيستان في رجب (٢٦٦ هـ) ثم وهبه مالا عظيما كما اعتذر له عما فعل • ولم يكن على حريا بهذا الاكرام على وجه النصفة لأنه لم يتخل عن عدا عمرو مع كل احترامه له وعفوه عنه وكان دائم اثارة أعدائه عليه ويمددهم عليه •

وفي أيام مكث يعقوب بفارس وخوزستان وأثناء المدة بين موته وأوبة عمرو الى سيستان أبدى قوم كان طائعين قبل خروفا من يعقوب العصيان لعمرو وجاوزوا الى جادة الطغيان وطلب المجد ظانين أن عمرا عاجز عن تأديبهم وأن الغلبة عليه أمر يسير •

وأول من رفع راية العصيان كان أحمد بن عبد الله الخجستاني من أهل خجستان من أعمال بادغيس بهراة • وقد ارتفع شأن هذا الرجل بقوة عزمه وعلو ارادته من رتبته الرضيعة في بداية الأمر وهي المكارية تدريجا اذ دخل في خدمة الأمير محمد الطاهري • ولما تمكن يعقوب من

نیشابور دخل أحمد الخجستاني كأغلب أصحاب الأمير الطاهري في خدمة الصفارين وصار من ملازمي علي بن الليث أخى يعقوب وعمر .
وفي (٢٦١ هـ) قبل أن يتحرك يعقوب الى فارس أمر أحمد الخجستاني أن يتفحص أعمال علي بن الليث في خراسان . ولكن أحمد هذا أعلن عصيانه ليعقوب بمجرد حركته الى فارس ، فقام أولا باخراج عماله من نيشابور وقومس وبسطام ثم دعا الناس في نيشابور الى مبايعة آل طاهر في (٢٦٢ هـ) وأثار بمدد من بعض المتمردين الآخرين الخراسانيين فتنة عظيمة في كل خراسان في الفترة التي كان يعقوب رهن نزاعه مع الخليفة فيها وأمور فارس وخوزستان . وقد تصارع مراراً أيضاً والحسن بن زيد الداعي الكبير للسيطرة على جرجان . وظل على حاله هذا الى أن عاد عمرو الى سيستان وأخذ ما بين هراة الى بلخ واشتغل بالسلب والنهب والاغارة وتحالف في حركاته هذه مع أحد أتباع الأمير محمد الطاهري القدامى والذي لحق بيعقوب أولاً ثم طرده يعقوب عنه وهو (رافع بن هرثمة) .

ولما قدم عمرو في (٢٦٦ هـ) من خوزستان الى سيستان وأطلق أخاه علياً من قيوده أرسل الى الخجستاني رسولا خفية وطلب عونه وقيامه على هزمه . فتحرك الخجستاني من جرجان الى نيشابور وحاصرها وهي مركز خراسان ، فخف عمرو بن الليث ومعه أخوه علي وابنه محمد بن عمر من سيستان الى نيشابور عن طريق هراة ودخل في قتال مع الخجستاني يعاونه أخوه وابنه وقد قاد كل منهما طرفاً من الجيش الصفاري . وخان علي أخاه وأبدى الوهن في قتاله مما ألحق بأخيه من الخجستاني فانهزم الى هراة وقيد علياً مرة أخرى . وتقدم الخجستاني متعباً عمراً الى هراة وسيستان ولكنه لم يستطع أن يستولي على واحدة منها مما جعله يأخذ في القتل والاغارة ، فسخط الناس لظلمه وظلم جنده ومالوا الى عمر بن الليث وأخذوا يقتلون جند الخجستاني حيث وجدوهم . وفي النهاية عاد الخجستاني في (٢٦٧ هـ) من سيستان الى نيشابور . وفي هذه الأثناء قدم

الى عمرو في هراة اثنان من مدعي حكم المصفرين سابقا وكانا لفترات طويلة باعث تبعهم هما محمد بن زيدويه حاكم قهستان السابق الذي مر ذكره في ثورات فارس في عهد يعقوب ، والآخر هو أبو طلحة منصور من متمردي نيشابور وممن عصي في أواخر عهد يعقوب وصار عوا الصفارية والخجستاني . وقد قبل هذان طاعة عمرو . وفرح لهذا الأمر وخلع عليهما وأعطى أبا طلحة منصب القيادة العامة لجيش خراسان ، ثم قدم عمرو من هراة الى سيستان .

وظل الخجستاني عاما آخر يتهب ويسلب في طخارستان وخراسان وينازع مدعين آخرين ويقاثلهم وتغلب على أبي طلحة قائد عمر ، لكنه في النهاية قتل في شوال (٢٦٨ هـ) وهو مخمور بيد غلامين من غلمانه فأراحا العالم من شروره . واجتمع أصحاب الخجستاني بعد مقتله حول رافع بن هرثمة وهكذا ارتهن عمرو بفتنة رافع وتمرده بعد أن استراح من الخجستاني ، وصرف أوقاته فترة في تعقب هذا المدعي .

غزو عمر لفارس في ٢٦٨ هـ : -

قصد عمرو بن الليث في المحرم من (٢٦٨ هـ) فارس قبل أن تنتهي فتنة الخجستاني ، وكان سبب ذلك أنه سمع أن محمدا بن الليث والي فارس لم يرسل خلافا لأمره الخراج الذي يتوجب إرساله سنويا الى بغداد وغضب الخليفة بسبب هذا على عمر وخاصة أن عمرا قد كان خائفا من اتحاد محمد بن الليث مع الخجستاني .

وسرعان ما أمن عمرو بن الليث فارس وتغلب على اثنين أو أكثر من أصحاب يعقوب القدامى الذين سلكوا سبيل العصيان وأرسل الخراج المتأخر الى دار الخلافة . ورضى الموفق أخو الخليفة لمسلك عمرو طريق أخيه يعقوب فيفكر في فتح بغداد والقضاء على الخليفة أرسل اليه أنه لما كان أمر العراقيين وفارس واليمن والشام مستقرا ولا يحتاج الى الرق والفتق فانه من اللازم أن يعزم دار الكفر (أي شرق سيستان وحوالي

السند والتركستان التي لم يسيطر عليها المسلمون الى ذلك الوقت) وأن يحرض جنوده على الجهاد * وأطاع عمرو الأمر وترك فارس لأحد أتباعه وهو (نصر بن أحمد) وعاد هو الى سيستان *

قصة عمرو مع رافع بن هرثمة وعمال الخليفة : -

استفاد رافع بن هرثمة خليفة الخجستانى من فرصة غياب عمر فهاجم أبا طلحة قائد خراسان ثم هاجم سيستان بعد أن تغلب عليه ، لكنه عاد الى هراة لما أدرك أنه لن يستطيع أن يتمكن فيها وظل بها الى أن عاد عمرو من فارس الى سيستان *

حاصر عمرو هراة فى (٢٧٠ هـ) وانهزم رافع الى مرو وطلب عفو عمر لكنه صادف فى الطريق أبا طلحة الذى كان فارا منه الى طخارستان فقرر هذان الأميران أن يتعاونوا فى قتال عمر * ولكن قبل أن يضعا تفكيرهما موضع التنفيذ داهم أبو طلحة رافعا فى جنح الظلام وأهلك أغلب جيشه واستقر فى مرو وخطب لمحمد بن طاهر الطاهرى *

وبحملة واحدة طرد عمرو أبا طلحة من مرو وبحملة أخرى فى (٢٧١ هـ) أخذ نيشابور من رافع ، وعاد الى سيستان بعد تأمين خراسان وتهدة شائرتها *

وفى نفس عام (٢٧١ هـ) قدم أحد عمال عمرو بن الليث على فارس الى بغداد للموفق وشكى من عمر له وسعى بشر عنده * فعزل الموفق عمرا من أمارته وتركها لمحمد بن طاهر وكان فى بغداد وأنفذ الرسائل الى خراسان فى عزل عمر ولعنه * وترك محمد بن طاهر ما وراء النهر الى نصر ابن أحمد من جانبه وخراسان الى رافع بن هرثمة وفارس الى أحمد بن عبد العزيز من رفاق عمر القدماء وثار عليه بعد ، وظهر لعمر بهذا مدعون متعددون لكل منهم حكم خليفة بغداد *

وبلغ عمرو فى البداية كرمان ووصله رسول من نصر بن أحمد عامله

على فارس (وهو غير نصر بن أحمد الساماني الذي ولاه محمد بن طاهر ما وراء النهر) وأوقفه على مجريات أمورها • وكان عمرو بصدد مدد إلى عامله حين جاءه الخبر بأن أحمد بن عبد العزيز طرد نصرا بن أحمد من فارس وأخرجها من سلطة الصفاريين •

وابتلى عمرو بن الليث في هذا الوقت ببلاء عجيب فمن ناحية ، حلق عليه الموفق فقصره عن كل ناحية ومن ناحية أخرى انحسر عنه الحلفاء والمساعدون ، لكنه لم ييأس ولم يسمح للوهن أن يتسرب إلى عزيمته في تفكيره للخلاص مما فيه • وقد ساعده الحظ فضاء إذ أن أبا طلحة منصورا الذي كان في نزاع مع عمر حتى ذاك الوقت أتاه طائعا بعد أن نصب محمد الطاهري رافعا بن هرثمة في حكومة خراسان فاحتفى به عمرو كثيرا ثم سيره إلى خراسان وعجل هو وابنه محمد من كرمان إلى فارس •

وتقدم جند عمال الخليفة إلى عمر وكانوا نحو ألفي جندي يترأسهم (خلف بن الليث) حفيد عم عمرو بن الليث الذي سبق أن غضب من ابن عمه ولحق بالموفق (١) • ولم يكن خلف يود أن يلحق هزيمة في هذه الحرب لبني قرايته الساسانيين فلحق بجيشه بعمر بن الليث ، فحمد عمرو ربه تعالى وحمل على قائد جيش الخليفة حملة صادقة وأعاد نتيجة هزيمته لهم فارس إلى طاعته مرة أخرى •

وعمد الموفق إلى الموازنة من جديد فكتب إلى عمر أنه إذا سير الخراج المتأخر إلى بغداد وأرسل محمدا ابنه كرهينة إلى دار الخلافة فليجدد منشور أمارته • فسير عمرو ابنه محمدا ومعه أبو طلحة قائد جيش خراسان وجيش لجب متظاهرا باطاعة الخليفة ومبطنا هدفه إلى

(١) نسب عمر واخيه يعقوب أنهما ولدا الليث بن معبد بن حاتم ابن ماهان • أما خلف بن الليث فجد فرقد بن سليمان بن ماهان • ويلتقي الطرفان بالجسد الثالث ماهان ، والأمير أبو جعفر أحمد أبو خلف بن أحمد المعروف هو ابن محمد بن خلف بن الليث وليس من أولاد الليث أبي يعقوب وعمر (سياقي) •

القضاء عليه • ولما سمع محمد أثناء طريقه أن الموفق على أهبة لدفعه بجند كثيف أثر العودة وأقبل على أبيه بكرمان • ومات محمد في هذا السفر على بعد من سيستان بستة منازل في جمادى الأولى (٢٧٤ هـ) وتآلم عمرو تألماً شديداً لموته المباغت •

وبعد وصول عمر إلى سيستان وصل رسول الموفق إليه برسالة منه يطرق فيها باب الصلح ، فقد تشعث أمر حدود الشام ومصر بسبب خروج أحمد بن طولون وكانت فتنة صاحب الزنج ما تزال على حالها • فأمر عمرو بمال كثير لرسول الخليفة وجعل للخليفة من فارس وكرمان وخراسان عشرة ألف درهم سنوياً وأرسل أحد غلمان أخيه وهو (السبكري) مبعوثاً له إلى بغداد • وأمر الموفق أن يكتب اسم عمر بن الليث في دار الخلافة على المنابر والدكاكين والمنازل والألوية وأن يقتترن اسمه باسم الخليفة في الخطبة ، ولم ينل هذا الشرف أحداً قبل عمر •

وبقى الأمير السيستاني مدة عامين من (٢٧٤) حتى (٢٧٦ هـ) في سيستان وانشغل في ترتيب أمورها حتى تركها في ربيع الأول من الصام الأخير إلى فارس • ولما بلغها وصلت مسامعه أنباء هروب أخيه على من محبسه في قلعة (بم) بكرمان حيث كان يعيش سجيناً من بعد هزيمة عمر من البخجستاني نتيجة خيانتة ، ولحق برافع بن هرثمة الذي كان على عصيانه لأخيه في خراسان • ولم يهتم عمرو بهذا الأمر كبير اهتمام لأنه سمع أن الموفق أسقط اسمه من المنابر والألوية والخطبة وقصد بنفسه أصفهان ليحرض أحمد بن عبد العزيز السابق الذكر على قتال عمر ، فجعله هذا أن يعود إلى كerman من فارس ثم عاد إليها بعد أن أخذ أهبطه ، وعلى كذب من أصطخر أنزل بقائد الموفق هزيمة نكراء ودخل شيراز في المحرم من (٢٧٧ هـ) مظفراً منصوراً وأمر بإسقاط اسم الخليفة من الخطبة وأن يخطب باسمه وحده • ثم تغلب على أحمد بن عبد العزيز وأعلن ثورته على الخليفة وسلك طريق الأهواز وبغداد • إلا أن وزير الخليفة أعاده بثبتي

صفوف المداهنة والوعود من الأهواز • ولما أن المعتمد قد وافقته المنية في هذا الوقت وصار المعتضد خليفة خمد النزاع بين دار الخلافة وعمر بن الليث مؤقتا خاصة أن المعتضد صالح عمرا رسما وعهد اليه بإمارة فارس وكرمان وخراسان وسيستان وكابل وشحنكية بغداد (١) ، وأمر بأن يعاد اسمه الى الخطب والألوية ويخطب له أيضا في الحرمين • ورجع عمرو الى سيستان تحفه الغبطة والمنة وأصر هذه المرة أن يستأصل شأفة فتنة رافع تماما الذي تحالف مع أخيه على بن الليث •

كان رافع بن هرثمة مشتغلا بمهاجمة طبرستان وخراسان والري وجرجان من سنة أن نصبه الموفق ومحمد الطاهري على حكومة خراسان حتى (٢٧٩ هـ) حين عاد عمرو من فارس الى سيستان • ومن بين ذلك هزيمته لمحمد بن زيد الداعي في (٢٧٤ هـ) كما مر بنا في تاريخ علوي طبرستان ، واستيلاؤه على جرجان وطبرستان وفي نفس الأيام لحق على ابن الليث وابناه الاثنان برافع • وأخرج محمد بن زيد عامل رافع من طبرستان في وقت عودة عمرو بن الليث من كرمان ، لكن محمدا بن زيد لم يكن الند القوي لرافع •

ولما أدرك رافع في النهاية أن أعداء أقوياء يقصدونه من هنا وهناك وأنه لا يحتمل قتال عمر بن الليث ومحمد بن زيد العلوي وأحمد بن عبد العزيز والى أصفهان والري من قبل الخليفة وهو بمفرده رأى أن الصلاح في أن يصلح أحمد بن عبد العزيز ومحمدا بن زيد ثم يتجه مجتمع الجائش الى أقوى أنداده الى عمر بن الليث • ولهذا فقد صالح أحمد بن عبد العزيز في (٢٨٠ هـ) وانعطف أيضا الى محمد بن زيد وترك له طبرستان وجرجان وخطب له في هذه المناطق ، ووعد الداعي أن يمدده بأربعة آلاف من شجعان الديلم • فأرسل عمرو بن الليث الى الداعي لما علمه من هذا الصلح وحذره من خيانة رافع وغدره فتحاشى الداعي من مد رافع •

(١) شحنكية معرب (شحنكى) الفارسية التي تعنى رئاسة الشرطة •

وأتى رافع بعد أن اطمأن خاطره من جانب محمد بن زيد وأحمد بن عبد العزيز نيشابور في (٢٨٣ هـ) لكي يطرد عنها عمرا بن الليث الذي وصلها بعد فتح هراة لكنه لقي هزيمة فادحة منه ووقع كثير من أتباعه أسرى للأمير السيستاني كان من بينهم ابنا علي بن الليث اللذان كان يعيشان بعد موت أبيهما في (٢٨٠ هـ) عند رافع • فتلف عمرو بهما وخف يتعقب رافعا الهارب الى (أبيورد) • وفر رافع منها الى (سرخس) ثم عاد الى نيشابور في غياب عمر • الا أن عمرا هزمه مرة أخرى فأرسل رافع أخاه يستمد محمدا بن زيد ولم يلتفت الداعي الى دعوته • وفي آخر الأمر نالته هزيمة ثالثة من عمرو في سبزوار وقتل نحو خمسة آلاف من جنده ولحق بقيتهم الى عمر أو ركنوا الى الفرار فاضطر الى أن ينهزم الى خوارزم • وكان أن قبض عليه واليها وقتله في شوال (٢٨٣ هـ) وأرسل برأسه الى عمر • وسير عمرو هذا الرأس بهدايا الى بغداد • وأمر المعتضد بأن يعلق من الصباح حتى الظهر في جانب بغداد الشرقي ومن الظهر الى المساء في جانبها الغربي ليعتبر الناظرون ، وبهذا زالت فتنة هذا الرجل العاصي وخلص الخليفة والداعي وعمرو بن الليث من شر هذا الند المنتهز •

قتال عمر لاسماعيل الساماني وأسره في ٢٨٧ هـ : —

بعد قتل رافع أرسل عمرو بن الليث بقاتله وقائد آخر الى خوارزم ليستوليا عليها له ، وقبل أن يبلغاها وصلتهما أنباء أن الأمير اسماعيل بن أحمد الساماني والي بخارا قد أنفذ عامله الى خوارزم فاستولى عليه له • فأمر عمرو قائديه بمقاتلة اسماعيل الساماني واستخلاص بخارا من يده • وفي شوال (٢٨٥ هـ) غلب اسماعيل عمال عمر وقتل بعضهم في الحرب وأسر بعضا آخر وظهر لهذه الحادثة ومن كبير في قوى عمر (١) •

(١) يذكر هامبري في كتابه تاريخ بخارى ترجمة الدكتور أحمد محمود

وأرسل عمرو رسالة للخليفة المعتضد وهو شديد الغضب وطلب منه أمرا بحكومة ما وراء النهر وهدده انه اذا لم يقبل هذا الأمر فلسوف يهاجم ما وراء النهر ويطرد اسماعيل منها . ومع أن الخليفة لم يكن يميل الى اصدار أمر له وكان كامل الرضاء عن اسماعيل الا أنه أجبر على أن يرسل اليه أمر امارة ما واء النهر وهدايا أيضا بعد مدة لكنه كان يقوى اسماعيل خفية ويفهمه أنه لم يعزل من امارته وأنه مشمول بعواطف الخليفة .

وبعد أن بلغ عمرا بن الليث أمر الخليفة ورأى أن أمر اسماعيل قد بلغ قوة بسبب تعاطف الخليفة معه وأنه على أهبة تامة للحرب تردد قليلا في اقدامه على مهاجمة ما وراء النهر ، لكنه في النهاية أراد أم أبي تحرك اليها . وفي أثناء مسيره اليها وصلت مسامعه أنباء هزيمة مشركى شرق أفغانستان الحالية لجيشه في غزنة واستيلائهم على أملاكه هناك . وقد فتت هذه الحادثة في عضده كثيرا .

وكان اسماعيل قد سبق فأرسل جنده الى خراسان من بخارا لأنه كان يعرف عزم عمر من قبل ، ونادى في أهل ما وراء النهر أن عمرا وجنده آتون لنهب البلاد وقتل نسائهم وأطفالهم فعليهم مواجهته ودفعه . ولبى أهالى ما وراء النهر نداء اسماعيل لما لمسوه فيه من دين وحسن خلق

الساداتى (مصر / ١٩٦٥) (ص ١٠٠ ، ١٠١) أن عمرا في علاقته مع اسماعيل كان هو الطرف الأدنى الساعى الى الصلح المتوسل بالملاينة . ثم يقول غامبرى في حاشية (ص ١٠٠) ان بعض المصادر الأخرى تقول أن اسماعيل هو الذى سعى أول الامر للصلح وكتب الى عمرو (انك قد وليت دنيا عريضة وأنا في يدى ما وراء النهر وأنا في ثغر غاقتن بما في يدك واتركنى مقيما بهذا الثغر) فأبى اجابته الى ذلك . ونحن نميل الى اسماعيل كان هو الطرف الأقوى وليس عمرو كما يدعى اقبال لأنه كان يستند الى تأييد الخليفة العباسى وأنه مجاهد يريد وجه الله فهو بهذا ساع فى رضى الله ورضى خليفته عكس الصفارى . وكان النصر حليفا لاسماعيل (٢٨٥هـ) وبذل اسماعيل شهامته فأطلق سراح الجيش الصفارى ليعودوا الى ديارهم قائلا : (ما نصنع بهؤلاء المساكين فلتدعهم يعودون الى بلادهم وهم من بعد ذلك لن يخرجوا لحربنا أبدا) .

استبأهم وتجمع حوله جمع غفير وأقسموا أنهم ماضون في ركابه مقاتلين ولو أدى بهم الأمر إلى أن يقتلوا أو يؤسروا .

والتقى الفريقان على كئيب من بلخ ولما تواجه الجيشان نادى اسماعيل في جيش عمر أنه وجنده مجاهدون لا يطلبون غير وجه الله وأن عمرا رجل لا يطلب غير الدنيا وزينتها ولم يتحرك بهم إلا لهذا الغرض . وأثمر هذا الخطاب فيهم فانضم إليه فريق من أتباع عمر . ومع هذا كله فقد حارب عمر بشجاعة طوال يومه جند اسماعيل ، ولكن لسوء حظه ثارت في وجوه جنده ريح عاصفة ، فضلا على كثرة جند اسماعيل ، وصار نور النهار ظلاما حالكا فانفرط عقد جيش عمر فلم ير فوقنا من الهروب إلى دغل لكن أقدام جواده غاصت في وحله وطينه ، فاستأسره بعض جنود اسماعيل في يوم الثلاثاء آخر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين (٢) ، وأرسله اسماعيل إلى سمرقند . ولما بلغ المعتضد خبر ذلك سر سورا بالغاً وخلع على اسماعيل وفوض إليه جميع الولايات التي كانت بيد عمر . وبعث اسماعيل بعمر مغلولاً للمعتضد ببغداد وأمر عددا من جنده أن يبقوا وسيوفهم مسلولة حارسين له حتى يأتوا به إلى بغداد وهو في هذه الحالة من الهوان . وسمح له في دار الخلافة أن يلبس ثيابه الخاصة به وهو مطلق السراح . وأركب أتباع المعتضد عمرا جملاً أعرج أحسب مرتفع القامة وطافوا به مدة من الوقت في شوارع بغداد وهو في حالة من الذلة الشديدة ثم ألقي به المعتضد في الحبس .

(٢) يختلف فامبرى واقبيل في تاريخ أسر عمرو غينكر الأول أنه لقي به إلى اسماعيل يوم الأربعاء التاسع من جمادى الآخرة عام ٢٨٨ / ٩٠٠ وأن اسماعيل أكرمه وأنزله قصره له وأبدي له شهادته المعروفة بها . ثم يزيد فامبرى في حاشية نفس صفحة (١٠١) من كتاب زينة التواريخ قصة الاعتقال . حدثت لعمر بعد هزيمته في أول مساء لأسره قبل أن ينتهي إلى اسماعيل أنه جلس على الأرض ينتظر أحد حراسه حتى يفرغ من أعداد وجبة بسيطة في صفحة مما يستخدم للسقى الخيل ولم يكن لديه غيرها وما أن وضعها على النار حتى قدم كلب فأدخل رأسه فيها فأنحش فلم يستطع فككاكا فأنطلق بها هاربا ، فضحك عمر فلما أنكر ذلك الحارس قال له أن تابعه كان شكا له في الصباح أن ثلاثمائة بعير لا تكفى لحمل أدوات مطبخه وها هو كلب واحد ينطلق بصفحته وبطعامه .

قتل عمرو في (٥٢٨٩) :-

ظل عمرو بن الليث في سجن المعتضد طوال حياته ، وطلب هذا الخليفة الحاقده وهو في حال الاحتضار أحد خدمه وأفهمه بالاشارة ، اذا لم يكن - تطيع الحديث في حالته تلك ، بوضع يده على حلقه واحدى عينيه أن يقتل الأعور ، فقد كان عمرو محروما من احدى عينيه . ولم يرض الخادم أن يأثم بقتل عمر خاصة أن المعتضد كان في حال السزغ فامتنع عن تنفيذ أمره . ولما خلف المكتفى المعتضد سأل وزيره عن حال عمر . فقال الوزير انه ما يزال حيا ، ففرح المكتفى لهذا كثيرا لأنه رأى أيام اقامته بالرى خيرا من عمر . لكن الوزير القاسى القلب أرسل خفية من يقتل عمرا في السجن وأفهم المكتفى أن عمرا قتل قبل وصوله خليفة الى بغداد .

كان عمرو بن الليث مثل أخيه في علو همته وبذله ويقظة عقله وسياسته وعمق فهمه وتدبيره . لكنه كما يبدو ولم يكن في مثل هيئته وشجاعته وجرأته لذلك فقد كان الجند يهابون يعقوب كثيرا ويحبون عمرا أكثر . وكان في تحمله المحائب وفي صبره كأخيه شديد الصبر صلب العود ، ويبدل كييعقوب السعى الكامل والاهتمام البليغ في أمر جيشه ، وكان يأمر لجنده كل ثلاثة شهور بالمؤن والرواتب وكان ترتبيه في هذا الشأن أن يجمع الجنود في الميعاد بقرع الطبل ، ثم يتلو مأمور دفع الأجور أسماء الجند من دفتره بالترتيب . وكان عمرو بن الليث هو نفسه الجندي الأول الذي يظهر أولا فيعاين (عارض الجيش) أو وزير الحربية باصطلاح اليوم جواده وسلاحه وعدته ولوازمه .

وكان لعمر جواسيس يبلغونه جزئيات أمور القواد والمقدمين التابعين له لكي يطمئن على أعمالهم وأفعالهم . وكان ترتبيه في هذا الأمر أيضا أن يشتري غلمان في صباهم ويقوم بتربيتهم فاذا بلغوا سن الرشد كان يهبهم رؤساء الجيش وعماله الآخرين لكنه يعهد الى هؤلاء الغلمان بوظيفة خاصة سرية هي ابلاغه بأحوالهم فلا يغفل عن أمورهم .

٣ - أبو الحسن طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث

(٢٨٧ - ٥٢٩٦ هـ)

وبعد أن أسر عمرو بن الليث وهزم جيشه رفع كبار جيشه والدولة حفيده أبا الحسن طاهر بن محمد للامارة ، إلا أن فريقا من الجند انحاز الى الليث بن علي بن الليث ابن أخ عمر ويعقوب ولم يكن الأمر قد ثبت بعد للأمير الجديد ، وظهر الاختلاف في الجيش نتيجة لذلك ، وأمسك السبكرى ، غلام يعقوب الذي مر ذكره قبل بأزمة الأمور بسبب عدم كفاءة طاهر وانكبابه على ملذات الشباب واستبد الأمر • وفي (٥٢٨٩ هـ) تقدم طاهر بن محمد برفقة الليث بن علي وعدد من القادة الآخرين من سيستان الى فارس وترك أخاه يعقوب في نيابته بسيستان وكان غرضه أن يستعيد فارس الى الأسرة الصفارية وكانت قد آلت الى الخليفة المعتضد بعد هزيمة عمر •

وفي النهاية رضى الخليفة المكتفى في (٥٢٩٠ هـ) أن يفوض اماره فارس لطاهر نظير خراج سنوى • وبعد أن عين طاهر عمالا من قبله على نواحي اقليم فارس ترك جميع أمورها تحت تصرف السبكرى وانشغل بالحديد واللهو واللعب • وآب الى سيستان في (٥٢٩١ هـ) وجعل من محمد بن خلف ابن الليث الذى كان من بنى أعمام أبى يعقوب وعمر رئيسا لكل كبار سيستان (١) وزوجه من أخته (بانو) • وكان هذا الفعل مقدمة لظهور النزاع بين طاهر والسبكرى ، لأن الثانى كان ينفس على محمد بن خلف ولم يكن يحب أن يتدخل في أعمال الملك أحد غيره •

وأتى طاهر بن محمد على رصيد الخزانة ، التى ظلت عامرة بعد عمر

(١) سبق أن نبهنا الى أن محمدا بن خلف بن الليث هذا هو أبو الأمير أبى جعفر أحمد وجد خلف بن أحمد المشهور وليس من أولاد الليث أبى يعقوب وعمر (سياقى) •

ابن الليث ، بعد مدة قصيرة بسبب لهوه واسرافه وامتنع عماله من ارسال الخراج الى سيستان خاصة السبكرى الذى تحرك وضبط كرمان وفارس له ، فاختلفت أمور سيستان كلية ، ولم يمنع من زوال الدولة التى أقامها يعقوب وعمرو في هذا الظرف غير كفاءة محمد بن خلف وحنكته .

وفي النهاية قدم طاهر في (٢٩٢ هـ) للاستيلاء على خراج فارس وكرمان ، فأرسل السبكرى الذى كان غير راض عن قدومه من يعيده بمعسول الكلام فعاد طاهر الى سيستان وشغل نفسه مرة أخرى باللهو والصيد واللعب بالحمام ، فانفض عنه كثير من كبار عهد يعقوب وعمر وخلت منهم سيستان .

وفي (٢٩٦ هـ) حينما اتجه طاهر الى بست تقدم الليث بن على بن الليث والى كرمان ومكران الى سيستان ، وفشل يعقوب أخو طاهر في أن يجليه عنها برغم جهوده العديدة ، ولما علم طاهر بعد عودته من بست أن أغلب كبار سيستان قد أخذوا جانب الليث وأن التغلب عليه ليس يسيرا ، اصطحب أخاه وسلكا طريقهما الى فارس على أمل استمداد السبكرى لهما فجلس الليث بن على أميرا في مكانه .

٤ ـ الليث بن على بن الليث

(٢٩٦ — ٢٩٨ هـ)

سار طاهر ويعقوب الى فارس معتقدين أن السبكرى حافظ لحق نعمتهما ونعمة عمر ويعقوب قبلهما عليه ولكن السبكرى كافر النعمة الذى تحالف قبل مع الخليفة المقتدر واستقطع منه فارس لنفسه قبض على ابني سيده وأرسلهما مقيدين الى بغداد واستقل بفارس تماما .

وفي (٢٩٧ هـ) هاجم الليث بن على السبكرى بفارس وأخرجها عنه لكن الخليفة المقتدر سير مؤنسا الخادم من ناحية والحسين بن حمدان

والى قم من ناحية أخرى (وقد ذكر الاثنان فى فصل آل بويه) لمساعدة
السبكرى ، وبعد مدة من القتال والجدال تغلب الاثنان على الليث بن على
فى غرة المحرم (٢٩٨ هـ) واستأسره وأرسل به مؤنس الى الخليفة المقتدر
ببغداد .

٥ - أبو على محمد بن على بن الليث

(المحرم من ٢٩٨ حتى الحجة من نفس السنة)

بعد أسر الليث بن على بايع أهل سيستان أخاه أبا على محمدا ،
وتأمر هذا الأمير فى هذا الوقت وحسب على سيستان والجزء الشرقى للبلاد
الصفارية أى بست وكابل وغزني (غزنة) ، لأن خراسان كانت مع الأمير
اسماعيل السامانى من حين أن هزم عمرا بن الليث ، وكانت فارس
وكرمان يديرهما السبكرى أيضا باسم الخليفة المقتدر .

ولما بلغ المقتدر خبر جلوس أبى على محمد ، كتب الى أحمد بن
اسماعيل السامانى يأمره بمهاجمة سيستان وفتحها وضمها الى ممتلكاته ،
فسير أحمد الحسين بن على المرورودى قائدا على جيش اليها وفتح
الحسين بن على بعد حرب شديدة مدينة زرنج وهرب أبو على محمد منها
الى بست . وبعد فترة قدم الأمير السامانى مع (سيمجور) أحد غلمانه
الى سيستان وقبض على (معدل بن على) أخى أبى على محمد الذى كان
لا يزال يقاوم فى إحدى قلاع سيستان وأسر أحد قواد الأمير أحمد أبا
على أيضا فى (بست) وهكذا خرجت سيستان عن أيدي الصفاريين واستقر
فى حكمها من طرف الأمير أحمد السامانى سيمجور الذى مر ذكره فى الثانى
من ذى الحجة من (٢٩٨ هـ) . ولما لم يستطع أو يرد السبكرى أن يبعث
بالجزية المقرر إرسالها سنويا الى بغداد سير المقتدر جيشا له فهزم
السبكرى وفر من شيراز الى كرمان فى (٢٩٩ هـ) ولما لم يكن يستطيع
الظهور بسيستان عرج الى هراة عن طريق صحراء لوط وسلم نفسه الى
الأمير أحمد . فسير هذا الأمير ولم يكن له هدف فى حياته الا أن يكون

خادما للخلفاء العباسيين (١) بالسبكرى وأبى على محمد بن الليث الى دار الخلافة للمقتدر وألقى الخليفة بهما في حبسه .

الأمراء الصفاريون الآخرون

بعد شهرين أسقط الأمير أحمد سيمجور عن ولاية سيستان وفوض ابن عمه أبا صالح منصور بن اسحاق لها . فأوقع أبو صالح وجنده بأهل سيستان ايذاء كثيرا خاصة بالخوارج منهم وكانوا أحرارا محبين للاستقلال فأعلنوا عصيانهم لهذا الاستخفاف وثاروا في (٣٠٠هـ) على أبى صالح والسامانيين وقبضوا عليه وحبسوه في قلعة (أرج) بسيستان وبايعوا ابن يعقوب بن محمد بن عمر بن الليث وكان عمره عشرة أعوام واسمه أبا حفص عمره . فأمر أحمد الساماني الحسين بن على المروودي مرة أخرى بفتح سيستان ، فسيطر عليها بعد حصار استمر تسعة شهور وقبض على أبى حفص عمرو فأمر أحمد الساماني الحسين بن على المروودي مرة أخرى بفتح سيستان فسيطر عليها بعد حصار استمر تسعة شهور وقبض على أبى حفص عمر وأرسل به الى بخارا ثم عين أحمد سيمجور ثانية أميرا على سيستان . وأمر أبا صالح على نيشابور . ومع أن سيستان من عام (٣٠٠هـ) قد سيطر عليها السامانيون مرة أخرى وكان ينصب لحكمها من طرفهم أو الخليفة في بغداد حاكم بين الفينة والأخرى الا أن أهل سيستان الذين لم ينسوا ذكرى عهد يعقوب وعمر أبدا وكانوا يتميزون من الغيظ لاستيلاء الأجانب على بلدهم كانوا يقومون بالثورات على الولاة الأجانب كلما سنحت لهم الفرصة ، كما حدث في المحرم من (٣١١هـ) حين طردوا الوالى الساماني لسيستان وأمروا الأمير أبا جعفر

(١) لا يعنى أن الأمير أحمد الساماني واسرته كانوا في طاعة الخليفة باعتباره خليفة لكافة المسلمين وينتسب الى بيت النبوة وقد كان هذا اعتقاد المسلمين كافة في الخليفة آنذاك وهو أنه خليفة لله تعالى في أرضه ، لا يعنى ذلك أن هذا الأمير كان خادما أو كان أملا أن يكون خادما للخلفاء العباسيين ، وما قول (اقبال) هذا الا نوعا من العصبية للصفاريين على الخلافة السامانية ، وقد أشرنا الى هذه النقطة عند الفرس عامة في التاريخ ليعقوب الصفارى .

أحمد بن محمد بن خلف بن الليث الذي سبق ذكره الذي كان أمه (بانو)
ابنة محمد بن عمر بن الليث .

وقد كان الأمير أبو جعفر أحمد بن محمد هذا الذي حكم سيستان
بين عامي ٣١١ هـ ، ٣٥٢ هـ وكانت علاقاته بالأمراء السامانيين خاصة نصر
ابن أحمد ممدوح الرودكي حسنة رجلا ذا كفاءة محنكا حكيما فاضلا ،
أمنت في عهده سيستان وهدأت أمورها وتقاطر اليه الفضلاء والحكماء
من الأطراف وألفوا باسمه الكتب .

وفي (٣٥٢ هـ) قتل الأمير أبا جعفر في مجلس شرابه جماعة من
غلمانه فخلفه ابنه الأمير أبو أحمد خلف وأشرك هذا الأمير معه في الحكم
طاهرا بن علي التميمي الذي ينتسب من ناحية أمه الى علي بن الليث أخى
عمر ويعقوب . وكان طاهر رجلا شجاعا كافيا عالما . قاتل أعداء خلف
والأمراء السامانيين خاصة (ماكان بن كاكي) وانتصر في غالب معاركه .

وعزم خلف في (٣٥٣ هـ) بيت الله حاجا وأتاب طاهرا بن علي في
حكمه لسيستان ولما عاد من الحج لم يدعه طاهر يدخل سيستان فلجأ
خلف الى منصور بن نوح الساماني ودخلها بعونه . وأخلى طاهر المدينة
فلم يكن يطيق المقاومة واتجه الى حدود هراة لكنه هاجم سيستان بعد أن
علم بتفرق جند خلف ، فاستمد الأمير منصورا ثانية وعاد الى مدينته .
وفي هذا الوقت مات طاهر وترأس ابنه الحسين أتباع والده . وفي عاقبة
الأمر استأمن الحسين منصورا الساماني واتجه الى بخارا واستقر خلف
على سيستان في (٣٥٩ هـ) .

وبعد مدة سلك خلف سبيل العصيان على منصور الساماني واستنكف
أن يرسل المال والهدايا التي كان ملزما بارسالها ، فأرسل منصور جيشا
بقيادة الحسين بن طاهر معارض خلف لتأديبه الى سيستان . وهاصر
الحسين قلعة (أرج) بسيستان نجو سبعة أعوام ولم يتمكن من خلف .
وفي النهاية توصل منصور بأبى الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور

القائد السابق لجيش خراسان وأمره بدفع خلف بسيستان ، فطلب أبو الحسن السيمجورى وكان حائقا على منصور لعزله عن قيادة جيش خراسان ولصداقته لخلف سلميا من خلف أن يترك قلعة أرج للحسين ويذهب للقلعة أخرى حتى يستطيع أن يبين للأمير السامانى أنه استولى على قلعة أرج هذا بعد تعب وشدة • ففعل كذلك وقام أبو الحسن السيمجورى بالصلح بينه وبين الحسين طاهرا وأخذ من كبار سيستان ومن الحسين بن طاهر رسائل فيها أنه سيطر على القلعة وتركها للحسين وأرسل بتلك الرسائل الى بخارا • لكن خلفا بعد مدة قليلة أى فى المحرم من (٣٧٣ هـ) هاجم الحسين ، وبعد ستة شهور من الصراع تصالحا فى رجب (٣٧٣ هـ) ولم يطل الوقت حتى توفى الحسين واستقل خلف بامارة سيستان •

ظل خلف بن أحمد أميرا على سيستان حتى شهر صفر من (٣٩٣ هـ) وان كان سلم فى السنوات الثلاث الأخيرة امارته للسلطان محمود الغزنوى بعد حرب بينهما كما سيلي فى تاريخ الغزنويين • وأرسل محمود به الى جوزجانان لكنه فهم بعد أنه تواضع سرا مع ايلك خان الأفراسيابى فأمر بحبسه ومات خلف فى حبسه فى (٣٩٩ هـ) وهو آخر أمير معروف من أمراء الصفاريين ، لأن بعده ظهر بضعة نفر فى سيستان بدعوى نسبتهم لهذه الأسرة ووصلوا الى حكم سيستان بمساعدة الملوك الآخرين ، لكن لم يظهر من بينهم واحد له فى التاريخ اسم وعنوان معتبران ويجدر بالذكر • كان الأمير خلف بن أحمد رجلا دنيا محبا للأدب والشعر فاضلا ، وقد ألف جماعة من علماء عصره باللغة العربية تفسيرا كبيرا للقرآن الكريم باسمه ومدحه شعراء مشهورون من مثل أبى الفتح على بن البستي (١).

(١) هو نظام الدين العميد أبو الفتح على بن محمد من شعراء العهد الغزنوى وأواخر القرن الرابع ، كان صاحب ديوان ناصر الدين سيكتكين ثم غضب عليه محمود الغزنوى فرحل عنه ، وتوفى بين عامي (٤٠١ هـ) و (٤٠٣ هـ) وكان بليغا فى شعره العربى والفارسى ونثره فيها ونسب اليه خطأ ديوانان فى اللغتين ، ونقل له صاحب باب الالباب ومجمع النصحاء بعضا من شعره الفارسى •

وأبى منصور محمد بن عبد الملك الثعالبي (٢) وأبى الفضل أحمد بن الحسن بديع الزمان الهمداني (٣) خاصة بديع الزمان الذي خلد خلفا بذكره خبره بمدائحه .

أسماء الأمراء الصفاريين وزمن اماره كل منهم

- ١ — أبو يوسف يعقوب بن الليث (٢٤٧ — ٢٦٥ هـ) ١٨ عاما
- ٢ — عمرو بن الليث أخوه (٢٦٥ — ٢٨٧ هـ) ٢٢ عاما
- ٣ — أبو الحسن طاهر بن محمد بن عمر بن الليث (٢٨٧ — ٢٩٦ هـ) ٩ أعوام
- ٤ — الليث بن علي بن الليث (٢٩٦ — المحرم من ٢٩٨ هـ) ٣ أعوام
- ٥ — أبو علي محمد بن علي بن الليث (من المحرم حتى ذي الحجة من ٢٩٨ هـ) عاما واحدا

(الحكام السامانيون من ذي الحجة ٢٩٨ حتى المحرم ٣١١ هـ)

- ١٢ عاما
- ٦ — أبو جعفر أحمد بن محمد بن خلف (٣١١ — ٣٥٢ هـ) ٤١ عاما
- ٧ — أبو أحمد خلف بن أحمد (٣٥٢ — ٣٩٣ هـ) ٤١ عاما

١٤٦ عاما

(٢) صحة اسمه أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي الينشايوري من الكتاب والمؤرخين المعروفين الفرس في القرن الرابع الهجري وله آثار هامة بالعربية من بينها يتيمة الدهر وقيمة اليتيمة في سير الشعراء الكبار المعاصرين له ، وقرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم في تاريخ ايران القديم وكتاب الاعجاز والايجاز وكتاب التمثيل والمحاضرة ، وتوفي عام (٤٢٩ هـ) .

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن الحسن وليس الحسين من ادباء وكتاب القرن الرابع ، توفي (٣٩٨ هـ) ويشتهر بنثره المسجع وتأليفه المقامات ، لحق بخدمه صاحب بن عباد ، وتميز عن أبناء عصره بقوة الحافظة واحاطته باللغة والشعر والأدب وبراعته وقوة يرامته في النظم والنثر العربيين . ومقاماته تشهد بهذا وقد جوت واحدة وخمسين مقامة .

الفصل الخامس

السامانيون

(٣٧٩ - ٥٣٨٩)

بـداية أمر السامانيين : -

ينتسب السامانيون الى قرية (سامان) من القرى القريبة من سمرقند ، وكانوا يرثون امارتها وكانوا من أصل زردشتي ومن الأمراء المحليين الايرانيين ولذا فقد كان يدعى كل منهم (سامان خداه) أى كبير وصاحب قرية سامان •

ويقول أكثر المؤرخين ان السامانيين من أبناء (بهرام جوبين) القائد المعروف لهرمز الرابع وخسرو برويذ ، لكن هذه النسبة كسائر النسب التي كانت تلصق في القرنين الثالث والرابع الهجريين للأمراء وكبار الايرانيين محل نظر •

وقول مشهور هو أقرب الى الأسطورة من الحقيقة يقول ان (سامان خداه) جد الأمراء السامانيين بدأ حياته برعى الابل ، ثم أنف أن يستمر في عمله هذا بسبب علو همته وطلبه المجد ، فعمل بالعيارة وقطع الطرق كما فعل يعقوب بن الليث ، وبعد أن جمع أتباعا كثيرين استولى بهم على مدينة شاش ، مكان طاشقند الحالية وتأمر عليها •

لكن الأمر المسلم به أن أحد كبار سامان اعتنق الاسلام أيام حكم أسد بن عبد الله القسري لخراسان (في عصر هشام بن عبد الملك) وسمى ابنه أسدا باسم حاكم خراسان •

وليس بأيدينا معلومات مبسطة عن حياة أسد وما نعرفه أنه أتى إلى المأمون حينما كان مقيما في مرو (من ١٩٣ حتى ٢٠٢ هـ) ومعه أبنائه الأربعة نوح وأحمد والياس ويحيى فقبله المأمون وأبناءه في خدمته .

وبعد وصول المأمون للخلافة كلف غسان بن عباد ابن عم الفضل ذي الرياستين (٢) ووالى خراسان بأمر من الخليفة كلا من أبناء أسد بعمل نفوذ سمرقند إلى نوح وفرغانة إلى أحمد وشاش إلى يحيى وهرارة إلى اليباس .

وبعد أن عزل غسان بن عباد عن حكم خراسان ونصب طاهر ذو اليمينين عليها بقی أبناء أسد الساماني في أعمالهم ، لأن الطاهريين أبقوهم في مناصبهم الأولى بتوصية من الخليفة بل زادوهم أعمالا أخرى ، كما مر بنا في تاريخ آل طاهر أن طلحة بن طاهر بعد أن تحرك إلى سيستان إلى خراسان لشغل منصب أبيه ، عهد إلى اليباس بن أسد الساماني بعمله الأول فضم إليه سيستان إلى ولايته الأولى وهي هراة .

ومات نوح في عهد أمارة طلحة (٢٠٧ — ٢١٣ هـ) فضم طلحة بسمرقند ولاية حكمه إلى أخويه أحمد أمير فرغانة ويحيى وإلى شاش .

وبعد موت اليباس في (٢٤٢ هـ) بلغ ابنه ادراهم قيادة جيش الطاهريين في خراسان وانهزم من الأمير يعقوب الصفاري في (٢٥٣ هـ) كما مر بنا في بوشنج بهرات ولاذ بالفرار إلى نيشابور .

(١) هو الفضل بن سهل ذو الرياستين الذي عمل على تولية علي ابن موسى الرضا امام الشيعة الاثني عشرية الثامن عهد المأمون ، وكان لا يريد من جهوده في هذه التولية غير أن يستأثر بالامر من دون المأمون ولعله كان يقصد إلى ازالة الخلافة العربية هارعا في ذلك على اثر البرامكة زمن الرشيد ، واقرأ في ذلك ما كتبه شهاب الدين التواريخي في كتابه (بعض فضائح الروافض) المؤلف عام (٥٥٥ هـ) الذي نقل أجزاء كبيرة منه عبد الجليل القزويني الرازي في كتابه النقض (طبعة تهران عام ١٣٣١ ش من ٤١٧ — ٤١٨) — انظرا أيضا الفتر الفارسي : د. السباعي محمد السباعي (مصر ١٩٧٨) (٣٣١ — ٤) .

وكان لأحمد بن أسد بن سامان خداه سبعة أبناء هم نصر ويحيى
ويعقوب واسماعيل واسحق وأسد وحميد •

وأودع أحمد في أيام شيخوخته أماره فرغانة وسمرقند الى ابنه
الأكبر نصر أما هو فقد وافته المنية في (٥٢٥٠ هـ) • ورأس نصر اخوته
الستة الذين كانوا طوع أمره •

وفي (٥٢٦١ هـ) بعث الخليفة المعتمد منشور اماره جميع بلاد ما وراء
النهر رسما باسم نصر بن أحمد وآثر نصر الإقامة في سمرقند وأرسل
اسماعيل من بين أخوته نائبا عنه ببخارى وكلف كل واحد من اخوته
الباقيين بحكم ولاية •

النزاع بين نصر واسماعيل في ٥٢٧٥ هـ : —

كان اسماعيل يحكم لفترات في بخارى من جانب أخيه نصر. بزفق
وعدل ويجهد دائما في رعاية احترامه الى أن خرج رافع بن هرثمة كما من
في تاريخ الصفاريين وشيد في الأيام التي حكم فيها نيسابور وخراسان
الشمالية صرح الصداقة مع اسماعيل بحكم مجاورته له ، وقوى الصفاء
بينهما الى حد أنه صار اتحادا وكانت رسائل المودة تتردد بين الجانبين
دائما • وأظهرت جماعة من الوثاة هذا الصفاء الكامل لنصر اتحادا ضده
وقالوا له ان اسماعيل يفكر أن يبعده عن سمرقند بعون رافع فيستقل بكل
بلاد ما وراء النهر • ووقعت هذه السعاية من نصر موقع التأثير فتسير
جيشا ضخما الى بخارا وأرسل اسماعيل رسولا يستمد رافعا اذا لم
يكن يستطيع مقابلة أخيه • وأدرك رسول اسماعيل بعد لقاء رافع أنه
يعزم السيطرة على سمرقند له بدلا من معاونة الأمير اسماعيل ، وفي هذه
الحالة يحتمل أن يصير مخدوم الأمير اسماعيل تابعا لرافع ، ولهذا صرف
رافعا عن فكرة التحرك الى ما وراء النهر وأفهمه أن المصلحة في تصالح
الأخوين • وسعى رافع في هذا الصلح أيضا سعيا بليغا ، وانتهى النزاع

بين نصر واسماعيل مؤقتا لكن الصفاء الذى كان بينهما لم يعد فظل الأخوان يسيء الظن أحدهما بالآخر ، حتى ان نار الخصام اشتعلت بينهما بعد قليل وانتهى الأمر هذه المرة بالقتال • وهاجم نصر بجيش متأهب من سمرقند بخارى ليطرد اسماعيل ، لكن نصرا غلب وأسر في الحرب التى جرت في خريف (٢٧٥ هـ) بالقرب من بخارى ، وقدم اسماعيل ومعه أخوه الى بخارى •

وحينما وصل اسماعيل الى بخارا رفع أخاه على عرشها ووقف أمامه موقف التابع وبالنسبة الى احترامه وتعظيمه الى حد أن نصرا ظن أن اسماعيل يهزأ به • ثم أرسل معه الى سمرقند أتباعا له كثيرين وقال في وداعه له أنه سيبقى في بخارى نائبا عنه كما كان ولن يتجاوز طريق تبعيته وطاعته قيد أنملة •

وعاد نصر الى سمرقند وبقي الى أن مات (٢٧٩ هـ) في حب واخلاص مع أخيه ، ولما مات ضم اسماعيل سمرقند الى ملكه واستقل بكل ما وراء النهر •

١ - اسماعيل بن أحمد الأمير المادل

(٢٧٩ - ٢٩٥ هـ)

يعد الأمير اسماعيل بن أحمد عادة مؤسس الدولة السامانية لأنه تأمر على ما وراء النهر بعد موت أخيه الأكبر وخضع له سائر الأمراء السامانيين المحليين ، خاصة أنه في أيام امارته قد وسع من حدود الدولة السامانية وضم اليها خراسان وجرجان وطبرستان وسيستان والرى وقزوين وكان اسماعيل قبل وفاة أخيه وبعدها يصرف أغلب وقته في جهاد الكفار بحدود البلاد السامانية الشمالية ، كما حدث في (٢٨٠ هـ) بعد موت نصر اذ تقابل مع أحد خانات التركستان وبعد أن غلبه استاق أباه وزوجته أسيرين معه الى سمرقند وغنم في هذه الواقعة جنده غنائم كثيرة

حتى أنه أصاب كل واحد منهم نحو ألف درهم •

أما وقائع عهد إمارة الأمير اسماعيل فهي :

١ — حربه مع عمر بن الليث الصفارى واستنساخه عمرا في (٥٢٨٧ هـ) •

٢ — قتاله محمدا بن زيد الداعى ، وغزوه جرجان وطبرستان بعمون محمد

ابن هارون السرخسى في نفس عام (٥٢٨٧ هـ) التى انتهت بقتل

الداعى وفتح جرجان وطبرستان وضمهما الى بلاد السامانيين •

٣ — قتاله لدفع محمد بن هارون الذى عمى اسماعيل بعد عام ونصف

من توليته من جانبه حكم طبرستان وقد دخلت نتيجة هذه الحرب

الرى وقزوين في طاعته • وتفصيل هذه الوقائع الثلاث مر في

طى تاريخ العلويين والصفاريين •

وأنفق اسماعيل بعد عودته من الرى وقزوين الى ما وراء النهر

بقية أيامه في الجهاد في توران وهاجم هذه الناحية مرارا وعاد في كل مرة

بالأسرى والغنائم وظل حاله هذا الى أن ودع الدار الدنيا في صفر من

عام (٥٢٩٥ هـ) •

كان اسماعيل فوق شجاعته وهمته وفتوته رجلا كثير الورع والخشية

من الله تعالى دينا ، وكان جنده يشغلون أنفسهم بالدعاء والصلاة والعبادة

ليلهم ونهارهم • أما هو فقد سعى الى أن تتسم حروبه كلها بسمة الجهاد

والغزو في سبيل الله تعالى ولهذا فقد سماه بعض المؤرخين (قائد الغزاة)

والحكايات في ورع اسماعيل وعدالته وعفته وسلامة نفسه عديدة ،

وكان سياسته قد وقرت في نفوس جنده اذ كانوا بنفس سييرته فلم

يجرؤ أحدهم على أن يتعدى على مال للرعية بدون اجازة من اسماعيل

وخوفا من مؤاخذته لهم •

وكان لهذا الأمير في بخارى (١) ديوان وقضاة مخصوصون لاحقاق

(١) يقول غامبرى ان بخارى لم تعد مجرد حاضرة لاسماعيل وانما

=

حقوق الرعية ودفع المظالم وكان يصحبه في أسفاره دائما جماعه من القضاة العدول فاذا وقعت له أثناء الطريق حاجة للقضاة لم يصر بهم في القطع والفصل في الأحداث رهن الاشكال والخلاف فينفذ الحكم طبق الشرع ، كما فعله بمحمد بن زيد العلوي بعد أن غلبه اذ أعاد للشعب الأموال التي أخذها العلوي غصبا منهم .

ونتيجة هذه السيرة الطيبة لقبه معاصروه بالأمير العادل وكانوا يذكرونه بعد أن مات باسم (الأمير الماضي) — أى الماضي العزم عني الظلم — دائما .

ومع أن اسماعيل كان رجلا بلا ثائبة وامرءا دينا يحترم علماء الدين ويجلهم اجلالا لكنه بسبب تعصبه الشديد للمذهب السني كان في الحقيقة تابعا صميما وخاضعا مطيعا للخلفاء العباسيين ، ولهذا فلم يكن له ولاخلافه احساس حب ايران والاستقلال قط كما كان عند الصفاريين والديلمية ، ولكنهم كانوا على خلاف هذا اذ كانوا في حرب دائمة بأمير الخلفاء العباسيين مع هؤلاء الايرانيين الذين كانوا يعصون الخليفة ويشيرون معتنقين مذاهب غير المذهب الرسمي لبلاط بغداد ، وكان اسماعيل وخلفاؤه

حاضرة في الواقع لكل ولايات آسيا الوسطى بعد ان نجح في توحيد ايراني الشرق مع بني جلديتهم في الغرب ، كما صارت مركزا لكل النشاط والحركات الفكرية التي ظهرت من بعد ذلك في القسم الشرقي من بلاد الدولة الاسلامية .

وحين قضى العرب على كيان ايزان القومى بقى بصيص غير خاب من ذرات الحضارة الفارسية تحت المعابد في ايران الشرقية خاصة في بلخ وما وراء النهر ليذكى من نارها السامانيون من بعد ذلك حتى اشرقت اسلامية خالصة في اتجاهها ولا يصعب مع هذا تتبع منشئها في بيوت النار الزردشتية .

واشتهرت بخارى قبل الاسلام بأنها (مثابة العلوم كلها) وقيل ان اسمها اشتق من كلمة بخار الزردشتية بمعنى مجمع العلم ، لكنها صارت عهد السامانيين معروفة باسم (بخارى الشرقية النقية) انظر تاريخ بخارى (ص ٥١) حاشية (٣) وص ١٠٤ حتى من ١١٠ . ومفهوم كلام فامبرى ان اسماعيل والسامانيين باستقلالهم بالجزء الشرقى وبعض ايران عن الخلافة قد استقل بالقومية الايرانية وان اصطبغت بالاسلام بدل الزردشتية ، وقوله هذا يرد بعد قليل على اقبال .

يجهدون لكي يستأصلوا شأفتهم كما فعلوا بعلويي طبرستان والصفاريين ،
وكثيرا ما أعادوا هبة الخلفاء العباسيين المضاعة الى وضعها الأول (١) .

٢ — أبو نصر أحمد بن اسماعيل

(٢٩٥ — ٥٢٠١ هـ)

خلف أبو نصر أحمد أباه اسماعيل بعد موته وأرسل الخليفة المكتفي
رسميا منشور امارته ما وراء النهر وخراسان . وقد هاجم أحمد في أول
أمره سمرقند واستخلصها من يد اسحاق بن أحمد عمه الذي أنابه فيها
أبوه اسماعيل من قبل ، واستاق اسحاق أسيرا الى بخارى .

(١) قد يظن بنا في ردنا للمؤلف ومن هم على نحلته من التعصب الاعمى
أننا نقارعه نفس التعصب ، والتعصب ليس من الموضوعية العلمية في شيء .
الا أن هذا الظن يرده نفس المؤلف في قوله الأخيرة . إذ أنه بعد أن يمتدح عدل
الأمير اسماعيل ودينه وورعه وسالمة نفسه وتدين جنوده وسهرهم على راحة
الرعية من فرس وغيرهم يقدح فيه أنه كان متعصبا شديدا للتعصب لأنه لم
يجاهر الخليفة بالعصيان ولم يهجم على بغداد ويقتل أناسها ويذل أهلها من
السنة كما فعل الصفاريون ولم يحى سنن الإيرانيين المجوسية القديمة أو لم
يقتل المؤذنين والمصلين ويخرب المساجد كما فعل الديالمة وكما ذكر المؤلف
نفسه في تاريخه لأسفار ووشكير وأخيه مرداويج . اسماعيل في رأى المؤلف
متعصب ومخطيء وكافر بالقومية الإيرانية وخاضع لأنه لم يفعل ما فعله الديالمة
والصفاريون والعلويون بطبرستان من أعمال الظلم والتخريب والقتل . ويبت
شعري من المتعصب اسماعيل أم المؤلف وأسلافه من الديلم والصفاريين ؟
لقد أسدى السامانيون الى أهل إيران خدمات جليلة ذكرها الإيرانيون أنفسهم
لم يقم بمثلها الصفاريون أو غيرهم ، فلم تتكون اللغة الفارسية لغة مستقلة
ولم يستقل أغلب إيران دولة قوية ولم يكن لها طابع قومي مستقل ووجه مهاب
ولم يتفقه أينأوها في دينهم ولم يحيا حياة آمنة منظمة الا في عهد اسماعيل
 وخلفائه . . وقد ذكر المؤلف أن اسماعيل رد أموال الرعية التي غصبها
العلويون من أبناء على الذين ما خرجوا على الخلافة الا للدنيا واللاطم وما ردهم
عن ظلمهم الا من تمسك بأهداب الدين (السنى) وسائر الخلفاء . ويدعى
المؤلف أن المذهب الرسمي للصفاريين أو لغيرهم كان المذهب الشيعى وما
يقوله التاريخ أن هذا المذهب لم يصبح رسميا الا مع قيام الدولة الصفوية التي
فرضته على الشعب غرضا ، وكان التشيع قبلها هو مجرد حب وإيثار لأهل
البيت وكفى وليس ستارا يتخذه الطامحون الى العرش من السياسة والخارجين
الذين لا يدينون بغير مصلحتهم وأطاعهم .

والواقعة الهامة في امارة أحمد غزوه طبرستان عن طريق أبي العباس محمد بن صلوك حاكم الري وأبي الفضل محمد بن عبيد الله البلعمي وزير أبيه المشهور ، وثورة الناصر الكبير العلوي على عمال السامانيين (٣٠١ هـ) وطردهم من طبرستان وقد ذكر ذلك بالتفصيل في فصل علوي طبرستان . ثم فتح سيستان بيد القائدين الشهيرين السامانيين الحسين ابن علي المروودي وسيمجور الدواتي في آخر عام (٣٩٨ هـ) واخماد ثورة هذه الولاية في (٣٠٠ هـ) وفتحها مجددا وقد مضى ذلك كله في فصل الصفاريين .

كان أحمد علي خلاف أبيه رجلا ضعيف النفس لم يكن يبذل لأمر الملك اهتماما كبيرا وكان يميل أكثر من ذلك الى الصيد ، ولهذا فقد كان يقوم بتدبير مصالح الرعية والملك في أغلبها أبو الفضل البلعمي وقسواد الجيش مثل الحسين بن علي المروودي وسيمجور . ومشهور أنه عندما وصلت رسالة أبي العباس محمد بن صلوك والي طبرستان التي يبلغ فيها ثورة الناصر الكبير ما دعت به الأرض حتى أنه تمنى الموت من الله ، ويشاء الله تعالى أن يقتله بعض غلمانه في نفس هذا الوقت في المصطاد في جمادى الآخرة (٣٠١ هـ) وقد لقب بالأمير الشهيد بعد قتله لهذا .

٢ — نصر بن أحمد

(٣٠١ — ٣٣١ هـ)

ولما قتل أحمد بن اسماعيل كان ابنه نصر ابن ثمانية أعوام فأجمع كبار الدولة وأمرأؤها على امارته ونصب أبو عبد الله الجيهاني في وزارته فأمسك بأزمة أمور الدولة .

وقد قام بسبب صغر سن الأمير نصر مدعون عدة بمخالفة السامانيين كان أحدهم اسحاق بن أحمد أخا اسماعيل الذي استخلص الأمير أحمد الشهيد ، كما سبق ، سمرقند منه وأودعه الحبس في بخارا . وخلص اسحاق بعد قتل أحمد من سجنه وجمع جيشا يعاونه ابنه الياس وهاجم

بخارا لكن قائد نصر (حموية بن على كوسة) قابله فغلبه على أمره . فطلب اسحاق الأمان فعفا عنه نصر وقدم به مكرما الى بخارى وظل حيا في قصر الأمير معززا حتى مات .

وممن نهض مخالفا عقب موت الأمير أحمد وجلوس نصر أبو صالح منصور بن اسحاق الساماني حاكم الري السابق وسيستان الذي وجهه الأمير أحمد حاكما لنيشابور بعد دفع عصيان أهل سيستان وفتحها الثاني بيد الحسين بن على المروودي وأجلس الحسين مكانه على سيستان .

وعاص ثالث هو الحسين المروودي نفسه الذي كان يود أن يحفظ سيستان لنفسه بعد فتحها الثاني فلم يقبل الأمير أحمد هذا . أما أبو صالح فقد مات في بداية عصيانه في نيشابور ، لكن الحسين الذي كان حليف أبي صالح ضم اليه حلفاء آخرين وأعلن عصيانه على امارة نصر وسيطر على سيستان وهرات ونيشابور .

وتتفاوت ثورة الحسين بن على المروودي على السامانيين عن سائر ثورات المدعين تفاوتا كبيرا ذلك لأنه اعتنق المذهب الاسماعيلي اثر دعوات الدعاة الاسماعيليين الذين كانوا يدعون في هذا الوقت الناس في الري وخراسان وما وراء النهر بنشاط تام الى هذا المذهب وتبعية الخلفاء الفاطميين في مصر ، وأصبح الحسين من جملة الدعاة ودخل عداد الشيعة الفاطميين ولما أن عددا لا بأس به من ايرانيين خراسان وما وراء النهر قد أقبل على المذهب الاسماعيلي فقد اتسمت ثورة الحسين بن على بأهمية خاصة وكانت ضد أساس حكم السامانيين وخلفاء بغداد العباسيين مخدومي الأمراء السامانيين صراحة .

وقد عهد لأحد أبناء دهاقين مرو الايرانيين دفع ثورة الحسين المروودي وكان اسمه أحمد بن سهل بن هاشم بن كامكار وكان يدعى وصول نسبه الى يزديجرد الثالث الساساني . استرد أحمد بن سهل نيشابور من الحسين بن على في (٣٠٦ هـ) واقتاده الى بخارى أسيرا

وانتهت فتنة الرورودى بهذا والذي مات فى حبس الأمير نصر . لكن لم تمر فترة طويلة حتى عصى أحمد بن سهل الأمير نصر اذ أنس أحمد فى نفسه ادعاء الامارة والاستقلال وكان فاضلا أرييا أصيلا فى نسبه وابنا للعظام . خاصة وأنه كان يضم حقا خاصا للعرب لقتل عمالهم اخوته الثلاثة وكانوا جميعا منجمين وكتابا ، وكان دائما يسعى لتجديد أساس الدولة الايرانية وكلما سنحت له الفرصة كان يثور على العمال والأمراء الطائعين لأمر خليفة بغداد كما فعل حين عصى عمرا بن الليث ولحق بالأمير اسماعيل السامانى على رغم أنف الأول . وظل فى بلاط السامانيين الى أن أسقط فى نيشابور اسم الأمير نصر من الخطبة عام (٣٠٧هـ) بعد أن تغلب على الحسين بن على الرورودى وأعلن الاستقلال . فأمر قائد الجيش السامانى حمويه كوسه والى جرجان قراتكين أن يحمل على نيشابور ويدفع أحمد بن سهل . فأخلى أحمد نيشابور وذهب الى مرو وتحكم فيها . وترك حمويه بخارى الى مرو وقبض على أحمد بالحيلة واقتاده أسيرا الى بخارى ، ومات أحمد فى ذى الحجة (٣٠٧هـ) فى حبس الأمير نصر .

ومدع آخر للأمير نصر هو الياس بن اسحاق بن أحمد السامانى ابن عم أبى الأمير نصر الذى غلب أباه حمويه القائد فى بداية امارة نصر وأسره . ثار الياس فى (٣١٠هـ) فى فرغانة ، وانهزم بسهولة على يد أحد العمال السامانيين ، ولم يحقق ابنه الذى سلك بعد فترة سيرة أبيه وجده شيئا اذ استسلم فى النهاية وقبل طاعة نصر .

.. وقد زالت هذه الفتن فى أغلبها كما أشرنا بتدبير وحنكة حمويه القائد وأبى عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى وزير نصر العالم ، ولما مات الجيهانى استوزر الأمير نصر أبا الفضل محمد بن عبيد الله البلعمى الذى كان وزيرا لجده اسماعيل وأبيه أحمد . واعتهد البلعمى هذا وزارة نصر حتى (٣٢٦هـ) وكان رجلا فاضلا محبا للفضل محنكا كافيا وهو ممدوح الشاعر الكبير أبى عبد الله بن جعفر بن محمد الرودكى وهو الذى نقل

بأمر من الأمير نصر كليله ودمنة من العربية الى النثر الفارسي ثم دفع
الرودي الى نظمها شعرا فارسيا . وقد مات البلعمي والرودي كلاهما
في (٥٣٣٩ هـ) .

وكانت الفتنة العظمى التي حدثت في عهد وزارة أبي الفضل البلعمي
خروج اخوة نصر الثلاثة عليه في (٥٣١٨ هـ) . وكان نصر قد ألقى
بأخوته هؤلاء حتى لا يدعوا امارته حبس قلعة بخارى . وفي هذا العام
حينما ذهب الأمير نصر الى نيشابور تمكن اخوته الثلاثة من خداع
حراسهم بعون من جماعة من أهل بخارى فلابدوا بالفرار وأطلقوا أسر
عدد آخر من العلويين والديالمة كانوا نزلاء السجن معهم ثم اتجهوا الى
خرائن الأمير نصر فنهبوا واستولوا على دوره وقصوره . فعجل الأمير
نصر من نيشابور الى بخارى وتمكن بعون البلعمي وأبي بكر محمد بن
مظفر بن محتاج الجعاني قائد جيش السامانيين في خراسان من اخماد
فتنة بخارى ، وتفرق اخوة نصر الثلاثة في أطراف البلاد .

وكان من بين أصحاب اخوة نصر جماعة من الشيعة الاسماعيلية
والفاطمية وكانت رئاسة بعضهم لابن الحسين بن علي المروودي . وكان
للشيعة الاسماعيلية كما سبقت الاشارة في هذا الوقت نفوذ في البلاد
السامانية وقد بلغ نفوذهم بلاط السامانيين نفسه اذ أنهم أدخلوا جمعا
من رجال بلاط الأمير نصر في مذهبهم . ووفق داعي خليفة الحسين بن
علي المروودي أخيرا في أن يدخل الأمير نصر الساماني أيضا في هذا
المذهب . وقد دفع نصر مبلغ تسعة عشر ومائة ألف دينار دية موت
المروودي الى خليفة الحسين لكي يرسلها الى القائم الخليفة الفاطمي
بمصر امام الاسماعيلية .

وكان دخول الأمير نصر في المذهب الاسماعيلي باعث تعب غلمانه
الأتراك الذين كانوا حفظة الأمير وبلاطه وذوي نفوذ عليهم ، فصمموا أن
يزيلوا نصرا من الامارة ويقتلوا الاسماعيليين وأعلن نصر في هذا الوقت

أى حنود (٥٣٣٠ هـ) ، وكان عليلا ، تبرأه من الاسماعيليين واعتزل الامارة واستخلافه ابنه نوحا للغلمان الأتراك ومخالفه الآخرين . ولما مات فى (٥٣٣١ هـ) ، قام نوح بقتل خليفة المرورودى وجميع رجال البلاط ورؤساء الجيش والكبار الذين اعتنقوا هذا المذهب ، فتحولت الاسماعيلية مضطرة من هذا الوقت من الدعوة العلنية الى الدعوة الخفية .

وانتهت وزارة الأمير نصر بعد عزل أبى الفضل البلعمى فى (٥٣٣٦ هـ) الى ابن أبى عبد الله الجيهانى وزيره الأول وهو أبو على أحمد بن الجيهانى ، لكن أبا الطيب محمدا بن حاتم المصعبى من الكتاب المنشئين ذوى النفوذ ومن فضلاء الاسماعيلية فى البلاط السامانى ومن ممدوحى الرودكى عارض هذا التعيين ، وحدث خلاف بين أتباع المصعبى والجيهانى فصارت أمور امارة نصر نهبا للاختلال ، ودام هذا الحال الى أن هلك أبو على الجيهانى فى (٥٣٣٠ هـ) تحت بيت منهار ، فاستوزر نصر وكان قد اعتنق المذهب الاسماعيلى المصعبى . لكن وزارته لم تطل لأنه بعد اعتزال نصر وتولى نوح كان مصير المصعبى القتل ضمن الكبار الاسماعيليين .

فتوح الأمير نصر ووقائع عهد امارته الخارجية : —

كان ذروة انبساط حدود الدولة السامانية فى أيام امارة الأمير نصر التى بلغت الثلاثين عاما ، والفضل الأكبر لهذا الاتساع يعود الى كفاءة وتدبير الوزيرين المشهورين أبى عبد الله الجيهانى ، وأبى الفضل البلعمى ورؤساء الجيش مثل حموية بن على كوسة وأبى بكر محمد بن مظفر الجغانى وابنه أبى على أحمد وقراتكين التركى وأبى عمران سيمجور الدواتى والا ما استطاع الأمير نصر لصغر سنه ولشبابه (كان بسلع نحو الثمانية والثلاثين عاما عند وفاته) أن ينهض باحتواء المشاكل التى أشرنا اليها آنفا وبالسيطرة على البلاد الواسعة التى تم الاستيلاء عليها لا سيما وأن الأمير نوحا توافر له فوق أعدائه فى الداخل الذين ذكرنا أسماء أظهرهم ، أعداء وخصوم خارج حدود بلاده التى ورثها عن آبائه

من قبيل الدعاة العلويين بطبرستان وماكان بن كاكي وليلى بن النعمان
ومرد آويج وغيرهم .

فكما رأينا في تاريخ العلويين قد حاول قادة الأمير نصر في أيام
امارة الناصر الكبير أن يستخلصوا طبرستان وجرجان منه بعد أن
استصفاهما من قبضة العمال السامانيين لكنهم فشلوا في إعادة هاتين
الولايتين الى السامانيين برغم محاولاتهم العديدة ولم يزوا غير مصالحته
علاجا . أما الخليفة الناصر الكبير وهو الحسن بن القاسم الداعي
الصغير فقد سير في (٥٣٠٨ هـ) قائده ليلي بن النعمان صوب خراسان
للاستيلاء عليها ، واستولى ليلي على نيشابور ثم هاجم منها طوس لكن
حموية وأبا الفضل البلعمي وسيمجور الدوائى أطبقوا عليه بطوس
وأورده مورد الهلكة في (٥٣٠٩ هـ) . وأمر نصر في السنة التالية قراكتين
بالاستيلاء على جرجان بجيش يبلغ الثلاثين ألفا ، واستولى عليها ، لكن
العلويين استردوها بعد عودته . فبعث نصر هذه المرة سيمجور اليها وسير
معه البلعمي في عونه ، لكنهما لم يحققا شيئا أمام ماكان بن كاكي القائد
الآخر للداعي وهكذا احتفظ العلويان بجرجان ، حتى قدم الأمير نصر
بشخصه في (٥٣١٤ هـ) الى طبرستان فلم يلق غير الهزيمة والعار وغرم
ثلاثين ألف دينار دفعها الى الداعي الصغير لكي يتجسرو من مضايق
طبرستان . ومع أن نصرا في هذا السفر أخذ الري من عمال الداعي وأصاب
فيها عامله لكنها عادت الى العلويين بعد عامين أيضا وتولاها ماكان من
قبل الداعي . ولم يستطع نصر الا أن يقضى على الداعي الصغير بيد
أسفار ومرد آويج خصمه الكبير ويأمن بذلك شره .

وبعد قتل أسفار وامارة مرد آويج قائده للري وطبرستان وجرجان
رأى الأمير الزيارى صلاحه في مماشاة السامانيين فيترك جرجان بنصيحة
البلعمي للأمير نصر ، فأصاب نصر فيها وفي قيادة الجيش وحكم خراسان
أبا بكر محمدا بن مظفر الجعاني ولم يتعرض مرد آويج قط الى ولايات
السامانيين ما دام حيا .

وفي خلال هذا الوقت أى فى (٣٢٢ هـ) مقارنة التاريخ الذى استولى فيه على بن بويه البويهى على شيراز فتح الأمير أبو بكر الجفانى والى خراسان كرمان بيد ماكان بن كاكى قائد مردآويج الذى كان قد لقى الهزيمة منه ولأذ بالسامانيين ، وطرده أبو بكر أبى على محمد بن الياس صاحب هذه الولاية منها ، وظلت كرمان لفترة تبغ خوزة السامانيين .

وبعد قتل مردآويج أمر نصر أبى بكر الجفانى وماكان بالسيطرة على جرجان وطبرستان والرى كما مر فى تاريخ الزياريين لكنهما لقا هزيمة مرة من عامل وشمكير أخى مردآويج وخلفه .

وفى (٣٢٧ هـ) عزل الأمير نصر أبى بكر الجفانى الذى كان مريضاً فى ذلك الوقت عن حكومة خراسان وولاه ابنه أبى على أحمد . وهاجم أبو على فى (٣٢٨ هـ) جرجان فى تعقبه لماكان الذى لحق مرة أخرى بأل زيار وانصرف عن السامانيين . وبعد أن استولى عليها عهد بها الى ابراهيم بن سيمجور ، وبعد قليل أى فى ربيع الأول (٣٢٩ هـ) أصاب بعون آل بويه من ماكان مقتلاً على مقربة من المرى وهزم وشمكير واستصفى للأمير نصر يلاذ أبهر وزنجان وقزوين وقم والكرج وهمدان ودينور وأوصل حدود الدلة السامانية وان لم يدم هذا الاتساع طويلاً حتى حدود عراق العرب . ومن أراد التفصيلات فى علاقات الأمير نصر والحسن بن بويه والأمير أبى منصور بن عبد الرزاق الطوسى يرجع الى أحداث عهد وشمكير بن زيار .

والخلاصة أن الوقائع الهامة التى حدثت فى مدة إمارة نصر بن أحمد التى دامت ثلاثين عاماً ومعاصرتة الوزراء والرجال والقادة المشهورين الأكفاء والشعراء من مثل الرودكى والشهيد البلخى (١) قد

(١) الشهيد البلخى المتوفى نحو عام (٣٢٥ هـ) هو أبو الحسن الشهيد بن الحسين بن شعراء العهد السامانى وحكائه وفضلائه حذى اللغتين العربية والفارسية ونبغ فى الفلسفة وناظر أبا بكر محمد بن زكريا الرازى فى مسائلها ، ومدح نصراً بن حمد وأبى عبد الله الجيهانى . وله فى أنواع فنون الشعر شعر يجملة مسنوايا للرودكى .

جعلت من نصر أشهر الأمراء السامانيين وكان هو نفسه رجلا كريما حلما عاقلا ذا فتوة وعفو . وابتلى نصر في آخر عمره بمرض السل ومكث مريضا به نحو ثلاثة عشر شهرا الى أن مات به ولقب بعد موته بالأمير السعيد .

٤ - نوح بن نصر

(٣٣١ - ٣٤٣ هـ)

ويجب أن نعد بداية اماره نوح بن نصر هي بداية عهد ضعف الدولة السامانية لأن هذا الأمير وكان في خوف من ثورة السنة والأتراك المتعصبين كما فعلوا مع أبيه ويود دائما الاستحواذ على رضاهم ، ألقى زمام أمور الدولة بعد بلوغه الامارة الى أحد فقهاء زمانه وقضاته بدلا من يعهد بها الى رجل جدير بها محنك بأمورها . ورغم هذا الوزير المؤثر كما كان عالما ورعا لكنه لم يكن على حظ بأمور السياسة . واجراء أمور الدولة وهو أبو الفضل محمد بن أحمد السلمي الملقب بالحاكم الجليل الذي كان يصرف أكثر أوقاته بعد وزارته لنوح في العبادة والصلاة وتصنيف الكتب في الفقه وقل أن اهتم بادارة البلاد السامانية ، ولهذا حدث انهيار تام في أساس الدولة السامانية . كما وضع الجنود أساس الشكوى والمخالفة حين لم تصلهم أجورهم من مدة قبل هذا الوقت بسبب الاغارة على الخزائن في أيام ثورة اخوة الأمير نصر وحين وفاته ، فلم يبذلوا في دفع الثورات التي شبت في خوارزم وفرغانة وخراسان الجهد الأتم والوفاء الكامل فاتسعت هوة الاختلال .

وفي العام الثالث لامارة نوح عزل نوح أبا على أحمد الجعاني حاكم وقائد جيش خراسان بسبب شكاية أهلها سوء سيرته وسيرة عماله من منصبه ونصب مكانه ابراهيم بن سيمجور . فاستاء لهذا أبو على الجعاني وهو الذي استقصى لنوح الري من الحسن بن بويه من فترة قليلة ،

فأدخل تحت امرته بعون أخيه الري وهمدان وبلاد الجبل وثار على نوح
ابن نصر ، ثم ضم اليه خفية بعضا من جنود نوح من ناحية واستمد
ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل الساماني ، وكان يعيش بالموصل ، وجيشه
الى همدان من ناحية أخرى وتحرك برفقته الى خراسان .

وفي هذه الأثناء حرص جنود نوح بسبب شكواهم عدم وصول
رواتبهم وضعف كفاءة الحاكم الجليل على عزل نوح وقتل هذا الوزير
في شهر جمادى الأولى (٨٣٣٥) ، كما سلم اليه أعني أبا علي الجعاني
قائدا نوح وهما ابراهيم بن سيمجور ومنصور بن قراتكين في خراسان .
وألقي أبو علي الجعاني بمنصور في السجن لكرهه له لكنه جعل من
ابراهيم السيمجوري خليفه له وتمكنا بهذا التحالف من مواجهة الأمير نوح
في مرو . وهرب نوح من مرو الى بخارى ومنها الى سمرقند وأجلس
أبو علي الجعاني عم نوح ابراهيم الساماني رسميا في إمارة نوح ببخارى .

ولم يطل الأمر حتى اصطدم أبو علي الجعاني بابراهيم الساماني
الذي كان بضد اللقاء القبض عليه ، فسلك الأمير الجعاني طريق
التركستان والجغانيان (الصاغانيان) وأطلق سراخ منصور بن قراتكين
الذي كان يحتفظ به في حبسه ، وتوجه منصور الى نوح بسمرقند .

وبعد رحيل أبي علي خلع ابراهيم نفسه من الإمارة وتركها لأبي
جعفر محمد أخى الأمير نوح وجعل من نفسه قائدا له . لكنهما عندما لم
يخذا في نفسيهما إمارة الإمارة تقدموا الى نوح وهو بسمرقند معشرين
وأعاداه الى بخارى . وعاد نوح الى بخارى وأدخل الجند العصاة تحت
امرته بمساعدة منصور بن قراتكين ثم سمل عيني أخيه وعمه يدفعه خبثه ،
وأطلق يد منصور بن قراتكين في قيادة جيش خراسان وحكومتها فأدخل
منصور خراسان ثانية في طاعته .

وبعد أن استقر الأمير نوح على كرسى الإمارة وجه همه لدفع أبي
علي الجعاني ولكن أبا علي سبق فقدم الى الصاغانيان الى بلخ ومنها

الى بخارى لكنه هزم قرب هذه المدينة في جمادى الأولى (٣٣٦ هـ) هزيمة قاسية وهرب الى الصاغانيان . وسيطر نوح على هذه الولاية ، وانهزم أبو على ثانية الى طخارستان وجمع منها جندا وأتباعا . وفي ربيع الأول (٣٣٧ هـ) . هاجم الأمير نوحا في ما حول الصاغانيان . وقطع الطرق عليه خلال المغاير النضيقة لهذه الولايات الجبلية وقطع اتصاله ببخارى . وفي النهاية تصالح نوح وأبو علي وقرر أن يبقى ابن أبي على رهينة في بخارى ويعفو نوح عن أبي على . وعاش أبو على من هذه الآونة حتى (٣٤٠ هـ) في الصاغانيان .

أما منصور بن قراتكين فقد ظل من (٣٣٥) حتى (٣٤٠ هـ) والى خراسان ودخل في صراع في هذه الفترة مع أبي منصور مجاهد بن عبد الرزاق الطوسي ، كما سبق ، ومع أبناء بويه ، أيضا حتى كان عام (٣٣٩ هـ) حينما أفاد من غياث ركن الدولة ، بن البري فاستولي عليها ، وتقدم حتى كرمانشاه وأجكم قبضته على أصفهان في تعقبه ركن الدولة ، لكن أمرا هاما لم يقع من لدنه . وفي المحرم (٣٤٠ هـ) عاد من أصفهان الى البري وحينما وافى نيشابور وافته المنية فطلب نوح أبا علي الجعاني من الصاغانيان وفوض اليه عمله الأول وهو قيادة جيش خراسان ومارتها وسرعان ما أدخل أبو علي خراسان اليه ، ثم توجه من جانب نوح في (٣٤٣ هـ) :العاونة وشمكير ومحاربة ركن الدولة لكنه تصالح كما رأينا مع ركن الدولة في البري . وعلى أثر شكاية وشمكير من أبي على عزله نوح من عمله فلابد أبو علي بركن الدولة .

وتوفي الأمير نوح بعد حكم اثنى عشر عاما وثلاثة شهور في ربيع الأول (٣٤٣ هـ) ولقب الأمير الحميد ، لقبه معاصروه بذلك ، لطيب سيرته وحسن أخلاقه .

• — أبو الفوارس عبد الملك بن نوح

(٣٤٣ — ٣٥٠ هـ)

صار الابن الأرشد لنوح بعد موته وهو الأمير الرشيد عبد الملك أميراً واستوزر بعد جلوسه أبا منصور محمداً بن عزيز وأبقى أبا سعيد بكراً بن مالك الفرغانى الذى عينه أبوه نوح فى قيادة جيش خراسان مكان أبى على الجغانى فى موضعه • ووفق أبو على هذا بعون من آل بويه وكان ساخطاً لعزله ، فى أن يستصدر من المطيع الخليفة العباسى منشور ولايته خراسان ومن ثم طالب بمنصب أبى سعيد •

وهاجم أبو على الجغانى وركن الدولة والحسن بن فيروزان جرجان وتقدموا حتى (جاجرم) فى خراسان لكنهم لم يقروا على الجيش السامانى فأبوا بالهزيمة الى طبرستان ومنها الى الرى • وبعد قليل أى فى رجب من (٣٤٤ هـ) مات أبو على الجغانى فى وباء عام حدث فى الرى وخلص السامانيون منه •

وسير أبو سعيد جيشاً كثيفاً بقيادة محمد بن ماکان عن طريق الصحراء لفتح أصفهان التى كانت تابعة لمؤيد الدولة لاتعابه ، وهزم محمد مؤيد الدولة وفتح أصفهان واستحوذ على أموال ركن الدولة وعياله • فأرسل ركن الدولة وزيره أبا الفضل بن العميد الى أصفهان وتمكن الوزير من أسر محمد بن ماکان وهزم جيشه وفرط عقده • وفى النهاية تصالح ركن الدولة وأبو سعيد وقر الأمر على أن يبقى ركن الدولة على جميع بلاد الجبل والرى وفى ازاء ذلك يرسل الى عبد الملك ببخارى مائتى ألف دينار سنوياً •

وبعد أن انتهت غائلة خراسان والرى أحضر أبو سعيد الى بخارى لأن جماعة من الجنود والأتراك كانت ساخطة عليه فتركته وقدمت تشتيكه لعبد الملك وتغور عليه سوء تصرفاته • وأمر عبد الملك بقتله فألقى

البتكين الحاجب (١) في (٨٣٤٥) به أرضا على باب قصر عبد الملك وقتله .
ثم طرح عقب ذلك بمحمد بن عزيز أيضا من الوزارة الى السجن وخلفه
أبو جعفر أحمد بن الحسين العتبي أما أبو الحسن محمد بن ابراهيم بن
نسيمجور فقد تولى قيادة جيش خراسان .

ولم تدم وزارة العتبي ولا قيادة أبي الحسن السيمجورى لأن
عبد الملك عزل الأول عن الوزارة في (٨٣٤٨) بسبب اسرافه في النفقات
وطعن الناس فيه وأتاب أبا منصور يوسف بن اسحاق في وزارته ، كما
عزل الثانى أيضا في (٨٣٤٩) بسبب تعديه على أهل خراسان وأجحافه
بهم واختار أبا منصور محمدا بن عبد الرزاق الطوسى في قيادة جيش
خراسان .

ولم يدع السعاة وذوو النفوذ في البلاط الوزير والقائد الجديدين
مطمئنين في أعمالهما خاصة البتكين كبير حجاب عبد الملك الذى كان له سطوة
رائدة عن المعتاد والذى تواضع مع أبى على محمد بن محمد البلعمى ابن
البلعمى الأول على أن يأخذ مكان أبى منصور الطوسى ويستولى البلعمى
على مكانة أبى منصور الوزير . وانتهت هذه المؤامرة بالتوفيق فبلغ أبو
على البلعمى وزارة عبد الملك والبتكين قيادة جيش خراسان وأطلقت
أيديهما في جميع أمور الدولة والجيش في عهد عبد الملك .

وسقط الأمير الرشيد عبد الملك في الجادى عشر من شوال (٨٣٥٠)
من فوق جواده وهو يلعب بالصولجان ووافاه أجله وخلفه أخوه منصور
ابن نوح كما سيلي .

(١) البتكين كلمة مركبة من : (الب) بمعنى البطل و (تكين) بمعنى
المسمى . والكلمة الأخيرة وصحتها تكن أو تين لانزال قروج كاسم علم بين
التركمان ، ويلحق هذا اللفظ (تكين) بكثير من الاسماء التركية مثل قراتكين
ونوشتكين واينالتكين وسبكتكين بمعنى مثل أو شبيهه . (هامبرى حاشية
(٢) ص (١١٧) .

٦ - أبو صالح منصور بن نوح

(٣٥٠ - ٥٣٦٦)

لما مات عبد الملك بن نوح رفع البلعمى ابنه نصرا للامارة بمشورة البتكين الا أن كبار الأسرة السامانية ورؤساء الجيش لم يقبلوا هذا الأمر وأغاروا على قصر عبد الملك ثم خلعوا نصرا بعد يوم واحد من الحكم وأمروا عليهم عمه أبا صالح منصور بن نوح ورضا البلعمى بهذا الأمر ونتيجة لذلك بقى في الوزارة .

أما من كان أكثر الناس سعيا لابلاغ المنصور للامارة فهو الأمير أبو الحسن بن عبد الله فائق الذى كان من الغلمان الروميين أصلا ، وكان من بدء طفولته في خدمة منصور بن نوح ومن خاصة مربية ولهذا سمي فائق الخاصة .

وكان تولى منصور بن نوح وفائق ومن ترك مناصرة نصر بن عبد الملك رغم أنف البتكين في حقيقة الأمر بحكم اعلان البتكين بالحرب وقطع علاقة بلاط بخارى به ، وكان البتكين نفسه أسرع من أدرك هذه الخطوة فعزم ترك خراسان . لكن الأمير السامانى أرسل أبا منصور محمدا بن عبد الرزاق قائدا لجيش خراسان ودافعا للبتكين وقابضاً عليه قبل أن يتحرك منها . واتجه البتكين من نيشابور الى بلخ ، ومع أنه تغلب في تلك المنطقة في نصف ربيع الأول (٥٣٥١) على جند الأمير منصور الا أنه سلك طريقه عن طريق طخارستان الى مدينة غزني وأقام بها .

أما أبو منصور الطوسى فبعد تحرك البتكين أطلق يديه في الاعتداء والنهب في بلاد خراسان ، ولما كان يعلم أن منصور بن نوح سوف يخلعه عن مقامه أعلن طاعته لركن الدولة الديلمى فندبه للاستيلاء على جرجان التى كان يحكمها وشمكير الزيارى في هذا الوقت مستظفرا بالأمير منصور . ومع أن ركن الدولة قد استولى على جرجان وطبرستان في

(٣٥١ هـ) من وشمكير وهزمه الى جيلان الا أن وشمكير قبل أن يحدث هذا رشا طبيب أبي منصور بألف دينار لكي يسقيه السم ، وقد عمل السم بعد هذا بقليل عمله في أبي منصور وهلك كما سيلي في النهاية بهذه العلة .

وعهد منصور بن نوح في أواخر (٣٥٠ هـ) أي حينما كان البتكين لا يزال في بلخ وأبو منصور عاصيا في خراسان الى الأمير أبي الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور والى خراسان السابق بقيادة جيشها . والتقى أبو الحسن السيمجورى وأبو منصور الطوسى يتقاتلان ولم يستطيع أبو منصور أن يقاتل وهو مسموم فوقع أسيرا أثناء القتال وقتله أحد غلمان الأمير السيمجورى .

وعامل أبو الحسن السيمجورى الناس هذه المرة خلاف السابقة برفق وعدالة وخير وتحاشى كثيرا من أعمال الظلم التي صدرت عنه سابقا ولم يتجاوز نيشابور لخمس سنوات بسبب اطمئنان أحوال خراسان .

وفي (٣٥٦ هـ) قدم أبو على بن الياس صاحب كرمان الذى أخرج الديالة البويهيون ولايته عن حكمه ، كما مر في تاريخ آل زيار ، الى بخارى لدى المنصور وأطمعه في ولايات آل بويه . فأمر المنصور أبا الحسن السيمجورى في خراسان ووشمكير والحسن بن فيروزان في جرجان والدامغان بفتح الري وقتال ركن الدولة فوصلوا الى حدود الري في آخر عام (٣٥٦ هـ) . ولكن وشمكير لما سقط في المحرم من (٣٥٧ هـ) في صيده من على جواده وهلك وصالح أخوه بيستون ركن الدولة انصرف أبو الحسن السيمجورى عن حربه وآب الى نيشابور .

ومع أن المنصور غضب لضعف رأى أبي الحسن السيمجورى الا أن أبا الحسن قصد بخارى ولم يترك حيلة أو تدبيرا حتى أرضى منصورا عليه فعاد الى منصبه بخراسان . وسعى في هذه المرة ومعه أبو جعفر العتبي شريك أبي على البلعمى في وزارة السامانيين في الصلح ما بين

آل سامان وآل بويه خاصة العتبي وابن العميد وزير ركن الدولة اللذان كانا فرسى الرهان في الفضل والكتابة تجمعهما الصداقة ، وفي النهاية عقد الصلح بين الدولتين في (٥٣٦١ هـ) وقرر أن يدفع ركن الدولة وعضد الدولة ما بين مائة وخمسين ألف دينار ومائتي ألف سنويا الى المنصور بن نوح وألا يتعرض منصور للرى ، ولاحكام هذه العلاقة زوج ابنته للأمير منصور •

ومات أبو علي البلعمي في (٥٣٦٣ هـ) واعتزل أبو جعفر العتبي الوزارة أيضا في نفس السنة ، ووزر أبو منصور يوسف بن اسحاق لمنصور وكان الوزير السابق لعبد الملك وسلف أبي علي البلعمي وبقي في الوزارة حتى (٥٣٦٥ هـ) • ففى هذه السنة اختار الأمير منصور أبا عبد الله أحمد بن محمد الجيهانى الذى احتفظ به بوزارته حتى آخر امارته • أما عن علاقة الأمير منصور السامانى بخلف بن أحمد الصفارى فقد سبق الحديث عنها ضمن تاريخ الأخير • ومات أبو صالح منصور بن نوح في الحادى عشر من شوال (٥٣٦٦ هـ) وأطلق عليه بعد موته الأمير السديد • وأبو علي البلعمي وزير منصور هو مترجم كتاب تاريخ الطبرى المعروف من العربية الى الفارسية الذى أتم ترجمته في (٥٣٥٢ هـ) بأمر الأمير السامانى ، وقد زاد الوزير المترجم على المتن العربى بعد اختصاره موضوعات اضافية •

٧ — أبو القاسم نوح بن منصور

(٣٦٦ — ٥٣٨٧ هـ)

بعد موت منصور خلفه ابنه نوح الثانى ذو الثلاثة عشر عاما ولما كان لا يزال آنذاك صغير السن فقد قامت أمه بإدارة أمور الملك • ولما أن بلغ نوح سن الرشد قرب لآحكام أساس امارته الأمير أبا الحسن السيمجورى وأبا الحارث محمدا بن أحمد بن فريغون والى

ولاية الجوزجانان وفائقا الخاصة وأبا العباس تاش حاجبه ، وقد مكن الأخيرين في أن يتدخلوا تماما في أمور الملك وأتاب أبا الحسن السيمجورى في خراسان وضم اليها هراة ونيشابور بلقب ناصر الدولة وتزوج من ابنته . ثم اتجه فكره الى اختيار وزير له فرفع أبا الحسين عبد الله بن أحمد العتبي الى وزارته وكان شابا ذا كفاءة وفضل مع وجود خصام ناصر الدولة أبا الحسن السيمجورى له .

وقد صار عداا أبا الحسن لوزارة أبا الحسين العتبي مقدمة لظهور خصومة شديدة بين ذلك الأمير وهذا الوزير وزاد أمر هذا العداء حدا جعل العتبي يعزل أبا الحسن عن حكم خراسان وقيادة جيشها ويعطى أعماله في (٣٧١هـ) أبا العباس تاش الذى كان من غلمان أبيه القدامى . ولقب نوح تاش هذا بلقب حسام الدولة وعاد ناصر الدولة السيمجورى الى قهستان وأقام بها منزويا .

وقد وافق عزل ناصر الدولة وتنصيب حسام الدولة على حكومة خراسان كما سبق هروب فخر الدولة الديلمى وقابوس الزيارى من طلب عضد الدولة ومؤيد الدولة من العراق وجرجان الى نيشابور ، وطلبهما عون نوح ، فأرسل نوح بناصر الدولة وفائق لدهما ولكن - كما سبق شرح ذلك - فائقا الذى تحالف مع ناصر الدولة سرا وتعادى مع حسام الدولة الذى رباه العتبي قد خان نوحا وكانت النتيجة أن جيش خراسان انهزم الى نيشابور أمام مؤيد الدولة بعد حصاره لجرجان . فأرسل أبو الحسين جيشا آخر من بخارى الى بلخ وعزم هو نفسه أيضا أن يأتى لمعاونة تاش ، لكنه قبل أن يتحرك اغتاله أتباع أبا الحسن السيمجورى وفائق في (٣٧٢هـ) فوقف أمر غزو نوح الثانى لجرجان وطبرستان ، ومع أن عضد الدولة لم يكن قد مات في هذا الوقت فقد كان جنده ومؤيد الدولة يستصفون خراسان أيضا من أيدي السامانيين .

واستدعى الأمير نوح بعد قتل العتبي والهرج والمرج اللذين عما

أمور الدولة جسام الدولة تاش من خراسان الى بخارا ، ولما رأى تاش بعد دخوله العاصمة أنه لن ينجو من حساده الكبار دخل اليهم من باب الإدارة ، فترك لهذا حكم بلخ الى فائق وقهستان وبادهغيس الى ناصر الدولة وهرارة الى ابنه أبي على السيمجورى وعاد هو الى نيشابور محتفظا لنفسه بقيادة الجيش . وبعودة تاش الى خراسان استوزر الأمير نوح عبد الله بن محمد بن عزيز ، وكان هذا الوزير من الأعداء السابقين لأبي الحسين العتبي ومن الخصوم الألداء لتاش ، ولما كان يعلم أن تاش يفكر في الانتقام لقتل العتبي والحاق الضرر بأعدائه جرض نوحا على عزل تاش وحل محله ناصر الدولة السيمجورى ، فلما لم ينجح تاش لهذا الأمر أمر الأمير والوزير ناصر الدولة وفائقا أن يدفعاه . وابتصرخ تاش فخر الدولة الديلمي الذي خلف مؤيد الدولة في الري وكان رأى من تاش أيام ضربه بوجهه في خراسان خيرا عديدا ، فأمدده فخر الدولة بألفى فارس . ولما لم ير ناصر الدولة في نفسه القدرة على المقاومة رحل الى قهستان واستتجد منها بشرف الدولة أبي الفوارس الأمير الديلمي لشيراز متأمس فخر الدولة ، وفي النهاية ، كما سبق ، ذاق تاش الوبان من القادة السامانيين فلاذ بفخر الدولة بالري . وترك فخر الدولة له جرجان واستراباد وظل تاش في حدودهما الى أن مات في (٣٧٧) أو (٣٧٨) ولم ير خراسان قط .

مقدمات انهيار الدولة السامانية :-

مع أن جسام الدولة تاش قد مات وهزم ديالمه الري ، الا أن الدولة السامانية التي كانت تيمم شطر الزوال لم تستطيع أن ترفع رأسها قوية ، لأن أكثر ولاياتها في هذا الوقت كان بيد عمال وحكام عاصين لبخارى . وكانت الخزائنة خاوية والوزراء بلا كفاءة يتعاقب بعضهم بعضا ، والقوة الأساسية بيد الغلمان الترك ورؤسائهم ، ووراء هؤلاء جميعا كان قواد نوح يخاصم أحدهم الآخر ويدعى عليه القيادة والولاية .

ومات ناصر الدولة السيمجورى أواخر (٣٧٨ هـ) ووعد نوح ابنه
أبا على منصبه مجبرا خائفا ، لكن فائقا لم يطمع أبا على خاصة أن نوحا
وحاشيته كانوا على اتفاق معه فى الباطن ، وصار هذا الحال باعث ظهور
النزاع بين أبى على وفائق والذى انتهى الى الحرب . وظفر أبو على
السيمجورى على فائق فيما بين بوشنج وهرارة ، فجعل نوح أبا على هذه
المرّة رسميا أي فى (٣٨١ هـ) القائد العام لجيش خراسان ملقبا إياه
بعماد الدولة وترك له هرارة التى كانت تحت سيطرة فائق . وتحرك فائق
بعد هزيمته يقصد السيطرة على بخارى ، لكنه هزم فى الحادى عشر من
ربيع الأول (٣٨٠ هـ) من قائدى نوح بكتوزون واينج(١) وهرب السى
بلخ وترمد ، وهناك تغلب على الأمير أبى الحارث الفريغونى عامل نوح
على الجوزجانان . ولما كان يبغض نوحا فقد تحالف مع صاحب كاشغر
الخان الافراسيابى بتوران أى شهاب الدولة هارون المعروف
بـ (بغراخان) (٢) ودعاه لأخذ بخارى . ويشاء الله أن أبا على
السيمجورى الذى عصى أمر نوح دفع مرتبات الجند وكان خائفا مغبة

(١) بكتوزون لفظ أو يغورى معناه الأمين العادل (غامبرى حاشية (١)
ص ١٢٣ من كتابه تاريخ بخارى) واينج أو ايفنج لفظ تركى يدل على الصدق
والاخلاص (المرجع السابق ح (٣) ص ١٢٠) .

(٢) هذه الأسرى أى أسيرة آل الافراسياب تسمى بالقراخانيين أو
الخانيين ، وقد سقطت أخيرا كما سنرى على يد السلطان محمد خوارزم
شاه (سياقى) .

ويذكر غامبرى حاشية (١) ص (١٢٠) أن (ايليك) لفظ أو يغورى معناه
الأمير أو الحاكم أو الوصى فهو بهذا ليس اسم علم نظيره فى ذلك كلمات
(تركمان) أو (ترخان) أو (خاتون) أو غيرها من الألقاب التى سبى بها العرب
والفرس الحكام الترك اذ ذاك .

أما ترخان بدورها (حاشية ٢ ص ٦٥ من كتاب غامبرى) أو طرخان
أو طرخون عند المؤرخين المسلمين والفرس فهو من ألقاب الشرف عند
التورانيين

وأخيرا فإن بغرا وعلى الأصح بقرا أو بخرا هو اسم الناقصة فى اللغة
التركية الشرقية ولم يكن من المستغرب قبل انتشار الاسلام بين الترك أن
يطلقوا اسم حيوان على ضريح أو شخص (ح ٢ ص ١٢٠ من الكتاب السابق)

هذا العصيان يستدعى بغراخان أيضا للسيطرة على بخارى . ولما رأى فائق أن خصمه توافق مع خان الترك وأن الطرفين قررا اقتسام الولايات السامانية طلب عفو نوح وعاد الى بخارى فأرسله نوح وإينج الحاجب لدفع بغراخان وهزم بغراخان في ربيع الأول (٥٣٨٢ هـ) جند نوح وسلم فائق لبغراخان وصار من أتباعه ، واستولى الخان الأفراسيابي نتيجة لهذا الفتح على بخارى وتركها نوح ومد يد الاستمداد لأبي على السيمجوري ، لكنه لم يجبه . ولما مرض بغراخان في هذه الأثناء ببخارى ومات في طريق عودته الى التركستان عاد نوح الى دار ملكه بعد تواريه وأمسك مرة أخرى بأزمة أمورها .

وعند عودة نوح قصد فائق بخارى للسيطرة عليها وكان والي بلخ من قبل بغراخان لكنه هزم من جند نوح فالتجأ مضطرا بأبي على السيمجوري فتحالفا كلاهما ضد نوح وصمما على الهجوم على بخارا . وازاء عصيان هذين القائدين القويين لم يجد نوح بدا من استتصاخ سبكتكين صهر البتكين السابق الذكر الذي خلفه في اماره غزنة وقام بفتوحات عظيمة في شرق أفغانستان الحالية ، وأتى سبكتكين الى ما وراء النهر ، وفي اللقاء الذي تم بينه وبين نوح أقسم يمين الوفاء وعقد العهد على دفع أعدائه ، ونهض يؤيد نوحا أيضا واليا خوارزم أو والي خوارزم ووالي الكرج وأمير الجرجانية (من بلاد خوارزم القديمة من خيوم الحالية) وهو أبو العباس مأمون بن محمد . وترك نوح قسما من البلاد التابعة للسيمجوري لهم وألحق بعونهم في رمضان (٥٣٨٤ هـ) بأبي على وفائق الذي استمد أيضا فخر الدولة هزيمة فادحة فلجأ هذان القائدان المتمردان الى فخر الدولة الديلمي بجرجان . ولقب نوح بعد هذا الفتح سبكتكين ناصر الدولة وأبنيه محمودا سيف الدولة ونصب محمودا قائدا لجيش خراسان بدل أبي على السيمجوري . واستقبل فخر الدولة أبيا على وفائق استقبالا حسنا وقرّر لهما مع هدايا مرسله اليهما جزءا من مال جرجان لنفقاتهما .

وفي (٣٨٥هـ) سمع أبو علي وفائق أن نوحا عاد الى بخارا وسبكتكين الى هراة وأن سيف الدولة محمودا في نيسابور وحيد ، فمزمزا ففتح خراسان . وطلب محمود عون أبيه ولكن قبل أن يصله تمكن من طرد أبي علي وفائق عن نيسابور ، ولما كانا غير مطمئنين على عاقبة أمرهما طلبا عفو نوح وأبديا الطاعة فلم يجبهما نوح وسبكتكين فجمع الطرفان جيشهما وتغلب نوح مرة أخرى مستعينا بجند سبكتكين ومحمود في جمادى الآخرة (٣٨٥هـ) في طوس على أبي علي وفائق اللذين نجيا بروحيهما وهربا الى خوارزم وطلبا أيضا منها عفو نوح . وكان نوح مستعدا الى أن يعفو عن أبي علي بشرط أن يخلع عنه صداقة فائق فرفع أبو علي يده عن حليفه فائق الذي قال له ان أمان نوح لا يعتمد عليه ، وقدم الى ملك خوارزم فصفده بالأغلال . وهاجم مأمون بن محمد أمير جرجانية في هذا الوقت شاه خوارزم فأسره وأبا علي معه . وبعد نيل عفو نوح أرسله الى بخارى لكن سبكتكين طلب الى نوح تسليمه له فسير نوح الأمير السيمجورى اليه في (٣٨٦هـ) ، فأورده سبكتكين وثلاثة من العصاة بعد نحو عام من الحبس في ٣٨٧هـ مورد الهلكة ، وبقتله زال اعتبار الأسرة السيمجورية وشوكتها .

أما فائق فقد رحل خوفا من نوح وسبكتكين الى بلاد الايلك نصر خان الافراسيابى خليفة بغراخان ومكث عنده معززا مكرما لكنه حرصه بعد قليل على التحرك الى بخارى ، لكن ايلك خان ونوحا بتدخل سبكتكين مالا الى الصلح ، ونتيجة لهذا عفا نوح عن فائق وأرسله لحكم سمرقند .

وفي (٣٨٧هـ) توفي نوح وسبكتكين وفخر الدولة الديلمي ومأمون ابن محمد أمير جرجانية الواحد بعد الآخر ، وصار باب المنافسة والصراع الى أشخاص آخرين .

وقد فتح استمداد قواد نوح العصاة لخانات التركستان وتوسل

نوح بسبكتكين وابنه محمود الباب لهاتين الطائفتين من الترك الصفر
البشرة أى أتباع آل افراسياب والغزنويين الترك الى ما وراء النهر
خراسان ، وكان هذا الأمر سيئاً جداً كما سنرى ، فقد أدى الى انهيار
الدولة الايرانية السامانية من ناحية وأصبح من ناحية أخرى مقدمة
لتأسيس الأسر التركية فى ايران •

٨ — أبو الحارث منصور بن نوح

(٣٨٧ — ٥٣٨٩)

مات الأمير أبو القاسم نوح بن منصور أى نوح الثانى فى الثالث
عشر من رجب (٥٣٨٧ هـ) ولما مات وقد لقب بالأمير الرضى خلفه ابنه
الصغير السن منصور الثانى ، ولم تمر مدة من الوقت على جلوسه حتى
خالفه عدد من رجال البلاط والأمراء ودعوا الايك خان الى بخارى فقدم
هذا الى فائق بسمرقند وسيره الى بخارى • وخرج منصور من بخارى
لكنه عاد اليها بدعوة فائق الذى كان يتظاهر بالاخلاص الى الأسرة
السامانية وبوساطة كبار بخارى وتسلط فائق على أمورها • ولما كان
سيف الدولة محمود قد ترك خراسان فى هذه الآونة بسبب وفاة والده
واستيلاء اسماعيل أخيه على غزنة وعاد اليها نصب منصور بكتوزون
الحاجب مكانه قيادة جيش خراسان • لكن فائقا الذى لم يكن على صفاء
مع بكتوزون فى الباطن دخل فى محادثات مع أبى القاسم السيمجورى
أخى أبى على الذى لجأ الى آل بويه بعد القبض على أخيه وكان يعيش
فى هذا العهد فى بلاط وأمه السيدة خاتون بالرى وحرصه على اخراج
بكتوزون من خراسان والاستيلاء على منصبه • وهاجم أبو القاسم
جرجان من الرى ومنها نيشابور ولكنه هزم من بكتوزون فى نيشابور فى
ربيع الأول (٥٣٨٨ هـ) وانهزم الى قهستان وهرارة • وفى عاقبة الأمر تصالح
أبو القاسم وبكتوزون على شريطة أن تكون قهستان وهرارة لأبى القاسم
وخراسان لبكتوزون •

وبعد انتهاء هذه المشكلة عاد سيف الدولة محمود الى خراسان بعد أن تغلب على أخيه وطلب من منصور منصبه السابق الذي كان يحتله بكتوزون في هذه الآونة ، فاعتذر منصور وأنبأه في حكم بلخ وترمز وقسم من حدود بست وهرارة ، فلم يقنع محمود بهذا الاقتراح ولما رأى انحياز منصور الى بكتوزون تماما هاجم نيشابور وهزم بكتوزون الى سرخس عند منصور واتفق بكتوزون ومنصور وكان كلاهما ساخطا على منصور على خلعه في النهاية فعزلاه عن الامارة في ١٢ صفر (٥٣٨٩) وبعد أسبوع سملا عينيه وأمروا طفله عبد الملك .

٩ - أبو الفوارس عبد الملك بن نوح

(من ١٢ صفر حتى ١٠ ذي القعدة من ٥٣٨٩)

ولما سمع سيف الدولة محمود بعزل منصور وسملا عينيه عزم على دفع فائق وبكتوزون للانتقام وفي أواخر جمادى الأولى في مرو واجههما وألحق بهذين القائدين الجحودين هزيمة نكراء فر على أثرها فائق برفقة عبد الملك الثاني الى بخارا وتوجه بكتوزون الى نيشابور ، وهاجم محمود نيشابور يتعقب بكتوزون فسلك الأخير طريق جرجان فرقا ، فبعث محمود بقائده أرسلان جاذب في عقبه وتمكن بكتوزون من أن يفر مدة من يد جند محمود ويتوارى عنهم الى أن انتهى به اللجوء الى بخارى . وسيطر سيف الدولة على خراسان لنفسه وأسقط اسم السامانيين من الخطبة وخطب مباشرة للقادر الخليفة العباسي وبهذا خرجت خراسان بيد أحد أبناء غلمان السامانيين عنهم . وقد عهد سيف الدولة بعد أن أدخل آل فريغون وأمراء بلاد الكرج تحت طاعته بقيادة جيش خراسان الى أخيه نصر وأقام هو نفسه في بلخ التي كانت مركز إقامة أبيه سبكتكين وأثرها قصبة له ولقبه الخليفة أمين الملة ويمين الدولة .

انهيار الدولة السامانية في ٣٨٩ هـ : —

بعد أن تمكن محمود من خراسان نال عبد الملك وفائقا وبكتوزون ثلاثتهم من محمود الهزيمة فركبهم الفرع من تسلطه على بخارا وما وراء النهر أيضا ، فجمع الثلاثة جموعهم لطرده هذا الند القوي الشكيمة وقصدوا استرجاع بخارى . ولكن اقتضت ارادة الله أن يوافي فائقا في الطريق في شعبان (٣٨٩ هـ) أجله ويظهر تصدع تام في أساس تجمعهم . وسمع ايلك خان شمس الدولة أبو نصر هذا وكان أخا وخلف ايلك خان نصر توجه الى بخارى متذرعاً بحماية الأمير الساماني وكان تحركه فيما يبدو لدعوة الشيعة والباطنيين له لسخطهم على السامانيين السنة المتعصبين . على أية حال قدم ايلك خان في العاشر من ذي القعدة (٣٨٩ هـ) الى بخارى وألقى القبض على بكتوزون الذي لحق بعسكره بطريق المداينة والملق ثم على عبد الملك وأخيه منصور الأعمى وسائر الأمراء السامانيين ، وانتهت الدولة السامانية بهذا على يد أمير تركي آخر من بخارى وما وراء النهر . وهذه الواقعة من أكثر وقائع تاريخ ايران شؤماً لأن من هذا الوقت قصرت يد العنصر الآري الايراني عن أحد أصل أقسام ايران وهو ما وراء النهر ، وعلى أثر الاستيلاء المتتابع للأتراك والأجانب غيرهم فقد أصبح هذا الاقليم الذي هو مهد الأدب الفارسي الاسلامي وموطن ومدفن لجمع كثير من كبار فضلاء ايران خارجاً عن تصرف الايرانيين كما أنه لا يزال خارجاً عنهم الى اليوم .

نظرة في الوضع الاداري وأسلوب حكم السامانيين : —

دامت دولة الأمراء السامانيين التي لم تخرج في وقت قط عن تبعية وقبول الأمر الروحي لخليفة بغداد وكانت تعتبر نفسها دائماً مطيعة منفذة لأوامر العباسيين مدة عشرة ومائة عام (من ٢٧٩ سنة وفاة نصر حتى ٣٨٩ هـ تاريخ استيلاء الايلك خان على بخارا) . وطول هذا القرن ولبضع سنين كان السامانيون وكان جميعهم على مذهب السنة يعترفون

بأن الخليفة العباسي ببغداد هو أمير المؤمنين أميرهم وأمير غيرهم وأنه الرئيس الروحي لهم مع أنهم كانوا إيرانيين (١) . وقد أقتفوا في سيرتهم هذه مسلك الطاهريين دستوراً لحياتهم وحكمهم ولهذا فقد كانت طبقة رجال الدين وعلماء الدين فيما وراء النهر وخراسان يستظهرون دوماً بالأمراء السامانيين خلاف من تشيع منهم الذين كانوا يحيون متوارين خوفاً من قوة السامانيين وعلماء أهل السنة . وكانت الشيعة إذا سنحت الفرص لهم يتعاونون مع أعداء السامانيين ويدعونهم سرا للقضاء على أسرهم (٢) .

ومع أن الأمراء السامانيين كان لهم في الظاهر حق عزل وتنصيب جميع القادة العسكريين والمدنيين في ولاياتهم لكن قدرتهم هذه كما رأينا أخذت في الضعف من عهد الأمير نصر بن أحمد فصاعداً وتدخل في عمل الأمير منهم في الغالب رجال البلاط ورؤساء الجيش ، ولم يكن للأمير حيلة غير الانصياع لأمرهم .

وكانت إدارة الولايات السامانية في يد ذوى النفوذ في مؤسستين أو جهازين أولهما البلاط وثانيهما الديوان .

وكانت رئاسة البلاط الساماني لشخص اسمه (حاجب سالار) أى كبير الحجاب أو (حاجب بزرگ) بنفس المعنى وكان مسيطر على جميع

(١) وكان المؤلف يعنى أن الله تعالى قدر مذهب التشيع لإيران وإيران للتشيع والثورة على العرب والإسلام السنن أمراً خاصاً بالإيرانيين ، وهذا يؤكد الأدلة السابقة تعصب المؤلف ومحليته .

(٢) كان الأمراء السامانيون غير نصر أخى اسماعيل الذى لم يلبس الأمازة تسعة نفر وقد عدد العنصرى (الشاعر الكبير الغزنوى ملك شعراء بلاط محمود الغزنوى ، توفى ٤٣١ هـ) فى قصيدة تنسب إليه أسماءهم هكذا :
نه قن بودند زال سامان مشهور

هريك بامارت خراسان مأمور

اسماعيلى وأحمد ونصرى

دونوح ودو عبد الملك ودو منصور (سياقى)

ومعناها : تسعة نفر كانوا من آل سامان مشهورين : . وكانوا كل منهم بامارة خراسان مأمورين اسماعيل وأحمد ونصر : . والنوحان وعبد الملك والمنصوران

الأمر الداخلي للأمير ولمنزله خاصة إذا كان الأمير صغير السن ، وكانت أزمة الأمور في حقيقتها في يد كبار الحجاب .

وكان لكل أمير ساماني عدد من الغلمان والحراس الشخصيين وكانت قيادتهم ورئاستهم لـ (أمير الحرس) وكان يعمل هذه الفرقة حفظ حياة الأمير . وكان الأمير يترك حكم العاصمة أي بخارن دأما في مسئولية شخص يسمى (صاحب الشرطة) .

أما حكومة الولايات فكان تودع من طرف الأمير وغالبا بإشارة كبير الحجاب أو الوزير للأمر أو قادة الجيش ، وكان حكم خراسان في هذا الوقت يتمتع بأهمية كبرى لأن حاكم خراسان كان القائد العام لجميع الجيش الساماني أيضا . ولهذا فقد كان الأمراء السامانيون يختارون لهذا المنصب حيناً عن طوعية وأحياناً كثيرة خوفاً وحيطة القواد المشهورين وكبار الأسر القديمة ، حتى أن هذا العمل كان في الغالب وراثياً في بعض الأسر وكان يشب من أجل الحصول عليه بين رؤساء الجيش وأفراد أسر عديدة النزاع كما كان الأمر مع آل محتاج وأسرة قرانكين وآل سيمجور إذ كانوا في نزاع دائم من أجل الحفاظ على هذا المنصب أو الاستيلاء عليه وكانت خراسان تنتقل بينهم في أغلب أيام الدولة السامانية .

أما رئاسة الديوان الساماني فقد كانت للوزير الأمير أو (السيد الكبير) (خواجه بزرگ) الذي كان يعد رئيس الدولة وصاحب تدبير الأمير وكانت له الرئاسة على جميع أهل القلم والدفتر أي الكتاب والمستوفين (مأموري الجمع والخرج) والمشرقيين (ناظري الخرج) والعمال الماليين ، وكانت جميع أمور الدولة في واقعها في يده . ولما كانت السيرة الجارية أن ينتخب الأمير الوزير مع أخذ رأي قائد جيش خراسان فقد كان قادة جيشها يتدخلون في عزل الوزراء ونصبتهم ويحدث لهذا هرج ومرج في أعمال الديوان ، وكان سبب هذه الحالة أن الوزراء كان

عليهم أن يبلغوا نفقات الجيش التي كانت تحت أمر قاداته فكانوا إلى حد ما تابعين لهم مآتمرين بأمرهم • وبمجرد أن وزيراً كان يتكاسل في أداء هذه الوظيفة أو اظهار الخضوع لقائد الجيش الذي يمتلك القوة كان أمره ومكانته يتزلزلان تزلزلاً •

وكان أغلب نظام الديوان الساماني وتشكلاته مرهونا بكفاءة أبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير الأمير نصر بن أحمد الذي كان حكيماً محنكاً شهماً وكان يتبع المانوية باطنياً ويعد بين الزنادقة كما اصطلح على المانويين ، وكان كسائر المانويين العارفين والمتعلقين بالآداب القديمة الأيرانية معرفة كاملة يدخل في إدارة الديوان الساماني كثيراً من مراسم العهد الساساني وتشكيلات إيران لعهدهم ، فقد كتب ، كما ينقل المؤلف عن زين الأخبار للكرديزي (١) إلى كل بلاد العالم الكتب وطلب رسوم كل بلاط وديوان لكي تنسخ له وتبعث ، مثل ولاية الروم والتركستان والهند والصين والعراق والشام ومصر والزنج وزابل وكابل والسند والعرب ؛ أتت رسوم الدنيا إليه ووضعت نسخها أمامه فتأمل فيها ملياً وأخذ من بينها ما كان أفضل وأحسن وترك نقيضهما وأخذ بالأفضل منها وأمر بأن يسير كل أهل البلاط والديوان في بخارى على هذا المراسم فانتظم أمور المملكة جميعها برأى الجيهاني وتديره • أ • ه • وعن طريق هذه المعلومات ألف الجيهاني كتابه المشهور جداً في علم الجغرافيا ومعرفة البلاد والطرق والآداب وعقائد الأمم المسمى بالمسالك والممالك وقد ضاع هذا الكتاب وهو من أقدم كتب هذا العلم وأكثرها اعتباراً للأسف •

(١) الكرديزي هو أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الكرديزي الغزنوي من كتاب العصر الغزنوي والمعاصر للسلطان عبد الرشيد ابن مسعود بن محمود الغزنوي ، وقد ألف تاريخه الكبير زمن هذا السلطان والمعروف بزين الأخبار وتناول فيه التاريخ من بداية الخليفة حتى نهائية حكم السلطان مودود بن مسعود الغزنوي (٤٤٤هـ) •

أما ديوان السامانيين الذي انتظم بيد الجيهاني والبلعمي وسائر الوزراء الأيرانيين فقد كان تقليدا لديوان الخلفاء العباسيين في بغداد الى حد ما ، فقد كان تحت أمر الوزير ، كمثل ديوان بغداد ، عدد من صاحبي الدواوين الأخرى مثل أصحاب ديوان الاستيفاء (ما يساوى تقريبا وزارة المالية أو الدخل والمنصرف) وديوان الأشراف (أو مراقبة المنصرف) وديوان البريد (المخابرات) وديوان الأوقاف وديوان القضاء (اجراء أحكام الشرع) وديوان الرسائل أو الانشاء (ديوان كتاب الأمير والوزير أو ما يساوى حاليا وزارة الخارجية) وغيرها .

وقد انتقلت نفس هذه التشيكلات من السامانيين الى خلفائهم الغزنويين والسلاجقة وملوك خوارزم وظلت قائمة حتى عهد المغول وكان يتوارثها طبقة الوزراء والكتاب والمستوفين التي كانت تنفذ وتحفظ هذا النوع من الادارة جيلا عن جيل واذا مازالت أسرة كان يخلفها أسرة جديدة في الخدمة لتنفذ وترعى سيرة الأسرة السالفة .

لكنه يتوجب العلم أن هذا النوع من الادارة لم يكن جاريا في كل الولايات السامانية وكان منحصرا تقريبا في بلاد ما وراء النهر وخراسان ، لأنه كان لكل عدد من النواحي التابعة للسامانيين مثل الصاغانيان والجوزجانان وخوارزم وجرجانية وسيستان وغزنة تشكيلات خاصة به مختلفة عن بقية الدولة وكانت تعيش تحت امرة أمراء نصف مستقلين محليين وكان السامانيون قانعين بتحملهم تبعة أنفسهم مع ائتمارهم بأمرهم .

ومن عهد اسماعيل وأخيه نصر نتيجة لغزوات السامانيين في حدود بلاد الكفار التركستانية نفذ عدد كبير من الأتراك أسرى وغللمان الى ما وراء النهر وتجمعوا في بخارى في البلاط الساماني وخدمة الوزراء والأعيان وقواد الأمراء ودخلوا في سلك الخدمة والاتباع ، وقد تزايد نفوذ هؤلاء الغلمان تدريجا حتى صاروا من خواص الحجاب ومربي أبناء

الأمراء والأعيان وبلغوا المقامات العالية كآل سيمجور والبتكين وفسائق
وبكتوزون •

وفضلا عن هؤلاء الرؤساء الأتراك فقد دخل عدد وفير أيضا من
هذه الطائفة ضمن الجيش الساماني وفي عداد حراس بلاط الأمراء وتغلب
بالتدريج الأتراك المقاتلون في الجيش الساماني ، وفي الجيش الذي
ينبغي أن يدافع عن البلاد الآرية الإيرانية في مواجهة سيل هجوم قبائل
الترك الثورانيين ، الذين كان يسكنون من نهر سيحون حتى حدود الصين
والمحيط الهادي ، كانت الأكثرية والرئاسة للعنصر التركي • وكان هؤلاء
الترك كما رأينا فضلا عن أنهم لم يبدلوا مقاومة أمام الأيلكخانيين يدعونهم
للاستيلاء على بخارا والقضاء على السامانيين بعون منهم وفي النهاية
انتهت الدولة السامانية على يد نفس أولئك الترك •

أسماء الأمراء السامانيين وزمان امارة كل منهم

- ١ — الأمير العادل الأمير الماضي أبو ابراهيم اسماعيل بن أحمد
(٢٧٩ — ٢٩٥ هـ)
- ٢ — الأمير الشهيد أبو نصر أحمد بن اسماعيل
(٢٩٥ — ٣٠١ هـ)
- ٣ — الأمير السعيد أبو الحسن نصر بن أحمد
(٣٠١ — ٣٣١ هـ)
- ٤ — الأمير الحميد أبو محمد نوح بن نصر
(٣٣١ — ٣٤٣ هـ)
- ٥ — الأمير الرشيد أبو الفوارس عبد الملك بن نوح
(٣٤٣ — ٣٥٠ هـ)
- ٦ — الأمير المؤيد الأمير السديد أبو صالح منصور بن نوح
(٣٥٠ — ٣٦٦ هـ)
- ٧ — الأمير الرضى شاهنشاه أبو القاسم نوح بن منصور
(٣٦٦ — ٣٨٧ هـ)
- ٨ — الأمير أبو الحارث منصور بن نوح
(٣٨٧ — ٣٨٩ هـ)
- ٩ — الأمير أبو الفوارس عبد الملك بن نوح
(من ١٢ صفر حتى العاشر من ذي الحجة ٣٨٩ هـ)

الفصل السادس

الغزنويون

(٣٥١ - ٥٥٨٢)

بداية أمر الغزنويين :-

ينتسب الغزنويون الى غزنة أو غزني أو غزنيين من مدن أفغانستان الحالية الواقعة في سفوح جبال سليمان وكانت المركز الأول والعاصمة للغزنويين ، وقد بدأت منها أهميتهم واعتبارهم .

وأول من يعد في الحقيقة المؤسس من بين الأمراء الغزنويين أولئك الحقيقي للأسرة الغزنوية هو أبو اسحاق البتكين الذي مر ذكره في تاريخ السامانيين ، وكان غلاماً تركياً ابتاعه الأمير الشهيد أحمد بن اسماعيل ، ثم دخل خدمة أخيه نصر من بعده ، ثم بلغ في عهد أماره عبد الملك الأول منصب رئاسة الحجاب كما رأينا ، والبتكين هذا هو الذي قتل بكرا بن مالك قائد الجيش الساماني في بخارى في (٣٤٥ هـ) ، ثم رقى في (٣٤٩ هـ) منصب قيادة جيش السامانيين وحكومة خراسان .

ظل البتكين من (٣٤٩ هـ) حتى أواخر (٣٥٠ هـ) في خراسان . وفي هذا الوقت ، كما رأينا ، اصطدم بالأمير منصور بن نوح ، ومع أن البتكين ألحق الهزيمة بجند منصور على مقربة من بلخ ، وأنه كان بحوزته أملاك ومتعلقات في خراسان وما وراء النهر (١) فقد يمم ببطر أفغانستان لعله

(١) ذكر أن عدد ضياعه وأملكه وصلت خمسمائة وقطيع أبقامه ألف ألف ، وعشرة آلاف جوادا وبغلا وجملا (سيأتي) .

كان يتجنب مقاتلة ولي نعمته ، وكانت أفغانستان وقتها دارا للكافرين
فغزوها للجهاد .

وبلغ البتكين في أوائل عام (١٣٥١ هـ) مدينة غزنة وغلب أميرها
الأمراء أبا على وأقام بها أميرا وجعل منها دار اقامته . ومن ثم يعتبر
عام (١٣٥١ هـ) بداية تأسيس الأسرة الغزنوية ولو أن استقلال الغزنويين
يبدأ بعام (١٣٨٧ هـ) حينما جلس السلطان محمود على العرش .

ومن عام (١٣٥١ هـ) حتى (١٣٥٢ هـ) سنة موت البتكين ، كان البتكين
مشغولا بالجهاد في حدود كابل ومعابر المناطق الجبلية شرقى أفغانستان .
واستولى في هذه الفترة على مدينة كابل ثم دخل في حرب مع أحد
راجبات السند . وقبل أن تنتهى الحرب مات البتكين وخلفه ابنه اسحق
في امارة غزنة .

وبعد عام من تولى اسحاق الامارة ، أخرجه أبو على أمير غزنه
السابق الذى طرده البتكين قبل ، منها فهرب اسحاق الى بخارى واستمد
الأمير منصور بن نوح . فأبلغه منصور امارته السابقة بشرط أن يعتبر
نفسه تابعا له ، فقبل وسك عملة غزنة وخطب على منابرها باسمه .

ووقعت اماره غزنة بعد موت اسحاق في (١٣٥٥ هـ) في يد غلمان
البتكين وتولاها منهم اثنان وأحد بعد الآخر بموافقة جنوده ومجاهدى
جيشه الى أن ضارت في العشرين من شعبان (١٣٦٦ هـ) نصيب سبكتكين
صهر البتكين . وسبكتكين مثله كمثل البتكين من الغلمان ذوى الأصل
التركي اشتراه البتكين من تجار الرقيق في عهد عبد الملك الأول من
نيشابور ثم شرفه بتزويجه ابنته .

ومع أن ابلتكين هو الذى وضع أساس الدولة الغزنوية الا أن
المؤسس الحقيقى لهذه الأسرة هو سبكتكين لأنه مد حدود دولتها شرقا
وجنوبا باستيلائه على مناطق واسعة ثم امتلك في الغرب خراسان
وحكومتها فامتست البلاد الغزنوية اتساعا كبيرا .

وأول فتح لسبكتكين هام هو استيلاؤه على مدينتي قصدار (من بلاد اقليم مكران القديمة الواقعة في بلوچستان الحالية) وبست (من مدن سيستان السابقة في الوادي الأوسط لنهر هيرمند) في (٥٣٦٦ هـ) .
فقد توبل أمير بست (طغان) بسبكتكين من شر بايتوز أمير قصدار ووعد ان أمدّه في استخلاصه بست من بايتوز أن يؤدي له مالا .
فاستخلص سبكتكين بست منه وألحق به الهزيمة . فلم يف طغان بوعده وأعلن عصيانه لسبكتكين فقاتله الأخير واستولى على بست ثم ألحق بها قصدار ودخلتا من يومئذ تحت حكمه وأمره . ومن الغنائم التي ضارت من نصيب سبكتكين في هذا السفر التحاق الشاعر والمنشيء العالي القدر أبي الفتح علي بن محمد البستي بخدمته وكان من البداية يعيش في بلاط بايتوز ويعمل كاتباً له .

وبعد هذه الفتوحات نفذ سبكتكين الى سهل السند من معابر سلسلة جبال سليمان وهزم ملك طائفة الراجبوت المسمى (جيال) وضم اليه مدينة بيشاور وعاد محملاً بالغنائم والأموال الضخمة الى غزنين .
وقد سبق ذكر تفصيلات دعوة سبكتكين وابنه محمود في (٥٣٨٤ هـ) عن طريق الأمير نوح بن منصور ووصولها الى قيادة جيش السامانيين وحكومة خراسان ثم حروبهما للمتمردين من قواد نوح في تاريخه ولا حاجة الى تكرارها .

٢ — أبو القاسم محمود بن سبكتكين

(٣٨٧ — ٥٤٢١ هـ)

مات أبو منصور ناصر الدولة سبكتكين ، وكان اختار في أواخر أيامه بلخ عاصمة له وكان يعيش بها ، حينما كان قادماً من بلخ في طريقه الى غزنة في شعبان من (٥٣٨٧ هـ) وكان ابنه الأكبر سيف الدولة محمود في نيشابور في هذا الوقت منشغلاً بإدارة أمور خراسان .

نزاع محمود واسماعيل : —

وحينما وصلت جنازة سبكتكين الى غزنة رفع جنده ابنه الأصغر

اسماعيل بناء على وصيته الى منسند الامارة ، فترك محمود خراسان واتى هراة وقدم عمه بجراجلق مساعدته له ونهض أخ له آخر اسمه نصر من بسك لده ، وظفر محمود على أخيه اسماعيل بالقرب من غزنة ، فأمنه وأنزله من قلعة غزنة وأشركه معه في الامارة ، لكنه ألقى به في السجن بعد قليل لسوء ظن به ومات اسماعيل في السجن ، وكانت مدة امارته سبعة شهور •

ثورة الأمير منتصر الساماني :-

ولما استقر ايلك خان على بخارا حبس أبناء نوح بن منصور أو أخوة الأمير عبد الملك وبضعة نفر من أقاربهم ، وأبعد بعضهم عن الآخر وفرقهم في البلاد • وتمكن أبو ابراهيم اسماعيل بن نوح من الهرب من حبس الأيلك في اوزقند برداء نسائي وتوجه الى خوارزم وجمع منها جمعا وظفر بهم ملقبا بالمنتصر على أتباع الملك الايلك وأخذ بخارى • لكنه لم يطق المكت بها فانطلق مهاجما نيشابور وأخرجها عن قبضة نصر بن سبكتكين أخى محمود • ونال منتصر هزيمة من يمين الدولة فلاذ بقابوس الزيارى ومنه الى طوائف الغز وسلجوق الساكنين على حدود خوارزم وأسترد بعونهم بخارى • لكنه لم يطمئن الى أتباعه الترك ففر تحت جناح الظلام ولم يجد حيلة لكي يسترد ملك أجداده الا أن يتوسل بيمين الدولة محمود • فخف محمود لنجدته وغلب ايلكخان واستقر منتصر على بخارى •

لكن الايلك بعد عودة محمود طرد منتصرا من بخارى فهام على وجهه فترة في خراسان وقهستان وطبرستان حتى استقر به المطاف عند قبيلة عربية مهاجرة عند بخارى ، فقتله في (٥٣٩٥ هـ) بأمر من أعدائه ، وهكذا انتهى آخر داعية كبير للأسرة السامانية وكان رجلا رشيدا فاضلا وشاعرا وارتاح منه الايلك ومحمود وكانا قلقين منه وخلقى الميدان لهما للمد التركى •

حرب محمود لخلف بن أحمد السيستاني : -

كان خلف بن أحمد الذي وقفنا على أحواله في أواخر تاريخ الصفاريين يعيش في عداة خفي ومنافسة لسبكتكين ومحمود من حين أن استوليا على خراسان بسبب مجاورة ملكه لملكهما مع وجود الصداقة الظاهرية لكنه إذا ما سنحت له الفرصة كان يغير على أطراف بلاد الغزنويين وكانت قهستان وهراة أكثر مناطق نزاع الطرفين وكان يحكمها بغراجق أخو سبكتكين وعم يمين الدولة محمود . وفي (٣٨٧ هـ) لما وصلت خبر أنباء موت سبكتكين مسامع خلف أخذ منه السرور حتى أنه سير ابنه طاهر للاستيلاء على بوشنج فاستصفاها من يدي بغراجق . فأمد محمود عمه ورده لدفع طاهر بن خلف . وأصاب طاهر هذه المرة أثناء الكر والفر من بغراجق مقتلا فأشعل نار غضب محمود .

وفي (٣٩٠ هـ) كان خلف متوجها للقلعة اسبهد اخدي قلاع سيستان الحصينة وبرفقته ولده وأهله حين فاجأه محمود مع كثرة من جنده عند هذه القلعة ، ولم يكن مع خلف أحد فبقى بها محصورا . ولم يجد خلف بدا من التسليم فنجا من حصره بعد أن افتدى نفسه بمائتي ألف دينار وسلك محمود طريق الهند .

وبعد هذه الواقعة أنزل خلف انتقامه الفظيع الذي جاوز حدود الفخاعة بمن ساعدوا محمودا ، وبلغ انتقامه وفظاعته حدا جعل ابنه طاهرا يثور عليه . لكن خلفا تظاهر بأنه اعتزل الامارة وانشغل بالعبادة والعزلة وخدع ابنه بالحنيلة والتذبير واطهار شفقة الأب على ابنه ، فلما سلم ابنه ، قتله أبوه بيده ثم غسله وكفنه وأوسده الثرى في (٣٩٢ هـ) . وجأر أهل سيستان في النهاية من مظالم خلف واستدعوا محمودا لكي يأخذ بلدهم لينجوا من شروره وخف محمود الى هذه المدينة وكان يترقب مثل هذه السانحة فحصر خلفا في قلعة (طاق) إحدى قلاع سيستان . وبعد أربعة شهور من المقاومة سلم خلف واستولى محمود في صفر من (٣٩٣ هـ) على سيستان وأرسل بخلف الى الجوزجانان لكنه ألقى به في

السجن لما سمع بمكاتبة الایلکخان ، ثم قتل في (٣٩٩ هـ) في سجن دهرک
بین زرنج وبست .

السلطان محمود وخانات التركستان :-

لقب الخليفة القادر كما سبق محمودا في ذي القعدة من (٣٨٩ هـ)
بيمين الدولة وأمين الملة وخلف السامانيين في خراسان وضم الى اسمه
من هذه الأيام أيضا لقب السلطان وعمل به . ولفظه (سلطان) عربية
بمعنى السلطة والقدرة والهيئة الحاكمة وكانت تستخدم للخلفاء ورأبجة
قبل محمود ، وكان أغلب الشعراء والمنشئين والأتباع لآدي محمود يلقبونه
به ولم يكن لقبه الرسمي قبل ذا .

وكان الخانيون أو الخانات الذين استولوا من حدود هذا الوقت
(٣٨٩ هـ) على ما وراء النهر وكانوا قد خلفوا السامانيين في تلك البلاد .
كانوا مسلمين يعدون قبول أمر الخليفة العباسي فرضا ويعتبرون أنفسهم
كالغزنويين أتباعا للخليفة القادر ويسكون عملتهم ويخطبون باسمه .

وقد وقع نزاع بسبب منتصر الساماني بين محمود والایلک نصر خان
غير أن هذه الفتنة قد خمدت وتزوج محمود ابنة نصر وبدأ السلام بين
هذين الأميرين التركيين وأضحى نهر جيحون الفاصل بين مليکهما . وقد
تلقى محمود هذا الصلح بحبور لأنه يترقب الفتح في الهند ونذر أن يغزوها
كل عام ويريد أن يفرغ للاهتمام بها . لكن الصلح لم يدم طويلا لأن
الایلک نصرا بمجرد أن توجه محمود لاحدى غزواته وأقام في المولتسان
بالسند (٣٩٦ هـ) أرسل قائده (سباشى تكين) للسيطرة على خراسان من
ناحية و (جعفر تكين) حاكم بخارى الى بلخ للاستيلاء على طوس
ونيشابور من ناحية أخرى . فعجل محمود الى خراسان وهزم جعفر
وسباشى وأنقذ خراسان من سيطرة الخانيين . وفي السنة التالية عبر
الایلک نصر بعون قدرخان بن بغراخان السابق الذكر والى الختن بجند
آخرين وأسرع لمحاربة محمود وكان مقيما في طخارستان في هذا الوقت

مع جمع من الأتراك الغزو الخلجيين (١) والأفاغنة والهنود وخمس مائة
فيل حربى . وفي الثاني والعشرين من ربيع الثاني من (٥٣٩٨ هـ) على كتب
من جبر (جرخيان) على نهر بلخ في صحراء (كتر) على بعد فراسخ
أربعة من بلخ اشتبك الطرفان ولقى جيش الخانيين هزيمة قاسية وغرق
جزء هام منهم في الماء حين فراره .

ومعركة كتر إحدى الوقائع العظيمة الأهمية في تاريخ الغزنويين
لأن خطر الخانيين من هذا الوقت حتى عهد السلاجقة قد انتهى عن
خراسان . أما نصر فقد ثار عليه أخوه (طغان خان) بسبب هزيمته
وتحالف مع محمود ، ولم يستطع الخانيون بسبب نشوب الاختلافات
الداخلية بينهم منافسة محمود أو مساواته بل كان كل منهم يستمدد على
الآخر وكان حكمه جاريا متبعا في بلادهم .

فتح خوارزم وجرجانية في ٤٠٧ - ٤٠٨ هـ : -

كانت خوارزم ، وهي منطقة خيوة الحالية (٢) تحت إمرة أسرته
من الأمراء على عهد السامانيين أولاها أسرة المأمونيين التي حكمت على
الجزء الشمالي لنهر جيحون وكانت عاصمتهم مدينة جرجانج
أو الجرجانية أو أورجنج مدينة خيوة الحالية محلها ، وثانيهما
الخوارزمشاهيون القدماء الذين سيطروا على الساحل الأيمن أي الجزء
الشرقي لنهر جيحون وكانت عاصمتهم مدينة كاث أو شهرستان .
وقد سبق ذكر لأبي العباس مأمون بن محمد صاحب جرجانية وقلنا

(١) (الغز) سوف يرد في تاريخ السلاجقة أصلها ، أما « الخلجيون »
فمنسبه إلى خلج وهي تحريف للفظ « خلج » بكسر الخاء وهو لفظ تركي أو
ايغوري قديم ينطق في التركية الحديثة « قلج » بمعنى السيف ، وقد يرسم
قلج واخلج وغلج . (انظر تاريخ بخارى ، أرمينيوس غامبري ، ترجمة
د. أحمد الساداتي ص ٤٨ حاشية ، و ص ٨٤ ج ١) .
(٢) كانت خيوة تعرف في القديم باسم خيووك وهو لفظ من أصل تركي
كان غير معروف زمن السلاجقة ، وسوف يأتي تاريخهم (المرجع السابق
ج ٢ ص ٢١٧) .

ان هذا الأمير حمل على أبي عبد الله خوارزمشاه صاحب شهر كاث
(٨٣٨٥ هـ) الذي كان قد أسر أبا علي السيمجوري واستخلص منه خوارزم
الشرقية وقتله في نفس هذه الآونة في مقابل أبي علي السيمجوري ، وقد
أطلق على أبي العباس صاحب جرجانية من هذا الوقت خوارزمشاه أي
ملك خوارزم في حين أن هذا اللقب كان لولاة كاث .

وبعد وفاة أبي العباس في (٨٣٨٧ هـ) خلفه ابنه أبو الحسن علي
وقبل بيعته للخانيين بعد سقوط السامانيين ، وبما أن محمودا قد تغلب
عليهم فقد ساهل أبو الحسن وتزوج من أخته .

وتولى جرجانية وخوارزم أبو العباس مأمون بن مأمون بعد أخيه
أبي الحسن وتزوج هو أيضا بأخت أخرى لمحمود وكان مطيعا للسلطان
مجبورا حتى (٤٠٧) سنة قتله ولكنه كان يظهر الاخلاص والمحبة
للخانيين .

وفي نفس العام ساء ظن محمود بخلوص نية أبي العباس فطلب
اليه أن يخطب له في خوارزم فتظاهر خوارزمشاه بقبول طلبه ، لكن
أعيان خوارزم وأمراءها لم ينصاعوا وثاروا على حاكمهم وقتلوه وأمروا
عليهم ابن أخيه أبا الحارث محمدا بن علي . فقصده السلطان محمود
خوارزم بحجة الانتقام لدم أبي العباس خوارزمشاه وانقاذ أخته
بجيش ضخم ، وبعد معركة في (هزاراسب) بالقرب من جرجانية هزم
جند خوارزم شاه هزيمة شديدة ، ثم دخل في الخامس من صفر (٤٠٨ هـ)
جرجانية وقبض على جميع أفراد الأسرة المأمونية وأتى بهم غزنة وترك
خوارزم الى قائده المشهور آلتون تاش وزال آل مأمون وصار آلتون
تاش ملك خوارزم .

كان أفراد الأسرة المأمونية أغلبهم فضلاء محبين للفضل وكانت
جرجانج في عهدهم مركز اجتماع العلماء والفضلاء حتى أن أبا علي بن
سينا كان يعيش هناك في بلاط أبي الحسن علي وأبي العباس مأمون ،
وكان أبو الريحان البيروني أيضا من أجلة خواصهم ومستشاريهم .

غزوات محمود في الهند من ٣٩٢ حتى ٤١٦ هـ : -

سافر السلطان محمود أسفارا حربية للجهاد والغزو الى الهند في المدة بين عامي (٣٩٢ هـ) و (٤١٦ هـ) أي نحو أربعة وعشرين عاما وكان أهم هذه الغزوات اثنى عشرة غزوة ، وقد حارب راجات الهند وحكامها المحليين بنية جهاد كفارها ظاهرا وباطنا للاغارة على بلادهم ومعابدهم ومحال أصنامهم التي شهرت بكثرة ثروتها وآلاتها وأدواتها وأصنامها الفضية والذهبية وقد جلب معه كل مرة بالاغارة على مدنهم غنائم لا تعد وبدأ السلطان محمود هجماته على الهند بعد جلوسه بخمس سنوات وأنهاها قبل وفاته بخمس أخرى لأنه انشغل في الخمس الأولى بقمع أعدائه في الداخل والقادة السامانيين والايك خان والأمير خلف ، وفي الخمس الأخيرة لم تتركه ثورات العراق وخراسان والاهتمام للخطر التركي السلجوقي أن يتوجه للهند خالي البال . أما ما بين الخمسين فقل أن يمين الدولة لم يذهب الى الهند غازيا ولم ينتصر ويجلب الغنائم .

وشرح جميع غزوات محمود على الهند وبيان جزئيات حروبه مع راجات الهند وحكام أجزائها الغربية والمركزية وتعداد أسماء البلاد التي فتحها والراجات الذين هزمهم يخرج عن نطاق هذا الكتاب المختصر فضلا عن خلوه من الفائدة والمتعة ، فلذا نقنع بالوقائع المهمة والنقاط الرئيسية المتعلقة بهذه الغزوات .

١ - بداية غزو محمود للهند الغربية كما أشرنا هي سنة (٣٩٢ هـ) ، ففي هذا التاريخ اقتفى السلطان بعد اخضاع أحمد بن خلف فكرة أبيه في الحملة على أرض الراجبوت ومقاتلة جييال ، ونتج عن هذا هزيمة جييال وأسرهم وعاد بعد السيطرة على قسم من البلاد شرق بيشاور موقرا بالغنائم الوفيرة .

٢ - في (٣٩٥ هـ) هاجم محمود سهول البنجاب وتغلب في (بهاطيه) عاصمة البنجاب المركزية (ما بين مدينة المولتان ونهر ستلج) على حاكمها

وعاد بعد ضم هذه المنطقة الى أملاكه بمائة وعشر فيلا الى غزنة .

٣ - في (٣٩٦ هـ) قصد محمود المولتان بحجة دفعه واليهما المسلم (والمولتان من بلاد شرق نهر السند في ولاية البنجاب) الذي اعتنق المذهب الاسماعيلي ، ولما لم يجب (انندبال) ابن جييال السابق الذكر والذي حكم في كشمير طلب محمود عبور البلاد فقد بدأ السلطان بتعقبه وسيطر على كشمير ، وفر والى المولتان خوفا الى جزيرة سرنديب واستولى محمود على المولتان وقسم آخر من البنجاب .

وبعد هذا الفتح دخل محمود سهول الجانج وهاجم بلاد راج آخر اسمه (نندا) فتقهقر هذا الراج من أمامه واعتصم بقلعة كالنجر الحصينة وهي من القلاع الجنوبية لنهر جمنا من أفرع نهر الجانج وتقع حاليا مغرب مدينة (الله آباد) الحالية فحاصرها محمود وبعد أن حوصر ثلثا أربعة وثلاثين يوما طلب الصلح فرفض محمود في البداية لكنه صالحه باعتباره تابعا له عندما سمع أن الالك خان هاجم خراسان .

٤ - ومن غزوات محمود المشهورة في الهند غزوتان في (٤٠٤ هـ) و (٤٠٥ هـ) وقد استفرغ لنفسه في أولاهما قلعة ناردين من قلاع البنجاب عزب نهر جيلم من أفرع نهر السند وفي ثانيتهما معبد تانيسر (في شمال دهل) وقد أتى بصنم تانيسر الكبير الى غزنين .

٥ - في (٤٠٩ هـ) فتح محمود مدينة قنوج (على حافة نهر الجانج وشمال شرقي مدينة كاونبور) وسلم له حاكمها واعتنق أهلها الاسلام ، لكنه لما عاد محمود غضب الراجات الآخرون لهذا فقدم أعظمهم لمحاربة حاكم قنوج وقتله . فعاد السلطان محمود وهاجم سهول الجانج وفتح معبد (موترا) البالغ الشهرة الواقع في شاطئ الجانج وشمال مدينة أكرا ، وغنم جميع نفائسه ومن بينها صنم ذهبي خالص وعاد الى غزنة مجلال وعظمة .

٦ - وأعظم وآخر غزوة لمحمود في الهند هجومه على ولاية

الكجرات (٤١٦ هـ) وشبه جزيرة كاتياوار (وهى الحد الفاصل بين ولاية السند والهند الوسطى) . كان محمود سمع أن أعظم معابد الهند يقع فى مدينة سومنات فى الساحل الجنوبى لشبه جزيرة كاتياوار ، وكان الهنود يومها يعتقدون أن سبب استيلاء محمود على سائر الأصنام الهندية هو غضب صنم سومنات وسخط عليها . وكان محمود على علم بأن معبد سومنات مستودع للذهب والفضة والجواهر والنفائس فتقدم الى شبه جزيرة كاتياوار عن طريق المولتان وصحراء تار العظمى ويصاحبه ثلاثون ألف فارس وجماعة من المجاهدين المتطوعين فى العاشر من شعبان من عام ٤١٦ هـ لتملك هذه الخزائن والكنوز النفيسة والقضاء على صنم البراهمة الأعظم . وفى طريقه استولى على مدينة (انهلوار) العاصمة القديمة لولاية الكجرات ، وبلغ قلعة سومنات فى منتصف ذى القعدة .

وكانت قلعة سومنات تشرف على البحر من فوق مرتفع واستبسل الهنود فى الدفاع عنها فى جانبىها لكنهم فى النهاية عجزوا أمام المجاهدين المسلمين ، فاقتحم محمود بعد أيام ثلاثة هذا المعبد وحطم بنفسه برمح كان معه هذا الصنم الأعظم وكان من الحجر ويبلغ طوله خمسة أذرع وأرسل بقطع منه الى غزنة ومكة وبغداد ليعلن عن فتحه العظيم ثم آب الى عاصمته فى العاشر من صفر عام ٤١٧ هـ .

وقد أقيم معبد سومنات وكان أحد النماذج الرفيعة لفن العمارة الهندية على قواعد حجرية وعمد بأعمدة خشبية وكانت تبرق على سقفه أربع عشرة قبة من الذهب . وكانت خزائنه تنص بالنفائس والجواهر التى كان يبعث بها الراجات والزوار الهنود لسنين طويلة . وقد قدرت قيمة هذه النفائس التى غنمها جنود محمود بنحو عشرين ألف ألف دينار .

فتوح الأرى وأصفهان فى (٤٢٠ هـ) : —

وكما مر بنا فى أحوال مجد الدولة الديلمى فقد لاذ هذا الأمير بمعد موت أمه السيدة خاتون بالسلطان محمود من جراء استبداد جنده وترايد

شرهم • وكان محمود ينتظر الفرصة للاستيلاء على بلاد الجبل ولاستئصال الديالة في هذه المنطقة ، فأرسل في البداية عليا الحاجب الى الري وأمره أن يقبض على مجد الدولة ، ففعل علي هذا ، ثم وصل محمود بنفسه الى الري في ربيع الآخر (٤٢٠ هـ) واستحوذ على خزائن مجد الدولة ومكتبته القيمة وعلى ما يقرب من ألف ألف دينار نقدا وبقيمة خمسين ألف دينار جواهر ، ثم قام باحراق أكثر كتب مجد الدولة وكانت كتبها في الحكمة والنجوم وتأليفا في علوم الضلال ، وبهذا زالت ودالت دولة الديالة في الري •

وبعد فتح الري وقتل جماعة من أصحاب مجد الدولة بحجة سوء معتقدتهم فتح أيضا قزوین وساوہ وآبه وأرسل ابنه مسعودا لفتح زنجان وأبهر ، ثم أنابه بعد فتح هاتين المدينتين على ممالك الديالة التي فتحها جميعا وعاد الى خراسان •

وكانت حكومة أصفهان وهمدان وشابور خواست على النحو الذي ذكرنا في تاريخ الديالة في هذا الوقت لعلاء الدولة أبي جعفر محمد بن دشمنزيار كاكوية ، ولما رأى كاكويه أن محمودا تملك الري وقزوین وسائر أملاك مجد الدولة وأنه يرنو بنظره الى بلاده ، بادر وخطب في أصفهان لمحمود • فلم يتعرض محمود له وهكذا بقى علاء الدولة في حكم ولاياته •

وبعد عودة محمود الى غزنة هاجم مسعود أصفهان فأخرجها عن يد علاء الدولة وأناب عنه حاكما لها وعاد الى الري لكن أهل أصفهان ثاروا على والي مسعود وقتلوه • فقدم مسعود مرة أخرى الى أصفهان من الري وأعمل في أهلها السيف فقتل منهم نحو خمسة آلاف وأعاد المدينة الى حكمه وركن علاء الدولة الى الفرار •

وفي (٤٢١ هـ) هاجم مسعود همدان وطرد منها عمال علاء الدولة كاكوية فهرب علاء الدولة الى خوزستان حتى يستمد أبا كاليبجار وجلال الدولة الأميرين الديلميين لكنهما لم يتمكنوا من عونه لصراعاتهما الداخلية

ونزاع أحدهما مع الآخر ، ومكث علاء الدولة في خوزستان الى أن سمع بوفاة السلطان محمود وعودة مسعود الى خراسان ، فاغتشم الفرصة وتملك أصفهان واستولى على أملاكه السابقة .

وفاة السلطان محمود في ٤٢١ هـ : —

أصيب محمود في آخر عمره بمرض النسل (الدق) وكانت ولادته في عام (٣٦٠ هـ) وكان بسببه يشتد ضعفا ونحافة يوما عن يوم . واشتد عليه المرض في سفره الى الري وعاد الى خراسان بحالته هذه وأقام في بلخ ، ثم قدم الى غزنة في ربيع عام (٤٢١ هـ) ، وبعد بضعة أيام وافاه أجله في هذه المدينة في الثالث والعشرين من ربيع الأول من نفس العام .

وقد نال السلطان محمودا وهو أول ملك مستقل وأكبر أفراد الأسرة الغزنوية بشجاعته وجراته وكثرة فتوحاته وانتصاراته وجلال بلاطه شهرة بليغة في تاريخ المسلمين ، خاصة لغزواته في الهند والغنائم التي استاقها منها ولاجتماع العلماء والشعراء في بلاطه والأشعار والكتب التي صنفت باسمه صار اسمه معروفا في أكناف العالم وأطرافه . لكن ينبغي العلم أن أكثر هذه الشهرة يرجع الى تملق معاصريه المتعصبين الذين غدوا غزواته في الهند في سبيل نشر الاسلام والقضاء على الكفار من أعظم الخدمات التي أسداها محمود للدين ، وبرأوا ساحته كمجاهد في سبيل الله من كل عيب ونقص . بينما اذا نظرنا بعين الانصاف وجدنا محمودا به عيوب عظيمة وأن فتوحاته بذلك أن تقع في شعب ايران موقع الاستفادة انتهت بهم الى أضرار بالغة . وبالجملّة فان أيام حكم محمود من وجهة نظر الشعب الايراني من العهود الكثيرة الاظلام ، وليس محمود يمين الدولة في تاريخ ايران مثل هذه الشهرة للأسباب الآتية : —

١ — مشهور أن في بلاط محمود قد اجتمع اربعمائه شاعر ماهر

يمدحون السلطان كان من بينهم كما نعلم العنصرى البلخى (١) والفرخى
السيستانى (٢) والعسجدى المروزى (٣) والزينبى العلوى (٤) والفردوسى
الطوسى (٥) والمنشورى السمرقندى (٦) والكسائى المروزى (٧)
والغضائرى الرازى (٨) * وليس من أدنى شبهة فى أن أعظم هؤلاء العظام

(١) العنصرى هو أبو القاسم حسن بن أحمد من شعراء القصيد
الكبار فى العصر الغزنوى وملك الشعراء فى بلاط محمود . ويزيد ديوان
قصائده وأغلبها فى مدح محمود ومسعود عن ألفى بيت . وفوق القصائد له
منظومات أخرى مثل وامق ومذرا وعين الحياة وغيرها . ويدل العنصرى على
إحاطة كاملة باللغة والأدب العربيين والعلوم العقلية ، وقد صار أسوة أكثر
شعراء القصيد الفرس ، توفى عام (٤٩٢ هـ) .

(٢) أبو الحسن على بن جولوغ الفرخى المتوفى (٤٢٩ هـ) ربا ديوانه
من تسعة آلاف بيت من قصائد وغزليات وقطعات ورباعيات ويتميز عامه
بالبساطة والسهولة والواقعية ويعد من ناظمى القصيدة المقتازين .

(٣) العسجدى المتوفى نحو (٤٣٢ هـ) هو أبو نظير عبد العزيز بن
منصور ضاع ديوانه إلا من أشعار فى كتب سمر الشعراء وأشهرها قصيدته
فى فتح محمود الغزنوى لمعبود سومنات .

(٤) الزينبى هو عبد الجبار العلوى المحمودى وقيل أن اسمه الزينبى
ذكرت كتب تذاكر الشعراء بعضها من أشعاره .

(٥) الفردوسى المتوفى ٤١١ هـ أو ٤١٦ هـ هو أبو القاسم حسن شاعر
الحباسة الكبير وابن احدى أسر الدهاقين الأغنياء ، بدأ نظمه سيرة أسلافه
الأسطوريين والتاريخيين فى سن الأربعين (نحو عام ٣٧٠ هـ) وأنهاه نحو
(٤٠٠ هـ) ، منفقا من عمره ثلاثين عاما فى ذلك بعد أن ذهب عنه ماله وشبابه
وتقدم به مادحا السلطان محمود ، لكنه لم يلق للأسباب التى سوف نشير
إليها بعد ذلك ، ما كان ينتظره من مال وجاه بل هرب خوفا من السلطان
الى آل باوند بطبرستان حيث هجاه . وينسب إليه خطأ قصة يوسف
وزليخا الشعرية .

(٦) هو أبو سعيد أحمد بن محمد المنشورى السمرقندى من الشعراء
الذين فُنى شعرهم غير قطع فى كتب الأدب .

(٧) الكسائى هو أبو الحسن مجد الدين اسحاق المتوفى عام (٣٩١ هـ)
شاعر المدح والوصف والحكمة والومظ والمعانى الفلسفية ومدح
السامانيين كذلك .

(٨) وهو أبو زيد محمد المتوفى (٤٢٦ هـ) من أهل الرى مدح آل بويه
تقبل محمود الغزنوى وأفاض فى مدح محمود وعطاياه فى قصيدته اللامبة .
وكان له مع العنصرى مباحث أدبية وقصائد انتقادية .

المشاهير جميعا هو الفردوسى الطوسى ، كما أنه لم يك بين علماء بلاط محمود من هو أجل قدرا وأعظم منزلة من أبى الريحاني البيرونى . لكن محمودا كما نعلم لكثرة لؤمه سلك مسلكا مشهورا مع الفردوسى وأصدر أمر قتل أبى الريحان فى وقت من الأوقات بسبب الحقيقة العلمية التى قالها وكانت تبدو كفرا فى نظر السلطان ولم ينج ذلك العالم الا بواسطة (أبى نصر مشكان) كاتبه (٩) .

ولم يكن بمكنة محمود وقد كان تركى الأصل لا يحسن درك لطائف اللغة الفارسية ويعادى بشدة لتعصبه الشديد للمذهب السنى كل ما يشتم فيه رائحة الحكمة وحرية الفكر أن يكون طالب الشعر والأدب ناشد العلم والحكمة عن ميل قلبى أو تذوق طبيعى فى أى وقت من الأوقات . وكان كل هذا التظاهر الذى شوهد منه لأن وجود الشعراء والعلماء المعروفين فى البلاط فى تلك الأيام كان يعد من أسباب عظمتهم وجلاله ، وكان الشعراء بنظمهم قصائد المديح للأمراء والسلطين والفضلاء وبتصنيف الكتب والرسائل بأسمائهم أفضل وسيلة لاذاعة مفاخر ومدوحهم واعلاء صوت واسم مخدومهم ، حتى أن كل بلاط كان يباهى غيره فى عدد شعرائه وكثرة فضلائه وشهرة أسمائهم وعلو سماتهم ووهج لمعاتهم . وكان محمود الذى لم يطق أن يتصور بلاطا فى عصره يفوق بلاطه فى غزنة صيتا فى أى ناحية كلما وجد من هؤلاء الشعراء والعلماء أثرا اجتذبهم الى غزنة بالوعد والوعيد ، كما فعل بالغضائرى اذ استدعاه من بلاط مجد الدولة فى الرى بكثرة صلاته وطلب من ملك خوارزم أن يبعث له بأبى على بن سينا وأبى الريحان البيرونى وأبى سهل المسيحى وأبى نصر بن عراق وأبى الخير بن الخمار وقد كانوا سبب ازدهار بلاط جرجانية ، فلاذ منهم أبو على بن سينا وأبو سهل

(٩) أبو نصر منصور بن مشكان صاحب ديوان رسائل محمود ومسعود الغزنويين وتعد مكاتباته ورسائله الفارسية من ابلغ ما كتب حتى عصره وظل فى منصبه حتى وفاته (٤٣١ هـ) .

المسيحي وكانا يخشيان تعصب محمود بآل زيار وآل بويه ، ودخل
بقيتهم الذين ظلوا بجرجانية لا يبرجونها في بلاط محمود اضطرا
لما فتحها .

وقد حث محمودا تعصبه وجهله الأدب أن يعامل الفردوسى الذى
كان يخالفه المذهب بوضاعة وقبح وأن يؤذى هذا الشاعر العالى المقام
فببقى له فى التاريخ ذكرا ذميما ، وحق للفردوسى أن يقول فيه :
لم يكن للسلطان بلاط يقوم على العلم والا لكان وضعنى موضعى (١)

٢ - كان السلطان محمود يفرط فى تعصبه للمذهب الحنفى ، ولما
كان جمع غفير فى بلاد ما وراء النهر وخراسان قد اعتنقوا المذهب
الاسماعيلى أو مذاهب الشيعة الأخرى بسبب دعوة الدعاة الاسماعيليين
فى هذه المناطق ، فكان محمود يقتلهم بقسوة بالغة حيثما ثقفهم خاصة
وأن الدعاة الاسماعيلية كانوا يدعون الناس فى ايران لاتباع الخلفاء
الفاطميين فى مصر وكان هؤلاء الخلفاء يناهضون بنى عباس مخدومى
محمود . وكان محمود يتعقب أغلب من لم يتمذهب بالمذهب الحنفى (٢)
بتهمة القرامطة (أى الاسماعيلية ومشايعة الفاطميين) فيقتلهم ، وكان
فى هذا المضمار يستوى لديه القرامطة والمعتزلة والحكماء أو الفلاسفة
كما فعل باتباع مجد الدولة اذ قتلهم بتهمة الاعتزال وجعل من الجزء
الأعظم من مكتبته النفيسة طعمة للنيران وقتل رسول الخليفة الفاطمى

(١) أصل البيت الفارسي : بدانش نيد شاه دستگاه

وكرنه مرا برنشاندی بكاه (سياقى) .

(٢) لفظ المؤلف الاصلى (الدين الحنفى) وهو مذهب من المذاهب
السيئية الاربعة يوحى - ربما - بنزعة الايرانيين الخفية الى تفريق
الاسلام غرقا وجعل كل غرقة ديننا على حدة والا لما وقع المؤلف فى هذا
الخطأ البين وليس ذلك ناشئا من جهله ببيدهيات الاسلام بقدر ما هو متعمد
مقصود ، ولا أدل على هذه النزعة الموروثة افتراقهم عن دين زردشت
تشعيب مذاهب منه كالمناوية والمزكية وجعلها اديانا قبل الاسلام ثم
تشعيب التشيع من الاسلام وتفريع هذا المذهب - غروعا يخالف بعضها
بعضا مخالفة تجعل كل فرع مستقلا بذاته .

في مصر • وكان هذا السلطان حينما يتهم الأعيان والأثرياء بسوء المعتقد للاستيلاء على أموالهم وضمها إليه •

٣ - كان محمود رجلا بخيلا عابدا للمال طالبا للثروة ومع أنه كان يتذرع في غزواته للهند بنشر الاسلام والجهاد والغزو في سبيل ذلك في الظاهر فقد كان غرضه الأصلي نهب المعابد المتخمة بالثروة في الهند والقنوم بغنائمها • وبالرغم من أنه أنفق جزءا زهيدا من هذه الغنائم في التعمير أبنية وحدائق وآثارا خيرية في غزنة وبلخ وطوس ، لكنه كان يكتز أكثرها ولا يصل للشعب شيء منها بل ان عماله كلما خرج للغزو كانوا يسلبون الرعية مالها بقسوة وزجر تامين ، ولما كان هذا الغزو يتكرر كل عام تقريبا فقد أصيب شعب ايران اصابات بليغة ، وقد نفرت العامة بسبب هذا الظلم من نظام حكم الغزنويين نفورا جعل أهل خراسان يستدعون التراكمة السلجوقيين للاستيلاء على بلادهم عن طواعية تامة لما ذهب ربح محمود وتآمر مسعود ، وانحسرت الدولة الغزنوية بسبب هذه الحالة سريعا عن ايران وما وراء النهر •

٤ - ومع أن السلطان محمود قد استوزر وزراء أكفاء لكن أحدا منهم لم يستطع أن يؤسس أساسا متينا دائما لإدارة البلاد بسبب قوة السلطان واستبداده ، ولم تكن أحوال العامة والرعايا مقترنة بالراحة والرفاهية ازاء تسلط جند محمود المغيرين الذين كانوا مزيجا من المجاهدين المتطوعين من أبناء قوميات مختلفة لعدم سيادة النظام والعدالة كما كانا في عهد الوزراء الأولين السامانيين أو عهد نظام الملك السلجوقي بعد •

ووزير السلطان محمود الأول هو أبو العباس فضل بن أحمد الاسفراييني الذي كان أولا كاتباً لفائق الخاصة ثم لحق بعد زوال دولته بخدمة سبكتكين وأبته محمود ثم استقر في منصب وزارة محمود حتى (٤٠١ هـ) وكان أبو الفضل الاسفراييني رجلا كافيا محنكا صارت اللغة الفارسية في ديوان محمود بأمره اللغة الرسمية فكتبت الأحكام والدفاتر

والمراسلات بأمر من الوزير بالفارسية . وبعد عزل الاسفرايينى فى (٤٠١ هـ) استوزر محمود أبا القاسم أحمد بن حسن الميمندى الذى جمع الفضل والأدب مع الكفاءة والحنكة . وقد أعاد أبو القاسم الميمندى وكان ممدوح أكثر شعراء عهد محمود ومن المنشئين المشهورين باللغة العربية ديوان محمود الى العربية خلافا لما فعل الاسفرايينى وذلك لى يثبت فضله ومقدرته فى هذه اللغة . ويقول مشهور ان سبب حرمان الفردوسى من تحصيل مكافأته هو هذا الميمندى بينما كان الاسفرايينى يشجع ذلك الشاعر ويكرمه .

ومع أن الميمندى هو أخو محمود من الرضاة ورفيقه فى مكتب التعليم الا أن محمودا أزاله من الوزارة فى (٤١٥ هـ) وأرسله ليسجن باحدى قلاع الهند وظل بها الميمندى حتى موت محمود . وكانت وزارة محمود فى سنى سلطنته الأخيرة لأبى على حسن بن محمد بن ميكال المعروف بحسبك الوزير والذى يعد بدوره من فضلاء المنشئين (١) .

(١) كالمؤلف السبب والشتم لمحمود الغزنوى وزيف عليه لاسباب عدة لن نحصيلها فى هذا المقام وانما نذكر أهمها وأول هذه الاسباب ما افصح عنه المؤلف فى نظركه فى وضع السامانيين الادارى وفى انتهاء دولتهم بيد خانات الترك اذ قال ان انتهاء السامانيين على يد أبى نصر الايلخان أكثر أحداث تاريخ ايران شؤما لانه فتح الباب له ولسيكتكين ومحمود من قبله لاستعمار ايران . والحق ان الصراع بين العنصرين الايرانى والتركمانى قد انتهى بغلبة الأخير بنهاية السامانيين واعتلاء محمود عرش ايران . فلم يكد الايرانيون يستقلون عن الحكم العربى فى عهد الصفاريين والسامانيين الى حد ما حتى قدر لهم الله العنصر التركى ليحكم بلادهم اذ خلف الغزنويين بنو جلديتهم من السلاجقة ثم المغول وهم أقرب الى الترك غتيهور فالصفويون بالقاجاريون ، وهكذا لم يمتنع الايرانيون بحكم بلادهم فنشأ بينهم شعور الكراهية الشديدة للاتراك كما كان للعرب الى حد تزيف محاسن حكمهم وقلب حسناتهم سيئات وتضخيم سيئاتهم كبائر ومعلطات الذنوب . فانثا المؤلف ، مخفيا علة كرهة لمحمود وهى انه تركى لاغير ، يبرر تجمع هذا الكم الهائل من الشعراء والكتاب والعلماء وهو لحب الظهور عنده ، وان ماثيناه فى ذلك لانه حاكم كائى حاكم عاصره فيكنيه فضلا على الايرانيين ان لغتهم الفارسية صارت لغة ادب قوى وعلم مستقر وبلغت كمال ارتقائها على يديه . أما الفردوسى فهو لا يفوق نظراءه من الشعراء فى شعره بل

٢ - السلطان محمد بن محمود

(من ربيع الآخر حتى شوال من عام ١٤٢١ هـ)

عين السلطان محمود في مرض موته ابنه محمدا وكان في هذا الوقت

يقل كما أرى وأما قول المؤلف من قدره لأنه كان فارسيا متعصبا كارها للعرب والترك جميعا يحكم ولادته من أحد بيوت الدهساقين الإيرانيين ذوي الأصل الفارسي والتعصب الشديد وأجلى عصبية في منظومته التي قدس فيها حكام إيران الأسطوريين وأزرى بغيرهم وغير الفرس وادعى أنه أحيا القومية الفارسية وحاول قدر طاقته الاستغناء عن الألفاظ العربية وهو بهذا بطل في المنظور الإيراني المتعصب كيققوب الصفاري ، فمن الطبيعي أن يحرم السلطان محمود مكافأته ، إذ أثبت أنه ألف منظومته من أجل المال وهو ما يشك فيه ، لأنه قدم يسىء إلى السلطان وعنصره ويقدم في بطولته ومدار أغلب نظمه قائم على انتصار الفرس على التورانيين الترك وتزييف تاريخ الآخرين وإظهارهم بمظهر فاحش . وتقول المصادر أن محمودا قال للفردوسي أنه لا يرى فيها بطلا غير رستم وفي جيشه ألف مثل رستم فرد الفردوسي قائلا : لم أعرف أن بجيشك ألف رستم غير أن ما أعرفه يقينا هو أن الله تعالى لم يخلق مثل رستم . ويحق لمحمود أن يفخر بجنده وقد فتح الله بهم بلادا وثنية وقد ضموا من يريدون الشهادة الخالصة لنشر الإسلام أما الفردوسي فهو يمدح أبطال أكثرهم أسطوريون ويذم العرب والترك كذبا مستندا إلى موروثات قومه المملوكة ثم ينبغى المكافأة بهذا فكانه يستجيز لنفسه القتل وهو البادىء بالعدوان . والسبب الثاني هو أن محمودا كان سنيا تعقب الإيرانيين الخارجين مثل الأسماعيلية والروافض على الإسلام بالقتل وهو فرض على المسلم الصادق وقد اعتنق الإيرانيون هذه المذاهب الخارجة والتشيع بعامة لا للتدين وإنما تدفعهم عنصريتهم إلى الانتقام من العرب والترك بترك الإسلام لأنه أتى مع العرب والمذهب السنى لأنه مذهب الترك والعرب . ومحمود في نظر المؤلف وقومه عدو ديني فوق أنه عدو قومي ومتحالف مع عدوهم التقليدي وهو العرب ويشترك الاثنان في أنهما مستعمران مغيران على أرض إيران وخيرها غلابد أن يكيد وقومه له وللعرب والترك جميعا كيد الضعيف للقوى وهو التزييف والتلفيق والدس . ولو كان ملاك الأمر هو الدين أو المذهب كما يفهم المؤلف فهل أفاد شعبه ولغته وحضارته من الصفويين الذين جاهرُوا بعداء السنة في داخل إيران وخارجها وأعلنوا تشيعهم ؟ أن المؤلف لا يمكنه أن ينكر أن بلاده تخلفت خطى حضارية كثيرة مع حكم الصفويين وأن محمودا التركي السنى أسدى له ولايران وللمسلمين جميعا أفضالا للحضارة الإيرانية خاصة والإسلامية عامة وأخيرا إذا كان هذا هو رأى الإيرانيين في محمود ومعهده (الكثير الاظلام) كما أعلن المؤلف في أول كلامه فاننا نعتذرهم ونعذره إذا أخذنا السببين السابقين في الاعتبار .

والى جوزجانان وبلغ خلفا له وحرّم ابنه الآخر مسعودا هذا الحق لغضبه عليه ، فلما مات محمود قدم محمد من بلخ الى غزنة وجلس على عرش أبيه بلقب (جلال الدولة) •

• وكان محمد ضعيف النفس محبا للهو واللعب غير معتن بأمور الملك ، ولهذا تواضع جمع من كبار الجيش وأكابر الدولة سرا مع مسعود وكان آنذاك في الري واستدعوه للسلطة وخلافة أبيه • وقدم مسعود بدعوتهم من الري الى نيشابور ولحق به جماعة من خاصة محمود وأمراء جيشه كأبي النجم اياز بن أويماق غلام السلطان محمود المشهور (١) وعلى دايه وهناؤه بالسلطنة ، وصل في نفس الحين منشور رسمي بامارته من الخليفة القادر العباسي ، فسلك مسعود طريقه الى غزنین رابط الجأش ثابت الجنان •

فاختار محمد كبير حجابة عليا بن ايل أرسلان ، وكان من أقرب خاصته فسمى لذلك بعلي القريب ، ومعه عمه يوسف بن سبكتكين قائدین لجيشه وتهيأ لمنع مسعود • لكن هذين القائدين سرعان ما أدركا أن مقاومة مسعود وحربه لن يجديا نفعا فقبضا على محمد في (١٣ شوال ٥٤٢١ هـ) وكان مشغولا بالخمير والشرب وأعمياه وجبساه في إحدى القلاع ثم ناديا بمسعود أميرا للجيش وسلطانا للبلاد • أما مسعود فما أن بلغ هراة حتى قبض على علي القريب وقتله وألقى بعمه يوسف في الحبس وعامل كثيرا من قواد الجيش الذين غدروا بأخيه ومكروا به معاملة تختلف شدة ورأفة •

وكانت وزارة محمد في السبعة شهور زمن امارته لـ (خواجه أبي سهل أحمد بن حسن الحمدي) وكان هذا الوزير من كبار المنشئين والفضلاء والمهتمين بالأدب في عهده وسوف يشار اليه بعد •

(١) كان تاريخيا معروفا بذكائه ونهمه وادبها وشعرها معشوق السلطان محمود وقد افترى الإيرانيون في أدبهم وشعرهم على محمود بهذا اذ نسبوا اليه هيامه بهذا الغلام وصبايته به ثم تحول اياز الى النموذج للجمال في عرف الأدب الفارسي عامة •

٣ - السلطان مسعود بن محمود

(٤٢١ - ٤٤٣ هـ)

أمر شهاب الدولة مسعود بعد وروده غزنة وتوليه مقام أبيه أن يأتيه بأبي القاسم أحمد بن حسن الميمندي الذي ألقى في السجن بالهند بأمر السلطان محمود من (٤١٥ هـ) إلى عرشه ليستخلصه لوزارته وظل هذا الوزير حتى (٤٣٤ هـ) حين توفي بهذه الوزارة .

ومن بين من أمسك بهم مسعود حين حاز العرش أبو علي حسنك الميكالي الوزير فقد اتهمه السلطان بالقرمطة بسبب سيعه في إبلاغ أخيه محمد إلى السلطة ثم قام بشنقه .

هروب السلطان مسعود : -

وأول واقعة هامة لعهد إمارة مسعود هي غزوة ولاية مكران سنة (٤٢٢ هـ) فقد أنفذ السلطان جيشا ليعين أحد ولدي واليها المتوفي ثم أدخل مكران حتى حدود السند تحت طاعته . وفي السنة التالية سير مسعود جيشا آخر إلى كرمان تقاتل مع نواب أبي كاليجار الديلمي أمير فارس لكن وزير الأخير أصاب جنده بهزيمة فعادوا منهزمين إلى خراسان والحرب الثالثة لمسعود كانت في الري وهمدان وبلاد الجبل لتأديب العصاة الذين ثاروا بين عامي (٤٣٢) و (٤٢٤ هـ) عليه بعد عودته من هذه الولايات إلى خراسان .

وفي نفس سنة وفاة محمود وأوبة مسعود إلى نيشابور ، كما سبقت الإشارة ، تقدم علاء الدولة كاكويه من خوزستان إلى أصفهان واستولى بيسر على هذه المدينة وهمدان والري وأخذ يهاجم أملاك فلك المعالي منوچهر بن قابوس الزيارى الذي كان يعيش تحت أمر الغزنويين وأخذ من عماله خوار ورامين ودماوند من عماله . فاستنجد

فلك المعالى بالسلطان مسعود فسير جيشا من خراسان لمدده ، فاستعاد هذا الجيش بعون على بن عمران من أصحاب فلك المعالى ومن ممدوحى الشاعر (منوچهرى الدامغانى) الرى من علاء الدولة الذى جرح بالمعركة وفر الى احدى القلاع التى تبعد عن همدان مسافة خمسة عشر فرسخا . وبعد فرار علاء الدولة خطب منوچهر فى الرى للسلطان مسعود وأتاب مسعود عنه أحد رجاله وهو (تاش الفراش) فى (٤٢٢ هـ) فى حكم الرى وبلاد الجبل . وبعد أن التأم جراح علاء الدولة هاجم من همدان بروجرد ممدا فرهاد بن مردآويج ، فأرسل تاش الفراش وعلى بن عمران جيشا يتعقبهم ، وقد تمكن هذان القائدان بعد سلسلة من الحروب فى (٤٢٣ هـ) أخيرا من أن يجبرا علاء الدولة على الفرار الى أصفهان ويخرجا همدان وبروجرد ونيشابور خواست والكرج عن سيطرته .

وفى (٤٢٤ هـ) قدم مسعود بنفسه من غزنة بهدف معالجة أمور الرى وبلاد الجبل الى خراسان ولما بلغ نيشابور أنبىء أن عامله على البلاد البلاد المفتحة بالهند قد أعلن عصيانه . فاضطر السلطان الى تغيير وجهته وصمم على اتيان الهند وبعث أبا سهل الحمدوى الوزير السابق لأخيه محمد من نيشابور للرى لمراقبة تصرفات تاش الفراش الذى جأر الناس من جوره وظلمه وقبل عذر علاء الدولة كاكويه وكان يطلب عفوه وأبقاه على أصفهان حاكما بشرط أن يؤدى اليه خراجا سنويا .

وعمل أبو سهل الحمدوى على اصلاح ما خربته أيام حكومة تاش بكل عدل وكفاءة فحول للرعية أسباب الرفاهية والرضا اثر قضائه على البدع التى أقراها سلفه وخضع تاش لأمره ، الى أن حلت سنة (٤٢٥ هـ) وكان الصفاء بين أبى سهل وعلاء الدولة فى الظاهر وحسب ، ولكن علاء الدولة لما استتكتف أن يؤدى الخراج السنوى ثم أعلن عصيانه يمدده فرهاد بن مردآويج وجه أبو سهل لهما جيكا فقتل فرهاد ولاذ علاء

الدولة بالأمير أبي كاليجار ببلاده • واستولى أبو سهل الحمدوى على أصفهان وغنم خزائن علاء الدولة وأرسل نفائسها الى غزنة ومن بينها مؤلفات الحكيم المشهور أبي على بن سينا الذى كان يعيش آنذاك فى أصفهان وكان وزيرا لعلاء الدولة • ووقع علاء الدولة ثانية فى حرب مع أبي سهل (٤٢٧ هـ) لكنه لم يزل نصرا فانهمزم الى طارم •

ومن حروب مسعود فى الغرب وقائعه فى جرجان وطبرستان مع أبي كاليجار كوهى خال والقائم على أمر أنوشيروان الزيارى فى (٤٢٦ هـ) التى أشير اليها وذكر فيها أن أهل جرجان وطبرستان لقوا فى هذه الحروب أذى شديدا من الجنود الغزنويين ، وعاد مسعود بدون أن يتمكن من احراز نتيجة هامة من سفره هذا بسبب ثورات خراسان برما ملولا •

أما فى الشرق أى الهند فقد اتجه مسعود اليها مرة واحدة عام (٤٢٤ هـ) بسبب عصيان عامل أبيه على الهند أحمد بن ينالتكين ، وبعد أن طوع أحمد لأمره فتح إحدى قلاع الهند الهامة ، ثم أب فى السنة التالية الى خراسان لما سمع بأنباء استيلاء التركمان عليها • وفى (٤٢٦ هـ) عصى أحمد بن ينالتكين مرة أخرى وهزم جند مسعود ، فسير مسعود أحد قائديه المطيعين له الهنود لدفعه فهزم أحمد وغرق أحمد أثناء فراره فى مياه نهر السند فأرسل برأسه الى مسعود •

وفى (٤٢٨ هـ) وأوائل (٤٢٩ هـ) غزا مسعود الهند جريا على عادة أبيه وكان فى سفره هذا أكبر فتح له فتح قلعة (هانسى) فى جنوب شرقى البنجاب الذى استحوذ عليها فى ربيع الأول من العام الأخير • وقد عاد مسعود فى اثر هذه الغزوات كأبيه موقرا بالغنائم مجلا بالفخر الى غزنین ولكن أيام هذه الفتوحات كانت آخر عهد شوكته ، فقد حطم التركمان السلاجقة ، كما سنشير بعد قليل ، نتيجة لبضع هزائم مجده مرة واحدة •

السلطان مسعود والتراكمه الغزو السلاجقة : -

كما رأينا في تاريخ السامانيين فقد كانت بلادهم مجاورة من الشمال والشمال الشرقي لمساكن مجموعة من الترك لم يكونوا قد اعتنقوا الاسلام بعد ، وكان الأمراء السامانيون أكثر أوقاتهم يجردون جيوشهم على مساكنهم للجهاد والسبى والغنم وكانوا يسمون بلادهم دار الكفر كما فعل نوح بن أسد الساماني قبل تأسيس الأسرة السامانية اذ استولى على مدينة (اسبيجاب) منهم واستحوذ الأمير اسماعيل العادل على مدينة (طراز) والأمير نصر على بلاد أخرى ناحية فرغانة . وكان غير أولئك الترك الذين سكن أغلبهم الحدود الشرقية والشمالية الشرقية للولايات السامانية طائفة أخرى أيضا منهم سكنوا شمال بحيرة خوارزم (بحيرة آرال الحالية) وعلى حدود مصب سيحون وجيحون والصحراء الواقعة بين بحيرة آرال والخرز وكانوا يسمون عامة بالأغز ، ولما كان هؤلاء الترك الذين يشتركون فيما يبدو مع التركمان الحاليين في الأصل والعنصر تسع قبائل سموها أيضا (تغزاغز) أى التسع القبائل الأغزية وكلمة (غز) التى شاعت فيما بعد مخفف لفظة الأغز هذه (١) .

وقد قام السامانيون بتهجير جموع كثيرة من تراكمه الغز عن مساكنهم الأصلية باقتضاء مصالح بلادهم وحدودها وأسكنوهم في البلاد شمالى ما وراء النهر التى استولوا عليها من قبضة الأتراك الشرقيين منذ فترة قريبة مثل اسبيجاب والمدن التى على مصب نهر سيحون . وكان من بين قبائل الغز هذه قبيلة عرفت باسم رئيسها (سلجوق) فسميت بالسلاجقة وقد آثرت الاستقرار في منطقة مصب

(١) الغز والافوز مخفف التغرغز كما ذكر المؤلف او الطوقوز او غوز أى قبائل الغز التسع . وقد كون التركمان دولا قبل الميلاد واشتهر منها بعد الاسلام الافوز والافغور والقرغيز والتتقوت وغيرها (راجع مادة ترك في المجلد الخامس لدائرة المعارف الاسلامية) .

نهر سيحون أى فى جنوب بحيرة خوارزم •
وسرعان ما دخل سلجوق فى الاسلام وأدخل فى طاعته مدينة
جند من بلاد شاطيء سيحون وكان أهلها مسلمين ، فلما مات أقام أبناؤه
بهذه المدينة ، لكن مسلمى جند وقد تضرروا من مهاجمة السلاجقة لهم
أجلوا بعد موت سلجوق أبناءه وقبيلته عن مدينتهم الى جنوبها فأسكنهم
السامانيون فى قرية (نور) من قرى شمال شرقى بخارى (١) • وقد
زاد السلاجقة من يومئذ فصاعدا من شوكتهم وعدتهم يوما بعد يوم ،
ولما كانوا مسلمين فلم يتعرض لهم أحد وظلت قرية نور ببخارى مسكنا
لهم الى أن ثاروا على الغزنويين ووقفوا فى تكوين دولة كبرى لهم •
وكما سبقت الإشارة فى شرح حروب السلطان محمود للوك
الخانيين فان هذه الأسرة قد دخلت منذ أن هزمهم محمود فى (كتر) فى
(٣٩٨ هـ) تحت حماية الغزنويين ، وبقي طغان خان الذى تأمر على
الخانيين بعد ايلكخان نصر حتى آخر حياته مطيعا ومحالفا للسلطان
محمود • وبعد موت طغان خان فى (٤٠٨ هـ) خلفه أخوه أبو منصور
محمد أرسلان خان ، الا أن (على تكين) وهو أمير آخر من أمراء هذه
الأسرة ادعى الامارة وظل فى حرب مع أرسلان خان حتى موت الأخير (٢)

(١) قال أمير الشعراء المعزى النيشابورى فى ذلك فى مطلع إحدى
قصائده :

كوهر سلجوق كنوربخارا درر سيد

هم بشرق هم بقرب نورازآن كوهر سيد (سياتى)
ومعناه : ان جوهر سلجوق الذى أتى من نوربخارى قد عم نوره الشرق
والغرب جميعا • أما المعزى هو أبو عبد الله محمد بن عبد الملك من كبار
شعراء العهد السلجوقى وقد أخذ تخلصه (المعزى) بسبب انقباضه الى بلاط
معز الدين والدنيا ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقى وسوف يأتى تلخيص
السلاجقة بعد • ويشمل شعره القصائد والغزليات التى تتسم بالبساطة
وتخلو من التصنع وتتضمن اشارات تاريخية لكثير من أحداث عهد السلاجقة
كأشاراته الى حروب وصلاح السلطانين ملكشاه سنجر السلجوقيين ، وقد
توفى المعزى نتيجة سهم أصابه خطأ من ملكشاه فى حدود (٥٢٠ هـ)

(٢) يذكر البيهقى فى تاريخه (توفى ٤٧٠ هـ) أن طغان خان أخو على
تكين وليس أخا لأرسلان خان وأن أرسلان وبغراخان ابنا يوسف قدرخان ،
وعلى تكين عدو لهذين ، وهكذا يختلف مع المؤلف (سياتى) •

وقبل أن يموت أرسلان بقليل أي قبل (٤١٥هـ) تغلب على تكين تغلبا كلياً ، وقد هالف في ثورته هذه التركمان والسلاجقة وأدخل بخارى وسمرقند تحت استيلائهم .

وقصد السلطان محمود ما وراء النهر في (٤١٦هـ) للقضاء على فتنة على تكين وارجاع امارة الخانيين لأبناء قدرخان واستولى على بخارى وسمرقند من على ذلك وألقى القبض بالحيلة على اسرائيل بن ملحوق السابق ذكره رئيس السلاجقة وأودعه حبس احدى قلاع الهند . ثم سمح مخالفاً رأى أرسلان جاذب والى طوس لأربع آلاف أسرة من التراكمة السلاجقة بعبور نهر جيحون وسكنى الصحراء الواقعة ما بين سرخس وابيورد في خراسان . وبعد عامين أقدم هؤلاء الترك كما تنبأ أرسلان جاذب على ايداء شعب اقليم خراسان فعجز جاذب عن دفعهم وفي النهاية هاجمهم محمود في (٤١٩هـ) وبعد أن أصاب منهم مقتلة عظيمة هزم بقيتهم تجاه جنوب خوارزم .

وبعد موت السلطان محمود توسل مسعود لى يأخذ التاج والعرش من أخيه محمد بعلى تكين ولكن قبل أن يجيب على طلب مسعود كفى أمر محمد ، ولم يلق على تكين الى السلطان الجديد بعد جلوسه كبير بال .

وفي (٤٢٣هـ) هاجم آلتون تاش حاكم خوارزم عليا تكين بأمر من السلطان مسعود وكان على حليفاً للسلاجقة لكنه لم يحقق نجاحاً بل ناله جرح في حربه هذه مات متأثراً به بعد يوم في مكان هذه الحرب . وعقد وزيره المشهور أبو نصر أحمد بن على بن عبد الصمد صلحاً مع على تكين وغدا واسطة السلام بينه وبين السلطان محمود .

وحينما مات آلتون تاش أناب حكم خوارزم لعامل له وولى هارون ولد آلتون تاش عملاً دون شأنه وكان ينتظر منصب أبيه ، فدعاه هذا الى محالفة الترك السلاجقة ، ثم أعلن في شوال (٤٢٣هـ)

قيامه على مسعود لكنه لم يحرز نجاحا وأحمد مسعود فنتقته بيسر وأدب السلاجقة أيضا . وظل السلاجقة الأتراك مقيمين فيما وراء النهر حتى (٥٤٢٥) وكان على تكين على قيد الحياة يعاملهم بلطف وزأفة . فلما مات هاجم ابنه وقائد جيشه السلاجقة وطردهم مما وراء النهر . ومن ناحية أخرى قتل حاميهم الآخر هارون بن آلتون تاش حاكم خوارزم في نفس الأوان بيد غلمانه وصار المقام حوالى خوارزم غير ممكن لهذه الجماعة ، فارتحلوا الى السفوح الجنوبية لجبال شمال خراسان أى فى جنوب صحراء التركستان الحالية وحوالى مدينة نسا ، وأرسلوا منها رسالة بتوسط صاحب ديوان خراسان أبى الفضل السورى بن المعستر الى وزير السلطان أحمد بن عبد الصمد الوزير السابق لآلتون تاش والذي وصل منصب وزارة مسعود فى (٤٢٤) بعد موت أحمد بن حسن الميمندى ، فشفع لهم لدى مسعود وكانت تربطه بهم أيام وزارته لآلتون تاش علاقة مودة وطلب اليه أن يسمح لهم بالاقامة بخراسان . وكانت هذه الرسالة من أبناء ميكائيل بن سلجوق الثلاثة محمد طغرل وداود جغرى ويغنو وقد بلغت مسعودا حينما كان مشغولا بقتال أتباع أبى كاليجار كوهى فى طبرستان .

وبعد أن وصل مسعود الى نيشابور أجمع بعد تردد طويل أن يبعث جيشا لدفع الترك عن خراسان ومع أن رأى الوزير والأخيار غيره كان يدعو الى استمالة السلاجقة الذين أظهروا عجزهم وطاعتهم له الا أن مسعودا رفض ذلك وأرسل بجيش خليط من الجنود الترك والهنود والعرب والأكراد بقيادة الحاجب بكتغدى (١) لقتال الترك ، غير أن هذا الجيش لقي الهزيمة على مقربة من مدينة نسا فى شعبان (٥٤٢٦) من داود السلجوقى وعاد بكتغدى منهزما الى مسعود بخراسان ، وكانت هذه الهزيمة أول وهن كبير أصاب شوكة السلطان مسعود ودولته

(١) بكتغدى كلمة تركية تشير الى الأصل الملكى (ح ١ ص ١٣٢ من تاريخ بخارى لغامبرى) .

وجعلت السلاجقة ، خلافا لذلك ، أكثر جرأة وشجاعة .
وبعد هذه الواقعة أرسل السلاجقة رسولا الى السلطان خوفا من
نقمته جعلوا شفيعهم لهم عنده أحمد بن عبد الصمد مرة أخرى واعتذروا
عما حدث منهم ، فترك مسعود الذى كان فى خوف من قوة رؤساء هذه
الطائفة الولايات الثلاث نسا وابيورد وفراوه (على بعد أربعة منازل
من نسا) لطغرل وداود ويبيغو على الترتيب ولقب كلا بدهقان وترك
حكم هذه البلاد للاخوان الثلاثة فاستراح مؤقتا من فتنة الترك .

وفى شعبان (٤٢٩ هـ) بعد أن عاد السلطان مسعود من الهند أمر
كبير حبابه (سباشى) الذى ولى خراسان من فترة قبل ذاك أن يعارك
طغرل وداودا ويؤدب السلاجقة . وكان سباشى رجلا مماطلا ويبدو أنه
كان حليفا للسلاجقة لأنه عند مواجهتهم فيما بين مرو وسرخس وقبل أن
تحسم المعركة جمع أمواله وهرب مقتترا بأستار الليل وتبعه أكثر جنده
فى الصباح ، فاستحوذ طغرل ببسر على الجزء الأعظم لخراسان وألحق
به نيشابور اذ أخذوها من أبى سهل الحمدوى الذى كان طرد اليها من
الرى وجلس طغرل على عرش مسعود بها فى شوال (٤٢٩ هـ) وأعلن
نفسه سلطانا . والذى سعى أبلغ من غيره لانتصار التراكمة المسلجوقيين
كان أحد رؤساء نيشابور لقب بقائد بوزكان (٢) واسمه أبو القاسم على
ابن عبد الله الجوينى وقد سخط على صاحب ديوان خراسان أبى الفضل
السورى بن المعتز وظلمه وظلم سائر عمال الغزنويين فتواضع سرا مع
السلاجقة . وبعد دخول طغرل نيشابور استخلص أبا القاسم الجوينى
لخدمته ثم رفعه بعد ذلك أى فى (٤٣٦ هـ) الى وزارته .

وبعد هذه الواقعة الهامة لم يجرك السلطان مسعود حتى أوائل
(٤٣٠ هـ) ساكنا ، فلم يتحرك الا فى هذا العام من غزنة الى بلخ . ولما

(٢) بوزكان هى بزجان موطن العالم الرياضى الكبير أبى الوفاء
البوزجاني وكانت من البلاد الواقعة بين نيشابور وهراة وتبعد عن نيشابور
بمسيرة أربعة أيام (سىلتى) .

سمع الترك الغازلون حوالى بلخ بنهوض السلطان ارتحلوا من أمام جيشه وسلكوا طريقهم الى الصحراء .

وقد أوعزت هزيمة شباسى عامة أعداء السلطان مسعود على التمرد ومن بين هؤلاء بورى تكين ولد ايلك نصر خان الذى عصى فيما وراء النهر ، وتحالفت خوارزم أيضا وهى التى دخلت من (٤٢٦ هـ) أى بعد قتل هارون بن آلتون تاش تحت طاعة أخيه أبى العباس خندان وخرجت عن دائرة نفوذ مسعود وتحالفت مع السلاجقة وكان الخوف من أن تخرج ما وراء النهر وخوارزم جميعا عن امتلاك الغزنويين بعد خراسان الغربية والرى والجبل (التى كان استولى عليها علاء الدولة كاكويه) .

وأجبر مسعود على أن يعبر جيحون بعد أن عمر الجسر الذى كان مقاما على كئب من ترمذ بين خراسان وما وراء النهر وذهب متعقبا بورى تكين وأبقى أحمد بن عبد الصمد فى الجوزجانان وما حول بلخ . وحينما وصل مسعود الى المناطق حول الصاغانيان عاد السلاجقة بايعاز من أبى العباس خندان من الصحراء وتقدموا عن طريق سرخس الى الجوزجانان وبلخ فكاتب أحمد بن عبد الصمد السلطان بهذه الحادثة وأفهمه أنه يحتمل أن يقصد السلاجقة تحطيم جسر ترمذ وإذا تم لهم ذلك فسوف يستشكل رجوع السلطان . فكر مسعود راجعا على جناح السرعة فوصل ترمذ فى أسبوعين وطلب بيغو أخو طغرل وداود اللذان استقرا بنيشابور عفو السلطان ، فقبل عذرهم مرة أخرى ، ثم أتى من هراة الى طوس بعد عقد معاهدة معه أن يدفع أخويه . إلا أن الترك مع قبول طاعة السلطان أقدموا على نهب متعلقاته وجيشه بهراة وطوس ومع أن مسعودا كان ينبههم فى كل مرة فيعتذرون إلا أنهم لم يرفعوا أيديهم عن الاغارة والحرب وإذا انهزموا فى ناحية فكانوا يهاجمون فى نواح أخرى .

وأخذ قادة التركمان السلاجقة أخيراً على عاتقهم وهم طغرل ويغزو وداود وأخ لهم من أمهم هو إبراهيم ينال بعد المشورة في أمر حرب مسعود أو الانسحاب إلى جرجان والري أن ينتزعوا القسم الشرقي لخراسان أي بلخ وترمز وفارياب وهراة أيضاً بالحرب من يد السلطان وتجمعوا من أجل هذا الهدف على حدود مرو . وعزم السلطان مسعود في رمضان (٤٣٠ هـ) برفقته جميع قواده إلى مرو وحينما بلغ قلعة دندانقان بالقرب من مرو واجهه السلاجقة من ناحية وواجهه الجفاف جنده من ناحية ، فلم يستطيعوا وعددهم مائة ألف أن يقاوموا ستة عشر ألفاً فلقوا هزيمة عظيمة . وهرب مسعود إلى هراة وأعمل السلاجقة في أحمال المؤن الضخمة التي تحملها جند مسعود والتي أضحت أحد أسباب هزيمتهم الرئيسية اغارة وغنما وكانت واقعة دندانقان بمنزلة حكم النهاية لسلطنة الغزنويين في ما وراء النهر وإيران لأن طغرل عاد إلى نيشابور لساعته وذهب يغزو إلى هراة وداود إلى بلخ وأمر إبراهيم ابن ينال بالسيطرة على العراق العجمي ، وأدخلوا كما سيلى في تاريخهم جميع إيران وما وراء النهر تحت إمرة دولتهم بأسرع ما يكون وقضوا على أكثر الأسر المحلية ، فضلا عن الغزنويين ، التي كانت باقية في تلك البلاد .

وفاة السلطان مسعود في ٤٣٢ هـ : —

وأتى مسعود غزنة بعد فراره من مرو وأمسك بجماعة من الأمراء من بينهم سباشي ويكتندي وبعث بهم ليحبسوا بالهند . ثم أرسل ابنه مودودا ومعه أحمد بن عبد الصمد في ربيع الأول (٤٣٢ هـ) بجيش جرار إلى خراسان ليحلب عنها السلاجقة وقصد هو الهند ليشتي بها واصطحب جلال الدولة محمدا أخاه الأعمى . وفي أثناء الطريق أغار بعض غلمانه على الخزائن السلطانية وانقسم الجيش جماعتين على نفسه وانقلب أتباع مسعود . فأسر الغالبون مسعودا ورفعوا أخاه الأعمى

محمدًا الى الامارة بالتهديد وحبس مسعود في ربيع الآخر (٥٤٣٣ هـ)
بأمر أخيه ثم قتل في السجن بعد ذاك بقليل .

كان مسعود مثل أبيه شجاعا رشيدا مقاتلا محبا للشعراء وزاد
بلاد أبيه وسعة بسبب فتح الري وبلاد الجبل وكرمان والسند وجرجان
وطبرستان ، لكن اللهو والشرب والاستبداد غلب على طبعه ، وكانت
الهزائم الكبرى التي جرت له بسبب لهوه المفرط واستبداده بالرأى ، فلم
يطع المخلصين لدولته حينما منعه من تنفيذ أفكاره في حروبه في جرجان
ومعاملته مع السلاجقة ولم يدع الشراب واللهو حتى في أثناء ثورات
خراسان وهجمات السلاجقة وبذلك كان غافلا عن ادراك مشكلات الأمور
الخارجية .

٤ - السلطان مودود بن مسعود

(٤٣٢ - ٥٤٤١ هـ)

وقتما قتل مسعود بجانب شاطيء السند ونصب محمد أخوه أميرا
بعون أعداء مسعود كان مودود في خراسان فقدم منها ومعه أحمد بن
عبد الصمد الى غزنة وجلس على عرش السلطنة مكان أبيه ثم أخذ في
التأهب لقتال عمه محمد ، وتمكن من القبض على عمه وقتله ، وكانت
مدة امارته الثانية أى يوم أن قتل أربعة أشهر (من بيع الآخر حتى
شعبان من ٥٤٣٣ هـ) . وقد عامل قاتلى أبيه بشدة وظفت له غزنة لكنه
وجه الخطوة الأولى بثورة أخيه (مجدود) الذى كان يحكم في الهند
نائبا عن والده . فأرسل مودود جيشا ليقمع أخاه ، لكن مجدودا قبل
أن يلتقى الطرفان وإفاه أجله ليلا وانتهى شره بهذا ، ودخلت أملاك
الغزنويين في الهند في طاعة مودود .

وفي (٥٤٣٥ هـ) سير مودود جيشا ليسترد خراسان فهزم السب
أرسلان ولد طغرل السلجوقى وعاد بهزيمته الى غزنة ، فصرف مودود

اهتمامه الى الهند مضطرا لأن ثلاثة من حكام الهند قد بادأوه بالعصيان آنذاك وهاجموا لاهور فركب أكتافهم وهزمهم وعاد الى غزنة بعد ضم عدد من القلاع اليه وادخالهم في طاعته .

وفي آخر عمر مودود تحالف بقصد استعادة البلاد التي فقدوها أموه مع نفر من ملوك الأطراف مثل أبي كاليجار الديلمي وخابان الترك ضد السلاجقة وقرر أن يهاجم الحلفاء السلاجقة من أطراف ثلاثة . أما جند أبي كاليجار فقد وقعوا فريسة أذى كثير في صحراء لوط ومرض أبو كاليجار نفسه فعاد الى أصفهان . ومودود ما أن تحرك من غزنة حتى أصيب بالقولنج فعاد الى عاصمته ، ومات بعد قليل أي في العشرين من رجب (٥٤٤١ هـ) .

وقام الترك وحسب بالاغارة والهجوم بعضا من الوقت على حدود خراسان وخوارزم ثم عادوا الى أوطانهم بعد أن أصابهم السلاجقة بالهزيمة .

٥ و ٦ — علي بن مسعود ومسعود بن مودود

(شهران من رجب حتى رمضان من ٥٤٤١ هـ)

بعد موت مودود نادى الأمراء بابنه الصغير مسعود الثاني أميرا ، وبعد خمسة أيام أشرك عمه أبو الحسن علي بن مسعود الأول الملقب ببيهاء الدولة معه في الأمازيّة ، ومرت أمور السلطنة الغزنوية على هذا النحو نحو الشهرين حتى قدم عبد الرشيد الابن الثالث ليمين الدولة محمود — وكان قد حبسه مودود ابن أخيه وخلص من حبسه بعد موته — من بست الى غزنة مهاجما فتصرف في العرش والتاج .

٧ — عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين

(٤٤١ — ٤٤٤ هـ)

كان عبد الرشيد رجلا فاضلا عاقلا وحسب ولم يكن له الشجاعة والجرأة اللتان لا محيص للحكم منهما فكان يحكم تحت نفوذ أحد حجاب ابن أخيه مسودود واسمه طغرل ، فلما تجاوز استبداد طغرل الحد أرسل به عبد الرشيد الى سيستان ليقاتل السلاجقة يقصد ابعاده فتقاتل طغرل مع والى ييغو على سيستان وألب أرسلان في خراسان فغلبهما فأصابه الغرور وعاد الى غزنة وعصى ملكه عبد الرشيد فأمسك به وقتله وتسعة نفر آخرين من الأمراء الغزنويين وجلس على العرش أميرا . ولم تتجاوز اماره طغرل هذا الذى لقب بطغرل كافر النعمة الأربعين يوما ، اذ قتله بدوره أحد العلمان الغزنويين ، فأتى الأمراء بفرخزاد ولد مسعود الأول وكان حبيس إحدى القلاع ورفعوه للامارة .

٨ — فرخزاد بن مسعود بن محمود

(٤٤٤ — ٤٥١ هـ)

حكم فرخزاد مدة سبع سنين وأهم واقعات حكمه هجومه على خراسان وهزيمة لأحد قادة ألب أرسلان وأسر له . فقدم جغرى بيك داود أبو ألب أرسلان وهزم فرخ زاد وأجبره على أن يطلق سراح قرائده وتصلح فرخ زاد معه .

٩ — ظهر الدولة ابراهيم أخو فرخ زاد

(٤٥١ — ٤٩٢ هـ)

بعد أن جلس السلطان ابراهيم خلفا لأخيه دخل في صلح ، في أول خطوة له ، مع جغرى بك السلجوقى وأجمع أمرا أن ينهى النزاع

الذى بقى من عهد مودود حتى يومه ما بين أصحاب جغرى بك وابنه ألب أرسلان والغزنويين للاستيلاء على خراسان لأنه حتى وقتذاك لم يقدر السلاجقة على القضاء على الغزنويين فى غزنة ولم يستطع الغزنويون أيضا استرداد خراسان .

وتعاهد ابراهيم وجغرى وقررا أن يكون كل منهما مالكا لما تحت يده من متصرفات وألا يتعرض أحدهما للآخر ولا يهرق دم الناس، بلا ذنب بسبب هذا الصراع . وقد ظل الطرفان فترات يراعيان هذه المعاهدة حتى أنه نتيجة هذا الصفاء والاخلاص زوج ألب أرسلان أحد أولاده من ابنة السلطان ابراهيم ، وزوج ابن لألب أرسلان آخر وهو ملكشاه ابنته بعد ذلك لمسعود ولد السلطان ابراهيم .

كان السلطان ابراهيم ملكا عادلا عاقلا فاضلا دينيا. حكم اثنتين وأربعين سنة بهدوء وراحة وقصد الهند. فى هذه الفترة مرارا للجهاد ، من بينها نجاحه فى (٤٧٢ هـ) بافتتاحه بضع قلاع واصابته قدرا من الغنم والأسر منهم . وقد بلغت درجة تدينه أنه كان يصوم تطوعا ثلاثة شهور فى كل سنة ويكتب القرآن الكريم بيده كل عام ويرسل بنسخه الى الكعبة . وكانت حكومة الهند فى عهد ابراهيم لأحد أولاده واسمه سيف الدولة محمود من (٤٦٩) حتى (٤٨٠ هـ) ومحمود هذا الذى اشتغل غالبا بالجهاد فى الهند هو مخدوم وممدوح خاص للشاعر الكبير مسعود ابن سعد بن سليمان الذى كان نفسه من الأمراء والمحاربين وكان يجالده بسيفه فى ركاب سيف الدولة محمود (١) .

(١) مسعود بن سعد المتوفى (٥١٥ هـ) من كبار شعراء القصائد فى القرن الخامس ومعاصر العصرين الغزنوى والسلجوقى ، أصله من همدان وولادته بلاهور ، صاحب مسعودا بن ابراهيم الغزنوى فى حروبه بالهند ، فلما ساء ظن ابراهيم بمسعود القى به الحبس ويحاشيته ومنهم الشاعر الذى مكث عشر سنوات حبسا نظم فيها أفضل قصائده التى سبمت بالحبسيات . وقد أطلق سراحه ليعود ليسجن ثانية نحو ثمانية أعوام حتى خرج عام (٥٠٠ هـ) كان يعرف العربية والهندية وله أشعار بالعربية أيضا .

١٠ - علاء الدولة مسعود بن إبراهيم

(٤٩٢ - ٥٠٩ هـ)

ولما رقى علاء الدولة مسعود العرش في (٤٩٢ هـ) سير ولده الأمير عضد الدولة شيرزاد لحكم الهند ففتح عضد الدولة ، وهو من ممدوحى مسعود بن سعد بن سليمان أيضا ، في الهند فتوحات كثيرة وكانت وسعة هجماته حتى الحدود التي بلغها الغزنويون وحسب في عهد السلطان محمود ، فضلا عن أن قسما من البنجاب دخل في ملكية مسعود الثالث أيضا . وزوجة مسعود كما أشرنا هي ابنة السلطان ملكشاه السلجوقي وأخت السلطان سنجر .

١١ - أرسلان شاه بن مسعود الثالث

(٥٠٩ - ٥١١ هـ)

وبعد موت علاء الدولة مسعود خلفه ولده أرسلان شاه لكن أخاه شيرزاد ادعى حكمه فقتله أرسلان شاه وحبس أخوته الآخرين ما عدا بهرام شاه الذي فر الى خاله سنجر بخراسان وعامل والدته بهرام شاه وكان زوجة أبيه باستخفاف .

وظل أرسلان شاه يحكم في غزنة حتى شوال من (٥١١ هـ) . وفي هذا الوقت سير سنجر ، في مرو ، أميرا من أمرائه هو الأمير (أنر) مع بهرام شاه الى سيستان ، ولحق بهما هناك الأمير أبو الفضل نصر بن خلف ملك نيمروز ، وعزم سنجر على اتيان غزنة برغم ممانعة السلطان محمد لفكرته هذه . وقبل غزنة بفرسخ واحد أصاب أرسلان شناه في شوال (٥١١ هـ) بهزيمة شديدة وأبلى الأمير أبو الفضل السيستاني في هذه الحرب بلاء حسنا . وورد سنجر غزنة تام الانتصار وأجلس بهرام شاه على عرشها . وقبل بناء على الميثاق الذي واثقه به سنجر خاله أن يخطب للخليفة العباسي وللسلطان محمد وسنجر ثم له وأن يرسل مائتين وخمسين ألف دينار سنويا الى ديوان سنجر ثم كتب سنجر خبره .

هذا الفتح المبين الذى لم يسبق للسلاجقة فى تاريخهم (لأن أحدا من السلاطين السلاجقة لم يستحوذ على غزنة من قبل) الى أخيه السلطان محمد . وكان السلطان محمد كما سنرى فى أحوال السلاجقة فى هذه الآونة فى مرض الموت ، وخلفه أخوه سنجر على حكم كل البلاد السلجوقية (فى ذى الحجة من ٥١١ هـ) .

١٢ - يمين الدولة بهرام شاه بن مسعود

(٥١١ - ٥٥٤٨ هـ)

وبعد أن عاد سنجر الى خراسان واستقر بهرام شاه على كرسى الغزنويين عاد أرسلان شاه وكان قد فر الى الهند واستعاد غزنة من أخيه . فقصده بهرام شاه خراسان ليعتمد سنجر ثم طرد أخاه مرة أخرى من غزنة بعد مقام شهر واحد بها لكن هذه المرة وقع أرسلان شاه أسيرا فقتله أخوه وأصبح بهرام شاه ملك غزنة والهند تحت حماية السلطان سنجر ، لكن الغزنويين كما مرت الإشارة لم يكن استقلالهم كاملا وكانوا يؤدون الجزية للسلاجقة .

وقد أمضى بهرام شاه القسم الأكبر من أيامه من الشطر الأول لحكمه ، الذى طال الى حد ما ، فى إدارة أمور الهند والغزو الجهاد بها بسبب الصفاء بينه وبين سنجر وأمنه من جانب خراسان وكان يفرج دائما من الهند فاتحا غالبا .

لكنه فى (٥٢٩ هـ) استنكف أن يرسل المال للسلطان سنجر متذورا بمخاطمته فأتاه السلطان مقاتلا فلم يجد بهرام شاه محيصا من اظهار العجز وطلب العفو فاستدعاه السلطان ليقابله لكن بهرام شاه ركن الى الفرار من أمامه اشفاقا فدخل السلطان غزنة واغتتم كل أموال بهرام شاه ثم أمنه ودعاه الى غزنة وعاد الى خراسان فى (٥٣٠ هـ) .

وكان البلاء العظيم الذى ابتلى به بهرام شاه فى الشطر الثانى لحكمه والذى قضى على شأفة الدولة الغزنوية فى ايران وفى الهند كليهما

هو تعاضل قوة أسرة الأمراء الغوريين التي سوف تؤرخ لهم في الفصل
التالى .

فقد سم بهرام شاه على النحو الذى ستشير اليه فى أحوال
الغوريين قطب الدين محمد الغورى الذى استوحش من أخوته قبل ذا
فلاذ بغزين وذلك بسعاية جماعة من الأشرار ، فصارت هذه الحادثة
سبب ظهور العداء بين الغوريين وبهرام شاه . فقدم سيف الدين
السورى يجيوشه الى غزنة وهزم بهرام شاه بالهند وجلس هو على
عرش غزنة . ولما علم بهرام شاه فى شتاء هذا العام أى (٥٤٤هـ) أن
الجنود السورىين قد آبوا الى بلاد الغور وأن وصول الأمداد الى سيف
الدين السورى المعتلى عرش غزنة فى هذا الفصل أمر مستحيل أتى غزنة
على حين غرة فقبض على سيف الدين وقتله .

وصمم علاء الدين حبيب الذى كان حانقا لقتل أخيه الأول ثم
اشتعل غضبا لسماعه قتل أخيه الثانى ، مقسما بأغلظ الإيمان أن يقلب
غزنة رأسا على عقب ويمحو آثار أسرة بهرام شاه فهاجم بهرام بجيش
لجب ويعد ثلاث حروب انتصر فيها أجبره على الفرار الى الهند ثم
أعمل النسيف ليل ونهار سبعة أيام فى الناس وحرق غزنة وأخرج أجساد
السلطين الغزنويين خلا جسد محمود ومسعود وإبراهيم وأشعل فيها
النار وحطم كثيرا من الأبنية والعمائر والكتب .

ويعد عودة علاء الدين الغورى وهزيمته وأسر بييد السلطان
سنجر عاد بهرام شاه فى (٥٤٧هـ) الى غزنة ومات فيها فى السنة التالية .
بهرام شاه أحد أفضل وأشهر السلطين الغزنويين لأنه كان يقاوس
فى تربية الشعراء وأهل الفضل السلطان سنجر معاصره وكانت غزنة
ولاهور تضارعان (مرو شاهجهان) فى عهده فى هذا الباب . ويجب
ذكر أسماء (مسعود بن سعد بن سلمان) و (السنائى الغزنوى) (١)

(١) السنائى هو الحكيم أبو المجد مجنود بن آدم مدح مسعودا بن
إبراهيم وبهرامشاه أول الأمر ثم أثر العزلة والزهد بعد لقلته الصوفية
بخراسان ثم السفر الى مكة وغيرها الى أن عاد الى غزنة نحو عام (٤١٨هـ)

و (عبد الواسع الجبلى) (٢) و (سيد حسن أشرف الغزنوى) (٣)
 و (عثمان المختارى الغزنوى) (٤) من الشعراء العظام الذين مدحوا
 بهرام شاه . ومن أشهر الكتب المتعددة التى ألفت باسم هذا الملك
 بالنظم والنثر (حديقة الحقيقة) (٥) المنظومة المعروفة للحكيم السنائى
 والتى نظمها هذا الشاعر الأستاذ فى (٥٢٥ هـ) قبل وفاته بقليل ، ثم
 (كلیلة ودمنة بهرامشاهى) من انشاء قلم المنشئ الكبير (أبى المعالى
 نصر الله بن عبد الحميد الشيرازى) (٦) والتى تعد احدى سامقات النثر

فظل بها حتى موته . من آثاره ديوانه الشامل قصائد وغزليات ومقطعات
 وحديقة الحقيقة وسير العباد الى المعاد وطريق التحقيق وكرنامه بلخ
 ومثنويان هما عشاق نامه وعقل نامه ، ويمكن اعتبار سنائى اول شاعر
 للغزل الصوفى الايرانى مزج المعانى الصوفية بمضامين العشق .

(٢) الجبلى المتوفى (٥٥٥ هـ) هو بديع الزمان عبد الواسع بن
 عبد الجامع الفرجى ممدوح سلاطين غزنة والسلطان سنجر السلجوقى
 وملوك الغور والخوارزميين ، كان ماهرا فى علوم عصره خاصة الادب
 موثقا كلامه بالصناعة اللفظية ، وانشد الشعر بالعربية فسماه العموى
 بذى البلاغتين .

(٣) هو اشرف الدين أبو محمد حسن بن محمد الحسينى الغزنوى
 الملقب بالاشرف والمتوفى عام (٥٥٧ هـ) من واعظى ونصحاء القرن السادس
 مدح الغزنويين والسلاجقة ، ويشمل ديوانه أربعة آلاف بيت فى القصائد
 والغزل والترجيعات فى سائر الموضوعات .

(٤) وهو أبو المفاخر خواجه حكيم سراج الدين أبو عمر عثمان بن
 عمر عاصر مسعود بن سعد والسنائى وأبا الفرج الرونى الشاعر ومدح
 الغزنويين ، ويشمل ديوانه ثمانية آلاف بيت وله مثنوى فى قصة شهریار بن
 برزو بن سهراب بن رستم البطل الأسطورى واسمه (شهریار نامه) ألفه
 تلبية لرغبة السلطان مسعود بن ابراهيم .

(٥) حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة من أهم آثار السنائى وتشمل
 عشرة آلاف بيت ألفت باسم بهرام شاه الغزنوى على عشرة أبواب فى
 التوحيد وذكر كلام البارى ونعت النبى وصفة العقل وفضيلة العلم وذكر
 النفس وصفة الأفلاك ومدح بهرام شاه والحكمة والامثال وصفة تصنيف
 الكتاب . ويتضمن الحكمة والمواعظ والموضوعات الصوفية وبيان مقام
 العلم والعقل .

(٦) أبو المعالى نصر الله المتوفى فى النصف الثانى للقرن السادس
 كاتب بهرام شاه ووزير خسرو شاه ، ومن آثاره ترجمة كلیلة ودمنة الى
 الفارسية من العربية وهى نموذج للانشاء الفصيح الذى احتذاه كتساب
 القرن السادس ومن جاء بعدهم .

الفارسي ، ثم (البصائر اليمينية) في التفسير من تأليف فخر الدين محمد ابن مسعود النيسابوري الذي كان من أجلة علماء بلاط بهرام شاه ، وفي (٥٣٠ هـ) حين قدم سنجر لتأديب بهرام شاه بغزنة تقدم هذا العالم سفيراً من جانب ملك غزنة الى السلطان وجعل سنجر يترأف بحال بهرام شاه .

١٣ — تاج الدولة خسرو شاه بن بهرام شاه

(٥٤٨ — ٥٥٥ هـ)

بعد موت بهرام شاه خلفه ابنه خسرو شاه لكن الغوريين كانوا قد حازوا جانباً عظيماً من القوة في هذا الوقت وصار السلطان سنجر شيخاً واهناً ، وحل التراكم الغز في ممالك سنجر لهذه الأسباب لم يكن خسرو شاه قادراً على الحفاظ على قصبة أجداده فاستولى الغز منه على غزنة في (٥٥٥ هـ) وانحصر من هذا الوقت فصاعداً الملك الغزنوي في الهند الغربية .

١٤ — سراج الدولة خسرو ملك بن خسرو شاه

(٥٥٥ — ٥٨٢ هـ)

بعد فتح غزنة على يد الغز أتى خسرو شاه لاهور وتوفي بها وخلفه ابنه (خسرو ملك) أو (ملكشاه) أميراً عليها . في عهده استتفى الغوريون غزنة من الترك ولما قروا بالآ من هذه الناحية توجهوا لفتح بقية البلاد الغزنوية وأخرج شهاب الدين محمد بن سام كما سيلي بعد بيشاور ولاهور والمولتان أي وديان حدود كابل والسند عن كف خسرو ملك بالتدريج ، وطلب خسرو ملك الصلح في (٥٨٢) من شهاب الدين لكن قبل أن ينجح في هذا المسعى قبض عليه أشياع شهاب الدين وبهذه الحادثة انتهت دولة آل محمود . وظل خسرو ملك حتى (٥٩٨) محبوساً في الغور ثم قتل في هذا التاريخ .

أسماء الأمراء الفزنويين وأيام أمارتهم كل منهم

- أبو اسحاق البتكين ٣٥١ — ٣٥٢
 اسحاق بن البتكين ٣٥٢ — ٣٥٥
 بلكساتكين ٣٥٥ — ٣٦٢
 بيري ٣٦٢ — ٣٦٦
- ناصر الدين سبكتكين ٣٦٦ — ٣٨٧
 اساعيل بن سبكتكين ٣٨٧ — ٣٨٨ (سبعة شهور)
- ١ — يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين (٣٨٧ — ٤٢١ هـ)
 - ٢ — جلال الدولة أبو أحمد محمد بن محمود (٤٢١ هـ) (سبعة شهور)
 - ٣ — شهاب الدولة أبو سعد مسعود بن محمود (٤٢١ — ٤٣٢ هـ)
 - ٤ — شهاب الدولة أبو الفتح مودود بن مسعود (٤٣٢ — ٤٤١ هـ)
 - ٥ — بهاء الدولة أبو الحسن علي بن مسعود ومسعود بن مودود (٤٤١ هـ) (مجموع شهرين)
 - ٧ — عز الدولة أبو منصور عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين (٤٤١ — ٤٤٤ هـ)
 - ٨ — جمال الدولة أبو الفضل فرخ زاد بن مسعود بن محمود (٤٤١ — ٤٥١ هـ)
 - ٩ — ظهير الدولة أبو المظفر إبراهيم أخو فراخ زاد (٤٥١ — ٤٩٢ هـ)
 - ١٠ — علاء الدولة أبو سعيد مسعود بن إبراهيم (٤٩٢ — ٥٠٩ هـ)
 - ١١ — سلطان الدولة أبو الفتح أرسلان شاه بن مسعود الثالث (٥٠٩ — ٥١١ هـ)
 - ١٢ — يمين الدولة شاه أبو المظفر بهرام شاه بن مسعود (٥١١ — ٥٤٨ هـ)
 - ١٣ — تاج الدولة أبو شجاع خسرو شاه بن بهرام شاه (٥٤٨ — ٥٥٥ هـ)
 - ١٤ — سراج الدولة أبو الملوك خسرو ملك بن خسرو شاه (٥٥٥ — ٥٨٢ هـ)

الفصل السابع

سلطين الفور

جبال الفور وجبال الفيروز :-

كانت الفور منطقة جبلية واسعة الى حد ما واقعة بين ولايتي هراة وغزنة وهي عبارة عن وديان المناطق الجبلية التي تسمى الآن (كوه بابا) أى جبل بابا و (سفيد كوه) أى الجبل الأبيض ، وتتصل جبال خراسان عن طريقها بسلسلة جبال هندوكوش . وهذه المنطقة أيضا منبع أنهار الهيرمند والهيرود والمرغاب وهي التي جاور القسم الغربى منها ولاية هراة وكانت تسمى الغرجستان والجبال .

أما السفوح الشمالية للولايات الجبلية الفور والغرجستان التي تعد بداية سهول ماوراء النهر ووادى الفروع الجنوبية للامودريا فقد كانت تسمى قديما (طخارستان) والطخارستان تقريبا هي المنطقة التي تسمى حاليا بالتركستان الأفغانية .

وكانت أعظم وأشهر مدن منطقة الفور مدينة فيروزكوه التي كانت قصبة ملوك الفور الأصليين ، الا أن الفور كما سنرى قد سيطروا بالتدريج على ولاية طخارستان فى الشمال التي تعد كما سنرى المدينة الرئيسية بها باميان (ما بين بلخ وكابل) ، وعلى غرجستان والجبال وهراة فى الجنوب والغرب ، ثم اختاروا باميان وهراة ومن بعدهما غزنة مجالا لعروشهم .

أصل الغوريين ونسبهم : —

أما أصل الغوريين ونسبهم فليس معروفا على وجه الدقة ، والمسلم به حتى الآن أنهم كانوا من الشعوب الجبلية في منطقة الغور وكانوا مستقلين بصفة عامة بسبب الوضع الطبيعي لمساكنهم كأكثر العشائر الجبلية ، ولم يتمكن الملوك الفاتحون والغزاة من السيطرة عليهم بسبب صعوبة الوصول الى بلادهم .

أما الملوك الغوريون فهم يدعون أنهم من أبناء الضحاك بطل الشاهنامه المعروف وكان أحد أجدادهم الأعلين ، واسمه (شنسب) قد اعتنق الاسلام على يد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ولهذا يسمى سلاطين الغور حيننا آل شنسب .

وفي الوقت الذى عمل فيه يعقوب بن الليث الصفارى على السيطرة على بلاد الرخج وكابل لاذ رؤساء الغوريين أمام تقدم جيوشه بمناطقهم الجبلية وعجز يعقوب عن السيطرة على هذه المناطق الصعبة .

ومن رؤساء الغوريين وأول ملك له اسم وأثر معتبران في التاريخ محمد بن السورى :

الذى كان معاصرا للسلطان يمين الدولة محمود الغزنوى وأبيه سبكتكين وكان دائم الهجوم على أملاك هذا الأب وذاك الابن في منطقة (بست) ، وفي النهاية هاجمه السلطان محمود في (٤٠١ هـ) بجيش جرار ، وسلم محمد بن السورى بعد فترة من التحصن باحدى القلاع للسلطان ثم مات في أسره فأناش محمد ابنه في حكومة الغور .

ومع أن الغوريين صاروا من يومئذ للغزنويين الا انهم كانوا يتمتعون باستقلالهم السابق في بلادهم الأصلية وظلت أسرهم تحكم بلا انقطاع في بلاد الغور واستمر الحال على هذا المنوال حتى أيام سلطنة بهرام شاه الغزنوى والسلطان سنجر السلجوقى . ففى هذه الفترة قبل الأمراء الغوريون اطاعة أمر سنجر السلجوقى . ففى هذه الفترة هذا السلطان المتزايدة وتبعية بهرام شاه له وكان لهم ببهرام شاه المطيع

لسنجر علاقات حسنة وكان أحدهم صهرا له .

ومن الغوريين الملك عز الدين حسين الذي عاصر سنجر وبهرام شاه
وقد ولد سبعة أبناء بلغ أربعة منهم الحكم فلقب بأبى السلاطين .

أما الابن الأكبر للملك عز الدين حسين وهو الملك فخر الدين
مسعود الذى ولى إمارة طخارستان فى (٥٥٥٠) أى قبل وفاة السلطان
سنجر وبذا صار مؤسس شعبة الغوريين فى باميان ، فلما كانت والدته
جارية تركية لم يستطع أن يخلف أباه سلطانا فى بلاده الأصلية ، فانتهت
لهذا سلطنة الغوريين الى أحد أخويه وهو سيف الدين السورى الذى
قام بتوزيع بلاد أبيه بعد رقيه عرشه بين اخوته وأتاب لكل منهم حكم
بلد منها . ويعد الملك سيف الدين السورى المؤسس الحقيقى لأسرة
الملوك الغوريين .

١ - سيف الدين السورى

(٥٤٣ - ٥٥٤٤)

كان أحد أبناء سيف الدين السورى على النحو الذى مر شرحه فى
سلطنة بهرام شاه هو قطب الدين محمد الملقب بملك الجبال وكان مقيما
فى فيروزكوه التى بناها بنفسه فخاف ورهب اخوته الآخرين ومن ثم
لاذ ببهرام شاه حميه بغزنة . وتلقاه السلطان الغزنوى باكرام فى
البداية ، لكن أساء الظن به بعد ذلك بسبب حب أهل غزنة له لحسن
خلقه وخلقه وفتوته فدس له السم خفية . ولما وصل أنباء ذلك ، وقد
حدث فى (٥٥٤٣) ، الملك سيف الدين السورى جرد جيوشه للانتقام
لدم أخيه وغلب بهرام شاه واستولى على غزنة فى جمادى الأولى من
(٥٥٤٣) ، ويعد عام ثورة سيف الدين السورى على بهرام شاه
والاستيلاء على غزنة بيد الجيش الغورى هو بداية سلطنة الملوك
الغوريين .

أما بهرام شاه فقد عاد بغتة من الهند الى غزنة في فصل الشتاء في المحرم من (٥٥٤٤ هـ) على النحو الذي مر في تاريخه وهاجم سيف الدين السورى بغزنة حيثما كان مقيما بمفرده وبغير جيش ، فكان أن استأسر سيف الدين ووزيزه وأركب كلا منهما ناقه وطاف بهما في شوارع غزنة باهانة بليغة بينما كان الناس يقذفونهم بالتراب والفضلات ، ثم قتلها ، فأوقد نار الحقد عليه التي كانت مشتعلة قبل بقتل قطب الدين محمد .

٢ - علاء الدين حسين جهانبشوز

(٥٤٤ - ٥٥٥٦ هـ)

انتهت اماره فيروزكوه بعد قتل ملك الجبال قطب الدين محمد الى أخيه الآخر بهاء الدين سام واتصل بهاء بالملوك المحليين بخرجستان وكان اسم كل منهم العام (شاز) ، فلما قتل سيف الدين السورى في (٥٥٤٤ هـ) استقر على رئاسة اخوته وامارة الغور بسبب أنه أكبر أبناء الملك عز الدين حسين (بعد الملك فخر الدين مسعود الذي كانت والدته جارية فلم يملكوه بلادهم الأصلية وقد سبق ذلك) .

وتأهب بهاء الدين سام بجيش ضخم يطلب به دم أخويه المقتولين وقصد غزنة . لكن قبل بلوغها مرض في الطريق بسبب حزنه الشديد على أخويه القتيلىن ثم مات بعد هذا بقليل بمرض الجدرى وانتهت سلطنة الغور الى أخيه الآخر علاء الدين حسين بن حسين .

وقد حقق علاء الدين مقصد بهاء الدين سام أخيه من غزو غزني ، فسير جيشا ضخما من شعب الغور وخرجستان الى غزنة ، وقدم بهرام شاه من الهند لدفعه بأفيال وجيش عظيم وقاتل علاء الدين قتالا شديدا في سيستان مرة وبين سيستان وغزنة ثانية وعلى كذب من عاصمته الثالثة وانهزم في المرات الثلاثة ، فلاذ بالفرار في نفس العام (٥٥٤٤ هـ) الى

الهند واستحوذ علاء الدين على عاصمة الغزنويين بقهر تام وجعل منها
كما سبق طعمة للحرائق مدة أسبوع لين نهار وسوى بآثار الغزنويين
وعماثرهم الأرض ، ثم أخرج جسدي أخويه وعاد الى الغور عن طريق
بست ولم يقصر في تخريب عمائر الغزنويين وأبنيتهم في بست أيضا ،
ولقب علاء الدين حسين بعد تحريق غزنة بلقب (جهان سوز) (١) •

وغدا علاء الدين جهانسوز بعد هذه الفتوحات والخراب الشديد
مغرورا متممرا . ، فحبس ابنى أخيه بهاء الدين سام غياث الدين محمد
وشهاب الدين محمد باحدى القلاع ثم أعلن عصيانه لسلطان السلاطين
سنجر السلجوقي وامتنع عن ارسال التحف والهدايا التى كان يرسلها
سنويا من بلاد الغور الى بلاطه وهاجم هراة بجيش عظيم واستولى على
بلاد وادى نهري هريود ومرغاب وحمل على بلخ • وأمدته طوائف
التركمان الغز فسقطت بيده بلخ • فأتى السلطان سنجر فى (٥٥٤٧ هـ)
لدافعته وفى مدينة (أوبه) من بلاد شرق هراة ألحق به الهزيمة على
شاطئ هريود وأمسك به وصفده وكبله ، لكنه أمر فأخلوا سبيله وكان
سنجر من الشهامة والرقه والعقل حتى أثر عنه حكايات فى ذلك ، وأتى
به اليه فوهبه سنجر طبقا كان أمامه مليئا بالجواهر القيمة ، فارتجل
علاء الدين هذا الرباعى منشدا :

بكرفت ونكشت ثبه مرا در صف كين هرجند بدم كشتنى از روى يقين
بخشيد مرايكى طبق در ثمين بخشايش وبخششش جنان بود و جنين
ومعناهما : أسرنى الشاه ولم يقتلنى مع أتى أستحق القتل يقنيا
بل وهبى طبق در ثمين وهكذا كان عفوه وجوده فى الأولى والثانية •

وقد اختاره السلطان سنجر أولا لمنادمته ثم أعاده الى امارته الغور
وبعد عودة علاء الدين جهانسوز من بلاط سنجر عمل أولا على
قمع أعدائه وقلعهم وقد أعلنوا عصيانه فى غيابه ، فلما أمن شرهم

(١) أى محرق الدنيا •

انشغل بالفتح فنجح في فتح بضع قلاع في سيستان وبست وهرارة
وطخارستان ووادي نهر مرغاب • وفي نهاية عمره لبي دعوة الدعاة
الاسماعيليين ثم توفي بعد هذا بقليل في (٥٥٥٦) •

٣ - سيف الدين محمد بن علاء الدين حسين

(٥٥٦ - ٥٥٥٨)

وبعد موت علاء الدين جهانسوز خلفه ابنه السلطان سيف الدين
محمد على عرش الغور وفيروزكوه ، وفي بداية حكمه قضى على الدعاة
الاسماعيليين الذين دعوا أباه لدعوتهم وأمر بقتلهم حيث وجدوا في بلاده
ثم سرح ابنى عمه غياث الدين محمد وشهاب الدين محمد اللذين
حبسهما أبوه • لكنه صار فريسة هجوم التراكمة الغز ولما تنقضى سنة
وبعض سنة عن حكمه ، لأن الغز كما سنتناوله في شرح حكم السلطان
سنجر كانوا استولوا في أواخر حكمه على خراسان وسيستان وكرمان
وأطلقوا أيديهم في نهب جميع بلاد هذه النواحي ، وهاجموا غرجستان
من بين ذلك ، فارتحل سيف الدين لمقاتلتهم ، لكن قائد جيشه بسبب
خفده على السلطان قتله أخاه ضرب صدره برمح فخر السلطان من على
جواده فأهلكه الغز •

٤ - غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام

ورفع بعد قتل السلطان سيف الدين محمد الأمراء والكبار من
الغوريين ابن عمه غياث الدين أبا الفتح مجمدا بن سام على العرش ،
وواجهت غياث الدين في بداية حكمه ثورة عمه الأكبر فخر الدين مسعود
ابن حسين الذي كان يحكم من (٥٥٥٠) على طخارستان وباميان من
جانب علاء الدين جهانسوز ، وقد كان فخر الدين أكبر أبناء أبي
السلطين عز الدين حسين ولم يبق من ولده السبعة غيره ، لكنه لم يتول
سلطنة الغوريين لأن أمه كانت جارية ، فظن أن الفرصة واثته لضم

البلاد الأصلية للغوريين الى ملكه ، وحمل على فيروزكوه بعد أن تحالف مع أمراء سنجر كالأمير قماج حاكم بلخ والأمير تاج الدين يلدز والى هراة . ولاقى السلطان غياث الدين وأخوه الملك شهاب الدين أولا تاج الدين يلدز الذى كان أسبق حلفائه وصولا الى فيروزكوه فقتلاه وفرقا جنده ، ثم عاجلا الأمير قماج بالهجوم وهزمه أيضا وأرسلا رأس يلدز وعلا من أعلام جيش قماج استوليا عليه الى باميان حيث عمهما ، فاضطرب فخر الدين لهذا شديد اضطراب وعزم العودة ، لكن الغوريين تقاطروا عليه فأسروه ، الا أن ابنى أخيه عاملا عمهما بكل التواضع والاحترام وأعاده الى امارته باميان كما كان عليه .

اجتاح التركمان الغز — كما بينا فى أحوال خسروشاه السلطان الغزنوى قبل الأخير وكما سوف نبين فى تاريخ السلطان سنجر — جميع خراسان بعد أن استأسروا هذا السلطان ، فاستولوا على غزنة فى (٥٥٥٥) من بين ما استولوا عليه ولأذ خسروشاه بالفرار الى لاهور وجعل منها عاصمته ثم انشأ الغز على كابل وقسم من سيستان فاستولوا عليهما كذلك وظلوا بهما حتى (٥٥٦٩) وكان الذى طردهم منهما واستخلص غزنة منهم هو السلطان غياث الدين محمد بن سام الغورى . وقد استقصى غياث الدين هراة أيضا فى (٥٥٧١) من بين أحد عبيد سنجر السابقين ، وطوع اليه أيضا بوشنج وسيستان وكرمان وجوزجانان ومرو الرود ، ووسع حدود دولة الغوريين من ناحية الغرب والجنوب الغربى وسعة عظمى .

الغوريون والخوارزمشاهيون :

حين كان السلطان غياث الدين وأخوه الملك شهاب الدين يقومان بهذه الفتوحات العظيمة كانت الأسرة الخوارزمشاهية القوية القادرة قد رفعت لواء الشوكة والسلطة فى خوارزم وما وراء النهر وخراسان وأسسوا دولة فى هذه المناطق فقامت دولة الغوريين بمراتب فى القوة

خاصة في عهد ملكهم المعاصر لهذين الأخوين السلطان علاء الدين تكش (٥٦٨ - ٥٩٦ هـ) الذي حاز شهرة وقوة فوق العادة لما تيسر له من فتوحات وكان يجاور الغوريين من ناحية خراسان وجوزجانان •

وفي (٥٨٦ هـ) أخذ أخو علاء الدين تكش ملك خوارزم وهو جلال الدين محمود سلطان شاه وكان قد عصا أخاه واستولى على حدود مرو الرود وبنجده وهي حدود ملك الغوريين أخذ يهاجم بلادهم على الرغم من صفاء العلاقات بينهما فيما سبق • فسير غياث الدين جيشا لردهم أكثر من مرة الى أن أهدق الملك شهاب الدين وملك شمس الدين بن فخر الدين مسعود أمير باميان الغوري وتاج الدين ملك نيمروز في (٥٨٨ هـ) سلطان شاه وأصابوه بهزيمة فادحة على شاطيء مرغاب ولاذ سلطان شاه بالفرار •

وفي (٥٩٦ هـ) مات علاء الدين خوارزم شاه وخلفه ابنه علاء الدين محمد ، وتأهب الملك شهاب الدين والسلطان غياث الدين على ظن منهما أن الفرصة مواتية للاستيلاء على خراسان بجيش لجب فأوسعوا بلادها الهامة هجوما فابتدوا بأبيورد ونيسا وسرخس ومرو وطوس في (٥٩٧ هـ) ثم تقدموا حتى حدود قهستان وجرجان وبسطام وأضحت خراسان مرة واحدة موطيء الجند الغوريين ، وقد تحالف الغوريون في هذه الحروب مع ابن أخى علاء الدين محمد خوارزم شاه •

وفي ذى الحجة من (٥٩٧ هـ) غلب السلطان محمد خوارزم شاه الغوريين بحملة واحدة على مقربة من نيشابور ، فطلب غياث الدين وشهاب الدين عفوه فعفا عنهما خوارزم شاه وخليا خراسان • وفي السنة التالية عاود الغوريون خراسان بالهجوم وطلبوا الى خوارزم شاه تسليمهم قطعة من خراسان ولما لم يطعهما شاه خوارزم هاجم الملك شهاب الدين طوس وأضر أهلها كثيرا • وفي هذه الأثناء تناهت أنباء وفاة وفاة السلطان غياث الدين فعاد شهاب الدين الى مرو لكن جنود

خوارزم شاه أحاطوا به فيها فلاذ منهم منهزما بالفرار الى الغور (٥٩٩هـ)

ومع أن أحد أسباب صراع الغوريين والخوارزمشاهيين الرئيسية هو المجاورة وطمع أحدهما في الاستيلاء على بلاد الآخر إلا أن عاملا آخر أوسع من دائرة نيران هذا القتال والجidal وهو والخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢هـ) لأنه كان يعيش في عداء شديد للخوارزمشاهيين من عهد استيلاء علاء الدين تكش على ايران الغربية وتفكيره في القضاء على دولته ، ولكي يأمن شر هجوم الخوارزميين يبعث دائما بالهدايا الفاخرة والرسل الى غياث الدين الغوري ويحرضه على مهاجمة بلاد خوارزم شاه كما وقع في (٥٩٤هـ) حين أوعز الناصر الى غياث الدين الغوري بالحملة على بلاد خوارزم شاه بعد أن استخلص علاء الدين تكش بلاد الري وهمدان وأصفهان من يد عمال الخليفة وصار معارضا له ليجبر الغوري تكش على العودة الى خوارزم . وعاد تكش الى خوارزم ولكي ينتقم من الغوريين تحالف مع الأتراك القراختائين الذين يحكمون في كاشغر وكانت ما وراء النهر تابعة لهم أيضا وحثهم على مهاجمة بلاد الغوريين وقصد هو بنفسه طوس بهدف ضم هراة . لكن قادة الغوريين هزموا القراختائين وتصلح خوارزم شاه مع الغوريين . وفي عهد السلطان محمد خوارزم شاه ورث نفس معاملة أبيه للخليفة مما جعل الخليفة يعاود تحريض غياث الدين وشهاب الدين على ملك خوارزم فتتابعت غزوات هذين الأخوين على خراسان وخوارزم وأكثرها كان بتحريض الناصر ، ولم يتورع هذا الخليفة المخادع كما سنرى في تاريخ المغول في عدائه للخوارزميين وعناده لهم عن تحريض الكفار القراختائين والمغول وفي النهاية سقطت أسرته بيد المغول الذين دعاهم الى البلاد الإسلامية بنفسه (١) .

(١) : ناصر ابن الأثير صاحب الكامل الخليفة الناصر واتهمه بالظلم وقبح السيرة وأنه أطمع القتر في بلاد المسلمين ، للتفصيل انظر كتابه الكامل في التاريخ ١٢ ص ٢٠٢ (طبعة مصر ١٣٠١ هـ)

ومات السلطان غياث الدين محمود وكان مريضا بمرض النقرس في جمادى الأولى (٥٩٩ هـ) وكان وهو أعظم ملوك الغوريين رجلا عادلا دينيا كريما مقربا للشعراء ، وكان بلاطه في الغور وغزنة يعد محفل الفضلاء والشعراء والفقهاء ومع أنه كان شافعي المذهب لكنه لم يكن يتعرض لعقائد الشعب وكان يقول ان التعصب في الدين من جانب الملوك قبيح .
وشاعر عهده الكبير هو فخر الدين مباركشاه المروودي الذي شرع في نظم تاريخ سلاطين الغوريين ونسبهم على وزن شاهنامه الفردوسي باسم السلطان علاء الدين جهانسوز ثم أتمه باسم غياث الدين محمد ، وكانت وفاة مبارك شاه عام (٥٦٠٢ هـ)

٦ - معز الدين محمد بن سام

(٥٩٩ - ٥٦٠٢ هـ)

بعد وفاة غياث الدين محمد كان ابنه محمود الذي آثر نفس لقب أبيه له ينتظر أن يترك عمه شهاب الدين محمد سلطنة الغور له ، الا أن شهاب الدين خلف أخاه ملقباً نفسه بمعز الدين وولى غياث الدين محمودا أماراً بست وفراه .

فتح الهند من ٥٧١ حتى ٥٦٠٢ هـ :-

السلطان معز الدين محمد بن سام أو الملك شهاب الدين السابق الذكر أخو غياث الدين هو أعظم ملوك الغور من كل جانب لأن في أيامه تم أكبر فتوحات الغوريين مع أنه لم يحكم بعد أخيه أكثر من سنتين وشهر واحد ، هذا فضلا عن حروبه بخراسان وخوارزم ، لأنه في الوقت الذي كان غياث الدين منصرفا فيه الى فتح غزنة وطخارستان وسيستان وكرمان كان شهاب الدين أو معز الدين منصرفا الى فتح بلاد أخرى في مشرق بلاد الغوريين . ففي عام (٥٧١ هـ) أي نفس العام الذي أخذ

فيه أخوه هراة فتح السند والمولتان وقضى على أسرة أمراء المسلمين التي كانت تحكم هناك من مدة وفي (٥٥٨٢) استحوذ على لاهور وأدال الغزنويين نهائياً .

وبعد فتح لاهور انقلب شهاب الدين محمد من هذه المدينة الى الهند الوسطى أى ولايتى راجبوتانا وأجمير لكنه هزم فى المنطقة الأخيرة ومع شدة تجلده وحنكته فقد كان أدنى الى أن يلقى حتفه . وفى عاقبة الأمر أنجاه أتباعه وآب شهاب الدين حانقا متأثرا الى لاهور ، وأمر من شدة الغضب أن يقيد الأمراء الغوريين الذين انهزموا فى هذه الحرب أمام العليق وعاملهم باذلال ، ويقال أنه من تاريخ هذه الهزيمة حتى فوزه فى (٥٥٨٨) بالانتقام مما حل به كان يتحاشى فى هذه الفترة أن يستبدل قميصه أو أن ينام مع زوجته .

أما من هزم جيش الغوريين فى هذه الحرب فقد كان أحد راجات اجمير واسمه (بریت وى) .

وفى (٥٥٨٨) هاجم شهاب الدين محمد بجند كثيف اجمير منطلقا من غزنة وفى (تانى سر) على اثنين وتسعين ميلا شمال غربى وهلى أصاب بریت وى وقد خف مائة وخمسون أميرا هنديا لمؤازرته بهزيمة فادحة أسرف فيها بریت وى ثم قتل وحاز الغوريون غنائم كثيرة من بينها أربعة وعشرون فيسلا حربيا .

وقد جعل فتح تانى سر سائر الهند الشمالية حتى وسطها تحت تصرف الغوريين ، وبعد أن قام الملك شهاب الدين بشكر الله تعالى على هذا الفتح المبين أناب غلامه قطب الدين آى بك فى الولايات المفتوحة ثم عاد الى أخيه بغزنة .

وفى عام (٥٥٩٠) تملك الملك شهاب الدين قنوج وبنارس وفى (٥٥٩٢) سيطر على قلعة كوالبور ومن بعدها فى (٥٥٩٧) نهرواله . ثم استولى بعد هذا بقليل قطب الدين آيبك وقواده الآخرون على ولايات

بهار والبنغال وبهذا دخل القسم الأعظم للهند بعد فترة وبعد أن كان مجزءاً تحت حكم موحد و صار في طاعة دولة مسلمة فارسية اللغة .

ومع أن أكثر هذه البلاد قد تم فتحه بيد السلطان محمود الغزنوى وخلفائه ، إلا أن تسلط الغزنويين لم يدم إلا على القسم الغربى للهند أى الوادى الأعلى للجانج وسهول السند وطرده راجات الهند تدريجاً العمال الغزنويين من الهند الوسطى والشرقية . أما استيلاء الملك شهاب الدين الغورى وغلماؤه وقواده فقد بقى مستمرا خلاف الغزنويين ، ومع أن شهاب الدين قد عاجله أجله وتجزأت دولته الواسعة إلا أن غلمان الغوريين المسلمين قد حفظوا جميع البلاد المفتوحة كما كانت تحت حكمهم وحافظوا على الاسلام واللغة الفارسية فيها على اثر الفتوحات المتجددة ودوام حكمهم واستمر هذا الحال حتى عهد تولى السلاطين الكوركانيين الذين ورثوا غلمان الغوريين في هذا الأمر .

وظل الملك شهاب الدين الغورى حتى (٥٩٩ هـ) سنة وفاة أخيه السلطان غياث الدين محمد نائباً عن أخيه مجالداً بالسيف باسمه ، فلما مات أخوه انتهت اليه سلطنة الغور ومن هذا الأوان لعب بالسلطان معز الدين .

وفى (٦٠٠ هـ) قصد السلطان معز الدين من غزنة لاهور لغزو الهند ، فأفاد محمد خوارزم شاه من غياب معز الدين وموت غياث الدين وانصرف الى محاصرة هراة التى كانت بيد ابن أخت هذين الأخين لكنه فشل بعد مدة من القتال في فتحها وعاد الى سرخس مصالحاً . ولما تناهت هذه الأخبار لمسامخ معز الدين عاد من الهند وعزم هذه المرة على استئصال خوارزم شاه تماماً وأن يحمل على جرجانية عاصمة خوارزم ويجتث دولة خوارزم من أصلها نهائياً . وتحرك الجند الغوريون من غزنة ومعهم بعض الأفيال الحربية الى خوارزم ، ولم يوفق خوارزم شاه في أن يعيد السلطان معز الدين عن قصده برغم تهديده بالهجوم على

هراة وغزنة وكان معز الدين يجيبه (سوف نتقابل في خوارزم) •

وعجل خوارزم شاه مضطرا الى عاصمته وأمر بتخطيط كل السدود لكي يقطع على السلطان الغوري طريق تقدمه وبأن يغرق خط سيره بالماء ووصل معز الدين بعد أربعين يوما من الصراع مع هذه الموانع في النهاية الى خوارزم • وعلى مقربة من عاصمة الخوارزميين حارب جيشهم حربا ضروسا ومع أنه هزم كثيرا من القادة الخوارزميين وقتلهم الا أنه فشل في فتح المدينة بسبب استبسال أهلها في الدفاع عنها • وأثناء هذا الوقت وصل قائد خان القراختائيين وعثمان خان الافراسيابي خان ما وراء النهر ليعون خوارزم شاه فانهزم السلطان معز الدين بقسوة وهرب من خوارزم الى قلعة إندخود (في جنوب نهر آمودريا بين بلخ و مرو رود) لكن جند القراختائيين وما وراء النهر أحاطوا به في ذاك المكان وكان على شفا أن يستأسره الكفار القراختائيون • فتوسط عثمان خان لأنه لم يكن يود أن يقع هذا السلطان المجاهد المسلم في يد الكفار وأنقذه بعد أن أخذ كل ما معه وأعطاه الى القراختائيين هدية ، وبعد قليل استقر الصلح بين خوارزم والغور •

كانت هزيمة خوارزم فادحة جدا للسلطان معز الدين الغوري لأنه فضلا عن هلاك خيرة الجند وجمع من القواد وذهاب الأموال والخزائن أذيع في البلاد الغورية أن السلطان قتل في حرب خوارزم ، ولهذا فقد ادعى عدد من غلمانه كانوا ينتظرون هذه الفرصة للاستقلال والحكم كل في بلد ، كما فعل تاج الدين يلدز (وهو غير تاج الدين يلدز الذي سبق ذكره وقتل) اذ عزم الاستيلاء على غزنة ، و غلام آخر هو آبيك (١) الذي نادى بنفسه ملكا في المولتان والسند وأخذت طائفة الخليج في أفغانستان الحالية في قطع الطرق وإيذاء الناس وقد أخذ معز الدين بعد صلحه

(١) آبيك هذا غير قطب الدين آبيك قائد شهاب الدين الذي ولي حكومة دهلي من طرف الغوريين وأسس بعد قتل السلطان معز الدين أسرة مهاليك دهلي (سياقن) •

مع خوارزم شاه وعودته الى غزنة جميع هذه الفتن وعمل على اصلاح حال الخزانة والجيش حتى يتأهب للانتقام من أتراك القراختائيين الكفار.

قتل السلطان معز الدين في (٦٠٢ هـ) : —

في (٦٠٢ هـ) طلب السلطان معز الدين من عامله في لاهور والمولتان أن يرسل اليه خراج سنتي (٦٠٠) و (٦٠١ هـ) حتى ينفقها في سبيل جهاد القراختائيين ، فأجاب عامله ان ارساله متعذر بسبب عصيان طائفة (الكوكر) من سكان المناطق الجبلية في لاهور والمولتان وقطعهم الطرق فأمر معز الدين قطب الدين آبيك حاكم دهلي أن يعد جيشا لافناء طائفة الكوكر ، وتحرك هو أيضا مع أنه كان يقصد حرب القراختائيين من غزنة صوب بيشاور بسبب شكاوى الناس المتوالية من هذه الطائفة ، وعلى مقربة من نهر جيلم في ربيع الآخر (٦٠٢ هـ) أنزل هو وقطب الدين آبيك بهؤلاء العصاة هزيمة كبرى ، وقمع معز الدين فضلا عن تأديب هذه الطائفة جماعة أخرى من المتمردين ، ثم قصد الى غزنة من لاهور ولكن في الثالث من شعبان (٦٠٢ هـ) وأثناء الطريق اغتيل بيد بضعة نفر من أفراد قبيلة الكوكر كانوا برفقة جنده يهدفون قتله اثر ثنتين وعشرين طعنة بالخنجر ، ونسب البعض قتله الى الفدائيين الاسماعيليين .

كان السلطان معز الدين محمد بن سام الذي تلقب في ذلك بالملك شهاب الدين رجلا رشيدا عادلا مواظبا تماما على تنفيذ أوامر الشرع وكان يعيش كأخيه خاليا من التعصب المذهبي وكان يعاشر أرباب الفضل والأدب والفقهاء . وكان الامام الكبير والحكيم الجليل القدر فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٥٤٣ — ٦٠٦ هـ) من خاصة بلاطه وبلاط أخيه السلطان غياث الدين محمد (٢) .

(٢) هو أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الطبري الرازي المتوفى (٦٠٦ هـ) عرف بابن الخطيب ومن الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء الشافعيين ومن علماء ايران الكبار في القرن السادس والذي يعد من نسواد

٧ - غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد

(٦٠٢ - ٦٠٧ هـ)

انفرط عقد انتظام الممالك الغورية بعد قتل السلطان معز الدين مرة واحدة واتجهت الدولة بكل عظمتها واتساعها الى التجزؤ الكلى . بمعنى أن غياث الدين محمود ابن أخ معز الدين الذى كان يحكم بست وفراء رفع رسميا الى سلطنة الغوريين ، الا أن جماعة من الأمراء الغوريين التفتوا حول بهاء الدين سام أمير باميان الغورى ابن الملك شمس الدين محمد بن الملك فخر الدين مسعود وابن أخت السلطان معز الدين وغياث الدين واحتدم النزاع بين هذين المدعين وأتباعهما من أجل التاج والعرش ، فنهض من بين ممالك السلطان أعزهم وأقواهم نفوذا وهو تاج الدين يلدز السابق الذكر لحماية غياث الدين محمود ، وشاء الله أن يموت بهاء الدين سام فى طريقه الى غزنة للاستيلاء عليها لكنه أوصى أبناءه بالسيطرة على غزنة وتملك عرش الغوريين .

وسيطر أولاد بهاء الدين سام على غزنة لكن تاج الدين يلدز طردهم

عده فى العلوم الاسلامية . له تأليفات هامة فى العلوم المختلفة وسمى امام المشككين لتمكنه فى المجادلة والاعتراض على الفلاسفة والشك فى المسائل الفلسفية ، وكان من مخالفي ابن سينا دفع آراءه بطريق الاستدلال العقلى والفلسفى . من آثاره المشهورة بالعربية فى علم الكلام : نهاية العقول وكتاب الأربعين ومحصل افكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين ورسالة فى المعراج . وفى الفلسفة : الملخص وشرح الاشارات وشرح عيون الحكمة ومباحث المشرقية والنهاية . وفى التفسير مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير وهو فى الحق دائرة معارف دينية ثم نهاية الاعجاز فى بيان موارد غصاحة القرآن وبلاغته .

وأهم آثاره بالفارسية جامع العلوم أو حدائق الأنوار فى حقائق الأسرار الذى ألفه لعلاء الدين تكش خوارزم شاه عام (٥٤٧ هـ) ثم (رساله روحية) فى حقيقة الروح وغناء الجسم وحكمة الموت والنصح ، ثم (أصول عقايد) فى ثمانية أبواب ، ثم الاختيارات العلائية فى النجوم باسم الحاكم السابق .

عنها وعاد الى عاضته ، وبدلا من أن يخطب لغيث الدين محمود ادى
استقلاله •

وفي دهلي نادى قطب الدين آييك أيضا في (٦٠٢ هـ) بنفسه -
سلطانا بعد قتل السلطان معز الدين وأسس أسرة حكمت في هذه المنطقة
من بعده حتى (٦٨٦ هـ) • واستقلت السند والمولتان بدورهما بيد مملوك
آخر من ممالك السلطان معز الدين واسمه ناصر الدين قباچه في نفس
سنة قتل السلطان وخرجت عن تبعية الغوريين وانحصرت سلطنة غياث
الدين محمود في نفس حدود ست وفراه وفيروزكوه وبلاد الغوريين
الأصلية •

وكان غياث الدين محمود رجلا غير كفء لاهيا لاعبا لهذا عصاه
أمرؤه الأدنون وأقاربه ودعا أكثرهم السلطان محمدا خوارزم شاه
للاستيلاء على البلاد الغورية حتى أن عز الدين حسين بن خرميل والى
هراة الذى كان من عهد السلطان غياث الدين الغورى ميالا دائما الى
حماية خوارزم شاه أعطى هراة ليسيطر عليها الخوارزميون ، وفصل
خوارزم شاه أيضا بلخ عن تصرف أميرها الغورى في (٦٠٣ هـ) ولم ير
غياث الدين محمود مفرا من أن يعتبر نفسه مطيعا خاضعا للسلطان محمد
وعاد خوارزم شاه الى خوارزم •

وفي (٦٠٤ هـ) حينما انشغل السلطان محمد ملك خوارزم بفتح ما
وراء النهر وحرب القراخطائين مال حسين بن خرميل الذى كان حاكم
هراة من جانب خوارزم شاه الى غياث الدين محمود وعصى خوارزم شاه
فأمسك به عمال خوارزم شاه وقتلوه وأرسلوا برأسه الى خوارزم • ولما
سمع أخو محمد خوارزم شاه تاج الدين عليشاه الذى كان يحكم طبرستان
نائباً عن أخيه أن أخاه وقع أسيرا في قبضة القراخطائين قدم خراسان من
طبرستان ونادى نفسه سلطانا • وسرعان ما تخلص خوارزم شاه من أسره
فلاذ تاج الدين عليشاه في (٦٠٦ هـ) بغياث الدين محمود الغورى خوفا

من أخيه • فطلب خوارزم شاه تسليم أخيه من غياث الدين محمود الذي ألقى بعلی شاه في سجن فيروزكوه • وفي النهاية قتل أتباع علی شاه غياث الدين محمود في (٦٠٧ هـ) ونادوا بتاج الدين علی شاه الحبوس ملكا علی الغور وفیروزكوه •

٨ ، ٩ — بهاء الدين سام وعلاء الدين أئمز

(٦٠٧ — ٦١٠ هـ)

اختارت جماعة من أمراء الغور بعد قتل غياث الدين محمود ابنه ذا الأربعة عشر عاما بهاء الدين سام أميرا ولم يدعوا علی شاه ينجو من الحبس فيصل للسلطنة • لكن علاء الدين أئمز وهو أمير آخر من الغوريين وابن علاء الدين حسين جهانسوز هاجم بعون خوارزم شاه فيروزكوه وفي منتصف جمادى الأولى (٦٠٧ هـ) انتصر علی بهاء الدين سام وسائر أمراء أسرة غياث الدين ومعز الدين وأصبح تحت حماية خوارزم شاه أميرا للغور وفیروزكوه واشتغل حتى (٦١٠ هـ) أغلب وقته بقتال أمراء غزنة الأتراك وتاج الدين يلدز حتى قتل وقتذاك بيد أحد أمراء غزنة أولئك

علاء الدين محمد بن شجاع الدين علی

(٦١٠ — ٦١٢ هـ)

عين تاج الدين يلدز بعد مقتل علاء الدين أئمز محمدا سلطانا وكان ابن شجاع الدين علی سابع أبناء أبی السلاطين الملك عز الدين حسين وقد تأمر أيضا بعد موت السلطان غياث الدين فيما سبق أربعة أعوام في الغور وفیروزكوه • وبعد عامين من الامارة سلم علاء الدين محمد فيروزكوه في (٦١٢ هـ) إلى عمال محمد خوارزم شاه وأرسل به عماله إلى جرجانية وبهذا انتهت سلسلة السلاطين الغوريين •

أسماء ملوك الغور وأيام امارة كل منهم

- ١ - سيف الدين السورى بن الملك عز الدين حسين (٥٤٣ - ٥٤٤ هـ)
- ٢ - علاء الدين حسين جهانسوز أخو سيف الدين (٥٤٤ - ٥٥٦ هـ)
- ٣ - سيف الدين محمد بن علاء الدين جهانسوز (٥٥٦ - ٥٥٧ هـ)
- ٤ - غياث الدين محمد بن بهاء الدين سام بن حسن (٥٥٨ - ٥٥٩ هـ)
- ٥ - معز الدين محمد أخو غياث الدين محمد (٥٩٩ - ٦٠٢ هـ)
- ٦ - غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد (٦٠٢ - ٦٠٣ هـ)
- ٧ - بهاء الدين سام بن غياث الدين محمود (٦٠٧ هـ)
- ٨ - علاء الدين أتمسز بن علاء الدين حسين جهانسوز (٦٠٧ - ٦١٠ هـ)
- ٩ - علاء الدين محمد بن شجاع الدين على بن عز الدين حسين (٦١٠ - ٦١٢ هـ)

الفصل الثامن

السلطين السلاجقة

(٤٢٩ - ٥٥٩٠ هـ)

أصل السلاجقة ونسبهم :-

سبق أن شرحنا في الفصل السادس ضمن تأريخ حكم شهاب الدولة مسعود بن الغزنوى أصل التراكمة السلاجقة ونسبهم وابتداء قوتهم ، وهنا لكي نوسع هذا الموضوع ايضاحا ، وكفانا هذا ، نقول باجمال ان السلاجقة طائفة من التركمان الغز والخزر سكنت في أيام شوكة الأمراء السامانيين في صحارى بحيرة خوارزم (آرال) والسواحل الشرقية لبحر أبسكون (بحر الخزر) ووديان سيحون وجيحون العليا وكانت مساكنهم تفصل البلاد الاسلامية فيما وراء النهر عن مساكن أتراك قرلق (الخلق) الشرقيين والغز غير المسلمين . ولم يشتهر السلاجقة قبل رئاسة سلجوق عليهم شهرة خاصة وقد كانوا يعاونون لدخولهم في الاسلام ومجاورتهم البلاد السامانية الأمراء السامانيين حينما في صراعهم الخانيين التورانيين ولهذا فلم يكن السامانيون يمنعونهم التردد الى بلادهم حتى أن أحد رؤسائهم وهو (سلجوق) (٢) بن دقاق (ارتحل بقبيلته في أواخر العهد

(٢) تقضى قواعد اللغة التركية في رسم كلمة (سلجوق) أن تكتب إما (سيلجيق) أو (سالجوق) لأن مقطعى جيق وجوق ينفدان لصغير ، ويستعمل الاول مع الكلمات التى تقع الياء في مقطعها الأخير ، ويستعمل الثانى مع التى تقع الالف أو الواو في مقطعها الأخير . ويذكر بارتولد في كتابه (تاريخ الترك في آسيا الوسطى) ص ١٠٠ أن النطق الصحيح هو (سالجوك)

الساماني وخط رحاله في مدينة (جند) من البلاد على شاطئ نهر سيحون
في واديه الأعلى وأقام بها .

وبعد موت سلجوق أخذ ابنه ميكائيل وتراكمة قبيلة أبيه يجاهدون
الكفار جيرانهم في جند. لكنه قتل في معارك الجهاد وكان له ثلاثة أبناء هم
بيغو أو جبغو وجغري وطرغرل .

وقد شد هؤلاء الأبناء الثلاثة بعد موت أبيهم رحلهم مع قبيلتهم
التي عرفت بالسلاجقة من حين تولى سلجوق أمرهم من مدينة جند
قاصدين حدود بخارى عاصمة السامانيين ، وآثروا الإقامة على بعد
عشرين فرسخا من هذه المدينة ، لكن السامانيين أزالوهم عن مقامهم
كانوا يخشون جوار هذه الطائفة ولها مثل هذه القوة والكثرة العددية ،
فاتجه السلاجقة يهتمون ببغراخان الأفراسيابي في توران .

أما بغراخان فقد حبس حيلة منه أكبر الأخوة وهو طغرل بن ميكائيل
بن سلجوق لكن جغري نجح في تخليص أخيه ورحل أولاد ميكائيل مع
السلاجقة هذه المرة من توران إلى قرية نور من القرى القريبة إلى
وكان هذا حين تملك أيلك خان الأفراسيابي عاصمة السامانيين وقضى على
أسرتهم .

كما وجدته في كتاب محمود الكاشغري ، (غامبرى . تاريخ بخارى) حاشية (١)
ص (١٧٢٧) .

كما أن دقاق صحتها تقمق وكان قائدا لجيش أمير يدعى بغو أو بوغو
(أي الغزال كما سبق) وذكر الأستاذ حمزة طاهر في مقال بمجلة الثقافة عدد
(٤٦٩) أن السلاجقة يعرفون رئيسهم باسم بغو وقائد الجيش باسم
مثل طغرل وجغري وجاولي هي في الواقع القاب وليست أعلاما . أما طغرل
سوياشي وتبلاءهم باسم أيفال وأن الأسماء التي اشتهر بها أبناء سلجوق
هو مصغر كلمة دوغراول أي التصاب من المصدر (دوغرامق) أي الذبح
وجغري معناه اللامع أو المتألق من المصدر جقمق أي النعمان وإحطنا
المستشرقون الأوربيون بربطهم كلمة طغرل مع كلمة دوغرو (بمعنى استقيم)
وحين ظنوا أن (جغر) هو (جعفر) محرغا (غامبرى : حواشي صفحات
١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩) .

وأخذ يتزايد اعتبار السلاجقة وشوكتهم وقوتهم سريعا وكثر عددهم تدريجا وبلغت أهميتهم حدا جعلهم يهددون دائما اتصال محمود الغزنوي مع قوة هذا السلطان العظيم الشأن بخانات التركستان فقد كانوا يقطعون طريق سفرائه الذين يترددون بين ايران وتوران •

وفي حدود (٤١٦هـ) صارت فتنة التراكمة السلاجقة في بلاد ما وراء النهر سبب مشقات بليغة خاصة مجموعة منهم كان يرأسها أرسلان بن سلجوق أخو ميكائيل وعم بيغو وجغري وطغرل وأقامت في الصحراء المجاورة لبخارى وعاثوا في الأرض فسادا • وأمسك السلطان محمود بأرسلان وأرسله ليحبس في الهند وقضى على جماعة أخرى من طائفته ، ولما قدم الجيش الغزنوي يتعقبهم اتجهوا الى أصفهان وعرجت جماعة أخرى منهم الى آذر بايجان ومع هذا فقد ظلت فرق كثيرة من السلاجقة خاصة أصحاب أبناء ميكائيل في خراسان •

وقد فشلت حملات أرسلان جازب والسلطان محمود كما مر قبل في ازالة السلاجقة من مساكنهم المحكمة التي اختاروها في أطراف جبل بلخان (ما بين المناطق الجبلية شمال خراسان والساحل الشرقي لبحر الخزر) ، وقد ظل السلاجقة يغيرون من هذه التحصينات طوال مدة حكم السلطان مسعود على بلاد خراسان والجوزخان وطخارستان •

وقد تفرق أتباع أرسلان بن سلجوق في العراق وبلاد غرب ايران وشمالها الغربية وعرفوا باسم الغز العراقيين لكنهم عجزوا عن تأسيس دولة لهم عكس اخوانهم أصحاب أبناء ميكائيل وهم السلاجقة الأصليون الذين تمكنوا من تأسيس دولة عظمى بعد هزيمتهم لسبأشي كبير حجاب مسعود وفتح دندانقان الذي انتهى بادالة دولة الغزنويين في ايران ، هذه الدولة العظمى ، كما سنرى بعد قليل ، لا نظير لها من جهات عدة في تاريخ الاسلام ، ولم يتأسس غيرها من عهد انهيار الساسانيين حتى قيامها في آسيا الغربية سلطنة بمثل وسعتها وعظمتها ووحدة ادارتها ومركزيتها •

١ - ركن الدين أبو طالب طغرل بن ميكائيل بن سلجوق

(٤٢٩ - ٥٠٥هـ)

وكما ذكرنا خلال تاريخ حكم السلطان مسعود فقد دخل طغرل بن ميكائيل ، بعد أن أمده أبو القاسم على بن عبد الله الجويني المعروف بقائد بوجكان ، نيشابور في شوال من عام (٤٢٩هـ) أي جلس على عرش مسعود بها بعد شهرين من تغلب السلاجقة على سباشي وقبل سنتين من انتصارهم الحاسم في دندانقان ونادي بنفسه سلطانا . ويعد تاريخ جلوس طغرل في نيشابور والخطبة باسمه في شوال (٤٢٩هـ) بداية حكم السلاجقة .

وبعد جلوس طغرل واسقاط قوة الغزنويين في خراسان قسم قيادة الجيش السلجوقي البلاد المفتوحة ، ولم يكن بعضها قد سيطروا عليه تماما قبل ذلك الوقت ، بين أنفسهم كما يلي :

١ - من نيشابور حتى ساحل نهر جيحون وما وراء النهر كان نصيب جغري واسمه الاسلامي داود . وقد عجل جغري بفتح بخارى وبلغ وخوارزم وضمها كلها الى ملكه .

٢ - صارت قهستان وجرجان نصيب أخى طغرل لأمه ابراهيم بن ينال .

٣ - وتركت هراة وبوشنج وسيستان وبلاد الغور لابن عم طغرل وجغري وييفو واسمه أبو على حسن بن موسى بن سلجوق .

٤ - أودعت رئاسة السلاجقة العامة أي منصب السلطنة في عهدة طغرل وكان اسمه الاسلامي ولقبه وكنيته (ركن الدين أبو طالب محمد) ، وانصرف طغرل الى حدود دولته الغربية بعد أن أصدر الخليفة العباسي القائم منشور حكمه واطمأن على الجانب الشرقي والشمال الشرقي لبلاده لأن قسما هاما من الممالك التابعة للغزنويين وآل بويه أو البلاد

تحت حمايتهم مثل كرمان وفارس وخوزستان وبلاد الري والجبل وطبرستان وجرجان وايران الغربية لم تدخل طاعته حتى ذاك الوقت .

فتوح جرجان وطبرستان في ٤٣٣ هـ : -

على النحو الذي مر تفصيله في تاريخ آل زيار ، تمكن نوشيروان بن فلك المعالي منوجهر - الذي كان يعيش من بعد موت أبيه منوجهر تحت وصاية خاله باكاليجار الكوهي وكان تابعا مؤديا للخراج للسلطان مسعود الغزنوي حتى آخر حكمه - من أسر خاله في حدود (٤٣٣ هـ) واستقل بنفسه ولم يلق بالا الى طغرل الذي أخذت قوته تتفاقم في تلك الأيام واغتتم طغرل الذي لم تبرح مخيلته فكرة استيلائه على جرجان وطبرستان الفرصة يضم هذه البلاد فتحرك صوبها ، وهرب نوشيروان من جرجان الى ساري ، وفي النهاية تعهد أن يدخل في تبعية طغرل لما رأى أنه لا يدانيه قوة وأن يرسل ثلاثين ألف دينار الى ديوانه . وقبل هذا طغرل ولكي يضمن أن تكون جرجان وطبرستان تتبع أمره وإدارته مباشرة سير اليهما أميرا من أمرائه هو مرد آويج لحكومتها ، وبهذا انتهت أسرة آل زيار على الحقيقة ، فمع أن بعد موت نوشيروان (٤٣٥ هـ) حكم ابنه جستان سنين عدة أماره جرجان لكن أمارته لم تكن غير اسمية لأن الأمور كانت تسير وفق أوامر عامل طغرل السلجوقي مباشرة .

فتوح خوارزم والري وهمدان في ٤٣٤ هـ : -

سبق قولنا ان أحد أولاد آلتون تاش حاكم خوارزم وهو اسماعيل خندان استخلص ولاية خوارزم في أيام صراع السلطان مسعود الغزنوي مع التراكمة السلاجقة من قبضة العمال الغزنويين ، فاستبعاد السلطان مسعود خوارزم بعون شاه ملك بن علي أحد الأمراء الذين كانوا تحت حكمه فلاذ اسماعيل بطغرل وجغري فحمل جغري على خوارزم ممدا

اسماعيل لكن شاه ملك أوقع به الهزيمة ، واستمر الحال على هذا المنوال حتى غلب مسعود وقتل وانتهت سلطنته الى مودود وظلت خوارزم على حالها بيد شاه ملك بن علي نائب الغزنويين .

وفي (٤٣٤هـ) توجه طغرل بنفسه الى خوارزم فتغلب على شاه ملك بعد حصارها واختفى شاه ملك وركن الى الفرار عن طريق دهستان وطبس الى كرمان ومكران لكنه وقع هناك أسيرا في يد ابراهيم بن ينال وبهذا انضمت خوارزم الى البلاد السلجوقية .

وفي بداية (٤٣٣هـ) مات علاء الدولة أبو جعفر كاكويه وقد سبق ذكرنا أحواله وخروجه ضمن تاريخ آل بويه والغزنويين وبلغت ادارة حكومته التي شملت الري وأصفهان وهمدان وجزءا من بلاد غربى ايران ولده ظهير الدين أبا منصور فرامرز . الا أن أخا آخر لأبى منصور هو أبو كاليجار كرشاسف لم ينضو لذلك فاستقل بنهاوند ، وبعد قليل تابعه أخوه أبو حرب فأعلن العصيان فهيا هذا الحال من الشقاق المجال لتدخل السلاجقة فأتى في نفس العام (٤٣٣هـ) ابراهيم ينال الري وطلب الى ظهير الدين أن يقبل طاعة السلاجقة فعصى ظهير الدين ولما رأى أنه يواجه خصما قويا ترك الري وأتى همدان وبروجرد وصالح أخاه أبا كاليجار كرشاسف وكان كرشاسف على استعداد أن يعترف برئاسة أخيه عليه بشرط أن يأخذ حكومة همدان .

وخف ابراهيم بن ينال في (٤٣٤هـ) بعد استيلائه على الري يتعقب ولدى علاء الدولة كاكويه في بروجرد فضمها اليه ، فتحصن أبو كاليجار باحدى قلاع شابورخواست (خرم آباد الحالية) ولم يمك به ابراهيم مع سيطرته على شابورخواست وقتله الناس وتصرفاته القبيحة ، ولما سمع بقدم طغرل الى الري أتاه وعاد كرشاسف الى همدان .

وقدم طغرل بعد فتحه خوارزم وجرجان وطبرستان الى الري من خراسان فأخذ الري وبلاد الجبل من ابراهيم ينال وولاه سيستان . وفي

حملته هذه تملك بلاد قزوين وأبهر وزنجان ودخل أمراء الديلم وطارم تحت تبعيته ، ولما لم ير أبو منصور فرامرز وأخوه أبو كاليجار كرشاسف مناصا من التسليم اليه بعد أن أدركا أنهما لن يتخلصا منه سلما اليه بلادهما . وترك طغرل أصفهان على حالها الى أبي منصور لكنه طلب كرشاسف الى الري وأخذ منه همدان وأعطاها أحد العلويين . لكن أهل قرية كنكاور لما أبوا تسليم قلعتهم لطغرل أرسل اليهم كرشاسف فبقى بها الأخير . وأثناء مقام طغرل بالري أمر بعض جنده بأخذ همدان وكانت هذه الولاية كما نعلم في هذا الوقت تحت سيطرة أبي كاليجار الديلمي . وأرسل الأمير الديلمي وزيره من شيراز لحفظ كرمان فغلب الوزير جند طغرل وحفظ كرمان مؤقتا من سيطرتهم .

وفي (٤٣٦هـ) نزل كرشاسف من قلعة كنكاور واسترد همدان من عمال طغرل وخطب فيها للأمير أبي كاليجار الديلمي وقام بتصريف أمورها ثانية . ولما سمع طغرل بهذا أنفذ إبراهيم ينال من سيستان الى همدان فتصرف في حملته هذه جميع بلاد الجبل حتى حدود نهبروان وخوزستان وهزم كرشاسف والأكراد الذين انبعثوا لمعون الأخير . وكان الملك أبو كاليجار الديلمي يود أن ينهض لمعون كرشاسف محمية لكنه لم يستطع الحركة بسبب شيوخ المرض في خيل عسكره ، وبهذا بلغت حدود دولة السلاجقة حدود العراق العربي من ناحية الغرب .

طغرل والديالة الكاكوية وآل بويه :

وفي الوقت الذي انشغل فيه طغرل وأخوه إبراهيم ينال بضبط بلاد ايران الوسطى والغربية ، كان الشقاق والخلاف مشتتلا ما بين أفراد الأسرة الكاكوية من ناحية وبينهم وبين آل بويه من ناحية أخرى ، وكانت هذه الحالة خادمة للأتراك السلاجقة تماما .

ففضلا عن الصراعات الدائمة بين أبناء علاء الدولة كاكوية وقد أشرنا اليها اليها فقد كانت المنافسة شديدة بين أبي منصور فرامرز

كاكويه والملك أبي كاليجار الديلمي أيضا حتى أن أبا منصور في (٤٣٥هـ) هاجم كرمان لاستقطاعها من آل بويه لكنه غلب فالتجأ إلى طغرل على أمل أن يسيطر السلطان السلجوقي على بلاد البويهيين ويدعها له . ولما لم يحقق طغرل له أمه وعاد إلى خراسان كاتب أبو منصور خوفا في بداية (٤٣٧هـ) الملك أبا كاليجار وقبل أن يدخل طاعته ويخطب له في أصفهان فقبل الأمير البويهى عذره وقر الصلح بينهما .

وفي (٤٣٨هـ) قدم طغرل إلى أصفهان ليضمها وحاصرها وعجز عن فتحها ووقف أبو منصور بقوة أمام السلطان السلجوقي وفي النهاية قنع طغرل بأن يرسل إليه أبو منصور مالا سنويا ويخطب له وأقلع عن فتح أصفهان .

وفي هذا الحين كان ابراهيم بن ينال في غرب ايران منشغلا خاصة في كرمانشاه بقمع الأكراد والغز العراقيين واستقطع بعد ضرب هؤلاء جميعا هذه المناطق من قبضة هذه الجماعات وعمال الملك أبي كاليجار الديلمي ، ودخل أبو كاليجار في الصلح مع طغرل مخافة أن يستولئ ابراهيم ينال على العراق وخوزستان وفارس فقبل طغرل عرضه وكاتب أخاه في (٤٣٩هـ) أن يتجنب مهاجمته بلاد أبي كاليجار ، ولكي يستحكم الصلح بينهما تزوج طغرل بابنة أبي كاليجار وزوج ابنة أخيه داود أو أخت الب أرسلان لابن أبي كاليجار .

وفي (٤٤١هـ) تحرك طغرل ثانية من خراسان إلى ايران الوسطى والغربية لقلقه من تفاقم قدرة أخيه ابراهيم بن ينال الذي استحوذ على بلاد الجزيرة وارمنية حتى حدود دولة الروم الشرقية وأصاب الروم بالهزائم فضلا عن ايران الغربية وكان غير راض من ناحية أخرى لسلوك أبي منصور كاكويه المنافق في أصفهان .

وبعث طغرل أولا إلى أخيه أن يخلي همدان وقلع ايران الغربية التي بتصرفه ولما لم يطع ابراهيم وأورد وزيره مورد القتل بتهمة أنه

تسبب في الفساد بينه وبين أخيه عجل طغرل الى همدان ، وانقلب ابراهيم ولاذ بقلعة ولم يفلح في النجاة من أخيه فاضطر الى الاستسلام ، فتلقيه طغرل باحترام وأبقاه عنده ودخلت جميع بلاد ايران الغربية والجزيرة في طاعته .

وبعد أن أنهى طغرل فتنة ابراهيم بن ينال اتجه الى أصفهان وحاصرها في المحرم من (٤٤٢هـ) واستمر حصاره لها عاما أرسل خلاله جيشا أيضا الى فارس . وفي النهاية في المحرم من (٤٤٣هـ) اقتحم طغرل أصفهان وقضى على دولة الديالة الكاكويه فيها وسير أبا منصور الى حكومة يزد وأبرقو .

وكان ملك آل بويه في هذا التاريخ كما رأينا في تاريخهم في يد الملك لارحيم ولد الأمير أبي كاليجار الذي بلغ في (٤٤٠هـ) إمارة كرمان وفارس وخوزستان وعمان والعراق العربي خلفا لأبيه لكن لم يكن حكمه قويا مستحكما لأن أعداءه كانوا في الداخل كثرة كما أن خوارج عمان والسلاجقة كانوا يضعون بلاده تحت تهديدهم من ناحية خراسان وقهستان وأصفهان وكرمانشاه ولم يكن هو بالشخص الذي يستطيع أن ينقذ كرمان من تهديد ألب أرسلان أو فارس وخوزستان والعراق من خطر طغرل .

وفي (٤٤٣هـ) حين ضم طغرل أصفهان اليه ، كما مر في تاريخ الديالة ، استعاد الملك الرحيم شيراز وأسطخر من أبي منصور فولادستون أحد أبنائه الذي كان استولى عليهما فاستمد فولادستون طغرل ، وتمكن فولادستون بعونه في (٤٤٥هـ) من شيراز وخطب فيها لطغرل أولا ثم للملك الرحيم ثم لنفسه .

ومع أن فولاد أحد الأمراء الديالة طرد في (٤٤٧هـ) أبا منصور من شيراز وأسقط اسم طغرل من الخطبة وبعد قليل استعاد الملك الرحيم شيراز الا أن طغرل كما سنيلي أسر الملك الرحيم في (٤٤٧هـ) وانهارت بهذه

الحادثة دولة دياملة آل بويه بيد طغرل الأول السلجوقي *

أوضاع دار الخلافة وآذربايجان والجزيرة عهد تغلب طغرل : —

كانت أوضاع دار الخلافة وبلاد الجزيرة وآذربايجان في هذا الوقت سيئة ، كانت الخلافة بيد القائم بأمر الله (٤٢٢ — ٤٦٧ هـ) الخليفة العباسي لكن الأمور جميعها كانت بيد أحد غلمان بهاء الدولة الديلمي السابقين وهو أبو الحارث أرسلان البساسيري (١) رئيس الجند الأتراك ولم يكن للخليفة القائم في الحقيقة أدنى نفوذ في مقابل البساسيري وأصحابه .

وفي بلاد الجزيرة وعراق العرب أي الموصل وديار بكر والحلة كان ثلاث أسر من الأمراء المحليين تحكم حكما يعد من الناحية الظاهرية تابعا للخليفة العباسية لأن طاعتهم له كانت من الناحية الدينية والروحية وحسب ولم يكن أمراء هذه الأسر ينصتون لأوامر الخليفة كثيرا في منازعاتهم وصراعاتهم أحدهم مع الآخر .

أما الخلفاء الفاطميون الذين أسسوا في (٢٩٧ هـ) دولة في حدود تونس الحالية ثم استولوا في (٣٥٦ هـ) على وادي النيل وبنوا مدينة القاهرة في ذكرى فتحهم لبلاد مصر وجعلوها عاصمتهم فكانوا أعداء كما نعلم للخلفاء العباسيين في بغداد والأمراء الذين يحكمون تحت حمايتهم بسبب اعتناقهم للمذهب الاسماعيلي . ولما كان الدعاء الاسماعيليون الذين نجحوا في تأسيس الخلافة الفاطمية قد انبعثوا من إيران ولم يتمكنوا من تأسيس دولة عظمى في موطنهم الأصلي بسبب قوة السامانيين والغزنويين فقد كان خلفاؤهم يودون دائما بسط دائرة استيلائهم على الشرق أيضا ويقضون على الخلافة العباسية تماما ويفوضون أمورها إلى العلويين الذي انتسب اليهم الفاطميون .

(١) البساسيري نسبة إلى بساسير وهي الشكل القديم (بسا) أو (غسا) وهي المدينة المعروفة من مدن فارس (سياقي) .

ومع أن الفاطميين قد فقدوا نتيجة لانتقال عاصمتهم من تونس الى القاهرة القسم الغربى للكهم أى جزائر صقلية ومالطة وطرابلس لكنهم مدوا حدود دولتهم فى الشرق فى بلاد الشام ، مثلما ضموا اليهم حلب فى (٣٩٤هـ) بسبب صاحبها سيف الدولة الحمدانى واعتناقه المذهب الفاطمى وظلوا يرسلون الى هذه الولاية واليا من قبلهم الى أن استولى أعراب بنى مرداس عليها فى (٤١٤هـ) . وكذلك قبل بعض أمراء ديار بكر والنقاط الأخرى فى الجزيرة تبعية حكم خليفة مصر الفاطمى فأضحى القائم العباسى وبغداد مهددين بالخطر الفاطمى خاصة فى عهد خلافة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧ - ٤٨٧هـ) .

وكان امارة الموصل بيد الأمراء العقيليين العرب الذين تولوها من (٣٨٦هـ) . أما ديار بكر فقد استولى عليها أيضا طائفة من الأكراد هم بنو مروان من (٣٨٠هـ) وكانت امارة الحلة مع قوم من العرب اسمهم بنو مزيد أسسوا امارتهم فى (٤٠٣هـ) . وكانت امارة آذربايجان فى ذاك الحين فى يد أسرة من مهاجرى العرب سميت بالرواديين أتوا هذا البلد من أوائل الخلافة العباسية ووصلوا بالتدريج الى حكمها وكان يحكمها آنذاك منهم أبو منصور وهسودان ولد محمد أو (مملان) وأبو منصور وهسودان بن مملان هو ممدوح الشاعر المشهور قطران (٢) .

وقدم طغرل فى المحرم من (٤٤٦هـ) الى آذربايجان فأحنى له الأمير أبو منصور الروادى فى تبريز رأس الاستسلام وأرسل ابنه رهينة اليه وقبل أن يخطب للسلطان السلجوقى ثم رحل منها طغرل الى كنجة فأطاعه

(٣) هو أبو منصور قطران العضدى التبريزى من شعراء القرن الخامس والعصر السلجوقى ومن أول من انشأ ينظم فى تبريز الفارسية . من آثاره ديوان يميل اسلوبه غالبا الى الفرخى والعنصرى ، ومن قصائده المعروغة قصيدة فى وصف زلزال تبريز الذى حدث عام (٤٣٤هـ) . وقد امتزج أغلب شعره فى شعر الرويكى لتشابه اسم ممدوح الثانى وهو أبو نصر السامانى مع كنية ممدوح قطران وهو أبو نصر مملان . وفوق الديوان له كتاب فى اللغة اسمه تفاسير فى لغة الفرس .

أميرها وأسرع طغرل الى مدينة (ملازكرد) من بلاد أرمنية وكانت تحت طائلة البيزنطيين فخرّب ما حولها وبعد استئساره واغتنامه منها كثيرا وادخل الأمير المرواني لديار بكر في طاعته عاد الى آذربايجان ومنها الى الري *

وفي بداية (٤٤٧هـ) قصد طغرل همدان من الري وأظهر أنه يريد زيارة الكعبة بيت الله ويصلح طريق مكة وكان يود باطنا أن يقضى على المستنصر بالله الفاطمي في مصر ويزيل الدولة الفاطمية نهائيا وأمر لهذا الغرض أن يجمع عماله في البلاد المجاورة للعراق العربي مثل دینور وكرمانشاه وحلوان جنودهم *

ولما قفل طغرل وصحبه راجعا الى العراق العربي قدم الملك الرحيم الديلمي الذي كان ما يزال يخطب له في دار الخلافة من واسط الى بغداد بهدف أن يمنع طغرل * ولم يكن هدفه هذا ممكنا لأن طغرل كان قد طمأن الخليفة من جانبه قبل ذلك وأظهر له الطاعة والانقياد من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان وزير القائم وجماعة من حاشيته برفقة طغرل سرا ، وأهم من هذا كله أن أرسلان البساسيري رئيس الجند الأتراك قد خرج من (٤٤٦هـ) عن طاعة الخليفة العباسي واتصل خفية بالمستنصر الفاطمي وحرّم الخليفة والملك الرحيم من معاونته * ونتيجة لهذه الأوضاع خطب بأمر الخليفة القائم في بغداد في الجمعة لثمان بقين من رمضان سنة (٤٤٧هـ) وأسقط اسم الملك الرحيم الديلمي من الخطبة ودخل طغرل بغداد باجازه القائم فقبض على الملك الرحيم بعد اماره بغداد ستة أعوام وعشرة أيام وبهذا سقطت دولة آل بويه الذين استولوا على بغداد وحكموا على خليفاتها منذ عهد معز الدولة بلا انقطاع *

وتزوج القائم في المحرم من (٤٤٨هـ) بابنة داود وأخت ألب أرسلان وبنت أخى طغرل وقامت بهذا علاقة التقرب بالمصاهرة بين الأسرتين العباسية والسلجوقية *

وأثناء مقام طغرل ببغداد هاجم أرسلان البساسيري الموصل
مستظهر بالمستنصر الفاطمي وأشياعه في الجزيرة تقاتل في مدينة سنجار
مع قريش العقيلي الأمير الموصل وقتمش ابن عم طغرل وكان نور الدولة
دبيس المزدي يساعد البساسيري والخليفة الفاطمي في هذه المعركة ،
وخرج البساسيري ونور الدولة منتصرين وهزم قريش وقتمش هزيمة
شديدة ، ولكي يتلافى الخليفة القائم الخطر المترتب على هذه الهزيمة وكان
يتوجه الى خلافته ولكي يستريح من شر جند طغرل الذين تسببوا في
ايذاء الناس لطول مقامهم ببغداد فقد أمر طغرل بأن يتجه الى الجزيرة
فاتجه اليها السلطان بعد مكث ثلاثة عشر شهرا •

وكان نتيجة تحرك طغرل أن دخل نور الدولة في طاعته وكذلك الأمير
الرواني لديار بكر وعاد طغرل الى بغداد (٤٤٩هـ) بعد اخماد فتنة هذه
البلاد واناة ابراهيم ينال فيها • أما البساسيري فقد لاذ بحدود الشام
ولما سمع أن ابراهيم ينال قد تحرك الى بلاد الجبل من الموصل عاصيا
طغرل أتاها في (٤٥٠هـ) واستولى عليها لكن طغرل عجل اليها من بغداد
فهرب البساسيري من أمامه •

ازالة فتنة البساسيري في ٤٥١هـ :-

وبعد عودة طغرل من بغداد وتحركه الى همدان انتهز البساسيري
الفرصة وهاجم بغداد فتركها الخليفة القائم فلم يكن يطيق مقاومته
ودخل البساسيري في الثامن من ذي القعدة (٤٥٠هـ) عاصمة العباسيين
وخطب للمستنصر بالله الفاطمي وأزال اسم بنى العباس من خطبتها •

أما طغرل فقد صار تحت وطأة ثورة أخيه ابراهيم بن ينال بعد
وصوله همدان وطلب عون أولاد أخيه داود ألب أرسلان وقاورد وياقوتي
لقلة الجند معه فأتوا لِعونه وهزم جماعتهم ابراهيم ينال بالقرب من الري
وأمر طغرل هذه المرة بقتله ولما اطمأن قلبه من هذه الناحية خف الى
بغداد ليطرد البساسيري عنها ويعيد القائم للخلافة •

وأخلى البساسيري في السادس من ذي القعدة (٤٥١هـ) دار الخلافة
أي بعد عام بالضبط مخافة طغرل وثورة الناس فأتى القائم وطغرل بغداد
وبعد أن أقر طغرل الخليفة على كرسى الخلافة قصد الكوفة لاجتثاث
البساسيري حتى يمنعه من التحرك الى الشام ليقطع طريق رجعتيه •
وقتل البساسيري نتيجة حرب واحدة وأرسل رأسه بأمر طغرل الى القائم
ببغداد وكفى الله بغداد شر البساسيري واستيلاء الفاطميين •

وفاة طغرل الأول في ٤٥٥ هـ : —

عاد طغرل الى بلاد الجبل بعد القضاء على البساسيري واصلاح
أمور العراق العربى والجزيرة ولما كانت زوجته قد وافها أجلها في آخر
(٤٥٢هـ) خطب من الخليفة القائم ابنته ، فاستتكت القائم أولا أن يجيبه
هذا الأمر لكنه رضى كرها خوفا من تهديدات طغرل وفي ذي القعدة من
(٤٥٤هـ) تزوجت ابنة القائم بطغرل رسما •

وفي أوائل (٤٥٥هـ) قصد طغرل بغداد من أرمنية وبعد نحو شهرين
من مكثه في دار الخلافة تحرك الى الرى ومعه زوجة الخليفة ابنة أخيه
التي كانت غضبى من زوجها ، لكنه مرض بهذه المدينة وبعد قليل مات بها
في الثامن من رمضان (٤٥٥هـ) وهو في السبعين وقد استمرت مدة سلطنته
من شوال (٤٢٩هـ) حتى رمضان (٤٥٥هـ) أى نحو ستة وعشرين عاما •

ووزير طغرل المشهور هو أبو نصر منصور بن محمد الكندرى من
أهل قرية كندر بنيشابور والذى تلقب بعميد الملك ، وكان قد وزر من قبل
وزارته التي بدأت من أواخر (٤٤٨هـ) واستمرت حتى آخر عمره ، أربعة
نفر آخرون في بلاط طغرل أشهرهم أبو القاسم على بن عبد الله الجوينى
المعروف بقائد بوزجان سبق ذكره •

وعبد الملك الكندرى الذى يقف من نظام الملك الطوسى وهو من
عظام وزراء السلاجقة موقف المنافسة والخصومة من المنشئىن الكبار في

اللغتين العربية والفارسية ويعود الفضل في أكثر ازدهار دولة طغرل الى كفاءة هذا الرجل المشهور وحفكته ، وبسبب نفاذ بصيرته في الأمور وقوته العلمية والأدبية وتدبيره وسياسته تمكن طغرل من الاستيلاء بيسر على العراق العربى ودار الخلافة وادخال الخليفة القائم ووزرائه وحاشيته بلا قتال وسفك دم تحت طاعته . وقد بلغ نفوذ عميد الملك الأدبى في بلاط الخلافة حدا كان يجعله يفصل دائما في الخلافات بين البلاطين العباسى والسلجوقى لصالح طغرل .

٢ — عقد الدولة محمد ألب أرسلان بن جغرى

(٤٥٥ — ٤٦٥ هـ)

اختار طغرل الأول في مرض موته بالرى سليمان أحد أبناء أخيه داود جغرى بىك ، وكان وأمه ببلاطه ، خلفا له ، ورفع عميد الملك الكندرى بعد موت طغرل سليمان الى الخلافة وأجرى الخطبة باسمه . وكان جغرى بىك في حياة طغرل أميرا للقسم الشرقى لبلاد السلاجقة وهى ما وراء النهر وخراسان وكان يدفع عنه هجوم الخانيين والغزنويين الى أن مات في (٤٥١ هـ) وخلفه في ولايته من أولاده الأربعة ألب أرسلان (١) وقاورد وياقوتى وسليمان الأول ألب أرسلان . ثم لحقت زوجته وسليمان ابنها ببلاط طغرل ، وبعد أن مات أخوه تزوج بها ثم جعل طغرل باضرار زوجته هذه من سليمان ابنها وارثه .

ولما بلغ خبر موت طغرل خراسان ، عصى ألب أرسلان أخاه ونادى بنفسه وارثا لطغرل يؤازره في ذلك وزيره المشهور أبو على حسن بن على ابن اسحاق الطوسى أو خواجه نظام الملك وأخذ جانبه بعض الأمراء السلاجقة أيضا . ولما رأى عميد الملك الكندرى أن سلطنة سليمان بن

(١) ألب في التركية تعنى البطل أو القوى وأرسلان هو الأسد فيها أيضا .

تتحقق مع وجود ند قوى كالب أرسلان خطب لسلطنة الأخير في الري
وجعل من سليمان وليا لعهدده .

قتل عميد الملك في ذي الحجة ٤٥٦ هـ : -

وبعد أن جلس ألب أرسلان على الحكم يمم من نيشابور وبرفقتة
نظام الملك شطر الري لكي يدفع ابن عم أبيه شهاب الدولة قتلмыш بن
إسرائيل الذي ادعى السلطنة واستولى على الري . وجرت الحرب بين
أتباع قتلмыш وألب أرسلان على مقربة من (خوار) بالري وهزم قتلмыш
ولفظ آخر أنفاسه في المعركة ، وقتلмыш هذا كما سوف نشير هو جد
شعبة السلاجقة الروم (٢) .

وبعد هذا الفتح دخل ألب أرسلان ونظام الملك الري في آخر المحرم

(٢) حينما كان أتباع طغرل وأخويه تحت حماية الغزنويين كان أتباع
أرسلان بن سلجوق الذين عرفوا بالغز العراقيين يسيحون في العراق
لأذربايجان وأرمينية وقد شهر من قادتهم زمن طغرل قزل وككتاش . ومع
بداية هجمات السلاجقة على أرمينية عهد باسيل الثاني كما سيلي استطاعت
قبيلة البجناك أن تصل إلى الدانوب وتعبه إلى بلغاريا وتدخل صفوف جيشه
وظلت القبائل التركية على صلة بالأناضول ينفذون إليه ويخرجون منه صيفا
وشتاء ارتيادا للبرعى والنجعة . ولما تأسس للسلاجقة دولة في فارس كانت
جموع التركمان الواغدة تشكل خطرا على أمن دولتهم فلهذا دفع طغرل بأموال
الغز والقرلوق والقيجاق والقالاج ، ومن بعده ألب أرسلان وملكشاه إلى
جهاد البيزنطيين ليجنبوا المسلمين غاراتهم وليقووا نفوذ دولتهم بأضعاف
الروم وليضمنوا لقبائلهم الأرض والغذاء . وقد وضع ابن الأثير (الكامل ٦/٩
٢٢٧ ، ٢٤٩) هذه السياسة في ضم إبراهيم بن ينال جموع الغز إليه
وجهاده بهم الروم ووصولهم إلى ملازكرد وأرضروم وقاليقلا وطرابزون
وأسرههم ملك الأبخاز واقتربهم إلى القسطنطينية .

وبعد موت أرسلان وأصل ابن أخيه قتلмыш بن إسرائيل فتوح
الأناضول ، ذكر القلقشندي في صبح الأعشى (ح ٥ ص ٣٥٨) طبعة مصر
١٩١٧ م : « أن قتلмыш فتح قونية وأقصرا . وزالت أرمينية بفتوح ألب أرسلان
فإن أنى وقارص كما سيلي ثم ما نأكرت فانفتح الطريق أمام السلاجقة خاصة
سليمان بن قتلмыш الذي وأصل جهاد أبيه بعد أن رفعته قبيلة (ياب أو غلو)
رأسا لها وقد هربت إلى الأناضول اثر ثوزتها على طغرل وألب أرسلان ، وبعد
سلسلة من الغزوات أسس فرع السلاجقة في الأناضول أو سلاجقة الروم .

من (٤٥٦هـ) ودخل عميد الملك ليعتذر الى نظام الملك مقبدا خمسمائة دينار هدية ، فلما خرج عن بلاط السلطان والوزير تحرك أكثر الجنود في ركابه . وخاف السلطان والوزير من هذا الأمر فأمر ألب أرسلان بسجادة الوزير فيما يظهر بالامساك بعميد الملك فأرسل رأس هذا الوزير الفاضل الى نظام الملك في كرمان .

فتوحات ألب أرسلان :-

أوسع ألب أرسلان من حدود المملكة التي ورثها عن عمه طغرل في غربها وشمالها الشرقي وفي ظرف تسع سنوات ونصف سنة أوصل حدودها بكفاءته وحنكة وزيره نظام الملك حتى شاطئ سيحون والبحر المتوسط وأزال جميع خصومه الذين ادعوا السلطنة والمخالفة ، ومن بين ذلك ذهابه في (٤٥٦هـ) لتأديب أمير الختلان (من ولايات الوادي الأعلى لجيحون) الذي رأس العصيان وقتله له وادخال ولايته في طاعته ، ثم اسرعه لتأديب عمه ييغو والي هراة الذي عصاه فغلبه وأدخله طاعته ثم سيطر في عودته من هراة الصاغانيان في طريقه الى نيشابور .

وبعد أن اطمأن قلبه لجانب ما وراء النهر وخراسان عزم الجهاد فقصده أرمنية وبلاد الروم الشرقيين (البيزنطيين) فتقدم من نيشابور الى الري ومنها الى آذربايجان وجعل من نخجوان مركزا لمعسكره .

فتح أرمنية وجزء من بلاد الكرج والأبخاز في ٤٥٦هـ :-

كانت أرمنية وهي المنطقة الواقعة بين البحيرات الثلاث (وان) و (أورمية) و (كوكجه) قد عادت اليها قوتها وظهر بها ملوك أقوياء وحدوا بلادها تحت حكم وإدارة واحدة وذلك منذ أن ضعفت الخلافة العباسية وغفل عنها البيزنطيون بسبب انصرافهم الى دفع هجوم مسلمي الجزيرة والشام .

ولما انتهت الامبراطورية البيزنطية الى سلطانها الكفء النشط

باسيل الثانى أو باسيليوس (٣٦٥ - ٤١٦ هـ) لم يكن لهذا الامبراطور فكر غير تجديد عظمة الروم السالفة فبسط حدود دولته فى شبه جزيرة البلقان وآسيا الصغرى ومن بين ذلك استولى على بلغاريا غربا وهاجم أرمينية شرقا وسيطر على الجزء الأعظم بين بحيرتى وان وأورمية ، وصارت أرمينية عهد أن كان السلاجقة يؤسسون دولتهم تحت وطأة ندد قوى هو باسيل وجار مقتدر آخر هى دولة الأبخاز (فى شمال أرمينية وسواحل البحر الأسود) •

وبعد أن تمكن باسيل من أرمينية توجه من جنوب شرقى البحر الأسود الى بلاد الأبخاز حيث كان يحكم ملكها الشاب (جيورجى) ، الا أن جيورجى بعون الأرامنة والمسلمين أوقع بباسيل الهزيمة فخذت شوكة امبراطور بيزنطة وزاد خلاف ذلك اعتبار دولة الأبخاز وأهميتها • وبعد أن مات جيورجى فى (٤١٨ هـ) خلفه ابنه ذو التسع السنوات (بقراطى) تحت ادارة أمه • ولما بلغ بقراطى سن الرشد ، فكر فى بسط مملكته فهاجم لذلك بلاد القفقاز المسلمين أى ولايات تفليس وأران وألحق فى (٤٣٠ هـ) بمسلمى أران هزيمة شديدة وحصر تفليس فى (٤٣٤ هـ) •

ولم تدم فترة قوة بقراطى طويلا لأن الروم الغربيين غلبوه من ناحية ، وهاجم ابراهيم بن ينال أخو طغرل بلاده فى (٤٤٠ هـ) من ناحية أخرى ، فلاذ بقراطى باستمداد امبراطور بيزنطة الا أن الترك السلاجقة هزموا الجيشين معا ، وتقدم ابراهيم بن ينال فى عهد طغرل الأول بعد فتحه بلاد أرزنه الروم (أرض روم) وملازكرد حتى ميناء طرابزون •

وفى (٤٤٦ هـ) تقدم كما مر سابقا ألب أرسلان وابنه ملكشاه ووزيره نظام الملك الى نخجوان • وقام ملكشاه ونظام الملك بفتح كثير من قلاع الكرج وبلادهم الأبخاروكرا قافلين الى ألب أرسلان • ثم تحرك السلطان بنفسه الى ولاية كارتلى (غرب بلاد الكرج) ولم يجد بقراطى فوتا من أن يصلح السلطان السلجوقى بقبوله دفع الخراج وتزويج

ابتنته من ألب أرسلان • وقد طلق ألب أرسلان ابنته هذه بعد ذلك وتزوج بها نظام الملك •

وبعد أن فتح ألب أرسلان بلاد الكرج والأبخاز أناب الأمير الكردى الأصل لكنجة وهو الأمير فضلون فى إمارة تقليس ، وذهب عن طريق (قارص) لفتح قلعة آنى (فى غرب ايروان على رأس طريق أخلاط فى أرمينية) وخلص بعد مدة من الحصار هذه القلعة من سيطرة المسيحيين وعلى اثر هذه الفتوحات طوى اسم ألب أرسلان جميع بلاد المسلمين طيا وأمر الخليفة بالثناء عليه على المنابر والدعاء له •

فتوحات ألب أرسلان فى الشرق : —

وعاد ألب أرسلان الى أصفهان بعد أن فتح قلعة آنى وتقدم منها الى كرمان وخف من أصفهان أخوه قاورد بن جفرى الذى وليها من (٤٣٣هـ) ولقب بعماد الدولة قرا أرسلان لاستقباله وآب ألب أرسلان الى عاصمته مرو بعد أن اطمأن الى انتظام الأمور بهذه البلاد ثم اختار ابنة طمغاج خان ابراهيم الخاقان الافراسيابى زوجة لابنه ملكشاه وزوج ابنة السلطان ابراهيم الغزنوى كما سبق ذلك لابن آخر له هو أرسلان شاه وبهذا ارتبطت الأسرة السلجوقية بالأسرتين الخانيصة والغزنوية برباط النسب •

وفى (٤٥٧هـ) اتجه ألب أرسلان الى ما وراء النهر وخوارزم وعاد الى مرو بعد أن سلمت له جند وهى من المراكز الأولى لإقامة السلاجقة واطاعة أميرها له وأمير خوارزم وفى عودته الى مرو اختار ألب أرسلان ابنه ملكشاه رسماً لولاية عهده ثم أخذ الميثاق على اخوته والأمراء والكبار السلاجقة أن يرفعوا ملكشاه من بعده ، ثم قسم ممالكه فى هذا الحين أى بذاية (٤٥٨هـ) بين اخوته وأولاده وأقاربه ، فترك بلخ الى سليمان وخوارزم الى أرسلان أرغو وطخارستان والصاغانيان الى الياس ، اخوته الثلاثة وأناب أرسلان شاه ابنه الآخر فى مرو •

ونقام في (٤٥٩هـ) عماد الدولة قاورد أمير كرمان السلجوقي وأخو
السلطان بعصيانه وأسقط اسمه من الخطبة ونادى باستقلاله ، فجاء ألب
أرسلان كرمان وبعد هزيمة جنده قبض عليه في قلعة (جيرفت) لكنّه
عفا عنه وأبقاه أميرا على كرمان كما كان ثم رحل عنها الى فارس وفي هذا
السفر فتح نظام الملك قلعة أصطخر للسلطان ونتيجة لهذا زاد مقامه
عند ألب أرسلان عزة واحتراما أكثر من ذي قبل .

فتح ملازكرد في ٤٦٣هـ : —

في عام (٤٦٢هـ) هاجم امبراطور بيزنطة رومانوس ديوجارنيس
بجيش عظيم بلاد الشام وهزم مسلميها والأمير المرداسي بحلب محمودا
ابن صالح وقد انصرف محمود عن العلويين بمصر بعد أن جعل من نفسه
مطيعا تابعا للخلفاء الفاطميين بمصر لما رأى انهيار قوتهم وعظم شوكة
ألب أرسلان ، وقبل أن يقع موقع هجوم ألب أرسلان خطب في حلب في
(٤٦٣هـ) للقائم العباسي وألب أرسلان ، وقد أسقطت مكة والمدينة وقتذاك
أيضا الخليفة المستنصر الفاطمي من خطبتيهما وخطبا مكانه للقائم وألب
أرسلان .

ومع أن محمودا بن صالح قد أطاع السلطان ألب أرسلان الا أن
السلطان أتى حلب وطلب الى محمود أن يحضر للقائه فامتنع محمود
فحصر السلطان حلب ، وفي النهاية لم يجد محمود بدا من الاستسلام
فقدم وأمه الى ألب أرسلان فعفا عنه السلطان بشفاعه أمه وصارت حلب
من (٤٦٣هـ) تبعا للسلاجقة .

وفي نفس العام أتى رومانوس ديوجانيس لفتح ما فقد من أرمينية
وغرب بلاده بجيش عدته مائتا ألف جندي من اليونانيين والكرجيين
وشعب البلغار وروسية وفرنسا الى آسيا الصغرى وعسكر في مدينة
ملازكرد (ما بين بحيرة وان وأرزنة الروم في شمال أخلط) . ومع أن
ألب أرسلان لم يكن برفقته أكثر من خمسة عشر ألف فارس تركي الا أنه

خف للقاء الامبراطور وأرسل أهله وعياله برفقة نظام الملك الوزير الى
همدلي .

وقد طلب ألب أرسلان مع انتصاره على طلائع جيش رومانوس
بالقرب من أخلاط مصالحته لخوفه بسبب قلة جنده ، لكن الامبراطور قال
بغور سوف نتصالح في الرى (١) ، فجعل هذا ألب أرسلان يستبسل
ولا ينشد الا الفتح أو الشهادة مجاهدا في سبيل الله تعالى ، فهاجم
وصحبه الذين كانوا فرسان تعصب للدين مغاوير دفاعا عن الاسلام
البيزنطيين على كذب من ملازكرد وأعمل الترك السلاجقة بأسلوبهم
الخاص في الهجوم والكر والفر مع قلة عددهم سيوفهم في رقاب
المسيحيين حتى اختفت الأرض تحت جثث قتلاهم ووقع الامبراطور
أسيرا في أيديهم وأتى به الى ألب أرسلان . وجلد السلطان أولا
الامبراطور ثلاثا وقال له لماذا لم تقبل دعوتى للصالح ؟ فأجاب السلطان
وقد بلغ به التأثير : لا تلمنى وافعل بى ما تريد ، فعفا عنه السلطان مقابل
ألف ألف وخمسين ألف دينار وعقد معه صلحا لمدة خمسين سنة وأعادته
الى بلاده (٢) .

وفتح ملازكرد من الوقائع الهامة في تاريخ آسيا الغربية لأن الروم

- (١) أراد ألب أرسلان تسوية المسائل سلميا لكنه لم يوفق وللرسائل
المتبادلة بين الطرفين أهميتها ، يقول ألب أرسلان في رسالته الى رومانوس
على رواية ميرخوند في كتابه تاريخ السلاجقة نشر فولرز (وبرغم كثافة جندك
فانك تواجه أميرا انتصاراته شائعة ذائعة فاذا كنت ندمت على تعجلك فتمسك
بالجزية وأقلع من العدوان وسيترك عند ذلك السلطان على ما بيديك من
أرضين ولا يلحق بك اذى والا فستجلب الخراب على رأسك) وأجاب
رومانوس برواية جييون : (اذا كان البربرى يرغب في السلم فليترك الأراضى
التي يحتلها لجند الرومان ويسلم مدينته الرى وقصره بها ضمانا على اخلاصه)
راجع : (تاريخ بخارى) لفامبرى ص (١٣٦-١٣٧) وحاشية ٢ ص (١٣٦) .
(٢) انظر للتفاصيل ما ذكره عماد الدين الأصفهاني في هذه الواقعة من
وصف بليغ في كتابه (تاريخ دولة آل سلجوق) اختصار الفتح البندارى ص
٣٩ - ٤٢ (مصر ١٣١٨ هـ) والكامل ٢٧/١٠ .

من هذا الوقت فصاعدا لم يفكروا في التوجه الى أرمينية مرة أخرى وكانوا دائما ينفذون اليها من أواسط العهد الأشكاني ولم يرفعوا يد السيطرة أو عين الطمع عنها مع مجاللات الملوك الأشكانيين والساسانيين ومجاهدات المسلمين لهم ، بل أخذت بلاد آسيا الصغرى من بعد هذه الواقعة تخرج تدريجا عن أيديهم ، كما بدأت الحضارة اليونانية والآداب المسيحية التي انتشر نفوذها ورسخت قواعدها بعون أباطرة القسطنطينية حتى حدود أراين و آذربايجان بدأت في الزوال مع فتح ملازكرد و شروع استيلاء الأتراك السلاجقة ، وحلت محلها بالتدريج الحضارة والآداب الاسلامية واللغة الفارسية .

قتل ألب أرسلان في العاشر من ربيع الأول ٤٦٥ هـ : —

ترك طمنج خان ابراهيم ملك توران سلطنته في أواخر عموره الى ابنه شمس الملك نصر ولما توفي في (٤٦٥ هـ) استقل شمس الملك وخرج عن طاعة السلاجقة . وعبر ألب أرسلان في بداية (٤٦٥ هـ) جيحون بجيش بلغ مائتي ألف جندي لتأديب شمس الملك . وفي صباح السادس من ربيع الأول من (٤٦٥ هـ) أتى بأمير إحدى القلاع هو يوسف الخوارزمي وكان عاصيا مقيدا الى السلطان ولما أغلظ يوسف القول الى ألب أرسلان طلب السلطان الى حراسه أن يطلقوا سراحه لكي يصيب منه يسهامه مقتبلا ، وأخطأ السلطان هدفه فهاجمه يوسف بخنجر كان معه وطعنه ومات السلطان متأثرا بجراحه بعد أربعة أيام ودفن في مرو . وكان مدة حكمه تسعة أعوام ونصف عام وكانت وزارته طوال مدة حكمه لنظام الملك الطوسي ولم يحول ألب أرسلان نظره عنه مرة مع سعاية الساعين وكان يسير دائما برأى هذا الوزير المحنك وكفايته .

٣ — جلال الدين أبو الفتح حسن ملكشاه

(٤٦٥ — ٥٤٨٥هـ)

كان لألب أرسلان ستة أولاد هم ملكشاه الذى خلفه بنساء على وصيته وتعيينه ثم اياز وتكش وبورى برس وتتش وأرسلان ارغو وكان لكل نصيب من مملكة أبيه وسوف يود ذكر أكثرهم فى تفاصيل الوقائع بعد عاد ملكشاه وكان برفقة أبيه فى غزوة ما وراء النهر بعد طعن ألب أرسلان ووفاته مع نظام الملك والجنود الى خراسان وترك أخاه اياز فى بلخ ولما سمع أن عمه عماد الدولة قاورد قام يدعى السلطنة وقصد الاستيلاء على الري وبلاد الجبل وصل على عجل الى الري وتواجه بعون من الأمراء العرب للحلة والموصل مع جند قاورد على كئيب من همدان وتغلب عليه فى النهاية وأمسك بقاورد وقتله ليلا بمشورة نظام الملك لكنه ترك كرمان وبقية كرمان وعمان وسواحل البحر يتوارثها أفراد أسرة قاورد حتى (٥٥٨٣هـ) وتسمى هذه الأسرة بسلاجقة كرمان .

فتوحات ملكشاه : —

قبل أن يصل ملكشاه الى السلطنة أى حينما كان مشغولا بالحرب فى الجزيرة وأرمينية مع أبيه أرسل أحد أمرائه الترك الخوارزميين واسمه اتسز (اتسيس) بجند لمهاجمة الشام وفلسطين وكانت تحت إمرة المستنصر الفاطمى . وهاجم اتسز فى (٤٦٣هـ) بيت المقدس وحصر دمشق لكنه فشل فى أن يفتحها فى هذه الآونة ، وكان حتى (٤٦٨هـ) يجدد هجومه عليها كل عام حتى أخرج دمشق فى السنة الأخيرة عن يد عامل المستنصر . وهاجم فى السنة التالية مصر وحاصر القاهرة ، لكنه لم يحقق شيئا بسبب ظلمه الناس واحجافه بهم ومدافعة الجنود الفاطميين وعاد منهزما الى الشام .

وفى (٤٧٠هـ) ولى ملكشاه أخاه تتش الملقب بتاج الدولة الشام

وأجاز له أن يضم الى حوزته كل ما يفتحه من بلادها . فحاصر تاج الدولة حلب أولا ، ولما قدم في ذاك الوقت قائد الجيش الفاطمي الى الشام لدفع أئتسز الخوارزمي وحاصر دمشق أتى تتش لعون أئتسز وهرب المصريون عند سماع هذا الخبر . ولم يسمح أئتسز لتتش أن يدخل دمشق وخرج هو ليلاقيه خارج أسوارها ، فغضب تتش لهذا وقتل أئتسز واستولى على دمشق في (٤٧٢هـ) وأسس أسرة سلاجقة الشام (١) .

وفي نفس عام (٤٧٢هـ) استخلص أمير الموصل العقيلي شرف الدولة مسلم بن قريش حلب من قبضة آخر أمراء بني مرداس وقضى على هذه الأسرة . وجعل ملكشاه حلب تبعا للأمير الموصل . أما شرف الدولة لما سمع في (٤٧٦هـ) أن تتش تحرك من بغداد بجيش ضخم بقصد السيطرة على أنطاكية بأمر من ملكشاه أصيب بالهلع من أجل ملكه فاستمد الخليفة الفاطمي بمصر لكي يخلص دمشق من قبضة السلاجقة لكنه فشل في تحقيق ما يريد واضطر الى أن يعود الى بلاده عندما بلغته أنباء الاضطرابات فيها . فأرسل ملكشاه جندا من بغداد وديار بكر الى الجزيرة لتأديب شرف الدولة هذا العقيلي ، ومع أن جنده هزم أمير الموصل وحصره الا أن ملكشاه صالح شرف الدولة بسبب اضطرابات خراسان وعصيان أخيه تكش وأبقاه أميرا على بلاده كما كان .

(١) كان أول اتصال السلاجقة بالشوام لما دخل هرون بن خان السلجوقي بلاد الشام فاستعان به عطية بن مرداس ملك حلب ومحمود بن شبل الدولة المرداسي في الصراع الدائر بينهما لملك حلب . ومع أنه تأسس فرع للسلاجقة في الشام بيد تتش بن الب أرسلان الا أن الخلافات بين القسواد السلاجقة نشبت فلم يتسم حكمهم مثل أخوانهم في الشرق بالقوة والتماسك . انظر بعض هذا الصراع كصراع تتش صاحب دمشق وبوزان متملك الرها وحران ، وأقسنقر صاحب حلب من ناحية أخرى (٤٨٧هـ) وقتال رضوان بن تتش وأخيه دقاق وسكان بن أرتق وما يتعلق بهرون السلجوقي « زبدة الحلب » لابن العديم (تحقيق سامي الدهان دمشق / ١٩٥١) ج ١ / ٢٨٧ - ٩٧ ، ١١١ / ٢ - ٧٧ .

فتح أنطاكية في ٤٧٧ هـ : -

كان ملكشاه قد فوض في (٤٧٠ هـ) حكومة ولايتي قونية وآق سرا من بلاد آسيا الصغرى اللتين فتحتهما الأتراك السلاجقة الى سليمان ولد شهاب الدولة قتلش بن اسرائيل السابق الذكر ابن عم طغرل الأول وجغرى وسليمان هذا مؤسس شعبة سلاجقة الروم .

وهاجم سليمان بن قتلش في (٤٧٧ هـ) ميناء أنطاكية الذي كان البيزنطيون قد استولوا عليه منذ عام (٣٥٨ هـ) ففتحه باسم ملكشاه وزاد به حوزة ملكه وقد أوسع فتح أنطاكية من حدود دولة السلاجقة ووصل بها الى شاطئ البحر المتوسط غربا . وبعد فتح أنطاكية طلب شرف الدولة العقيلي من سليمان قتلش أن يؤدي اليه الخراج السنوي الذي كان يدفعه له أمير أنطاكية المسيحي من قبله فرفض سليمان طلبه هذا ، فاشتعلت الحرب بينهما وقتل شرف الدولة بيد سليمان .

فتح حلب في ٤٧٩ هـ : -

كانت حلب تقع حدا فاصلا ما بين بلاد تاج الدولة تتش مالك دمشق ومؤسس شعبة سلاجقة الشام وسليمان بن قتلش أمير قونية وآق سرا وأنطاكية ومؤسس شعبة سلاجقة الروم وكانت حلب تحسب كما قلنا من بعد زوال العقيلين تبعا للموصل . وأراد سليمان بن قتلش أن يضم اليه حلب بعد فتحه أنطاكية الا أن أهلها دعوا تتش ليملك بلدهم فنشبت الحرب بهذا بين القائدين السلجوقيين وقتل سليمان في صفر من (٤٧٩ هـ) بيد تتش ودخلت حلب في طاعته (١) .

(١) في تفاصيل صراع مسلم بن قريش صاحب حلب وسليمان بن قتلش وانهزام الأخير وقاتله وقتل تتش لسليمان وقتل الأخير ، وكانوا في غنية عن هذا التقاتل والتفرغ لقتال البيزنطيين انظر ابن الاثير في الكامل ج (١٠) ص (٦٠) .

وقصد السلطان ملكشاه في نفس عام (٤٧٩هـ) في شهر جمادى الآخرة من أصفهان الجزيرة والشام ومنها عن طريق الموصل بلاد وادي الفرات الأعلى فاستولى على بعض قلاع هذه المنطقة الذي كان لا يزال في يد الروم ثم أتى حلب فأخلاها تتش قبل أن يبلغها أخوه ويمن شطر الشام وعاد السلطان إلى بغداد .

فتح ما وراء النهر في ٤٨٢هـ :-

حينما قتل ألب أرسلان وعاجل ملكشاه إلى الري لدفع قاورد اغتتم الملك خاقان توزان الفرصة فهاجم خراسان وتملك مدينته ترمذ في ربيع الآخر من (٤٦٥هـ) وطرد أيازا أخا ملكشاه عن بلخ لكن بعد قليل بسبب الخلافات التي استعرت بين أفراد الخانيين وعودة ملكشاه من العراق وتقدمه نحو سمرقند أجبر شمس الملك على قبول الصلح .

وفي أيام حكم أحمد خان ابن أخ شمس الملك الذي كان شابا ظالما متعديا قدم إلى ملكشاه جماعة من رجال الدين مما وراء النهر يشكون إليه ظلم حاكمهم ودعوا السلطان ليأخذ بلادهم (٤٨٢هـ) . فترك ملكشاه يرافقه نظام الملك أصفهان إلى خراسان وهاجم بعد جمعه جيشا ما وراء النهر فابتدأ بضم بخارى ثم حاصر سمرقند واستولى عليها بعد قليل وأمسك بأحمد خان واحتفظ به أسيرا وأصاب فيها أحد عماله ثم ألحق بسمرقند مدينة أوزجند وجاء أمير خانية كاشغر وقبل أن يخطب ويسك عملته في بلاده باسم السلطان .

وفي نفس رحلة ملكشاه المشهورة هذه إلى ما وراء النهر وكاشغر ، كتب الوزير نظام الملك لكي يظهر اتساع البلاد السلجوقية أجرة ملاحي جيحون على خراج أنطاكية أولا ، ثم اصطحبه رسول الامبراطور البيزنطي معه إلى حدود كاشغر لكي يؤدي فيها الخراج المقرر الذي كان يدفعه البيزنطيون بعد فتح ملاذكرد سفويا

للسلاطين السلاجقة وكان يأتي مبعوثهم الى أصفهان ليؤديه ، ليقول
الناس ان امبراطور الروم سلم الخراج السنوي للسلطان
السلجوقي في كاشغر .

وفي عودة ملكشاه الى خراسان ثار الأتراك الجكيون الذين
كانوا يعيشون في خدمة ملكشاه وأقاموا في سمرقند تحت رئاسة
عين الدولة بسبب عدم صرف مرتباتهم اليهم ودعوا الأمير الخاني
لفرغانة يعقوب تكين الذي كان أخا خان كاشغر الى سمرقند ، فأتاها
يعقوب تكين وقتل عين الدولة واستولى عليها .

وعاد ملكشاه عند سماعه هذه الأخبار من خراسان على وجه
السرعة الى ما وراء النهر ولما بلغ بخارى هرب يعقوب تكين من سمرقند
وتخلى عنه جنوده فاضطر الى اللجوء الى أخيه أمير كاشغر .
وأمر السلطان أمير كاشغر بتسليم يعقوب تكين وقال انه اذا عصى أمره
هذا فسوف يهاجم بلاده . فسير خان كاشغر أخاه الى السلطان الا أن
حراسه لما سمعوا في الطريق أن خان كاشغر قد أسره أحد الثوار هكوا
عقال يعقوب تكين . ورأى ملكشاه أن مصلحته في أن يدع يعقوب تكين
فأمر وزير زوجته ترکان خاتون (١) التي كانت ابنة طمناج خان ابراهيم
وعمة أحمد خان خاقان سمرقند وهو تاج الملك أبو الغنايم مرزبان ابن
خسرو فيروز الشيرازي باصلاح أمر يعقوب فأنهى الملك هذه المأمرية
بنجاح وأدخل يعقوب تكين في طاعة السلطان وعاد الى أصفهان .

الاسماعيلية وظهور الدعوة الجديدة : —

الاسماعيلية قوم من شيعة آل علي كانوا يعتبرون اسماعيل الامام

(١) تلفظ كلمة (ترکان) وهي تركية بمعنى السيدة والملكة (ترکن)
بكسر القاء والكاف (سياقي) أما خاتون فعند أغلب أصحاب المعاجم أنها
فارسية بمعنى السيدة ودخلت العربية وجمعت خواتين الا أن أرمينيوس
لهامبري رأى رأيا آخر في كتابه (تاريخ بخارى) وهو أن الكلمة تركية
مستمدة من الأصل (خت) بمعنى الخلط والادغام (ص ٣٩) .

السابع وليس الامام موسى الكاظم أخاه من بعد موت الامام جعفر الصادق الامام السادس وكانوا يقولون ان اسماعيل مستتر والأئمة من بعده مستورون وسوف يظهرون حين يقتضى الوقت الصلاح ، ولهذا سميت هذه الجماعة من الشيعة الاسماعيلية لأنهم يقولون بامامة سبعة أئمة وحسب كما سموا بالسبعية أيضا . وفي باب الامام يعتقد الاسماعيلية انه لما كان العقل البشرى غير كاف لمعرفة الله فلا بد من امام يطلع الناس على هذه المعرفة كالمعلم يعلم الناس ولهذا سمي الاسماعيليون بالتعليمية أيضا . وفي خصوص الشريعة اعتقد الاسماعيلية أن للإسلام ظاهرا وباطنا واذا تعقب المرء باطن الشريعة وأهل ظاهرها فليس عليه مسئولية ، ولهذا فقد كانوا يتأولون غالب أحكام الشريعة على وجه من الوجوه وجعلوا لكل عبادة وغيرها معنى باطنيا فسموا لهذا بالباطنية أيضا .

وانتشر دعاة المذهب الاسماعيلي ومبلغوه في جميع البلاد الاسلامية بعد اسماعيل بن جعفر الصادق ودعوا الناس في الشرق والغرب . وأهم تقدم لهم قبل تزايد قوة الفاطميين في افريقيا هو قيام القرامطة الذين ظهروا في (٢٧٨هـ) واستولوا على كثير من مدن العراق والشام والبحرين وأخذوا مكة وظلوا فترات أسباب ايزاء مسلمي هذه النواحي وسفك دمائهم (١) .

(١) انتشرت الدعوة القرمطية بين غلاحي السواد الجهلة الذين كانوا يثنون من جشع الجباة واستغلال الملاك وبين البدو الذين كان غنمهم مضرب المثل . وأشاع دعاة القرامطة انهم علويون مع انهم خالفوا الاسلام عقيدة وسلوكا وركزوا على فقر الناس لاثارتهم على الحكم العباسي ، ويظهر هذا في دعوة أول داعي لهم بالعراق القائلة (أمرت أن أدعو أهلها) قرية قرب الكوفة) من الجهل الى العلم ومن الضلال الى الهدى ومن الشقاوة الى السعادة واستنفذهم من ورطات الذل والفقر وأملهم ما لا يستغنون به من القعب والكذب) انظر تفاصيل مذهبهم في الكامل لابن الاثير ٧/٨-١٧٩ ، (٦٤/٨) . وقد استطاعوا الاستيلاء على البحرين واستشرى خطرهم بقيادة طاهر القرمطي الذي سلب الحجاج وفي (٣١٧هـ) دخل وأصحابه المسجد

وفي ايران وما وراء النهر مع ان الاسماعيليين في أيام اماره الأمير نصر بن أحمد وبداية أمر ديلمه آل زيار نفذوا في الأجهزة الحكومية الا أنهم لم يستطيعوا أن يكونوا دولة لهم بسبب تولى الأتراك الغزنويون المتعصبون والسلاجقة وعاش دعائهم وأشياهم لائذين بالجبال والقلع المحكمة وكانوا ييثون تعاليمهم من مخابثهم الى الناس . أما في الغرب أو افريقية فقد حازوا التقدم خلاف أمرهم في الشرق وأسسوا في تونس دولة في (٢٩٦هـ) وحتى لا يشتبه أئمتهم بعلويي ايران نسبوا أنفسهم الى فاطمة بنت الرسول صلوات الله عليه وسموا أنفسهم بالفاطميين ، وسيطروا كما مر شرحه تدريجا على مصر والقسم الأعظم من الشام والجزيرة العربية وخطب لهم في بغداد أيضا لمدة عام في عهد أرسلان البساسيري .

وبعد موت المستنصر بالله الخليفة الفاطمي في مصر (٤٢٧ هـ - ٤٨٧ هـ) قام النزاع بين ولديه المصطفى لدين الله نزار والمستعلي من أجل الخلافة لأن المستنصر جعل نزارا خليفة له في البداية لكنه ندم بعد هذا الاختيار وولى المستعلي عهده وكان لكلا الولدين أشياع . وكان نتيجة هذا الاختلاف أن انقسم الاسماعيليون قسمين : النزارية الذين التقوا حول نزار والمستعلوية الذين شايعوا المستعلي . ولم يبلغ نزار الخلافة وغلبه أخوه وأسره ومات في أسره الا أن أتباعه انتشروا في الأرض ودعوا الناس اليهم . وسميت دعوة النزارية بالدعوة الجديدة . وكان اسماعيليو ايران الذين قاموا بالدعوة فيها من هذا الوقت فصاعدا كانوا جميعهم من النزارية ويدعون أنهم أبناء أحد أبناء نزار .

الحرام وقتل الحجاج فيه وقلع الحجر الاسود وباب البيت وكسوته وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن الآخرين في المسجد الحرام (الكامل ٧٧/٨)
و (تاريخ بغداد للدوري ص ٧٤ - ٧٦) .

وفي أيام خلافة المستنصر ممن دخلوا الدين الاسماعيلي شخص
اسمه الحسن بن الصباح من أهل الري لا يعرف بالضبط أصله
ونسبه (٢) *

وتنقل الحسن بن الصباح في (٤٦٩هـ) بين الري وأصفهان
وآذربايجان والشام ثم سافر في (٤٧١هـ) إلى مصر ومكث بها سنة
ونصف سنة ودخل في جماعة تشايخ خلافة نزار فنقل عقيدتهم إلى
الشرق وأخذ من أواخر (٤٧٣هـ) يدعو شعب إيران إلى مذهب
الاسماعيلية النزارية ، وفي السادس من رجب (٤٨٣هـ) استولى على
قلعة (الموت) (٣) فجعل منها مركز دعوته ومقر إقامته واحتفظ
أتباعه غير هذه القلعة بحصون في أكثر النقاط الجبلية التي
يصعب الوصول إليها في شمال وشرق إيران من آذربايجان حتى
كرمان خاصة في بلاد الديلم وقومس وقهستان ، وكان في طوع
الرؤساء الاسماعيليين وأمرأ هذه القلاع جمع من الفدائيين
الانتحاريين سمو بالفدائيين كان الاسماعيلية يستخدمونهم غالبا
في قتل أعدائهم الألداء من قادة الجيوش والقادة الدينيين والأمراء

(٢) جاء في كتاب (سرگذشت سيدنا) أي سيرة سيدنا (المراد به
الصباح) الذي ألف له أن اسمه هو الحسن بن علي بن محمد ابن جعفر بن
الحسين بن الصباح الحميري ، ويدعى الصباح نسبته العربية هذه في قوله
(أنا من أولاد الصباح الحميري وكان آيائي في الكوفة ثم انتقلوا منها إلى قم
وجاءوا إلى الري من قم) وقد رد نظام الملك الطوسي نسبته العربية ونسبه
أهل طوس إليها ، ونسبه ابن الأثير إلى الري (انظر : حبيب السير : ج ٤
مجلد ٢ ص ٦٩ ، الكامل ١٠ / ١٩٩) .

(٣) الموت مخفف آله أموت أي آله أموخت أي تعليم العقاب ، فكلمة
آله بالديلمية تعني العقاب وسميت هذه القلعة بهذا الاسم لأن أحد الأمراء
الديلمية الذي يهوى الصيد تعقب يوما عقابه للصيد فوقف العقاب على
موضعها ، ورأى الأمير هذا الموضع مناسبا لبناء قلعة فسميت بسبب إرشاد
العقاب إليها آله أموت والموت . أما تفسير معناها نعش العقاب فخاطيء
(سياقي) . زعم خواندмир (حبيب السير ج ٤ مجلد ٢ ص ٧٢) أن معناها
وكر العقاب ، وكلمة (آله) كلمة فارسية وجدت في البهلوية أيضا ومعناها
النسر والعقاب .

والملوك ، وقد ولدت أعمالهم فزعا شديدا في سائر البلاد السلجوقية ، خاصة أنهم كانوا يستغلون بعضا من الأمراء والسيلاطين في قتل أعدائهم ثم يشيعون من بعد ذلك أن من قتلهم هم الفدائيون الاسماعيليون (١) .

(١) ذكر نظام الملك في (وصاياه) كما أورد حبيب السير : (كان اسم والده حسن الصباح عليا وكان رجلا ذا عقيدة خبيثة ومذهب سيء يبغى الزهد ويعيش بالري ، وكان الامام الموفق النيسابوري من اكبر علماء خراسان طبقت شهرته الآفاق واشتهر عنه أن أي تلميذ يأخذ عنه قراءات القرآن والحديث لا محالة من أن يبلغ المجد والحكم لذلك أرسل علي هذا بابنه الحسن إلى نيسابور ومكنه من التفرغ إلى العلم عند الموفق ليرفع عنه سوء مظنة الناس به) . ومع أنه قد ثبت انتقال هذه الوصايا على نظام الملك ، فقد انطلق خواندمير صاحب حبيب السير من أن الصباح أخذ عن الموفق مورا قصة طويلة مفادها أن نظام الملك وعمر الخيام وحسن الصباح تقلدوا جميعا على هذا الشيخ وكان الثلاثة أصدقاء فاقسموا على أنه إذا وصل أحدهم إلى مركز رفيع في الدولة فعليه أن يساعد زميله . ولما صار نظام الملك وزيرا للسلاجقة اتصل به الخيام وذكره بالميثاق فأجرى عليه معاشا بلغ عشرة آلاف ثم جاءه الصباح فعرض الوزير عليه حكومة الري أو أصفهان فلم يرض بأحدهما وطلب منصبا رفيعا في البلاط فأدى له ما أراد لكن الصباح أخذ يدس إلى نظام الملك للايقاع به وتولى الوزارة مكانه فلما انكشف أمره أثر الهرب إلى خراسان فأصفهان في شهور عام (٤٦٢هـ) وتلاقى بعبد الملك بن العطاش داعية الاسماعيلية في الري الذي سيره إلى مصر فاتصل بالمستنصر الفاطمي لكن الصباح لم يرض باستخلاف المستنصر دون نزار ولي العهد إلى آخر تاريخ الحسن بن الصباح . وما يهمني هنا أن قصة زمالة الخيام والصباح ونظام الملك يرغم تسليم رشيد الدين فضل الله صاحب كتاب جامع التواريخ بها محض خرافة وضرب من الوهم لأن الخيام والصباح ماتا بين (٥١٧ ، ٥١٨ هـ) وولد نظام الملك عام (٤٠٨ هـ) ومات (٤٨٥ هـ) ولم يبلغ الصباح والخيام المائة من العمر ، فإن جاز أن الثلاثة قد تعاصروا ورأى بعضهم الآخر لكن الثلاثة لم يتزاملوا في حلقات الدرس في الشباب في سن واحد .

(انظر حبيب السير مجلد ٢ ج ٤ ص ٦٩ - ٧٢) . وانظر في أخبار الصباح : الكامل : ج ١٠ ص ١٩٩ ، ١١٨ ، ١٦٢ - ٣ ، حبيب السير مجلد ٢ ج ٤ ص ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، وفي مراتب الحشاشين ووصف جفتهم المزعومة : تاريخ الأدب في إيران لبروان . ترجمة د. إبراهيم الشواربي (مصر ١٩٥٤) ص ٢٥٢ - ٦ .

قتل نظام الملك في المأشر من رمضان ٥٤٨٥ هـ : -

ولما شاخ نظام الملك في أواخر ملكشاه وجعل أبناؤه العديديون ورجاله ومعتلوه يديرون القسم الأساسي لأمر الدولة عنه وكانوا ينحرفون عن جادة الانصاف والعدل في كثير من الأحيان يدفعهم نفوذ نظام الملك الخارق وخدماته السابقة الكثيرة في بلاط السلالة كما كانوا يستبدون بالأمور ويتحكمون في الناس ، فاستوحش ملكشاه من نظام الملك وأولاده وأتباعه وأوسع قوم من الوزراء التابعين وعمال الديوان الظاهرين والذين كانوا يعتقدون أن وجود نظام الملك ونفوذه وأولاده يحولون دون ترقيتهم من دائرة الشقاق والخلاف بين السلطان والوزير وكانوا دائمى السعى الى تحطيم شأن أسرة نظام الملك .

ومن وزراء بلاط ملكشاه الذين سعوا أكثر من غيرهم في استئصال نظام الملك ثلاثة هم تاج الملك السابق الذكر الذى كانت له في هذا الأوان وزارة ترکان خاتون زوجة ملكشاه ورئاسة ديوان الطغراء والانشاء السلطانيين ، ثم مجسد الملك أبو الفضل أسعد ابن محمد القمى رئيس ديوان الاستيفاء وثالثهم سديد الملك أبو المعالى المنضل ابن عبد الرازق رئيس ديوان عرض العسكر . وفضلاً عن ذلك فقد تحالفت مع هؤلاء الثلاثة المخالفين ترکان خاتون التى كانت تبغى خلافة ابنها الصغير محمود لأبيه السلطان وكان نظام الملك يمانع ذلك ، فكانت هذه السيدة تسعى الى تنصيب تاج الملك الشيرازى مكانه ، فيمكن لابنها بهذا أن يصل الى السلطة .

ومع أن ملكشاه كان يميل قلباً الى أن يقصر يذ نذ سام الملك وأبنائه وأتباعه عن الأمور لما تقتضيه مصلحة الملك الا أنه لم يكن يستطيع أن يقوم بهذا جهراً مغبة تولد الفتن خاصة أن جداعة من الجند كانت تحمى باخلاص نظام الملك وأولاده وكانت طائفة منهم تسمى

الغلمان النظامية على أهبة أن تشعل نيران الفتنة والثورة عند أى معاملة سيئة تجوز عليهم .

وفي السنة الأخيرة من سلطنة ملكشاه ثار النزاع ما بين شحنة مرو وكان من خاصة غلمان السلطان وشمس الملك عثمان أحد أبناء نظام الملك ، فأرسل السلطان على اثر شكاية هذا الشحنة تاج الملك ومجد الملك اليه برسالة كتب فيها : (اذا كنت شريكى فى الملك فهذا حكم آخر واذا كنت تابعى فلماذا لا تراعى حدك ولا تؤدب أبناءك وأتباعك الذين تسلطوا على الدنيا حتى أنهم لا يراعون حرمة عبيدنا ، أمر لو أحببت أن يأخذوا الدواة منك) فغضب نظام الملك لهذه الرسالة وقال : (قل للسلطان ألا تعلم أننى شريك لك فى الملك وقد بلغت هذه المرتبة بتدبيرى ، وألا تذكر أنه لما قتل السلطان الشهيد ألب أرسلان كيف جمعت أمراء الجيش وعبرت بهم جيحون وفتحت لك المدن وسخرت أقطار الشرق والغرب ؟ ان دولة ذلك التاج انعقدت على هذه الدواة ، فاذا خلعت هذه الدواة خلع ذلك التاج) .

فزاد ملكشاه حنقا على حنق لاجابة نظام الملك هذه وكانت حقا شديدة الجفاء ، خاصة وأن موصلى الرسالة عكروا من الماء الصافى ما وسعهم ذلك فوق ذلك الا أن السلطان مع كل هذا لم يقدم على عزل نظام الملك ويبدو أنه كان يرقب فرصة أفضل يقوم فيها بدفعه بطريقة أخرى .

وتحرك ملكشاه فى نفس هذا التاريخ من أصفهان متجها الى بغداد وكان نظام الملك فى ركبته أيضا . . وفى سهول كرمانشاه تقدم شاب فى لباس الصوفية الى نظام الملك بالثماس فطعننه فى العاشر من رمضان (٤٨٥هـ) مات على اثره نظام الملك ، واشتهر أن القاتل كان من فدائى الاسماعيليه أقدم على قتل نظام الملك باغواء تاج الدولة .

وقد عد الغلمان النظامية وأتباع نظام الملك قتله بتحريض تاج

الملك الشيرازي ورضاء السلطان الخفي به ، فأسروا حقدهم على هذا الوزير والسلطان وصمموا على أن ينتقموا منهما حينما تسنح الفرصة المناسبة .

دخل نظام الملك وكان في أصله من أبناء دهاقنة ولاية بيهق (سبزوار) (١) لكنه نال تعليمه في طوس في خدمة عامل بلخ بعد تحصيله الأدب والفقه ، فعرفه عامل بلخ هذا على ألب أرسلان فاستوزره هذا الأمير وكان يقيم آنذاك في خراسان أميرا عليها من قبل طغرل خلفا لوالده جغري بيك ، وقد اختاره ألب أرسلان في الثالث عشر من ذي الحجة (٤٥٥ هـ) كما رأينا وزيرا للدولة السلجوقية بعد قتل عميد الملك الكندري ، وظل نظام الملك من هذا الوقت حتى قتله مدة تسع وعشرين سنة وسبعة أشهر وبضعة أيام السيد الكبير أو سيد الوزراء ، وكان حل الأمور وعقدها في هذه الدولة السلجوقية العظيمة الواسعة التي امتدت من كاشغر شرقا حتى أنطاكية غربا يتم بكفاءته وسياسته . وكانت ولادته في عام (٤١٠ هـ) .

كان نظام الملك أشهر الوزراء الإيرانيين بعد الاسلام لأنه كان فضلا عن حنكته وحسن ادارته رجلا دينيا زكى السيرة كثير الخير والبركة وقد هلك عنه كثيرا من الأعمال الخيرية وأقدم في غالب بلاد المسلمين بإنشاء المساجد والمدارس من بينها المدارس التي بناها في طوس وهراة ونيشابور وبغداد والتي سميت بالنظامية وكان أكبرها شهرة

(١) سبزوار قسبة ولاية بيهق ، يقول حافظ آبرو ضمن وصفه لخراسان (ولاية بيهق كانت في الاصل بيهق أي بهتر (ومعناها الفضلى) وعريت بيهق وهذه الناحية من توابع نيشابور وكانت قسبة بيهق في أول الأمر (خسروكرد) ولكنها صارت الآن سبزوار) وحافظ آبرو من مؤرخي القرن التاسع الكبان وعاصر تيمور الكوركاني وابنه شاهرخ وأشهر آثاره في التاريخ والجغرافيا هو زبدة التواريخ ، والنص الذي أوردناه عن كساب معين الدين الاسفزاری روضات الجنات في أوصاف مدينة هراة (تهران ١٣٣٨ هـ) ص ٢٧٢ .

نظامية بغداد • وقد أبقت ابنيتها الأخرى في أصفهان وبغداد
والبلاد الأخرى اسم نظام الملك حيا مدة ، ونظم الشعراء قصائد
في مدحه وألف العلماء والفضلاء الكتب باسمه (٢) •

ولم ينته نفوذ نظام الملك في بلاط السلاجقة بقتله لأن أبناءه
وكانوا كثرة بلغوا في أيام أولاد ملكشاه والسلطين السلاجقة
الآخرين الوزارة والوظائف الديوانية الهامة مرارا وظل حالهم هذا قائما
حتى آخر عهد السلاجقة •

موت ملكشاه في منتصف شوال (٥٤٨٥ هـ) :

بلغ ملكشاه بغداد من كرمانشاه بعد قتل نظام الملك في
الرابع والعشرين من رمضان ، وفوض تاج الملك في الوزارة خلفا لنظام
الملك ، وبعد قليل أي في منتصف شوال من هذا العام دس له السم بنحو
لم يعلمه أحد ، ويبدو أن هذا الفعل قد تم بيد الغلمان النظامية وأتباع
نظام الملك الذين كانوا يعتبرون السلطان مساهما في قتل سيدهم • ولم
مات ملكشاه لم يتأثر بموته الناس كثيرا ولم يعتبروا موته بعد قتل نظام
الملك أمرا كبيرا الأهمية •

ملكشاه أعظم سلاطين السلاجقة بكل مقياس ، بلغت دولتهم
في عهده منتهى وسعتها وعظمتها فقد كان يخطب له من حدود الصين
حتى البحر المتوسط ومن شمال بحيرة خوارزم وصحراء
القبجاق حتى ما وراء اليمس ، وكان امبراطور البيزنطيين والأمراء

(٢) ونظام الملك فوق أنه سياسي بارع ووزير كفاء مؤلف أديب من
آثاره كتابه (ساسينامه) الذي أداره على كيفية تدبير الملك واحتذاء العدل
واستقصاء حال الوزراء والكتاب والقضاة واختيار العيون ومشاورة العامة ،
فضلا عن فضحه معتقد الحشاشين والباطنيين ومن سبقهم من الخارجين على
الدين والحكم ، وقد أثار عليه الحشاشين الذين هم في الأغلب المسئولون عن
قتله •

المسيحيون في بلاد الكرج والأبخاز يعطونه الجزية ، كما كانت
أصفهان في عهده وعهد نظام الملك من أهم بلاد الدنيا واحدى
مدنها الفاتحة العمار . وقد عمر هذا الملك ونظام الملك والعمال
والأعيان السلاجقة غيرهما في هذه المدينة كثيرا من الأبنية ما يزال
بعض آثارها قائما الى اليوم . ويدين ازدهار حكم ملكشاه وكان
هو نفسه ملكا كافيا متدينا عادلا الى كفاءة نظام الملك كما سبق
القول وكفاءة أولاده وان كان للسلطان غيرهم أيضا وزراء وعمال
ديوان كان أكثرهم خيرا في عمله ذا كفاءة ويؤدون أعمالهم تحت
يذى نظام الملك . وأشهر هؤلاء كمال الدولة أبو الرضا فضل
الله بن محمد الزوزنى الذى كان رئيس ديوان الانشاء والاشراف حتى
(٤٧٩هـ) وكان ابنه الفاضل سيد الرؤساء أبو المحاسن محمد معين
الملك ينوب عنه في عمله هذا . وفى (٤٧٦هـ) عزل السلطان كمال
الدولة وسيد الرؤساء ، وفوض عملهما لاثنين من منشئيه ثم الى تاج
الملك الشيرازى الفارسى وظل الأخير فى هذا المنصب حتى قتل
نظام الملك .

ومن الوزراء المشهورين ملكشاه شرف الملك أبو سعد محمد بن
منصور الخوارزمى الذى كان يترأس ديوان الاستيفاء وكان أبو الفضل
محمد مجد الملك القمى ينوب عنه فى عمله ، ثم نصب مجد الملك هذا
فى منصب شرف الملك بعد ذلك على نحو أن أغلب الأمور الهامة فى
أواخر أيام ملكشاه كانت بيد تاج الملك ومجد الملك وسديد الملك
العارض أو رئيس ديوان عرض العسكر وكان ثلاثتهم يعادون وينفسون
على أسرة نظام الملك ، وقد كان استيلاء هذه الجماعة على الأمور
بدلا من كمال الدولة وشرف الملك ونظام الملك أحد أسباب ظهور
الانشقاق والخراب فى الأعمال والأمور الحكومية .

ومن أعمال ملكشاه المشهورة اقدمه على اصلاح التقويم
وترتيبه فى أصفهان (٤٦٧هـ) وقد اشترك فى هذا العمل كذلك

الحكيم والشاعر العالي القدر أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام
الفيثسابورى (١) * وهذا التقويم هو الذى اشتهر بالتقويم الجلالى (٢) * .

٤ - ركن الدين أبو المظفر بركيارق

(٤٨٥ - ٥٤٩٨ هـ)

ولما مات ملكشاه أخفت تركان خاتون وتاج الملك نبأ وفاته
وواثقوا أمراء الولايات سرا وأخذوا عهدهم بسلطنة محمود الابن
الصغير لملكشاه الذى كان يبلغ عمره أربعة أعوام وبضعة
شهور وقبل الخليفة المقتدى أيضاً بإصرار من تركان خاتون أن
تكون السلطنة له * واختير تاج الملك فى وزارة محمود والأمير أنر من
أمراء ملكشاه لقيادة جيشه * .

أما الابن الأرشد لملكشاه وهو بركيارق (١) وأمه زبيدة خاتون
ابنة ياقوتى بن جفرى بيك فقد كان مقيماً بأصفهان عند وفاة أبيه * .

(١) الخيام المتوفى عام (٥١٧هـ) لا يشتهر فى التراث الفارسى شامراً
بتدريسه عالم رياضى وفلكى وطبى وفلسفى ، وكتب مؤلفاته فى هذه العلوم
بالعربية والفارسية . من جملة رسائله العربية رسالات فى الطبيعيات
والمعراج ورسالة الجبر والمقابلة ولوازم الامكنة فى اختلاف هواء الاقاليم
ورسالة فى حل مسألة جبرية ذكر فيها من بين واحد وعشرين قصفا المادلات
الجبرية . ومن آثاره الفارسية نوروزنامه ورسالة وجودية وغيرها . ولو
صح انه نظم بضع رباعيات فى أفكار له فلسفية فمن المحقق انتحال أغلب
الرباعيات المشهورة عليه . راجع ما كتبه عنه ادوارد براون فى كتابه تاريخ
الادب فى ايران ترجمة الدكتور إبراهيم الشواربى (مصر / ١٩٥٤)

(٢) شارك الخيام وبضعة علماء فى اصلاح التقويم الشمسى الذى
كان معمولاً به قبل عهده وفى عهد ملكشاه وكان بحسبه يتحول الاعتدال
الربيعى والنيروز وهو أول شهر (فروردين) من شهور السنة الايرانية من
هذا الشهر الى ما بعده أو غيره ، فأصبح وفق التقويم الجديد الشهر يضم
ثلاثين يوماً ، ثم يضاف الى آخر اسفندماه الشهر الأخير خمسة أيام هى
المستترقة ويزاد كل أربعة أعوام يوم ، وصارت مواقيت الحصول الأربعة
بهذا الشكل ثابتة لا تتغير .

(١) بركيارق كلمة تركية بمعنى الشديد اللعان .

وألقت ترکان خاتون ببرکیارق هذا فی سجن أصفهان لعلها أن وجوده
سوف یحصل دون سلطنة ابنها • ولما علم الغلمان النظامية فی أصفهان
بخبر تنصيب محمود فی السلطنة واختیار تاج الملك لوزارته هاجوا
وماجوا وأخرجوا ببرکیارق من السجن ورفعوه الى السلطنة ثم
ذهبوا معه الى رئیس مدينة الری أبی مسلم السروشیاری صهر
نظام الملك •

أما ترکان خاتون وتاج الملك ومحمود فقد أتوا أصفهان فاستولوا
عليها وجمعوا جيشا وقصدوا منازل ببرکیارق • ووقعت الحرب بین
الفريقین فی أواخر ذی الحجة من (٤٨٥هـ) علی مقربة من بروجرد وكان
النصر لببرکیارق فهربت ترکان خاتون الى أصفهان وتعقبها ببرکیارق
فحصرها فی أصفهان •

وهرب تاج الملك أثناء معركة بروجرد أولا لكنه وقع أسیرا
وأتى به الى ببرکیارق وهو یحاصر أصفهان • وكان ببرکیارق یود أن
یبقى له الوزارة مقابل مائتی ألف دینار الا أن النظامية أعداء تاج
الملك الذین كانوا یکرهون أن تخرج الوزارة عن عائلة نظام الملك
ثاروا ثانية وأفهموا السلطان أنهم لن یکفوا عن ثورتهم الا اذا
تسلموا رأس تاج الملك وفی النهاية انسألوا علی تاج الملك فی الثانی
عشر من المحرم من (٤٨٦هـ) ومزقوه اربا ولم یبلغ عمره وقتها
السابعة والأربعین •

وتملك ببرکیارق أصفهان بیسر وتغلب علی أعدائه تغلبا تاما
وخلف أباه رسما وأعطی وزارته لأحد أولاد نظام الملك وهو
عز الملك حسین وكان بأصفهان آنذاك •

حروب ببرکیارق لطالبی سلطنته : —

صار ببرکیارق فی بداية سلطنته أسیرا لمشاکل من ادعوا
السلطنة غیر ترکان خاتون وابنها محمود وكان أقواهم تاج الدولة

تتشس أمير الشام . فبعد أن سمع تتشس بموت أخيه نهض مخالفا ابنه فاستخلص أولا حلب وأنطاكية والرها من أمرائها السلاجقة وأدخلهم تحت طاعته ثم اتجه الى فتح الموصل وأخرجها عن يد صاحبها الأمير العقيلي ثم سيطر بعدها على ديار بكر وآذربايجان لكنه أجبر على العودة الى الشام لأن أمراء حلب والرها قد انصاروا الى بركيارق .

وكانت آذربايجان آنذاك تحت حكم اسماعيل بن ياقوتى خال بركيارق ، وزينت ترکان خاتون زواجها باسماعيل مخادعة له فقام هذا بثورته على ابن أخيه ، غير أن أصحاب بركيارق هزموه وألجأوه الى الفرار الى أصفهان ، وسكت ترکان خاتون اسمه بعد اسم ابنها محمود وكانت تريد الزواج به لكن أمراء بركيارق علموا أن اسماعيل يروم السلطنة وقتل السلطان فقتلوه ولم تجد أخته زبيدة خاتون التي كانت تحميه حتى وقتذاك الا السكوت والصمت .

وقدم بركيارق وعز الملك في السابع عشر من ذي القعدة (٤٨٦هـ) الى بغداد ونادى به الخليفة المقتدى في الرابع عشر من المحرم سلطانا ولقبه بركن الدين وثبأت ارادة الله تعالى أن يموت الخليفة في اليوم التالي ، وصدق خليفته المستظهر سلطنة بركيارق أيضا .

وفي شهر جمادى الأولى من هذا العام حمل تتشس على حلب وقتل الأمراء الذين كانوا وافقوا بركيارق ثم أعاد سيطرته على حلب والجزيرة وديار بكر وآذربايجان وهمدان . وفي همدان بلغ مخبر الملك أبو الفتح مظفر ابن نظام الملك الأرشد خدمته فرفعه تتشس الى وزارته ناظرا الى ميل عامة الشعب الى أسرة نظام الملك .

وأتى بركيارق في شوال (٤٨٧هـ) الى بلاد الأكراد لمحاربة عمه تتشس عن طريق الموصل لكنه هزم من عمه فارتد هاربا الى أصفهان .

وهم أهل أصفهان وأتباع أخيه محمود الى أن يعموا بركيارق ويجعلوا
من محمود سلطانا لكن من حسن حظ بركيارق أن محمود كان
مريضا يومذاك وكانت ترکان خاتون قد لقيت حتفها ، ومات محمود
في ذاك الوقت وخلص بركيارق من العذاب الذي كان يأتيه من ناحيته .

وقد ماتت سلطنة بركيارق في ذاك التاريخ بشدة لأن تتش قد
بلغ من القوة مبلغا عظيما حتى أن المستظهر قرر أن تكون خطبة
السلطنة له من ناحية ، كما أن عز الملك وزير السلطان قد وافقه
منيته في الموصل قبل تحرك بركيارق لقتال تتش ولم يكن يوجد
من يستطيع أن ينظم عقد الأمور المنفرط من ناحية ثانية .

واختار بركيارق بعد عودته الى أصفهان الابن الثاني لنظام الملك
مؤيد الملك شهاب الدين أبا بكر عبيد الله الذي كان هرب لتتو من
فتنة خراسان وقدم الى أصفهان لوزارته ، وسرعان ما أقام مؤيد الملك
الذي كان أكفأ أبناء نظام الملك ومن الوزراء الفضلاء المجربين
السلاجقة السلطنة المزلزلة وأحكم بناءها ، وهزم أكبر أعداء
السلطان وهو تتش نتيجة حرب وقعت في صفر (٤٨٨هـ) على مقربة
من الري ، وأصيب تتش بالقتل فيها وكفى شبره .

وفي حرب الري وقع فخر الملك الأخ الأكبر لمؤيد الملك الذي
كان وزيرا لتتش أسيرا مع الجنود ، وكان يتشوف لفترات أن يكون
وزير السلطان ويصل منصب أبيه فتحالف مع أعداء أخيه وهم
زبيدة خاتون أم بركيارق ومجد الملك القمي المستوفي . وقد حث هؤلاء
السلطان على عزل مؤيد الملك وتنصيب فخر الملك مكانه ، وبمع أن فخر
الملك بلغ الوزارة إلا أن وزارته كانت أسما بلا مسمى لأن مجد الملك وزير
زبيدة خاتون ورئيس ديوان الاستيفاء كان متسلطا في تحقيقه
الأمر على كل أمور الدولة .

وفي بداية سلطنة بركيارق أدخل أرسلان أرغو أخو ملكستانه

وحاكم مرو خراسان تحت امرته وتغلب على أمراء بلادها فلم يوافق مؤيد الدولة وبركيارق على امارته لكنهما لم يتمكنوا من رده بسبب كثرة مشكلاتهما . ولما عزل مؤيد الملك ووزارة مجد الملك أعلن أرسلان أرغو الثورة على بركيارق وقال انه لن يسلم لمجرد مكاتبة مجد الملك له ، ويبدو أن عصيان أرسلان أرغو كان بعضه بتحريض عماد الملك أبي القاسم أحد أبناء نظام الملك الذي كان وزيراً لأرسلان . وأرسل بركيارق عمه الآخر بوري برس ليقتل على فتنة أخيه أرسلان أرغو لكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً بل غلب على أمره في (٤٨٨هـ) ، وبقي الأمير العاصي على حاله أميراً لخراسان .

وفي (٤٩٠هـ) بعث بركيارق أخاه الأصغر أحمد سنجر برفقة الأمير قماج وكيامجير الدولة أبي الفتح على بن حسن الأردسبغاني الذي يتولى وزارته إذا نجح لحكومة خراسان وطرد أرسلان أرغو ، وتوجه السلطان بنفسه في جمادى الأولى من نفس العام وبصحبه فخر الملك الى خراسان أيضاً . وقبل أن يصل جند السلطان أصاب أحد غلمان أرسلان أرغو سيده بالقتل فيسر لبركيارق الاستيلاء على خراسان . وبعد أن قضى السلطان سبعة أشهر في بلخ ولي أخاه سنجر بلقي ملك وناصر الدين حكومة خراسان ، وعزل في نفس هذه الآونة فخر الملك وجعل وزارته لمجد الملك مستقلاً . ولم يطل انزواء فخر الملك حينما توارى في نيشابور لأن سنجر أقال في نفس العام (٤٩٠هـ) مجير الدولة من وزارته وأعطاه فخر الملك ، وظل فخر الملك بوزارته حتى يوم عاشوراء من عام (٥٠٠هـ) حين قتله فدائيو الاسماعيلية .

عصيان محمد بن ملكشاه لبركيارق : —

عزل مؤيد الملك من وزارة بركيارق فأخذ يطرق الأبواب للانتقام

من مجد الملك القمي والسلطان بأن يثار أمير على السلطان ، فلما لم يتحقق مقصوده في أي باب توجه الى محمد أخ السلطان آخر بكنجه وكان يحكم على أران وكنجة وخرضه على عصيان بركيارق أخيه لأبيه وكان محمد سنجر لأمه ، وجعله يتحرك الى همدان والري ومن نفسه وزيرا له . وعجل بركيارق بجمع جنده وعاجل من الري الى زنجان لمنع أخيه . وفي زنجان عصت مجموعة من الجيش السلطان وطالبت بقتل مجد الملك . ولم يسمع السلطان لقولهم لكن العصاة انسألوا على خيمة مجد الملك فقطعوه اربا في الثامن عشر من شوال من (٤٩٢هـ) وحملوا رأسه وذهبوا به الى معسكر محمد ومؤيد الملك . ولاذ بركيارق بعد هذه الواقعة بالفرار الى أصفهان ، فمنعوه الناس عنها فقصده خوزستان ، ونادى محمد في خرقان بنفسه سلطانا واعترف بسلطنته الخليفة العباسي في السابع عشر من ذي الحجة (٤٩٢هـ) ولقبه بغياث الدنيا والدين .

وألقى مؤيد الملك بزبيدة خاتون أم بركيارق التي وقعت أسيرة في يده بالسجن وكان قد تخلص من شريف نده القوي مجد الملك وفي النهاية قتل هذه المرأة التي كانت تسعى دائما إلى عون مجد الملك وكانت من الأسباب الهامة لعزل مؤيد الملك من وزارة بركيارق .

وشبت الحرب بين محمد وبركيارق خمس مرات من أجل السلطنة في الحرب الأولى التي حدثت في الرابع من رجب (٤٩٣هـ) بالقرب من همدان غلب محمد بركيارق وكان شحنة بغداد وخليفتها وأمراء الموصل والحلة والجزيرة يساعدون بركيارق ، فاضطر الى أن يلوذ بالفرار الى أمير حبشي من الأمراء السلطانيين الذي تأمر في هذا التاريخ على قسم من خراسان وخوارزم . أما سنجر فقد انحاز الى جانب أخيه الشقيق محمد وهزم في حرب بوجكان بركيارق وحبشي ، وعرج بركيارق الى أصفهان ، وأسر ثم قتل أمير حبشي .

وفي الحرب الثانية في جمادى الآخرة (٤٩٤هـ) تغلب بركيارق يشد من أزره أحد أمراء محمد على أخيه ، ووقع مؤيد الملك أسيرا في يد أحد غلمان مجد الملك ، وكان بركيارق يود أولا أن يبقيه في وزارته نظير مبلغ ضخّم لكنه بسبب قتله لأمه وأعماله القاسية الأخرى قطع عنقه بيده .

وحدثت الحرب الثالثة بين محمد وبركيارق في صفر (٤٩٥هـ) على كئب من نهاوند لأن محمدا بعد هزيمته في السنة السابقة قدم الى سنجر بخراسان فأمدّه ورافقه الى بغداد ، وساعده الخليفة أيضا وبعض أمراء العرب ، وتوجه محمد الى نهاوند لقتال بركيارق ، وبعد حرب قصيرة استمرت يومين تقرر الصلح بين الطرفين على أن تكون كنجة وأران وآذربايجان والموصل تحت أمر محمد وبقيّة البلاد السلجوقية لبركيارق .

وندم محمد في عودته الى قزوین لهذا الصلح ونسب من كانوا سبب عقده الى الوهن والخيانة وأوقف اعترافه بسلطة أخيه وأتى الري بجيش عظيم وفي جمادى الأولى قابل أخاه في نفس العام (٤٩٥هـ) لكن جنده تفرقوا عنه قبل المعركة فانهزم محمد ومعه سبعون فارسا الى أصفهان ، ولما كانت العاصمة خالية من سلطانها استولى عليها وأقفل المدينة أمام بركيارق .

وأسرع بركيارق الى أصفهان وحاصرها ، ولما وجد محمد نفسه عاجزا بعد أن قاوم سبعة أشهر ركن الى الفرار الى همدان واجتمع به فيها الأمير منصور ولد آخر لنظام الملك ومعه جيشه ونصير الملك محمد بن مؤيد الملك وقد جاء من كنجة لمساعدته ، ورحل محمد الى آذربايجان ليأخذ أهله ولحق به فيها جماعة من الأمراء .

وجرت الحرب الخامسة بين بركيارق ومحمد في الثامن من جمادى الآخرة (٤٩٦هـ) على مقربة من (خوى) فجرت الهزيمة

على جيش محمد وتفرق الأخوان فذهب محمد الى أرمينية وبركيارق الى تبريز *

وفي النهاية تصالح محمد وبركيارق في ربيع الآخر (٤٩٧هـ) وقرر أن تكون البلاد شمالي نهر (سفيدرود) بجيلان حتى باب الأبواب أي آذربايجان وأران وأرمينية والجزيرة والموصل تحت إمرة محمد والعراق وأصفهان وبلاد الجبل تحت طوع وبركيارق وظل هذا الاتفاق مرعيا حتى ربيع الآخر (٤٩٨هـ) حين توفي بركيارق *

وفاة بركيارق :-

أصيب بركيارق بمرض السيل واشتد به المرض في شهر صفر (٤٩٨هـ) حينما توجه الى بغداد فاضطر الى أن يقيم أربعين يوما في بروجرد وفي الثاني من ربيع الآخر وافاه أجله بها ، وقبل وفاته اختار ابنه الصغير ملكشاه الذي كان بلغ عمره وقتها أربعة أعوام وثمائية شهور ونصب الأمير ايازلا قائد جيشه مربيا له أو أتابك له (١)

كان بركيارق الابن الأرشد لملكشاه ولم يزد عمره عند وفاة أبيه عن الخامسة والعشرين ، وحكم اثنتي عشرة سنة وأربعة شهور وكان رجلا كريما عاقلا صبوراً كريماً صبوراً الوجه ، وقد انقضى غالب حكمه كما مر في القتال والصراع * ومع أن بركيارق قد ناله في بضعة من الأوقات صدمات وهزائم شديدة إلا أن هذا لم يحوله عن متابعة هدفه الى أن تغلب في النهاية على جميع المشكلات *

انقسام الدولة السلجوقية

مع أن بركيارق كان الخليفة الرسمي لملكشاه وألب أرسلان لكنه لم يكن يحكم مباشرة الا على بلاد الجبل وأصفهان والعراق العربي من بلاد السلاجقة الواسعة ، وكانت سائر البلاد في

(١) (اتابك) تعنى في التركية (الاب الكبير) .

طاعة السلطان ظاهرا وفي الحقيقة كان سلطانها عليها اسما وكانت هي مستقلة . فقد كان الشام يديره ولد تاج الدولة تتشن وكانت بلاد الروم تحت أمر أولاد سليمان بن قتلмыш كما كانت كرمان بيد أولاد قاورد . وفي عام (٤٩٥هـ) خرجت ديار بكر عن حوزة قدرة السلطان وأرمنية في (٤٩٣هـ) عن طريق الأتابكة والأمراء السلاجقة وقد سبق قولنا ان البلاد شمال نهر (سفيدرود) بجيلان تأمر عليها. أخوه غياث الدين محمد وكذلك ايران الشرقية وما وراء النهر استولى عليها سنجر أخوه الآخر ، وكان محمد وسنجر يعتبران نفسيهما ملكا مطلق العنان في بلادهما ولم يكونا يهتمما كثيرا بالسلطان بركيارق . وقد جزأت هذه الحالة دولة السلاجقة العظمى فلم يعد لها هذه الوحدة التي نعمت بها في عهد طغرل وألب أرسلان وملكشاه الا وقتا قصيرا في أيام حكم السلطان سنجر كما سنشير ان شاء الله بعد قليل .

٥ - غياث الدين أبو شجاع محمد

(٤٩٨ - ٥١١هـ)

السلطان غياث الدين محمد هو ثالث أبناء جلال الدين ملكشاه وكان أكبر سنا من سنجر ومحمود وأصغر من بركيارق وكان سنجر ولدى أم واحدة وكان بركيارق من أم أخرى ومحمود من أم ثالثة .

وبعد وفاة بركيارق رحل الأمير اياز قائد جيش السلطان بابنسه ملكشاه الى بغداد وأخذ البيعة له من الخليفة ، أما محمد فقد قدم وقتذاك من الموصل وكان مشغولا بحصارها الى بغداد وصالح اياز في النهاية وعن مشورة وزيره السلطان محمد و زال النزاع بين محمد ملكشاه بن بركيارق ، لكن السلطان قام بقتل اياز

لما رأى منه النفاق والخيانة وأبقى ملكشاه لديه كابنه وصفت له السلطة ، وقد اعترف سبخر الذي كان واليا من (٤٩٠هـ) على خراسان وما وراء النهر ويرعى دائما جانب محمد ، برئاسة أخيه السلطان محمد عن طوعية قلب ولم يخلع طاعته في أي وقت قط .

السلطان محمد والاسماعيلية : -

أفاد الباطنية الاسماعيلية ودعاة الدعوة الجديدة بعد قتل خواجه نظام الملك وموت ملكشاه من الصروب الدائمة بين بركيارق ومحمد وأوضاع البلاد المضطربة وقد ظلوا في بلادهم المختلفة خاصة في قاينات والري وساوه وأصفهان يقوم بالدعوة لذهبهم العلنية ويقتل أعدائهم والحاك الأذى بهم ، وقد زاد الأمر سوءا حينما كان الخلاف مستعرا بين محمود وبركيارق ومحمد للسيطرة على أصفهان عاصمة الدولة السلجوقية أن تجاسر الباطنية الى حد أنهم كانوا يأخذون الناس بأنواع الحيل الى بعض المنازل حيث يجلسونهم أو يقتلونهم ، ولما عم فسادهم ثارت عامة أصفهان وألقوا بجمع غير من الاسماعيلية في النار .

وكان الاسماعيلية كما أشرنا يلوذون غالبا بالقلع المحكمة من أجل الحفاظ على أنفسهم والاعتصام من هجوم أعدائهم ، ومن بين هذه القلاع قلعة (شاهدز) أو (قلعة جلالى) أو القلعة الجلالية التى بناها السلطان ملكشاه على جبل أصفهان البركانى فقد استولى عليها أحد رؤساء الاسماعيلية وهو أحمد بن عبد الملك العطاش فى حوالى عام (٤٨٨هـ) وكان عبد الملك أبو أحمد هذا داعى العراق الاسماعيلى ، وقد بلغ الحسن الصباح خدمته بالرى عام (٤٦٤هـ) ثم نيابته ولما استقر الحسن على رئاسة اسماعيلى ايران أبقى أحمد رئيسا للباطنيين فى أصفهان مراعاة واحتراما لأبيه .

ومع أن بركيارق قام بعدة صروب مع الاسماعيلية أيام حكمه

واستولى في (٤٨٩هـ) على إحدى قلاعهم في أبهر ، لكنه لكثرة مشاكله الطاحنة لم تسنح له الفرصة لاقتلاع هذه الطائفة من جذورها ، وفضلا عن هذا السبب فقد كان بركيارق وامراؤه يتحالفون خفية مع الباطنية لازالة أعدائهم فيطلبون معونتهم ، كما حدث في حرب بوزكان التي جرت بين سنجر من ناحية وأمير حبشى وبركيارق من ناحية أخرى اذ امد الأمير اسماعيل بن جيللى الأمير الاسماعيلى لطبس وقاين أمير حبشى وبركيارق بخمسة آلاف فارس ، ولما كانت أكثرية قتلى الفدائيين الباطنيين من أصحاب غياث الدين محمد وأتباعه مدعى حكم بركيارق وخصمه لمقد أذاع تدريجا أن بركيارق حليف الاسماعيلية وأن فدائيهم يقومون بقتل أتباعه بناء على أمر بركيارق ، خاصة وأن الاسماعيلية بعد هزيمة محمد في (٤٩٤هـ) وقتل مؤيد الملك قد كان لهم نفوذ خارق في الأجهزة الحكومية والعسكرية لبركيارق وأدخلوا جماعة في مذهبهم وكانوا يهددون علنا من يخالفهم بالقتل وقد جعل هذا خاصة بركيارق ووزرائه يحملون اسلحتهم دائما خوفا منهم وكانوا يقابلون السلطان بأسلحتهم هذه ولكى يدفع بركيارق هذه التهمة التى كان أتباع محمد يزيدون من رقعة نارها على تأديب الباطنية وقتلهم فأزهرق أرواح جمع من رؤسائهم فى يزد والجزيرة • ومع هذا فلم يقطع أثر هذه الطائفة ولم تصل يد السلطان وأتباعه الى القلاع المحكمة التى كانت تحت تصرف هذه الجماعة فى أكثر بلاد ايران •

وفى أيام حكم السلطان غياث الدين محمد ترايد خطر أحمد بن عبد الملك العطاش وأصحابه المستقرين فى قلعة شاهدز باصفهان ورأى محمد أن وكرا من الفساد العظيم قائم الى جانب عاصمته فأمر بحصار شاهدز ، واخيرا سلم أحمد فى (٥٠٠هـ) فقتله محمد وقتل ابنه وخرب شاهدز وكان الرجل الذى دبر الاستيلاء على شاهدز واستسلام أحمد هو وزير السلطان محمد سعد الملك سعد بن محمد الآبى الذى تولى وزارته من بداية حكمه •

وقد ضم سعد الملك الآبى بعد فتح شاهرز قلعة خان لنجان اليها وكانت من قلاع الاسماعيلية الهامة وتقع على بعد سبعة فراسخ من أصفهان فزاد من قوته وشهرته لكنه اتهم أمام السلطان بتجالفه مع الباطنيين فقتله محمد فى شوال (٥٠٠ هـ) بهذا الجرم واستوزر أحد أولاد نظام الملك وهو ضياء الملك أحمد الذى تلقب فى ذاك الوقت بنظام الملك الثانى . وترجع شهرة نظام الملك الثانى هذا فى أغلبها فى وزارة السلطان محمد الى واقعتين أولاهما فتحه للنعمانية فى التاسع عشر من رجب (٥٠١ هـ) وثانيهما تجريد جيوشه لفتح قلعة الموت فى (٥٠٣ هـ) .

ففى (٥٠٠ هـ) وصلت محمدا أنباء عصيان الأمير سيف الدولة صدقة أمير الحلة المزيذى ، فقصد السلطان فى آخر ربيع الأول من عام (٥٠١ هـ) العراق العربى وأنزل ووزيره نظام الملك فى التاسع عشر من رجب (٥٠١ هـ) الهزيمة بصدقة فى النعمانية وقتل صدقة فى الحرب وضم محمد ولاياته اليه .

وفى المحرم من (٥٠٣ هـ) أرسل السلطان محمد بناء على الشكاوى العديدة للناس من اسماعيلية الموت نظام الملك ومعه الأمير جاولى سقاوى الذى كان قد هاجم قلاع الاسماعيلية فى فارس وخورستان مرارا فشغل نظام الملك بحصار الموت وانشغل الأمير بحصار احدى القلاع الأخرى المجاورة ومع أنهما اتفقا من الربيع حتى الخريف للاستيلاء على هاتين القلعتين الا انهما لم يصيبا نجاحا فانصرف نظام الملك عن قصده وبعد قليل أصابه الفدائيون الاسماعيليون فى بغداد بطعنات لم تؤثر فيه كثيرا فبرأت جروحه بعد مدة ، وفى السنة التالية أى (٥٠٤ هـ) أسقطه محمد من وزارته .

وفاة السلطان محمد فى الرابع والعشرين من ذى الحجة (٥١١ هـ) :

حكم السلطان أبو شجاع غياث الدين محمد بن السلطان ملكشاه من (٤٨٦ هـ) حتى (٤٩٢ هـ) فى كنجة وأران من جانب بركيارق ثم نصب من

السنة الأخيرة على السلطة العامة لكل البلاد السلجوقية خلفا لأخيه حتى الرابع والعشرين من ذى الحجة من عام (٥١١ هـ) حين مات أى كان سلطانا لمدة اثنتى عشرة سنة ونصف سنة .

وقد اختار محمد وقت احتضاره محمودا ابنه الذى كان يبلغ الأربعة عشر عاما خلفا له فخطب له بعد موت السلطان بيوم وأمر الخليفة المستظهر أيضا فى الثالث عشر من المحرم (٥١٢ هـ) أن تتضمن خطبته بعد اسمه أيضا ولقبه بلقب مغيث الدين .

كان السلطان محمد الذى لم يزد عمره عن السبعة والثلاثين عاما وقت وفاته ملكا شجاعا عادلا طيب السيرة لم تصدر عنه فى أيام حكمه حركة تذى وكان له جد واجتهاد خاصان فى تقوية أمر الدين يشهد لذلك حروبه مع الملاحدة وأرسل فى (٥٠٩ هـ) جيشا الى سواحل الشام وفلسطين حيث استولى الصليبيون من (٤٩١ هـ) ليطردوهم الا أن هذا الجيش لقى الهزيمة بسبب الخلاف الذى كان قائما بين الأمراء المسلمين بالجزيرة والشام وصارت هزيمتهم باعثا على تقوية موقع المسيحيين الصليبيين .

٦ - السلطان معز الدين أبو الحارث أحمد سنجر

(٥١١ - ٥٥٢ هـ)

وبعد أن وصل خبر وفاة السلطان محمد استنكف الملك ناصر الدين سنجر (١) الذى كان يحكم من عام (٤٩٠ هـ) على خراسان وما وراء النهر وقد حاز فتوحات كبرى فى هذه الفترة أن ينصاع لأمر ابن أخيه محمود ذى الأربعة عشر عاما أو يقبل سلطانه ، فلقلب نفسه بألقاب أبيه السلطان ملكشاه (معز الدين) و (السلطان) ، لكنه لم يتعرض احترامها لحقوق

(١) سنجر أصله سنغر أو شمسنغر ثم حرغت الى سنقر لفظ تركى يستعمل كذلك كاسم علم ومعناه (الصقر) وأق سنقر بمعنى الصقر الأبيض

أخيه محمد لابنه السلطان مغيث الدين محمود فأبقى الولاية الغربية له كما كانت • ومع أن محمودا وأبناء محمد الآخرين كانوا يعترفون بسيادة عمهم الكبير ورئاسته مادام حيا عن رهبة أو رغبة وكان يخطب باسم سنجر في غالب البلاد السلجوقية حتى الشام والحرمين إلا أن حوزة ملك سنجر الحقيقية كانت تمتد وحسب من الرى الى كاشغر وحدود السند شرقا وكان أبناء السلطان محمد والأمراء والأتابكة السلاجقة يديرون البلاد الغربية السلجوقية •

وتنقسم مدة حكم سنجر التى استمرت نحو اثنتين وستين سنة الى فترتين ، أولاهما التى تبدأ بعام (٤٩٠ هـ) وتنتهى بعام (٥١١ هـ) وكان سنجر خلالها ملكا ويحكم نائبا عن اخوته وحسب وكان لقبه ناصر الدين • وثانى هاتين الفترتين هى التى تمتد من عام (٥١١ هـ) حتى عام (٥٥٢ هـ) حينما أنيطت به سلطة السلاجقة ورئاستهم العامة وكان يلقب بأكثر من لقب كعز الدين وسلطان السلاطين وغيرهما وكان يقال له قبل هذه الفترة (ملك الشرق) •

(١) فترة اماره سنجر

(٤٩٠ - ٥١١ هـ)

أول واقعة هامة لفترة اماره الملك ناصر الدين سنجر بعد دفع غزاة أرسلان أرغو هى فتح طخارستان وترمد عام (٤٩١ هـ) حينما استصفى سنجر هذه البلاد من يد أحد الأمراء السلاجقة وضمها الى ملكه ، ووقع بعدها حرب بوزكان التى أشرنا اليها ضمن سلطنة بركيارق ، وقد نهض سنجر فى هذا الحرب التى جرت فى عام (٤٩٣ هـ) لمؤازرة ابن أخيه محمد وغلب بركيارق وأمير حبشى وكانت قيادة جيش سنجر فى هذه المعركة للأمير (يرغش) أكبر أمرائه • وأنفذ سنجر الأمير يرغش فى (٤٩٤ هـ) لفتح قلاع الاسماعيلية فى قهستان وطبس ، وعاد يرغش بعد قتل وتخریب

كثيرين في هذه البلاد الى مرو عاصمة سنجر ، وعاد مرة أخرى في (٤٩٧هـ) الى هذه البلاد وأذاق الاسماعيليين وبالاً • وأخيرا صالح سنجر الاسماعيليين ببناء على نصيح بعض رجال بلاطه بشريطة ألا يبنوا قلعة جديدة وأن يذروا شراء الأسلحة ودعوة الناس الى دينهم وعاد يرغش الى خراسان • ولم يقبل أكثر شعب خراسان هذا الصلح ، واتهم سنجر من هذا الوقت بتواضعه مع الباطنية وتحالفه ، ثم صدرت عنه بعد أعمال قوت من هذه التهمة •

هروب سنجر في ما وراء النهر :

قلنا سابقا أن السلطان ملكشاه بعد فتحه سمرقند عاد الى ايران عام (٤٨٢هـ) بأحمد خان أميرها أسيرا ثم أعاده الى امارته بعد مدة • وقد اعتنق أحمد خان أثنام مقامه بايران عقيدة الباطنيين فلما آب الى سمرقند ثار عليه الفقهاء وأفتوا بقتله فقتل أحمد خان في الحرم من (٤٨٨هـ) وخلفه ابن عمه •

وصارت في عهد سلطنة بركيارق امارة الخانية في أيدي ثلاثة من أفراد هذه الأسرة ، وكانوا معترفين على الدوام بسلطنة بركيارق ورئاسته الى أن سافر سنجر الى معية أخيه ببغداد (٤٩٥هـ) فأفاد قدر خان جبريل من غيابه وصمم على أن يستولى على خراسان بعون أحد أمراء سنجر خاصة وأن سنجر كان مريضا عندما عاد الى خراسان ، كما اشتمت الخصومة أيضا بين بركيارق ومحمد ، فأقدم قدر خان متجاسرا على قصده وسرعان ما شفى سنجر وخف الى بلخ لمقابلة قدر خان وأمر الأمير يرغش بأن يمسك بقدر خان الذي كان منهما في القنص الى حد الغفلة فاستأسره يرغش وقتل بأمر دن سنجر وعين سنجر ابن أخيه محمد تكين وكان من الأسرة الخانية من ناحية أبيه ويعيش في مرو راهبا قدر خان في امارة سمرقند بلقب أرسلان خان وصارت ما وراء النهر تحت طاعة سنجر المباشرة • وقد أمد سنجر أرسلان خان أكثر من مرة للقضاء على معارضيهِ

من بينها ما حدث عام (٥٠٣ هـ) فدفع أعداءه وظل أرسلان خان يحكم فيما وراء النهر بسلام وصفاء نحو عشرين عاما من تاريخ تنصيبه وكان سنجر فارغ البال من هذه الفاحية الا في (٥٠٧ هـ) حينما أخبر أن أرسلان خان يظلم رعاياه وقد عصاه ، فتحرك سنجر بجيش له ، الا أن أرسلان خان توسل خوفا بالأمير قماج أكبر أمراء سنجر في هذه الآونة ودعا سنجر أرسلان خان لكي يأتي شاطئ جيحون الشمالى ، وحينما كان سنجر راكبا جواده على شاطئه الأيمن ، قبل أرسلان خان أرض طاعته فعفا عنه سنجر وأعادته الى امارته •

فتح غزنة في العشرين من شوال (٥١١ هـ) :

ذكرنا تفصيل غزو سنجر لغزنة وسبب ذلك في تاريخ الغزنويين أثناء حكم أرسلان شاه الغزنوى وقتلنا ان سنجر بناء على العهد الذى كان عقده في مرو مع بهرام شاه أخى أرسلان شاه أتى الى غزنة لمؤازرته وبرفقته الأمير أتر وابو الفضل نصر بن خلف ملك سيستان ففتحتها في العشرين من شوال (٥١١ هـ) وأجلس بهرام شاه على العرش وقرر الاثنان أن يخطب أولا للخليفة والسلطان محمد وسنجر ثم باسم بهرام ، وبهذا قبلت غزنة طاعة السلاجقة بيد سنجر ولم يكن تابعة حتى هذا الوقت للسلاجقة قط ، وقد جعل هذا الفتح سنجر مشهورا ذائع الصيت في بلاد المسلمين أكثر من المعتاد •

وكان السلطان محمد لا يرى مصلحة سنجر في غزوه لغزنة وكان يمانع فكرته هذه لكن سنجر لم يهتم بأخيه بناء على تشجيع وزيره له ، فبعد أن فتح هذه المدينة كتب خبر فتحها لأخيه حينما كان السلطان محمد أخوه مريضا وبعد شهرين أى في الرابع والعشرين من ذى الحجة (٥١١ هـ) وافاه أجله وأصبح سنجر سلطانا •

وفي فتح غزنين كان وزارة سبخر لقوام الملك أبى الحسن صدر الدين محمد ولد فخر الملك ابن نظام الملك وقد اختاره سنجر

لوزارته في شهر صفر (٥٥٠٠هـ) أي بعد شهر تقريبا من قتل أبيه
فخر الملك الذي قتلته الباطنية في العاشر من المحرم من نفس العام
وقد ساء ظن سنجر بوزيره أثناء مقامه بغزنة ، وحرص أمراء
سنجر الذين لم يكونوا محبين لصدر الدين محمد وكانوا ينظرون
بعين الطمع الى الأموال الضخمة التي خازها في فتح غزنة
سنجر على قتله ، فقتله سنجر بعد أن بلغ مرو في سبعين
من ذي الحجة (٥٥١١هـ) وكان صدر الدين آخر وزراء سنجر في فترة
امارته وملكيته .

(ب) فترة سلطنة سنجر

(من ذي الحجة ٥٥١١هـ حتى ربيع الأول ٥٥٥٢هـ)

حرب ساوة في الثاني عشر من جمادى الأولى (٥٥١٣هـ) : -

بعد قتل صدر الدين محمد أصيب سنجر لهذا بندم شديد
خاصة وقد بلغه موت السلطان محمد في هذا الوقت أيضا فزاد
ألمه وعجزه وكان قتله لوزيره عملا قبيحا وأشد تأثيرا فيه وأخيرا
لما رأى أن ميل العسكر والرعية يتجه الى أسرة نظام الملك اختار
ابن أخى نظام الملك أبا المحاسن عبد الرازق بن عبد الله الذي تلقب
بالفقيه الأجل وشهاب الاسلام وزيرا له ، وجلس مكان السلطان
محمد في مرو مختار القرب (السلطان) .

وفي (٥٥١٣هـ) قدم السلطان مغيث الدين محمود ابن أخى
السلطان سنجر بجيش كثيف الى الري لأنه كان غير راض بسلطنة
عمه وكان يظن أن عمه سوف يعامله بنفس المعاملة التي عامل
بها أباه محمدا « من قبل » وكان يحرضه وزراؤه والأمير على بن
عمر رئيس حجاب وأمراء العراق والحلة وكان بركبه جيش العراق
بقيادة منكوبرس وجيش العرب برئاسة المنصور بن صدقة المزيدي

فأسرع السلطان سنجر بجيش قوامه عشرون ألفا وثمانية عشر فيلا حريبيا وبرفقتة شهاب الاسلام والأمير أبو الفضل نصر بن خلف السيستاني وعلاء الدين محمد خوارزم شاه والأمير علاء الدولة كرشاسف الأتابك الكاكوي ليزد (زوج أخت سنجر ومحمد) ليقابل جند محمود ، وفي الحرب التي جرت في الثاني عشر من جمادى الأولى (٥١٣هـ) في ساوة لحقت الهزيمة الشديدة بمحمود ، فهرب الى أصفهان وتقدم سنجر الى همدان وأسقط الخليفة اسم محمود من خطبة بغداد وخطب لسنجر .

وفي همدان قبل سنجر لقلعة جيشه والتماس أمه تاج الدين خاتون التي كانت جدة محمود أن يصلح محموداً ، فأتى الأخير لملاقاة عمه وجدته ، فأبدى سنجر له حبا جما وأمر أن يذكر اسم محمود بعد اسمه في جميع البلاد ولها لعده وترك له ولاياته عدا الري وبعد خمس سنوات أرسل باحدى بناته من خراسان الى العراق لتتزوج به .

أما من أوقع محمود بسنجر فقد كان رجلا من عمال الديوان من أهل همدان واسمه زين الملك قوام الدين أبو القاسم وكان وزيرا للأمير على بن عمر كبير حجاب محمود أولا وقد ارتكب كثيرا من الجرائم في نحو خمس عشرة سنة في دولة محمود وسنجر والخليفة بسبب تأمره وفساده ومكره فقضى على كثير من الأبرياء عن طريق أتباعه أو فدائيي الاسماعيلية ، وقد حرص أولا مخدومه الأمير عمر كبير الحجاب حتى عصى محمودا على عمه ثم أثار أمراء ما وراء النهر والحلة وفارس وشبا نكاره وقتل جماعة من غلمان محمود ثم نهب خزائنه وأكثر من تخريبه الى حد أن سنجر صار مجبرا في قدومه للري على اصلاح أحوال بلاط حكم ابن أخيه .

وبعد فتح ساوه أخذ هذا الخبيث يهب هذا وذاك أموالا حتى تقرب الى سنجر فكلفه بأن يأتي بمحمود الى أصفهان ، وبعد عودة سنجر الى خراسان صار رئيس ديوان الطغراء والانشاء من لدن سنجر في بلاط

محمود ، وكان في هذه المدة يكتب لسنجر أخبار العراق الصادقة والكاذبة ، ولم يتخل قط عن الدسائس على أمل أن يبلغ الوزارة حتى حرك محمودا في (٥١٧ هـ) فقتل وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك ومن ثم بلع وزارته بعد قليل ، وقد توسل في هذه الآونة بالباطنية للتخلص من أعدائه فأهلك سفيرى الخليفة ووزير سنجر بأيديهم وأمر بالعارف المشهور أبى المعالى عبد الله بن محمد الميانجى المعروف بعين القضاة الهمداني (١) فشنق في (٥٢٥ هـ) في أيام وزارته الثانية كما سوف نشير ، وقد تعددت جرائمه الى حد أن محمودا ألقى به في الحبس في (٥٢١ هـ) مع أن سنجر قد اختاره ، واستراح الناس من شروره لبعض الوقت ، وسوف نشير الى بقية وقائع سلطنة السلطان سنجر في القسم الغربى للبلاد السلجوقية أثناء تاريخ سلاجقة العراق أو أبناء أخيه .

غزو سنجر الثانى لبلاد ما وراء النهر في (٥٢٤ هـ) :

وفي (٥٢٤ هـ) طلب محمد أرسلان خان خاقان سمرقند الذى أصيب في هذا الأوان بالشيخوخة والفلج عون السلطان سنجر عندما قتل قاضى المدينة ورئيسها أحد أبناءه ، فتحرك سنجر بجيشه الى ما وراء النهر ، ولكن قبل وصوله أحمد ابن آخر للخاقان الفتنة فأرسل أرسلان خان الى سنجر وهو في طريقه اليه أنه لم يعد بحاجة الى عونه ، فغضب السلطان لهذه الرسالة ، ووقع في أسره جماعة ادعت ان أرسلان خان سيرهم لقتل السلطان فهاجم السلطان سمرقند واستباحها ثم قبض على أرسلان أبى زوجته وبعث به الى خراسان ، وترك سنجر ما وراء النهر أولا الى حسن

(١) كان عين القضاة المقتول عام (٥٢٥ هـ) من مشايخ الصوفية ومن كلامه يريدون كثيرون ، وقد حرر المؤلف في فترة حياته القصيرة التى لم تزيد عن الثلاثة والثلاثين أثارا عديدة بالعربية والفارسية من بينها (يزدان شاهخت) أى معرفة الله ، وتهديداته أو زبدة الحقائق ومكاتب . وكان شجاعا في اذاعة ما يعتقد لهذا أثار عليه المتعصبين فاتهم بالالحاد وقتل .

تكوين ومن بعده الى ابن أرسلان خان الخاقان كمال الدين أبى القاسم محمود وكان ابن أخت السلطان ، وقد ظل هذا الخاقان كما سيلي مطيعا له حتى آخر سلطنته •

تأسيس الدول القراخانية والخوارزمية :

في حدود عامي (٥١٨) و (٥١٩ هـ) نجحت طائفة من الجنس الأصفر الساكنين في المنطقة شمالي جبال (تيان شان) وأودية نهري ايلي وقاريم ما بين بحيرتي بلخاسن وايسى كول واسمها القراخانيون (١) في تأسيس دولة واسعة بعون رجل اسمه (يلوتاشه) كان يقال له الكورخان (٢) أي ملك الملوك أو خان الخانات وصار لقب كورخان من بعده لقب الملوك القراخانيين العام ، وكانت عاصمة هذه لدولة الجديدة مدينة بلاساغون (٣) •

أما الخوارزمشاهيون الجدد فهم أبناء غلام تركي اسمه أنو شتكين اشتراه أحد الأمراء السلاجقة في غرجستان فسمى لهذا بأنوشتكين غرجه • وقد ارتقى انوشتكين في بلاط ملكشاه بسبب جدارته وكفاءته فعين بشحنكية خوارزم ، وأرسل ملكشاه بابنه أي قطب الدين محمد لحكومتها فلقب قطب الدين بلقب خوارزم شاه وهو مؤسس الأسرة الخوارزمشاهية وبداية ظهور دولتهم هو عام (٥٩٠ هـ) •

(١) قره ختاي هو الاقليم الذي يضم اليوم ولايتي شانسي وكانسو الصينيين (ح ١ ص ١٤٠ من كتاب هامبري) •

(٢) كورخان هكذا كما أثبتته المؤرخون الشرقيون متابعة لعطا ملك الجويني مؤرخ المغول وصاحب كتاب (جهانكشا) ، ويقول الجويني أن هذا اللفظ في لغة قره ختاي معناه خان الخانات ويستدل على ذلك بكلمة كوركان الأويغورية بمعنى الحامي أو المدافع وهو قول لا يثق به هامبري في كتابه السابق (ح ١ ص ١٤٣) •

(٣) يذكرها المغول باسم جوبالق أي المدينة الجميلة كما ذكرها ميرخوند علي وجه الصحة وفي خريطة آسيا في القرن الرابع عشر التي حققها هول في كتابه القيم تقع عند الشمال من أورمجي الحديثة (المرجع السابق ح ٢ ص ١٤٣) •

وبعد أن نصب سنجر على حكومة خراسان وقضى على فتنة أرسلان أرغو أبقى قطب الدين محمداً على حكومة خوارزم ، وظل محمد هذا تابعا مطيعا لسنجر طوال مدة امارته (٤٩٠ - ٥٢٢ هـ) وكان يأتي بلاط سنجر كل عام بمفرده أو برفقة ابنه أئمز وكان يجالذ بسيفه في الغالب في ركبه فكان من بين قواده في ساوة وكان أئمز يحارب مع السلطان في قتاله مع ابن أخيه مسعود .

وبعد وفاة محمد خوارزمشاه جعل سنجر ابنه أئمز في مقام والده ومكث أئمز الذي لقب بأبي المظفر علاء الدولة على سيرة أبيه من الطاعة والمتابعة لسنجر حتى حدود عام (٥٣٠ هـ) . وكان أئمز من ضمن ركب سنجر في (٥٢٩ هـ) وقت تحركه الى غزنه ليؤدب بهرام شاه . الا أن في (٥٣٠ هـ) حين بلغ السلطان بلخ وصل أئمز الى خوارزم وقد نفس عليه أمراء سنجر وبغير رضا السلطان ، فأعلن عصيانه من هذه الآونة وأخذ يؤسس دولة مستقلة له بينما كان القراخطيون قد بدأوا في جوار خوارزم الشرقي يستولون على البلاد السلجوقية وأخذوا يتقدمون كالسيل ناحية الغرب .

الحرب الأولى بين سنجر وأئمز في ربيع الأول (٥٣٣ هـ) :

هاجم أئمز بعد ايامه من غزنة جند والوادي الأسفل لنهر خجون بقصد فتحها فدخلها وكانت تابعة للسلطان ، فأرسل سنجر رسلا اليه وقبح ما فعل لكن خوارزمشاه تجرأ وحبس رسل السلطان وأقفل جميع طرق خراسان وأغرق الأراضي من حواليتها بالماء فيمنع تقدم جيش سنجر . وفي الحرب التي حدثت في التاسع من ربيع الأول (٥٣٣ هـ) بجوار (هزاراسب) انتصر سنجر انتصارا مبينا وصرع من جند أئمز نحو عشرة آلاف ، وهرب أئمز إلا أن ابنه سقط أسيرا بيد سنجر فقطعت عنقه بأمر منه . وترك سنجر ابن أخيه غياث الدين سليمان ولد السلطان غياث الدين محمد واليا على خوارزم وعاد الى خراسان .

وكرر أتسز الى خوارزم راجعا بعد عودة سنجر فأخذ أهلها يعاونونه
لسخطهم على معاملة الجنود السلاجقة لهم فطرد خوارزم شساه غياث
الدين سليمان من ملكه واعتلى عرش خوارزم ثانيية ، ولما كان يخشى
السلطان فقد أرسل اليه في ذي القعدة من (٥٣٥ هـ) رسالة قسم الى
سنجر وتعهده أن يبقى على طاعته مقسما بأغلظ الأيمان •

حرب قطوان في صفر (٥٣٦ هـ) :

توجه الكورخان القراخطائي في (٥٢٢ هـ) الذي ذكرته المصادر
الاسلامية بلقب الأعور لعور فيه الى فتح بلاد كاشغر والختن (١) بعند
أن ضبط قبائل القرغيز (المخرخيز) التركية وكانت كاشغر والختن بيد
أحد الحكام في تلك الأيام وكان مطيعا للسلطان سنجر • وقد ألحق
حاكم كاشغر بكورخان هزيمة فادحة في مكان يبعد عن هذه المدينة ببضعة
منازل ولاذ القراخطائيون بالفرار •

وشرع المترك القراخطائيون مرة أخرى في (٥٣١ هـ) يهاجمون بلاد
المسلمين وسلخوا هذه المرة طريق ما وراء النهر ، فتقدم اليهم الخاقان
محمود بن أرسلان خان لكنه هزم منهم في رمضان من هذه السنة قريبا
من مدينة خجند وركن الى الفرار الى سمرقند فتقاطر القراخطائيون على
البلاد الشرقية لما وراء النهر وعم أرجاء هذه البلاد فزع عظيم وفي النهاية
أنفذ أهل ما وراء النهر الخان محمودا للسلطان سنجر وطلبوا عونه لدفع
الكورخان القراخطائي •

وزحف السلطان سنجر في ذي الحجة من (٥٣٥ هـ) ومعه نحو
مائة ألف مقاتل يصحبه الأمير قماج والأمير أبو الفضل السيستانى

(١) يرى آبل رموسات (Abel Remusat, Hist. de la Ville Khoten)
أن لفظ ختن هو تحريف للفظ السنسكريتي (كو - ستانا) أى صدر الأرض ،
ويرى أهل آسيا الوسطى أنه مشتق من اللفظ الفارسي (خوب تن) أى
الجسد الجميل يشيرون بذلك الى عرى الرجال الوسما : انظر كتاب
هامبري ح ١ ص ٤٥ .

وبهرام شاه الغزنوى وعلاء الدين حسين جهانوز الغورى والشاه الغازى نصره الدين رستم بن على قائد جيش طبرستان الى ما وراء النهر وهاجم ترك القرلق بناء على شكوى الخاقان محمود منهم أيضا ولم يصنع الى طلب تجديد طاعتهم له واعتذارهم اليه برغم الحافهم فلاد القرلق بالقرخطائين فاستشفع الكورخان لهم عند السلطان ، ولكن السلطان لم يقبل شفاعته مغرورا وأرسل مخالفا رأى وزيره ناصر الدين أبى الفتح طاهر بن فخر الملك أخى قوام الملك صدر الدين محمد السابق الذكر الذى ولى وزارة السلطان من جمادى الأولى (٥٢٨هـ) أرسل الى الكورخان يهدده ويدعوه الى الاسلام .

وغضب الكورخان لرسالة وتهديدات سنجر فتقدم الى سمرقند لدفعه وفى الحرب الهائلة التى وقعت فى (قطوان) على بعد ستة فراسخ من سمرقند فى الخامس من صفر (٥٣٦هـ) ألحق القرخطائون والأتراك القرلق بجيش سنجر هزيمة شديدة وأهلكوا أغلبه ووقعت زوجة السلطان ابنة أرسلان خان الافراسيابى والأمير قماج والأمير أبوالفضل السيستانى أسرى وهرب السلطان الى ترمذ وفقد الخاقان محمود ما وراء النهر ، واستولى الكورخان على بخارى أيضا بعد فتحه سمرقند .

وانسال القرخطائون من ناحية أخرى على خوارزم وانهزم أتسز منهم ولعله تدخل فى تحريك الكورخان الى مهاجمة ما وراء النهر وصالحهم على أن يدفع لهم خراجا سنويا ثلاثين ألف دينار .

كانت هزيمة قطوان أول وأشد هزيمة للسلطان سنجر وكان تأثيرها شديدا عليه لأنه فضلا عن الوهن الذى أصابه من جرائها فان أتسز تيسر له أن يسلك طريق العصيان وصارت بلاد سنجر الشرقية من كاشغر حتى بخارى ليست خارجة عن يده وحسب بل أصبحت هذه البلاد الاسلامية فى طوع هذا الملك الكافر تؤدى له الجزية ، وظلت كاشغر وما وراء النهر على حالها من التبعية للكورخانيين الى أن قضى علاء الدين محمد خوارزم شاه على دولتهم فى حدود (٦٠٩هـ) وكان الخانات الافراسيابيون يؤدون اليهم الجزية أيضا .

حروب سنجر في خوارزم في (٥٣٨) و (٥٤٢) :

لما هزم ستجر من القراخطائين وأتى ترمذ وبلغ انتهاز أتنسز الفرصة لتجديد عصيانه ومهاجمته خراسان وفي ربيع الأول (٥٣٦ -) بلغ سرخس ومنها إلى مرو وشاهجان عاصمة السلطان فقام عليه أهلها فقتل أتنسز منهم مقتلة عظيمة منتقما وعاد إلى خوارزم • وعاد ثانية في شهر شوال إلى خراسان وأسقط في ذي القعدة اسم سنجر من خطبتها وأمر أن يخطب له فيها واستمر هذا الحال حتى أول المحرم من (٥٣٧) ولم يك لسنجر قدرة على منعه بسبب الهزيمة التي حلت به • وعاد أتنسز إلى خوارزم وأعلن استقلاله وأنشأ رئيس ديوان انشائه الشاعر والكاتب البالغ الشهرة رشيد الدين عمر البلخي الوطواط (١) بمدحه بقوله

لما اعتلى الملك أتنسز عرش انتهت دولة سلجوق وآله (٢)

وبلغ الغضب بسنجر مبلغا عظيما لما فعله أتنسز فهاجم خوارزم في (٥٣٨) وجاصرها فأخذ أتنسز يعتذر إليه ويخطب مصالحته فعفا عنه سنجر وعاد إلى خراسان •

لكن أتنسز لم يصف لسنجر في أي وقت وكانت مصالحته له من وجه الاضطرار دائما حتى أنه بعد فترة أرسل بشخصين سرا لقتل سنجر فأرسل مبعوث السلطان في خوارزم وهو الشاعر المشهور أديب

(١) سمي الوطواط لضالة جسمه وشبهه هذا الحيوان في الضالة ، وقد اتصل بغير الخوارزميين أيضا كآل باوند والخابان محمود بغراخان والشاه الغازي نصر الدين رستم بن قارن وغيرهم ، بيد أنه شهرته في الأدب الفارسي طغت على اتصاله بالحكام ، تفوق ديوان له ورسائله السلطانية والاخوانية له كتاب مظيم الشأن في البديع والصناعات اللفظية وهو حدائق السحر في دقائق الشعر (ترجمه الدكتور ابراهيم الشواربي وتقدم له) • له أيضا منظومة في العروض الفارسي ونثر الالاء من كلام أمير المؤمنين علي ، وبعض رسائل بالعربية في الأدب والكلام ، وتخول له تأليفه مكانة كبيرة في الأدب الفارسي والنثر العربي .

(١) البيت بالفارسية :

جون ملك اتنسز بتخت ملك برآمد * دولت سلجوق وآل اوبسرآمد

شهاب الدين اسماعيل صابر (١) بالمؤامرة الى سنجر فقبض سنجر على الرجلين وقتلهما ، وألقى أتنز بأديب صابر أيضا في نهر جيحون •

وفي جمادى الآخرة (٥٢٤٢ هـ) حمل سنجر مرة أخرى على خوارزم وحاصر قلعة (هزاراسب) فاقتحمها بعد شهرين ، فأتى أتنز وقد أعيته الحيل مضطرا الى سنجر في المحرم من (٥٥٤٣ هـ) وأحنى رأس الاستسلام عن كراهية وعفا السلطان ثانية عن ذنوبه •

فتنة الغز في (٥٥٤٨ هـ) :

كانت طائفة الغز كما سبق الشرح جماعة من التركمان المسلمين كالسلاحقة الساكنين فيما وراء النهر • وقد هاجروا منها بعد استيلاء القراخانيين عليها وسكنوا حوالى بلخ • وكانت بلخ في هذا الوقت تحت حكم الأمير قماج من كبار أمراء جيش سنجر فطلب الى الغز أن يتركوا حدود بلخ ويذهبوا الى مكان آخر ، فرفض التركمان الغز فهاجم قماج ولم تستطع هذه الجماعة أن تصرفه عن عزمه برغم محاولاتهم بأن يعطوه ما يشاء من مال ، فاضطروا الى الحرب وبعد أن هزموه انصبوا على بلخ ولم يراعوا عن القتل والنهب •

وهدد السلطان سنجر التركمان الغز ليتركوا بلخ فانبعثوا يعتذرون اليه وقالوا انهم مستعدون أن يعطوه كل عام المال والعبيد اذا أبقاهم في مراعيهم • فلم يسمع سنجر لهم وقصدهم ليزيلهم بنحو مائة ألف •

والحق بدو الغز بجيش سنجر الهزيمة الأولى في المحرم من (٥٥٤٨ هـ) بالقرب من بلخ والهزيمة الثانية في جمادى الأولى من نفس العام على مقربة من مرو وقتل في المرة الثانية الأمير قماج وجماعة غيره من أمراء

(١) أديب صابر وأصله من ترمذ أنشأ يمدج أولا سنجر ثم بعثه برسالة الى أتنز فمكث بخوارزم فترة حدث له فيها ما حدث . خلف ديوانا من القصائد والغزليات وكان متأثرا في أشعاره بأسلوب العنصرى والفرخى ، وله مناظرات شعرية مع الوطواط .

سنجر ووقع السلطان وزوجته في السادس من جمادى الأولى أسيرين في يد الغز وتدفبع البدو التركمان في مناطق خراسان كالنمل والجراد وأصبحت بلادها العامرة التي كانت كل منها العين والمصباح لعالم الحضارة وقل نظيراتها في العمارة وكثرة السكان موطن حوافز ودواب هذه الجماعة المغيرة الدموية وأشاعوا النهب والسلب في مرو وبلخ وطوس ونيشابور وهرات وذاق كثير من العلماء وأهل الزهد والتقوى شربة الشهادة من يد أولئك الغز ولم تسلم من هجومهم غير هرات وحدها بسبب قلاعها المستحكمة وألقى أمراء الغز وكان أشهرهم ناصر الدين أبو شجاع الطوسي بسنجر في السجن حتى أوائل (٥٥١هـ) وكانوا يظهرون له الاحترام ويعترفون به سلطانا لكنهم لم يغفلوا عنه حتى لا يفر ويأتيهم منتقما .

وممن نجا بزوجه من أمراء سنجر مع وزير السلطان طاهر بن فخر الملك سليمان. نشأه السابق الذكر ابن السلطان محمود بن السلطان محمد الذي كان سنجر منذ فترة قد اختاره لولاية عهده فرفعوا إلى مكان السلطان ، وأتى سليمان نشأه في جمادى الآخرة من عام (٥٤٨هـ) إلى نيشابور لكنه لما كان رجلا ضعيف النفس ساء المسلك فلم يطق صراع الغز وبعد أن مات وزير السلطان طاهر بن فخر الملك في شوال من نفس العام لم يستطع البقاء في خراسان وعاد إلى العراق في صفر من (٥٤٩هـ) . ودعا أمراء سنجر الخاقان ركن الدين محمود ابن أخت السلطان من بلاد ما وراء النهر إلى خراسان وخطبوا له فيها ، وفي نفس هذه الأيام أدخل أحد الغلمان القدامى للسلطان واسمه (المؤيد آي آبه) نيشابور وطوس ونسا وأبيورد وبيهق والدامغان تحت امرته وطرده الغز عن هذه البلاد وقبل أخيرا أن يستقل في هذه النواحي وأن يعطى خراجا سنويا إلى الخاقان محمود .

وطوال مدة أسر سنجر لم يستفد أتسز خوارزم شاه من اضطراب أوضاع بلاد سنجر مع أنه كان دائم الطمع في خراسان وشغل نفسه أكثر

هذه الفترة بالجهاد في حدود شمال خوارزم وشرقها • ولما أدرك الخاقان محمود بعد وصوله الى خراسان أنه لن يطاول منفردا الغز طلب أئسز ليعاونه فقتلأقى أئسز به في خراسان وكتب مكاتيب الى الشاه المغازى اسبهيذ طبرستان وعلاء الدين حسين الغورى وتاج الدين أبى الفضل ملك نيمروز ودعاهم الى معاوية سنجر، ووصلت أنباء خلاص سنجر بتدبير أحد الأمراء من قبضة الغز ووصوله الى ترمذ في تلك الأثناء ، فكتب أئسز رسالة الى السلطان وهناك فيها بخلاصه من قبضة الغز الذى تم في أوائل (٥٥١ هـ) وطلب السماح منه اليه أن يذهب الى خوارزم أو يبقى بخراسان أو يلحق بجيش السلطان ، ولكن قبل أن يحسم قراره مرض في حدود قوجان ووافته منيته في ليلة التاسع من جمادى الأولى من (٥٥١ هـ) •

وفاة السلطان سنجر في الرابع عشر من ربيع الأول من (٥٥٢ هـ) :

استمر أسر سنجر في يد الأتراك الغز ثلاث سنوات وبعض سنة ، ولم يكن السلطان طوال هذه المدة مستعدا للفرار خوف أن تظل زوجته أسيرة بيد التركمان ، فلما توفيت زوجته ، وصل السلطان بعون من جماعة من حراسه الى شاطيء جيحون بقصد القنص وبلغ ترمذ بواسطة القوارب التى كان صاحب ترمذ قد هياها له من قبل ، ووصل مرو بجيش كان مهيا أيضا من صاحب ترمذ وبعض الأمراء الآخرين ، وجلس ثانية على العرش ، ولكن ضعف الشيخوخة وحزنة على وفاة شريك حياته وخسراب البلاد وظهور العصاة أوهنت منه تدريجا فمات في السنة التالية في الرابع عشر من ربيع الأول ودفن في مرو شاهجان عاصمته وكان عمره اثنتين وسبعين سنة وانقضت نحو واحدة وستين سنة في امارته وسلطنته • والسلطان سنجر أحد أعظم وأفضل سلاطين ايران وكان بذى جد وجهد بليغين في تعمير البلاد ورفاهية الرعية واحكام الأمن والأمان فوق أنه شجاع وكريم محب لرعيته وكان منتصرا دائما باستثناء واقعتين وكان

يخطب له من أقصى كاشغر حتى شاطيء البحر المتوسط ومن القبحساق حتى ساحل هرمز والحرمين ، ومن حدود عام (٥١١ هـ) عام جلوسه على السلطة حتى عام وفاته كان سلاطين خوارزم وغزنة والعراق وحتى حرب قطوان أمراء كاشغر وما وراء النهر ، كل أولئك تابعين له يرسلون الى بلاطه الخراج . ولم يحز أحد السلاطين السلاجقة على ما حاز من فتوح في غزنة وما وراء النهر والغور وخوارزم ، وإذا لم ينل الفتوح في المغرب ، إلا أنه أوسع دولة السلاجقة في شرقها وشمالها الشرقي وسعة جديدة ومد حدودها بضم بلاد الأمراء الغزنويين والغوريين والوادي الأعلى لنهر سيحون الى أطرف هذه المناطق .

والأمر الآخر الذي أذاع من صيت سنجر في تاريخ ايران وأدبها هو اهتمامه الكامل بالشعر الفارسي وصلاته ونواله التي كانت تبليغ أدباء هذه اللغة والفضلاء الآخرين . وربما لم يقل الدح الذي أنشد له الملك قبله قط كما أن الكتب التي ألقت باسمه فوق الحصر ، خاصة شعر الطراز الأول في اللغة الفارسية للشاعرين أمين الشعراء محمد بن عبد الملك المعزى النيشابوري (١) والحكيم أوحسد المدين على بن محمد الأنورى الأبيوردى (٢) اللذين أعليا ذكره بقصائدهما الغراء وخلداها بها . كما أنشأ

(١) المعزى المتوفى في حدود عام (٥٢٠ هـ) هو أمير الشعراء ابو عبد الله محمد بن عبد الملك من كبار شعراء العصر السلجوقي ، وكان أبوه عبد الملك البرهاني شاعر بلاط الب أرسلان وتوفى في بداية حكم ملك شاه . وتخلص المعزى نسبة الى معز الدين والدنيا ملك شاه الذي لقبه أيضا بأمر الشعراء وكانت وفاته بيد مليكه الذي لم يبرح بلاطه إذ أصابه سهم الملك بلا قصد فجرح وظل جريحا حتى موته . وأشعار المعزى تشمل القصائد والغزليات التي تتصف بالبساطة وعدم التكلف وتحفل قصائده بإشارات تاريخية تعود الى العصر السلجوقي كحزوب ملكشاه وسنجر وصلحها .

(٢) الأنورى هو أوحسد الدين الملقب بحجة الحق المتوفى عام (٥٨٣ هـ) مهر في الأدب والرياضة والفلسفة والحكمة وكان متعلقا بأثر ابن سينا وكتب بعضها بخطه كما كان متبحرا في الفلك . والأنورى من شعراء القصيد الفارسي وفاق سابقيه في الفصاحة والدقة . كما أن غزلياته تنسم باللفظ والجهال ، ومهر أيضا في الهجاء . وقد أفاد الأنورى في شعره بلغة الحوار ومالت أشعاره حيناً الى البساطة والسلاسة والى التعمق والابهام حيناً آخر . وقد شهد الشعراء بعد الأنورى له بالاستاذية .

شعراء آخرون قصيد مديحه من قبيل أديب صابر الترمذى وكمال الدين
للكمالى البخارائى (١) وفريد الدين عبد الواسع الجبلى والسيد أشرف
الحسن بن الناصر الغزنوى والحكيم السنائى .

أوضاع خراسان بعد موت سنجر :

ولما لم يكن للسلطان سنجر وقت احتضاره أولاد ذكور ، فقد نصب
ابن أخته الخاقان أبا القاسم محمودا فى مكانه بالسلطنة ، الا أن حكم
محمود وسط طائفة الغز وكانوا لا يزالون يستولون على جزء من خراسان
ومؤيد الدين آى ابيه الذى سيطر على القسم الآخر من هذه البلاد كان
حكما مضطربا . فقد قبل الغزو حكومته وأدخل مؤيد الدين آى ابيه نفسه
تحت أمره على نحو أنه تسلط على جميع أمور الدولة وغدا محمود فى
الحقيقة تحت تصرفه ونفوذه .

وعمل مؤيد الدين آى ابيه ومحمود على مقاتلة الغز وكانت الحرب بين
الطرفين سجالا الى أن تغلب عليهما الغز تماما فى شوال (٥٥٣هـ) وهرب
مؤيد ومحمود وأخذت هذه الجماعة المتجزئة تنهب وتسلب فى بعض بلاد
خراسان ثانية . وأقام محمود فى جرجان الى أن أرسل ابنه فى (٥٥٤هـ)
الى خراسان باستدعاء من الغز ثم أتاها بنفسه . لكن مؤيد آى ابيه لم
يوافق السلطان وبلغ خبوشان (قوجان) أو قوشان ومع أنه سقط فى
قبضة الغز لكنه استطاع الفكك منهم ونجح فى جمع جيش فى نيتابور
وأخذ يهاجم به فى هذه النواحي الى أن قر الصلح بينه وبين محمود فى

(١) لعل اقبال يقصد به الشاعر ابا النجيب شهاب الدين عميق
البخارائى المتوفى (٥٤٣هـ) والذى لقب بأمر الشعراء فى بلاط سمرقند عهد
حكم خضر خان ابراهيم وقد مدح جملة من ملوك الخانية بسمرقند ثم اتصل
بسنجر ونظم مرثية فى ابنته وعاصر الانورى والرئيسى السمرقندى من
شعراء ما وراء النهر . وقد حذق عميق استخدام الصناعات البديعة خاصة
القشبيات والكلمات الموزونة ، وشمل ديوانه القصائد والرباعيات ، وينسب
اليه (يوسف وزليخا) الذى يمكن قراءته ببحرين ، وهو غير موجود الآن .

ذى القعدة فترك له محمود ينشأ بور وطوس .

وفي جمادى الآخرة من (٥٥٥٦ هـ) بادر محمود بحصار نيشابور ومعه الغز ، لكنه استغل انشغالهم في الحصار فلاذ بالفرار الى مؤيد . ولما عجز جند الغز عن فتح نيشابور عادوا الى الاغارة على طوس وظل محمود حتى رمضان من (٥٥٥٧ هـ) عند دؤيد . وفي هذا الاوان أعمى مؤيد الدين محمودا وابنه وظلا على حالهما هذا الى أن لقيا حتفهما في حبسه ، فخطب مؤيد آى آبه في نفس هذا الوقت بالسلطنة لنفسه ، وبعد قليل سيطر على طوس وقومس أيضا وفي (٥٥٥٨ هـ) قبل أن يخطب للسلطان أرسلان ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه الملك السلجوقي بدعوة من شمس الدين ايلدكر الأتابك في دائرة حكمه ، فكان يخطب في خراسان آنذاك لثلاثة ملوك : في قومس وطوس وبيهق ونيشابور للسلطان أرسلان السلجوقي . وفي جرجان ودهستان لايل أرسلان خوارزمشاه وفي بلخ ومرو وسرخس كانت أولا للسلطان المتوفى سنجر ، ثم صارت لحاكم تلك البلاد . وقد استولى الخوارزمشاهيون كما سيأتى على خراسان وقتل خوارزمشاه مؤيد آى آبه .

٧ — مغيث الدين أبو القاسم محمود بن محمد ملكشاه

(٥١١ — ٥٢٥ هـ)

كان السلطان مغيث الدين أبو القاسم محمود قد ولى سلطنة العراق بعد موت أبيه السلطان محمد في ذى الحجة من (٥١١ هـ) وبعد أن لقي الهزيمة في الثاني عشر من جمادى الأولى (٥١٣ هـ) على يد عمه السلطان سنجر في ساوه وعاد الى سلطنته السابقة عن طريقه أيضا قدم الى أصفهان واستوزر بأمر سنجر كمال الملك على بن أحمد السميرى صاحب ديوان الأشراف في بلاط والده وكان معروفا بكفاءته وفضله وكان أيضا سبب الاتيان بمحمود بعد هزيمته

الى سنجر واختير قوام الملك أبو القاسم رئيسا لديوان الطغراء
والانشاء وشمس الملك بن نظام الملك مستوفيا عاما للمملكة .

وارتھن السلطان محمود في بداية سلطنته بعصيان أخويه طغرل
ومسعود ، فقد تحرك الأخير وكان في الموصل حين مات أبوه صوب بغداد
في جمادى الأولى (٥١٢هـ) بمؤازرة بعض من أمراء الجزيرة واستولى
عليها ، لكنه صالح أخاه محمودا لما ترك محمود له آذربايجان
والموصل فعاد الى مقر حكمه بعد قليل . وكان طغرل حين مات أبوه يبلغ
الثامنة من العمر ، وكان أتابكه أنوشتكين شيركير يدير باسمه ولايات
ساوه وآوه وزنجان . ثم عزله السلطان محمود عن أتابكية طغرل
في (٥١٣هـ) مع أنه استولى على بعض قلاع الاسماعيلية في عهد السلطان
محمد ، ونصب محمود أتابك جديدا لكي يأتي بأخيه اليه . وحرص
الأتابك الجديد طغرل على العصيان ولما سمع بحركة السلطان محمود
الى همدان اضطرب طغرل وهرب الى كنجه واستولى بالتدريج على
أران ووادي الأرس .

وفي (٥١٤هـ) عاود مسعود ثورته على أخيه محمود بعد هزيمته من
سنجر وترك الموصل لحرب أخيه يصاحبه وزيره الشاعر الفاضل
المعروف مؤيد الدين أبو اسماعيل الحسين بن علي الطغرائي
الاصفهانى (١) ، لكنه غلب على أمره في الحرب التي جرت في منتصف
ربيع الأول من هذه السنة في وعر جبال أسد آباد بين الطرفين وأسر
الطغرائي ثم قتل بأمر محمود . وأثر مسعود الفرار ثم أطاع
أخاه ، بعد قليل ، مضطرا .

(١) هو فخر الكتاب أبو اسماعيل المقتول عام (٥١٤هـ) من كبار
الشعراء والأدباء العرب وكان وزيرا لمسعود بن محمد بن ملكشاه من
سلالة العراق ، وقد عد من الشعراء المشاهير والأدباء بعصره ، وقصيدته
العربية المسماة بلامية العجم معروفة ، وقتل بتهمة الإلحاد .

حرب محمود مع الكرجيين في (٥١٧ هـ) :

استولى ملك الكرجيين داود الثاني (٤٨٢ - ٥١٩ هـ) ابن جيورجى السابق الذكر الذى كان رجلا عاقلا نشطا مطلقا على الاسلام والقرآن الكريم. كافي الاطلاع وكان يعامل رعاياه المسلمين بكمال الرأفة وحسن المعاملة ، استولى ابنه على المناطق الشمالية لمملكته من البحر الأسود حتى الداغستان والدربند وأدخل فى جيشه نحو أربعين ألفا من الأتراك القبچاق وجعل من أحد أمراء شروان المسلمين حليفا لكرجستان بتزويجه من ابنته ولما بلغ هذه القوة شرع فى (٥١٣ هـ) بمهاجمة أران وتفليس وكانت للسلاجقة وبلغت شراسة هجومه حدا أن المسلمين بأران وأرمينية والجزيرة نهضوا فى (٥١٤ هـ) لجهاده وتقدم اليه طغرل أخو السلطان محمود مع أتاكه وأمراء الحلة وماردين لرده ، لكن داود هزمهم قـرب تفليس وحاصر داود تفليس واستولى عليها فى (٥١٥ هـ) وفتح هذا البلد الذى ظل بأيدي المسلمين نحو أربعمئة عام وصارت تفليس عاصمة لبلاد الكرج ثانية ولهذا لقب الكرجيون داود الثانى بمحيى بلاد الكرجيين •

وبعد هزيمة طغرل صالح أخاه السلطان محمود ، وأتى قوم من شعب تفليس والدربند الى خليفة بغداد والسلطان بهمدان يطلبون العون على داود فتحرك محمود فى (٥١٧ هـ) لمعاونتهم وضم مدينة شماخى من ملك شروان صهر داود لكن جنده لم يجرؤوا على مهاجمة جند داود الكرجيين ، وأزجى شمس الملك الوزير الذى بلغ الوزارة من (٥١٦ هـ) حين قتل كمال الملك السمرى بيد الملاحدة النصيح الى السلطان بالعودة فكر السلطان راجعا الى همدان بعد مدة من اقامته بشروان ، فانتهاز داود الفرصة لكن يسترد شروان ومدينة آنى (حانى) عاصمة أرمينية القديمة أيضا اليه •

وفى عودة السلطان من شروان عاد أبو القاسم الدرگزى الذى لقى

سنجر في سفارة بخراسان وأكثر من سعايته عنده ضد شمس الملك ، وأبلغ أمر سنجر بإرسال شمس الملك الى مرو السلطان محمودا ، فقتل محمود شمس الملك أيضا بناء على اشارة مستوفيه خوفا من أن يطلع شمس الملك سنجر على أسرارها اذا قابله ، ونجح الدرزي بعد هذا بقليل أن يخلفه وأن يبلغ الوزارة التي كان منتهى أمله .

حرب محمود مع الخليفة المسترشد في (٥١٢هـ) :

قصد السلطان محمود بجيش كثيف بغداد في (٥١١هـ) بسبب الخلاف الذي ظهر بين شخته السلطان في بغداد والخليفة المسترشد فأخذها في المحرم من (٥١٢هـ) وأجبر الخليفة على مصالحته ، وبعد شهرين أقامهما محمود في دار الخلافة عاد الى همدان . وفي وصول محمود الى همدان ألقى بقوام الملك الدرزي وزيره الدساس في الحبس وأحل محله المؤرخ والمنشيء الكبير شرف الدين أنوشروان بن خالدة الكاشاني .

وظل الدرزي حتى (٥٢٢هـ) في الحبس . وأتى السلطان سنجر وقتذاك من خراسان الى الري ليرى هل خرج محمود عن طاعته كما أبلغه المفرضون أم ما يزال على طاعته . فتقدم السلطان محمود من همدان الى الري ليستقبل عمه سنجر فأجلسه معه بجواره على العرش وأظهر له كثيرا من الاكرام ، وقد حضر هذا اللقاء أخوة محمود الثلاثة الآخرون وهم طغرل ومسعود وسليمان أيضا . وقد أطلق محمود لاصرار السلطان سنجر الدرزي من قيده وجعله وزيرا بأمره أيضا لوزارة ابنة سنجر وكانت زوج محمود ، وتمكن الدرزي بعون هذه الزوجة أخيرا في الرابع والعشرين من المحرم (٥٢٣هـ) من وزارة السلطان .

٨ - غياث الدين داود بن محمود

(شوال ٥٢٥ - جمادى الآخرة ٥٢٦ هـ)

و

٩ - ركن الدين أبو طالب طغرل بن محمد

(جمادى الآخرة ٥٢٦ - المحرم ٥٢٩ هـ)

ومات السلطان محمود في شوال (٥٢٥ هـ) بعاصمته همدان بعد اثنتي عشرة سنة وعشرة شهور سلطنة ، فرفع وزيره أبو القاسم الدرگزيني ابنه داود بلقب غياث الدين الى عرش السلطنة ، الا أن الناس لما قاموا في همدان على الوزير جمع الوزير أمواله وأتى الري وكانت جزءا من مملكة سنجر أما داود فقد توجه الى زنجان في ذي القعدة من هذه السنة .

ولما سمع عم داود مسعود خبر موت أخيه عاجل الى تبريز فاستولى عليها ، وقدم داود لقتال عمه وحاصر تبريز في آخر المحرم من (٥٢٦ هـ) ، ومع أن مسعودا صالح ابن أخيه الا أنه وصل مسرعا الى همدان وأرسل منها رسلا للمستترشد ببغداد وطلب اليه أن تجرى الخطبة له وطلب داود أيضا نفس الأمر ، فأجاب الاثنان أن الحكم في هذا الطلب للسلطان سنجر وسوف يخطب لمن يحكم له ، وبينما كان النزاع قائما بين مسعود وداود ورد أخ مسعود وابن السلطان هو سلجوق شاه والى فارس الى بغداد وأقام بها فاستقبله الخليفة بحفاوة واحترام .

وهاجم مسعود بعون من أتابك الموصل بغداد واشتبك في قتال مع أخيه سلجوقشاه والمستترشد ، فهزم سلجوقشاه أتابك الموصل ، ولما تناهت الأخبار بأن السلطان سنجر قاصد العراق في هذه الآونة ، أخاف مسعود الخليفة بوصوله ، فقبل المستترشد أن يخطب لمسعود وأن يكون سلجوق شاه ولي عهده .

قتال سنجر مسعود في الثامن من رجب (٥٢٦هـ) :

قدم السلطان سنجر بدعوة من الدركريني بعد موت ابن أخيه في آخر ربيع الآخر (٥٢٦هـ) الى الري ، وبادر طغرل أخو مسعود وسلجوق شاه أيضا الى مقابلته فجعل من داود ولي عهده في خراسان وما وراء النهر وسلطنة العراق ، وتحرك من الري الى همدان ونهاوند ، فصمم مسعود وسلجوق شاه والمسترشد على قتال السلطان سنجر ، لكن الخليفة تأخر عن التحرك معهم ، وألحق السلطان ومعه الأمير قماج وأتسز خوارزم شاه وطغرل بجيش مسعود وسلجوق شاه الهزيمة قرب دينور في الثامن من رجب (٥٢٦هـ) واستدعى مسعودا الذي هرب الى آذربايجان وبعد أن عفا عنه أرسله لامارة كنجة وأران ونصب طغرل رسميا على سلطنة العراق وأبقى قوام الملك أبا القاسم الدركريني بوزارته ، ثم عاد الى خراسان للقضاء على عصيان أحمد خان خاقان ما وراء النهر .

١٠ - غياث الدين أبو الفتح مسعود بن محمد

(٥٢٩ - ٥٤٧هـ)

بعد عودة سنجر رجع داود الى همدان واشتبك في رمضان من (٥٢٦هـ) مع طغرل يقاتله ، فهزم طغرل داود قرب همدان فهرب الى بغداد . وكان مسعود على حكومة كنجة فتركها الى بغداد عند سماعه هذا الخبر ، ولقى داود بها وحث الخليفة على أن يعترف به سلطانا ويسد داود وليس له عهد في صفر (٥٢٧هـ) ثم هاجم همدان وهزم طغرل في شعبان (٥٢٧هـ) وسيطر على عاصمة سلاجقة العراق .

وسمع أيضا بأن أخاه عاد منهزما في طريق قم والري فذهب في عقبه فاستولى على هذين البلدين وعلى جزء من فارس وأخذ طغرل ومعه الدركريني ينتقلان هارين من مدينة الى أخرى . وقد قتل في نفس أيام

هروبه الدركرينى فى شوال (٥٢٧هـ) فى النهاية وأراح الناس من شره .
وبعد أن جمع طغرل جيشا جديدا تغلب على مسعود فى رمضان
(٥٢٨هـ) على مقربة من قزوين واسترد منه همدان وفر مسعود الى بغداد
وطلب عون الخليفة . وكان المسترشد عازما على معاونته حين سمع خبر
موت طغرل فى المحرم من (٥٢٩هـ) فأتى مسعود الى همدان وجلس على
عرش السلطنة .

قتل المسترشد فى الثامن عشر من ذى القعدة (٥٢٩هـ) والراشد فى الخامس والعشرين من رمضان (٥٣٢هـ) :

بعد أن استقر مسعود على عرش سلطنة سلاجقة العراق الصطدم
بالخليفة المسترشد وكان سبب ذلك التجاء بعض أمراء مسعود الى دار
الخلافة وحثهم الخليفة المسترشد على اسقاط اسم مسعود من الخطبة .
وزحف المسترشد بدعوة من هؤلاء الأمراء فى شهر رجب (٥٢٩هـ) لقتال
مسعود ولما اقترب من جبل بيستون فاجأه مسعود وجنده وصحبه ،
فأسر الخليفة وتفرق جنده . وزحل مسعود بالخليفة الأسير الى
آذربايجان لأن داود ابن أخيه (١) كان وعد المسترشد بالعون وأعلن
عصيانه مسعودا ، فسار مسعود بأسيره فى شوال من عام (٥٢٩هـ) ثم
خط رحله على بعد منزلين من مراغة .

وصالح مسعود المسترشد حينئذ وتقرر أن يعود الخليفة الى بغداد
ويرسل الى مسعود أربعمئة ألف دينار سنويا وأن يتمتع عن جميع
الجيش أو مغادرة منزله . ولكن قبل غودة المسترشد الى بغداد بلغه
سفير من سنجر فأبقى مسعود الخليفة عنده لكي يعرف نتيجة رسالته ،
وفى هذه المدة قتل المسترشد فى الثامن عشر من ذى القعدة على يد جماعة
من الباطنية وعلم بعدها أن سنجر حرض هذه الجماعة على قتل الخليفة .
وبعد قتل المسترشد خلفه ابنه الراشد ، ووقع فى نزاع مع مسعود

(١) ذكر المؤلف أن داود أخو مسعود والصحة أن داود ابن أخيه محمود .

في (٥٣٠هـ) لعجزه عن دفع الخراج السنوي اليه فأبعد اسمه عن الخطبة فنادى ابن أخيه داود وطالب حكمه بنفسه سلطانا وحرك أمراء الأطراف لمقاتلة مسعود وعصيانه ، فأتى مسعود بغداد فلاذ الراشد اشفاقا منه بأتاك الموصل واختير المقتضى خليفة مكانه .

وفي (٥٣٢هـ) قدم الراشد من الموصل الى آذربايجان حيث داود فانحاز اليهما أتابك فارس وبعض الأمراء الذين كانوا يخشون مسعودا وتحرك الجميع لمقاتلته ، فهزمهم مسعود في شعبان من هذه السنة قرب دينور ، وأتى الراشد وداود الى خوزستان ومنها الى أصفهان وفي هذه المدينة في الخامس والعشرين من رمضان لفظ الراشد آخر أنفاسه بعد طعنات من أحد الاسماعيلية .

موت مسعود في أول رجب (٥٤٧هـ) :-

أنفق مسعود القسم الأخير من سلطنته غالبه في اشتباكات مع أمرائه وأولئك الذين كانوا يعلنون ملوكية اخوته أو أبناء اخوته على الرغم من أنه ، وفي هذه الفترة أتى سنجر مرة واحدة في عام (٥٤٤هـ) الى الري لكي يصلح من أمور الحكم بها وبادر مسعود الى طاعته وتجديد عهد تبعيته وانقياده له . وفي النهاية تغلب مسعود على غالب الأمراء العاصين وانتهى أمرهم أكثرهم الى الانهزام أو القتل . ومات مسعود بعد حكم دام نحو ثمانية عشر عاما في همدان في غرة رجب من عام (٥٤٧هـ) وهو آخر ملك كبير من شعبة سلاجقة العراق أو آخر سلطان قوى للأسرة السلجوقية لأنه لم يظهر من بعد موته ومنوت السلطان سنجر الذي حدث بعد هذا بنحو خمسة أعوام من يعد صاحب اسم أو صفة معتبرين من هذه الأسرة .

١١ - معز الدين أبو الفتح ملكشاه بن محمود
(من رجب (٥٥٤٧هـ) حتى أدى القعدة من نفس العام)



١٢ - غياث الدين أبو شجاع محمد بن محمود بن محمد
(٥٤٧ - ٥٥٥٤هـ)

بعد السلطان مسعود أصبح ابن أخيه ملكشاه بن محمود بن محمد ملكا ، لكنه كان رجل لهو ولعب وخمر وعجز في تصريف الأمور فخلع الأمراء بعد أربعة شهور حكمه واختاروا أخاه محمدا ملكا وكان في خوزستان .

وكان من غلمان كمال الملك السميرمي وزير السلطان محمود أحد الأتراك القبجاقيين اسمه ايلدكر^(١) ولقبه شمس الدين أخذ يرقى تدريجا في بلاط الحكم الى أن ولاه السلطان مسعود في حدود (٥٥٤١هـ) حكم آذربايجان وأران ، وزوج مسعود بعد موت أخيه طغرل الثاني زوجته من الأتابك شمس الدين ايلدكر ، وظل ايلدكر حتى آخر حكم مسعودا عبدا وفياله .

أما الأخ الرابع لمسعود وطغرل وهو سليمان شاه الذي أسره مسعود عند عصيانه له فألقى به مسعود في حبسه ففقد فر من حبسه بعد جلوس السلطان محمد الثاني وعزم همدان للاستيلاء على العرش والمتاج ولكن أتباعه تفرقوا عنه قبل أن تشب حرب بينه وبين محمد ، فتوجه سليمانشاه الى سنجر فاختره السلطان وليا لعهد ، ثم اختير سلطانا بعد أسر سنجر كما مر بنا ، لكنه كر قافلا الى العراق خوفا من الغز في

(١) ايلدكر أو ايلدركوز تركية بمعنى (المشرف على الناس) (غامبري ح ١٥١ ص ١٠٠)

صفر (٥٤٩هـ) ولم يسمح له الغز بدخول كاشان وأصفهان وخوزستان •
فلاذ بالخليفة ودخل بغداد في أول (٥٥١هـ) بأجازته ونادى الخليفة
بسلطانه ولقبه باللقاب أبيه السلطان محمد وجعل من ملكشاه الثانى
ولى عهده أيضا •

وهزم محمد في نفس العام بعون أمير الموصل سليمانشاه الذى
تحالف مع الأتابك ايلدكر فأسر سليمانشاه وحبس بالموصل ، وهاجم
محمد بغداد ليرغم الخليفة على الاعتراف بسلطنته وحاصر بغداد الى أن
سمع أن الأتابك ايلدكر وملكشاه الثانى وأرسلان شاه ابن طغرل الثانى
وابن زوجة ايلدكر دخلوا همدان واستولوا على عاصمته ، فأجبر على
أن يتخلى عن حصار بغداد وقصد همدان في الرابع والعشرين من ربيع
الأول من عام (٥٥٢هـ) •

وآب ايلدكر وملكشاه الى الرى الا أن (اينانج) شحنة الرى
هزمهما ووصل قبل وصول السلطان محمد الثانى الى همدان واستولى
على عرشها لهذا السلطان • وفكر محمد بعد أوبته الى همدان أن يهاجم
آذربايجان ويدخل بلاد ايلدكر تحت تصرفه لكنه أصيب بمرض السيل
وبعد سنتين مات في سلخ ذى القعدة (٥٥٤هـ) •

١٣ — غياث الدين أبو الفتح سليمانشاه بن السلطان محمد (٥٥٤ — ٥٥٦هـ)

و

١٤ — ركن الدين أبو المظفر أرسلان شاه بن طغرل (٥٥٦ — ٥٥٧هـ)

ولما مات السلطان محمد الثانى وقع الخلاف بين أمرائه على تعيين
خلفه فقد كان قوم يميلون الى سلطنة عمه سليمان شاه الذى كان يعيش
في حبس أمير الموصل ، وانحاز آخرون الى ملكشاه أخى السلطان المتوفى

وطلبت جماعة ثالثة سلطنة أرسلان شاه بن طغرل ابن زوج الأتابك
ايلدكر نظرا لقدرة هذا الأتابك • وكان بينهم اينانج شحنة المري الذي
تغلب على ايلدكر وأرسلانشاه وكان جيشه يفوق غيره نفوذا وقوة فانحاز
اينانج هذا الى سليمانشاه • وقد أطلق أمير الموصل سليمان شاه بعد
موت محمد فأتى همدان وجلس على السلطنة ، ولكي يخمد فتنة ايلدكر
وأرسلان شاه جعل من الأخير ولي عهده وأتاب شمس الدين ايلدكر في
أران وأذربايجان • أما ملكشاه الذي كان يفكر في عصيانه لعمه وشغل
نفسه في أصفهان بجمع الجيش فقد وافاه أجله في أصفهان في ربيع
الأول (٥٥٥هـ) وسلمت السلطنة لسليمان شاه •

كان سليمانشاه رجلا خميرا سكيما عاجزا يصرف أيامه في اللهو
واللعب فضايق الأمراء ذرعا به وأمسكوا به في شوال (٥٥٥هـ) وألقوا به
في الحبس ثم أهلكوه في الثالث عشر من ربيع الأول (٥٥٦هـ) وطلبوا الى
ايلدكر أن يأتي بأرسلان شاه الى همدان ويجلسه على عرش ملكيتها •
وتلقب ايلدكر الذي كان يجمع جميع الأمور في يديه بلقب الأتابك الأعظم
وجعل من ولديه وأخوي أرسلان شاه لأمه وأولهما نصره الدين محمد
جهان بهلوان حاكما لأران وأذربايجان وثانيهما مظفر الدين عثمان قزل
أرسلان قائدا للجيش • وعقد ايلدكر لابنه الأكبر محمد جهان بهلوان على
ابنة اينانج والى المري وبهذا حفظ قلبه طائعا له ، لكن تلك الطاعة لم تدم
فقد كان ينفس اينانج على ايلدكر تقدمه في بلاط السلطنة فتحالف مع
الأتابك السلغرى لفارس وحاكمى أصفهان وقزوين ووزير الخليفة فأعلن
سلطنة محمد بن طغرل الثانى • وهزم ايلدكر وابناه العصاة وأصاب
اينانج ضربة شديدة فهرب الى المري ، وعاد الأتابك الأعظم بعد مصالحته
الى همدان على أن يدفع اينانج خراجا سنويا ، لكنه امتنع عن ارسال
هذا الخراج سنة أو سنتين فزحف ايلدكر في (٥٥٦هـ) نحو المري
فاستولى عليها وقتل اينانج على يد غلمانه •

ومن أحداث سلطنة أرسلان شاه الهامة هجومه وايلدكر على بلاد

الكرج في (٥٥٧هـ) وقتاله جيورجى الثالث (٥٥١ - ٥٨٠هـ) ملك هذه البلاد والأبخاز وفتح (أنى) و (دوين) و (دييل) في شرق آرايات وجنوب ايروان وكان من نتيجة هذا أن غنم المسلمون من الكرجيين غنائم وأسرى كثيرين واسترجعوا البلاد التي أخرجها أبو جيورجى من قبضة المسلمين قبل وأدخلوا ملك شروان تحت طاعتهم .

ومات الأتابك ايلدكز في (٥٦٨هـ) بعد أن أسس لأرسلان شاه دولة قوية الى حد ما من حدود تفليس الى حدود مكران ، وبلغ ابنه الأتابك نصرة الدين محمد جهان بهلوان حرية التصرف في أمور السلطنة ، وقد أبقى السلطان تحت تصرفه كما كان والده الى أن مات أرسلان شاه في (٥٧١هـ) بعد حكم خمس عشرة سنة ولم يكن لأرسلان شاه من السلطنة غير اسمها .

١٥ - ركن الدين أبو طالب طغرل بن أرسلان شاه

(٥٧١ - ٥٩٠هـ)

بعد وفاة أرسلان شاه أجلس الأتابك جهان بهلوان ابنه الصغير طغرل الثالث على عرش همدان وأمسك هو بأزمة الأمور بصفته الأتابك وعهد الى أخيه قزل أرسلان بقيادة الجيش وأدار هذان الأخوان البلاد التي استولى عليها أبوهما وحافظ عليها من هجوم الخصوم الطلاب حتى (٥٨٢هـ) حين مات جهان بهلوان ادارة حسنة .

وحيثما مات جهان بهلوان أحسب طغرل الثالث الذى كان شابا شجاعا حسن التربية دمث الخلق طموحا وقد بلغ الرشد أن يتحرر من تحكم مظفر الدين قزل أرسلان وانضم اليه جمع من أمراء جهان بهلوان ، وبينما كان قزل أرسلان مشغولا في أمور زفافه الى زوجة أخيه ابنة اينانج شحنة الرى السابق لاذ طغرل بالفرار من مدينة ساوة ليلتها واتجه الى سمنان ، فعجل قزل أرسلان فى عقبه لكنه هزم فى الدامغان من

أتباع السلطان فعاد الى همدان ومنها في (٥٨٣هـ) الى آذربايجان ، وعاد طغرل بعد مدة من اقامته في طبرستان الى همدان وأعلن نفسه سلطانا مستقلا .

وحينما وصل الأتابك قزل أرسلان الى آذربايجان طلب من الناصر الخليفة العباسي عونه لدفع طغرل وخوف الخليفة هجوم طغرل ، فأرسل الناصر جيشا ضخما بقيادة وزيره في أوائل (٥٨٤هـ) لمعاونة قزل أرسلان الى همدان ، ولم يتمكن قزل أرسلان من أن يصل الى جيش الخليفة في الوقت المناسب فهزمهم طغرل على وجه العجل في الثامن من ربيع الأول من هذه السنة وهرب جيش وزير الناصر مهزوما واهنا الى بغداد .

ولما كرر طغرل راجعا الى همدان بعد لقاءه جيش الخليفة كان قزل أرسلان قد بلغها قبله ونشبت الحرب بين الفريقين في همدان ودام القتال شهرا حتى تعب جيش قزل أرسلان فمال بهم نحو أسد آباد واغتنم طغرل الفرصة فوصل آذربايجان حتى يضم بلاد الأتابك الأصلية .

وفي هذه الفترة كان قزل أرسلان قد استولى على همدان بالجيش الذي أمده به الخليفة الناصر للمرة الثانية وأجلس في رجب (٥٨٤هـ) سنجر بن سليمان شاه على عرش السلطنة .

وكانت حكومة أصفهان في هذا الوقت مع ولد الأتابك محمد جهان بهلوان (قتلغ اينانج) (١) فلما رأى اضطراب أمر طغرل ضم الى حكمه الري وزنجان وهزم في المدينة الأخيرة طغرل الذي كان مريضا فذهب طغرل الى همدان وكانت خالية من الأتابك الا أن الأتابك وصل معجلا فأسر السلطان وابنه ملكشاه وألقى بهما في حبس احدى قلاع آذربايجان وأعلن سلطانه ولكنه قتل ليلة اليوم الذي كان يعتزم الاحتفال بسلطنته في شهر شعبان (٥٨٧هـ) على نحو لم يعرفه أحد ونسب قتله الى الفدائيين الاسماعيليين .

(١) قتلغ اينانج تعنى (المؤمن السيد) (غامبرى ح ١ ص ٥١٥١) .

وبعد قتل قزل أرسلان استولى قتلغ اينانج أحد ولدي أخيه على الري وأصفهان ونشر نصرة الدين أبو بكر علم أمارته في آذربايجان مكان أبيه وتخلص طغرل أيضا بيد بعض الأمراء من سجنه فأتى همدان واستحوذ على سلطنته الضائعة مرة أخرى .

وفي منتصف جمادى الآخرة من (٥٨٨هـ) لقي قتلغ اينانج الذي جرد جيشه على قزوين الهزيمة بها من طغرل فتحصن بالري واستصرخ السلطان علاء الدين تكش خوارزمشاه (٢) الذي كان قد سيطر على خراسان وجرجان وطبرستان فأتى خوارزمشاه لمعاونته ، وفر من أمامه قتلغ الذي ندم على ما فعل ، وصالح طغرل خوارزم شاه أيضا وتقرر أن تبقى الري في طاعة تكش . وعاد خوارزم شاه بعد أن ترك جيشا في الري لدفع عصيان أخيه .

ولكى يطمئن طغرل من جانب قتلغ اينانج من بعد هذه الواقعة تزوج بأمه إلا أن قتلغ وأمراء آخرين لم يكفوا عن نسج المؤامرات ضد السلطان فاضطر الى أن يأخذ الري بحملة واحدة ويحبس قتلغ اينانج لكنه سرحه بعد مدة قليلة ، فطلب قتلغ ثانية عون تكش فأرسل لمدته جيشا الى الري ، وهزم طغرل هذا الجيش في المحرم من (٥٩٠هـ) في خوار بالري وأجبر قتلغ على الهروب الى خراسان .

قتل طغرل الثالث وانقراض دولة السلاجقة بالعراق في (٥٩٠هـ) :

ولما علم تكش بهزيمة جيشه زحف من خراسان ومعه قتلغ اينانج قاصدا الري وخاصة أن الخليفة الناصر كان استدعاه أيضا لمداغة طغرل وحينما اقترب خوارزمشاه الى الري كان طغرل منهما في اللهو واللعب يحيا متغافلا عن عدو كهذا به مثل تلك القوة ومعتمدا على تدبيره وقوته

(٢) تكش بكسر التاء لا فتحها لفظ تركي قديم معناه قتال أو حصار أو موقعة ومصدره دوكشيك أي المحاربة والدخول في المعركة فامبرى ح ١ ص ١٥٠ .

وحددهما حتى أنه في حربه مع قتلغ اينانج وخوارزم شاه ومعه قلة من الجيش ألقى بنفسه وهو يقرأ بضعة أبيات من الشاهنامه برمجه الثقيل لكنه سقط سريعا وقتله قتلغ في الرابع والعشرين من ربيع الأول (٥٩٠هـ) وأرسل تكش رأسه الى الناصر بدار الخلافة وانتهت دولة السلاجقة العراقيين بقتل طغرل الثالث .

ترك تكش خوارزم شاه همدان لقتلغ اينانج والرى واصفهان لعمال من قبله وصارت بلاد الجبل أى العراق المعجمى بهذا جزءا من الممالك الخوارزمشاهية .

دامت دولة السلاجقة الواسعة — التى لم يسبق من بداية الاسلام حتى تاريخ تأسيسها لدولة مثل عظمتها واتساعها — نحو قرن في ما وراء النهر وتوران أى حتى عام (٥٤٨هـ) واستمرت حتى (٥٥٧هـ) في خراسان أى نحو ثمانية وعشرين ومائة عام وفي العراق حتى سنة قتل طغرل الثالث أى احدى وستين ومائة سنة . وكانت عاصمة السلاجقة منذ أواخر عهد طغرل الأول حتى أيام محمود بن محمد هى أصفهان ومن عهد محمود حتى نهاية هذه الأسرة همدان . وقد أثر سنجر مدينة مرو التى سماها (شاهجان) أى مقر السلطان عاصمة له ، وكانت مرو شاهجان حتى استيلاء الغز الوحشيين احدى أعظم بلاد العالم المتحضر عمارا ومن المراكز المعتبرة للعلم والأدب .

ويطلق على طغرل الأول وألب أرسلان وملكشاه وبركيارق ومحمد وسنجر الذين كانت جميع البلاد السلجوقية في عهدهم من كاشغر حتى انطاكية تحت أمر واحد السلاجقة المعظام ، بينما يطلق على أبناء محمد وأبناء أبنائه الذى كان سلطانا على الرى وهمدان وبلاد الكرد سلاجقة العراق .

وقد أزال التركمان الغز سلاجقة كرمان (٤٣٣ — ٥٨٣هـ) في عام (٥٨٣هـ) وأتابكة الشام والجزيرة أيضا سلاجقة الشام (٤٨٧هـ — ٥١١هـ)

قبل انهيار سلاجقة العراق إلا أن أسرة سلاجقة الروم (٤٧٠ - ٥٧٠٠هـ) قد دامت حتى حدود أوائل القرن الثامن الهجري حتى أزالهم أيضا الأتراك العثمانيون تماما في نفس هذا الوقت .

أسماء السلاطين السلاجقة وزمان كل منهم .

١ - السلاجقة العظام

- ١ - ركن الدين أبو طالب طغرل بن ميكائيل بن سلجوق
(٤٢٩ - ٥٤٥هـ)
- ٢ - عضد الدين أبو شجاع ألب أرسلان محمد بن جغرى
(٤٥٥ - ٥٤٦هـ)
- ٣ - معز الدين أبو الفتح ملكشاه حسن بن ألب أرسلان
(٤٦٥ - ٥٤٨هـ)
- ٤ - ركن الدين أبو المظفر بركيارق بن ملكشاه
(٤٨٥ - ٥٤٩هـ)
- ٥ - غياث الدين أبو شجاع محمد بن ملكشاه
(٤٩٨ - ٥٥١هـ)
- ٦ - معز الدين أبو الحارث سنجر أحمد بن ملكشاه
(٥١١ - ٥٥٢هـ)

٢ - سلاجقة العراق

- ٧ - مغيث الدين أبو القاسم محمود بن محمود بن ملكشاه
(٥١١ - ٥٢٥هـ)
- ٨ - غياث الدين داود بن محمود
(٥٢٥ - ٥٢٦هـ) ثمانية شهور

- ٩ — ركن الدين أبو طالب طغرل الثانى ولد السلطان محمد
(٥٢٦ — ٥٢٩ هـ)
- ١٠ — غياث الدين أبو الفتح مسعود ولد السلطان محمد
(٥٢٩ — ٥٤٧ هـ)
- ١١ — معز الدين أبو الفتح ملكشاه الثانى ولد السلطان محمود
(من رجب حتى ذى القعدة من ٥٤٧ هـ)
- ١٢ — غياث الدين أبو شجاع محمد الثانى ولد السلطان محمود
(٥٤٧ — ٥٥٤ هـ)
- ١٣ — غياث الدين أبو شجاع سليمانشاه بن السلطان محمد
(٥٥٤ — ٥٥٦ هـ)
- ١٤ — ركن الدين أبو المظفر أرسلانشاه بن طغرل الثانى
(٥٥٦ — ٥٧١ هـ)
- ١٥ — ركن الدين أبو طالب طغرل الثالث ولد أرسلان شاه
(٥٧١ — ٥٩٠ هـ)

الفصل التاسع

الأتابكة والخوارزمشاهيون

كان السلاجقة كما رأينا قوما بدوا مقاتلين وكان السبب الأول لانتصارهم الذى حازوه فى فتح البلاد التى فتحوها وفى تحطيم كل الجيوش التى لاقوها هو قدرتهم على القتال والحرب والجلاد لهذا لم يترك السلاطين السلاجقة قيادة جيوشهم فى حروبهم أو فى الولايات المفتوحة لغير الأتراك المحنكين فى الحروب المضحين بأنفسهم على نحو أن أمور الجيش كانت دائما بيد العنصر التركى وأمور إدارة الملك كالديوان والدفاتر فى أيدي المنشئين والمستوفين والوزراء الأيرانيين . وكان من نتائج فتوحات السلاطين السلاجقة فى بلاد الكرجيين وأران زيادة أعداء الغلمان الأتراك القبجاق والخزر فى البلاد الإسلامية وقد احتفظ كل واحد من السلاطين والوزراء والعمال الديوانيين بعدد من هؤلاء المماليك فى البلاط أو الديوان ، ورقيت جماعة من هذه الأعداد تدريجيا بسبب حب أسيادهم واهتمامهم بهم أو بسبب ظهور لياقتهم وكفاءتهم من رتبة العبودية الى المراتب الرفيعة فى بلاط السلطان أو جيشه . ولما كانت عادة السلاجقة أن يجعلوا للأمراء الصغار السن من يشرف عليهم فى تربيتهم أو حين ارسالهم الى حكومة الولايات ، فقد تولى بعض هؤلاء الغلمان هذا المنصب وسموا بالتركية (أتابيك) وهى بالتركية تعنى الأب (١) .

وفى أواخر العهد السلجوقى أصاب الضعف السلاطين وكانوا

(١) سبق قولنا ان معناها الحرفى هى الأب الكبير .

دائمي الحرب والتنافس ، فأفاد أكثر هؤلاء الأتابكة من الحرية التي
عهدت اليهم ، فأسس كل منهم دولة لنفسه في ناحية من البلاد
السلجوقية ، فأسس طغتكين أتابك ابن تاج الدولة قتش في (٤٩٧هـ)
أسرة أتابكة دمشق (٤٩٧ — ٥٤٩هـ) ومثله عماد الدين زنكي من أبناء
غلمان السلطان ملكشاه شعبة أتابكة الموصل (٥٢١ — ٥٦٨هـ) وألف
إيلدكر أتابك أرسلان شاه كما مر شرحه أسرة أتابكة آذربايجان (٥٤١ —
٥٦٢هـ) * وقد كان أنوشتكين غرجه أبو قطب الدين محمد خوارزم شاه
كما رأينا وسلغر جد أتابكة فارس (٥٤٣ — ٥٦٨هـ) ومؤسسو أسرة
أمراء أربل (٥٣٩ — ٥٦٣هـ) وملوك أرمنية (٤٩٣ — ٥٦٤هـ) وأمراء
دياربكر (٤٩٥ — ٥٧١هـ) كلهم من غلمان أو قادة جيش السلجقة ،
قام كل منهم بفصل جزء من بلاد السلجقة الواسعة وجعل فيه إمارة
لنفسه ولأولاده من بعده * ومن هذه الأسر ما يرتبط خاصة بتاريخ
إيران كأتابكة آذربايجان وفارس ولرستان وأسرقي الخوارزمشاهيين
والقراخطائيين * وسوف يذكر تاريخ أتابكة فارس ولرستان
والقراخطائيين بكرمان تكملة لتاريخ المغول ، ولهذا فاننا سوف نذكر في
هذه الفترة أتابكة آذربايجان والخوارزمشاهيين وحسب *

١ — أتابكة آذربايجان

(٥٤١ — ٥٦٢هـ)

كان شمس الدين إيلدكر مؤسس سلسلة أتابكة آذربايجان كما مر
تفصيله من الغلمان القبجاق والذي حصل في بلاط السلطان مسعود
السلجوقي أهمية واعتبارا ، وأخذ نجم سعادته يرتفع الى الأوج بعد ما
زوجه مسعود من امرأة أخيه طغرل الثاني بعد وفاته وأتابه في أتابكية
أرسلان شاه ابن طغرل الصغير الى أن فوض له مسعود في (٥٤١هـ)
حكم آذربايجان وأران وقد أمر في الحقيقة إيلدكر لكن يجاهد الكرجيين

المسيحيين الذين كانوا يهاجمون هذه الثغور دائما وقد صارت إمارة
آذربايجان من عام (٥٤١هـ) وراثية في أسرة ايلدكر واستمر هذا الحال
حتى (٦٢٦هـ) .

١ - شمس الدين أبو بكر ايلدكر

(٥٤١ - ٥٦٨هـ)

كان لشمس الدين ايلدكر أتابك أرسلان شاه وزوج أمه إمارة
آذربايجان واران من عام (٥٤١هـ) حتى عام (٥٥٦هـ) حين أجلس ابن
زوجته على عرش السلطنة أي نحو ثلاثين عاما . ولم يذهب في هذه
المدة الى أحد قط من السلاطين الذين جلسوا على العرش من بعد
مسعود. ليقدم طاعته فقد أقام بهمدان بعد جلوس أرسلان شاه وأرسل
ابنه نصر الدين محمد جهان بهلوان الى منصبه السابق .

واستولى الأتابك ايلدكر كما مر على الري وأصفهان من عام (٥٥٦هـ)
حتى سنة موته (٥٦٨هـ) من ناحية ، وحث مؤيد الدين آي ابيه على الخطبة
لأرسلان شاه في خراسان ، ومن ناحية أخرى استعاد بعد هزيمته الكبرى
للكرجيين في (٥٥٧هـ) جزءا من أران وآذربايجان الشمالية من هؤلاء
المسيحيين ، ومنح مرة أخرى هبة واعتبارا لدولة السلاجقة المتصدعة .

٣ - نصرۃ الدین أبو جعفر محمد جهان بهلوان

(٥٦٨ - ٥٥٨٢)



٤ - مظفر الدین عثمان قزل أرسلان

(٥٨٢ - ٥٥٨٧)

وبعد موت الأتابک ایلدکز خلفه ابنه الأكبر نصرۃ الدین محمد جهان بهلوان فی إدارة الأمور الملكية وأرسل أخاه مظفر الدین عثمان قزل أرسلان أمیرا لآذربایجان وأران • وكان القسم الغربی لآذربایجان من حدود تبریز حتى حوالی الجزيرة فی يد أسرة من بقایا الروادیین الذین یسمون الأحمدییین لأن جدھم كان اسمه (أحمدیل) ، وكانت هذه الأسرة قد حظیت بحکم هذه المنطقة من أوائل القرن السادس أى فترة سلطنة السلطان محمد بن ملکشاہ ومن مشاہیرھم (آق سنقر) ولد أحمدیل الذی كان أتابک داود ومسعود ولدی السلطان محمد وقتل فی (٥٥٢٧) بيد الباطنییین •

وقد استولى أبناء أحمدیل علی تبریز ومراغه وقلعتها المحکمة (رویین دز) (١) من قلاع مراغه ، وكانوا علی عهد ایلدکز یصالحونه مرة وینازونه أخرى •

وفی (٥٥٧٠) أى قبل موت ایلدکز بعامین انتهز الأتابک جهان بهلوان فرصة موت الأمير الأحمدیلى لتبریز ومراغه لکی یسيطر علیھما فحصر بنفسه مراغه وحصر أخوه قزل أرسلان تبریز • وأخيرا تصالح الأمير الأحمدیلى مع جهان بهلوان وترك له تبریز •

ومن عام (٥٥٧١) عام جلوس طغرل الثالث حتى (٥٥٨٢) تاریخ

(١) أى القلعة النحاسیة .

وفاة الأتابك جهان بهلوان كانت أزمة سلطنة آخر سلطان سلجوقي بالعراق الذي خلف أباه وهو في سن السابعة بيد هذا الأتابك ، وكان يدير هذه البلاد الواسعة التي أدخلها وأبوه تحت أمر طغرل ، فوق أنه كان رجلا ذا كفاءة وعدل وحب للأدب ، إدارة حسنة .

وكان لجهان بهلوان من (قتيبة خاتون) ابنة اينانج شحنة الري ولدان هما قتلغ اينانج و (ميرميران) (١) لم يصل واحد منهما الى الامارة ، الا أن ابنيه الآخرين اللذين ولدتهما له جارية أخرى وهما أبو بكر وأوزبك كما سيلى قد بلغا الأتابكية والامارة .

ولما لقي الأتابك جهان بهلوان حتفه أمسك أخوه قزل أرسلان بأزمة أمور بلاط طغرل الثالث وتزوج من زوج أخيه (قتيبة خاتون) ، الا أنه اصطدم سريعا كما سبق في تاريخ سلطنة طغرل بالسلطان طغرل فألقى قزل أرسلان به في الحبس وأخذ يعد أسباب سلطنته . لكنه وجد مقتولا في شعبان (٥٨٧هـ) ليلا ، وقد طعن جسده بخمسين طعنة خنجر ونسب قتله الى الفدائيين الاسماعيليين كما كان جاريا في تلك الأيام .

٤ — نصره الدين أبو بكر بن محمد جهان بهلوان

(٥٨٧ — ٥٦٠٧)

بعد قتل قزل أرسلان صارت اماره آذربايجان وأران نصيب ابن أخيه نصره الدين أبى بكر فأعطى العراق لأخيه لأبيه قتلغ اينانج لكن قتلغ كما مر طرده طغرل الثالث الذى كان قد نجا من الحبس من هذا البلد فى (٥٨٨هـ) فلاذ بخوارزم شاه فأتى خوارزم شاه الري وصالح طغرل ، ولكى يخمد طغرل قتلغ وأمه قتيبة خاتون تزوج هذه المرأة التى شهدت موت زوجها جهان بهلوان وقزل أرسلان ، الا أن المراقبائها أعدا طعاما دسا فيه السم ليطعماه طغرل . وعلم طغرل بالمرأة فأطعم

(١) أمير اميران اى أمير الامراء .

قتيبة هذا الطعام فلقيت حتفها وألقى باينانج أيضا في السجن ثم خلصه
بعد مدة قليلة من سجنه بشفاعة بعض أركان دولته ، واستتبك قتلغ مع
أخيه نصره الدين أبى بكر للاستيلاء على آذربايجان •

ومن الحروب الأربعة التى أنشباها قتلغ فى ظرف شهر واحد مع
الأتابك أبى بكر خرج قتلغ مهزوما فى كل مرة ، فاضطر الى الاستغاثة
بخوارزم شاه مرة أخرى وكان هذا وقت أن قصد تكش من خراسان
الى الرى لضرب طغرل ، وقتل طغرل كما مر تفصيله فى الرابع والعشرين
من ربيع الأول (٥٩٠هـ) بعون الجنود الخوارزميين فى الرى • وأصاب
خوارزم شاه بعد سقوط دولة السلاجقة فى العراق قتلغ فى همدان
وأصفهان وترك الرى أيضا لابنه يونس خان ونصب من الأمراء (مياجق)
فى أتابكية ابنه • وفى (٥٩٢هـ) أورد مياجق قتلغ اينانج مورد القتل بحجة
أنه كان يفكر فى مخالفة خوارزم شاه وأرسل رأسه الى خوارزم •

وكان الأتابك أبو بكر رجل خمر ولهو ينفق ليله ويومه فى السكر
والشرب ولهذا فقد كان غافلا تماما عن تدبير أمور المملكة وتعهد أحوال
الجيش وكانت على خلاف حاله جارتها الشمالية أو بلاد الكرج تحت إدارة
امراة ذات لياقة وكفاءة وهى (تامارا) (٥٨٠ — ٦٠٩هـ) ابنة جيورجى
الثالث •

فقد أصاب جنود هذه المرأة فى شوال (٥٩٩هـ) الجيش الأتابكى
قرب شمكور (شمال مدينة كنجة وجنوب نهر كورا) بعون ملك شروان
وضمت اليها شمكور وكنجه ودوين وأشاعوا القتل والنهب شيوعا ففاق
الحد • ولم يحاول الأتابك رغم كثرة استغاثة مسلمى هذه البلاد أن
ينتقم لهذه الهزيمة ، ونتيجة لفعله ضاعت النواحي الشمالية من أرس
التى فتحت فى عهد الأتابك ايلدكر وجهان بهلوان •

وقد أطمع سكر الأتابك أبى بكر وغفلته جيرانه الآخريين فى
الاستيلاء على بلاده ، فتحالف فى (٦٠٢هـ) أمير اربيل مظفر الدين

الكوكبرى مع أمير مراغة الأحمدى علاء الدين كربه أرسلان لاستخلاص آذربايجان الشرقية ، فاستغاث أبو بكر مظفر بأحد غلمان أبيه وهى آى تغمش (١) الذى كان قد استولى على الرى وهمدان وأصفهان وبلاد الجبل . فأتى آى تغمش لعون ابن سيده وأعاد برسالة منه واحدة صاحب الرى الى بلاده وتغلب على علاء الدين الأحمدى وأجبره على قبول الصلح . وعلاء الدين كربه أرسلان هذا الذى توفى فى (٦٠٤هـ) وكان رجلا محبا للفقراء مشجعا للشعراء والعلماء هو من نظم باسمه الشاعر المشهور النظامى الكنجوى مثنوى بهرامنامه فى (٥٩٣هـ) (٣) .

وهاجم الأتابك أبو بكر بعد وفاة ابن علاء الدين الأحمدى وخليفته آى فى (٦٠٥هـ) مراغة واستولى على هذه المدينة التى ظلت تحت سيطرة الأحمدىين نحو قرن من الزمان ولم يبق للباقيين من هذه الأسرة غير قلعة (روين دز) .

ومات الأتابك نصرة الدين أبو بكر بن جهان بهلوان فى (٦٠٧هـ) بعد حكم عشرين عاما .

(١) آيتغمش أو آيدغمش البهلوانى استولى على الرى وهمدان وبلاد الجبل من عام (٦٠٠هـ) ونادى على رغم أنف الأتابك أبى بكر بسلطنة أخيه أوزبك (سياقى) .

(٢) الحكيم جهان الدين أبو محمد الياس بن يوسف بن زكى من كبار شعراء القصص الأيرانيين ، ولد نحو (٥٣٥هـ) فى كنجة وتعلم فيها علوم عصره ، ثم اتصل بحكام آذربايجان وشروان ومراغة وألف بأسمائهم كتبه . ويبلغ ديوانه عشرين ألف بيت فضلا عن الخمسة الشهيرة التى تبلغ ثمانمائة وعشرين ألفا فى صورة المثنوى وهذه الخمسة هى مخزن الاسرار ولىلى والمجنون وخسرو وشيرين وهفت بيكر أو بهرام نامه واسكندر نامه . وكان النظامى أستاذ وإمام شعراء القصص ، خلطها بالحكمة والموعظة والدعوة الى الزهد . وقد بلغ فى وصف الشاعر الانسانية دقة بالغة . ويشاهد فى أشعاره ما ينبىء عن تعلمه العلوم والفلسفة . وقد احتذاه فى نظم المثنويات الخمسة شعراء تالون أشهرهم الأمير خسرو الدهلوى والجامى والوحشى . وتوفى النظامى نحو عام (٦٠٤هـ) .

٥ - مظفر الدين أوزبك (٣)

(٦٠٧ - ٦٢٢ هـ)

ومظفر الدين أوزبك الذى ثار بمدد من آيتغمش فى حدود (٦٠٠ هـ) من أجل السلطنة هو أخو الأتابك أبى بكر وزوج ابنة طغرل الثالث . وليس فى فترة حكمه التى بلغت خمس عشرة سنة وقد كان ضعيف النفس سكيرا لاهيا لاعبا واقعة هامة غير اعتداءات الكرجيين المتكررة على مشكين و اردبيل واستيلاء المغول على آذربايجان فى (٦١٧ هـ) . ولم يكن الأتابك أوزبك يطبق مقاومة المغول فصالحهم وأعطاهم مالا كثيرا وألبسة ودوابا . ولما سمع ثمانية أن جماعة من المغول قاصدة تبريز أخلى المدينة وذهب الى نخجوان فأنقذ رؤساء تبريز عاصمة الأتابكة من قتل المغول ونهبهم وعاد اليها الأتابك .

وقد استفاد الكرجيون من هذا الوضع المنشعث فهاجموا بلاد أران و آذربايجان مرارا ولم يروا من الأتابك تحركا وكان يعيش بهذه الصالة المنكوبة حتى سمع فى (٦٢٢ هـ) أن جلال الدين المنكبىرتى خوارزمشاه زحف قاصدا تبريز ، فترك زوجته فى المدينة وهرب الى كنجة . واستولى جلال الدين فى السابع عشر من رجب (٦٢٢ هـ) على تبريز وأرسل الملكة مكرمة الى خوى ، وتقدم بنفسه لمقاتلة الكرجيين .

وفى عودته من تغليس لما كان رؤساء تبريز قد سلكوا مع جلال الدين طريق النفاق والدهان عاقبهم واستباح الملكة زوج الأتابك أوزبك ومات الأتابك حزنا وحسرة .

(٣) تعنى كلمة أوزبك سيد نفسه والمستقل . والجدير بالذكر أن هذه الكلمة نفسها كانت شائعة بين المجريين بوصفها من القاب الشرف وهى ترى فى الوثائق التى يرجع تاريخها الى عام (١١٥٠ م) والأوزبك الذين استولوا على بلاد ما وراء النهر من أبدى أولاد تيمور هم خليط من السترك والمغول (غامبرى ح ١ ص ٢٩٥ ، ح ٢ ص ٢٩٦) .

٦ — الأتابك خاموش قزل أرسلان بن أوزبك

(٦٢٢ — ٦٢٦هـ)

لم يبق عن الأتابك أوزبك ولد غير ابن أصم أبكم منذ ولادته اسمه قزل أرسلان لقب بهذه العلة بالأتابك الصامت (خاموش) وتزوج بابنة هي حفيدة علاء الدين كربه أرسلان الأحمديلى ، وبعد أبيه كانت أمارته فى قسم من آذربايجان من بينه مراغة ورويين دز . وفى (٦٢٦هـ) حين كان السلطان جلال الدين المنكرتى فى كنجة ذهب إليه الأتابك خاموش وقبل أرض طاعته ثم سافر من هناك الى الموت ومات فيها بعد شهر وتزوج جلال الدين بزوجه وانهارت أسرة أتابكة آذربايجان بعد نحو خمس وثمانين سنة من الامارة

يذكر أتابكة آذربايجان خاصة شمس الدين ايلدكر ووالداه جهان بهلوان وقزل أرسلان فى تاريخ الأدب الفارسى بخير لأن عددا من الأدباء الكبار البلغاء مدحهم بقصائد غراء وخلد أسماءهم وأشهرهم ظهير الدين محمد الفاريابى (١) وأفضل الدين الخاقانى الشروانى (٢)

(١) ظهير الدين أبو الفضل طاهر بن محمد الفاريابى من شعراء القصيدة المعروفة فى القرن السادس ، حذى العربية وعلوم الحكمة والفلك واتصل بحكام آل باوند وatabكة آذربايجان وآخر السلاجقة العراقيين ، وقد تأسى فى شعره بالأتورى ومهر فى فن الغزل .

(٢) الخاقانى وهو أفضل الدين أبو بديل بن على من كبار الشعراء الفرس وينسب الى الخاقان الأكبر منوتشهر ابن غريدون شاه شروان الذى اتل به وبابنه الخاقان الكبير اخستان ثم أثر العزلة الى أن مات عام (٥٩٥هـ) ويعد الخاقانى من شعراء القصيدة فى الدرجة الاولى الذى تميز بالتزامه الرديف الصعب فى القصائد الطويلة وذلك لاطلاعه الواسع باللغة العربية فضلا عن الاصطلاحات الفلسفية والطبية مما كان يخرج عن البساطة حيناً . ويبدأ أغلب قصائده بوصف الطبيعة والربيع والخريف والصباح ، وأغلب تشبيهاته من خلق قريحته وتخيله . ومن آثاره غير الديوان قصائد وغزليات متأثرة بالسنائى ومثنوى (تحفة العراقيين) .

وشرف الدين شفروه الأصفهاني (٣) ومجير الدين البيلقاني (٤) وأثير الدين الأخصيكتي (٥) وجمال الدين الأشهرى (٦) .

أسماء أتابكة آذربايجان وزمان كل منهم

- ١ — شمس الدين ايلدكر (٥٤١ — ٥٦٨ هـ)
- ٢ — نصره الدين محمد جهان بهلوان بن ايلدكر (٥٦٨ — ٥٨٢ هـ)
- ٣ — مظفر الدين عثمان قزل أرسلان بن ايلدكر (٥٨٢ — ٥٨٧ هـ)
- ٤ — نصره الدين أبو بكر بن جهان بهلوان (٥٨٧ — ٦٠٧ هـ)
- ٥ — مظفر الدين أوزبك ابن آخر لجهان بهلوان (٦٠٧ — ٦٢٢ هـ)
- ٦ — الأتابك خاموش قزل أرسلان بن أوزبك (٦٢٢ — ٦٢٦ هـ)

(٣) شرف الدين شفروه ، وشفروه من أعمال أصفهان ، يعتبره كتاب التذكار ملك الشعراء للآتابك شيركير (صائد الأسود) أخى الآتابك أرسلان آى أبه ، وهد ديوانه شاملا لثمانية ألف بيت .

(٤) هو أبو المكارم مجير الدين المتوفى عام (٥٨٦ هـ) تلميذ الخاقاني السالف الذكر ، ويشمل ديوانه القصائد والغزليات والقطعات والرباعيات ويبدو فيه أثر استاذه ، وكان له مناظرة ومعارضة مع أغلب شعراء عصره كالخاقاني والنظامي وغيرهما .

(٥) وهو من شعراء المدح في القرن السادس ، اقتفى في شعره أثر الأنورى والسنائى والخاباني ونافس البيلقاني فتهاجيا تعريضا وتصريحا ، وكان للأثر ولع بالآتيان بالرديف الصعب والمعانى غير السهلة ، وقد طبع ديوانه بطهران عام (١٣٣٧ هـ ، ش) .

(٦) جمال الدين محمد بن عبد الرازق الاصفهاني المتوفى عام (٥٨٨ هـ) ولد بأصفهان وقضى بها أغلب عمره ولاقى النظامى الكنجوى ومدح أغلب السلاجقة وبعض أتابكة آذربايجان وآل باوند الحاكمين فى مازندران وأسرته آل خجند وآل صاعد من أسر أصفهان الكبيرة . ويشمل ديوانه القصائد والغزليات والمدح والحكمة والوعظ ، وهو من المتأثرين بالأنورى والسيد حسن الغزنوى والوطواط ويبدأ أغلب قصيده بالمدح وقل أن وصف الطبيعة ، إلا أن غزله يأتى فى الصف الأول لغزل عصره .

ب - الخوارزمشاهيون

(٤٩٠ - ٥٦٢٨ هـ)

قد بينا ضمن سلطنة السلطان سنجر تاريخ تأسيس وبداية أمر الخوارزمشاهيين وهم أبناء أنوشتكين غرجه وقلنا - ان أولهم وهو قطب الدين محمد قد نصبه أمير حبشى بن المتوناق حاكم خراسان حاكما لخوارزم عام (٤٩٠ هـ) وصار منصبه هذا من هذا الوقت فصاعدا وراثيا في أسرة قطب الدين محمد بن أنوشتكين ، فبداية تأسيس الأسرة الخوارزمشاهية اذن هو عام (٤٩٠ هـ) وقطب الدين محمد أول خوارزمشاه أو ملك لخوارزم لهذه الأسرة .

١ - قطب الدين محمد بن أنوشتكين

(٤٩٠ - ٥٥٢٢ هـ)

و

٢ - علاء الدولة أبو المظفر أئمز بن قطب الدين محمد

(٥٢٢ - ٥٥٥١ هـ)

كان قطب الدين محمد طوال مدة حكمه لخوارزم أى نحو ثلاثين عاما ونييف دائم الطاعة والتبعية لسنجر لم يعص أمره قط . وأشرنا قبل الى أنه كان يأتى بلاط سنجر كل عام أو كان يرسل بابنه أئمز الى بلاط خراسان ، وكان الأب والابن دائما يركب سنجر في الحروب التي خاضها الأخير في بلاد ما وراء النهر وغزني والعراق .

وقد لقي محمد خوارزمشاه منيته في (٥٥٢٢ هـ) وكان عادلا حسن السيرة محبا للأدب مشجعا له ورقى ابنه أئمز مقامه .

وتتقسم فترة حكم علاء الدولة أبى المظفر أئمز لخوارزم وتمتد

من (٥٥٢هـ) وتنتهى الى (٥٥١هـ) الى مرحلتين : المرحلة الأولى من عام (٥٢٢هـ) حتى (٥٣٠هـ) وكان أئسز بين هذين العامين كوالده مطيعا لسنجر يؤدي له فروض التبعية وكان يعمل بالقتال في ركبه والجلاد . والمرحلة الثانية المتى تبدأ بعام (٥٣٠هـ) وتنتهى بعام (٥٥١هـ) عام موته كان فيها العداء والخصومة قائمين أكثر الأوقات بين أئسز وسنجر ، وقد هاجم سنجر كما مر في تاريخ سلطنته خوارزم ثلاث مرات : في ربيع الأول (٥٣٣هـ) وفي نفس الشهر (٥٣٦هـ) وفي جمادى الآخرة (٥٤٢هـ) وقد غلب في المرات جميعا أئسز وأجبره على الاستسلام والاعتذار ، ومع أن أئسز لم يعص السلطان من عام (٥٤٢هـ) فما بعده بسبب اشتغاله بصراعه مع القراخطائين والاضطراب على الحدود الشمالية والشرقية لبلاده إلا أنه لم يكن صافي الباطن له مخلص النية الى أن أتى خراسان حين أسر الغز سنجر وظل بها الى أن نجا سنجر من حبسه ، وقبل أن يسفر الأمر عن كيف سيكون واجب أئسز نحو خراسان أو أحوال العلاقات المستقبلية بينه وبين سنجر وافى أئسز أجله في التاسع من جمادى الآخرة من عام (٥٥١هـ) في ولاية قوشان الحالية .

كان أئسز شجاعا الى حد التهور وأميرا عادلا ومشجعاً للشعر كريما معطاء ، وخلد طيب سيرته وخير ذكره رئيس ديوان انشائه ومادحه الخاص رشيد الدين محمد الوطواط البلخي الذي توفي في (٥٧٣هـ) بأشعاره الفارسية والعربية . وقد قام هذا الشاعر والمؤلف القدير الذي قل نظيره في النظم والنثر في اللغتين العربية والفارسية في عهده بتأليف كتابه الخائق الشهرة ، بأمر من أئسز ، وهو (حدائق السحر في دقائق الشعر) (١) . وقد مدح أئسز غير شعاع بعد الوطواط من شعراء

(١) حدائق السحر في دقائق الشعر كتاب في علم البيان والبديع من آثار رشيد الدين الوطواط الذي بدأ في وضعه بإشارة من أئسز عام (٥٥١هـ) وانهاه في حكم ابنه ايل أرسلان . وقد استفاد الوطواط في كتابه هذا من كتاب ترجمان البلاغة الذي ينسب الى محمد بن عمر الرادوياني أحد ادباء القرن الخامس وبداية السادس . وقد بدأ الكتاب بذكر محاسن الشعر ثم بذكر بعض شواهد الشعر العربي والفارسي ، ويمثل من الشعر الفارسي بشعر المعزى وعمق البخارائي .

سنجر مثل أديب صابر ومن شعراء أران كالخاقاني الشرواني أيضا .
 وكانت الجرجانية في عهد أتنز خوارزم شاه من أكبر مراكز العلم
 والأدب ومحال اجتماع عدد كبير من الفضلاء المشهورين ، وكان لأتنز
 خاصة اجتهد بليغ في جمع أهل الثقافة والعلم بعاصمته هذه ، كما حدث
 في عام (٥٣٦هـ) حينما استولى على خراسان بعد هزيمة سنجر من
 القراخانيين اصطحب معه جمعا من علماء هذا البلد الى خوارزم ، ومن
 مفاخر عهده وجود الامام العلامة الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن
 عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ - ٥٣٨هـ) صاحب المؤلفات العديدة
 في التفسير والنحو واللغة والأدب وأشهرها جميعا (الكشاف) في تفسير
 القرآن والأنموذج في النحو العربي ومقدمة الأدب في اللغة العربية
 بالفارسية . وغير الزمخشري زين الدين السيد اسماعيل بن حسن
 الجرجاني المتوفى (٥٣١هـ) (١) من الأطباء الكبار على عهد أتنز وكان أبوه
 قطب الدين محمد . والسيد اسماعيل الجرجاني هو مؤلف الكتاب
 المعروف (ذخيرة خوارزمشاهي) في الطب وقد صنفه هذا العالم باسم
 قطب الدين محمد خوارزمشاه ، ثم اختصره بعد بأمر أتنز وجعله
 باسم علاء الدولة أتنز باسم (خفي علائي) (٢) .

٣ - تاج الدين أبو الفتح ايل أرسلان بن أتنز

(٥٥١ - ٥٦٧هـ)

عاد بعد أن مات أتنز ولده ايل أرسلان الذي كان بصحبته بالجنود
 الخوارزميين الى الجرجانية وراسل منها السلطان سنجر مظهرا طاعته
 (١) زين الدين اسماعيل المتوفى (٥٣١هـ) من معارف أطباء القرن
 السادس بل أعرفهم جميعا وترادف مؤلفاته آثار ابن سينا وأهم آثاره الطبية
 بالفارسية ذخيرة خوارزم شاهي الذي لخص باسم خفي علائي ، وكتاب
 (يادكار) أي التذكار و (اغراض) . ويقع الكتاب الثاني في مجلد أما الثالث
 فيعد ايجازا لكتاب الذخيرة .
 (٢) الف الجرجاني كتاب الذخيرة عام (٥٠٤هـ) في اثني عشر مجلدا
 يحوى كل مجلد بضعة أبواب وفصول ويشمل مباحث في الطب والأدوية
 والتشريح وقد استخدم المؤلف في الكتاب كثرة من التركيبات والاصطلاحات
 الطبية باللغة الفارسية ، وترجم المؤلف كتابه هذا الى العربية .

وتبعيته ، فنصبه السلطان مكان أبيه وجلس ايل أرسلان رسماً في الثالث من رجب (٥٥١هـ) خلفاً لأبيه . ومات السلطان سنجر بعد جلوس ايل أرسلان بثمانية شهور واختير مكانه الخاقان ركن الدين محمود . وقد نصب ايل أرسلان عزاء السلطان ثلاثة أيام وأرسل رسالة للخاقان ركن الدين هنأه فيها بالسلطنة وأظهر أيضاً تبعيته للسلاجقة .

وكانت رئاسة الأسرة السلجوقية آنذاك لغياث الدين محمد بن محمود بن السلطان محمد الذي كان يحكم العراق ويعيش في حال من النزاع والخصومة لعمه سليمان شاه والخليفة المقتدى .

وبعث السلطان محمد الثاني الى ايل أرسلان أنه مصمم على التحرك الى خراسان وما وراء النهر لاصلاح أمورهما ، فقوى ايل أرسلان من تصميمه ، الا أن محمداً لم يستطع بسبب نزاعه مع الخليفة والخصوم الآخرين أن يطبق نيته تطبيقاً عملياً ، ومع أن خوارزم شاه سعى في الاصلاح بين الخليفة ومحمد الا أنه لم يخرج بنتيجة ومات محمد في (٥٥٤هـ) .

أما أحداث سلطنة ايل أرسلان فهي قسمان أحدهما حروبه في بلاد ما وراء النهر وثانيهما غزوه لخراسان . ففي جمادى الآخرة (٥٥٣هـ) هاجم ايل أرسلان ما وراء النهر ليمد رؤساء جماعة القرلق التي كانت قد لاذت به هرباً من طلب الخاقان الأفراسيابي لسمرقند فأخذ بخاري وسمرقند وهرب الخاقان والتجأ بالقراخانيين الذين صار الخانيون من بعد حرب قطوان تحت تبعيتهم .

وزحف القرخانيون في (٥٦٧هـ) نحو خوارزم بسبب رفض ايل أرسلان دفع الخراج السنوي الذي التزم بأدائه أبوه الى الكورخانيين القرخانيين ، وهزهوا جيش ايل أرسلان على شاطئ نهر جيحون ، ومات ايل أرسلان بعد هذا بقليل في التاسع عشر من رجب (٥٦٧هـ) .

أما في ناحية خراسان فبعد أن أعمى مؤيد الدين آي إبه الخاقان

ركن الدين محمود في (٥٥٧هـ) وسيطر على غالب خراسان ، بدأ الخلاف بين ايل أرسلان الذي أدخل من بداية حكمه خوارزم وجرجان ودهستان تحت امرته ومؤيد آي ابيه بسبب السيطرة على هاتين المنطقتين والفواحي الأخرى من خراسان ، فتقدم ايل أرسلان في (٥٥٨هـ) بجيش ضخم الى هذه الناحية وحصر نيشابور لكنه لم يستطع فتحها وعاد الى خوارزم بعد صلحه مع مؤيد الدولة .

٤ — جلال الدين محمود سلطانشاه بن ايل أرسلان

(رجب ٥٦٧ حتى ربيع الآخر ٥٦٨هـ)



٥ — علاء الدين تكش بن ايل أرسلان

(٥٦٨ — ٥٩٦هـ)

بعد أن مات ايل أرسلان خلفه في حكم خوارزم ابنه الأصغر سلطانشاه محمود لكن ابنه الأكبر تكش والى جند لم يقبل سلطنة أخيه الأصغر ، فاستمد القراخانيين ازاء دفع خراج سنوى لهم وأخرج سلطانشاه وتركاني خاتون أمه من خوارزم وجلس في الثاني والعشرين من ربيع الآخر (٥٦٨هـ) على عرش خوارزم ولاذ سلطانشاه وأمه بالفرار الى مؤيد آي ابيه في خراسان .

قتل مؤيد آي ابيه في التاسع من ذي الحجة (٥٦٩هـ) : —

خدعت تركان خاتون مؤيد آي ابيه بالجواهر والنفائس التي جلبتها معها من خوارزم وشجعته على الاستيلاء عليها ، فجمع مؤيد جنودا من كل حدب في بلاده وصوب وزحف وبرفقتة تركان خاتون وسلمان شاه الى خوارزم ، الا أن تكش فاجأه بالهجوم على بعد عشرين فرسخا من الجرجانية فأسر مؤيد ثم قتل بأمره في التاسع من ذي الحجة (٥٦٩هـ)

وهرب سلطان شاه وأمه الى دهستان وتعقبهما تكش الى أن قبض على
تركان خاتون في دهستان فقتلها وعاد الى خوارزم .

واختار جنود مؤيد آي ابيه وأتباعه من بعد قتله ابنه أبا بكر
طغان شاه (٥٦٩ - ٥٨١ هـ) لامارتهم في نيشابور ، فهرب اليه من
دهستان سلطان شاه الذي لم يطق مقاومة أخيه وبعد فترة قصـد بلاط
السلطان غياث الدين أبي الفتح محمد بن سام الغوري ليحتـمى به .

الصراع بين سلطان شاه وتكش : -

وبعد أن تخلص تكش من شر مؤيد آي ابيه وتحريضات تركان
خاتون زوج أبيه عاد الى خوارزم واستقر على الملك لكنه كان محـنى
الهامة لتحمله عار دفع الخراج السنوي للكفار القراخطائين لا سيما وأن
مبعوثى الكورخان كانوا يأتون بلاطه في أى وقت لكى يصل الخراج
اليهم ويعاملونه بتمكـم وغلظة . وأخيرا أمر تكش أن يقتل أحد هؤلاء
المبعوثين فتجددت على اثر هذا الخصومة بين الخوارزمشاهيين
والقراخطائين .

ولما سمع سلطان شاه بهذا الخبر وهو فى بلاد الغور وقتذاك سر
وأتى القراخطائين بدعوة منهم وأعطوه بعض جنودهم على أمل أن
يستعيد سلطانه فقدم بهم الى حدود خوارزم ، لكن تكش دفع بماء نهر
جيحون الى أطراف الجرجانية وأحكم قلعتها فلم ير سلطان شاه
والقراخطائيون معه فائدة من غزوهم . وهاجم سلطان شاه بعدد من
الجنود القراخطائين خراسان قادمـا من خوارزم فأخذ سرخس من أحد
رؤساء الغز واسمه (ملك دينار) فـلجأ هـلك دينار الى طغان شاه فى
بسطام وكان يومئذ تابعـا لتكش خوارزم شاه .

وتحرك طغان شاه بدعوة ملك دينار الى سرخس بجيشه وفى الحرب
التي وقعت فى ذى الحجة (٥٧٦ هـ) بينه وسلطان شاه جـرت على جيش

طغانشاه الهزيمة ففر الأخير الى نيشابور ، وبعد أن مد يد الالتجاء الى
تكش والسلطان غياث الدين الغوري مرارا لاسترجاع ملكه المضائع
ولم ينل فائدة مات في (٥٨١هـ) فأجلس أتباعه ابنه سنجر شاه مكانه .

وسرعان ما استولى سلطانشاه على القسم الأعظم من خراسان ،
وأخلى ملك دینار هذا البلد تماما وقدم الى کرمان وأسقط بعون الغز
المستولين على هذه الولاية سلسلة سلاجقة کرمان وتملك حكمها .

وفي (٥٨٢هـ) توجه علاء الدين تكش خوارزم شاه الى خراسان
لتأديب منكى بك أتابك سنجر شاه بن طغانشاه الذى أذاق أهل نيشابور
ظلمه واستبداده وحصر نيشابور لكنه عجز عن السيطرة عليها فعاد الى
خوارزم ، ثم أتاها في السنة التالية وأمسك بمنكى هذا وقتله وترك
نيشابور لابنه ناصر الدين ملكشاه واصطب سنجر شاه معه الى
خوارزم .

وهاجم سلطانشاه نيشابور وكان لا يكف عن مهاجمته لخراسان بعد
أن عاد تكش وحاصر ابن أخيه في نيشابور فتحرك تكش بعجل من خوارزم
لإنقاذ ابنه فهرب سلطانشاه . وأخيرا تم الصلح بين الأخين في ربيع
عام (٥٨٥هـ) وتلقب تكش بلقب السلطان رسما في الثامن عشر من جمادى
الأولى من نفس العام في طوس ، وأضحى لقب السلطان من هذا الوقت
فصاعدا لقب حكام خوارزم فكانوا قبل هذا التاريخ لا يجدون في أنفسهم
مثل هذه الشجاعة وكانوا يتلقبون بلقب (ملك) وهو لقب الأمراء الذين
يحكمون أتباعا لسلطان ما . أما سلطان شاه فقد أخذ يهاجم بعد صلحه
مع أخيه بلاد الغوريين كما سبق الحديث في ذلك ، لكنه لقى في (٥٨٦هـ)
هزيمة مرة على أيدي ملوكهم فهرب الى خراسان وبعد قليل عصى أخاه
فأجبر تكش على أن يأتى في نفس هذا العام خراسان ويغلب أخاه
العاصى ويدخله في طاعته .

ومن هذا الوقت حتى عام (٥٨٨هـ) استقر الصلح بين تكش
وسلطانشاه الى أن تحرك تكش الى الرى بناء على دعوة قتلغ اينانج ،

فانتهر سلطان شاه غياب أخيه وهاجم خوارزم ولكن أهلها منعوها عنه فخف
تكنش الى خوارزم وهرب سلطان شاه الى مرو • وتقدم تكنش الى مرو في
تعقب أخيه ومات سلطان شاه في نفس هذا الوقت أي في آخر رمضان
(٥٨٩هـ) فاطمان قلب تكنش من جانبه وقد كان في ضيق مقيم بسببه لمدة
تقرب من عشرين عاما وضم الى خوارزم بلاده التي استولى عليها فيسما
سبق في خراسان وهي مرو وسرخس وطوس • وأصاب ابنه الأرشد ناصر
الدين ملك شاه في مرو وجعل ابنه الآخر محمدا على حكم نيشابور •

حروب تكنش خوارزم شاه : —

علاوة على الحربين اللتين خاضهما تكنش في الشرق في بخارى عجل
في (٥٩١هـ) لتأديب الأتراك القبجاق في بلاد ما وراء نهر سيحون الا أن
في السادس من جمادى الآخرة هزم منهم هزيمة قاسية وهلك أغلب جنده
اما بأيدي هذه الطائفة أو بسبب الحرارة والعطش فعاد منهزما
الى خوارزم • وقد انتقم لهذه الهزيمة التي أصابت خوارزم شاه ابنه
محمد في (٥٩٤هـ) فهزم رئيس الأتراك القبجاق وأسره وأتى به الى
خوارزم •

وفي العراق سبق ذكرنا في الفصل السابق لحروبه بها التي انتهت
الى قتل طغرل الثالث وادالة أسرة سلاجقة العراق في (٥٩٠هـ) ولسنا
بحاجة الى تكراره وانما ما ينبغي ذكره أن خوارزم شاه بعد قتل طغرل
أتى عاصمته همدان وسمع بها أن الخليفة العباسي الناصر قد أرسل
وزيره مؤيد الدين بن القصاب بخلع له ونزل الوزير على بعد فرسخ واحد
من المدينة • فاستدعى تكنش الوزير الى بلاطه ، لكن مؤيد الدين خاطب
خوارزم شاه أنه يجب احترام الخليفة أن يترجل عن جواده ويقف
أمام جواد الوزير • وظن خوارزم شاه أن وزير الخليفة يقصد التحايل
عليه فأنتى ليستأسره فهرب مؤيد الدين بن القصاب نحو المناطق الجبلية
في غرب ايران وكان هذا بداية ظهور العداوة المعلنة بين خوارزم شاه
ودار الخلافة •

وأودع خوارزم شاه كما سبق شرحه همدان وأصفهان الى قتلغ اينانج وعهد الى ابنه يونس وأتابكه مياجق حكم الري وعاد الى خوارزم وفي عودة خوارزم شاه الى بلاده الأصلية اصطدم قتلغ اينانج ومياجق فهزم الأخير الأول قرب زنجان ، فأتى قتلغ مؤيد الدين بن القصاب يحتّمى به بخوزستان وكان قد فتح هذه الناحية لتسوه للخليفة وجاء بالوزير وبجيّشه الى كرمانشاه وهمدان •

وأخذ وزير الخليفة في (٥٩١هـ) كرمانشاه وهمدان وآوه وساهو والري من يد يونس خان ومياجق وتقهقر الخوارزميون حتى الري وسرعان ما تصادم قتلغ اينانج بمؤيد الدين الوزير ، فأب مؤيد الدين الى همدان لازالته وكان قد جمع جيشا في المناطق حول هذه المدينة فغلب قتلغ وأقام بالمدينة • وقصد قتلغ بعون مياجق الذي كان قد عاد الى الري همدان ثانية ، لكن مياجق كما رأينا قتله وسير رأسه الى خوارزم • وعاود تكش في (٥٩٢هـ) الى العراق وأسرع الى همدان وهزم عساكر الخليفة وأخرج جثة مؤيد الدين بن القصاب وكان مات قبل وصول خوارزم شاه بهمدان من قبره وقطع رأسه وأرسلها الى خوارزم وعاد الى أصفهان ففتحها وآب راجعا الى خوارزم •

ولما عاد تكش الى قصبته مات ولده الأرشد ناصر الدين ملكشاه والى خراسان ، فبعث خوارزم شاه أولا بوزيره نظام الملك صدر الدين مسعود بن على الهروي لإدارة أمور خراسان ثم بابنه الآخر محمد من بعده فأمنّا خراسان وكانت أحوالهما مضطربة بسبب نزاع أولاد ملكشاه، وسير نظام الملك الهروي ابن ملكشاه الأكبر هندوخان الى خوارزم •

أما الابن الآخر لخوارزم شاه وهو يونس خان فقد أصيب بالعمى من حدود عام (٥٩١هـ) فاستقل مياجق الأتابك بحكم العراق ، ثم تدرج استقلاله شيئا فشيئا الى عصيان خوارزم شاه فأجبر تكش أن يقدم في ربيع الأول لداشعته الى الري عن طريق مازندران ، وألقى القبض على

مياجق في قلعة (فيروز كوه) فلم يقتله خوَارزم شاه مراعاة لخدمات أخيه واكتفى بحبسه •

ولما سمع الخليفة الناصر بعودة تكش الى العراق أرسل اليه بتملقه بالخلع النفيسة خشية أن يكون قصده دار الخلافة ونصبه رسماً على سلطنة العراق وخراسان والتركستان ولقب ابنه محمداً بقطب الدين •

وبعد اقرار الأمن بالعراق فكر خوَارزم شاه وكان في قزوین أن يستولى على قلاع الاسماعيلية وبعد أن انقضت مدة على انشغاله بهذا الأمر عاد أخيراً في (٥٩٦هـ) الى خوَارزم وترك قطب الدين محمداً في خراسان وابنه الآخر تاج الدين عليشاه في أصفهان •

موت تكش في التاسع عشر من رمضان (٥٩٦هـ) :

اغتيال الاسماعيلية نظام الملك وزير خوَارزم شاه في جمادى الآخرة (٥٩٦هـ) لأنهم كانوا يعدونه محرك خوَارزم شاه لغزوه قلاعهم ، فاشتد غضب تكش لأنه كان يجب هذا الوزير الصالح الدين حبا جما ، فبدأ بأمر ابنه قطب الدين أن يهاجم قلاع قهستان بجيش كبير ، وقصد هو نفسه مع أنه كان مريضاً من خوَارزم خراسان ، لكنه لفظ آخر أنفاسه بين نيشابور وخوَارزم في التاسع عشر من رمضان (٥٩٦هـ) ، فأخلى محمد عند سماعه هذا الخبر وكان منشغلاً في هذا الوقت بحصار ترشيز هذه القلعة وقد أعطاه الملاحدة أموالاً ، وصل على عجل الى معسكر أبيه •

كان تكش ملكاً عادلاً حسن السيرة متديناً فاضلاً اجتمع حوله جماعة من الشعراء وأهل الأدب أشهرهم بهاء الدين محمد بن المؤيد البغدادي الذي كان شاعراً ومنشئاً ورئيساً لدار الانشاء السلطانية ، ومجموعة منشأته تعرف باسم (القوسل الى القوسل) (١) • وغيره العلامة الكبير

(١) جمع المؤلف مجموعة منشأته هذه باسم الوزير بهاء الدين وتحوى

فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٥٤٣ - ٦٠٦ هـ) الذي صنف عدة كتب من تأليفه باسم السلطان علاء الدين تكش خوارزم شاه (٢) .

٦ - علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش

(٥٩٦ - ٦١٧ هـ)

وبعد موت تكش جلس ابنه الثاني قطب الدين محمد في العشرين من شوال (٥٩٦ هـ) مختاراً لقب علاء الدين خلفاً لأبيه ، ووجه في بداية أمره بعصيان ابن أخيه هندوخان الابن الأرشيد لناصر الدين ملكشاه أخيه وكان يطالب بخلافة تكش . وسرعان ما أجبر جند علاء الدين محمد هندوخان على أن يفر إلى هراة ويحتمي بغياث الدين وشهاب الدين ملكي الغور ، فأفاد ملكا الغور اللذان كانا يطمعان في خراسان وبلاد خوارزم شاه من هذه الفرصة كما سبق في تاريخهم فهاجما خراسان ، لكنهم ، كما رأينا ، غلبوا في جميع حملاتهم على خراسان وخوارزم ، وأزال السلطان محمد في (٦١٢ هـ) دولة الغوريين واستحوذ على هراة وفيروز كوه وغزنة .

فتح مازندران وكرمان في (٦٠٦ هـ) و (٦٠٧ هـ) :

كانت مازندران التي ظلت من عهد الساسانيين في يد أمراء إيرانيين

ديباجة ومصلين ومقدمة وثلاثة أقسام في حمد الله ومدح الرسول وأصحابه والسلطان وسبب تأليف الكتاب ومدح بهاء الدين الوزير ومختصر في أساليب الكتاب المختلفة ونماذج للفرمانات وكتب العهد التي كتبها للسلطان وأرسلها إلى الأمراء والملوك بالأطراف ، ورسائل اخوانية تحوي حوادث تاريخية وعادات الناس وأخلاقهم والبلاط ورجال النصف الثاني للقرن السادس . وهذا الكتاب هام إذ أنه يجلي أساليب الانشاء والنثر الفارسيين في العصور المختلفة وهو بنفسه من خير نماذج المنشآت الموشاة بالصناعات اللفظية البالغة النضج والكمال .

(٢) من مؤلفات هذا العالم باسم هذا السلطان جامع العلوم أو حقائق الأنوار في حقائق الأسرار الذي ألفه عام (٥٤٧ هـ) ورسالة الاختيارات العلانية في النجوم في مقالتين وترجم إلى العربية .

خلص من أبناء الملوك الساسانيين في أيام سلطنة علاء الدين محمد خوارزم شاه تحت أمر الشاه الغازي حسام الدين أردشير بن حسن (٥٦٧ - ٦٠٢ هـ) من ممدوحى الشاعر الشهير ظهر الدين محمد الفاريابي . ومات هذا الاصبهذ في (٦٠٢ هـ) وخلفه ابنه شمس الملوك رستم ولم يمتنع هو أيضا مثل أبيه عن قبول أمر السلطان محمد .

وقتل زوج أخت شمس الملوك في الرابع من شوال (٦٠٦ هـ) وكان من السادات العلويين شمس الملوك ، فثارت القلاقل لهذا في مازندران واستيجد الأمراء المحليون بخوارزم شاه فأرسل السلطان محمد أحد أمرائه لضبط هذا البلد فدخلت مازندران بيسر تحت تصرفه .

وعلى نحو ما سبق توجه أحد أمراء الغز الذى استولى على سرخس وهو ملك دينار في (٥٨١ هـ) بعد أن هزمه سلطان نشاه أخو علاء الدين تكش الى كرمان ، وبعد أن جمع الغز المقيمين بهذه النواحي أسقط أخيرا في (٥٨٣ هـ) أسرة سلاجقة كرمان واستولى دينار على كرمان ، وقد ألف باسم هذا الملك الغزى المنشئ المعروف أفضل الدين أبو حامد أحمد بن حامد الكرمانى كتابه (عقد العلى) في تاريخ كرمان في عام (٥٨٤ هـ) .

وبعد اماره ثمانية أعوام على كرمان مات ملك دينار (٥٨٣ - ٥٩١ هـ) وخلفه ابنه علاء الدين فرخشاه (٥٩١ - ٥٩٢ هـ) ، لكن أوضاع كرمان على عهده كانت قرينة القلاقل وخطبت جماعة لعلاء الدين تكش خوارزمشاه ، وأرسل خوارزم شاه بدوره قوادا من خراسان لضبط كرمان ، وأصبحت هذه الولاية من حدود عام (٥٩٢ هـ) تابعة للخوارزمشاهيين ، وأتاب ناصر الدين ملكشاه بن تكش الذى كان حاكم نيشابور من لدن أبيه ابنه هندوخان على كرمان ، وظل هندوخان بها حتى سنة وفاة أبيه ملكشاه أى الى ربيع الآخر (٥٩٣ هـ) ، وبعد عودته أدار نواب تكش أمور كرمان .

وفي وقت موت تكش صارت كرمان العوبة لهجوم التراكمة ثانية ،

وهاجم كرمان ملوك شبا نكارة من فارس لاقتلاعهم مرارا ، وأخيرا تمكنوا من ادخال هذه الولاية تحت امرتهم ، ولكنه بعد نحو أربعة أعوام قام أهل كرمان على أصحاب شبا نكارة بسبب ظلمهم وجورهم ، فأمرؤا عجمشاه الابن الآخر لملك دينار الذى كان هندوخان قد بعث به الى خوارزم وعاد فى هذا الوقت الى كرمان •

وفى هذا الوقت استولى الأتابك مظفر الدين سعد بن زنكى (٥٩٩ هـ - ٦٢٣ هـ) أتابك فارس السلغورى والذى كان فى نزاع مع ملوك شبا نكارة على كرمان مرة فى عام (٦٠٠ هـ) وأخرى بعد تجديد امراء شبا نكارة هجومها عليها فى (٦٠٢ هـ) وظلت كرمان حتى (٦٠٧ هـ) تحت أمر نائب الأتابك سعد •

وعصى نائب الأتابك فى تلك الآونة مخدومه ، فصارت أمور كرمان رهن الاضطرابات • وأفاد والى مدينة زوزن فى قهستان من طرف السلطان محمد خوارزمشاه واسمه تاج الدين أبو بكر من هذه القلائل ، فاستولى على كرمان بجيش أمده به خوارزمشاه فى عام (٦٠٧ هـ) ثم هاجم هرموز (ميناء ميناب الحالى مقابل الجزيرة وباب هرمز) فضم هذا البلد وقسما من عمان وكانت تبعا لهرموز الى البلاد الخوارزمشاهية ، فاتسعت حوزة السلطان محمد فى هذه الجهة حتى السواحل الجنوبية لبحر عمان •

السلطان محمد خوارزمشاه والخليفة الناصر :

فى السنوات الأخيرة من سلطنة تكش كان الناصر الخليفة العباسى دائم الخوف من هجوم خوارزمشاه عليه من بعد هزيمة جنده ووزيره على يديه فعمل على تأليب الملوك الغوريين لمعاداة الخوارزميين ، فدفع كما رأينا فى تاريخ الغورية فى (٥٩٤ هـ) السلطان غياث الدين الى مهاجمة البلاد الخوارزمشاهية ، فاضطر تكش أن يستمد القراخطائين فهاجمت هذه الفئة الكافرة على أثر تحريضات الخليفة الناصر بلاد الغور المسلمين •

وهزم السلطان غياث الدين جند القراخطائيين ود. صالح تكش ،
وأصدر الخليفة الناصر منشورا بسلطنة تكش رسميا في (٥٥٩٥ هـ) حين
قدم خوارزمشاه الى الري مخافة الخليفة يعترف فيه بحكمه لكل البلاد
التي استولى عليها سابقا وأرسل الخلع اليه والى ابنه محمد ولقب محمدا
بقطب الدين .

وبعد جلوس محمد مكان أبيه تكش عمل الناصر خشية أن يسلك
الابن مسلك عداوة أبيه للخلافة على تحريك الملوك الغوريين ضده ، وقد
أحل الخليفة بغياث الدين وشهاب الدين اللذين كانا مشغولين بفتح
الهند ودفع الكفار القراخطائيين كما مر شرحه الضعف والعجز لكثرة
غزواتهما على خراسان وخوارزم الى أن سقطت أسرة السلاطين الغور
وتجزأت الممالك الغورية .

ولما لم يستطع الناصر أن يتخلص من تهديد خوارزم شاه عن طريق
الغوريين كما كان يود ، عمل على إثارة الأمراء والحكام المحليين الصغار
وتحريكات أخرى ، ومن بين ذلك أنه تحالف مع جلال الدين الحسن
الاسماعيلي من خلفاء الحسن بن الصباح والذي سيطر على قلاع الموت
ورودبار وقهستان فأطاع الحسن الذي ترك المذهب الاسماعيلي ظاهرا
وعرف بلقب (نو مسلمان) أى المسلم الجديد أمر الناصر وترك تحت
اختيار الخليفة جماعة من الفدائيين الباطنيين لكي يزيل أعداءه بنفس
سيره الاسماعيلية في إزالة أعدائهم . وأمر الناصر أيضا أن يقدم علم
جلال الدين الحسن الذي جعله رفق أصحابه الحجاج على علم رعايا
خوارزمشاه في الحج ، وكان عمله هذا بمنزلة توهين عظيم من شأن هذا
السلطان العظيم الشوكة والذي كان يحكم على أوسع دول العالم آنذاك .

وكان القسم الأكبر للعراق أى همدان وأصفهان والري على النحو
الذي رأيناه قبل ذلك حتى عام (٥٦٠٨ هـ) في يد شمس الدين آيتغمش
أحد غلمان الأتابك محمد جهان بهلوان السابقين . وفي هذا العام عصى
أحد أتباعه وهو (ناصر الدين منكلى) مخدمه آيتغمش فاستولى على

البلاد السابقة للأتابك أوزبك وهرب آيتغمش الى بغداد •

وبعد أن استقر منكلى على امارة العراق أخذ في معاداة الأتابك أوزبك من ناحية ، ومهاجمة بلاد جلال الدين نو مسلمان من ناحية أخرى ، فألب الخليفة الناصر جلال الدين والأتابك أوزبك على قتال منكلى وأرسل جيشا من طرفه لمساعدتهما ، وهزم الحلفاء منكلى في (٦١٢ هـ) فقتل في ساوة وسير الأتابك رأسه الى بغداد وتوزعت بلاد منكلى بين الخليفة الناصر والأتابك وجلال الدين • وترك الأتابك نصيبه الى أحد مماليك أخيه واسمه سيف الدين اغلش وقد عاش في خدمة السلطان محمد خوارزمشاه وقد كان يجالد بسيفه في حروبه ، الا أن اغلش سرعان ما خطب في بلاده خوارزم شاه • فأمر الخليفة وكان غاضبا لما حدث جماعة من الاسماعيلية بقتله فاغتالوا اغلش بطعنات خناجرهم ، ولما وصل ذلك خوارزمشاه زاد غضبه عما سبق على حركات الخليفة العدائية خاصة وأن الناصر كان يأنف من الخطبة له في بغداد • ولما استولى خوارزم شاه على غزنة وجد مراسلات من الخليفة الى الغوريين تدور حول تأليبهم على معاداته فلم يعد له شك في عداء الناصر لأسرته ، ولأجل هذه الأسباب جميعا قصد من خوارزم العراق ، واستولى بسهولة على اصفهان والرى وقم وكاشان وساوه وهمدان • وتغلب على الأتابك سعد ابن زنكى أتابك فارس وأمسك به ومع أنه كان يريد قتله الا أنه عفا عنه أخيرا بشفاعة أحد مرافقيه وأعادته الى فارس ، وقبل الأتابك أن يتترك ابنه رهينة في بلاط خوارزم شاه وأن يرسل ربع مال فارس الى خوارزم هذا من ناحية • ومن ناحية أخرى جعل خوارزم شاه من الأتابك أوزبك مطيعا له وقبل هو أيضا أن يخطب له في أران وآذربايجان •

وفي نفس هذه الأيام أسقط خوارزم شاه اسم الخليفة الناصر من الخطبة بفتوى جماعة من علماء ما وراء النهر وأمر أن يرفع أحد السادات الحسينيين في ترمذ الى الخلافة قائلا ان الناصر لا يستحق الخلافة بسبب قيامه على سلطان السلام وأعماله القبيحة الأخرى وان السادات

الحسنين أخرى منه خلافة •

وسار خوارزم شاه من همدان الى بغداد ، لكن كثرة من جيشه وخيوله هلك بسبب الشتاء والثلج الشديد الذى سقط فى الأماكن الجبلية الموعرة فى أسد آباد ، وسبب له الأكراد ولجيشه كثيرا من الضرر البالغ ، فتشائم السلطان مما حدث ، ولما كان غير مطمئن الخاطر من جانب المغول أيضا الذين شرعوا هجومهم منذ فترة سابقة على الحدود الشمالية لبلاده ، فعاد من همدان فى أواخر (٦١٤ هـ) الى خراسان ومنها بلغ مرو فى المحرم من (٦١٥ هـ) ، وذاع أن الخليفة الناصر قد مات فليس من اشكال لاسقاط اسمه من الخطبة •

انهيار الاسرة القراخطائية فى (٦٠٧ هـ) :

كان الخوارزمشاهيون ، كما سبق ، يؤدون الخراج كل عام الى القراخطائيين من حين أن هزم الكرخان أتمز ، وفشل ايل ارسلان وتكش برغم محاولتهما أن يتخلصا من هذا الحمل ، خاصة وأن تكش كان قد قبل دفع هذا الخراج السنوى من جديد الى القراخطائيين حينما كان يصارع أخاه سلطان شاه •

واستولى القراخطائيون كما رأينا على بلاد ما وراء النهر أى سمرقند وبخارى من بعد حرب قطوان فكان أمراء هذه الناحية وسلطينها يدفعون الى شحفات الكورخان الخراج بانتظام وكانوا يحكمون تحت تبعيتهم بلقب السلطان والأمير ، وقد كان أخلاف الخانيين على نفس هذا الحال فى سمرقند ، وسلكت فى بخارى أسرة من العلماء الدينيين عرفت بأسرة (صدر جهان) نفس هذا المسلك •

وأخذ أهل ما وراء النهر يشكون الى السلطان محمد خوارزم شاه بعد ما تيسر له من الفتوحات العظيمة ما حل بهم من ظلم وجور وعار باستيلاء القراخطائيين وكان السلطان نفسه فى ضيق شديد لأدائه الخراج

السنوى اليهم ولهذا فقد ألقى برسول الكورخان فى (٥٦٠٦ هـ) الذى أتى لايصال الخراج المطلوب فى الماء وأغرقه وتحرك فى آخر نفس العام عازما الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر •

. واستقبل أهل بخارى السلطان محمدا باحترام بالغ ، وفى وصوله الى سمرقند قدم خاقانها نصره الدين عثمان خان الملقب بلقب سلطان السلاطين والذى لم يكن على صفاء مع الكورخان الى خدمة خوارزم شاه وقبل أن يخطب له ويصك العملة باسمه وعبر السلطان قاصدا الاستيلاء على بلاد المقراخطائين الاصلية نهر سيحون وفى ربيع الأول (٥٦٠٧ هـ) هزم جيش (تايىكو) والى مدينة طراز قائد الكورخان واستأسره وأتى به الى خوارزم وقتله • ومن هذا الوقت تلقب السلطان محمد بلقبى (سنجر) و(الاسكندر الثانى) •

أما الكورخان فسرعان ما هاجم بجيشه سمرقند وبعد أن هزم عثمان خان وخوارزم شاه استعاد هذه المدينة ولاذ السلطان محمد بالفرار •

وتصالح الكورخان مع عثمان خان لأنه كان فى هذا الوقت فريسة مشاكل شديدة فى حدوده الشمالية والشرقية لبلاده وعاد الى بلاده الأصلية بعد أن ترك شحنة من جانبه فى سمرقند وتحمله الخراج السنوى •

ومن الملوك الذين كانوا يؤدون الخراج للكورخان كوجلك خان (١) الذى يترأس على جماعة النايماى من المغول المسيحيين ، أعلن هذا الملك عصيانه للكورخان وجعل مركز بلاده تحت تهديده فعجل الكورخان بالعودة من سمرقند لدفعه •

وانتهز السلطان محمد هذه الحادثة للانتقام لهزيمته السابقة فعاد

(١) كوجيلوك لفظا ايغورى معناه (الرجل القوى) (غامبرى ج ١ ص ١٥٥) •

ثانية الى بخارى وسمرقند وحالفه عثمان خان مرة أخرى ، ودخل خوارزم شاه بعد أن غلب جنود الكورخان في قتال ونزال مع كوجلك ثم عاد مع عثمان خان الى خوارزم وترك شحنات من لدنه في كل مدينة .

وعقد السلطان محمد في رجوعه الى خوارزم لعثمان خان على ابنته وبعد مدة أعاده يصحبه شحنة الى سمرقند ، الا أن عثمان بعد عودته الى سمرقند أخذ يتألم لظلم الشحنة وجوره واعتداء الجنود الخوارزميين على الرعية الذي فاق الحد فأخذ يسيء معاملة بنت خوارزم شاه ، واستدعى سرا الكورخان ليأخذ سمرقند فجاء وأعمل السيف في الخوارزميين المقيمين بالمدينة .

وقد أحق هذا الخبر خوارز مشاه الى حد أنه قصد سمرقند متحركا من خوارزم بهدف استئصال شأفة عثمان خان وذبح أهل سمرقند ، وبعد أن فتحها أخذ في ذبح أهلها ثلاثة أيام كاملة ثم رفع يده عن فعله الشنيع بشفاعاة أئمة المدينة والسادات بها ، وقبض على عثمان خان الذي أتى يقدم اعتذاره فقتله وأكثر اتباعه وأقاربه ، وبهذا دالت سلسلة الملوك الخانيين في (٦٠٧ هـ) تماما ووضع خوارزم شاه من ناحية الغرب البلاد القراخائية موضع هجماته بينما أنشأ كوجلك الذي تحالف مع السلطان محمد قبل ذلك في مهاجمة الكورخان من الشرق ، وغلبه وأسره في معركة واحدة ، وبهذا أسقط كوجلك وخوارزم شاه الدولة القراخائية أيضا في نفس العام (٦٠٧ هـ) وتقرر أن يقسم هذا المكان المنتصران أغلب بلاد الكورخان الواسعة بينهما .

مجاورة المغول للبلاد الخوارزمية :

بعد أن ترددت السفراء بين كوجلك وخوارزم شاه مرارا لتقسيم البلاد القراخائية ، ولما لم يتفق الطرفان صمم السلطان محمد أن يهاجم بلاد كوجلك ، ولكن جنده المسلمين بدلا من أن يتحالفوا مع مسلمي كاشغر والبلاد الأخرى الذين كانوا يحاربون بشجاعة مع جنود كوجلك المسيحيين

أخذوا يهاجمونهم ويحملون عليهم وتحاشوا مواجهة أتباع كوجلجك ، وأمر خوارزم شاه لكي يمنع هجوم كوجلجك على بلاد ما وراء النهر أهالي عدد بلاد شرقيها أن يخبئوا مساكنهم ويرحلوا عنها .

وفي شتاء (٦١٢ هـ) زحف السلطان محمد من مدينة جند الى مساكن طوائف القبجاق ، وفي هذه الحدود واجه فرقا من المغول بقيادة جوجي ولد جنكيز خان . وخاطب جوجي خوارزم شاه أنه أتى لدفع ثوار هذه المنطقة ولا يقصدون حربه ، فأجابه خوارزم شاه وهو في كامل غروره أن الكفار جميعا في نظره سواء وهاجمهم ، وفر أتباع جوجي مستترين بالليل مع تفوقهم الخارق ، وعاد خوارزم شاه في صيف (٦١٣ هـ) الى سمرقند وكانت هذه الواقعة التي أفهمت خوارزم شاه درجة فروسية مغول جنكيز خان وشجاعتهم أول صدام ما بين هؤلاء القوم والسلطان محمد .

موت خوارزم شاه في شوال (٦١٧ هـ) :-

جاء أتباع جنكيز خان ، كما سيلي تفصيله في تاريخهم ، بعد أن زالت الدولة القراخانية فزال بهم الحاجز العظيم الذي فصل بلاد ما وراء النهر العامرة عن مساكن أقوام التتار الوحشيين ، جاؤوا البلاد الخوارزمية ، ومع أن جنكيز كان يود أن يقيم علاقة صداقة مع خوارزم شاه إلا أنه بسبب عدم فطنة هذا الخوارزمي وقع معه في نزاع ، فبعد أن طرد جنكيز كوجلجك من كاشغر في عام (٦١٥ هـ) وأزال دولة جماعة النايمن ، طفق يتأهب للهجوم على البلاد الخوارزمية باستعدادات عظيمة ، وانصب في خريف (٦١٦ هـ) بكل أبنائه وقواده على بلاد ما وراء النهر ، وبعد أن خرب مدن هذه المنطقة العامرة سيطر أيضا على خوارزم وخراسان ، وكان خوارزم شاه يفر أمامه حتى تحصن في النهاية بمارندران ، ولما سمع أن المغول يتعقبونه يمم شطر جزيرة آبسكون الصغيرة مقابل مصب نهر جرجان في بحر الخزر ولفظ آخر أنفاسه في شوال من (٦١٧ هـ) في شدة من الفقر والحزن

والمرض في حالة لم يكن له ما يكفونه به ، فكفن برداء أحد أتباعه •

والسلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه كان في عهده أحد أكثر ملوك المسلمين شهرة وعظم شأن ، اذ تحقق على يديه فتوحات كبرى في مدة قصيرة نسبيا ، وقد أسقط الأسر كلها في وقائع عظمى قل أن تتيسر لملك آخر غيره قط • وكانت دولته من أوسع الدول بعد دولة السلاجقة لأنها شملت فضلا على جميع إيران وما وراء النهر وخوارزم جزءا من التركستان والهند أيضا ، وقد دان بقية الملوك بالطاعة لخوارزم شاه أيضا •

وكان خوارزم شاه ملكا عالما ودينا محبا للعلم والأدب لكنه كان قاسيا فظا خاليا من الحنكة والسياسة ، وكان أسوأ من ذلك كله يعيش تحت نفوذ أمه القبجاقية (تركان خاتون) (١) التي كانت امرأة أنانية شهوانية سفاكة للدماء ذات دسيسة ودناء وقد بلغ تسلط هذه المرأة على الأمور إلى حد أنها كانت تمنع أوامر ابنها خوارزم شاه من أن تنفذ اذا لم تر أنها صالحة في نظرهما ، وكانت تتسبب له مشقات بالغة ، وقتلت ناحية من البلاد الخوارزمية لم يتسلط على أمورها واحد من أتباع هذه السيدة •

ولم يكن رعيا خوارزم شاه أصفياء القلب له لأنه من ناحية ناهض الخليفة الناصر امام المسلمين بالعداوة وأحنق عليه طبقة رجال الدين ذوي النفوذ بفعله هذا من ناحية ، وكان الجفود الخوارزميون والحراس القبجاق أو أتباع أمه يصيبون الرعية بكثير من الايذاء والاضرار ، وبلغ ظلمه وقسوته أيضا في البلاد المفتوحة جدا أن المسلمين غالبا كان ينضلون حكم الكفار القراخطائين على سلطنة السلطان محمد •

ونظرا لعدم اهتمامه بسكان البلاد والتابعة له وطبقة رجال الدين

(١) تركان خاتون هذا لقب عام يطلق على نساء السلاطين الاتراك وليس اسما خاصا كما فهم المؤلف ومعناها (السيدة الملكة) •

فقد جمع حوله جماعة من الأتراك القبجاق كحراس ومستحفظين . فاستحوذ هؤلاء الترك السفاكون الغلاظ الأكباد على أزمة الأمور تعاونهم تركان خاتون أم السلطان ، وكان هذا السلطان الضعيف النفس العوبة في أيدي رؤساء هذه الجماعة دائما ولم يكن له رأى ولا حرية أمامهم .

وكان أحد أفعال خوارزم شاه القبيحة التي زاد على أثره نفور رجال الدين والرعية له هو قتله للعارف المعروف الشيخ مجد الدين شرف ابن المؤيد البغدادى أخى بهاء الدين محمد رئيس ديوان رسائل تكشس والذي كان له نفوذ عظيم في خوارزم وكانت أم السلطان نفسها تحميه . وقد قتل خوارزم شاه لسبب لا يعرف بالضبط الشيخ مجد الدين في (٦١٢هـ) فأحرق فعله هذا أمه تركان خاتون وشعب خوارزم عليه حنقا شديدا فقام رجال الدين بمعاداته أكثر من ذي قبل ، وكان نتيجة هذه الأفعال أن السلطان محمدا لم يستطع أن يعتمد على رعاياه التابعين له في دفاعه عن تاجه وعرشه مع عدم وجود التنظيمات العسكرية الصحيحة ، ومع كل شوكتة وعظمتها اللتين كانتا له غلبه ونكبه جماعة من أقوام البدو التتار .

٧ — جلال الدين المنكرنى

(٦١٧ — ٦٢٨هـ)

كان للسلطان محمد من نسائه العديدات بضعة أبناء أشهرهم أربعة هم جلال الدين المنكرنى^(٢) أرشد أولاد السلطان وكان بصحبة السلطان أبيه في غالب الأحوال ، وغيناث الدين الذى كان يحكم على كرمان ، وركن الدين والى العراق ، وأوزلاغ شاه الذى اختاره السلطان

(٢) لفظ أويغورية مؤلفة من كلمتين : منك بمعنى السماء وبردى بمعنى مبعوث ورسول وينكوبردى وليس منكبرتى معناها رسول السماء (غامبرى ج ١ ص ١٧٧ ، ج ٣ ص ١٨٩) .

وليا لعهدده بسبب عناد ترکان خاتون لجلال الدين واصرارها على تولية
ابنها عهدده .

وحينما فر خوارزم شاه من أمام جنود جنكيز الى العراق لحق
جلال الدين وغيث الدين وركن الدين ثلاثتهم بأبيهم وعين السلطان في
جزيرة آبسكون جلال الدين خلفا له وحث أخويه الآخرين على اطاعة
أمره ، ولم تكن عاصمة خوارزم حتى هذا الوقت قد سقطت في يد
جنكيز خان .

وعاد أبناء خوارزم شاه من مازندران الى خوارزم ولما أعلنت
سلطنة جلال الدين عصى الأتراك المنحازون الى ترکان خاتون وأوزلاغ
شاه الذي كانت أمه أيضا قبجاقية وصمموا على قتل جلال الدين ، فهرب
جلال الدين ، الى خراسان ، وبعد أن هزم بالقرب من مدينة نسا عددا من
المغول عرج الى هراة لقلعة عدد جيشه .

وانشغل السلطان جلال الدين حتى عام (٦٢٨هـ) عام قتله بقتال
جنود المغول وملوك ايران الغربية والجزيرة وخليفة بغداد وملكة الكرج ،
وكان يخرج منتصرا في أكثر هذه الحروب ، حتى لقي الهزيمة في الثامن
والعشرين من رمضان (٦٢٧هـ) من السلطان علاء الدين كيقباد من سلاجقة
الروم (١) على مقربة من أرزنجان فانهزم الى آذربايجان وأرسل جنوده
الى صحراء موغان لينالوا قسما من الراحة وانهمك هو في اللهو واللعب

(١) في عهد علاء الدين كيقباد (٦١٦ — ٦٣٤هـ) امتدت حدود دولة
سلاجقة الروم جنوب الأناضول وشماله الشرقى وشرقه على حساب المسلمين
وغيرهم ، فقد استولى لغايات تجارية على كثير من المدن الحصينة بالساحل
الجنوبى للأناضول مثل أنامور وعلائية وسيرجيشا الى ميناء صوغداق على
القرم وشن غارات قاديبيية على ارمينية الصغرى واستولى في شرق الأناضول
على أرزنجان وأرضروم وخلاط وجالد دولة جلال الدين في ايران وآذربايجان
وحاول الاستيلاء على حلب وشمال سوريا ولكنه ارتد حسيرا . كما حصر
طرايزون وشغل مناطق حتى أونية وأخضع ملكة جورجيا وجدد جميع القلاع
في الشرق أمام الخطر المغولى . (راجع للمترجم رسالته في الدكتوراة جماعات
الفتوة في الأناضول ص ٥٨) .

وشرب الخمر • وفي هذه الأثناء سمع أن المغول يقصدون آذربايجان عن طريق زنجان وقبل أن يصل إلى جنوده باغته المغول بالهجوم فهرب جلال الدين إلى شاطيء نهر الأرس ومنه إلى أورمية فلربما لقي العون من ملوك الولايات الذين كانوا جميعا حائقين عليه خائفين منه ، فلم يساعده أحد منهم ، وأخذ السلطان يطرق هذا الباب وذاك حتى تساقط عليه المغول مرة أخرى قرب ديار بكر ، ومع أن جلال الدين فر بحياته ناجيا حتى حدود ميافارقين إلا أن جماعة من الأكراد قتلتته في الجبال التي حول هذه المدينة في منتصف شوال (٦٢٨هـ) ، وانهارت الأسرة الخوارزمية التي كانت قد سقطت على يد جنكيز خان في بلاد ما وراء النهر وخوارزم وخراسان بقتل السلطان جلال الدين المنكبرنى انهيارا تاما •

ومع أن جلال الدين كان رجلا كثير الشجاعة والجرأة والحلم والقوة إلا أنه لم يقل عن أبيه قسوة وسفكا للدماء وخرقا ، وكان أسوأ من ذلك كله أن اللهو واللعب والشرب كان يفتتنه إلى حد أنه لم يكن يبالي بأي عدو مهما كان مع وجود اللهو والخمر ، وبمجرد ما كان ينفصل عن عدوه ولو قليل انفصال كان يغرق في دنان الخمر وينسى الدنيا وما فيها •

وكان جلال الدين كأبيه أيضا سىء المسلك فظلا حقودا في حق الرعايا والمغلوبين ووقع في عداة الخليفة والاسماعيلية ومملكة الكرجيين والسلطان السلجوقي في بلاد الروم ومملك الجزيرة — وليس له معاون أو مساعد — في نفس واحد في حين أن المغول كانوا من خلفه ، وقد كره شعوب الولايات التي هاجمها في شخصه إلى حد أنه لم يجد منهم عونا وقت الضرورة وكان الناس فيها يفضلون حكم المغول على استيلاء جلال الدين عليهم بل كانوا يستدعون جنود جنكيز عن ميل لانقاذهم من اعتداءات جلال الدين • والخلاصة أن العشر سنوات من كر جلال الدين وفره لم تؤد إلى نتيجة اللهم إلا اجتذاب المغول إلى كثير من البلاد التي كان من الممكن أن تظل بمنجى من شرورهم ومزيد من الخراب وتقتيل الأبرياء •

أسماء السلاطين الخوارزميين وزمان كل منهم

- ١ — قطب الدين محمد بن أنوشتكين غرجه (٤٩٠ — ٥٢٢ هـ)
- ٢ — علاء الدين أبو المظفر أقتز قطب الدين محمد (٥٢٢ — ٥٥١ هـ)
- ٣ — تاج الدين أبو الفتح ايل أرسلان بن أقتز (٥٥١ — ٥٦٧ هـ)
- ٤ — جلال الدين محمود سلطانشاه بن ايل أرسلان
(من رجب ٥٦٧ حتى ربيع الآخر من ٥٦٨ هـ)
- ٥ — علاء الدين تكش بن ايل أرسلان (٥٦٨ — ٥٩٦ هـ)
- ٦ — السلطان علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش (٥٩٦ — ٦١٧ هـ)
- ٧ — جلال الدين منكبرنى بن علاء الدين محمد (٦١٧ — ٦٨٢ هـ)

القسم الثاني

من الغزو المغولي حتى نهاية الدولة التاجارية

الفصل الأول

الفزوة المغولى

أقوام الترك والمغول :-

كان الشعب الأصفر الذى يسمى بين المسلمين بأسماء عامة كالمغول والتتار أو التتر شعبا بدويا يسكن وديان جبال خينكان (Khingan) ويابلونوى (Iablonoi) وسايان (Saian) وأودية أنهار سلنكا (Sélénga) وأرقون (Argonn) وكرولينا (Kéroulen) وما حول بحيرة بايكال أى الناحية الجبلية الواقعة بين الصين ومنتشوريا وسييريا الجنوبية والمنطقة التى تسمى اليوم منغوليا .

ولم كن لهذا الشعب الى وقت ظهور جنكيز خان شهرة فى التاريخ ولا أثر ، لأن التتار قبل هذا الفاتح المسيطر انقسموا على أنفسهم قبائل صغيرة عاشت فى غاقة وانكسار ، ولم يوحد كلمتهم لسواء واحد غير جنكيز خان وجعل منهم بفتوحاته وبما ألحق من تخريب وتدمير قوما ذاع صيتهم فى عالم تلك الأيام .

وكانت أقوام الترك والمغول فى حين ظهور جنكيز تسكن ما بين حدود ايران الشرقية والصين وسييريا الجنوبية فى وديان الجبال والأنهار والواحات الداخلية فى الصحارى وتشعبت الى القبائل التالية :-

١ - قبيلة التتار والقنقرات (١) وكانت تسكن فيما بين شاطئ

(١) القنقرات وصحتها القنقرات تركية بمعنى الحصان الكستنائى (غامبرى ج ٥ ص ١٦٢) .

نهرى أرقون (من شعب نهر آمور) وسلكنا وبلاد قبائل القرغيز شمالاً ،
والصين الشمالية أى الخطا شرقاً ، ومساكن قبائل الأويغور ، فالتفت
جنوباً .

وكانت هاتان القبيلتان من أشد القبائل الصفراء وحشية فى آسيا
الشمالية وكانت تدفع جزية الى أباطرة الصين الشمالية ، ومع أنهما لم
يكونا بذات أهمية قط فى أول الأمر ، إلا أن اسم التتار من بعد ظهور
جنكيز أطلق على كافة القبائل الصفراء التى دخلت فى طاعته وسعى
جيش جنكيز وأتباعه وأصحابه كلهم بالتتار والتتر ، وكانت هذه الكلمة
(التتر) فى الأوقات الأولى لهجوم المغول اسمهم العام ، ثم صار اسم
«المغول» متداولاً لهم .

٢ - قبيلة القيات الصغيرة التى ظهر منها جنكيز خان وكانت
سكانهم على شواطئ الشعب العليا لآمور وجبال قراقروم (٢) أى
يا بلونوى الحالية .

٣ - قبائل الأويرات (٣) والآرلاد والجلالير ما بين نهر أنون (Onon)
وبحيرة بايكال .

٤ - قبيلة الكرائيت الساكنة فى الواحات الشرقية لصحراء
جوبى (٤) وجنوب بحيرة بايكال حتى سور الصين . وكانت هذه القبيلة
أقوى قبائل المغول قاطنة فى القرنين الخامس والسادس الهجريين
وسيطرت على أغلب القبائل حولها ، وقد اعتنق رئيسها المسيحية عام
(٣٩٨ هـ) ومن هذا الحين دخلت المسيحية وحازت شهرة فى أوربا .

(٢) لا ينبغي الخلط بين جبال قراقروم هذه وسلسلة جبال قراقروم
الحالية الواقعة فى شمال كشمير وجنوب كاشغر (سياق) .
(٣) أويرات تركية بمعنى (الحصان الرمادى) (غامبرى ص ١٦٢ ج ٥) .
(٤) جوبى لفظ مغولى معناه (الصحراء الجذباء الخاوية) ولا يستعمل
علما إلا فى القليل (غامبرى ج ١ ص ١٦١) ، ويميل غامبرى (نفس الصفحة
والحاشية) الى أن الكرائيت واشتقاقها غير معروف الى أنها تحريف فارسى
لللمة التركية (كيريت) بمعنى كلب الصيد .

وانتشرت في أناسها أساطير حول هذه القبيلة ورئيسها •

٥ — قبيلة النايما من قبائل الأتراك وكانت تسكن في الوادي الأعلى لنهر أورخون (Orkhon) والسهول حول جبال (آلتائي) والبحيرات في هذه المنطقة ، وقد اعتنقت المسيحية كالكرائيت ومع هذا فقد كانت في قتال ونزال معها دائمين •

٦ — أتراك الأويغور المانوية المذهب وكانوا بوجه عام أكثر قبائل الأتراك والمغول حضارة وكانت مساكنهم في شمال التركستان الشرقية الحالية وشمال بحيرة (لب نور) وحوالي نهر تاريم أي مدن تورفان وبيشبالينغ (قوشان الحالية) وبرقول وقهره شهر •

٧ — أتراك القرلق أو القارلق الذين سكنوا في جنوب مساكن الأويغور وشملت مساكنهم الوادي الأعلى لنهر تاريم كله ، وهم الذين عرفوا في الشعر الفارسي باسم الخلق أو الخرج وبالقائمة المشوقة وجمال الوجه •

٨ — الأتراك القراخطائيون الذين أسسوا حين الغزو المغولي دولة كبيرة بين بلاد الخوارزمشاهيين ومساكن المغول الشرقية وكان أتراك القارلق والأويغور يتبعونهم ويدفعون لهم الجزية • كانت قبائل المغول والأتراك كما قلنا قد انقسموا على أنفسهم قبائل متعددة وان كانت حين ظهور جنكيز قد دخلت طاعة ملك قبيلة الكرائيت باستثناء تلك التي قبلت تبعية أباطرة الصين الشمالية من بين القبائل التي تعيش في الشرق وتلك التي كانت تسكن في غرب بلاد المغول تابعة لأمر الكورخان القراخطائي •

وقد بعث بلوغ جنكيز وأبيه القدرة أن تخلص قبيلة قيات الصغيرة القبائل الساكنة بالغرب أولا من ربة التبعية لحكام الخطا ثم تقضى على الكرائيت والقراخطائيين وتوحد جميع قبائل المغول والترك تحت حكم واحد ثم تهاجم البلاد المتحضرة شرق بلاد المغول وغربها بعونهم ومددهم •

جنكيز خان :

ولد جنكيز خان الذى اسمه المغولى هو (تموجين) (١) فى حدود عام (١١٦٩ هـ) فى مضارب قبيلة قيات أما والده يسوكاى بهادر فهو رئيس هذه القبيلة وخانها وهى من قبائل المغول كما مر • وكان يسوكاى بهادر رجلا فطنا قديرا اذ انه لما بلغ رئاسة قيات أدخل المغول المحاورين لها تحت طاعته وأصاب قدرا من القوة والأهمية الى حد أن امبراطور الصين الشمالية أصيب بالفرع لاتساع قوته وأرسل من يحول دون تقدمه لكن يسوكاى قضى عليهم وسرعان ما تخلصت قبيلته من عار دفع الجزية للصين واستقلت تماما •

وكان عمر تموجين ثلاثة عشر عاما حين لقي أبوه حتفه ، ووقع فى شدة من أمره حينما خلعت جماعة من المغول طاعته فاضطر الى التوجه الى خان قبيلة الكرائيت المسيحية لاستقبله الخان بحفاوة لعلاقات المودة السابقة بينه وبين أبيه واستقرت المودة بينهما فترة ، لكنه لما زادت شوكة تموجين صمم خان الكرائيت أن يتخلص منه بالحيلة حتى لا يغدو فى القابل أسير ند قوى الشكيمة واطلع تموجين على مقصود الخان فهاجر بقومه من بين الكرائيت فلما خف خانهم لتعقبه خر مجندلا فى قتاله معه ، فارتفعت منزلة تموجين ودخل تحت امرته كثرة من قبائل المغول ولقب من هذا التاريخ بجنكيز خان

وفى عام (١٢٠٠ هـ) تغلب جنكيز خان فى جبال الآلتائى على خان قبيلة النايماى كذلك الذى مات بعد فترة قليلة متأثرا بجرح أصيب به فى المعركة وقر ابنه كوجلوك بن تايانك خان خوفا من جنكيز • وبعد هزيمة جنكيز للقرغيز فى (١٢٠٣ هـ) زحف لتأديب كوجلوك خان فى حوالى نهر

(١) لفظ جنكيز خان أو يغورى مكون من مقطعين الأول جنك بمعنى مستقيم أو ثابت أو قوى وكيز بمعنى جبار فيحمل كله على معنى الشديد القوى أو الجبار • وسمى الجوينى صاحب (جهانكشا) — أو فاتح العالم لقب هولاكو — جنكيز خان تيمورجى (غامبرى ص ١٦٢ حاشية ٢ ، ٣) •

ايرتيش من الشعب العليا لنهر أوبى • ولاذ كوجلوك الذى لم يكن يطيق مقاومة جنكيز من أمام جنده الى الكورخان القراخطائى ، فعقد الكرخان له على ابنته وصمم أن يعاونه ليستعيد ملك أبيه •

وقد مضى بنا أن الكورخان القراخطائى وكان معاصرا للسلطان محمد خوارزم شاه قد هاجم سمرقند فى (٦٠٧ هـ) ، وبعد أن هزم عثمان خان سلطان السلاطين من ملوك الافراسيابين وصلحه معه والاستيلاء على بلاد الأويغور عمل على ضرب كوجلوك الذى كان عصاه بدفع من خوارزم شاه • وضاق المانويون الأوريغوريون ، الذين بلغوا شأوا عظيما فى المدينة وكان علما على حضارة الايرانيين القدامى فى عهد الساسانيين فى البلاد المختلفة للتركستان الشرقية ، ذرعا بظلم شحنة الكورخان القراخطائى فوثبوا عليه وقتلوه فاحتفى ملكهم بجنكيز خان وصار الأويغور من هذا الوقت من أتباع جنكيز ، وقد انتشر باختلاطهم بالنتار قوم جنكيز الخط الأوريغورى ، خاصة ، الذى كان أحد شعب الخط السريانى فى المغول ، وصار الأويغور من وقتذاك فما بعده يعلمون سواد المغول وكتابهم الخط الأويغورى ويدونون اللغة المغولية بهذا الخط • وأسر الكورخان أخيرا فى (٦٠٧ هـ) على يد كوجلوك واقتسم الأخير مع خوارزم شاه البلاد القراخطائية ، لكنهما تقاتلا بسبب الخلاف على هذا التقسيم ، وعاد خوارزمشاه بعد مدة من القتال فى البلاد القراخطائية وايداء الناس وتخریب المدن الى خوارزم •

وقد جعل ائهايار دولة الكورخطائين ، التى كانت واقعة بين البلاد الخوارزمشاهية ومساكن المغول وسدا فى الحقيقة يحول دون وصول المغول الى بلاد ما وراء النهر وخوارزم العامرة ، من خوارزمشاه مجاورا للمغول ، ولما مر هذا السلطان فى (٦١٢ هـ) من مدينة جند (من الب. الاد الواقعة على شاطئ سيحون) لقتال جماعات القرغيز والقبجاق صادف مجموعة من جنود جنكيز يقودها ابنه جوجى ، ومع أن المغول كانوا لا يعتزمون قتال خوارزم شاه الا أنه هاجمهم مغترا ومعتبرا أن الكفار

جميعهم سواء • وقد أبرز المغول في هذه الحرب شجاعة فائقة لكنهم آثروا الفرار ليلا لعدم ميلهم الى الحرب ، وعاد خوارزم شاه في صيف (٦١٣هـ) الى سمرقند •

ومع أن هذه الواقعة التي كانت أول لقاء بين خوارزم شاه والمغول لم تكن على أهمية كبيرة الا أنها أرعبت خوارزم شاه لما عاينه من جلادة القتار وشجاعتهم فجعل يتفادى مقابلتهم فيما بعد ذلك حتى موته وكان دائم الانسحاب من أمامهم •

جنكيز خان وخوارزم شاه :

فكر السلطان محمد خوارزم شاه بعدما أصاب من انتصارات في آسيا المركزية أن يسيطر على الصين وبعد أن وصلتته انباء استيلاء جنكيز على بلاد الأويغور ثم على مدينة بكين عاصمة الصين الشمالية في (٦١٢هـ) أنفذ بعثة الى الصين للتحقق من صدق هذه الأنباء • واستقبل جنكيز مبعوثي خوارزم شاه باحترام وأرسل الى السلطان رسالة معهم ذكر فيها أنه يميل الى أن يستقر الصلح والصفاء بين الطرفين على الدوام وأن تتردد بين البلاد الخوارزمية والجنكيزية دائما القوافل والتجار ويتم تبادل السلع بين البلدين •

وبعد أن تجاوزت الدولتان المذكورتان على اثر انتصارات خوارزم شاه في صحراء القرغيز وزوال الدولة القراخائية وتقدم جنكيز بدوره في جبال آلتائي وتيانشان وبحيرتي بلخاش وايسى كول ، وصل بضعة نفر من التجار المسلمين الى بلاط جنكيز ومعهم بعض المنسوجات المذهبة فأجزل الخان لهم الحطاء نظير بضائعهم وأرسل برفقتهم جماعة من تجار رعيته الى خوارزم حملها أيضا هدايا الى خوارزم شاه • واستقبل الأخير وفدة جنكيز في (٦١٥هـ) بعد أن عاد من العراق فأدوا اليه هداياه • ومع أن خوارزم شاه غضب أول الأمر لأن جنكيز

خاطبه على أنه ابنه الا أنه أخيرا بناء على نصيح حسن لأحد رسل الخان قبل معاهدته وقرر الطرفان أن يتصل جبل المودة بينهما من ذاك الحين فصاعداً وأن يصادقا من صادقهما ويعاديا من عاداهما • أما الذي عقد هذه المعاهدة ممثلاً لجنكيز فقد كان أحد مسلمي ما وراء النهر واسمه محمود الذي لقب بعد بيلواج أي السفير (١) •

وبعد عقد هذه المعاهدة تحرك جمع كبير من تجار المغول (ما بين أربعمائة وخمسين وخمسمائة) ومعهم قدر عظيم من البضاعة القيمة من بلاد المغول الى ما وراء النهر • وطمع أمير مدينة أترار (على شاطئ سيحون) وهي أول مدينة من بلاد خوارزم شاه وهو غاير خان في أموال هؤلاء التجار وكان من ذوي قرابة ترکان خاتون أم السلطان ، وأفهم السلطان أنهم جواسيس ، ثم قتلهم عن بكرة أبيهم غير واحد هرب الى جنكيز واستولى على ما معهم •

ولما بلغت أخبار هذه الواقعة الهائلة جنكيز أرسل الى السلطان محمد سفيرا طلب اليه أن يسلم اليه غاير خان الذي ارتكب هذا الفعل القبيح • وكان أكثرية جيش محمد من الترك من قبيلة غاير خان ومن التابعين له وكانت أم السلطان تحمي هذا الأخير فلم يستطع محمد تسليمه لذاك السبب ولنفوذ أمه الذي تعدى الحدود بل أقدم على قتل رسول جنكيز أيضا ، فزاد من حنق خان المغول بسفاهته هذه عن ذي قبل ، واجتذب بيده الآثمة سيل هجوم المغول على بلاد الاسلام العامة •

انهيار دولة النايमान والهجوم على البلاد الخوارزمية :

وقبل أن ينتقم جنكيز لمقتل رسله ورعيته التجار من خوارزم شاه اتجه أولا الى ازالة كوجلوك خان الذي كان يصب على الرعية في كاشغر والختن الايذاء ويبعث الفتن والفساد فأرسل قائده المعروف جبه نويان

(١) كلمة أويغورية أصلها يولاج (غامبري ج ٣ ص ١٥٨) •

بجيش عظيم الى كاشغر ، وتمكن جبهه بعون مسلميها الذين فاض بهم ظلم ملك النايमान من أن يهزم الأخير الذى قتل أثناء فراره في برخشسان وانهارت دولته في (٦١٥ هـ) وقبلت جميع التركستان الشرقية طاعة جنكيز ، ولم يكن جنكيز وصحبه يدينون بأى دين فزال سبب الحساق الأذى بالرعية من أجل الدين ولذلك استقبل المسلمون سيطرتهم بشديد الفرح .

أما خوارزم شاه فقد شق عليه قتل جنكيز كوجلوك وادالة دولته لأنه كان في رعب قبل سنوات من اللقاء مع كوجلوك وكان يأمر الناس بتخريب البلاد التى كانت تقع على الحدود معه حتى يستشكل الطريق على حملاته . وقد أدرك بعد هزيمته بهذا اليسر على يد أحد قواد جيش جنكيز أن قدرة المغول الحربية أعظم مما كان يظنه وأنه وقع في عداء ند قوى المراس ربما لم يقابل نظيره حتى وقته ذاك .

وفي خريف عام (٦١٦ هـ) بعد أن أخذ جنكيز كامل أهفته تحرك بجيش قدره المؤرخون المسلمون ما بين ستمائة ألف وسبعمائة ألف والباحثون من مائة وخمسين ألفا ومائتى ألف من وادى سيحون الأسفل وتحت بحيرة الآرال (بحيرة خوارزم) للهجوم على ممالك السلطان الخوارزمى . وكانت عدة جيش خوارزم شاه تفوق عدته مع جنكيز بمراتب لكنه لم يكن متآلفا متحدا تجمع أفراده وقد كانوا من عناصر مختلفة وأقوام متباينة الوشائج القوية ولم يجتمع تحت ادارة ونظام صحيحين فضلا عن الخلاف الكبير الذى ثار بين قواد الجيش والأمراء الخوارزمشاهيين بشأن خطة الدفاع فقد قالت جماعة بوجوب مقابلة جنكيز على شاطئ سيحون ، واعتقدت جماعة أخرى أن لقاءه أيسر في ما وراء النهر وذهبت جماعة ثالثة الى توجب اخلاء بلاد ما وراء النهر وإيران وصد المغول في الهند وفوق هذا النقص العظيم فقد انحاز جمع كبير من حاشية السلطان وامرائه سرا الى جنكيز وكانوا يطلعون خفية

على خطط خوارزم شاه وذلك بسبب سوء سياسته وأعمال سفكه إذا لم يدع دولة ولا ملكا صاحب قوة وصار أكثر الكبار القواد. الشجعان بين قتيل، على يديه أو ملقى في السجن • وكان جنكيز نفسه على اطلاع دائم بما يجري في بلاط خوارزم شاه وبلاده عن طريق التجار والجواسيس وكان يخطو بخطى بصيرة ومحسوبة الى حد عظيم في طريق فتح البلاد الخوارزمية •

وفي شهر رجب (٦١٦هـ) وقف جيش جنكيز مقابل قلعة أترار أول ما واجهه من بلاد خوارزم شاه من ناحية الشرق متأهبا • وفي هذه النقطة قسم جنكيز جيشه أربعة أقسام على النحو التالي :

١ - أمر سبعة تومانات أو سبعين ألفا منهم بقيادة جغتاي وأوكداي أو أكتاي ولديه بفتح أترار (١) •

٢ - ترك قسما آخر الى ابن له ثالث هو جوجي أو توشي (٢) وعهد اليه بفتح بلاد شاطي سيحون •

٣ - وأمر خمسة آلاف أيضا بالاستيلاء على مدينتي خجند وبنாகت من بلاد ما وراء النهر •

٤ - أما القسم الأعظم من جيش المغولي بقيادة جنكيز يرافقه ابنه الرابع تولوي أو تولي فقد أخذ طريقه الى بخارى ليفصم ارتباط الجيش الخوارزمي فيما وراء النهر بخوارزم •

فتح بخارى في (٦١٦هـ) :

عبر جنكيز نهر سيحون وكان أول ما واجهه مدينة زرنوق من القلاع الشمالية لبخارى ولم ينتو أهلها من أول الأمر المقاومة فاستسلموا وأمنهم

(١) التومان عدد مغولي يساوي عشرة آلاف •

(٢) ويدعى أيضا سوداي أو سونتاي أو سوبوتاي (غامبري ج ٢

ص ١٦٤) •

جنكيز واصطحبهم معهم (حشرا) ، والحشر في ذلك الحين هم الجنود غير المنتظمين الذين كان يستفاد بهم في الأعمال غير الحربية مثل تسوية الخنادق بالأرض بملئها بالتراب وجمع الأحجار والأخشاب لسد الأنهار وتخريب القلاع وما إليها .

وبعد أن استولى جنكيز على قلعة زرنوق ثم ألحق بها قلعة نور على مسافة اثني عشر فرسخا شمال بخارى اقترب جيشه في غرة ذي الحجة (٦١٦ هـ) من بوابة بخارى فحاصروها حيث كان يعسكر بها من الجيش الخوارزمي العام عسكر عظيم .

وغلّب الخوارزميون بعد أيام ثلاثة من الحصار والقتال ولم ير أهل المدينة مناصا من التسليم فتساقط المغول في الرابع من ذي الحجة على هذه المدينة العامرة التي كانت أفضل وأهم مدن ما وراء النهر . وفي دخول المغول بخارى أمر جنكيز باحراقها لما أبداه حراس قلعتها من شديد المقاومة فاحترقت المدينة بأجمعها لأن منازلها كانت مشيدة بالخشب إلا بعض القصور والمسجد الجامع التي بنيت بالحجر . ورحل المغول أهل المدينة الى خارجها وأخذوا ثيابها حشرا وتفرق من طلب الأمان لحياتهم في كل حدب وصوب . وسئل أحد الفارين من بخارى عن حالها بعد استيلاء المغول فأجاب (أتوا وخربوا وأحرقوا وقتلوا ونهبوا وذهبوا) .

واستدعى جنكيز بعد دخوله بخارى عددا من كبارها وتجارها وقال لهم ان غرضي من جمعكم هو أننى أريد البضائع الفضية والذهبية التي باعها خوارزم شاه لكم عن طريق غاير خان بعد قتل تجار المغول لأن هذه الأشياء ملكى وملك شعبي ، فقدم له التجار ما بحوزتهم منها ، وأثبت هذا تدخل خوارزم شاه المباشر في قتل تجار المغول ومسئوليته في إثارة غضب جنكيز .

فتح سمرقند في (٦١٧هـ) :

وبعد أن خرب جنكيز بخارى تحرك صوب سمرقند وقاد من أهل بخارى جمعا عظيما باذلال كبير حتى يتصور أهل سمرقند أنهم من ضمن جيشه فيفزعون لضخامته ، ففعل هذا التخطيط فعل السحر وأزل من أقدام شعب سمرقند مع أن عددا ضخما من الجيش الخوارزمي كان مرابطا بالمدينة (من خمسين ألفا الى عشرة ومائة ألف باختلاف الرواية) لاسيما وأن الجيش الخوارزمي كان يتفادى مواجهة المغول . الا أن أهل سمرقند لم يسكتوا عن الدفاع عن مدينتهم فأبدوا مقاومة شجاعة لثلاثة أيام وخرجوا في اليوم الثالث عن المدينة وهاجموا المغول . وتقهقر المغول أولا أمامهم وما أن اقترب المسلمون الى كمائن المغول حتى تقاطروا عليهم من كل جانب فأهلكوا أكثرهم . أما الجنود الأتراك الخوارزمشاهيون فقد استأنفوا المغول . ودخل جنكيز في العاشر من المحرم (٦١٧هـ) المدينة وبعد أن خرب قصر الحاكم بها أمر بالقتل والنهب ، وعامل سمرقند بما عامل به بخارى من قبل .

فتح بقية ما وراء النهر :

وفي الوقت الذي كان جنكيز فيه منصرفا الى فتح بخارى وسمرقند كانت الجماعة التي أمرها من جيشه بفتح أترار تهاجم هذه القلعة المحكمة بانتظام ، وقد أبدت أترار مقاومة أشد من البلاد الأخرى فيما وراء النهر لأن حصارها استغرق نحو خمسة شهور ، واستبسل غاير خان ، الذي يجوز أنه المسبب الحقيقي لهجوم جنكيز على البلاد الخوارزمية ولذا لا يمكن بأي حال قط أن يستسلم للمغول ، في الدفاع بشجاعة فائقة أمام المغول ومعه الجند الذين أمده خوارزم شاه بهم والمدد الذي بعث به اليه . ذلك . وفي النهاية خانه أحد قواد خوارزم شاه الذي كان قد أتى لمده واسمه (قراجة خاص) ولحق بجغتاي واوكتاي الا أن ولدي جنكيز أهلكاه لخيانته ولى نعمته . ومع هذا استمر غاير خان في المقاومة ما بقى

معه جند وصحب ، وأخيرا لم يبق معه أكثر من جنديين فلاذ بسقوط القلعة
وأخذ يدفع عن نفسه بقطع الحجارة التي كانت بعض الجوارى يقتلعنها
من حائط القلعة ويعطينها له ، ووقع بهذا الحال في قبضة المغول فقتل ولدا
جنكيز هذا الرجل الشجاع ووضعوا السيف في أهل مدينة أترار .

أما جنود جوجي الذين أمروا بفتح البلاد الواقعة على نهر سيحون
فقد استولوا بعد سبعة أيام من الحصار على سقناق أول الأمر وكانت
تقع على بعد أربعة وعشرين فرسخا من أترار ثم قاموا بتخريبها . وفي
صفر (٥٦١٧ هـ) حاصروا جند. ولم يقاوموهم أهلها كثيرا فدخلها جوجي
منتصرا وانتصر إلى التائب لفتح الجرجانية عاصمة خوارزم شاه ليكمل
مهمته .

ويسم الجيش الأول لجنكيز خان بقيادة (ألغ نويان) بعد أن
استراح من تعبته في فتح بخارى وسمرقند وأترار شطر بلاد ما وراء النهر
الأخرى مثل بناكت وخجند وفرغانة لفتحها . ولم يظهر مقاومة شديدة
إلا من خجند من بين هذه المدن فقد قاتل حاكمها (تيمور ملك) وكان من
أكثر أمراء خوارزم شاه شجاعة بألف مقاتل كان كل ما لديه المغول يبطولة
على شاطئ سيحون وأهلك فيهم كثيرا . وفي النهاية لما أدرك أنه لن يظفر
عليهم تقهقر عن طريق النهر إلى بناكت ومنها إلى خوارزم ثم لحق في
خراسان بجيش خوارزم شاه .

عبور المغول جيحون وتعقب خوارزم شاه :

بعد فتح سمرقند أعاد جنكيز تقسيم قواته إلى أقسام عدة أمر كل
قسم منها بالاستيلاء على الولايات التي لم تفتح بعد من بلاد خوارزم شاه
على النحو التالي :

١ - أرسل ثلاثة تومانات أو ثلاثين ألفا بقيادة (جبه) أو (يمه) .
(سبتاي بهادر) و (تغاجار) لتعقب خوارزم شاه في خراسان وأمرهم

بعندم التوقف فى الطريق لأى سبب كان وألا يكتفوا حتى يمسكوا بخوارزم شاه وألا يهاجموا البلاد التى بطريقهم وبفرض أنه توقف عن المقاومة الرؤيته عدم قدرته على مقلوبتهم لابد أن يطلعوه على الأمر .

٢ - بعث ابنه الأكبرين جغتاي وأوكتاي بجيش كبير الى الجرجانية قسبة الخوارزميين وولاية خوارزم وأمر ابنه الآخر جوجى أيضا أن يخف الى عون أخويه من جند .

٣ - أمر عددا غير كبير من جنوده يقودهم ألاغ نويان ويسابور أن يسيطر على الوادى الأعلى لجيخون أى الوخشان والطالقان . أما جنكيز فقد أمضى أيام الصيف فى جوالى (نخشب) حتى يستريح جنوده بعضا من الوقت وينتهي خيل الجيش للقتال القادم .

وكان السلطان محمد خوارزم شاه الذى لم يكف عن الفرار أمام جيش جنكيز فى هذا الوقت ببلخ ولما سمع بخبر تضاعفها وراء النهر واقترب الحملة المغولية من خوارزم قصد العراق يلجئ دعوة ابنه ركن الدين لغله يدبر وسيلة أو أمرا ليمنع تقدم المغول . وبوصول جيش جبهه وسبتاي وتغاجار الى شاطيء جيخون سالك جمع من الجنود القراخانيين وأمراء خوارزم شاه سبيل الخيانة وانحازوا الى المغول ، وأسرع المغول بعد عبور هذا النهر فى ربيع الأول (٦١٧هـ) والسيطرة على بلخ الى هرات لكنهم لم يتعرضوا اليها بشيء لأن حاكمها كان قد قبل طاعة جنكيز فتقدموا نحو طوس .

ولم يكن بالسلطان محمد لشدة خوفه أى هدوء للاستقرار فى أى بلد فأخذ ينتقل بين نيشابور وبسطام والرى ولما سمع أن ابنه ركن الدين يراى فى قلعة (غريزىن) من قلاع مدينة الكرج بثلاثين ألف جندي توجه اليه .

وكان بإمكان خوارزم شاه فى هذه المدينة أن يقضى بسهولة بما معه من جنود وبمدد ابنه والأمراء الآخرين على جند سبتاي وجبه القلة المنهكة، الا أن الخوف من المغول للأسف أزال عنه تماما عنان السيطرة على

أنفسه حتى أن سوء تدبيره الذى بلى به لسوء حظه لم يسمح له أن يفيد من هذه الفرصة السانحة بل أنه أرسل وهو فى حالة من الهروب السريع بحريمه الى ابنه الثانى غياث الدين فى قلعة قارون من قلاع الألبرز الداخلية ، وفشل أمراء العراق فى حثهم المتكرر له على مقاومة المغول وقتالهم فى جبال لورستان ، خاصة وأن الأتابك نصره الدين أحمد أتابك لورستان المشهور طلب الى السلطان أن يأتى أحد المعابر الضيقة بين لورستان وفارس لكى يجمع له من قبائل فارس واللور نحو عشرة آلاف جندي فيسددوا الطريق على المغول ويقضوا عليهم الا أن السلطان التمس رفض هذا العرض وحمله على أنه تحايل منه لضرب أتابك فارس عدوه فعاد نصره الدين أحمد الى بلاده من شدة يأسه وكان أن وصل وقتذاك خبر بلوغ جبهه وسبتاي مدينة الري .

نهاية السلطان محمد خوارزم شاه :

انقسم فى طوس الجيش المغولى قسمين سلك سبتاي عن طريق الدامغان وسمنان طريقه الى الري وأخذ جبهه طريقه الى مازندران فوصل عن طريق دماوند الى الري بعد نهبه مدن طبرستان خاصة آمل .

وفى الري ترامت الى المغول أنباء تحرك خوارزم شاه من همدان الى مازندران فاتجهوا بعد القتل والسلب فى الري الى همدان على أخف من الريح وواجهوا على مقربة من دولت آباد بملاير جنود السلطان فأهلكوا كثرة منهم حتى جواد خوارزم شاه نفسه أصيب بسهم الا أن المغول لم ينشطوا كثيرا فى تعقبه لعدم معرفتهم له فأسرع خوارزم شاه ووصل الى قلعة قارون وكان يقصد الى الهروب الى بغداد ، الا أن المغول حلوا كموت الفجاءة ، فتوجه السلطان وقد سيطر عليه الفرع العظيم الى قلعة (سرجهان) على خمسة فراسخ من السلطانية الحالية فى سفوح جبال طارم ، وترك المغول تعقبه لجهلهم الاتجاه الذى سلك اليه السلطان .

وأقام خوارزم شاه سبعا في سرجهان وتركها الى جيلان ومنها الى مازندران فاحتفى به أمراؤها ما عدا الاصبهبد (كبود جامه) — أو صاحب الرداء الأزرق — الذى كان يتأمر على جنوب مرداب بأستراباذ ، فكان يحفظ عليه احنة قتله عمه وابن عمه فتحالف مع المغول ضده فلما علم خوارزم شاه أن المغول عرفوا مقامه ركب سفينة ليلوذ بجزيرة آبسكون احدى الجزر الواقعة على لسان نهر جرجان داخل بحر الخرز (١) ، فحل المغول وأمطروا سفينة السلطان بوابل من سهامهم لكنهم فشلوا في تعقبه لعدم السفن معهم •

وسمع السلطان في وصوله هذه الجزيرة وكان مصابا بعلّة (ذات الجنب) (٢) أن المغول تمكنوا من قلعة قازون وقتلوا أبناءه الصغار واستبوا حريمه فأعجزه شدة المرض وسماعه هذه الفاجعة سريعا فلفظ آخر أنفاسه في جزيرة آبسكون في شوال من (٦١٧ هـ) هذا السلطان بمثل تلك العظمة في الشأن والموسعة في الدولة حال أنه لم يكن عنده ما يكفى به فكفى بقميص أحد رفقته • وحينما تسلطن جلال الدين ابنه على ايران أمر أن ينقل رفاتة من جزيرة آبسكون الى قلعة (اردهن) • وبعد أن قتل أمر أوكتائى ولد جنكيز أن يستخرج رفات السلطان من القلعة أيضا وأن يحرق •

واقعة خوارزم وفتحها في (٦١٨ هـ) :

ومع أن قصد جنكيز الرئيسى تعقبه للسلطان الخوارزمى واستئصال شأفته وانهاء أمره الا أن الاستيلاء على عاصمة الخوارزمشاهيين والقبض على تركان خاتون أم السلطان وسائر الأمراء كانت من الأمور التى عدها

(١) يرى هامبرى ان الجزيرة التى لجأ اليها السلطان محمد وبها مات ليست آبسكون وانما اغوردجالي أو جيركن الحالية (تاريخ بخارى ح ٣ ص ١٧٧) •

(٢) ورم يصيب الحجاب الصدرى من ناحية الجنب ويصاحبه سعال شديد وضيق في النفس والحمى وآلام شديدة بالجنب •

خان المغول هامة من كل ناحية •

كانت خوارزم. وهي مملكة الخوارزميين الأصلية تحت حكم أم السلطان. ترکان خاتون وأترک القنقلی ، وكانت هذه الجماعة بمكنتها أن تنزل بجيش جنکيز المهاجم في مثل هذا الموقع الذي كان قلب الممالك الخوارزمية الويلات لكن شيخوخة ترکان خاتون وما نزل بها من مصائب من ناحية والاتشفاق بين الأمراء وقواد الجيش من ناحية أخرى حال دون هذا الأمر •

وحينما كان جنکيز بما وراء النهر أرسل (دانشمند حاجب) أحد مستشاريه بسفارة الى ترکان خاتون وسلمها خطابه الذي يقول فيه انه يقاتل خوارزم شاه وحده ولا يفكر أبدا في التعرض الى البلاد التي تحت ادارتها ويريد منها أن تبعث بأحد من تنثق بهم اليه حتى يسلم الى الملكة حكم خوارزم وخراسان ومضافاتهما •

ولم تخالج ترکان خاتون أدنى خالجة اطمئنان نحو مقترح جنکيز وما ان سمعت أن خوارزم شاه قد عبر جيحون وأخلى ما وراء النهر حتى جمعت حريم السلطان وأطفاله الصغار ونفائس خزائنه وغادرت خوارزم وقبل أن تتركها أغرقت في ماء جيحون جماعة من وجوه الكبار والأمراء والنجباء كان خوارزم شاه قد قبض عليهم أيام مقامه بخوارزم وألقى بهم في حبسها اعتقادا منها بأن فتنة المغول سرعان ما سوف تزول وتستقر سلطنة خوارزم شاه فلا يشعرون وقتذاك عليه •

وبعد أن غادرت ترکان خاتون خوارزم بقي جمع من الأمراء وقواد الجيش في الجرجانية عاصمة السلطان محمد وانتهت أزمة أمور المملكة الى شخص لم يكن لديه أدنى خبرة أو كفاءة لها فزادت الأمور اختلالا واتسع الشقاق في الناس وصارت الأموال الديوانية نهب المختلسين وظل هذا الحال الى أن قدم خوارزم عاملان من نواب ديوان خوارزم شاه فأداراه باسم السلطان ، وبعد قليل من وصولهما وصل أيضا أبناء

السلطان محمد وهم جلال الدين، وأوزلاغ شاه وآق شاهر بعد دفن والمدهم
بجزيرة آبسكون عن طريق بحر الخرز إلى خوارزم فأغلموا الرعية بموت
السلطان .

وكان خوارزم شاه في كل الفترة التي ظل أسير رأى أمه تركان
خاتون قد ولي ابنه قطب الدين أوزلاغ شاه عهده بناء على ميلها ، لكنه
بعد أن سمع بأسر أمه وهو بجزيرة آبسكون وأحس بدنو أجله أيضا
طلب إليه جلال الدين وأخويه وكانوا حاضريه فولى جلال الدين عهده
وأمر أخويه بطاعته والانقياد له .

وبعد دخول أولاد خوارزم شاه خوارزم وإذاعة ولاية جلال الدين
العهد. وخلق أوزلاغ شاه رخص الأُمراء الأتراك هذا القرار وأعلن أكثرهم
قوة وهو قتلخ خان وكان طوع أمره سبعة آلاف جندي. خلاف جلال الدين
وصمم ومن شايه على حبسه أو قتله .

وانظر جلال الدين والحال هذه إلى الفرار إلى خراسان وبصحبته
ثلاثمائة فارس وتيمور ملك أمير خجند السابق الذي كان قد عاد إلى
خوارزم قرب هذا الوقت وأنزل بجند المغول هزيمة في خوالي هذه
المنطقة ، وبعد ثلاثة أيام من فرار جلال الدين أخلى أوزلاغ شاه
وأمد شاه جرجانية خوفا من دنو المغول إليها وعجلا إلى خراسان .

ولما رطل أولاد خوارزم شاه اجتمع أمراء مملكة خوارزم شاه
بوجيشنه وكانوا يحكمون على تسعين ألفا من الأتراك القنلقين على تنصيب
أحد أقارب تركان خاتون وهو خمار تكين على السلطنة وقبل للجميع
طاغطة محكمه .

وحشد جنكيز معظم جيشه على أكثر من جانب لخوارزم لأنه كان
مطلعا على أهمية موقعها وكثرة سكانها وعمارها وقوة أترك القنقلي
وتشجاعة أهلها . فقد أمر جيش جغتاي وأوكتاي بالتحرك إلى الجرجانية
من ناحية الجنوب الشرقي أي من ناحية بخارى ووجه جوجي من ناحية

أخرى وكان بحوالى جند أن يرسل جنده لد جغتای وأوكتای وبعث هو نفسه بخاصة جيشه الى الجرجانية عقبهم فبلغ عدد الجيش المغولى خلاف جنود جوجى مائة ألف •

وحینما اقتربت طلائع جيش جنکيز الى أبواب مدينة الجرجانية ظن أهلها أن ما يرونها من المغول هم كل ما مع خانهم فاستجمعوا شجاعتهم وهاجموهم فتقهقر المغول وتعتبهم أهل خوارزم وما أن سحبوهم الى فرسخ عن المدينة حتى أحاط بهم كل جيش المغول العظيم وأعملوا فيهم القتل فلم تغرب الشمس حتى قتل جمع كثير منهم وعادت بقيتهم الى المدينة منهزمة •

وفي اليوم التالى بلغ أوكتای وجغتای المدينة فحصرها ودعيا أهلها أولا الى الطاعة فلم يجبههم أحد فنصبوا منجنيقاتهم وصبوا على الناس أحجارهم وأخشابهم ، ولم يكن حول خوارزم حجارة كثيرة فانصرف المغول الى تقطيع أشجار التوت وكانت كثيرة وافرة لأن الخوارزميين كانوا يزرعونها لديدان الحرير ثم تركوها فى الماء حتى تصلبت ثم أشعلوها نارا وطفقوا يقذفون المدينة بها بالمنجنيقات •

وما أن وصل جنود جوجى حتى أحاطوا بالمدينة من كل جانب ، وخطب جوجى أهلها بأنهم لو سلموا يأمّنوا ، ولكن أهالى الجرجانية لم يسمعوا له مع أن السلطان محمدا كتب اليهم من جزيرة أبسكون قبل وفاته يدعوهم الى مسالة المغول والكف عن قتالهم فجدوا فى سعيهم الى الثبات والدفاع • وأخيرا أمر جنکيز الأسرى من الحشر المرافقين لجيشه أن يهيلوا التراب فى خندق المدينة المملوء بالماء فى مدة عشرة أيام ويحطموا قلاعها وأسوارها •

وقد أفزعت أعمال المغول خمارتكين افزاعا شديدا فكف عن المقاومة وخرج من المدينة واستسلم لجند المغول ، ومع أن خيانتة هذه قد خلفت فى قلوب أهل الجرجانية ضعفا ووهنا الا أنهم مع هذا لم يرضوا بعمار

الاستسلام فأجبر جند جنكيز على أن يخرجوا عن أيدي الرعية البناسلة
عاصمة خوارزم شاه بعنت شديد محلة محلة وشارعا وشارعا وانقسم جند
المغول ما بين محارب لهم بالسهام ومحرق لدورهم بالزجاجات المليئة
بالنفط .

وقد دام القتال على هذا النحو بضعة أيام ولم تستسلم المدينة ،
ففكر المغول في حيلة أخرى ولجأوا الى تحطيم سد جيحون واطلاق مائه
على مدينة الجرجانية ، وقبل أن يتم عملهم انقض حراس جسر المدينة
وهم الذين شيدوه على ثلاثة آلاف من المغول فأفنؤهم عن بكرة أبيهم ،
فنفخ هذا النصر في أهالي الجرجانية قوة جديدة وزادتهم جلادة في القتال
وصبرا على تحمل المصيبة .

وأخيرا تمكن المغول من تسوية المدينة بالأرض الا ثلاث محلات
اعتصم بها من بقى من أهل الجرجانية العاجزين من السيف وأرسلوا
محتسب المدينة الى جوجى يطلبون الأمان فرفض لأن طلبهم جاء متأخرا
عن مواعده المناسب وأمر باخراج البقية من الرعية خارج المدينة ، ففصلوا
منهم أرباب الحرف والصناعة وكانوا يبلغون مائة ألف وأرسلوهم الى
البلاد الشرقية التى تحت أمرهم ، واستبقى قادة المغول النساء والأطفال
وأعملوا في الرجال السيف بأن قسموهم على الجنود وذكر أنه أصاب كل
جندى مغولى في هذه القسمة أربعة وعشرون رجلا .

وبعد أن أنهى جنكيز أمر الأهالي وبسح المدينة نهبا وسلبا فهدم ما لم
يصبه التخريب وهكذا فنت وزالت تلك المدينة التى لم يكن يناظرها في
تلك الأيام مدينة من حيث عمارها وكثرة سكانها وأهميتها وكانت تحكم في
عهد السلطان محمد على العالم الممتد من صحراء جوبى والتبت شرقا
حتى العراق العربى وخليج فارس .

وقد بلغ حصار جرجانية نحو أربعة أشهر من ذى القعدة (٦١٧هـ)
الى صفر (٦١٨هـ) ولم يبق حيا من أهلها أحد وقد بلغ القتلى عددا جعل

مضلمته المؤرخين يمتنعون عن ذكره ولا يصدقونه * وكان من بين من
قتل في هذه الواقعة للشيخ، نجم الدين الكبرى العالم والعارف المعروف
وسنوقه فذكر له ترجمة في الفصول التالية *

وكانت إحدى أسباب طول حصار الجرجانية فضلا عن ثبات أهلها
الشيعة أن جوجي بن جنكيز لم يكن يميل إلى إلحاق التخريب الكثير
بها لأنه يقرر أن تكون ضمن مملكته القادمة لهذا لم يتعرض للمدينة
أثناء مدة الحصار ووقع الخلاف بشأن ذلك بينه وبين أخيه جغتاي ولما
علم جنكيز جعل جيوش جوجي وجغتاي وأوكتاي تحت أمر الأخير *
وبعد فتح خوارزم تركها إلى جوجي وطلب إليه جغتاي وأوكتاي فبلغاه
وهو يحاصر الطالقان *

نهاية ترکان خاتون :-

بعد أن قتلت ترکان خاتون أم خوارزم شاه الأمراء والملوك والاعيان
الذين تم حبسهم من قبل ابنها في خوارزم رحلت عنها بطريق الصحراء
ومعها حريم السلطان وأولاده الصغار ونظام الملك ناصر الدين محمد بن
صالح الوزير متجهة إلى خراسان ومنها إلى مازندران وتحصنت بقلعة
اللال (لال) من قلاع ولاية لاريجان *

وضرب المغول حصارهم لهذه القلعة في أوائل عام (٦١٧هـ) واستمروا
يحاصرونها أربعة أشهر وفي النهاية اضطرت ترکان خاتون ونظام الملك
الوزير الفقدان للماء إلى التسليم فزبطوا منها واستسلم الجميع إلى
الجيش المغولي * وأرسل المغول بترکان خاتون ونظام الملك الوزير
وحريم خوارزم شاه وأولاده إلى جنكيز عند الطالقان فأورد الوزير
وأبناء السلطان الصغار في (٦١٨هـ) مورد القتل واحتفظ بعشاته خوارزم
شاه ونسائه وأخواته مع ترکان خاتون وأمرهن أن يتدبن موت السلطان
بصوت عال وقت رجليهن ، ولما هزم بعد ذلك السلطان جلال الدين
المنكبرني في حوالى نهر السند استبى حريمه أيضا فأرسلهن مع حريم

أبيه إلى قراقروم وظلت تركان خاتون بهذه المدينة إلى أن لقيت حتفها في (٦٣٠هـ) . وأمر المغول بنات خوارزم شاه بخدمة الأمراء المسلمين الذين هم في طوعهم بخدمتهم والقروج بهم إلا (خان سلطان) زوج نصرة الدين عثمان خان سلطان السلاطين القراخانيين التي اصطفاها جوجي لنفسه .

فتح خراسان وظهور السلطان جلال الدين المنكبرني :

مكث جنكيز أياما عدة بعد فتحه سمرقند فيما حول جيحون وسمرقند ، وعمل جنده في خوارزم آنذاك بالاستيلاء عليها وتوجهت جماعة أخرى إلى السيطرة على ما لم يسيطر عليه من بلاد ولاية فرغانة . وأثناء إقامة جنكيز بسمرقند لأذ أولاد السلطان محمد وهم جلال الدين وأوزلاغ شاه وآق شاه بالفرار من خوارزم ، وبلغ جلال الدين الذي كان أسرع من أخويه في تركه خوارزم مدينة نسا ومعه ثلاثمائة فارس وتيمور ملك والي خجند السابق ، ولا سمح جنكيز بفرار أولاد السلطان أرسل من خلفهم جندا يتعقبونهم كثيفا فمكثوا يرقبون الطرق من مرو إلى شهرستانه .

ولاقى جلال الدين الذي جاء عن طريق صحراء خوارزم سبعمائة جندي مغولي فقصى عليهم في هجوم واحد واستولى على خيلهم وسلاحهم وقتل من استطاع الفرار منهم حتى من لجأ من هؤلاء المغول إلى الاعتصام خوفا بترع نسا أخرجهم منها الزراع وقطعوا أعناقهم على الملأ العام .

وبعد أن اغتتم جلال الدين مؤن المغول وأسلحتهم وخيلهم استعد بفرسانه لبلوغ نيشابور فوصل إليها معجلا إلا أن أخويه اللذين وصلا ولاية أستو (قوشان) وقعا في قبضة المغول فقتلوهما واستولوا على ما معهما من جواهر ونفائس قيمة وباعوها بثمن بخس دراهم معدودة إلى سكان هذه المنطقة .

ولما لم يتمكن جلال الدين مع أنه انتصر ذلك النصر أن يجمع في خراسان جندا كافيا تركها بعد مدة قليلة من اقامته بنيشابور الى مدينة زوزن (بولاية قهستان على بعد ثلاثة أيام سير من قاين) فلم يوافقها أهلها أو يسمحوا له بدخولها فاضطر الى العروج الى مدينة بست ومنها الى هراة .

وتقدم جنكيز من سمرقند الى نخشب ومنها الى قلعة ترمذ فدعا أهلها الى الطاعة فرفضوها وقاتلوا جنده أحد عشر يوما وأهلكوا كثرة من جيشه الى استبد بهم العجز فغلبوا فاستولى جنكيز على ترمذ وأفنى جميع أهلها .

وعبر جنكيز بعد الاستيلاء على نخشب وترمذ جيحون وتقدم الى بلخ والطالقان بنفسه وأرسل بعض جيشه الى طخارستان . وسلمت له مدينة بلخ وكانت من أمهات بلاد خراسان لكنه بسبب ظهور جلال الدين واستظهار شعب خراسان به لم يهتم بطاعة أهل بلخ له فأخرجهم جريسا على عادة المغول عن المدينة وأفناهم عن بكرة أبيهم مرة واحدة .

وحينما كان جبه (يمة) سبتاي يتعقبان السلطان محمد خوارزم شاه لم يتعرضا كما مر كثيرا الى بلاد خراسان حينما كانا يعبراه ومضيا كالسيل من خلال مدنه ، فلم يسمع أهل خراسان من بعد رحيل جنودهما لمدة أخرى شيئا عن المغول فعملوا على تجديد القلاع والحصون وجمع المؤن والعلائف .

وما أن عبر جنكيز جيحون وجسر ترمذ حتى أمر ابنه تولى بالتوجه الى خراسان فاستولى في مدة ثلاثة شهور على جميع بلاد خراسان من حدود مرو الروذ حتى بيهق (سبزوار) ومن نسا وافيورد حتى هراة مدينة مدينة وألحق ذلك الاقليم العامر عمارة ونسمة بما وراء النهر تخريبا وقتلا .

الاستيلاء على مرو ونيشابور وهراة في (٦١٨هـ) :-

كانت مرو شاهجان عاصمة السلطان سنجر في عهد حكمه مركز خراسان وتعد من أكبر بلاد ايران وقد بلغ عمارها وغناها الى حد أن ملاكها ودهاقنتها ، كما يذكر ، كانوا يضارعون أمراء البلاد الأخرى وملوكها ثروة وغنى • وفوق الغنى المادى فقد كانت مجمعا لأهل العلم والفضل مثلها مثل الجرجانية كانوا يفيضون الى مدارسها ومكتباتها العامة والخاصة لذلك الوقت فيفيضون علماً •

وبعد أن لاذ السلطان محمد خوارزم شاه بالفرار الى جزيرة آيسكون ترك مجير الملك حاكم مرو السابق الذى كان يحيا في خدمة السلطان مازندان الى مرو وجمع نحو سبعة آلاف من التركمان والجنود والتف حوله جماعة من الرنود (١) والأوباش فادعى خلافة السلطان •

وكان شيخ الاسلام بمرو قد أرسل الى قواد جيش المغول قبل دخول مجير الملك فيها هدايا قيمة وقبل طاعة المغول وسلك قاضى سرخس الذى كان ذى قرابة الى شيخ الاسلام نفس مسلكه وجرت مكاتبات بين القاضيين بشأن هذا الأمر ، فلما اطلع مجير الملك على هذه المواضعة أثار الناس على قاضى مرو فمزقوه أربا ووقف من أهل سرخس الذين أطاعوا المغول موقف العداء أما من كان يحكم مرو قبل مجير الملك فقد أسرع الى مازندران لدفع منافسه وأتى بجمع غفير من المغول الى المدينة • وبدلاً من أن ينصرف مجير الملك للدفاع عن المدينة أمام المغول هاجم مدينة سرخس وقتل قاضيتها وأخذ يقاتل التراكمة فيها ، وبين هذا القتال وصل جنود تولى وضربوا حصارهم حول مرو •

وسلمت مرو بعد أيام خمسة من المقاومة • وأبدى تولى احترامه

(١) الرند هو الشاطر ذو الحيلة الفدار فى المعاجم الفارسية ومن لا يبالى وينكر عليه ظاهره الملامة وباطنه السلامة (لغة نامه دهخدا) تهران / ١٣٤١ ش) فالرند اذن من أساء العيارين والفتيان (راجع رسالة المترجم (جماعات الفتوة فى الأناضول ص ٣٢) •

لمجير الملك أولا وخلع عليه لكنه بعد قليل ألقى القبض عليه وعلى جميع كبار المدينة الذين تعرف اليهم عن طريقه ، ثم أمر بأن يخرج جميع أهل المدينة بنسائهم وأطفالهم بحيث لم يبق منهم واحد فيها ، وجسدين ذاك اعتلى كزيبيا وأمر بضرب أعناق جميع رؤساء جيش خوارزمشاه الأسوريين ، وقسم الأهالي على الجثود ، فقتلوا هؤلاء العساجزين بنسائهم وأطفالهم * ثم أحرق مرو وأشعل النار في قبر السلطان سنجر وأمر بنبش القبور طمعا في أن يجد مالا وقال لا يبقى واحد من أهل مرو الذين عصونا (فامتثل المغول لأمره وهلك أكثر من سبعمئة ألف من شعبها البريء في هذه الواقعة المهولة *

أما نيشابور فكان أهلها قد قبلوا طاعة المغول حينما مر بهم جيش جبه وسبتاي وحكمها شحنة من جانبهم ، فلما سمعوا بخبر ظهور السلطان جلال الدين المنكبرنى أعلنوا عصيانهم وقتلوا شحنة المغول *

فلما بلغ خبر قتل الشحنة إلى تولى أرسل تغاجار نويان صهر جنكيز إليها للاستيلاء عليها فأتى تغاجار نيشابور وحصرها * وفي اليوم الثالث من الحصار قتل تغاجار وهزم المغول ففر جماعة منهم إلى طوس وعدد آخر إلى سبزوار *

وفي هذا الوقت فرغ تولى من فتح مرو فتحرك صوب نيشابور ، وكان أهلها يقاتلون حتى ذاك الوقت بشجاعة لكنهم قبلوا التسليم لقلة في لكن تولى رفض استسلامهم وفتح المدينة في العاشر من صفر ٦١٠هـ) وقتل أهلها واستحيا نساءها وأمر بقطع رؤوس القتلى خشية أن يكون وسطهم من لا يزال بقيد الحياة ، ثم سوى المدينة بالأرض *

وقدمت ابنة جنكيز زوج تغاجار إلى نيشابور وأمرت أن تخرب المدينة إلى حد أن تزرع أرضها ولا يبقوا منها شيء ظاهر حتى كلابها وسنابيرها ففعل المغول ما قالت فقضى جنود تولى سبعة أيام ولبال يغمرون المدينة المخربة بالماء وبعد تسويتها زرعوها شعيرا * وقدر عند القتلى في نيشابور بنحو ألف ألف وسبعمئة وخمسين ألفا *

ودقت طوس ومشهد الحالية أيضا ضمن ما وقع تحت سنانك خيول
المغول وخربت ، ولما ارتاح المغول من هذه الناحية أخذوا طريقهم الى
هراة وكانت آخر مدينة لم تفتح بعد في اقليم خراسان أرسل تولى أولا
رسالة الى هراة واستدعى قاضيها وحاكمها اليه فقتل تسعينها رسوله
فأحكم هذا غضبه وجملته عليهم وعلى مدينتهم •

وظل حاكم هراة وهو ملك شمس الدين الجوزجاني يدافع باستبسال عن
المدينة حتى ثمانية أيام ، اذ أصابه سهم في اليوم الثامن مات على اثره
فتسبب قتله في ظهور انشقاق بين مدافعي هراة فخرج جماعة من علماء
المدينة وأعيانها الى تولى وسلموا اليه المدينة • وأظهر تولى خلاف عادته
رأفة بها فلم يقتل من أهلها الا اثني عشر ألفا من أتباع السلطان
جلال الدين ، ثم توجه بعد تنصيب شحنة عليها الى أبيه الذي كان يحاصر
في هذا الوقت الطالقان في ولاية الجوزجانان •

كانت مدينة الطالقان هذه التي تسمى بطالقان بلخ أو طالقان
خراسان تقع على بعد ثلاثة منازل شرق مرو الرود على رأس طريق بلخ
ولا يجب أن نخلط بينها وبين طالقان قزوين وطالقان أصفهان وطالقان
طخارستان (شرق غندوز قرب فيض آباد الحالية في أفغانستان الشمالية
الشرقية) •

مكث جنكيز عشرة شهور يحاصر قلعة نصرت كوه من قلاع الطالقان
وقتل عدد كثير من جيشه في هذه الجروب ، فقدم ابناؤه أوكتاي وجغتاي
وتولى بعد أن فرغوا من فتح ما وراء النهر وخوارزم وخراسان لعون
أبيهم • وأخيرا بنى جند جنكيز مرتفعا من الحجارة والأخشاب بعلو
القلعة فرقوه اليها ، ففر الفرسان المدافعون لكن مشاتها أسروا جميعا ثم
قتلوا •

وبعد فتح الجوزجانان والطالقان عاجل جنكيز الى غزنة ، وبما أن
ابن جغتاي الذي كان أثيرا جدا عند جنكيز قتل في حصار باميان ، أمر

خان المغول بعد فتحها أن تقتل حيوانات المدينة فضلا عن أهلها وألا يؤسر
أحدهم وألا يتركوا حتى الطفل في بطن أمه حتى لا يسكنها من بعدهم
أحد .

أما الجنود الذين كان جنكيز قد وجههم من جيشه لفتح بلاد
طخارستان فقد استولوا على أغلب مدنها ثم أخذوا في محاصرة قنلاع
واليان وولخ حينما شرع جلال الدين في حملاته .

السلطان جلال الدين المنكبرنى :

السلطان جلال الدين المنكبرنى هو أكبر أبناء خوارزم شاه ، الا أن
السلطان كما مر قبل ولى ابنه الأصغر أوزلاغ شاه عهده بسبب تغلب
تركان خاتون على ابنها وكرهها لجلال الدين وحرمة واخوته الآخرين هذا
الحق .

وفى (٦٠٩ هـ) حينما أزال خوارزم شاه دولة الغوريين واستولى
على فيروزكوه وغزني وباميان وسائر سيستان ترك حكم هذه البلاد الى
جلال الدين ابنه ، لكنه كان يصطحبه في حروبه لحبه له ولاعتقاده في
حكيمته وشجاعته وحاجته اليهما وكان ينيب عنه حكاما لغزنة وهرارة
وبيشاور .

وكانت حكومة هراة في هذا الحين لأمين ملك ابن خال جلال الدين ،
فلما بلغ جيش المغول حوالى هذه المدينة تركها حتى لا يواجههم وتوجه
الى السند وفتح بلادها وطلب عون حاكم غزنة أثناء عملياته الحربية .

وكان جنكيز اذ ذاك مشغولا بحصار الطالقان وكان الجيش معه غير
قلة منهم ، وهزم أمين ملك جماعة من هذا الجيش المغولى المتفرق وكانت
لا تزيد عن ألفين أو ثلاثة بالقرب من غزنة وخذل يتعقب المنهزمين .

وتحرك السلطان جلال الدين بعد حروب له مع المغول كما سبق على

حدود نيشابور الى هراة في أواخر (٦١٧ هـ) فدخلها في أوائل العام
التالى وكان دخوله مصادفا لعودة أمين ملك لها • فقدم أمين ملك ومعه
ثلاثون ألفا ليستقبل جلال الدين ولحق به أيضا اثنان من رؤساء الأفاغنة
والأتراك القرلق كل بجيش يساوى ما مع أمين ملك ، وبنى جلال الدين
بابنه أمين ملك واستعد لمقارعة المغول •

موقعة بروان وفتح جلال الدين :

وبعد أن أخذ السلطان جلال الدين أهفته بلغ بجيشه الذى تألف من
شعوب مختلفة هى الترك والأفاغنة الغوريون والخلج والقرلق الى مدينة
بروان (من المدن بين غزنة وباميان وأقرب الى الأولى والى منبع نهر
لوكر) ، فجعل منها مقر عسكره ولما علم بحصار جماعة من المغول لقلعة
واليان فى طخارستان ترك أحمال الجيش ومؤنته فى بروان وهاجم المغول
وقتل منهم نحو ألف وهزم البقية ، وعبر المغلوبون جيحون وخرّبوا جسر
وبلغوا سيدهم وقصوا عليه ما وقع لهم •

وعاد جلال الدين الى براون ، فسير اليه جنكيز (قوتو قونويان)
بجيش ذكر أن عدته بلغت من ثلاثين ألفا الى خمسة وأربعين ألفا •

وجرت الحرب بين جلال الدين وقوتوقو على بعد فرسخ من بروان
وجعل جلال الدين أمين ملك على ميمنة جيشه وسيف الدين أغراق رئيس
الأفاغنة على ميسرته وقاد هو القلب وأمر أن يترجل جنده ويسحبوا
خيولهم ويحاربوا المغول راجلين •

واستمرت الحرب يومين ، لم يحز طرف منهما فى اليوم الأول
نصرا ، وفى اليوم الثانى أمر قوتوقو أن يعد كل جندى مغولى تمثالا
بشكله يركبه جوادا ، حتى يتوهم أتباع جلال الدين أن مددا وصلهم
فيؤثروا الفرار • وكادت هذه الحيلة تؤثر أثرها لولا أن جلال الدين
استبسل فى المقاومة فقوى من عزائم جنوده فهزموا المغول فأمر

جلال الدين أتباعه يركوب الخيل ويتعقب العدو وعاد قوتوقو منهزما الى جنكيز *

وعم الفرع اثر هذا الفتح عامة بلاد المسلمين وحدث لجلال الدين وأتباعه غاية السرور حتى أن جنوده وخدمته كانوا يثقبون آذان الأسرى المغول بمسامير تشفيا وتخفيفا من نار احنهم على اتباع جنكيز ولو قليلا . ولما بلغ خبر نصر جلال الدين مدن خراسان وجنوب ما وراء النهر قام أهل كثير من هذه المدن بالثورة وقتلوا شحنات المغول ، وصار من أول نتائج هذا النصر أن رفع المغول حصارهم لقلعة ولخ بطخارستان ، وكانوا يحاصرونها من قبل ، ثم لاذوا بالفرار *

وبعد فتح بروان ظهر النزاع بين قواد جيش جلال الدين بسبب تقسيم الغنائم واختلف أتباع السلطان وأمين ملك من الخوارزميين والجيش التركي وجماعات البلج والترك والغوريين ، من ذلك ثار النزاع بين سيف الدين وأمين ملك بسبب املاك جواد من خيل المغول فغضب الأخير الأول بسوطه ولما لم يحاسبه جلال الدين على ذلك ، أخذ سيف الدين وقواد الترك الخلجيين والغوريين طريقهم الى بيشاور . وحاول السلطان استرضاءهم قدر طاقتهم فلم ينجح ، وفي النهاية عاد جلال الدين الى غزنة . أما الخلجيون والغوريون فأخذ بعضهم يقاتل الآخر في بيشاور وما حولها وقتلت كل مجموعة قائداً الأخرى لمدة شهرين أو يزيد ، ثم قضى المغول على بقيتهم بعد ذلك *

وكان جنكيز قد فرغ من حصار الطالقان اذ ذاك فلما بلغه انتصار جلال الدين في بروان قدم الى غزنين عن طريق الباميان *

حرب السند في الثامن من شوال (٦١٨ هـ) :

لما لم يكن السلطان جلال الدين يقوى على جنود جنكيز دعاه هذا الى اخلاء غزنة وعقد أمره على عبور السند ليجمع جيشا ويعيد

سيف الدين اغراق وسائر رؤساء الجيش الذين سلكوا طريق الختلات ،
الا أن جنكيز خان حث خطاه وأرسل جماعة لملاقاته فقابلوه في (كريدز)
على بعد منزل شرق غزنة ، فغلبهم جلال الدين وقصد شاطيء السند ،
ودخل جنكيز غزنة بعد أن أحلها جلال الدين بخمسة عشر يوما
وبعد أن عين عليها حاكما من قبله أسرع متغلبا جلال الدين الى شاطيء
السند .

وكان جلال الدين مشغولا في اعداد سفن لعبور النهر بها حين وصل
المغول وهاجمت طلائعهم فوجا من جنوده وهزموا قائده ، ومع أن
جلال الدين كان قد أرسل رسلا خاصين لتجهيز سفن الى هنا وهناك
الا أن الفرصة بدت ضيقة لكي تنهى السفن الكافية للعبور الا سفينة
واحدة جعلها السلطان خاصة لعبور أمه وحريمه ، لكنهما تحطمت هي
الأخرى بسبب تلاطم الأمواج فاستحال عبور النهر .

وبلغ المغول أتباع جلال الدين على شاطيء السند قرب معبر
(نيلا ب) وأبدى السلطان الجلادة والشجاعة واخترق قلب جيش جنكيز
الا أن مجموعة من قواد المغول كبسوا الجناح الأيمن لجيش السلطان
وكان يقوده أمين ملك ووقع ابن صغير لجلال الدين لم يزد عمره عن السبع
أو الثماني سنوات أسيرا في أيديهم فأمر جنكيز بقتله .

وطلب أم السلطان وزوجة وبغض حريمه وهن ينحن منه أن يقتلن
حتى لا يقعن في قبضة جنكيز فأمر السلطان فأغرقت هذه الشيعيات في
السند . وآثر أمين ملك الفرار وتوجه الى بيشاور وأهلكه فيها غدر من
المغول .

وظل جلال الدين يقاتل ومنه سبعمائة من جنوده ولما رأى أنه لم
يبق به وبهم قذرة على الثبات أخزى هاجم طليعة جيش جنكيز ولما أن
ردهم قليلا حتى ألقي بنفسه في مياه السند ووصل سالما أرض الهند .
وكان الجواد الذي تسبب في نجاته عزيزا أثيرا لديه منذ هذه الحادثة وظل

برفقته حتى سنة فتح تفليس أعفاه من ركوبه عليه .

وقتل جنكيز كل من وجده من بقية جلال الدين وأهلك كل طفل ذكر من أسرته ولم يرحم الطفل الرضيع واستبقى بقية حريمه وأرسل بهن الى بلاد المغول وأمر أن يغوص الغواصون في السند فأخرجوا له المال والنفائس التي ألقى بها بأمر جلال الدين في النهر ، وأناب ولديه أوكتاي وجغتاي في هذه المنطقة ليقضيا على السلطان اذا عاد ورجع هو الى شاطيء جيحون .

نتائج ظهور السلطان جلال الدين :

حينما طلع السلطان جلال الدين في شرق ايران وأخذ يقاثل المغول وبعد أن ذاع خبر انتصاره في بروان خاصة عصى أهل خراسان وجنوب ما وراء النهر ولاتهم المغول بأمل غلبته وقاموا بقتل كثير من حكامهم وشحناتهم من بين ذلك قتل أهل مرو بعون أحد قواد جيش جلال الدين حاكمها وأعلنوا عصيانهم للمغول .

وقدم اذ ذاك قراجة نويان قائد المغول الى سرخس وتعاقب القواد المغول بجيوش جرارة من بعده فجعلوا من البقية الباقية من أهل مرو طعمة السيف مرة أخرى وخرّبوا كل ما بقى من مسجد أو بناء . ولما جال بخاطرهم أنه ما يزال من المروزيين أحياء مختلفون أمروا أن يؤذن مؤذن للصلاة فأخرجوا جماعة من بين الأنقاض وقتلوهم ومكثوا واحدا وأربعين يوما يقتلون ما يجدون من الأهالي ويخربون ما بقى عامرا .

وبعد أن عاد المغول أتى مرو أحد الأمراء وجمع حوله جماعة من التركمان فاجتمع بهذه المدينة الخربة نحو عشرة آلاف ، وظل هذا الأمير ومن معه يهاجم عسكر المغول في مرو الرود وبنجدة الطالقان لمدة ستة شهور وينهب خيولهم ومؤونهم . وأتى قراجة نويان مرة أخرى من الطالقان وفي عقبه قوتوقو نويان ، وأهلك المغول هذه المرة ساكني مرو

مستخدمين وسائل التعذيب كالمثلة والالقاء في النار وسعوا ألا يصل عاصمة سنجر وما حولها مؤنة الا ما تكفى عددا معدودا ، وتذكر المحققون أن مرو أصبحت صحراء الى حد أنه لم يكن بها ظل يستظل به حيوان وخشى وظلت هكذا حتى عام (٨١٢ هـ) حين بدأت ترى العمار بهمة شاهرخ السلطان بن الأمير تيمور كوركان .

وفي هراة ثار شعبها أيضا فقتلوا الحاكم والشحنة المغوليين وأمروا عليهم أميرا فلما بلغ ذلك جنكيز أرسل لابنه تولى يقول له (لو قتلت جميع أهل هراة لما برزت هذه الفتنة) ثم سير اليها (ايلجيكداي نويان) ومعه ثمانون ألفا وأمر ألا يترك من أهلها واحدا حيا كما أصدر أمرا آخر أن يتوجه من خراسان جنود لمعاونته . وحمل المغول على هراة بأربعة أسراب أو أربك وبعد ستة شهور وسبعة عشر يوما استولى ايلجيكداي نويان على المدينة في جمادى الآخرة (٦١٩ هـ) فخربها كلها وبعث بكل من وجده من أهلها الى دأره الأخرى .

وخمدت ثورة البلاد الجنوبية لما وراء النهر بعد خراب مرو وهراة ونيشابور معجلة خاصة وأن ثورة الأهالي في هذه المناطق لم تكن لها صفة العموم والشمول الذي كان لأهل خراسان وانما كان بضعة من المنتهزين للفرص والغارة يهاجمون معسكر المغول ويفوزون بقليل من الغنيمة الا في سمرقند في أوائل عام (٦١٩ هـ) عندما خرب الثوار جسر جيحون فقطعوا طريق ارتباط المدينة بالخارج ، ولكن بمجرد قدوم جغتاي اليها وهزيمته للثوار أعاد بناء الجسر فعاد ارتباط ساحلي النهر .

عودة جنكيز الى بلاد المغول في (٦١٩ هـ) :

بعد أن فر السلطان جلال الدين الى الهند أرسل جنكيز أوكتاي الى غزنة ومع أن أهلها قبلوا طاعته الا أنه أخرجهم عنها الى الصحراء لعل ذلك على أثر ثورة فقتلهم جميعا ما عدا الحرفيين وخرب غزنة وترك

قوتوقو نويان بها وعاد عن طريق هراة • أما جنكيز فقد مكث ثلاثة شهور في بيثاور والبنجاب في عقب البقية من جنود سيف الدين اغراق وبعد ذلك ترك بيثاور الى كابل وحدود جيحون وبعد قضائه الصيف في الباميان عبر النهر وبلغ سمرقند وكان سبب رجوعه ثورة شبت في الصين الشمالية والتبت وأوجبت حضوره •

وفي عودة جنكيز الى جيحون أمر جغتاي أن يستولى على ولاية مكران والسند فأغار عليهما كما فعل أخوه أوكتاي وقام الاثنان بتخريب نواحي غزنة والسند وكرمان ومكران على نحو أن جلال الدين لو عاد اليها فلن يجد جنوده أدنى وسيلة للعيش أو الحياة •

وبعد تخريب الولايات السابقة اتجه أوكتاي وجغتاي بدورهما الى ما وراء النهر فهبطا بخارى في شتاء (٦١٩ هـ) وأمضيا هذا الفصل على شاطئ نهر زرافشان يستريحان ويتصيدان • وأرسل جنكيز اذ ذاك الى ابنه الثالث جوجي الذي كان بصحراء القبجاق يستدعيه اليه وكان غرضه أن يقوم مع أولاده على شاطئ سيحون بصيدهم الجماعي المعروف ويتحدث معهم أيضا في مصالح الممالك التي سيطروا عليها لأن جنكيز بعد أن عاد من شواطئ السند أصيب بالمرض بسبب سوء طقسه وأخذ يشتد مرضه يوما بعد يوم وشعر بدنو أجله •

ولحق أوكتاي وجغتاي بمعسكر أبيهما على شاطئ سيحون ، وفي هذا المكان في ربيع عام (٦٢٠ هـ) ألف مجلس شورى أو باصطلاح المغول (قوريلتا) مع أولاده ، وفي صحراء قلات باشى (شمال جنـبـال ألكساندروفسكى وغرب بحيرة ايسى كول) قدم جوجي ومعه مائة ألف جواد كهديـة لوالده •

وقضى جنكيز الصيف في مأواه بقلان باشى ، وبعد أن انهاء هذا المجلس الشورى الذى ألفه مع أبنائه أعاد جوجي الى صحراء القبجاق ، ثم وصل بعد اهلاكه بضعة نفر من الرؤساء العاصين الأويغور في

ذى الحجة (٦٢١هـ) مع جميع أبنائه ما عدا جوجى الى مضارب أسرته
الأصلية أى على نهر كرولن وأنون •

موت جوجى وجنكيز فى (٦٢٤هـ) :

ولما وصل جنكيز الى معسكر أجداده سمع بعصيان ملك ولاية
تتكغوت أو التنقوت الواقعة شمال التبت فقرر غزوها وبعد استعداداته
قصد هذه الولاية ، وهزم ملكها بعد حرب طاحنة وأفنى جماعة عظيمة من
جنوده ، لكن مرضه اشتد به فى هذه المنطقة فمات فى رمضان (٦٢٤هـ)
وهو فى الثانية والسبعين من عمره وارتاحت الدنيا من أفزاعه وتعذيبه •
وقبل موت جنكيز بستة أشهر كان جوجى (توشى) ابنه الأرشيد
قد مات أيضا بصحراء القبجاق وروى فى موته رواية ذكرها بعض
المؤرخين ومحوها أن جوجى لما كان أكثر سلامة نفس من أبيه لم يكن
يقبل على قتل الناس وتخريب البلاد كثيرا وكان يدعو أباه لأن يقل من
ازهاق الأرواح وتخريب البلاد حتى أنه قرر وقتا أن يحالف المسلمين
ويقتل أباه ، فأطلع جغتاي على خبيثة صدر أخيه فأطلعها أباه ففدس أبوه
له السر خفية •

ويعتقد بعض آخر من المؤرخين أنه لما ساء ظن جنكيز بجوجى
استدعاه فى عودته الى أرض المغول الأصلية اليه الا أن جوجى اعتذر عن
الحضور متذرا بمرضه ، فقدم واحد من التنقوت من صحراء القبجاق
الى أرض المغول وأعلم جنكيز أنه رأى جوجى سليما معافى ومنهمكا
بالقنص فأرسل جنكيز أوكتاي وجغتاي لتأديبه لكن خبر موته وصل قبل
أن يبلغاه •

على أية حال فانه لا خلاف على أن ما بين جوجى وجنكيز وأخيه
جغتاي لم يكن طيبا لأن ابن جنكيز الأكبر كان يريد أن يكون دولة مستقلة
فى ما حول بحر الخزر ويضم اليها خراسان ومازندران والولايات
السماوية لايران التى لم يطوها جبه وسبتاي ولم يستوليا عليها وكان يود
ألا ينقاد لأمر أحد فأصبحت هذه المسألة باعث تعب كبير لجنكيز وأولاده •

الفصل الثاني

سياسة المغول ومراسمهم

حكم التاريخ في جنكيز خان :

روى صاحب كتاب (طبقات ناصري) (١) عن ثقات الرواة أن (جنكيز خان لما قدم خراسان كان رجلا طويل القامة قوى البنية عظيم الجثة ، مفتول اللحية والشارب مبيضهما ، قطى العينين في غاية الجلادة والذكاء والعقل والمعرفة والهيبة ، قتالا عادلا ضابطا هازما لعدوه شجاعا سفاكا سفاحا) .

أما من ناحية صفات جنكيز الخلقية فقد كان رجلا ذا عزم وإرادة كبير العقل مدبرا كاملا التحكم في زمام نفسه ، وكان في مقابل المشكلات والشدائد يظهر ثابتا غريبا ، وكان لا يكف عن الأمر ما لم يبلغ القصد منه ، لم يدع في أي وقت للمقنوط أن يتسرب الى قلبه ازاء الحوادث القاسية فكان يتلقاها ببرود وثبات .

وحينما هزم السلطان جلال الدين المنكرنى جيش قوتوقو نويان في

(١) كتاب في التاريخ من تأليف ابي عمر منهاج الدين عثمان بن محمد سراج الدين الجوزجاني متوفى (٦٩٨ هـ) لناصر الدين محمود شاه بن التتمش . يشمل هذا الكتاب تاريخ العالم خاصة تاريخ الغزنويين والغور واعقابهم في غزنة والهند ، وفي نهايته فصل كامل مفيد في هجوم المغول على ايران وخانات المغول حتى هولاكو . ومع ان المؤلف لا يفصل في هجومهم لكنه لمعاصرتهم ومعينته الحوادث فان اخباره مقرونة بالصحة . وانما المؤلف كثيرا من تاريخ البيهقي وجعله اساس تاريخه لمحمود الغزنوى ، وقلده ايضا في أسلوب الكتابة . وفي طبقات الناصري اشعار وقصائد للمؤلف نفسه استخدم فيها لأول مرة الفاظا مغولية .

بروان وأتى الأخير جنكيز مهزوما لم يفقد جنكيز عند سماخه هذه الهزيمة حاله سكونه المعتاد وكان كل ما قال ان قوتوقو نويان تعود أن يخرج منتصرا في كل وقت من معاركه ولم يذق مرة طعم الهزيمة ، وسوف يحتاط كثيرا في أمره بعد هذه الهزيمة •

ليس من شك في أن جنكيز كان أحد أشد الفاتحين سفكا للدماء وفضاظة وغلظة ذكركم التاريخ ، لأن ما سفك من الدماء بأمر منه أو خرب من الديار العامرة ربما لم يحدث نظيره في أيام غزو غاز قط في فداحسة ويلاقه ومنصائبه ، خاصة وإن جنكيز كان غاية الاحنة والفضاظة ، ولم يكن يشكل عنده قتل مدينة عظيمة قتلا عاما وازهاق أرواح الآلاف وسفك دماء النسوة والأطفال والعجزة بإشارة واحدة من شفته أمرا عظيما • لكنه ينبغي التسليم بأن فتح كل هذه البلاد وإدارة أراضيها الواسعة لم يكن يمكن بدون فطنة ولباقة وكفاية وحنكة خاصة وأنه لا يمكن أن نتصور أن جنكيز كان خلوا من كل سياسة لا يتعشق غير اقتحام البلاد وازهاق الأنفس في غزواته ، وإنما يتوجب الذكر أن جنكيز كان فاتحا يستجيز لتنفيذ هدفه وسياسته وإزالة الموانع في طريقه كل ضرب من ضروب القسوة والثبور والتخريب بدون ذرة تأمل أو تحسوط ولم يكن يعبأ بأي شيء غير نيل مراده •

وكان كل جهده في بداية الأمر افتتاج طريق التجارة والقوافل القديم بين إيران والصين (طريق الحرير) ، وأقدم لهذا الغرض على إزالة شعوب الأويغور والقراخانيين والتتار الذي كانوا جاثلا دون تردد القوافل وسببا في عدم أمن الطريق • وحينما جنت أور البلاد الخوارزمية ، راعى شروط الأدب والاحتزام في حق السلطان منمذ ، لكن إقدام السلطان على إزالة الدولة القراخانية وتحطيم السد الحاجز بين البلاد الإسلامية وأرض التتار والمغول وغروره وعجبه وسوء تصرفه ومسلكه مع رسل جنكيز والتفكير في الاستيلاء على الصين وغيرها هيأت

أسباب اثاره غضب الخان المغولي وبعثت على هجماته على بلاد المسلمين •

كان جنكيز مثله في المذابح العامة والقتل الجماعي مثل جلاذ مجرد من أى عطف يأمر بتنفيذ أحكامه ولم يكن يفترق بين الغنى والفقير والصغير والكبير والمرأة والرجل والمسلم والكافر ، ولم ينحرف فى أعماله سفكه هذه عن جادة العدل وعدم الانحياز ، خاصة وأنه بلغ كما كمال الثبات والبرود خلاف عدة نفر من أبنائه وبعض آخر من الغزاة (كتيغور لنك ونادر الأفسارى) فى قتل الأنفس ، فلم يصدر عنه فى أى وقت مهما أشتد غضبه وحنقه فظائع كتصفية عيون الأسرى والصلم والجذع وإقامة منارات من جماجم القتلى •

وقد مثل بعض المؤرخين جنكيز برئيس قبائل الهون أى أتتلا وشيخوا هجوم جيشيه بالطوفان أو السيل وتقاطر قومه كهاجرة جماعات من البدو ، لكن تأهب جنكيز للهجوم على البلاد الخوارزمية وتجو طيه وتدبره فى الأمور العسكرية وإثار نظام عسكري مضبوط والإفادة من المستشارين وذوى الخبرة والمرشدين وتجرك الجيوش طبق خطة صحيحة كل ذلك يكذب التشبيه الأنف الذكر تكذيبا كاملا ويدل على أن جنكيز فى كل هجمات كان ينفذ الأمور كلها حسب دستور صحيح ووفق أسلوب ونظام كاملين •

ويدل طول عمر جنكيز وعدم فقدائه أى من قواه الجسمانية والعقلانية حتى لحظة موته على صحة عقله أيضا ورعايته الاعتدال فى الحياة والعيش والشراب • وقد صار بضعة نفر من أخلافه كما سنرى (مثل جغتاي وأوكتاي وكيوك) بعد اختلاطهم مع المتحضرين من البلاد المغلوبة وإقامتهم بالمدن العوبة اللهو والمجون وبهارج الدنيا وقضوا غالب أيامهم فى سكر ووهن ، فى حين أن جنكيز لم يخرج عن بدويته وخاف وله المغول بالشراب ولا مهم فرارا لاعتيادهم هذه العادة لوما شديدا •

كانت هيئته في قلوب الجيش بلا نهاية وكان الجميع يعتبره القائد المعظم وحكمه حكما الهيا واعتقدوا أنه لا ينبغي أن يوجد في سائر الأرض حاكم آخر غيره .

وكان عصيان جنكيز وعدم طاعة أمره بمنزلة ارتكاب جناح عظيم لأن عقيدة المغول أن أمر الخان كان ينزل من السماء وعصيانه في حكم عصيان الله . وكان قتل فرد من أسرة الخان له نفس الحكم ، فقد كان قلب نيشابور رأسا على عقب اثر قتل تغاجار زوج بنت جنكيز ، واستئصال شافة باميان بسبب قتل ابن جغتاي بدفع هذه العقيدة .

ولما أن جنكيز لم يكن يعتقد أى دين أو يدين بأى عقيدة فقد تجنب التعصب لأى دين أو تفضيل ملة على أخرى أو ترجيح عقيدة على عقيدة ، بل كان يكرم العلماء ويعز الزهاد في كل دين وطائفة ، وكان أبناؤه كلما وجدوا أثناء استيلائهم على البلاد في أغلب الأحيان عالما أو مطلقا وأنسوا فيه الجدارة لخدمة أبيهم كانوا يبعثون به اليه سالما .

وكان جنكيز يفيد في باب الأمور العسكرية بالمختصين والأدلة وأرباب الاطلاع افادة كبيرة وكان في كل وقت عدد من هذه الجماعة بجيشه لا سيما تجار المسلمين وأصحاب القوافل الذين كانوا يأتون من أماكن بعيدة ، وبسبب كثرة أسفارهم كانوا على علم وافر بأحوال البلاد خارج أرض المغول ، وقد أدوا لجنكيز في هذا الأمر خدمات جليلة . وقد ظل من هذه الجماعة حتى حدود (٦٠٠هـ) فئة ببلاطه وكانوا سفراء الى السلاطين أو رسله لمهام أخرى ومع أن جنكيز لم يبد رحمة أو رأفة بأعدائه ، الا انه كان يفرق بين المتحضرين المسالين الأبرياء من الايذاء والبدو المغيرين اللصوص تفريقا بينا فقد كان يقرب اليه الأويغور والمسلمين والصينيين ، خلافا للمنجو والتتقوت والأتراك الخوارزميين والأفاغنة فقد نفر منهم وعاملهم بقسوة . وقد كان لخسان المغول كما ذكرنا صعب ومستشارون من المتحضرين من البلاد المغلوبة كالمسلمين

والصينيين والأويغور وأشهرهم هو محمود يلواج المسلم الذي سبق
أن ذكرنا اسمه .

الياسا الجنكيزية : —

كان للمغول من قبل جنكيز سلسلة من العادات والتقاليد والآداب
الشعبية كما تقتضيه الحياة البدوية لم تدون بسبب معرفتهم للخط
والكتابة ، وقد رفض جنكيز بعضها وأبقى الآخر وزاد عليها من
نفسه أحكاما وقواعد أيضا فأعطاهما في الواقع جانب الرسمية
وأمر أن يعلم أطفال المغول الخط الأويغوري وأن تدون الأحكام
والقواعد المشار إليها في القراطيس وتودع في خزائن أمراء الأسرة
الجنكيزية .

وكان يقال لكل واحدة من هذه الأحكام والقواعد بالمغولية
(يابسا) بمعنى الحكم والقاعدة والقانون (١) ومجموعتها وهي
القراطيس المكتوبة بالخط الأويغوري ، والتي كانت تجمع جميع الأحكام
والمراسم المغولية وقد هذبها جنكيز وصوبها ، كانت تسمى بالياسا
الكبيرة وكانت عبارة عن القوانين والأحكام المتعلقة بتعبئة الجيش

(١) قيدت هذه الكلمة وأصلها المغولي (دزاساك) في كتب الفارسية
والعربية بأشكال مختلفة من قبيل (ياسا) و (ياسه) و (يساق) و (ياساق)
و (يسق) وكانت تطلق في الأصل على الحكم والأمر من كل ملك أو أمير ،
ولما كان قسم من هذه الياسا الجنكيزية تتعلق بالعقوبات والجزاءات ، وكان
جزاء أغلب الجرائم والخطايا القتل أصبح أحد معاني كلمة الياسا تدريجيا
القتل والموت ، واستعمل مؤرخو تاريخ المغول عبارة (يياسا رسانيدين)
و (يياسا ملحق كردانيدين) بمعنى القتل ، وأصبح اسم المصدر لهذه الكلمة
(يياساميشي) أيضا مصطلحا للسياسة وإدارة الأمور .

ويرى مع كلمة ياسا في كتب تاريخ المغول غالبا كلمة (يوسون) وهي
لفظة مغولية كذلك بمعنى الأسلوب والطريقة والرسم (سياقي) .
وقد دون مجموعة هذه القوانين دستور جنكيز خان الأويغور ، وذكرها
تفصيلا الجويني في كتابه جهانكشا ، الجزء الأول ص ١٧ وما بعدها (مجموعه
جب لندن / ١٩١١) (غامبري ، حاشية المترجم ص ١٦٣) .

وتخريب لبلاد وبمصالح الملك وترتيب المشورة في باب الأمور العظمى والغزوات الهامة وأنواع العقوبات وطرق حياة المغول ورسومهم في الحركة أو لاقامة وغيرهما ، وكان رسمهم أنه كلما اعتلى خان جديد العرش أو حدثت حادثة عظيمة أو اجتمع الأمراء كانت الياسا الكبيرة توضع موضع الدراسة ويجرون أمورهم على أساسها •

وكانت الياسا الجنكيزية محترمة مقدسة بين المغول بشكل غير عادي ، ولم يجرؤ أحد أن يغفل أحد مضامينها ، وكان المغول يجلونها اجلال المسلمين للقرآن الكريم •

وكانت الياسا الجنكيزية حتى بعد زوال سلطنة أولاده من ايران موضع الاحترام والرعاية أيضا من جانب التيموريين ، وكانوا يعملون وفق نصوصها حين اجتماع السلطان العام وتنفيذ العقوبات والقتل وأمور الطعام والغذاء وغيرها •

وقد جرى الصينيون وفق عوائدهم القديمة على أن يذكروا أقوال أباطرتهم اليومية وتعلم المغول هذه العادة أيضا من الصينيين وكانوا يكتبون أحاديث ملوكهم يوميا ثم يذيعونها بعد موتهم ، وكانوا حرفيين جدا في اثباتها فكانوا يقيدون أى كلام يصدر عن الخان وكانوا اذا أجهوا أن يبقى معناه خافيا غلفوا العبارة بالسجع والاغلاق ، وكان يقال لهذا القسم من حديث خانات المغول الذي وقع في الشعب موقع المراجعة والاحترام بالمعونة (بيليك) بمعنى العيلم والحكمة ، وكانت (البيليكيات) الجنكيزية محترمة وبعد موته موضع الافادة والمراجعة كياساه تماما •

مراسم المغول :-

كانت طوائف المغول والقتل التي وجهت حملاتها بقيادة جنكيز خان الى بلاد آسيا الشرقية والمركزية والغربية ثم وسعت مجال سيطرتها الى حدود البحر المتوسط وأوربا الشرقية والوسطى أيضا كانت كما سبق

الشرح من قبائل مختلفة • وكانت هذه القبائل وكلها من الجنس الأصفر وشعبه المختلفة قبل ظهور جنكيز واستقرارها في البلاد المتحضرة تعيش حياة بدوية صحراوية دائمة الانتقال من موضع لآخر وكانت معيشتهم تتصف بدرجة كبيرة من البساطة والقوة وضعة المستوى •

• وجنكيز خان أولئك الزعماء الذين تمكنوا بقوة السيف والتدبير المحكم والقوانين الصارمة أن يخضع قومه تحت أمره ناهيك عن طاعة سائر طوائف الترك والمغول له أيضا • وقد جعل كل هذه الأقوام التي كانت تعيش قبله في نزاع وقتال دائمين متحدة تتبع أمرا وحكما واحدا وألف قواها المفتتة المشتتة لتنفيذ هدف أكبر ووضعها موضع افادته واستغلاله •

وكانت أكثرية جيش جنكيز في بداية حملاته للمغول الأصليين ، لكن هذه الطائفة ، ولم تكن كثيرة العدد بالدرجة الكافية ، أخذت تتناقص مع كل تقدم وحرب ، فاضطر جنكيز لكي يغطي خسائر جيشه البشرية أن يختار من شعوب البلاد المغلوبة لاسيما تلك التي تقترب من المغول الأصلاء بقرب العنصر والأخلاق (مثل اليايمان والكرائيت والتتقوت وأتراك القبجاق والقنقلى والقرلق والأويغور) أعداد كجنود له ، واستطاع أيضا أن يطوع هذه الجماعات لأمره وحكمه ولياساه وأنظمتها حتى أن هذه العناصر الأجنبية فاقت آخر الأمر المغول عددا وصارت الأغلبية في جيشه للأتراك والمغول •

والمقصود من المراسم المغولية رسومهم وعاداتهم التي كانت شائعة بين طائفتهم المختلفة واستخلصها أولاد جنكيز من بين عامة المغلوبين والمغول بعد اختلاطهم ، وبعد الجرح والتعديل فيها مزجها بأدابهم القومية أضفوا عليها جانب الرسمية والقانونية •

ولما أن أوضاع حياة عامة الأقوام المغولية والتركية كانت واحدة بسبب اتحادها في العنصر والجنس والحياة البدوية ، فقد اتخذت

مراسمهم بشكل واحد بينهم جميعا على وجه التقريب، وقيل أن كان لطائفة من المغول عادة أو مرسوم لا تعلمها القبائل الأخرى ولا تجربوها .

وبعد تغلب المغول على البلاد المتحضرة في الصين وايران واقامتهم في المدن تغيرت المراسم المغولية تغيرا عظيما ، ومع أن ظاهر الأمر يقتضى أن يتحكم هؤلاء المغول في آداب المتحضرين من البلاد المغلوبة ويتغلبوا عليها وكما أن سلاطينهم وأمراءهم حلوا محل الملوك والسلاطين والأباطرة المهزومين فلا بد أن تحل مراسمهم أيضا محل آداب هؤلاء المتحضرين أيضا إلا أن الأمر كان عكسيا وضار أبناء جنكيز بعده بنسليين محكومين بأحكام آداب الرعايا المغلوبين لهم تماما وأهملوا عقائد أجدادهم وقوانينهم ومراسمهم أي انتقم الوزراء والمستشارون من أرباب الفن والفضل الصينيين والایرانیين والأویغور المسيحيين المغلوبين بقوة السيف من المغول بقوة حضارتهم وفرضوا عليهم لغاتهم ومذاهبهم وأصول ادارتهم وأحكامهم .

حق أن مراسم المغول قد انغلبت بعد استيلائهم على البلاد المتحضرة لآداب هؤلاء المتحضرين لكن كثيرا منها ظلوا يترسمونه ويرعونه وهي التي لم تكن عندهم أسبابا لتركها (كقبول مذاهب المغلوبين) أو تلك التي كانوا يتبعونها بسبب تعلقهم بخانهم (كالياسا الجنكيزية) فانتشرت في المغلوبين أيضا .

ونحن هنا سوف نشير الى طرف من مراسم المغول وآدابهم التي كانت شائعة أيام حكم أبناء جنكيز لايران ونترك شرح تأثير الآداب الإسلامية والإیرانية في المغول لموضع آخر .

كانت نظرية جنكيز خان الشخصية أن يحتفظ بطوائف المغول مطيعة له على نحو أن يتغلب البدو الصحراويون دائما على المتمدنين المستقرين ولهذا فلم يبالي بأي من آداب هؤلاء المتمدنين بل كان يحول بين المغول وبين إثارة الاستقرار بالمدن ولم يكن يؤثر نفسه إلا العودة الى بلاد

أجداده الأصلية والبقاء على نفس تلك الحياة البدوية •

كان المغول يعيشون متسترين بالخيام كما هي عادة عامة البدو وكانوا يسمون انتجاعهم الشتوى والصيفى بلغتهم المغولية (يورت) أو (اردو) (١) ، وبناء على عاداتهم هذه فقد ظلوا يختارون أماكن لمشتاتهم ومصيفهم حتى بعد سيطرتهم على البلاد الحضرية المتحضرة واحتياجهم للإقامة فى العواصم والمدن ، فكانوا يتحركون الى هذه الأماكن بحشمتهم وخيولهم وأنعامهم شتاء وصيفا • وكانوا يرسلون رجالا يسمى الواحد منهم (يورتجى) أى المسئول عن الإقامة مسبقا لاختيار المكان المناسب للخان وحاشيته الى كل طرف فيعين المنازل المناسبة فينطلق الخان المغولى باتباعه وحشمه وأغنামه اليها ويقام له معسكر من بيوت الشعر واللباد ، كما ينزل أتباعه حول منزله تحت هذه المخيمات أو منازل مصنوعة من أفرع وأوراق الشجر وبعد أن ينتهى الفصل وقبل تحركهم من هذا المقام يشعلون النار فى عامة لوازم الإقامة غير المنقولة كالمنازل الشجرية •

وكانت معسكرات المغول الشتوية والصيفية فى حكم المدينة الكبيرة ، فضلا عما كان فيها من المخيمات الكثيرة والمنازل المتعددة والأنفس المحتشدة ، فقد كان يصاحب الخان كل الطبقات من قبيل المنشئين أو كتاب الانشاء والقضاة ورؤساء الجيش والحرفيين والتجار ، ويقوم أهل الحرف والصناعات والتجار بتصريف منتجاتهم وبضاعتهم فيقضون كافة حوائج المعسكر •

وكان خانات المغول يبعثون الى الأمراء وذوى القرابة للتشاور فى الأمور الهامة كانتخاب رئيس الأسرة والغزوات الهامة غالبا فى مثل هذه المعسكرات عن طريق مبعوثين كانوا يسمون الواحد منهم (ايلجى) وكانوا يقولون لمثل هذه المجالس من الشورى باللغة المغولية (قوريلتاى) •

(١) استخدمت اللفظة الاولى فى الفارسية بمعنى المنزل والبيت والمستكن والثانية بمعنى الجيش والمعسكر •

وقد تعود المغول أن الابن الأصغر للخان قلما كان يغادر موطن
أجداده الأصلي ولا يشارك اخوته في قسمة أملاك أبيهم وإنما يتملك بعد
موت الخان أبيه ملك الأجداد ، فقد ورث تولى أصغر أبناء جنكيز بعد
موته المناطق حول نهري كروان وأنن ، وتضائل نصيبه هذا أمام ما أخذه
كل واحد من اخوته وربما روى في هذا التقسيم سن أولاد الخان •

وكان المغول يختارون الزوجات والمضاجعات ، تعود خاناتهم أن
يتزوجوا بابنة أو أخت من غلبوه من الملوك والأمراء أو قتلوه منهم أو
عقدوا تحالفا معهم وكان هذا دأب جنكيز خان فقد ذكر أن زوجاته
وسرياته بلغن الخمسمائة •

ولما كان المغول يتزوجون بكثرة من النسوة ، فقد كان الأب يعطى
في تقديم أبنائه وتأخيرهم الأولوية لأولاده من زوجته التي يؤثرها عن
سائر زوجاته الأخريات ، فما هاز من بين أبناء جنكيز التسعة غير أربعة
منهم وحسب الاعتبار والشوكة لأنهم أبناء (يسونجين بيكى) أكثر نساء
الخان احتراماً وأعلام من منزلة ، وبعد أن مات أبوهم أمسكوا بأزمة
الأمور العظمى •

وقد تسمى كافة الأبناء والأقارب والأشخاص الذين ينحدرون من
عشيرة واحد لأحد الخانات أو الأمراء المغول بالـ (أروغ) أما طائفته
ورعاياه والمطيعون أمره فقد تسموا بدورهم بالـ (أولوس) (١) ، وعلى
هذا فالمقصود من (أولوس الأربعة الجنكيزيين) جميع البلاد التي وقعت
تحت إمرة أبناء جنكيز الأربعة من بعد موته وهم جوجى وجغتاي وأوكتاي
وتولى •

ومن الأمور التي كان يوليها المغول أهمية تفوق الحد ويعتبرونها
من ألزم خاصيات حياتهم الصيد ، فكانوا إذا فرغوا من القتال أمضوا
حياتهم فيه ، وتألفت لهم مراسم وقواعد في نظام الصيد وتفحص

(١) أولوس تعنى مجموعة الخيام (تاريخ بخارى ص ٣٠٠) •

المصيد واقتناص الحيوان والقنص الجماعى ، ذكرت فى بعض أجزاء
الياسا .

شاع فى المغول بمناسبة جهلهم وعدم معاشرتهم لأهل الحضارة كثير
من العقائد الخرافية فكان للشياطين والسحرة والسحر كبير أثر وبالغ
نفوذ فى مجالى أحوالهم وحياتهم وكانوا يخشون السحر والسحرة خشية
شديدة ، ومن ثبت عليه السحر عذبه عذابا ألينا ، وتضمنت الياسا
الجنكيزية أحكاما قاسية لهذه الطغمة .

وبعد أن اختلط المغول بالأويغور الذين اعتنقت طائفة منهم البوذية
اتخذوا بعض علماء هذا الدين ، وكان يقال لأحدهم (بخشى) كتابا لهم ،
فحثوا جماعة من المغول ناهيك عن تعليمهم الخط الأويغورى على اعتناق
الموثنية البوذية وتقديس الشمس ، وغلب على رؤساء المغول وأمرائهم
أن يستثيروهم فيما يتصل بالسحر والساحرين ، ولهذا اكتسبت كلمة
بخشى عند المؤرخين القدامى معانى الوثنى والعالم بالسحر والساحر
والمنشىء والكاتب .

ولم يكن لخانات المغول مراسم مفصلة كثيرة فى جلوسهم
أو استقبالاتهم فى بداية أمرهم فلم يكن لهم أصلا بلاط أو علامة ، وكانت
رسومهم فيما يختص بهذه الأمور ساذجة ومختصرة .

وبعد حثف جنكيز أحب كبار أسرته أن يرفعوا ابنه أوكتاي الى مقام
الخان فتخبروا يوما مسعودا بإشارة المنجمين ثم رفعوا قلانسهم بناء على
العادة المتبعة ، وأخذ جغتاي يمين أخى جنكيز وأمسك هذا بيسرى أوكتاي
وأجلساه على العرش وقدم تولى له كأس خمر ثم ركع جميع الحاضرين
ثلاث مرات احتراما له هناؤه بهذا المنصب . ولما انتت مراسم الجلوس ،
خرج الخان الجديد أوكتاي وجميع الأمراء من المعسكر وخروا ركعا
للشمس مرات ثلاث ثم جلسوا للشرب واللهو والتلذذ . وبعد انتهاء دن
السرور ، صنعوا صنوف الطعام لثلاثة أيام متوالية على رسم المغول فى

ذكرى روح جنكيز وأرسلوا أربعين ابنة رائعة الحسن من نسل الأمراء
والنجباء مزيينات بأبهى الزينات ممتطيات صهوات خيول ممتازة الى روح
الخان موتا •

وحيثما كان خان المغول يود أن ينزل أحدا منهم أعلى درجة لحبه
كان يمد له يده بكأس من شراب العنب أو لبن الخيول المسمى عندهم
(قميز) ، فيأخذ هذا النازل منزلة الحب بكأس الرخمة واللطف ، ويخر
راكعا ويعبده في شربة واحدة • وكان رسم تناول هذا الكأس واعطائه من
أهم مراسم المغول المعمول بها • وإذا ما عقد صلح وأصدر الطرفان
قرارات شربوا الخمر بعد اذابة قدر من الذهب به أو قدموا المشروب في
كؤوس من الذهب •

أما من أدى خدمات جليلة لسلطين المغول وأمدوهم وقت الشدة
فكانوا ينزلون منهم منزلة اكرام خاص يسمى باصطلاحهم
(سيور غاميشي) ، اذ يعطون أراضى وأملاكا ليتمتعوا بثمراتها • وإذا
تفعل هذا النوع من الانعام الى أعقاب النعم عليه ووارثيه سمي بالمغولية
(سيور غال) •

النظام العسكري والحكومي المغولي :

اختار جنكيز خان عددا من المغول حرسا خاصا له سمي الواحد
منهم (كشيكي) أى الحارس كانوا ثمانين حارسا لحراسة الليل وسبعين
لحراسة النهار •

وفضلا عن الحرس الخاص ألف جنكيز فرقة من صفوة المقاتلة
عددها ألف وأطلق على كل منهم (بهادر) وتعنى البارز والشجاع وقد
عدوا في الحروب طلائع حرس الجيش •

وقد ضمت غالبية قادة جنكيز الحرس الخاص به ولما أنه يعرفهم
حق المعرفة وبلاهم بالتكليفات الصعاب فترات وعلى هذا فقد تعهد بقيادة

فرقة جيشه قواد لم يدينوا بطاعة الا طاعة أمره وقد توفر تحت أيديهم جنود يطيعون أوامر الخان طاعة عمياء وينفذونها تنفيذا الآلة لأمر صاحبها .

وقد بلغ من بين رجال جنكيز والمحيطين به أسمى المناصب أمراء أسرته الذين سمي الواحد منهم (نون) أو (نويان) ، وتلقب تولى بن جنكيز بلقب (ألخ نويان) أي الأمير الكبير .

أما أشرف الجيش فقد تلقب كل منهم بلقب (ترخان) وأعفوا من الضرائب وتملكوا الغنائم في الحروب وكانوا يدخلون بلاط الخان بلا اذن أو اجازة منه ولهم في الاحتفالات المنازل الخزية بهم يشرب كل منهم من يد الخان .

انقسم جيش جنكيز الى فرق قوام الواحدة عشرة آلاف جندي وسميت الواحدة (تومان) ، وانقسم كل تومان الى عشر جماعات كل منها ألف ، وانشعب كل ألف الى عشرة أقسام كل منها مائة ، وتفرعت كل مائة الى عشر مجموعات كل منها عشرة جنود .

واعتبر المغول جهة الجنوب أكبر الجهات قداسة فتوجهوا اليه عند اصطفاة جيوشهم وقسموا الجنود الى ميمنة وميسرة وقلب ودرج قائد الجيش أن يأخذ موقعه في القلب .

وتعين على قواد التومانات والآلاف والمئات والعشرات أن يقابلوا جنكيز مرة كل عام فيتلقون عنه الأوامر ويتعلمون ما يصلح القتال . ولم يسمح لأحد الجنود من الألف أو المائة أو العشرة أن يترك فرقتيه لينقاد لقائد غير قائده ، وإذا فعل ذلك كان جزاؤه القتل وعوقب من سمح له بهذه النقلة عقابا صارما .

والحفاظ جنكيز بجنده فقراء محتاجين لكي يحرضهم على الغلبة ويلجأهم الى الفوز وكانوا يحملون في وقت التحرك أسلحتهم ولوازم

حياتهم من البينق حتى الابرة ، واذا ضيع أحدهم شيئاً من ذلك واتضح
هذا يوم عرض الجيش ، أو ما يسمى اليوم فرش المتساع ، عذب وعوقب
بشدة .

وجرى رسم مغول جنكيز حين الزحف أن يسبق لوازم الجيش
المثقلة ومخيمات الغلمان والأطفال والنسوة الجيش بمسافة في أوقات
الاطمئنان فإذا ما عن المخطر تأخر ذلك كله الى عقب الجيش حتى يطمئن
الجنود أثناء هجومهم .

ولما اتسعت دائرة أملاك وممالك المغول وأخذ الجنود والسفراء
والتجار يترددون ويختلفون أقام جنكيز على رؤوس الطرق منازل للقوافل
وسميت (يام) وزودها بلوازم المسافرين والجيش من المؤونة وعليق
الخيول والمأكولات والمشروبات والحيوانات ويدفع نفقات ذلك التومانان
(لكل يام تومانان) . وجهزت في هذه المنازل خيول البريد الحكومي
المسمى بـ (ألغ) لتوصيل السفراء وكانت هذه اليامات تفتش ويسد
ما ينقص منها .

واذا ما كان جنكيز يود الاستيلاء على مدينة أو يدعو أميراً أو ملكاً
لطاقته كان يدعو الى طاعته (ايلي) عن طريق الرسل فإذا لم يطع ثارا
عاضيا (ياغى) ولزم الأمر حربه .

واذا وصل خان المغول الى بوابة المدينة التي يزعم الاستيلاء عليها
ودعا أهلها الى طاعته فإذا خرج الى استقباله كبارها بالهدايا والتقدمات
أو كما يصطلح المغول عليها بـ (ترغو) والتزموا بمؤونة الجيش
وبالخراج لا يتعرض جنكيز الى مدينتهم وعين عليها من قبله (باسقاق)
أو شحنة وحاكما وأعطى أميرها المنقاد أمرا (يرليغ) حتى لا يتعرض له
أحد ، واحتوى هذا اليرليغ على الـ (تمغا) أى خاتم الخان المسود
الحبر أو بماء الذهب وقد سمي المسئول عن ختم هذه اليرليغ (تمغاچى) .
واذا آثر أهل المدينة العصيان أو العداوة صدر عليهم حكم قتل

نسائهم وأطفالهم وأقاربهم وخراب مدينتهم وقتل الناس جميعا ، وكان نظامهم في معاملتهم المهزومين أن يخرجوا الناس أولا عن المدينة ، ثم يفصلوا عنهم ذوى الحرف ويرسلونهم الى مدن التركستان والمغول ثم يختارون جماعة (حشرا) معهم كما رأينا ، ثم يضربون أعناق الباقين •
واذا ما صار أحد العمال محل ظنة خان المغول كان يدعو الخزان الى الترافع والدعوى وسميت هذه الدعوى (يرغو) وأطلق على قضاتها (يرغوجى) •

تقسيم ممالك جنكيز :

كان من بين أبناء جنكيز السبعة (١) أربعة حازوا الاحترام وكان منظور نظر أبيهم ومدده في عظام الأمور وهم أبناء زوجته الأثيرة (يسونجين بيكى) جوجى أوتوشى وجغتاي وأوكتاي وتولوى أو تولى •
وقد تم تقسيم ممالك جنكيز بعد فتح الصين الشمالية وبلاد الكرائيت والنايمان والأويغور والتتقوت والقراخطائين والخوارزمشاهيين وذلك أيام حياة جنكيز على النحو التالى :

- ١ - الخطا أى الصين الشمالية صارت نصيب أخى جنكيز •
- ٢ - من كاشغر حتى مدينة بلغار (غازان الحالية فى روسيا المركزية) أى الوادى الأعلى لسيحون وجيحون وخوارزم وصحراء القبجاق وروسية الجنوبية وسفوح جبال الأورال وسيبيريا الغربية صارت تبع جوجى ، ولما مات خلفه ابنه باتوخان عليها •
- ٣ - تركت البلاد السابقة للقراخطائين وما وراء النهر لجغتاي •
- ٤ - وأصاب أصغر أبناء جنكيز وهو تولى البلاد الأصلية لأجداد المغول •
- ٥ - أما أوكتاي ولى عهد جنكيز فقد كان نصيبه أقل من غيره وانحصر فى نواحي جبال التارباكاتاي وأطراف بحيرة آلا كول ووادى نهر ايميل فى غرب بلاد المغول •

(١) ذكر المؤلف أن عدد أبناء جنكيز تسعة منذ وقت قليل •

الفصل الثالث

سلطنة أخلاف جنكيز حتى أيام قيادة هولاكو

سلطنة السلطان جلال الدين المنكبرنى :

بعد أن أنجى السلطان جلال الدين نفسه من قبضة جنود جنكيز بشق النفس وعبر السند بقى مدة مع خمسة أو ستة من أتباعه فى الأدغال الواقعة شمال هذا النهر حتى اجتمع عليه عدد من الجنود ومن ثم أخذ يهاجم الهنود متسترا بجنح الظلام ويسلب أنعامهم ويغتتم سلاحهم فارتفع أمره ولحق به الفارون من الجيش الخوارزمى من هنا وهناك ، الى أن سمع المغول ثانية بصيت شوكتة وقدرته فجمعوا جموعهم للقضاء عليه • ولم يطق جلال الدين مقاومتهم فكان يتفادى مواجهتهم فيمم وجهه شطر دهلى وجمع حشدا من الجند هاجم به السند وهزم أمراءه وكان أشهرهم (شمس الدين التتمش ٦٠٧ - ٦٣٣ هـ) من غلمان سلاطين الغور وقد أسس الأسرة الشمسية فى دهلى وغدا من بعد ذلك من أشهر سلاطين الهند •

ومع أن شمس الدين كان ظاهرا يداهن جلال الدين الا أنه فى باطنه كان يخشى قوته فجمع فى النهاية نحو ثلاثين ألفا أرسلهم لمنعه الا أن أحد قواد جلال الدين تمكن من تشتيتهم فلجأ شمس الدين الى الاعتذار واطهار المحبة • ولما سمع جلال الدين فى هذه الأثناء أن أخاه غياث الدين قد استولى على العراق وأن براق حاجب سيطر بدوره على كرمان وكان القواد فى هذه النواحي يميلون اليه غادر الهند وولى وجهه شطر ايران • وبلغ السلطان جلال الدين وأتباعه كرمان عن طريق مكران وهلك

منهم أثناء الطريق كثرة بسبب الجفاف وفساد الجو ولم يتبق منهم حين بلوغهم كرمان في (٦٢١ هـ) غير نحو أربعة آلاف .

كان براق التركي القراخطائي في بداية أمره جاجبا للكورخان المعاصر للسلطان محمد الخوارزمي ثم أتى بعد ذلك سفيرا من قبله الى السلطان الخوارزمي فلم يدعه السلطان يعود واستبقاه بخوارزم ، ولما سقطت الأسرة القراخطائية جعله خوارزم شاه جاجبا له وأعلى مقامه ومنزلته ولما انتهى أمر السلطان محمد ، علا أمر براق الحاجب في خدمة غياث الدين ولد السلطان حتى أقامه حاكما على كرمان من قبله حين زحف للسيطرة على العراق ، وتمكن براق من قلعة (كواشير) أو كرمان الحالية واتخذ منها محلا لاقامته .

ولما ترك جلال الدين الهند الى كرمان بعث اليه براق الحاجب بنهدايا كثيرة ودخل طاعته ومع أن جلال الدين شاهد منه أمارات النفاق والخيانة ودعاه جمع من الأمراء الى القبض عليه واستخلاص كرمان منه ، الا أنه لم ير الصلاح في دعوتهم ، وكان أيضا في عجلة من أمره فترك براقا في كرمان وتوجه الى شيزار .

وأرسل أتابك فارس سعد بن زنكي ، وكان غياث الدين قد أصابه بهزيمة وأصيب منه بالبغضاء ، بسلغور شاه ابنه ليستقبل السلطان جلال الدين وتزوج السلطان بابنة الأتابك وتقدم الى أصفهان واستقبله قاضيها بحفاوة بالغة .

وحين أن سمع غياث الدين بقدوم أخيه واستيلائه أتى على رأس ثلاثين ألف فارس لدافعته ، فأرسل جلال اليه سفيرا منعه من التحارب وأعادته الى الري والتقادت غالبية قواد جيشه لأمر جلال الدين . وعان غياث الدين هذه الحال ففر من أمام أخيه فتمكن جلال من الري وأمن أخاه واستبقاه بخدمته على حال من الاحترام . لكنه بعد ذلك ارتكب خطأ فقد أهلك في حالة من السكر أحد خاصة ندماء السلطان ، فجعل السلطان

يعاتبه فخافه وفر الى خوزستان ثم الى العراق ثم آب الى خوزستان وأرسل منها براقا الحاجب وقرر الاثنان أن يلتقيا في (ابرقو) • وأتى غياث الدين كرمان ومع أن براقا كان تابعه ظاهرا لكنه كان يعد نفسه السيد عليه في حقيقة الأمر ويعمل في اضعاف أمره الى حد أنه حثه على أن يزوجه بأمه ، فاستأذن بعض أمراء براق المسمئزين عليه لحركته هذه غياث الدين سرا أن يقتلوه ، لكنه لم يأذن لهم ، وعلم براق بما حدث فألقى بغياث الدين وأمه في (٦٢٥ هـ) في الحبس واستقل من هذه الآونة بكرمان تماما • وقد دخل براق وأولاده من بعده في طاعة المغول لذا فقد تأمروا نحو ثلاثة وثمانين عاما (من ٦١٩ حتى ٧٠٣ هـ) في كرمان وتسمى أسرهم بالقراخطائيين أو بأسرة القتلغخانية على لقب براق •

فتوحات السلطان جلال الدين : —

وبعد أن تفوق السلطان جلال الدين على أخيه دخل خوزستان وأمضى بها شتاء عام (٦٢١ هـ) وقبل طاعته جماعة من الرؤساء اللوريين •

وراسل السلطان الخليفة الناصر العباسي من خوزستان وطلب عونه لدفع المغول لكن الخليفة لم يجب طلبه لغضبه على السلطان تكش ومحمد خوارزم شاه واحنته على الأسيرة الخوارزمية • بل أراد دفعه فأرسل أحد أمرائه بعشرين ألفا لمدافعته ودعا مظفر الدين الكوكبوري (٥٨٦ — ٦٣٠ هـ) صاحب اربل لمده وقتال جلال الدين •

وأتى السلطان جلال الدين العراق اثر تسخيره شوشتر وغلبيته تابع الخليفة عليها وفتح البصرة وهزيمة جيش الخليفة ، وانكب جنوده يؤذون الناس ويغيرون على كل عامر لقلة أسباب الحرب والملبوس والركوب بأيديهم وانبعث في سائر العراق خوف منهم شديد ، وتقدم جلال الدين الى أن بلغ قرية (بعقوبا) على مسافة سبعة فراسخ من بغداد ، لكنه بدلا من أن يستصفي بغداد من وجود هذا الخليفة المعرض المحتال وينتقم منه للمصائب التي حلت عن طريقه بجده وأبيه

اتجه الى (دقدقا) وحاصرها وأخذها وسمع بها أن صاحب اربل مظفر الدين أت بجيش كبير ويفكر في مباغتته بالهجوم • فبادر السلطان وفاجأ مظفر الدين وأسره لكنه عامله باحترام وأعاده الى مملكته وعزم هو آذربايجان •

وكانت آذربايجان وأران كما رأينا في تاريخ الأتابكة في يد الأتابك أوزبك بن الأتابك محمد جهان بهلوان في ذلك الوقت ، وكان يقضى أيامه في الشرب والفسق وقد تزوج بابنة طغرل الثالث آخر الملوك السلاجقة العراقيين ولم يتصف بأدنى كفاية أو إدارة ولقى الرعايا كثيرا من الآلام من عماله وأرباب دولته ، فضلا عن أن خطر الستيلاء الكفار الكرجيين الذي كان يتجدد أغلب الوقت قد سلب الراحة والأمن من رعية هذه الناحية كما حدث في (٦٢٢هـ) حينما هاجم الكرجيون شروان مرة وأران وآذربايجان مرة ثانية لكنهم على اثر مقاومة المسلمين الباسلة ودفاعهم الشجاع انقلبوا مغلوبين مهزومين •

وأخلى الأتابك أوزبك تبريز لما سمع بتحرك جلال الدين اليه وهرب الى كنجه وانتهت أمور بلاده الى يد الملكة زوجته • وسيطر السلطان جلال الدين في السابع عشر من رجب (٦٢٢هـ) على تبريز ومع أنه كان ينفر من أهلها ويعددهم شركاء المغول في قتل الجنود الخوارزميين وإرسال رؤوسهم الى العدو لكنه عفا عنهم وبعث الملكة زوجة الأتابك مع جماعة الى خوى باكرام ولم يتعرض الى ما في تصرفهم ، ثم عامل الرعية وأملاكهم معاملة حسنة وخطب فيها للخليفة ، وأخذ يجمع الجند لضرب كفار الكرج •

لكن هذا الحال لم يدم فبينما كان جلال الدين يقاتل الكرجيين قسام بعض رؤساء تبريز وقاطنيها منحازين للأتابك ، فأغلظ جلال الدين لمخالفيه شديد الغلظة بعد أن عاد وبني بزوجة الأتابك ومات الأتابك أسي وحسرة لذلك •

وفي (٦٢٢هـ) حمل جلال الدين بجيش جرار على الطرف الجنوبي لبحيرة سوان (كوكجة الحالية) واستعاد مدينة تووين أو دووين إحدى البلاد الإسلامية قرب إيروان الحالية وكان الكرجيون قد استلبوها من المسلمين سابقا ، ثم آب الى تبريز للقضاء على ثورة أهلها •

وحيثما كان جلال الدين في تبريز عمل الكرجيون على إزالة ما لحق بهم من هزيمة على يده فجمعوا قوى جديدة من اللان واللجيين والمقبجاق وهاجموا جيش جلال الدين والبلاد التي سيطر عليها فحمل جلال الدين بجيش عظيم عليهم وأمر أن لا يدعوا واحدا منهم حيا وألا يرحم منهم واحد ففعل المسلمون ذلك وتقدموا حتى تفليس عاصمة الكرجيين ومقر ملكتهم سافكين قاتلين •

ولم تكن الملكة تطيق المقاومة فخرجت عن تفليس في الثامن من ربيع الأول (٦٢٣هـ) وأعمل السيف في سكان هذه المدينة وكانت تنص بهم ولم يبق على أحد منهم غير من دخل السلام • واسترق جنود جلال الدين النساء والأطفال وباعوهم لتجار العبيد وقتلوا الرجال ومدوا نطاق قتلهم وغارتهم الى جميع المدن المسيحية جنوب تفليس وقد أنزلوا بها ما كان ينزل المغول بالبلاد التي هاجموها •

وأثناء ما كان جلال الدين مشغولا بتعقب الكرجيين في بلادهم وصله عسيان براق الحاجب في كرمان وانتهازه مغيب السلطان للاستيلاء على العراق فضلا عن أنه راسل المغول وخوفهم كثرة عساكر جلال الدين وقوته •

وكان السلطان ينتوى غزو أرمينية والاستيلاء على قلعة خلاط (أخلاط) لكنه عجل مسرعا ومعه ثلاثمائة فارس من تفليس فوصل كرمان بعد سبعة عشر يوما • ولما سمع براق بقدومه المفاجيء أخذ يبدى اعتذاره فعفا عنه وأبثاه بحكومة كرمان وتوجه الى أصفهان • ولم يكد السلطان يستريح من تعب السفر في هذه المدينة حتى وصلت مسامعه أنباء اجتماع

الكرجيين ومهاجمة عساكر صاحب خلاط لعسكره فأجبر على العودة الى الكرج وأرمنية فبلغ في رمضان (٦٢٣هـ) من العراق تفليس ، وبعد مدة من القتال والنزال فيها ، زحف منها الى حدود بحيرة وان قاصدا خلاط التي كانت تحت امرة أحد الملوك الأيوبيين من أبناء أخى السلطان صلاح الدين الأيوبي .

ولم يتيسر لجلال الدين فتح خلاط في هذا السفر لاستبسال صاحبها في الدفاع عنها وصعبت برودة الشتاء الأمر أيضا عليه ، لذلك ترك في الثالث والعشرين من ذى الحجة (٦٢٣هـ) فتحها وكر راجعا الى آذربايجان . ولما رأى جلال الدين تعب جيشه من الحرب أمرهم أن يقضوا الشتاء في المراتع الصيفية للاستراحة واطعام دوابهم على أن يتأهبوا للحملة على أخلاط في ربيع عام (٦٢٤هـ) .

وفي هذه الأثناء دعا الكرجيون المحصورون في مدينتي آنى وقارص مسلمي تفليس الذين ذاقوا الشيء الكثير من جور الخوارميين وظلمهم أن يهاجموا تفليس وكانت بغير مدافع ، وبعد قتل أتباع جلال الدين بها واشتعال النار بها خلصوها وأخرجوها عن تملكه ، ولما آب اليها جلال الدين لم يجد من أتباعه أحدا فامتنع عن تعقب الكرجيين . وفي نفس العام (٦٢٤هـ) قتل الاسماعيلية أحد أمراء جلال الدين الكبار الذى استقطع كنجة له واشتهر خلافا للسلطان بالرافة والعدل والكرم ، فاستولى الغضب على جلال الدين وهاجم بلادهم وسيطر على كثير من أملاكهم في الموت وقومس وأكثر فيها القتل والغارة وكان مشغولا بهما حين وصله خبر وصول جنود المغول الى الدامغان . وتقدم السلطان لدفعهم وكانوا قلة فغلبهم فاسترق بعضهم وتعقب آخرين وعاد الى آذربايجان .

حرب جلال الدين للمغول بالقرب من أصفهان في رمضان (٦٢٥هـ) :
ولما عاد جلال الدين الى آذربايجان أخبر أن عددا كبيرا من المغول

تحرك الى العراق بقيادة خمسة نفر من قوادهم ، فأتى جلال الدين العراق من تبريز ، وأبقى نحو أربعة آلاف من جنده ما بين السرى والدامغان للاطلاع على أحوال المهاجمين المغول وذهب هو الى أصفهان وجعل منها مركز جيشه بسبب تجمع أتباعه وتهيؤ أسباب القتال فيها فأقام بها وكان المغول قد بلغوا حوالى هذه المدينة أيضا فى هذا الوقت •

وما أن رأى وحشيو المغول توقف جلال الدين عن خروجه من المدينة ظنوا ذلك خوفا منه فأرسلوا من بينهم ألفى نفر الى المناطق حول لرستان لجمع المؤونة والغنائم ولكى يطمئن بالهم بشأن المؤن وهم يحاصرون المدينة • فأرسل جلال الدين لفوره ثلاثة آلاف مقاتل خلف هذه القوة فحاصروا المغول فى مضائق الجبال ومعابرها وأسروا منهم نحو أربعمئة وأتوا بهم الى المدينة فأعطى جلال الدين بعضهم الى قاضى أصفهان ورئيسها فقتلهم وجعلا من أجسادهم طعمة للكلاب والنسور •

وفى الثانى والعشرين من رمضان (٦٢٥هـ) صف جلال الدين صفوفه لقتال المغول ، فجعل ميمنة جيشه لأخيه السلطان غياث الدين وقساد هو القلب ، ولم يكد أمر القتال يستقيم حتى ولى أخوه غياث الدين وأحد أمراء السلطان دبيريها مع فئة من العسكر فارين فأنزلوا بخيانتهم هزيمة عظيمة على جلال الدين ، ومع هذا لم يكف جلال الدين عن القتال ووقعت بينه وبين المغول حرب عظيمة واشتد هولها واختلط الحابل فيها بالنابل حدا جعل نتيجتها غير معلومة فترة ، وألحق الجناح الأيمن لجنود جلال الدين الهزيمة بميسرة جيش المغول وركبوا أكتافهم حتى كاشان ، لكن ميمنة المغول على النقيض من ذلك وكان جنودها كامنين أنزلوا بميسرة السلطان الهزيمة ، وبقي السلطان وكان فى القلب ويجعل أحوال جناحى جيشه وحيدا ووقع موقع حملات العدو ، فاستبسل فى قتالهم قتال الفر حتى نجا بنفسه منهم وهرب الى لرستان وهلك قلب جيشه وميسرته وقتل فى هذه الواقعة أكثر أمراءه وقواده الشجعان وفر من بقى من

السيث منهم الى فارس وكرمان وآذربايجان • وبعد يومين عادت ميمنة السلطان من كاشان الى أصفهان ظنا منها أن القسمين الآخرين من جيشه في أصفهان ، لكنهم ما ان عرفوا بحالة السلطان وجنوده الأليمة حتى تفرقوا وتواروا في الأطراف والأكناف ، ووقع أهل أصفهان وكانوا حتى هذا الأوان بمنجى من الغارة المغول في اضطراب وقلق عظيمين بسبب اقتراب المغول وجهلهم أحوال السلطان ولم يعرف أحد ماذا حدث للسلطان وماذا كان هدف المغول بعد أن تغلبوا عليه •

أما المغول فقد رأوا أهوالا كبيرة وكانوا فريسة خسائر عظيمة فعادوا بعد أيام ثلاثة متعجلين الى الري وخراسان وعبروا جیحون على حال من الاضطراب وعادوا الى معسكرهم الأول • وظل أهل أصفهان جاهلين مصير السلطان لثمانية أيام وكان أغلب تصورهم أنه قتل في الحرب الى أن ورد بعد هذه المدة جلال الدين أصفهان فاحتفل أهلها ببشرى وروده وأقاموا مجالس السرور •

ومكث جلال الدين بضعة أيام بأصفهان واجتمع عليه الفارون من جنده من كل مكان وأمر السلطان الذى غضب لتساؤل أغلب قواده في المحرب أن يلبس من أظهر الوهن في قتاله ملابس النساء ويطاف بهم في محلات المدينة • أما من أظهر على خلافهم التضحية والثبات والدفاع فقد خلع عليه ولقب أغلبهم بألقاب الخانية والملكية والفخرية ثم خف الى تعقب المغول الى الري •

أما غياث الدين الذى كان مشفقا من أخيه لقتله أحد خواصه وهرب من القتال لهذا السبب ذهب من أصفهان بعد فراره الى خوزستان ولما لم يستطع البقاء بها لاذ أولا بصاحب الموت ثم سلك بعد ذلك طريقه الى كرماني ، ثم قتله براق الحاجب بها في نفس العام على نحو ما سبق •

وأتى جلال الدين الى آذربايجان بعد أن أصلح أمره وغلب العصاة الذين أفادوا من غيبته وأعلنوا عصيانهم بهذا البلد • وكان الكرجيون قد

تأهبوا للانتقام بجيش كثيف فحمل عليهم متجاسرا وسيطر ثانية على تفليس وغنم ما بها ثم توجه الى فتح أخلاط ، وفي أوائل شوال (٥٦٢٦هـ) ضرب حصاره عليها ، وأثناء ذلك أنفذ السلطان علاء الدين كيقيباد الساجوقى سلطان بلاد الروم الى جلال الدين سفراء ليفتتح باب العلاقات الودية ، الا أن السلطان لم يجب طلبه مغترا بل هدد علاء الدين بالهجوم على بلاده . وقد جعل هذا علاء الدين يدخل في تحالف مع ملك أرمينية الأيوبرى على جلال الدين وقرر طرده ومنعه .

وبعد عشرة شهور استطاع أخيرا جلال الدين أن يستولى على مدينة أخلاط التى كانت من ممتلكات السلطان الأيوبرى لأرمينية ، لكنه بعد قليل اشتبك مع السلطان علاء الدين كيقيباد والجنود الأيوبيين وفي رمضان (٥٦٢٧هـ) أصيب بالهزيمة منهم في (ياسى جمن) من مناطق أرزنجان ففر الى خوى ، ولما سمع أن المغول قاصدوه وآتون الى آذربايجان لجأ الى الرضا بصلاح أعدائه ، وقر السلام بينه وبين علاء الدين و السلطان أرمينية الأيوبرى .

سلطنة أوكتاى قا آن

(٦٢٦ - ٥٦٣٩)

آثر جنكيز خان كما مر قبل وهو حى أوكتاى ابنه الثالث لخلافته ، وارتضى سائر أبنائه وكبار المغول تبعية أوامره ودانوا له من بعد موت جنكيز بالطاعة ، ولكى يأخذ انتصابه في مقام الخانية صورته الرسمية عقد اجتماعا بعد عامين ونصف من موت جنكيز أى في ربيع عام (٥٦٢٦هـ) على ضفاف نهر كرو لن ونتج عن هذا القوريلتاى العظيم اختيار أوكتاى لمقام الخانية وأصبح (أوكتاى قا آن) خليفة أبيه .

وفي القوريلتاى الذى انتبى باختيار أوكتاى للسلطنة صمم أمراء المغول وقوادهم أن يسيروا جيوشين لإنهاء عمليات فتح عهد جنكيز وفتح

البلاد غير المفتوحة أحدهما الى بلاد الخطا او الصين الشمالية والثانى الى ايران للقضاء على السلطان جلال الدين وفتح آذربايجان وبلاد الكرد .

وقد جعلت قيادة الجيش الثانى لمن سمي باسم جرماغون نويان فأتى التركستان بخمسين ألفا وعدد من قواد الجيش ووصله مدد خوانين خوارزم وحكامها المغول وحشر خراسان أيضا فوصل ايران ومعه نحو مائة ألف وبلغ العراق عن طريق اسفراين والرى .

انتهاء أمر السلطان جلال الدين في (٦٢٨هـ) : —

كان السلطان جلال الدين في هذا الوقت في خوى وكان يظن أن المغول سوف يقضون الشتاء بالعراق فترك خوى الى تبريز وأرسل جيشه لقمضية الشتاء بصحراء موقان (موغان) ، لكن لم يطل الأمر حتى وصل خبر بلوغ طلائع المغول زنجان ، فتحرك جلال الدين متعجلا الى موقان بعد أن يأس من معونة الخليفة وعلاء الدين كيقيباد والسلطان الأيوبي لدفع المغول لكي يجمع من تفرق من جنوده لكن المغول كانوا أسبق اذ وصلت أعداد منهم اليه بموغان وهاجموا خيمته ليلا لكنهم فشلوا في أن يمسكوا به فسلم من المعركة ولأذ بالفرار الى نهر أرس وتفرق جنده جميعا .

وبعد أن أمضى السلطان شتاء عام (٦٢٨هـ) في ماهان (أورهيّة) سمع أن المغول عبروا جمن أوجان وفي طريقهم الى تعقبه فأجبر على التحرك من ماهان ووصول كنجه . وفي كنجة قام بتأديب جماعة من أهلها كانوا قد قاموا أثدياعا للمغول وقتلوا بعضا من الرجال والعسكر الخوارزميين وأرسلوا برؤوسهم الى المغول ، ثم قصد أخلاطا وديار بكر ليستمد سلاطين الشام والجزيرة لكن المغول تقاطروا على رأسه بغتة على مقربة من ديار بكر وقتلوا أغلب أصحابه ، أما هو فقد هرب مرة أخرى سالما من الميدان واتجه نحو ميا فارقين ، وفي الجبال المحيطة بهذه المدينة قتلتته

جماعة من الأكراد في نصف شوال (٥٦٢٨هـ) •

وبعد أن تأكدت حادثة قتل جلال الدين أرسل صاحب مدينة آمد (دياربكر) الى الجبال التي قتل فيها السلطان من أتى بفروسه وسلاحه وثيابه كما جمع عظام هذا السلطان التعس ودفنها في أحد الأماكن •

وظل الناس نحو ثلاثين عاما بعد قتل جلال الدين المنكبرنى يعتقدون أنه لا يزال حيا لأنهم لم يحيطوا علما مؤكدا عن كيفير موته ، وكان أحد الناس يخرج كل يوم وقرول انه السلطان فيسعد الناس ببشرى ظهوره ويفزع المغول • ونقل أساطير في شأنه ، ولم يشأ أحد أن يصدق موت هذا الرجل الشجاع الذى لم يسترح دقيقة طوال مدة حياته وكان كل أيامه في أحد الأماكن في مناطق ايران والعراق والجزيرة وبلاد الكرج الواسعة وكان يعد ندا قريبا لكفار المغول والكرجيين •

هجوم المغول الثانى على البلاد الاسلامية : -

قام الجيش الذى توجه بعد قوريلتاي عام (٥٦٢٦هـ) بقيادة جرماغون وبأمر أوكتاي الى ايران ولتعقب السلطان جلال الدين المنكبرنى ، فضلا عن القضاء على هذا السلطان بتسخير البلاد التى لم يكن المغول قد فتحوها آنذاك مثل غزنين وكابل والسند وزابلستان وطبرستان وجيلان وأران وأذربايجان والجزيرة وغيرها • وفى هذه المرة الثانية مع أن غزو المغول لم يكن بأهميته في المرة الأولى لكنه بسبب عدم ظهور من يقف أمام سيل هجومهم وكان الناس ضعافا من كل جانب وفريسة الرعب والوحشة الزائدين عن كل حد ، فلم تكن سرعة تقدم المغول أقل منها في المرة الأولى ، ولم يخف القتل والنهب والتخريب الذى حدث عما كان عهد جنكيز وأبنائه كثيرا خاصة وقد تخلص المغول من شر ندد خطير مثل جلال الدين وأطاع أن بالهم فأخذوا ينهبون ويسلبون بغير ممانع في أذربايجان وأران وأرمينية والكرجستان والجزيرة والعراق وأحالوا هذه المناطق التى كانت تحيا في عجز وعذاب بسبب صراع الأمراء وتنافسهم

في السنين المتأخرة أحدهم مع الآخر وهجمات جلال الدين ومظالمه هو وعماله ، أحالها المغول مرة واحدة الى مقتل ومغار ومنهب ، وتقدموا حتى حوالى بغداد وداخل الأناضول •

انشعب جنود المغول بعد قتل جلال الدين ثلاث شعبي اتجهت الأولى الى التسخير والاغارة على بلاد ديار بكر وأرض روم (ارزنة الروم) وميافارقيين وماردين ونصيبين والموصل وتقدمت حتى بساحل الفرات • وقد قامت هذه الشعبة في حملتها هذه بتخريب وقتل جعل الناس لا يطيق مقاومة للمغول أو حتى مجرد سماع اسمهم ، وقد حل الفرع منهم في قلوبهم الى حد أنه لو قلنسوة مغولية كما يذكر أحد المؤرخين سقطت بين ألف فارس مقاتل خوارزمي لتفرق جمعهم ، وكان هذا هو حال المقاتلين فماذا كان حال العامة العاجزة عن الحرب التي لم تجرب منها شيئاً ١٩ •

واتجهت الشعبة الثانية من جنود التتر الى مدينة بتليس (بدليس) وبعد أن أخرجوا هذه المدينة استولوا على بعض القلاع على حدود أخلاط وغيرها وقتلوا أهالي هذه النواحي بالجملة • وسيطرت الشعبة الثالثة في أواخر عام (٦٢٨هـ) على مراغة ثم أتت اربل عن طريق آذربايجان وقتلوا من الناس مقتلة عظيمة ، ولما لم يقع لأعد خبر عن مصير جلال الدين فقد مكثوا في هذه الناحية وبآذربايجان • ثم تحركت في أوائل (٦٢٩هـ) لأخذ تبريز عاصمة آذربايجان ونجت المدينة من القتل العام والتخريب بسبب استسلام أهلها لهم •

وبعد أن قلب المغول آذربايجان وجيلان والولايات الأخرى التي كانت تتعلق بجلال الدين رأساً على عقب تحركوا الى مسحاء موغان لقضاء الشتاء ثم زحفوا في العام التالي لتخريب أرمينية والكرجستان والجزيرة وبلاد الروم • وفي هذا التحرك سخر المغول كنجة من ناحية ودخلوا أرمينية ، ثم عبروا من ناحية أخرى في (٦٣٣هـ) اربل ونيوى وفي

عام (٦٣٤هـ) انقلبوا الى بغداد ووصلوا حتى السامرة • ونادى الخليفة وعلماء بغداد بالجهاد ، فهزم المسلمون المغول على مقربة من تكريت ما بين نهر دجلة وجبل حميرين وخلصوا من قبضتهم نحو خمسة عشر ألف أسير من مدينتي الربل ودقوقا ، وأحكمت بغداد ، ولكن ما ان عاد المغول في آخر عام (٦٣٤هـ) الى بغداد ثانية حتى أصابوا المسلمين بالهزيمة في خانقين وقتلوا منهم خلقا كثيرا وعادت بقية المسلمين منهزمة الى بغداد •

وفي الغزو الثانوي في شرق ايران وجنوبها الشرقي أي سيستان وغزني وكابل وحدود السند قام المغول بالهجوم النهب وجعلوا من مناطقها غير فارس وكرمان اللتين كان أمراؤهما أي الأتابكة السلغوريون والقرطائيون يدفعون الجزية لهم ملعبا لقتلهم وغارتهم •

ولم ينته النزاع بين سلاطين الشام ومصر والجزيرة وبلاد الروم مع وجود أخطار حملة المغول الداهمة بل كان أحد هؤلاء السلاطين المغالين المحبين لمصلحتهم وحسب يقصد حياة الآخر من أجل التصرف في مدينة أو قلعة وفي كل حملة كانت الرعية البريئة في بلادهم توطأ بالأقدام والسنايك ، ولم يكن للخليفة العباسي ببغداد النفوذ ولا الاهتمام اللذان يمكناه من القضاء على صراعاتهم الداخلية ويجمع قوى ذلك الجمع المشتت للاجهاز على المغول في المعابر الخطرة بين أرمنية وبلاد الأكراد والشام •

وفي عام (٦٣٧هـ) ظهر قواد المغول بجيش جرار مرة أخرى أمام أبواب أرمنية لكنهم فشلوا في الاستيلاء على بلاد الروم أو الأناضول بسبب سيطرة جنود غياث الدين كيخسرو ولد علاء الدين كيقيباد وخلفه على معابر أرمنية الجبلية •

عزل جرماغون من قيادة جيش المغول عام (٦٣٩هـ) بسبب اصابته بالفالج وشغل مكانه بايجونويان ، وهاجم هذا القائد الجديد في نفس العام بجيش بلغ ثلاثين ألفا وبعدد من العرادات والمنجنيقات ارضروم

وكانت من بلاد غياث الدين كيخسرو (١) ، ففتح قلعتها وقتل كثيرا من أهلها واسترق بعضهم . وفي العام التالي تقدم غياث الدين لاييقاف هجوم المغول بجيش كبير من المسلمين والأرمن والعرب والكرجيين عن طريق البر وبيعض السفن عن طريق البحر الى أرمنية وواجه المغول قرب أرزنجان . ومع أنه كان منتصرا في بداية الحرب الا أن الهزيمة حاقت به في نهايتها ففر الى أنقورة (أنكورية) .

وسيطر المغول على سيواس وقيسارية (قيصرية) وأعملوا بهما الذهب والغارة . وفي النهاية عندما تحقق كيخسرو أنه لن يداني المغول أرسل لهم رسولا وقبل أن يؤدي لخان المغول كل سنة جزية نقدية وعينية وأن يكون تابعا له ، وكان قبوله تبعية المغول في حكم انتهاء استقلال سلاجقة الروم وانضمام بقية البلاد السلجوقية الى أملاك قاآن المغول .

استولى أوكتاي قاآن في (٦٣١هـ) على الصين الشمالية وترك حكمها الى مستشار أبيه المسلم محمود يلواج وأتاب أيضا ابنه مسعود بيك في إدارة بلاد الأويغور والختن وكاشغر وما وراء النهر حتى ضفاف جيحون ، وقام الأب والابن بتعمير التخریب الذي حدث واصلاح أحوال الرعية وإدارة تلك البلاد فوضعا بحسن تدبيرهما وعدلها مرهما على كثير من جروح أيام سيطرة المغول . وأمر أوكتاي قاآن بعد عودته من الصين بناء على قوريلتاي جديد

(١) يقصد المؤلف به غياث الدين كيخسرو والثاني ولد علاء الدين كيخسرو ، وكان غياث الدين كيخسرو هذا آخر سلطان سلجوقي قام بفتوحات في شرق الأناضول وبدأ أنه سيقوى من نفوذه لولا أن المغول هاجموا بلاده وهزمه بالقرب من الجبل الأقرع (كوسه طاغ) عام ٦٤١هـ / ١٢٤٣م ووقع الأناضول تحت قبضتهم ، ولم يبق للسلطان السلجوقي بعد عقد الصلح الذي نص فيه على جزية سنوية باهظة الا سلطة نظرية ، وكان أمراء السلاجقة يتولون الحكم فرادى ومثاني أو أكثر بيرالغ (جمع عربى لكلمة يرليغ المغولية بمعنى الفرمان والأمر) من حكام المغول . انظر قيام الدولة العثمانية . محمد فؤاد كوبريلي ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان (مصر / ١٩٦٧) ص ٥٦ - ٧ ، وأيضا : The Cambridge history of Islam, (London 1970) P. 249.

(باتو) ولد جوجى خان و(كيوك) ابنه و(منكو) (١) ولد جغتاي بالسيطرة على بلاد الروس والشركس والبلغار وأرسل تحت قيادتهم جيشا ضخما صوب أوروبا الشرقية . وكانت الرئاسة العامة في هذا الغزو لباتو خان ملك صحراء القبجاق وان كان زمام الحرب في الحقيقة بيد سببتاي القائد المشهور المغولى . وقد تمكن هذا الجيش البالغ مائة وخمسين ألفا في (١٢٣٥ هـ) من جميع المنطقة بين جبال أورال وشبه جزيرة القرم وكانت مسكنا للباشقرد والبلغار وهزم في السهول حول الفولجا أمراء الأسلاف وروسية وأشعل النيران ببلدى فلاديمير ومسكو ثم انقلب الى مملكة أوكرانيا فقلبها رأسا على عقب واستحوذ في (١٢٣٨ هـ) على كييف عاصمتها وبهذا دخلت كل روسيا تحت سطوة المغول وظلت روسية من هذا الوقت حتى قرنين ونصف قرن (١٢٣٦ - ١٨٨٦ هـ) تحت تسلط المغول محكومة بحكمهم وادارتهم .

وبعد فتح روسيا انقسم جيش المغول قسمين سلك أولهما طريق بولونيا (بولندة) وسلك الثانى طريقه الى المجر ، وتطلب القسم الأول في (١٢٣٩ هـ) على الحلف الألمانى والبولندى وضبط مدينة برسلو وتقدم حتى برلين الحالية ومملكة ساكسونيا . أما القسم الثانى فقد هزم المجرىين في نفس ذاك الوقت واستولى على عاصمتهم (بست) وتقدم حتى ما يقرب من فيينا من ناحية وسواحل بحر الأدرياتيك من ناحية أخرى ، وبما أن المجرىين أو الهنغارىين كانوا يشتركون مع المغول في الأصل فقد أخلى المغول بلادهم وتغنوا بتبعيةهم الاسمية (١) . وحين ذاك

(١) معناه في الأويغورية الخالد وهو مركب من (منك) أى السماء ثم الصفة (كو) أى الباقي (غامبرى ج ٣ ص ١٨٩) .

(١) كان قائد القسم المغولى المتوجه الى بولندا هو بايدارين جغتاي الذى تغلب على جيوش بولندا وحلفائهم الفرسان القوتون الفازلين على ساحل بحر البلطيق بقيادة دوق سيليزيا في ١٩ ابريل (١٢٤٠ م) ، غير أن بايدار لم يجرؤ على المضي نحر الغرب أبعد من ذلك . وفي تلك الأثناء مضى باتو وسبوتاي قائدا القسم الثانى المغولى الى بلاد المجر وقاد بيلا ملك المجر جيشه للقائهما غير أنه حلت به هزيمة ساحقة عند جسر موهى على نهر سابو

=

جاءت الأخبار الى أوربا بموت أوكتاي فاستدعى سبكتاي وباتو لعقد
قوريلتاي انتخاب خان جديد الى آسيا وعاد المغول الى أوربا ولم تتم
خطة الاستيلاء على ألمانيا وأوربا الغربية وظلت هذه المناطق بمنجى من
أضرار المغول .

موت أوكتاي قاآن في ٦٣٩هـ :

قضى أوكتاي قاآن طول السبعة الأعوام التي كان جيشه العظيم
منكبها فيها على فتح أوربا في اللهو واللعب والشراب ، ولما كان سليم
النفس ، هادئ الطبع فقد عمل على تعمير البلاد وإشاعة العدل
والإحسان والفتوة ورسم كثرة من خرائب عهد أبيه .

ومع أن المغول حتى هذا العهد لم يتقيدوا بالاقامة في نقطة ثابتة
ولم يكن لهم مكان دائم أو محل معين للاستقرار به — وأصل كلمة
(مغول) كان مرادفا بالتجوال في الصحراء والتخريب — الا أن أوكتاي

فتدفق المغول على بلاد المجر ونفذوا الى كروانيا وواصلوا زحفهم حتى بلغوا
سواحل بحر الأدرياتيك وأقام باتو بضعة شهور في بلاد المجر . ولما قدمت
أخبار موت أوكتاي في قراقورم في الحادي عشر من ديسمبر (١٢٤١م) الموافق
(٦٣٩هـ) عاد المغول وقد جمعوا أكياسا مملوها بأذان ضحاياهم وقتلاهم من
بولندا وحدها غبلغ مجموع ما جمعه مليون أذن ومائتين وسبعين ألفا أخذوها
معهـم دليلا على بأسهم . انظر في ذلك : تاريخ الأدب في إيران لبراون
ص ٥٧٣ ، وتاريخ الحروب الصليبية لسـتيفن رنـسيمـان ج ٣ ، بيروت
(١٩٦٩م) ص ٣٤ ، المغول في التاريخ د. غواد الصياد (مصر ١٩٦٠)
ص ١٢٠ .

ومن نتائج غزو المغول لأوربا أنه وجه الغرب الى الاستعانة بهؤلاء
المغربين لتحطيم المسلمين وتحسين أوضاع الصليبيين . يقول سايكس (ان
غزو المغول لأوربا وما أحدثوه من دمار رهيب في بولندا والمجر قد أثار رعبا
عظيما في جميع أنحاء أوربا وعندما تبين لهم أنهم سوف يحاولون الهجوم على
أوربا الغربية فإن هذا الخوف الذي ألهمه أوربا بدأ يحمل في ثناياه أمل تحطيم
الاسلام وأخذت تنتشر الإشاعات ان بين الغزاة الجدد قبائل مسيحية)
انظر :

Sykes, History of Persia (Oxford, 1922), Vol. II P. 92.

قاآن على أثر معاشرته أصحاب المدينة من الصينيين والأويغور والایرانیین
تعلق بالتعمير والتشييد فأمر المهندسين والمعماريين الصينيين في (٦٣١ هـ)
فأقاموا له في (أردو باليغ) في شمال بلاد المغول وسفوح جبال قراقورم
في مكان الحدى أطلال المدن التي خربت عهد تسلط الأويغور مدينة جديدة
بنفس اسم أردو باليغ ، ثم سميت بعد ذلك بقراقورم بسبب قربها من
جبال قراقورم وجعل منها قصبة له ، وبنى كل من اخوته وأبنائه والأمراء
الآخرين في هذه المدينة قصرا له .

وقد شغل أوكتاي قاآن في مدة اقامته ببلاد المغول بمعسكرات
الشتاء والصيف والقنص واللهو والسرور وكلف بالشرب والخمر الى حد
الافراط وكان يقضي يومه تقريبا في معاورة الشراب ، وأخذ الشراب
يضعف من قوته وصحته يوما بعد يوم الى أن لقي حتفه بسببه في السنة
الثالثة عشرة من سلطنته أي في عام (٦٣٩ هـ) .

وأوكتاي قاآن معروف في مشرق الأرض بكرمه وجوده وفتوته
وعطائه وقد ذاع عنه قصص كثيرة عن جوده ولهذا فقد لقب بـ (حاتم
آخر الزمان) (٢) ، كما اشتهر على النقيض من أخيه جغتاي بالعدل وحب
الرعية والرفق بالمسلمين ، وقد عرف بحمايته للمسلمين على رغم أنف
أخيه (٣) الى حد أن البعض قال ان اوكتاي كان يبطن الاسلام .

(٢) كان يمكن ان يطلق عليه معاصروه (حاتم الزمان) وليس أخسر
الزمان لولا أن الناس على عهده كانوا يعتقدون ان المغول هم ياجوج وماجوج
الذين ذكر القرآن الكريم ظهورهم قبيل قيام الساعة ، لكن التاريخ كذب
معتقدهم فقد اتحف البشرية بأقوام غلاظ الأكباد من المخربين والمستعمرين
والتاجرين بدماء الشعوب الناهبين ثرواتهم بعد ذلك غلقوا ياجوج وماجوج
الذين حجزهم ذو القرنين بسده . انظر من القرآن الكريم آخر سورة الكهف .
(٣) لعل هذا يرد على الأوربيين القائلين أن المسلمين بأسيا الوسطى
أطلقوا على لهجتهم القومية اسم (جغتاي) لفرط حبهم لابن جنكيز ولم يكن
بين الطرفين أدنى حب وقد وقع غامبرى في نفس الخطأ ورده في الحاشية (١)
من ص (١٨٤) من كتابه (تاريخ بخارى) .

سلطنة كيوك خان

(٦٣٩ - ٥٦٤٧ هـ)

لم يكن الابن الأكبر لأوكتاي قاآن وهو كيوك سنة وفاة أبيه موجودا بأرض المغول ومع أن أوكتاي استدعاه الى أردو باليغ الا أن أنه قبل أن ينال لقاء أبيه كان أبوه قد ودع الحياة ، فقبضت زوجة القاآن (توراكيينا خاتون) على أزمة السلطنة حتى ينجلى أمر خلافة أوكتاي .

ظهر الاختلاف في كبار عائلة جنكيز على تعيين خلف لأوكتاي ، فقد كان باتو ملك روسيا وصحراء القبجاق والذي تمتع بالاحترام والنفوذ بين المغول يود اخراج السلطنة عن أسرة أوكتاي من ناحية ، وكانت جماعة أخرى تشايح سلطنة الابن الثاني لأوكتاي من ناحية أخرى ، وظهرت مجموعة ثالثة تنادى بالحكم لحفيده من ناحية ثالثة .

أما توراكيينا خاتون التي كانت امرأة حكيمة ذكية ذات تدبير وسياسة فقد بذلت جميع مساعيها لحفظ التاج والعرش لابنها كيوك (١) ، وانصرفت لمدة أربعة أعوام أو يزيد (٦٣٩ - ٥٦٤٤ هـ) تواجه محاولات باتو لتعويق انعقاد القوريلتاي وتقاوم مخالفيها الآخرين وتقتصر أيدي أعدائها وتجذب قلوب الجنود ، وأرسلت السفراء لكل البلاد التي دخلت تحت سطوة المغول وحكمهم لكي تصبغ سلطنة ابنها كيوك بالصبغة الرسمية وتشكل القوريلتاي وأحضرت السلاطين والأمراء والكبار من كل هذه البلاد الى أرض المغول الى أن وفقت في مقصودها في (٥٦٤٤ هـ) (٢) .

(١) انظر تفاصيل ذلك في حبيب السير في اخبار البشر لخواندمير (بمباي ١٨٥٧ - ١٨٥٩) جزء أول - جلد سوم (ص ٣٢) .

(٢) تميز القوريلتاي الذي تم فيه انتخاب كيوك بوغرة عدد من حضره من ممثلين الدول الأجنبية فقد حضره حاكم التركستان ويارد سلاف الدوق الروسي الكبير وأميرا جورجيا المتنافسان على عرشها ويسمى كل منهما (دافيد) وأخو سلطان حلب وسبياد أخو هيثوم ملك أرمنية وكل يحمل هدايا قيمة . وكان من الحاضرين أيضا مبعوثو البابا أنوسنت الرابع ورسل الخليفة

العباسي والحشاشين ، أما رسل الخليفة العباسي والحشاشين فقد أرسلوا بتهديدات ووعيد جراء شكوى الضباط المغول منهم وسرعان ما تحققت هذه التهديدات ، انظر :

History of the Mongols, H. Howorth (London, 1876) Vol. I, PP. 162-163.

وحبيب السير : خواندمير ج ١ مجلد ٣ ص ٣٣ ثم :

Histoire des Mongols . . ., C. D'ohsson (Paris, 1824; Vol. II, P. 297.

أما مبعوثو البابا فقد كان على رأسهم بيان دل كاريني (كاريني) وراهب آخر أرسل في سفارة إلى المغول (١٢٤٥ - ٤٧م) بناء على أوامر مجمع ليون المعقود في (١٢٤٥م) للنظر في أمور الصليبيين واستجلاب عيون المغول ضد المسلمين وقد بلغ كاريني المغول في انعقاد القوريلتاي لاختيار الخان فشهد الراهب الاحتفالات الرسمية ورأى كيف كانت آداب السلوك تراعى في دقة وتنوع على أكمل ما يتبع في أرقى المجتمعات فترك وصفا لذلك يحسن أن نشير إليه لالقاء ضوء على عادات المغول من خلال المصادر الأوربية : كانت قاعة الانتخابات خيمة كبرى من المخمل الأبيض تتسع لآلاف شخص ويحوطها سياج خشبي به بوابتان كبيرتان تخص أحدهما الإمبراطور ورغم تركه بوابته بلا حراسة فلم يكن أحد يجزؤ على ولوجها أما البوابة الأخرى وهي التي كان يدلف منها المدعوون فقد كان عليها حراسة شديدة أظهارا لشأنهم في الغالب . واستغرق الاحتفال شهرا وكان من معالم الافتتاح استعراض الجزية والهدايا التي أتى بها أربعة آلاف رسول من لدن الأمراء التابعين لهم كان بينهم كثيرون من أمراء روسيا وجورجيا الذين كانوا قد وقعوا في الأسر فرددت عليهم حياتهم . ولم تعلن نتيجة الاختيار في الحال وإنما استبان انتخاب كيوك حين أخذ القوم يقابلونه عند خروجه من مضربه بالغناء والتلويح له بشملات من الصوف الأحمر مثبتة بأعلى قنوات الرماح . ولا تزال هذه الرايات هي شعار السلطان عند المغول . أما المناداة بكيوك فقد تمت في حفل ثان أقيم بالخيمة الذهبية بعد بضعة أيام من الحفل الأول فأجلس على أريكة ملكية وركع أمامه كل الرؤساء والحضور إلا كاريني الذي بقى منتصب القامة فلم يثر صنيعة هذا أحدا ودل ذلك على كرم ضيافتهم ، وانتهى الحفل بشراب القميز وخمر العسل حتى ساعة متأخرة من الليل وقد قدمت العربات تحمل اللحم المطبوخ بملح غاصب القوم منه . واستقبل كيوك مبعوث البابا في أول حفل استقبال أقامه بعد اختياره وكانت الهدايا قد عرضت في الخيمة ومن بينها مظلة مرصعة بالأحجار الكريمة وهي شعار الملوك الآسيويين السائد . وأريكة الخان كانت عرشا من الأبنوس نقشه عجيب وزينته من اللآلئ والأحجار الكريمة الأخرى هذا وكان الذهب يستخدم في أسراف للزينة وكان يقف بخارج الخيمة عربات محملة بالذهب والفضة والحريير ليتقبلها

كان كيوك خان على نقيض من أبيه مقاتلا فاتحا مائلا بكليته الى الغزو والاغارة وكان أكثر شجها بجده جنكيز من شبيهه بأبيه أوكتاي . ولهذا فما أن اعتلى عرش الخانية حتى أصدر أوامره أن يحترم الأمراء ياسا جنكيز وأن يتحاشوا التحريف بها والتصرف في نصوصها وأن يتأهبوا بجيوشهم لتسخير الصين الجنوبية وبقية البلاد الاسلامية وضرب باتو . وسير سبتاي بهادر القائد المعروف مع قائد آخر الى الصين الجنوبية ونصب ايلجيكتاي (ايلجيكداي) فاتح هراة في حكم ايران مكان بايجو وقصد بنفسه بلاد باتو للقضاء عليه ، لكن أجله وافاه عند وصوله بيشبالينغ فمات بعد حكم عام وبعض عام في التاسع من ربيع الآخر (١٢٤٧ هـ) وكانت أمه توراكيينا خاتون قد لقيت حتفها قبله ببضعة شهور .

كانت توراكيينا خاتون مسيحية الدين عهدت الى الأمير قداق المسيحي بتربية ابنها كيوك وهو طفل ورعايته وقد قرب كيوك بعد بلوغه السلطنة اليه شينقاي مستشار أبيه المسيحي واستوزره ، فحول هذان الشخصان اهتمام الخان لمساعدة المسيحيين فوق الرعية المسيحية في البلاد المغولية كالأرمن والكرجيين والسريان والروس موقع اهتمامه وموضع رعايته ونفذ أطباؤهم في البلاط المغولي نفوذا تاما وشاعت بعض الآداب المسيحية في المغول ، وقد عقد كيوك اتحادا مع الأرامنة بسبب عواطفه لهم ولعل قصده من هذا الاتحاد حملته المتوقعة على البلاد الاسلامية في الشام ومصر لأنه لم يكن بمكنته بسبب ضعفه واعتلال

الخان ويفيء بها على خاصته . وحين كان الخان يهتم بالحديث كان الحضور يسارعون بالركوع فلا ينهضون حتى ينتهي من كلامه . وقد تكون البيئة هناك على تأخر الا ان سلوك رجال الحاشية كان على احسن ما يبتغيه أي كبير للأمناء والتشريفات ورسم الراهب صورة لطيفة للخان المغولي فقال انه كان غطفا غاية في الدهاء حازما رزينا في كل تصرفاته لايسرف في الضحك ولايصدر عنه طيش أو نزق وفوق ذلك يميل الى الدخول في النصرانية . انظر :

Howorth : 1, 162-166 — D'ohsson; II, PP. 197-200, 234-Sykes : II, P.P. 92-95.

صحته وتعوده الشراب أن يمحس الأمور جيداً وكان قداق وشينقاي
يديران دفعة الأمور ويشعلون نار عداوته للمسلمين (٣) .

سلطنة الشمبة الثانية للأسرة الجنكيزية

منكو قان (٦٤٨ — ٥٦٤٧)

لما مات كيوك خان حدث الاضطراب في أحوال المغول ثانية وظهر
الاختلاف بسبب انتخاب القان بين كبارهم ، وقامت زوجته بالنيابة في
الحكم بناء على مراسم المغول الى أن يتألف الثقوريلتساي ويعين خليفة
كيوك عن طريق أمراء التتر وكبرائهم .

وشبب النزاع بين هذه المرأة وسرقويتى بىكى زوجة تولوى
المسيحية وكانت بنتاً لأخى أوانك خان آخر ملك للكرائيت وتعد أكبر سيدة

(١) نتج عن ذلك بقول رشيد الدين فضل الله في جامع التواريخ
(جلد دوم) بسعى ادكار بلوشة ص ٢٤٩ أن اقبل الخان على الاهتمام
بالقساوسة والنصارى وعندما ذاع هذا الأمر ولّى شطره جمع من القسس
والرهبان من الشام والروم والاس وأوروس وكان بالطبع ينكر الاسلام ، ولم
يكن صاحب الكلمة في حكمه غفوض الحل والعقد والقبض والبسط في الأمور
الى قداق وشينقاي ولذا علا أمر النصارى في حكمه وانقلب الوضع بالنسبة
للمسلمين الذين لم تكن لهم الجراءة على التحدث مع هؤلاء النصارى . ويرجع
براون (تاريخ الادب في ايران ص ٥٧٤) في اتخاذ هذين الوزيرين المسيحية
دينا الى تأثير الراهب كارييني وزميله حتى عمداهما غائرا بدورهما على
الخان فضلا عن تأثير الأطباء المسيحيين في بلاطه وجعل ذلك كله البابا يطمح
الى دعوة الخان الى المسيحية وهذا ما تضمنه أغلب الرسائل البابوية
(Howorth : P. 165) . وتعاون النصارى وعباد الأصنام على اضطهاد
المسلمين واضعاف دينهم كما يظهر من قصة أوردها المؤرخ الفارسي
منهاج الدين بن سراج الدين الجوزجاني في كتابه سياسة الأمصار في تجربة
الأمصار در تاريخ آل جنكيز) مفادها أن قسسا وعبداء للأصنام طلبوا الى
الخان مناظرة علماء المسلمين وقتلهم ان غلبوا فلما لم يتمكنوا منهم طلب كيوك
منهم أن يؤدوا الصلاة أمامه فما أن سجدوا حتى أوسعهم ايذاء لايقاغمهم
عن الصلاة فلم يقطع المسلمون صلاتهم وانصرفوا بعدها غير مفتونين .
(انظر : سياسة الأمصار ص ٥٨ — ٦٠ طبعة الهند باهتمام ميرزا محمد —
بدون تاريخ) .

فى المغول ، وذلك بسبب تعيين خليفة لكيوك ، لأن زوجة كيوك كانت تبغى أن ىرقى ابن أخى زوجها ملكيتهم بينما كانت سرقويتى تطلب هذا المنصب لأولادها . وفى النهاية استدعى باتو بن جوجى ملك القبجاق وروسية كبار المغول وأمرأهم لكى يأتوا اليه بصحراء القبجاق ، حيث يعينون خلفا لـ كيوك .

ولم يقبل أولاد أوكتاى وكيوك وجغتاي هذه الدعوة وانما أرسلوا عنهم مندوبين لدى باتو وأرسلت سرقويتى أبناءها اليه قائلة أن باتو لما أنه سيد(١) جميع الأمراء فان اطاعة أمره واجبة على الجميع ولا يحق لأحد أن يعصيه(٢) .

وسرقويتى أم لأربعة أبناء ذوى اعتبار من تولى كانوا كأبناء جنكيز الأربعة أركان المملكة الركينة وكانوا عامة أعظم أمراء المغول وهم هولكو وقوبيلاي وأريق بوكا ومنكو .

وكان بين منكو الذى أمر فى عهد أوكتاى ومعه كيوك وباتو بفتح

(١) السيد (آقا فى الفارسية) يعنى الأخ الأكبر فى المغولية (آقا فى المغولية أيضا) مقابل (اينى) التى تعنى الأخ الأصغر ، ومجموع الأخوة الكبار والصغار يعنى عامة أمراء المغول من الأخوة الصغار والكبار وأبناء الأخوة والأعمام وبنى الأعمام (سياقى) .

(٢) تجمع المصادر الفارسية على فضل أم منكو والتى يسميها رشيد الدين فضل الله باسم (سيورقوتيتى) وقد لقيت تقديرا واحتراما كبيرين لما اشتهرت به من الحكمة والاستقامة ، أراد أوكتاى أن يزوجه لابنه كيوك بعد وفاة زوجها تولوى (تولى) لكنها رفضت بلباقة وأشارت الى أنها تؤثر أن تكرر حياتها لأبنائها الأربعة وكان جميع الأمراء يبجلونها ، وبالرغم من أنها كانت قدين بالمسيحية بحكم تربيتها فى قومها المسيحيين إلا أنها كانت تحاول اظهار شأن الاسلام وكانت تبذل الصدقات والعطايا للأئمة والمشايخ المسلمين ومصادقا لهذا فقد وهبت ألف قطعة من الذهب لإنشاء مدرسة فى بخارى فتولى شيخ الاسلام سيف الدين البخارزى هذا الأمر ، غانشات هذه المدرسة التى ضمت ألف طالب مسلم ليحصلوا فيها العلوم الاسلامية المختلفة :

(جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله ص ٢٧٢ - ٣ ، خواندمير فى كتابه حبيب السر ص ٣٦ من ج ٣ وأيضا : Howorth, P. 188)

روسيا وبلاد أوربا الشرقية وباتو الذى كان دائم الهم بالقضاء على أوكتاى ، كان بينهما كمال الوفاق ، لهذا أثر باتو لنفس العلة منكو الذى كان أميرا أريبا كافيا فى القوريلتاى الذى تألف لانتخاب خليفة كيوك لهذا المنصب ، وبهذا انتهت الشعبة الأولى من أسرة جنكيز أى أولاد أوكتاى قاآن من سلطنة المغول وانتقلت السلطنة وخلافة جنكيز الى أولاد تولوى وهم الشعبة الثانية من أسرته •

ولما أن جميع الأمراء والكبراء المغول لم يحضروا مجلس الشورى أو القوريلتاى الذى أثر فيه باتو منكو للسلطنة ، قرر أن يتألف فى السنة الجديدة قوريلتاى كبير يحضره جميع الأمراء والكبار لاضفاء الرسمية على منصب منكو • •

وقامت جماعة من أبناء أوكتاى وكيوك وجغتاي بمخالفة قرار باتو متذرعين بأنه لا يحق أن تخرج السلطنة عن أسرتى أوكتاى وكيوك وأخذوا يرأسلون باتو ويظهرون سخطهم على ما سبق من ترتيب •

وطالت مدة المفاوضات بين باتو ومنكو وسرقويتى من ناحية والرافضين من ناحية أخرى عامين وأسفرت هذه المفاوضات بمظاهرة باتو بانتخاب منكو رسميا فى ذى الحجة من (٦٤٨ هـ) فى قراقرم لمنصب الخانية المغولية ، ومع أن جماعة من الرافضين أبوا حضور القوريلتاى إلا أن منكو مع هذا كان تنصيبه مصطفىا بالصيغة الرسمية •

ولما علم الرافضون برسمية تنصيب منكو انقلب رفضهم الى المؤامرة عليه ، فألقى الخان الجديد القبض على رؤسائهم وقام بشخصه بالتحقيق فى مؤامرتهم فعاقبهم بالحبس والقيود والقتل •

وقد بلغ منكو قاآن فى إدارة أمور الملك نهاية الأمر فى مراعاة الياسا الجنكيزية وآداب المغول ومراسمهم ، وإن كانت ضلالية خانات المغول وخشونتهم الأولى بسبب طول معاشرتهم وامتزاجهم بالمتحضرين من الأمم المغلوبة قد خفت قليلا فى عهده ، واتسعت نظرتهم فى إدارة البلاد

ومعاملة المغلوبين والرعية ، فاقترِبَ مسلكه من العدل وقواعد السياسة وأصولها وإدارة الملك والنظام عند السلاطين المتحضرين .

اعتزل منكو دوام الشرب وخفض من الضرائب ورتب للجنود والأتباع رواتب محددة وسعى في رفاهية الرعية وأمر عمال حكمه وموظفيه ألا يستلبوا أنعام الرعية بالظلم والاجحاف وألا يأخذوا منهم ما زاد عن الضرورية المقررة ، واستقدم من إيران عدة من فضلائها إلى أرض المغول وأمرهم أن يكتبوا للإدارات والدراوين بقرا قدوم لغة خليطا من الفارسية والصينية والأويغورية والتتقوتية .

ترك منكو حكم القسم الشرقي لبلاد المغول أي الخطا والصين لمحمود يلواج والتركستان وما وراء النهر وبلاد الأويغور وفرغانة وخوارزم لابنه الأمير مسعود وكان الابن والأب دائما سبب ازدهار حكم أولاد جنكيز فرما كثيرا مما خربوه ، خاصة البلاد الإسلامية التي كانت تحت حكم الأمير مسعود من عهد أوكتاي ضوعف تعميرها وقوتها ، وأعاد حسن إدارته واستقامة مسلكه لمن بقى من السيف من رعية هذه البلاد المنكوبين حياتهم الأولى ولبلاذهم المخربة سيرتها الخالية من التعمير والتزميم .

وكان منكو الذي ربه أمه المتصفة بالحكمة مثلها يرعى جانب الاحترام دائم وقته لكل الأديان المختلفة الشائعة بالبلاد الخاضعة للمغول ، ومع أن أمه اعتنقت المسيحية فقد كان علماء المسيحية والبوذية والتائوية (١) والاسلام جميعا على قدم المساواة أمامه ، ويلقون منه

(١) التائوية مذهب في الصين يمتلئ بالأوهام والخرافات وله أتباع كثيرون ، وقد وضعه شخص عاش في حدود عام ستمائة قبل الميلاد اسمه (لايوتسو) ، وشرح أصول مذهبه وفلسفته في كتاب يسمى بـ (تا أوتة كنك) ، وخلصته أن الدنيا تقع تحت إرادة وإدارة عقل عال يسمى (تا أو) والهدف من الحياة هو الوصول إلى التا أو ، وكان من بين أتباعه عدد من الفلاسفة الكبار .

الاحترام بلا تفريق ، وقد منحهم قدرا من الحرية الى حد أنهم كانوا يتناظرون ويتحاجون عن أديانهم أحدهم مع الآخر في حضوره ، كمالقى المسلمون الحرية مبلغا كان يخطب في بعض البلاد لخليفة بغداد ويدعى ضمن ذلك لدوام دولة منكو .

وفي عهد سرقويتى وابنها منكو زادت السفارات بين بلاد أوربا المسيحية وآسيا وبلاط المغول ، وكان سبب ذلك أن المسيحيين في ههنا الأيام كانوا في حرب صليبية مع المسلمين في الشام ومصر ، ولحقوا ضربات شديدة من السلطان صلاح الدين الأيوبي وأولاده أخيه ، ولكي يقيموا علاقات طيبة مع المغول وكانوا يعدونهم أعداء للإسلام ، أرسلوا الى بلاط خان التتر سفراء مرارا ، وتعهد منكو أخيرا بإضرار من هؤلاء المسيحيين أن يسعى في عونهم وإنفاذ جيش يقبائل المسلمين . وكانت مأمورية هولكو والقضاء على خلافة بنى العباس على النحو الذي سوف نراه أثرا لهذا التعهد الى حد ما (٢) .

(٢) أهم سفارات الغرب الى منكو لتأليب المغول على المسلمين واستجلاب موئدهم الى الصليبيين هي سفارة ويليام روبزوق (١٢٥٤/١٢٥٥ هـ) الذي أرسله لويس التاسع بعد هزيمته وأسرته بيد المصريين فانطلق روبزوق من عكا الى قراقروم التي أضحت مركز الدبلوماسية في العالم فلقى سفارات من قبل الامبراطور اليوناني ومن لدن الخليفة العباسي ومن عند ملك دهلج ومن طرف السلطان السلجوقي بالاناضول كما صادف أمراء هنن الجزيرة وكردستان وروسيا وجميعهم يقفون في خدمة الخان الكبير وأقسام بقراقروم كثير من الأوربيين . وكان الفساطرة أقوى أصحاب المذاهب ففوزا في بلاط الخان لانه مذهب امه . وقد اهتم (هورث) بايراد وصف روبزوق لمنكو وأسرته وبلاطه فكانت (الخيمة التي يجلس فيها منكو مزدانة بالقممسة الذهبية والستائر ذات الألوان الزاهية المتعددة وكان الدفء ينسري فيها بفعل موقد يحترق بميتة الاشواك والأخشاب الرقيقة ويجلس الخان على أريكة صغيرة وهو يتردى رداء مضمنا من الفراء الثمين يلمع ويبرق ، وكان منكو متوسط القامة مستقيم الأنف تنحرف في آخرها ، في تحو الخمسة والاربعين ، وتجلس امراته الجميلة الصغيرة بجواره ومعهما ابنتها سيرينا أما الأطفال فكانوا يجلسون على أريكة قريبة) .

وعندما استقر المقام بالسفارة « سأل الخاقان الترهقان عما يشربونه »

من الخمر أو مشروب الأرز أو التميز فقالوا انهم يشربون ما يروق للخان فاعطاهم مشروب الأرز فشرّبوا منه قليلا ليرضوه ، أما المترجم حلقة الوصل بينهم فقد شرب حتى ثل ونسى نفسه وكان الخاقان يلاعب صقرا في يده .
وحيث جاء دور الرهبان للحديث عن مهمتهم ويبدو أن الوقت لم يكن ملائما فاستأذنتوه بطريقة متعلّقة وبأسلوب المداينة أن يستريحوا في مملكته بعضا من الوقت ونظير ذلك يدعون له ولزوجاته وأولاده وأن لم يرضه ذلك يرجسوا سمحة بالاقامة ريثما يستريحون من عناء سفرهم الطويل . وكان المترجم ثملا لدرجة أنه أخذ يقلعهم في كلامه وشك الرهبان في أن منكو نفسه كان ثملا هو الآخر ، ولكنه كان رحيما فسمح لهم أن يستريحوا شهرين وأن يذهبوا الى قراقرم أن شاعوا . ولاحظ روبروق أن منكو وأسرتة كانوا يهتمون بالديانات الثلاث المسيحية والإسلام والبوذية رغبة في البركات التي تعد بها كل ديانة ، لكن منايته بالمسيحية النسطورية كانت أشد غنى أحد الأعياد دخلت زوجة منكو الأولى إحدى الكنائس النسطورية غاطفا لها أنوارها وقبلوا يد الكهان اليمنى تبعا لتقاليد النسطورة ، وكان منكو يجلس على عرش أمام المخراب . وجعل روبروق وصحبه يفتنون ترانيل دينية ثم انسحب الخان بعند ذلك لكن زوجته بقيت ومنحت هداياها للمسيحيين ، وكان الخمر ومشروب الأرز والقميز كثيرا ما أخذت كويا ثم ركعت وطلبت البركات وبينما كانت تشرب كان الرهبان يركعون ، وشربوا حتى ثملوا وقضوا اليوم على هذه الوتيرة . وكانت الامبراطورة ثملى مثل الباقين حتى إذا حل المساء عادت الى منزلها في عربة يخفرها الرهبان وهم يفتنون ويمسيحون ، ويحكي هورث ما يثبت ميل الخان الى المسيحية مما أطبع الرهبان في تحويله اليها لكنه كان متسامحا وأخبر ذات مرة روبروق أن كل فرد في بلاطه يعبد الله الواحد الباقي الخالد ومسوح لهم بأن يعبدوه كل على طريقته الخاصة فكانت الديانات الثلاث تمارس في البلاط بحرية تامة ولا يطنس اجداها على الأخرى . ويؤيد هورث المؤرخون الفرس ويذكر منهم خواندبير أن ايدى قوت كبير رجال الشامانية عقيدة الخان قد أبر أتباعه باغتيال المسلمين حين يؤدون مسلاة الجمعة لكن الله هدى أجدهم للإسلام فأبلغ منكو فاحضر ايدى قوت لوقتته واستجلاه الأمر فاعترف له فأمره بالوقوف على باب المسجد عينه بحضور المسلمين ليسمئردوا منسه اعتبارهم . وفقد روبروق آماله في تعويد منكو الذى كان يسكن في أحيان كثيرة على يسمح لنفسه باعتناق المسيحية كما كان يلم . انظر :

(Sykes, P. 100) v (Howorth, PP. 189-191).

٢ خواندبير ج ٣ ص ٣٦) ، (رنسيان في تاريخ الحروب الصليبية ص ٥٠٩)
ومع هذا فإن منكو لم تكن تعهدات ذكرها سايكس للصليبيين خاصة مع هيثوم ملك أرمينية الذى كان يريد أساسا استعادة القدس من المسلمين ، وصرح منكو لملك أرمينية أن أخاه هولكو قد تلقى أوامره بالاستيلاء على بغداد وتدمير الخلافة ولسوف يعيد القدس إذا تعاونت معه كل القوى المسيحية :
(Sykes, P. 100)

وبعد أن نظم منكو أموره الادارية واطمان للأوضاع الداخلية
لبلاده اهتم في السنة الثانية لسلطنته بالغزو فصمم أن يفتح البلاد التي
لم تفتح حتى عهده ، ولهذا أمر أخاه الأصغر هولكو بدفع الاسماعيلية
وادخال خليفة بغداد تحت طاعته وأرسل قوبيلاي أخاه الأوسط
للاستيلاء على الصين الجنوبية .

توجه قوبيلاي في (٦٥٤هـ) لفتح الصين الجنوبية ولحق به منكو في
السنة التالية وفتح الأخان قسما هاما من هذا البلد لكن منكو مرض
بسبب عفونة هوئه ومات في (٦٥٧هـ) وأعلن قوبيلاي نفسه خانا وجعل
مدينة (بكين) عاصمته باسم (خان باليغ) أي مقر الخان ثم استولى
على جميع الصين الجنوبية والهند الصينية وجاوه واليابان وغدا
مؤسس أسرة مغول الصين .

وقد عد خانا ايران المغوليان وهما أخوه هولكو وابن أخيه أياغاخان
كما سئرى نفديهما طوال مدة سلطنة قوبيلاي قآن مطيعيه تابعية ولم
ينحرفا عن أمره وتبعيته قيد أنملة وقامت روابط المودة والأخوة بينهم
دوما وكان يساعد أحدهم الآخر حين تقع الحاجة ، كما حدث عندما أرسله
قوبيلاي عدة فرق من الجيش لمؤازرة هولكو في فتحه المبراق العربي
وبغداد ، وسير هولكو بعد فتحه دار الخلافة نصف الغنائم التي اغتنتها
من هذه المدينة الى خان باليغ هدية وتقدمة الى أخيه .

وقوبيلاي قآن هو أعظم سلاطين المغول ادارة للملك بوجيه عام
لأنه بعد فتح الصين عمل على ترميم ما خربته غزوات المغول وجسم
المعلماء والأدباء وأهل الحرف والصناعات الذين كانوا أخذوا الى
التواري والانزواء وحثهم على الاستمرار في أداء أعمالهم ، وشق طرقا
كثيرة وشيد منازل للقوافل في كل نقطة ، وأقام البريد المظم لمساعدة
البلاد ، ونهض بأمر الزراعة وأنشأ دور العجزة لرعاية أحوال الضعفاء
والمسنين . وكان في شخصه رجلا كريم الطبع ، وكان بلاطه غالبا يقوم

به مجالس المناظرة والمباحثة في مذهبى البوذية والكنفوشيوشى ودينى الاسلام والمسيحية ، وقد ترجم بناء على أمره جزء من القرآن والانجيل والتوراة وتعليمات بوذا الى اللغة المغولية .

وقد ازدهرت التجارة أيضا في عهد قوبيلاي قاآن كبير ازدهار ، وقدم في عهده الى بلاطه الأخان المعروفان من فنيسيا أو البندقية (مافيو بولو) و (نيكوبولو) ثم ابن الأخير (ماركو بولو) الذى حاز حسب القآن ، ومكث مدة عشرين عاما من قبله محلا لمهام حكم ولايات الصين وإدارة الأمور الجمركية والسفارات وغيرها ، وكان من نتيجة اطلاعه العميق على أحوال بلاد قوبيلاي أن نقل بعد عودته الى أوربا (فى عام ٦٩٥ هـ) تفصيل سقته لأحد أصدقائه فجمعها ونشرها وهى تحوى معلومات نفيسة تتعلق بأحوال جميع بلاد المغول فى ذلك العصر (١) .

(١) يعد سايكس باركو بولو ثالث أكبر الرحالة بعد هيرودوت وشانغ كيان (٢ ق.م) والثلاثة وُصفوا إيران . وقد وصف بولو إيران ومنفوليا وبخله الأولى فى طريقه الى الصين قريبا من تبريز عاصمة الإيلخانيين التى يصفها بأن سكانها (يعيشون على التجارة والصناعات اليدوية فهم يقومون بنسج أنواع كثيرة من مواد خفيفة قيمة حريرية ومصنوعة من الخيوط الذهبية ولهذه المدينة موقع ملبسب لدرجة أن البضائع تجلب هناك من الهند وبغداد وكرمنشهر ومناطق أخرى كثيرة وهذه تجذب تجارا ايطاليين لاسيما الجنوبيين ليشتروا البضائع ويقوموا بأعمال أخرى هناك) . ثم يصف بعد ذلك مدينة سيها (ساوه) بمشيد بجيادها وحررها ويصف صناعاتها وتجاريتها وزراعتها خاصة القطن والقمح والشعير والدخن والخمور فضلا عن الفاكهة . ويخطئ بولو حين يقسم إيران الى ثمانية أقاليم . ثم زار الرحالة كاشان ووصفها وصفا دقيقا ويذكر أن شيوخ ذكرها سببه ملابسها المخملية والحريرية . ثم سار منها الى يزد فى الجنوب الشرقى ومنها الى كرمان التى غفل فى وصفه لها عن غيرها فيقول أنها تشتهر بأعمال الابر البديعة التى تزين الملابس الحريرية بالألوان المختلفة الجميلة فى شكل رسوم من الحيوانات والطيور والأشجار والأزهار والحيوانات والأشكال الأخرى المتنوعة . ويتابع الرحالة رايته ووصفه لبلد إيران إذ ذاك مثل كوبنان على حافة صحراء لوط ثم تونو كان وأصلها (تون وكين) ثم شجر البنار الشرقى ويذكر أن الشجر الذى ينمو بدون رى يعد مقدسا عند الإيرانيين بسبب ندرة الأشجار ، وعادتهم أنه إذا تحققت رغبة الإنسان فلا بد أن يقرب تحتها قربانا من الخراف ويترك علامة على ذلك شريطا من الملابس يمزق ويربط على الشجرة المذكورة ، وقد

ومن أمور عهد قوبيلاي الهامة تردد تجار المسلمين على الصين وظهور نفوذ الايرانيين في بلاطه وانتشار اللغة الفارسية بالصين ، فقد استدعى هذا الخان حينما كان يريد فتح البلاد المحكمة في الصين الجنوبية أشهر المهندسين من ايران والشام لصنع المنجنيقات والمعدات الحربية ، وكان يصاحبه دائما في معسكره وبلاطه عدد من ايرانيين ما وراء النهر وخراسان ، وكان بعض هذه الجماعة ممن نقلهم المغول من ما وراء النهر وايران حينما كانوا يفتحون بلادهما لأنهم أصحاب حرفة وصناعة الى بلاد المغول ، وقد بلغ عدد هؤلاء الناس مبلغا عظيما الى درجة أنهم شيدوا في بعض البلاد مدنا جديدة لهم على شكل أوطانهم الأولى . وكان بين أمراء قوبيلاي وعماله الاداريين في الصين عدة من الايرانيين وقد عظم نفوذهم اذ استوزرت أسرته بعد محمود يلواج أحدهم لقب بالسيد الأجل وظل وزيرا مدة خمسة وعشرين عاما (٦٥٨ - ٦٨٣ هـ) حتى أن مات . وفي عهد وزارة هذا الوزير الكفاء أعد قوبيلاي قان النقد الورقي المعروف بـ (شاو) في الصين ، وقد راجت هذه العملة في كل أنحاء الصين رواجا كبيرا في المدة التي كان بها هذا الايراني وزيرا وتنظم بها دخل البلاد ومنصرفها .

فصل ماركو بولو كذلك في وصفه لقوة قوبيلاي بعد فتحه الصين وامتدح مناحي تعميره لها خاصة قصره الذي بناه بعد سور الصين ، ثم وصف باطنساب عاصمة قوبيلاي وهي قهبالق أو خان بالق ومكانها اليوم بكين غيرسم صورة لحصنها المستور وصروحه الثمانية ثم القصر الخاتي الذي لم يكن له في الدنيا نظير وقد كسى حوائطه الداخلية بالذهب والفضة وسقفه أيضا . ووصف الرحالة أيضا مآذب الخان الملكية واحتفالات البلاط وصفا مستفيضاً نخل القارئ الى : (Howorth, P.P. 257-276) وكذلك : (D'ohsson, P.P. 735-7) أما وصفه لايران فانظر للتفاصيل : (Sykes, P.P. 103-107)

الفصل الرابع

غزو هولانكو لايران وانهاى الخلافة العباسية

بعد فتح خوارزم أناب جوجى فاتح هذا البلد فى حكم بلاد الخوارزمشاهيين الأصلية أحد قادة المغول ، وتأمروا هو حينما تمسك أوكتاي ملك المغول على خراسان ومازندان .

ومن هذا الوقت حتى خمسة وثلاثين عاما كان وضع حكم ايران وادارته تحت الاستيلاء المغولى بنحو أن خانات التتر كانوا يرسلون أحدهم من أرض المغول لإدارة البلاد وقيادة الجيش المقيم بها . حاكما حكما مباشرا ، وكان هؤلاء الحكام ينهضون بإدارة أمور البلاد وصد المهاجمين والثوار وجمع الضرائب بمعاونة عمال وكتاب إيرانيين . وكان من جملة هؤلاء الكتاب الإيرانيين بهاء الدين محمد الجوينى الذى أمره حاكم خراسان المغولى من حدود عام (٦٣٠هـ) بإدارة أمورها المالية وجمع عائداتها أو جعله باصطلاح ذلك العهد صاحب ديوانه . وقد اختار أوكتاي القباآن بهاء الدين الجوينى فى (٦٣٣هـ) فى منصب صاحب ديوان جميع البلاد المغولية ، فتعهد هذا المنصب الجليل حتى سنة وفاته (٦٥١هـ) خاصة فى أيام حكومة الأمير أرغون لايران من عام (٦٤١هـ) حتى (٦٥٤هـ) حين كان بهاء الدين الجوينى يعيش فى أوج القوة ، وحينما كان يعود أرغون الى قراقروم حيث بلاط خان المغول كان ينيب الجوينى فى الحكم ويكفله فيه .

وقد دخل ولدا بهاء الدين الجوينى وهما شمس الدين محمد وعلاء الدين عطا ملك ممدوحا الشاعر الكبير السعدى الشيرازى وكلاهما

من أكفأ رجال عصر المغول ومن المنشئين الكبار في اللغة الفارسية ، دخلا بتدبير أبيهما في بلاط أرغون (١) • ولما قدم هولاكو (٢) الى ايران عام (٦١٤هـ) ولحق أرغون بخدمته دخل خدمته أيضا شمس الدين محمد وعطا ملك •

(١) سبقت اشارات الى عطاء ملك الجوينى والى كتابه الهام (جها نكشا) ، وهو علاء الدين عطاء ملك بن بهاء الدين الجوينى من المؤرخين المعروفين الايرانيين في عهد المغول . حكم علاء الدين أربعة وعشرين عاما في بغداد ، الا أنه واخاه شمس الدين وقعا فريسة سعاية مجد الملك اليزدى وزير آياقا خان فسجن علاء الدين بأمر الخان وعذب ومات في النهاية عام (٦٨١هـ) •

واثره الهام (جها نكشا) اى فاتح العالم لقب هولاكو او بالأحرى (تاريخ جهان كشا) . ألفه عطا ملك عام ٦٥٨هـ) ويشمل ثلاثة مجلدات في احداث المغول حتى عام (٦٥٥هـ) . ويضم المجلد الاول عادات ورسوم المغول القديمة وقوانينهم المعروفة بالياسا وفتوحات جنكيز وسلطنة اوكتاي وعصر نيابة توراكينا خاتون وسيلطنة كيكوك وجغتاي • أما المجلد الثانى فيشمل تاريخ الخوارزميين واهداثهم والملوك القراخطائيين والكرخانيين • والجزء او المجلد الثالث يذكر حوادث تتويج منك و جلوسه ووقائع سلطنته وتفصيل تيجرك هولاكو الى بغداد والقضاء على الاسماعيليه • وقد ضم الى نهاية بعض نسخ الكتاب فصل في سقوط بغداد على يد هولاكو من تأليف نصر الدين الطوسي ولكنه ليس في سائر النسخ ، قام المؤلف برحلات في سائر بلاد المغول ورأى كثيرا مما بقيده في كتابه او سمعه من الثقات مما يثبت قيمة كتابه • ولا يكتفى المؤلف بذكر الجادثة وإنما يستقصى اسبابها وينقل كتب الفتوح كما هى كما يتحدث عن المذاهب والاديان ولهذا فقد اتسم الكتاب بالدقة والاصالة فوق أنه مثال للنثر المصنع المخلوط بالفارسي والعربي لكنه لم يوضح بالحقيقة التاريخية في سبيل اللفظ • وقد درس استاذنا الدكتور السباعي محمد السباعي المجلد الاول من هذا المؤلف في رسالته للدكتوراه عام (١٩٧٢هـ) •

(٢) اختلف في أصل اسم (هولاكو) فذكره عطاء ملك (قره اولاك) وذكره هاجر بورجشيتال (قره اوغلان) ومن الصعب الجسم بين الاثنين لأن المؤلفين المسلمين كانوا يجدون مشقة في اثبات الاسماء المغولية فضلا عن اهمال النساخ ، راجع هامبرى ح (١) ص ٨٨

مأمورية هولوكو والقضاء على الاسماعيلية

(٦٥١ - ٦٥٤ هـ)

مع أن المغول وطأوا بسنابك خيولهم أغلب بلاد المسلمين وأدخلوا أصحابها تحت طاعتهم وتبغيتهم إلا أن بعض بلاد المسلمين حصت حتى ذاك العهد لم تدخل كما كان يقتضى الحال تحت غلبتهم وظلت بها مناطق لهم يستطعم المغول حتى تلك الآونة أن يتمكنوا منها .

فمن ناحية كان للفدائيين الاسماعيليين في كل منطقة قهستان والموت والوديان الجنوبية جنوبى سلسلة جبال الألبرز قلاع محكمة كانت مستودعا لجماعة من المجاهدين المقاتلين ، وقد بلغت هذه الجماعة كما رأينا في تاريخ السلاجقة الخوارزمشاهيين قبل قرن ونصف في هذه المناطق قوة وقدرة وكانوا مبعث الضرر والأذى لأعدائهم على الدوام . ومن ناحية أخرى كانت الخلافة الاسمية لبني العباس ما تزال قائمة ، ومع أن الخليفة العباسي لم يكن له قط قوة ولا اعتبار إلا أنه كان يعد صاحب نفوذ روحى لأنه يعد على المسلمين الرئيس والأمنير وكان بمكنته بإشارة وأمر أن يتحرك بعض الأمراء المطيعين له للدفاع عن الدين والحفاظ على الخلافة .

وفضلاً عن الأمرين فكانت مضر والشام بيد السلاطين الأيوبيين ولم يتيح للمغول الاستيلاء على هذين البلدين وكان الأيوبيون كما أشرنا سابقا في صراع مع مسيحيي أوروبا والصليبيين وجهاد مع طوائف الفرنج .

وهكذا أقدم المغول وكان لديهم علم بمبلغ حال التفكك بين المسلمين على إزالة الاسماعيلية وبني العباس وضم آخر البلاد الإسلامية في القسم الغربى لآسيا . وكان يؤازر المغول في تحقيق مقصودهم ذلك رعية المغول من المسلمين الذين تأذوا شديداً الأذى من ظلم الملاحدة

وجورهم وكانوا يتشوفون الى أى وسيلة لاجتثاث فسادهم ، ثم الأمانة الذين كانوا يودون أن يستولى المغول على بغداد بسبب حقدهم الدينى على المسلمين التابعين للخلفاء العباسيين وأن يغلبوا مسلمى مصر والشام الذين يجاهدون المسيحيين الصليبيين وأن يقضوا على الاسلام .

وزحف هولاء فى آخر عام (٦٥١هـ) الى ايران وكانت أمه (سرقويتى) مسيحية وزوجه (دوقوز خاتون) اعتنقت دين المسيح كذلك وأغلب جيشه من الطوائف المسيحية المغول أى من شعوب الكرائيت والنايمان والأويغور .

كان مقر الاسماعيلية الأساسى ولاية الطالقان والروديار والموت وبلغ عدد قلاعهم المحكمة فى هذه المناطق الخمسين كانوا يتحكمون فيها . وكان أشهر هذه القلاع ثلاثا هى الموت وميمون دز ولنبه سر ، وعدت الأولى (الموت) بمثابة عاصمة الاسماعيليين ودار ملكهم ولم تبعد عن مدينة قزوین أكثر من ستة فراسخ .

وكان للاسماعيلية غير الموت فى ولاية قومس (السمنان والدامغان الحاليتان) وقهستان قلاع محكمة متعددة أيضا وكان يدير هذه القلاع التى بلغت مائة وخمسين حاكم يقال له (المحتشم) .

قبل الاسماعيلية فى عهد جنكيز طاعة المغول وكان جلال الدين حسن امامهم أسبق الى ذلك من كافة أمراء ايران ، وكانوا أسباب تقدم أمر المغول بطريق غير مباشر فى عهد جلال الدين المنكرنى . لكنهم فى هذا الوقت انحرفوا عن جادة الانقياد للمغول وأهلكوا أحد قادتهم فى إحدى حملاتهم على قلاعهم .

فشل المغول فى الاستيلاء على دار الخلافة أو حتى ادخال الخليفة فى طاعتهم مع حملات جرماغون وبايجو على حدود العراق وحروبهم لجيش خليفة بغداد ، بل أصيبوا بالهزيمة وكان هذا الأمر شديد الوقع على خانهم وقوادهم الى حد أن بايجو تشكى من الخليفة المستعصم بالله أمام منكوا القآن وطلب معاونته لدفع الخليفة .

لهذا صمم منكو على أن يسير جيشا لجبا الى ايران لكي يقضى على شر الملاحدة الاسماعيلية أولا ويزيل خليفة بغداد ثانيا ويفتح طريق الاستيلاء على الشام ومصر ثالثا . واختار منكو بعد مشاورة قادة المغول أخاه الأصغر هولاكو لهذه المأمورية ولم يزد هولاكو وقتها عن السادسة والثلاثين ، وأصدر أوامره بأن يتحرك معه مائة وعشرون ألفا من خلاصة جنود جنكيز وجماعة من الأمراء والعلية المغول صوب ايران فيدخل أولئك بقيادة هولاكو ما بين جيحون حتى أقصى بلاد مصر تحت أمر المغول . وتقدم هولاكو في ربيع الأول (٦٥١هـ) من معسكر منكو الي جيحون ، وفصل من جيشه اثني عشر ألفا وأمر عليهم أحد قادة جيشه وهو كيتوبوقا ووجهه طليعة له الي قهستان والروديبار لأنه كان بطيئا في حركته التي أوصلته في (٦٥٣هـ) الى مدينة سمرقند وأتى كيتوبوقا في السنة التالية الي قهستان وأخذ في مهاجمتها وتخريب قلاع الاسماعيلية بها وفتح بعضها ، ثم تقدم بخمسة آلاف فارس ومن المشاة مثلهم الي الدامغان وحصر احدى قلاع الاسماعيلية المحكمة التي تبعد عن الدامغان ثلاثة فراسخ وهي (كردكوه) أو (دزكندان) وأمر بحفر خندق حولها وترك بها كثرة من الجنود المغول وخف هو الي السيطرة على قلاع الروديبار وطارم .

وأطبق المحصورون على المغول ليلا فأهلكوا منهم نحو المائة واستظهروا بمذد من جانب علاء الدين محمد خلف جلال الدين حسن امامهم فأبدوا مقاومة شديدة لحملات المغول ، وفشل جنود كيتوبوقا في فتح كردكوه مع أنهم أخذوا كثيرا من قلاع الاسماعيلية .

وفي (٦٥٣هـ) أصاب ركن الدين خورشاه عن طريق أحد الحجاب والده خداوند علاء الدين محمدا (٦١٨ - ٦٥٣هـ) امام اسماعيلية ايران الذي كان يصرف غالب أيامه في الفسق والخمر وكان خلوا من كل كفاية وعقل أصابه بالمقتل واستقر في منصبه وغدا الامام العام للملاحدة ايران والشام . وكانت محتشمية قهستان آنذاك لناصر الدين عبد الرحيم

الذى اتصف بالكرم وجب الفضل. والتفلسف وطلب ترجمة كتب الحكمة من العربية. إلى الفارسية وكان يجلب إليه الفضلاء والحكماء .

وحيثما كان كيتوبوقا مشغولا بتسخير قلاع البرودبار وقهستان وصل هولاكو إلى ما وراء النهر وأقام بخارج سمرقند ، وبالحال الأمير مسعود بيك في الاحتفاء به هناك ، وبعد أربعين يوما من الإقامة بها نقل هولاكو جيشه إلى مدينة كس حيث بلغه الأمير أرغون خاكم إيران الشرقية والملك شمس الدين كرت ملك هراة وفيروزكوه وخرجستان لأداء فروض الطاعة ، فلقيا منه القبول .

وبوصول هولاكو طوس أرسل شمس الدين كرت إلى ناصر الدين محتشم قهستان يدعوهُ إلى طاعته ، وكان ناصر الدين وقتئذٍ طاعنا في السن أخذ منه الضعف فاستصحب شمس الدين إلى هولاكو وسلم إليه فلقى منه الاحترام أيضا وبعثه حاكما إلى مدينة (تون) . وقد صنف نصير الدين الطوسي كتابه المعروف (أخلاق ناصري) (١) باسم ناصر الدين المحتشم هذا .

(١) هو أبو جعفر نصر الدين محمد بن محمد بن حسن أبى بكر من كبار العلماء والساسة في القرن السابع درس كتب ابن سينا وغيره من العلوم في الرابعة والعشرين ثم لحق بعلاء الدين الاسماعيلي وقد شجع نصر الدين هولاكو على إسقاط الخلافة العباسية وتسخير بغداد كما يقول الفهرست أنفسهم . وبعد أن تحقق ما أراد صرف همه لتأسيس مرصد مراغة بأمر هولاكو ، وظل مقربا إلى هولاكو وأباقا حتى موته ببغداد (٦٧٣ هـ) وللطوسي مؤلفات كثيرة في علوم الرياضة المنطق والنجوم والطب والأخلاق وترجمت آثاره إلى اللغات المختلفة واستفاد منها الأوربيون ، وينسب إليه مائة وثلاثة كتاب ورسالة ومقاله في الفنون المختلفة ، منها تحرير اقليدس (في الهندسة) وتحرير المجسطي (في الهيئة) والتذكرة النصيرية (في الهيئة أيضا) وشرح اشارات أبو علي (ابن سينا) وتجريد العقائد (في الكلام) وقوانين الطب ، وحل مشكلات قاتون أبو علي و (ثلاثون فصلا في النجوم) . وله فضلا عن المؤلفات العربية مؤلفات عدة بالفارسية منها معيار الأشعار في العروض وأخلاق ناصري وأساس الاقتباس وأوصاف الأشراف . وكان الطوسي يتحرى الحقائق العلمية التي اقتبسها من الفلاسفة اليونان لكن الناحية الأدبية لم تكن غداء للجانب العلمي وإن جنح المؤلف إلى البساطة والإيجاز .

الاستيلاء على الموت وانتهاء الاسماعيلية في (٦٥٤هـ) : —

ووافى كيتوبوقا هولاكو في طوس وعرض عليه أوضاع قلاع الاسماعيلية وركن الدين خورشاه فأخذ هولاكو على غاتق نفقة أن يسخر بقية أوكار الفدائيين ويطوى بساطهم فتحرك الى خرقان وبسطام بهذا العزم وأرسل من قبله مبعوثين الى خورشاه يدعوانه للتسليم ويخوفانه بقوة وشوكته ، فقبل خورشاه بمشورة نصير الدين الطوسي وكان حاضرا في هذا الوقت في قلعة ميمون دز طاعة هولاكو وأنفذ أخاه مع رسول اليه واستمهلها عاما للتسليم . ولما علم هولاكو أن خورشاه يسلك مسلك المخاطلة والمخادعة جاصر قلاعه من جهات ثلاث واستولى في أواخر رمضان (٦٥٤هـ) على المعابر الخطرة بين الرودبار والطالقان وحصر قلعة ميمون دز التي بلغ محيطها ستة فراسخ لكنه سرعان ما أدرك أن تسخير هذه القلعة المحكمة ليس أمرا سهلا خاصة وأن الشتاء على الأيواب وليست تهيئة المؤونة أمرا يسيرا أيضا ، فأعاد هولاكو ندائه لخورشاه بالطاعة . ولما رأى خورشاه أنه لن يمكنه المقاومة ثانية نزل في غرة ذي القعدة (٦٥٤هـ) من القلعة وقبل أرض الطاعة أمام هولاكو وبهذا انتهت فترة استيلاء الاسماعيليين المقتدر الذي بلغ مائة وسبعاً وسبعين سنة .

وعامل هولاكو خورشاه معاملة الاحترام وأمر بتخريب قلعة ميمون دز ونحو مائة قلعة أخرى من قلاع الاسماعيلية كانت في حدودها وفي قهستان واستمرت قلاع ثلاث تقاوم وهي كردكوه ولنبه سر والموت . وفي النهاية استسلمت كردكوه بعد عشرين يوما وثبتت لنبه سر عامما بأكمله

وكان الطوسي يقرض الشعر بالعربية والفارسية وأورد بعض الموضوعات العلمية نظماً . أما كتاب الطوسي (أخلاق ناصري) فهو في الأخلاق النظرية التي سبق اليها فلاسفة اليونان ألفه نحو عام (٦٣٣هـ) وقد استفاد في القسم الأول منه من كتاب أخلاق ابن مسكويه المسمى طهارة الأعراق وفي القسم الثاني أفاد من كتاب ابن سينا (تدبير المنازل) وفي القسم الثالث اقتبس من كتب الفارابي .

لكن وباء تفشى في أهلها فلم يتحمل حراسها الثبات واضطروا الى قبول الطاعة وفتح أبواب القلعة ودخلت قلعة الموت أيضا بعد ثبات ثلاثة أيام في تصرف هولاء وكانت هذه آخر قلعة ومعقل للفدائيين الاسماعيلية تقع في قبضة المغول .

ودخل المغول الوكر الأصلي للحسن بن الصباح فحطموا أسلحته ومنجنيقاته ونهبوا أمواله وخزائنه خاصة المكتبة البالغة النفاسة التي أسسها الاسماعيلية في طى السنين المتتالية وطوى صوت شهرتها وأهميتها الأطراف والأكناف وأمر هولاء باحراقها ، فاستجازه عطا ملك الجوينى الذى رافقه في هذا السفر أن يطالع كتبها فيفصل المفيد منها ويحرق المتعلق منها بأصول المذهب الاسماعيلي وفروعه فأذن له .

وبعد أن مكث خورشاه بضعة أيام في جيش هولاء وتعزز برؤاياه احدى أميرات المغول عن طريقه ، ذهب بناء على رغبته هو الى بلاط منكو لكن منكو لم يقبله في خدمته فأعاده عنه ليضع قلعة كردكوه تحت اختيار هولاء نظرا لأن أهلها لم يستسلموا للمغول تماما وليدخل أتباعه العاصين طاعتهم . وقفل خورشاه راجعا الى ايران لكن مرافقيه المغول اغتالوه على ضفاف جيحون في (٦٥٥ هـ) .

فتح بغداد وانهاية الخلافة العباسية

(٦٥٥ - ٦٥٦ هـ)

خلافة المستعصم بالله (٦٤٠ - ٦١٦ هـ) :

تولى أبو أحمد عبد الله الملقب بالمستعصم بالله الخلافة العباسية من عام (٦٤٠ هـ) وهو آخر خليفة عباسي والخليفة السابع والثلاثون وكان ديناً خيراً هادئاً الطبع عفيفاً طيب السيرة محباً للمعلم حسن الخط لكنه خائر العزم وأهن الرأي يجهل أمور السياسة والادارة يمضى أكثر وقته في سماع الأغاني والمطربات والمهين أو في مكتبته الخاصة دونما

الاستفادة الحقة • ومع أن المغول كانوا خلف أبواب بغداد فقد كان يرسل سلاطين الأطراف يطلب منهم المغنين والمطربين بدلا من أن يتدبر أمره ازاءهم وكان يأمن الوضعاء في أعظم مناصب بلاطه وديوانه ورئاسته وحكومته • وكان رجال بلاطه قاطبة من الأراذل ومستولين تماما عليه كامل الاستيلاء بغير كفاءة ضعافا مغرضين حاشا وزيره مؤيد الدين محمد بن العلقمي (١) ، يميلون بالخليفة العاجز حيثما أرادوا ويهيئون أسباب ضعف الأمور ، لم يخطر ببالهم طوال الخمسة عشر عاما ما بين بداية خلافة المستعصم حتى وصول هولاكو بغداد التفكير في الخلاص ولم يعتبروا بما حدث لأهل خوارزم وما وراء النهر وخراسان (٢) •

وفي عهد خلافة المستعصم أتى المغول مرارا الى العراق لكنهم فشلوا في الاستيلاء على بغداد حتى عام (٦٥٦ هـ) وأول عهد قدومهم بغداد في عصر هذا الخليفة كان أوائل عام (٦٤٣ هـ) (٣) •

(١) ليس من مغرض غير المؤلف اقبال في مقالته هذه التي يافك فيها كما سوف يتضح بقوله أن العلقمي هو المخلص الكفاء والصحيح غير ذلك تماما .

(٢) يصف وصاف الخصرة فضل الله بن عبد الله الشيرازي في كتابه تاريخ وصاف في دولة المغول (مجلد أول مخطوط ، باهتمام وسعنى الحاج خواجه ابراهيم غير واضح تاريخه) وهو مؤرخ معروف للمغول والایلخانين وعاش بين الأخيرين وتوفى (٧٣٠ هـ) ، يصف الخليفة المستعصم بقوله : (يمتاز من بين خلفاء دولة بنى العباس بخفض العيش والنعمة والرغاهية وكثرة الأموال والنفائس والذخائر والأعلاق والجواهر كما اشتهر بالقوة والعظمة والخيلاء والتكبر) كتابه السابق ص ٥٧ المجلد الأول .

(٣) لم ينس هولاكو قبل فتحه الموت الاتصال بالخليفة العباسي طالبا امداده بجيش يساعده في فتح بلاد الملاحدة وكذلك أرسل الى حكام آسيا الغربية وقال : (آتينا للقضاء على الملاحدة وإذا قدمت بقواتكم غسقتنزون بلادكم وأسراكم وستكافئون على ذلك ولو ترددتم غسوف أعود اليكم بعد أن أحطم هؤلاء الناس بعون الله وساعايلكم بنفس الطريقة) ومن المعروف أن طلب العون من الخليفة المستعصم كان حجة يتوارى خلفها إذا رفض الخليفة حتى يتسنى له الهجوم عليه ، وهذا ما حدث فعلا إذ ساور الخليفة ابتيابه في هذا الشأن فحذروه من اقدام على هذا العمل وأدخلوا في روعه أن هولاكو يريد بهذه الوسيلة أن تخلص بغداد من الجيوش فيسهل عليه الاستيلاء عليها فامتنع الخليفة عن إرسال المدد أنظر : (تاريخ وصاف مجلد أول ص ٦٢ - ٣ - Howorth, P. 193)

(م ٢٨ - تاريخ ايران) - ٤٣٣ -

أمر الخليفة أن يتأهب عساكر بغداد للحرب خارج دائر الخلافة على سبيل الحيلة وأن يمنعوا العدو إذا ظهر ، وأخذ المغول يهاجمون متعجلين بغداد ظنا منهم قلة عساكر الخليفة فأنفذ الخليفة لمقابلتهم شرف الدين أقبال الشرابي أحد قادته .

وفي السابع عشر من ربيع الآخر من عام (٦٤٣ هـ) بلغ المغول أطراف بغداد فدخل جيش الخليفة بقيادة شرف الدين أقبال الشرابي وبعون الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد بن العلقمي في جهاد معهم ، وهرب المغول تحت جناح الظلام لما لم يأنسوا في أنفسهم طاقة المقاومة وصينت بغداد وقتها من شرهم .

لم يتفق اتفاق بين رجال بلاط الخليفة وقادة جيشه ولم يبد بينهم اتحاد وكان كل منهم يسعى لتحطيم الآخر ، وفوق ذلك اشتد النزاع المذهبي بين أهل بغداد حتى احتدم القتال بين الشيعة والسنة في (٦٥٠ هـ) ونهب ابن الخليفة الكبير محلة الشيعة ومشهد الامام موسى الكاظم فنفر لحركته هذه عامة الشيعة ببغداد من بنى العباس وأضر مؤيد الدين بن العلقمي وكان من الشيعة لهذه الواقعة البغضاء والاحنة (٤) .

(٤) كانت الفتن بين السنة والشيعة أمرا عاديا بين سكان بغداد والكرخ تقوم بين السوقة ثم يصطليح الطرفان ومن يقرأ حوادث الكامل لابن الأثير يلحظ أن هذه الفتن بدأت تأخذ طابعها المذهبي بفضل ايتباع البويهيين بين الطرفين يبنون بذلك ايداء السنة والخلافة كما حدث عام (٣٦١ هـ) (الكامل ٢٤٣/٨ - ٤) وكان البويهيون يقومون بحرق الكرخ حيث يتجمع التجار الشيعة الاغنياء ثم يلصقون التهم بالسنة (الكامل ٢٤٨/٨) . واستمر البويهيون والأتراك وأعداء الخلافة يتذرعون بهمسائنة السنة والشيعة ظاهرا ويوقعون بينهم ابتغاء المصلحة فلم يكد يمر عام حتى يقيمون الفتن (للتفصيل الكامل ٧٠/٩ - ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٧٤ - ١٨٠ ، ٣) . واستمرت حوادث الكرخ أيضا أيام السلاجقة الذين كانوا ينصرون الشيعة لغناهم مرة والسنة حسب مصالحهم ثانية (الكامل ٤٤/١٠ ، ٥٩ ، ٦٤ - ٥) وكان الشيعة يتخلون عن تعصبهم ويلتزمون الجماعة بل كانوا يقصرون السنة على اتباع الخليفة (الكامل ٦٧/١٠ - ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ - ٩٩ ، ٣) فحين يتذرع ابن العلقمي بمثل

وبينما كانت بغداد على حالها هذا أتى هولاءكو من العراق الى همدان بجيش عظيم وكان برفقته في سفرته هذه بدر الدين لؤلؤ (٦١٦ - ٦٥٧ هـ) صاحب الموصل والأتاك أبو بكر بن سعد أتابك فارس ونصير الدين الطوسي وعطا ملك الجويني .

ودفع هولاءكو من همدان في العاشر من رمضان (٦٥٥ هـ) سفراء الى الخليفة يطلبون منه قبول طاعته وأن يأتي بشخصه يقدم له الولاء واذا لم يتيسر الأمر يرسل له بقائد جيشه وابن العلقمي ومنشئه لتسليم رسائله اليه . فأرسل الخليفة رسولين الى همدان وخوفا هولاءكو سطوته وأمره بالرجوع الى خراسان ، فغضب هولاءكو لهذا الاقدام السفیه ، ولما أن أهل بغداد كانوا عاملوا سفراءه معاملة قبيحة فقد أرجع سفراء الخليفة وأعاد نصيحته بقبول حكم المغول (٥) .

وبعد عودة سفراء الخليفة لجأ الخليفة بتسيير الهدايا الى هولاءكو وبين له ضمن رسالة له سوء عاقبة من ثاروا على بنى العباس وصور وخامة نهاية يعقوب بن الليث الصفاري وأخيه والسلطان محمد السلجوقي والسلطان محمد خوارزم شاه ظنا منه أن هذا التهديد سوف يصيب القائد

هذه الحادثة العادية للاتصال بهولاءكو وخيانة المسلمين جميعا من السنة والشيعة وما أدت اليه من قتل وسفك وتخريب ظن يكون الأمر هو مجرد النعمة من ابن الخليفة وحسب وانما بغض هذا الوزير للمسلمين وايقاره مصلحته الخاصة على حساب دماءهم وشرفهم خاصة وأن هولاءكو لم يتبرك شيعيا ولم يلحظ أهل التشيع بل أفنى الجميع . يحكى وصاف الخضره (تاريخ وصاف ص ٦٠ - ٦١) ان ابن العلقمي اتنى الخليفة عن هربه لما حوضر بخجة أنه يمهّد طريق الصلح مع هولاءكو وأرسل الخليفة ابنه أبا بكر الى المغول ليجمع عودهم فرأى حفاوة من هولاءكو بناء على اتفاق بينه وبين ابن العلقمي فطمأن الخليفة فخرج اليه ومعه ألف ومائتان من العلبة كان مصيرهم جميعا القتل . انظر أيضا : (مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله . دكتور غواد الصياد (مصر / ١٩٦٧) ص ٣٧) .

(٥) ذكر أن هولاءكو حين أعاد الرسل الى الخليفة كتب يتهدده قائلا (اننى متوجه الى بغداد بجيوش كالنمل والجراد) : مؤرخ المغول الكبير ص (٣٤) .

المغولى بالرعب فيقلبه من نصف الطريق في حين أن هذه الرسائل قد زادت
هولاكو غضبا على غضب وغيظا فوق غيظ وعزما عن ذى قبل على التحرك
الى بغداد (٦) .

فتح بغداد :

وفي تحرك هولاكو شطر بغداد جعل أولا من العشائر والأمراء
الساكنين على الحدود الجبلية للعراق بمنحهم الأموال والحكم حلفاء له
ثم وجه بضعة نفر من أمراء المغول بقيادة سونجاق نويان أو سونغجاق
نويان عن طريق بلاد الأكراد الحالية وكيثو بوقا وعدة قواد آخرين عن
طريق لرستان وخوزستان صوب بغداد وقصد هو نفسه هذه المدينة في
أوائل ذى الحجة عام (٥٦٥٥ هـ) عن طريق كرمانشاه وحلوان (١) .

وعاود هولاكو مراسلة المستعصم من أسد آباد وهمدان وطلب اليه
الحضور اليه ، فأرسل الخليفة اليه شرف الدين بن الجوزي وجدد وعده
ورعيده السابقين وطلب من هولاكو أن يعود من طريقه ويفرق جنده
ويرسل الخليفة اليه المال الذي قرره كل سنة . فرفض هولاكو هذا
الطلب الذي يفوح منه النفاق وتجاوز كرمانشاه ودخل العراق .

وحينما اقترب هولاكو الى دار الخلافة بلغ سونجاق وبايجو حدود

(٦) قبل أن يقدم هولاكو على غزو بغداد استشار كبار دولته فيما
يتعلق بأحكام النجوم وطوالع السعد والنحس فطمأنه نصير الدين الطوسي
بأنه لا توجد موانع تحول دون اقدامه على الغزو (تاريخ وصاف جلد اول
ص ٥٨) .

(١) أصدر هولاكو أوامره بأن تتحرك جيوش جرماغون وبايجو من
اطراف بلاد الروم عن طريق اربل والموصل متجهه نحو بغداد لتحاصرها من
الجهة الغربية وتنتظر حتى تصل اليهم جيوش هولاكو من الناحية الشرقية .
أما كيثوبوقا أحسن قواد هولاكو فقد اتجه بالجناح الأيسر الى العاصمة
العباسية عن طريق لورستان وخوزستان كما اتفد اليها بعض أمراء المغول
بصحبة سونجاق نويان عن طريق كردستان الحالية . (الصياد : مؤرخ
المغول الكبير ص ٣٥) .

العراق أيضا وعبروا دجلة بعد هزيمة طلائع جيش الخليفة وفتح كيتوبوقا أيضا لرستان ودخل العراق من ناحية الجنوب ، وحاصر القواد الثلاثة دار الخلافة من أواسط المحرم من (٦٥٦ هـ) وأخذوا يرمونها من أطرافها بالحجارة وقذائف النار والنفط .

وفي يوم الأحد الرابع من صفر من عام (٦٥٦ هـ) خرج المستعصم بأولاده الثلاثة وثلاثة آلاف من السادات الأئمة والقضاة وأكابر بغداد وأعيانها عن المدينة وبلغوا معسكر هولاكو ، وبدأ القائد المغولي بلين الحديث إليه وأمره أن يمنع بقية أهل بغداد من استعمال الأسلحة ومجاهدة التتر ، ففعل الخليفة ما أمره وكف الناس عن الجهاد ، وأخرجهم هولاكو عن بغداد بحجة احصائهم ثم قتلهم عن بكرة أبيهم وأصدر أوامره بالغارة على المدينة من الرابع من صفر ثم دخلها في التاسع منه وأعطاه المستعصم بيده مفاتيح خزائن الخمسمائة عام لأجداده وأظهر له كنوزه (٢) .

وفي هجوم المغول على بغداد أغلب أبنيتها وعمائرها من قبيل مقابر الحلفاء ومشهد الامام موسى الكاظم وقتل خلق كثير ، وفي النهاية أمر هولاكو بعد أسبوع بالكف عن القتل والغارة عليها ثم خرج عنها لفساد هوائها في الرابع والعشرين من صفر وطلب المستعصم إليه وأورده مع ابنه الأكبر أبي بكر مورد التهلكة في نفس اليوم (٣) ، وألحق بهما ابنه

(٢) أقعد هولاكو المستعصم أمام مقعد مغطى بالحجارة الثمينة وأمره أن يأكل غزال (لا يمكن أن أكل الذهب) فقال هولاكو (ولماذا احتفظت به بدلا من أن توزعه على جنودك ؟ لماذا لم تحول هذه البوابات الحديدية سهاما وتقدمت حتى ضفاف نهر جيحون لتصول دون تقدمي) ؟ فقال (انها ارادة الله) فقال هولاكو (وما سيحدث لك هو أيضا ارادة الله) .

(Howorth, P. 201)

وتركه يتضور جوعا أمام الأطباق المملأ ذهبيا وأحجارا ثمينة (D'ohsson, P. 243) ويقول وصاف ابن هولاكو لما وجه هذه الأسئلة الى الخليفة لزم الصمت ولم ينبس ببنت شفة (تاريخ وصاف ص ٨٢) .

(٣) قتل الخليفة بطريقة اختلفت حولها المراجع والمرجح أنهم لفوه في بساط وانها لوا عليه ضربا بالعصى والدبابيس حتى مات دون اراقة دمه لأن المغول كانوا يحرمون اراقة الدم الملكي ويعتدون ذلك من أكبر الكبائر .

الأوسط بعد أيام عدة وقتل كل من وجد من بنى العباس إلا ابن الخليفة الأصغر مباركشاه الذي وهبه هولاءكو لزوجته فتركته الى نصير الدين وزوجوه بامرأة مغولية وهكذا سقطت دولة العباسيين التي عمرت خمسا وعشرين وخمسمائة سنة وزالت الخلافة نهائيا وذكر أن عدد قتلى بغداد بلغ نحو ثمانمائة ألف (٤) .

وبعد قتل الخليفة أرسل هولاءكو ابن العلقى الى بغداد وزيرا له بها (١) وعين شحنة مغوليا لها أيضا وعمل هذان على تعمير المدينة وترميم خرائبها وتكفين القتلى ودفنهم وعاد هولاءكو الى خانقين بعد قليل لكن قواده أطبقوا على الحلة والكوفة والنجف وقتل المغول من اهل واسط نحو أربعين ألفا لما أبدوا المقاومة واستولوا على بلادهم وعادوا أدرأجهم الى شوشتر وبلاد خوزستان الأخرى .

• موت هولاءكو في (٦٦٣ هـ) •

وبعد الاستيلاء على بغداد أتى هولاءكو بالغنائم التي اغتنمها من

(٤) استباح المغول بغداد أربعين يوما (كان كل يوم منها عبوسا تمطيرين وشبه مستطيرا) كما يذكر وصاف (تاريخ وصاف ص ٨) وقتلوا أكثر من ثمانمائة ألف شخص بقول هورث (Howorth, P. 201) ووصاف ولم ينج من مذابحهم حتى الطفل الرضيع ووجد المسيحيون الشرقيون في هذه الأيام الرهيبة فرصة طيبة للتشفى من المسلمين فقد اشتركت نسبة كبيرة من القساوسة والارمن في جيش هولاءكو وكانوا لا يقتلون عنفا من المغول أنفسهم (Howorth, P.P. 200-201) ولم يسلم من بغداد غير الارقساء والجالينة المسيحية التي لجأت الى الكنائس تبعا لتعاليم البطريرق النسطوري ولم يمس المغول هذه الكنائس وذلك بسبب نفوذ أكبر زوجات هولاءكو دوقوز خاتون التي كانت مسيحية سورية ولم تخف كرها للاسلام وحرصها على مساندة المسيحيين على اختلاف مذاهبهم . وابتهج المسيحيون والصليبيون وهلوا لهولاءكو وطوقوز واعتبروهما قسطنطين وهيلينا وأنها ليسا الا أدوات الله للانتقام من اعداء المسيح : (رنسيان تاريخ الحروب الصليبية ص ٥٢١ — Howorth, P. 200)

(١) مكافأة له على خيانتة للمستعصم والمسلمين ، فقد كان على مكتبة خفية بالمغول قبل قدومهم الى العراق ، كما سبق .

تهب بغداد والبلاد الأخرى الى آذربايجان فكنز جزءا في احدى الجزائر الداخلية لبحيرة كبودان (أورمية) (١) في قصر عال كان شيده بها وأرسل جزءا ثانيا لأخيه منكوت ثم آثر مدينة مراغة عاصمة له وأمر نصير الدين الطوسي أن يبني له بها مرصدا ويعمل زيجا فقام في (٦٥٧ هـ) بهذا الأمر بعون عدد من علماء العصر وأنفق خمسة عشر عاما من عمره في هذا العمل ونشر محصلة الملاحظات الفلكية لهذه المدة التي توصل اليها من مرصد مراغة في كتاب عنوانه « الزيج الايلخاني » بعد هلاك هولاكو (٦٦٣ هـ) بفترة قليلة .

ومن الوقائع الهامة في أيام هولاكو بعد فتح بغداد غزواته بالجزيرة والشام التي بدأت من نفس عام الاستيلاء على دار الخلافة وكان نتيجتها فتح الجزيرة وحلب ودمشق في سنتي (٦٥٧ و ٦٥٨ هـ) ومع أن فكرة فتح مصر لم تبرح مخيلته غير أنه بارح الشام اثر سماعه خبر موت منكوت القآن وقنع بطلب طاعة مصر له .

وقتل المصريون رسل هولاكو وفي رمضان (٦٥٨ هـ) في عين جالوت في فلسطين غلبوا قائد هولاكو المشهور كيتو بوقا وقتلوا جميع جنوده ، ولهذا الفتح العظيم الذي أوقع بشوكة هولاكو الوهن الكبير أهمية كبرى في التاريخ لان طريق مصر وبلاد افريقيا الاسلامية وجزيرة العرب من هذا التاريخ انسدت أمام المغول فلم يصلوا الى نتيجة بعدها برغم سعيهم الحثيث لنيل هذا المقصود (٢) .

(١) هي الآن بحيرة الرضائية وتدخل حدود ايران .
(٢) لا شك أن هذا النصر الاسلامي الكبير كما يذكر تسييمان في تاريخ الحروب الصليبية (ص ٥٣٧) قد أنقذ المسلمين من أخطر تهديد تعرضوا له فلو أن المغول توغلوا الى داخل مصر لانطوى العالم الاسلامي كله تحت سيطرتهم وفعلوا ببيتيته مثلما فعلوا بالعراق والشام ولزمت البلدان العربية بالشرق الأدنى في دور مظلم تحت حكم المغول مما كان من الثابت أن يترك في تاريخها أثرا خطيرا بعيد المدى ، وأنقذت بلاد الشام من المغول وبعد ذلك من الصليبيين ، ولو انتصر كيتوبوقا المسيحي لآزداد عطف المغول

وكان هولاکو فی هذا الوقت فی بلاد المغول وصار لسماعة خبر قتل کیتو أسیفا غضوبا بدرجة كبيرة وهم بالانتقام لكنه أجبر علی التوجه لقتال برکای ولد جوجی وأخی باتسو ملك المقيجاق لتعريجه الى ایران فغلبه علی کتب من سد جبال القفقاز وأنفذ ابنه أباقا الى صحراء القبجاق ، فالحق برکای الهزيمة بأباقا فی (٦٦١هـ) فی شمال القفقاز فأجبر هولاکو علی المكث بأذربایجان لیستدرك برکای وانهزم بأباقا ، لكنه هلك قبل تنفيذ هذا القصد فی التاسع عشر من ربیع الأول (٦٦٣هـ) علی ضفاف نهر جيغاتو توفي آذربایجان وما یزد عن الثامنة والأربعین ودفن بالقرب من دهخوارقان •

حينما كان هولاکو منشغلا بالاعداد الى مهاجمة القبجاق بلغه خبر جلوس قوبیلای علی عرش المغول خلفا لمنکوقا آن وتفویضه حکم البلاد الواقعة بین ضفاف جيحون ومصر من قبله ، فقسم هولاکو حکم هذه البلاد بین ابنائه وامرائه ومن بین ذلك اعطاؤه ابنه الأكبر أباقا أو أبقا حکم العراق وخراسان ومازندران والأمیر انکیانو ممدوح الشیخ السعدی فارس ومعين الدين بروانة بلاد الروم وابنه الأصغر أران وآذربایجان وأحد أمرائه الجزيرة •

ترك هولاکو حكومة بغداد من (٦٥٧هـ) فی عهدة شمس الدين محمد الجوينی ، وفی حین تحرکه لحرب برکای تغیر علی وزیره السابق فقتله

على المسيحيين ولاصبح للأخيرین السلطة لأول مرة منذ سيادة النسل الكبيرة فی العصر السابق على الاسلام . وقد جعلت معركة عسین جالوت سلطة المماليك بمصر القوة الأساسية فی الشرق الأدنى فی القرنين التاليين الى أن قامت الامبراطورية العثمانية التي أتمت تقويض المسيحيين الوطنيين فی آسيا ، بها حدث من ازدياد قوة العنصر الاسلامی واضعاف العنصر المسيحي الذي زاد قسوة على المسلمين بالشام بالتحالف مع المغول لم يلبث أن اغوى المغول الذين بقوا فی غرب آسيا علی اعتناق الاسلام ، وعجلت هذه المعركة بزوال الامارات الصليبية لأن المسلمين المظفرین حسبا تنبأ مقدم طائفة الفرسان التیوتون أضجوا حريصين علی أن يتخلصوا نهائيا من أعداء الدين .

واختار شمس الدين وزيراً له بلقب (صاحب ديون) وأتاب أخاه
علاء الدين عطا ملك في بغداد •

وهولاكو أحد خوانين المغول المحبين للتعمير شيد في مراغة وبحيرة
أورمية ونهر جغاتو وجبل آلاتاغ عمائر ، ومال الى الحكمة والنجوم
والكيمياء فقد أنفق أموالاً مما احتازه من الاغارة على بلاد المسلمين على
مباحث الكيمياء • واعتنق هولاكو البوذية وبنى معابد الأصنام في خوى
لكنه زوجته المسيحية كانت ذات سيطرة تامة عليه وتدفع به الى مراعاة
المسيحيين فأدى لهم خدمات هامة وكان قائده المعروف كيتوبوقا مسيحياً
كذلك •

ولما لم يكن في ايران من يتبع مذهب بوذا اهتم هولاكو بأحوال
المسيحيين وكانوا كثرة في آذربايجان وأرمينية على أثر نفوذ زوجته
وأمرائه فأنشأت الكنائس في كل مكان • وكان الأرامنة ومسيحيو ايران
غيرهم يعتبرون هولاكو وزوجته منقذين مساعدين لهم ولم يرضوا قط
باستيلاء المسلمين ، خاصة من كان يسعى منهم كما سبق القول الى
استغلال قوة المغول لنفسهم أهدافهم الدينية ويمدون المسيحيين
الصربيين الذين كانوا في قتال مع المسلمين بالشام ومصر ويحاولون
القضاء على الاسلام تماماً في آسيا وأفريقيا (١) •

(١) يذكر المؤرخ الأرمني (هيتون) أن خطة الحملة المغولية على
الشام قد تقررت بعد لقاء تم بين هولاكو وتابعه الأرمني هيثوم ملك أرمينية
وبوهيمند السادس أمير أنطاكية الصليبي ، وكان الخان قد طلب الى هيثوم
أن يسير بجيشه الى الرها بحجة تخليص الارض المقدسة من المسلمين وردّها
الى المسيحيين فجمع الملك الأرمني جيوشه وانضم الى هولاكو وقدم البطريق
الأرمني ليمنح البركة للخان واتخذت حملة هولاكو الأرمينية المغولية سمات
الصليبية ذلك لأن هيثوم كان في علاقته للمغول لا يتحدث عن نفسه فقط وإنما
كان يتحدث كذلك من صهره الصليبي بوهيمند • لكن هولاكو لم يقتصر في
تحالفه مع هيثوم بل أراد التحالف مع كل الصليبيين إذ أرسل رسالة الى
الصليبيين في غرب آسيا جاء فيها : (لدينا أعداد كبيرة من المسيحيين بين
عسائرتنا وقد جننا بقوتنا وسلطاننا معلنين ضرورة تحرير جميع المسيحيين

وكان هجوم المغول على الشام ومصر لتحقيق هذا المقصود خاصة وأن كيتو بوقا بعد الاستيلاء على دمشق شرع في تبديل مساجدها الى كنائس ، واذا لم يكن المصريون انتصروا في عين جالوت لاستولى المغول على آخر بلاد المسلمين أى فلسطين وأفريقيا الشمالية أيضا ولأصبح مع ضغوط الصليبيين في هذه الآونة لاقتلاع شأفة المسلمين أمرا مشكلا للإسلام أن ينجو ويحافظ على وجوده بين هذين الغريمين المتعصبين الحاقدين .

من العبودية ومن الضرائب التي فرضها عليهم المسلمون ومعلنين ضرورة معاملة المسيحيين معاملة تليق بهم فلا يعتدى عليهم ولا على تجارتهم ونحن نصرح بأننا سنعيد بناء جميع الكنائس التي خربها المسلمون . . .) وقد أتزلت الحملة المغولية المسيحية بالمسلمين بميفارقين وحلب الفطائع والمذابح وأحرقت المساجد بحلب واستسلمت دمشق للمهاجمين وسنحت للمسيحيين الفرصة للتشفى والانتقام من المسلمين ، يقول المقریزی في السلوك : (واستطال النصارى بدمشق على المسلمين واحضروا غرمانا من هولاکو بالاعتناء بأمرهم واقامة دينهم وقالوا جهرا : ظهر الدين الصحيح دين المسيح . وشكوا أمرهم لنائب هولاکو (كيتو بوقا) فأهانهم وضرب بعضهم وعظم قدر قسوس النصارى ونزل الى كنائسهم واقام شعائرهم وجمع الزين الحافظی (وزير تورانشاه صاحب حلب) من الناس أموالا جزيلة واشترى بها ثيابا وقدمها لكيتوبوقا نائب هولاکو ولبيدرا وسائر الأبراء المتقدمين من المغول وواصل حمل الضیافات اليهم في كل يوم) للتفاصيل أنظر : تاريخ وصاف جلد اول ص (١٠١) — رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ص ٥٢٦ ، حبيب السير لخواندمير ص ٥٦ جزء اول — جلدسوم — حافظ حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول (مصر / ١٩٤٩) ص ٢٣٨ — المغول في التاريخ للصنياد ص ١٩٣ — ١٩٦ — المقریزی : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الأول القسم الثاني نشر محمد مصطفى زيادة (مصر / ١٩٣٦) ص ٤٢٥ —

Howorth, P. 209/

الفصل الخامس

سلاطين مغول ايران أو الايلخانيون

(٦٦٣ — ٧٥٦ هـ)

بعد وفاة هولاكو نصبت زوجاته المسيحية ابنه ابقا أو أباقا الذي كان يحكم آنذاك خراسان ومازندان خلفا لأبيه وأنفدت رسولا عاجلا لأباقا في أران حيث كان يمضى شتاءه واستدعته الى معسكر المغول في جغاتو ورقى أباقا في الثالث من رمضان (٦٦٣هـ) عرش هولاكو رسما . ويقال لأباقا وأخلاف هولاكو غيره الذين حكموا من تاريخ موت الأخير حتى انهيار أسرته في ايران سلسلة سلاطين المغول أو الايلخانيين ، وتعد أسرته مستقلة لقلّة علاقاتها مع خانات بلاد المغول ولأنها لم تحكم بأحكام بلاط قراقروم ، وأخذ نفوذ المغول وحكم خاناتهم الأصليين في بلاد المغول الأولى يخبئو من عهد جلوس أباقا فصاعدا تدريجيا ويسلك أعقاب هولاكو مسلك سلاطين ايران ورسومهم حتى عدوا في الحقيقة طبقة من ملوك هذا البلد .

سلطنة أباقا خان

(٦٦٣ — ٦٨٠ هـ)

بعد أن جلس أباقا خان على عرش ايلخانية ايران آثر أخاه الصغير لحكم دربند وشروان وصحراء موغان آلتاغ وجعل رئاسة جيش المغول في الروم وحدود الشام لاثني من قواده وترك فارس وبغداد الى

سونجاق وأبقى الأخير عطا ملك الجوينى على حكم بغداد من قبله •
وكانت وزارة أباقا خان من نصيب شمس الدين محمد صاحب
الديوان الجوينى كما كان حالها فى الجزء الأخير لسلطنة هولاكو فقام
بتدمير أمور الملك فى تبريز وابنه بهاء الدين محمد فى أصفهان والجزء
الأكبر للعراق العجمى ، أما خراسان فقد فوضت الى اثنين من الأمراء
المحليين وكرمان الى ترکان خاتون وفارس الى الملكة ابش خاتون وهراة
وغرجستان الى الملك شمس الدين كرت ، وكانت أتابكة لرستان ويزد
يحكمونها والأمراء الايوبيون يديرون دفعة الأمور أيضا فى
الجزيرة من قبل خان المغول •

كان علاء الدين عطا ملك الجوينى طوال مدة سلطنة أباقا خان
(٦٦٣ — ٦٨٠ هـ) حاكم بغداد وكل عراق المغرب من جانب سونجاق
اسما ولكنه فى الحق كان مستقلا فى عمله تمام الاستقلال ، وسعى كل
سعيه طوال مدة حكمه فى تعمير العراق العربى وترميم ما خربه عهد
المغول فنشأ قرى وقصبات جديدة وأخرى أنهار للزراعة وأحال الأرض
البوار مزارع فيحاء وتقدم فى هذا العمل الى حد ان بغداد زادت كما
يقال عمارا عنها على عهد الخلفاء •

كان شمس الدين محمد الجوينى صاحب الديوان وأخوه عطا ملك
اسباب ازدهار دولة أباقا خان ، وقام صاحب الديوان بجمع الضرائب
العامة لبلاد أباقا وادارة أمورها واجراء سياستها ولم يفقه أحد غير
الخان ، وكان أن بلغت ايران نتيجة قدرته وحسن ادارته الرقى والقوة
كما تجمع لصاحب الديوان هذا الاسم والرسم والثروة الطائلة وخلص
الشعراء وأهل العلم والأدب محامد شمائله وذكر خيراته فى الدواوين
والكتب بالنظم والنثر •

وقد اصطفى أباقا مدينة تبريز عاصمة له وكان يقضى شتاءه فى
ايران وبغداد وعلى ضفاف جغتو وصيفه فى آلتاغ و (وسياهكوة)

أو الجبل الأسود ولقيت تبريز من عهد حكمه ووزارة صاحب الديوان
شمس الدين فصاعدا الرقى المتزايد ، خاصة وأنها لم تبطل في عهد المغول
كما رأينا بالكثير من المصائب أو تنهب مثل غيرها من بلاد إيران وما وراء
النهر .

حروب أباقا :-

بنى أباقا زمن وفاة أبيه بابنة أحد أباطرة الروم الشرقية فحرب
إليه المسيحيين متأثرا بنفوذها ونفوذ أمه المسيحية وجعل منهم وسيلة
لقتال مسلمي الشام ومصر الذين كانوا في جهاد مع الصليبيين المسيحيين
وعقد عن طريقهم مع البابا وسلاطين أوروبا مزارا اتحادا ضد المسلمين (١)

ظهر لأباقا غريمان كبيران اثر غزوات عهد هولكو الأخيرة غلبا
جنود أبيه هما بركاى ولدجوجى ملك القبجاق والثانى مسلمو مصر .
أرسل أباقا فى أوائل (٦٦٤ هـ) أخاه لمقاتلة بركاى ومع أنه كان منتصرا
فى البداية ، إلا أنه بمجرد أن بلغ جيش بركاى الأساسى الى وادى
نهر كورا وأرس استوحش أباقا من قوة عدوه فأثر العودة واتفق فى
هذه الأثناء موت بركاى ورجع جيشه الى صحراء القبجاق .

(١) لما مات هولكو الملائك الوحيد لهيثوم أمام هجمات الممالك سعى الى
كسب تحالف أباقا خوفا من بيبرس الذى كان يحفظ على الأرمن والصليبيين
مساعدهم للمغول ، وذهب هيثوم يستصرخ الخان بتبريز بينما قدم بيبرس
مُعصف بأرمينية وأسر أحد أبناء هيثوم وقتل ابنا آخر (٢٤ أغسطس ١٢٦٦ هـ)
ثم مرج الى أنطاكية فأذاق أهلها وبلا بما فعلوه وعجل بذلك بانهيار المسيحية
فى شمال سوريا . وولى الأمراء الصليبيون وجه الاستغاثة لأباقا ، يحكى
المقريزى فى حوادث ٦٦٨/١٢٦٩ أن (جماعة من الفرنج خرجوا من الغرب
وبعثوا الى أباقا (أباقا) بن هولكو بأنهم واصلون لمواعده من جهة سبيل فى
سفن كثيرة) . وتوجه أمير طرابلس بالرغم من معاهدته مع بيبرس لأباقا
يستصرخه ويذكر له ما فتحه بيبرس من القلاع والحصون وعندئذ صاح فيه
أباقا قائلا : (أنت ما جئت الا لتخوننى منه وتغترنى عنه وتبلى قلوب عسكى
رعبا) (رنسيما : ٥٥٣ - ٥ - المقريزى ج ١ ق ٢ ص ٥٨٤ - ٦٠٠)
لكن أباقا غير لهجته بعد هزيمة المغول فى أبلستين كما سبلى .

وبعد انتهاء شريكاي زحف براق ملك بلاد جغتاي الذي كان يحكم على التركستان وما وراء النهر بجيوشه لقتال أباقا وقام من (٦٦٧ هـ) حتى (٦٦٨ هـ) بحروب في خراسان واذربايجان وأصاب أباقا بتعب شديد في ذي الحجة (٦٦٨ هـ) منه مهزما على بعد خمسة فراسخ من هراة وأعاد استيلاءه على خراسان ولأذ براق بالفرار الى بخارى ودخل الاسلام فيها متلقا السلطان غياث الدين ونسج على منواله كثرة من قواد المغول في بلاد جغتاي وكانت هذه الطائفة أول من اعتنق الاسلام من المغول (١) .

أما في ناحية مصر والشام فبعد فتح عين جالوت استرد المسلمون الشام من المغول (٦٦٤ هـ) وبلغوا حتى حدود أرمنية الصغرى أى قيليقيا وما حولها والتي كانت بيد أحد الأمراء الأرمن الخاضعين لأباقا فاستصرخ هذا الأمير أباقا .

وكانت سلطنة مصر يومذاك مع أحد ممالك الأيوبيين واسمه الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ) ، وقد ألحق بيبرس من أشهر سلاطين المسلمين الهزيمة مرارا بمسيحي الصليبيين في أكثر من سفر حربى من (٦٦٦ هـ) حتى (٦٧١ هـ) وطهر الشام ولبنان من الملاحدة الاسماعيلية ولما حمل على أنطاكية في (٦٦٦ هـ) وكانت في يد المسيحيين استنجد أهلها أباقا ، فأمر أباقا الذى كان يتشوف الى غزو الشام ومصر معين الذين بروانه حاكم الروم بمهاجمة حلب لكنه لم يتحصل على شيء من حملته عليها لأن الملك الظاهر أجلى أمامه المغول وسيطر على البلاد حتى الجزيرة أيضا وبلغ جنوده ضفاف الفرات وفي (٦٧١ هـ) انتصروا نصرا مبينا فيها حول النهر لكنهم عادوا الى الشام لما سمعوا بهجوم المسيحيين عليه .

(١) تفاصيل صراع أباقا وبراق ذكرها غامبرى في كتابه تاريخ بخارى من ص ١٩٢ حتى ص ١٩٥ .

وفي (٦٧٥ هـ) هاجم بيبرس ثغور الشام وما حول بلاد آسيا الصغرى وهياً معين الدين برواته له النصر لاتحاده معه في الخفاء بسبب اسلامه وبغضه لمسيحيي ارمينية الصغرى ، وغلب بيبرس بالقرب من قيسارية في الأبلستين في ذي القعدة (٦٧٥ هـ) الجيش المغولي والمسيحي ودخل بلاد الروم لكنه عاد أدراجه الى الشام بعد شهر واحد بسبب قلة المؤونة .

وصار أباقا لسماعه خبر هزيمة الأبلستين مغاضباً (٢) حتى أنه تحرك بنفسه الى الروم وأمر بأعمال السيف في عامة المسلمين بين قيسارية وارزنة الروم انتقاماً لقتلى المغول وقتل كثيراً من القادة والمستولين عن هذه الهزيمة وكان من ضمنهم معين الدين برواته الذي مزقوه ارباً وأنضجوا لحمه في وعاء وأكل المغول كل أجزاء جسمه لآخماذ نار الغضب (٣) .

ومات الملك الظاهر بيبرس بعد عوته من أرزونة الروم في السابع والعشرين من المحرم (٦٧٦ هـ) في دمشق وبعد أن حكم ولداه أحدهما بعد الآخر تلقب سيف الدين قلاوون الألفى أكبر قراد بيبرس شهرة في (٦٧٨ هـ) بلقب الملك المنصور وأمسك بأزمة سلطنة مصر ، لكن سلطنته لم تكن بلا ميازع من بينهم أحد هؤلاء المتمردين الذي ثار في الشام ولبنان وأجبر قلاوون على التصديق على سلطنته في هذه النواحي دعا أباقا للقضاء على سيف الدين بالشام ، فأتى أباقا مع أخيه منكوتيمور وثمانين ألف جندي الى الجزيرة والشام ، فعمل هو على فتح قلعة على شاطئ الفرات وسير منكوتيمور الى الشام . وفي الرابع عشر من رجب

(٢) قتل للمغول في معركة أبلستين نحو سبعة آلاف قتيلاً بكى أباقا لما شاهدتهم صرعى مما جعله يعجل بتحالفه مع الصليبيين (وليم موير : تاريخ دولة المماليك في مصر (مصر /) ص ٥٢) .

(٣) يذكر المقرئزي أن أباقا قتل من مسلمي بلاد الروم انتقاماً لهزيمة أبلستين ما يزيد عن مائتي ألف نفس ولم يقتل أحداً من النصاري (السلوك ج ١ ق ٢ ص ٦٣٣) .

(٥٦٨٠ هـ) أنزل سيف الدين قلاوون هزيمة فادحة بالقرب من حمص بمنكو تيمور ، فولى الأخ مؤزوما الى أخيه ، وعاد أباقا وقد سيطر عليه الخوف ومعه الجيود الفارون ، ولم تسنح له الفرصة بعد ذلك لمهاجمة الشام لأن المنون بعد ذلك بقليل أى فى العشرين من ذى الحجة (٥٦٨٠ هـ) حل به وخلفه أخوه تكودار .

كانت وزارة أباقا طوال مدة حكمه لشمس الدين محمد صاحب الديوان الجوينى الا أن ارتقاء أمر هذا الوزير الذى فاق المعتاد وأبنائه فى حكم الولايات وأخيه فى بغداد والعراق والثروة الطائلة التى تجمعت لهم كان يبعث دائما حسد الأعداء من بينهم أحد أتباع صاحب الديوان وممن تربوا على يديه وهو مجد الملك اليزدى الذى جن جنونا لكى يبلغ مقاومه تألب مع أرغون ولد أباقا وجمع آخر من الأمراء وعمال الديوان وأخذ يسعى بصاحب الديوان وأبنائه وأخيه وفى (٥٦٧٨ هـ) نفذ الى خدمة أباقا وأخذ يقذف فى أسرة الجوينى بالكذب والصدق حتى أنه نسب الى صاحب الديوان أنه حرض على انشاقاق معين الدين بروانه فى حرب بيبرس وحث اليزدى أباقا على تحقيق أموال صاحب الديوان . وتوسل صاحب الديوان باحدى حريم هولاء وهى أم منكو تيمور ونجا من شر سعاية مجد الملك بوساطتها .

وتقرب مجد الملك بوسائله الى أباقا ولم يكف عن دسائسه وعدائه لأسرة الجوينى وفى (٥٦٧٩ هـ) نصب فى وظيفة المشرف أو النساظر العام للمنصرف فى البلاد الايلخانية وأصبح مشاركا لصاحب الديوان منافسا له ، وفى أواسط (٥٦٨٠ هـ) بينما كان أباقا فى غزوته فى الشام اتهم أخا صاحب الديوان عطا ملك بالاختلاس وعدم إيصال بقية أموال بغداد وأرسل الايلخان لضبط هذه الأموال عمالا الى بغداد فأثوفا برفقة مجد الملك وألقوا بعطا هلك هذا المؤرخ الشهير بالسجن بعد ايذائه وإيذاء أتباعه كثير الأذى وان كان أباقا عجل بالعفو عنه بوساطة أحد أمراء المغول وأحسن له .

حفظ جلوس تكودار واسلامه أسرة الجوينى حتى فترة من شرور
خصومة أعدائها لأن هذا الأيلخان أناب بعد جلوسه مباشرة في حكم
مازندران والعراق وإيران وآذربايجان باستقلال وبلاد الروم بمشاركة
السلطين السلاجقة شمس الدين صاحب الديوان ، وفي حكم الموصل
واربل ابنه هارون وبغداد والعراق عطا ملك كما كان في السابق وخلع
عليهم بأنواع الخلع فازدهر شأن أسرة الجوينى كرة أخرى •

سلطنة السلطان احمد تكودار

(٦٨١ - ٦٨٣ هـ)

كان أباخان يميل الى أن يخلفه ابنه أرغون وبما أن ميله هذا
خالف الياسا الجنكيزية التى تحكم بأن يلى السلطة أرشد الأمراء فقد
رفع بعد موته أمراء المغول أخاه تكودار الى العرش واختير بالقوريقتاي
المنعقد بالآلتاغ في السادس والعشرين من المحرم من عام (٦٨١ هـ)
وسمى لهذا المنصب •

عمد تكودار في شبابه على دين المسيح ، وقد كان بالصين وقت غزو
أبيه هولاكو إيران وهو الابن السابع له ، لكنه بعد اختلاطه بالمسلمين
أخذ يميل شيئاً فشيئاً الى الاسلام فاتصل بالأمراء والرجال المسلمين
وسمى بـأحمد •

في أواخر عهد أباقا انشعب أمراء المغول ثلاث شعب كانت احداهما
تود بتصيب الأمير أرغون في مقام أبيه وتشيعت شعبة ثانية الى تكودار
ومالت ثالثة الى أن يلى هذا المقام منكوتيمور ولد هولاكو ، ومبات
منكوتيمور قبل أباقا بخمسة وعشرين يوماً فمال أتباعه الى أرغون
واشتدت المنافسة يوماً بعد يوم بين أتباع تكودار وأرغون ، وبعد أن
خلف تكودار باسم السلطان احمد خان أخاه أباقا انقلببت هذه المنافسة
الى عدااء علنى •

وبعد أن جلس تكودار بسط يد البذل والجود وفرق كثيرا من أموال أبيه المكنوزة على اخوته وامرائه وقواد جيشه ، وطلب صاحب الديوان اليه وكان فريسه مخالبا أرغون فأنزله منزل الاحترام والاکرام ، وبعد ذلك أولى الأمير أرغون ملاطفته وبره ، لكن أرغون لم يسر لهذا فدألف أخا تكودار في نفس الوقت وصمم على مخالفته .

وأول ما قام به تكودار هو اعلانه الاسلام ديننا وراسل في هذا الشأن علماء بغداد وكبارهم وأظهر نفسه على أنه حامى الاسلام وتابع شريعة الرسول الأكرم صلوات الله عليه ، وكان لاعلانه هذا طيب الوقع والأثر في المسلمين واقتدت به جماعة أخرى من المغول فدخلت الاسلام (١) .

وفي الصراع بين تكودار وأرغون أخذ مجد الملك جانب أرغون والتف صاحب الديوان واسرة الجوينى حول تكودار وفي النهاية نجح شمس الدين في اتهام مجد الملك بالاختلاس والسحر والشعوذة ومخالفة أرغون فأغضب الخان عليه . فسلم تكودار مجد الملك لعطا ملك لتسوية حساباته واعادة ما اختلسه ، وفي النهاية اطبق على هذا الرجل الماكر الطالب للجاه أعداءه في الثامن من جمادى الأولى من عام (٦٨١ هـ) على باب خيمة عطا ملك ومزقوه شرمزق وأرسلوا بكل شطر من أشلاله الى اقليم .

وصار أتباع أرغون المغول في غضب عظيم لما حدث لمجد الملك وهموا بالانتقام له وكان أرغون وقتها في خراسان فأقدم على ايذاء عمال عطا

(١) أخذ أحمد في نشر الاسلام وأجبر جماعة من اليهود والمسيحيين على اعتناقه وخرب كنائس تبريز وبدلها الى مساجد وقطع وظائف الأطباء النصارى واليهود وأخذ ينفقها على تجهيز قوافل الحجاج واهتم بالأوقاف على الأماكن المقدسة بالحجاز وبنى المساجد والمدارس الاسلامية في كل مكان وسعى الى الوفاق مع المماليك حققا لدماء المسلمين وتبذلت بينهما الرسائل تفيض ايمانا واسلاما وشكرا لله على هداية أحمد الى الصراط المستقيم ، وهذه الرسائل موجودة بالنص في تاريخ وصاف (ص ٢٥٩ ، ٢٦٤) ، والسلوك ج ١ ص ٧٠٧ . انظر أيضا : حبيب السير ج ٣ ص ٦٨ ، ٧٠ - ٧١ ، تاريخ ايران از مغول تا افشاريه ، رضا بازوكى (ايران / ١٣٥٨) ص ٨٨ - ٨٩ .

مالك بعد قدومه العراق والحق عظيم أذاه باتباعه بحجة طلبه بقايا أموال
عهد أبيه من بين ذلك أن أخرج جسد نائبه الذي لقي حتفه من فترة قليلة
من قبره وألقى به في عرض الطريق ، ولما بلغ هذا الخبر عطا ملك وكان
بأران مات حسرة في الرابع من ذي الحجة فأرسل السلطان ابن أخيه
هارون لحكم بغداد .

ولم يصف أرغون أبدا لعمله تكودار وغضب لاسلامه وحسن روابطه
بسيف الدين قلاوون فأعلن العصيان في وصوله بغداد وأخذ جانبه جمع
كبير من أمراء المغول منهم كيخاتو ابن آخر لأباقا وهموا بدفع تكودار
وقتلته .

ووفق تكودار هذه المرة في ان يخمد فتنة العصاة ، واضطر أرغون
الى العودة الى خراسان دائرة حكمه لما صار نهب الاعواز وفشل بسبب
خلافه لتكودار في القبض على صاحب الديوان ومصادرة أمواله وكانت
عودته اليها في (٥٦٨٢ هـ) ، وبعد أن ضبط مالها طالب تكودار بحكم فارس
والعراق أيضا بحجة أن خرج خراسان لا يكفيه فرفض السلطان فزاد
أرغون غضبا على غضبه خاصة بعد قتل تكودار في نفس تلك الأيام أخاه
الذي كان يحكم في الروم وحليفه لأرغون وأن اهراق دم الأمير المغولي
بيد أهله لا تقره الياسا الجنكيزية ، وأدرك أرغون أن تكودار بعد اسلامه
لا يظهر اهتماما ولا احتراما في مراعاة تطبيق ياسا أجداده ولن يحسم
العداء بينهما بغير الحسام المهند .

وكان تكودار يسلم بقتله اذا غلبه أرغون فتمكن بتدبير وزيره
شمس الدين من طرد كيخاتو وأشباع أرغون غيره من العراق أولا
ثم هزيمة جيش أرغون في صفر (٥٦٨٣ هـ) على مقربة من قزوین ، لكنه
بسبب خشيته منه طالبه اليه واعاده الى خراسان بعد اكرام له ومصالحة ،
وتد مهد فعله هذا الخاطيء أسباب قتله ووزيره الكافي شمس الدين لأن
أرغون لم يرعو عن غيه ، وحييما فكر تكودار في قتله سرا وفشت خطته

أحرق جمع من امرائه كان يظاهرون أرغون في الباطن خاصة الأمير بوقا في ليلة الثامن عشر من ربيع الآخر (٦٨٣هـ) بخيمة السلطان وكان ثملاً وأهلكوا قائد جيشه وفر تكودار والوزير ناجين بحياتيهما ورفسج العصاة أرغون إلى الحكم .

وقبض على تكودار أثناء فراره من آذربايجان فأمر أرغون في السادس والعشرين من جمادى الأولى (٦٨٣هـ) بقتله انتقاماً لقتله أخاه ، وبقتله بدأ عهد زوال الأسرة الجوينية والمسلمين الذين بلغوا شأوا عظيماً في عهد تكودار .

سلطنة أرغون خان

(٦٨٣ - ٦٩٠ هـ)

بعد اختيار أرغون للإيلخانية في (هشت رود) بآذربايجان وإقامة مراسم الاحتفال بذلك أودع زمام حل الأمور وعقدها أي خلافة الوزير شمس الدين إلى الأمير بوقا وسير ابنه غازان برفقة الأمير نوروز بن أرغون آغا حاكم المغول المعروف إلى خراسان وضم إليه الري ومازندران وقومس وأتاب أخاه كيخاتوف في بلاد الروم .

أما شمس الدين محمد وكان وقتذاك في أصفهان فقد قدم إلى خدمة الإيلخان الجديد خشية أن يهلك أرغون بموته أبناءه وأتباعه ، ولعله يتطلف به بدفع أموال إليه والتحايل بوسائل أخرى عليه فينجي أسرته من الاستئصال التام . وأثر تدبيره وعفا أرغون عن جرائمه وقرر أن يقتسم مع الأمير بوقا إدارة أمور البلاد الإيلخانية إلا أن الأمير بوقا واعداء شمس الدين خلفه خشوا تجدد قوته فاتهموه أمام أرغون بـدس السم إلى أبيه فأمر أرغون بقتل الوزير في الرابع عشر من شعبان بالتقرب من (أهر) وقتل أبناءه وأحفاده وأبناء أخوته بالتدريج وسقطت الأسرة الجوينية بهذا الشكل المؤلم .

وشمس الدين محمد صاحب الديوان من أكبر الوزراء والعمال
والكتاب الايرانيين ولم يناظره في عهده أحد في كفاءته وتدبيره وشوكة
جاهه وجلاله وثروته واشتهر بمزيد الحكمة والتواضع وحب الفضل
والشعر ، وولد أعذب شعراء الفارسية وأفصح متكلميها السعدي
التبريزي ذكره وذكر أخيه علاء الدين عطا ملك في قصائده وأنشأ
بضعة نفر آخرين من كبار العلماء والشعراء الآخرين لذلك العهد
مثل نصير الدين الطوسي والاستاذ صفى الدين الارموي وهمام الدين
التبريزي وبدر الدين الجاجرمي (١) الكتب والقصائد باسمه وأفراد أسرة
الجويني فتركوا ذكرهم بخير للخلف بعد أن شهر اسمهم على الألسنة
وذكر على الأفواه عهدهم .

بعد قتل صاحب الديوان زادت قوة الأمير بوقا حدا لم يبق لأرغون
فيه من السلطنة سوى اسمها وأغضب هذا الأمر كثرة من أمراء المغول
وكبار دولتهم فسعوا الى الايلخان لطلب بساط استبداده ، وكان أذكى
أعداء بوقا طبيبا يهوديا من أهل أبهر زنجان اسمه سعد الدولة الذي
كان يعيش ضمن اطباء أرغون المقربين ، ولما كان يعلم ميل الايلخان
الخفي الى جمع المال نال اذنه بالتحقيق في حساب عمال الأمير بوقا
في بغداد وعاد في المرتين اللتين ذهب فيهما الى العراق بمال وفير وحوله
لأرغون فاختاره لحسن خدمته وزيرا له وفي السنة الثالثة أي (٦٨٧ هـ)
قتل بوقا بجريمة الخيانة والتفكير في عصيانه .

وسرعان ما قصر سعد الدولة أيدي العمال والموظفين المسلمين عن
أعمالهم وكان ينيب عنه في كل مكان من اليهود والمسيحيين وظلت خراسان
والروم وحدهما بمنجى من شرور استيلاء اليهود لأنهما كانتا بيد غازان
وكيخاتو .

(١) أشهر هؤلاء الشعراء بعد الطوسي همام التبريزي (متوفي عام
٧١٤ هـ) من مشاهير شعراء آذربايجان ، كانت له صحبة مع الشيخ السعدي
وهذا عبات شعريّة وقد تأسى به في فن الغزل ، وله منظومات باسم (صحبت
نامه) نظمها لشرف الدين هارون ولد شمس الدين محمد صاحب الديوان .

وكان سعد الدولة رجلا ذكيا كافيا فقبض على الأمور المالية للدولة ووضعها تحت إدارته وعمر الخزانة وأمسك بأزمة الأمور وقصر أيدي جميع أمراء أرغون عن الأمور بكل مكان وظل هكذا متسلطا مقتدرا حتى وفاة أرغون (٦٩٠ هـ) وبلغ استبداده أن استصدر منه أمرا بمهاجمة الحرمين وتحويل الكعبة إلى معبد للأصنام وقتل علماء الإسلام لكنه أصيب بالمرض حينذاك بينما يخشى أن يمتنع من تنفيذ أمره ولم يطل الأمر حتى أهلكه أمراء أرغون في سلخ صفر (٦٩٠ هـ) في آذربايجان ولحق به أرغون بعد أيام ستة أيضا .

سلطنة كيخاتو

(٦٩٠ - ٦٩٤ هـ)

وبعد حتف أرغون طلب أكثر أمراء مغول أخاه كيخاتو حاكم بلاد الروم إلى آذربايجان وانتخبوه خانا في الثالث والعشرين من رجب (٦٩٠ هـ) .

وتزامن جلوس كيخاتو مع ثورة جماعة من التركمان ويونانيي بلاد الروم فقصده كيخاتو هذه البلاد لتأديبهم وآب بعد شهر عشرة مظفرا منصورا إلى إيران .

وفي عودته من بلاد الروم أنفق كيخاتو بعد إصابته بالمرض على الناس صدقات كثيرة طلبا للشفاء ووزع الذخائر والنفائس التي جمعها أرغون وسعد الدولة على أمراء المغول وكبارهم وأصدر أمره بتحرير المحبوسين وأعفى العلماء والسادات وأئمة الدين من دفع الضرائب ومع أن هذه الأعمال كانت في المظاهر بدافع الاخلاص والجود والكرم فيه إلا أنها هدمت في الباطن أساس دولته بسبب خواء الخزانة وانتكاس العائدات وزوال الخوف من قلوب الزعية وآلت إلى سوء حال الناس .

وضع (التشاور) النقد الورقي :-

استوزر كيخاتو صدر الدين احمد الخالدي الزنجاني الذي كان حليف مجد الملك في (٦٧٩ هـ) ضد أسرة الجويني ثم أناب بعد ذلك عن الأمير المغولي في فارس ، وكان صدر الدين احمد هذا الذي لقب (بصدر جهان) أي صدر الدنيا من الكرام المحبين للآداب الأجواد ولكنه بغير كفاءة في الأمور الحكومية ومع أنه كان كثير البذل والعطاء فلم يقل كيخاتو عنه وكان يقول ان الذهب والمال والجواهر والنفائس زينة الزمان وكان يتشبه بأوكتاي القآن في بذله .

ونتج عن هذا التبالغ والتساهل في الانفاق عند الايلخان والوزير أنه لم يتبق في الخزانة دينار واحد حتى أن نفقات المطبخ الملكي اليومية أخذت في الاختلال ، وصمم الوزير للخلاص من هذه الأزمة وعن مشورة أحد أتباعه المطلعين على أحوال الصين أن يروج عمله ورقية بدلا من الذهب والفضة كما هو المتبع بالصين ونشر في (٦٩٣ هـ) عملة ورقية تشبه أوراق النقد وأسمائها (تشاو) في البلاد الايلخانية لكن أكثر الرعية لم يقبلها وأقفل غالب التجار محلاتهم وهجروا المدن فركدت المعاملات وكانت المدن الكبرى على شفا الثورة بسبب هذه المشكلة فاضطر كيخاتو الى تركها ولم يترتب عن فعله أيضا لاصلاح حال الخزانة المخربة نتيجة تذكر .

قال كيخاتو في (٦٩٤ هـ) :

كان كيخاتو فضلا عن ضعف نفسه واسرته سكيرا فاسقا وأغضب في مدة حكمه القصير العامة عليه لانتهاكه شرف الناس وكرهه أمراء المغول أيضا وكان أقواهم بايدو حفيد هولكو حاكم بغداد والعراق ، وفي النهاية قدم بايدو في جمادى الأولى بجيشه من بغداد الى آذربايجان ولما علم كيخاتو أن أغلب امرائه انحازوا الى بايدو هرب الى موغان وقتل بها بيد الثوار واختير بايدو ايلخان لايران .

سلطنة بايدو

من جمادى الأولى حتى ذى القعدة من ٦٩٤ هـ

بعد قتل كيخانو وضع الأمير طغاجار والأمراء الآخرون بايدو الى الايلخانية وبعد أن جلس بالقرب من همدان في جمادى الأولى (٦٩٤ هـ) نصب الأمير طغاجار في امارة الأمراء والجيش وأرسله نائباً عن صدر لدين أنزجاني لحكم بلاد الروم .

وقد قارن جلوس بايدو قيام غازان بن أرغون خان الذي حكم خراسان يعاونه الأمير نوروز من بداية جلوس أبيه على الايلخانية .

وقد ثار الأمير نوروز الذي دخل الاسلام على غازان مخدمه ايام وزارة سعد الدولة وأخرجه عن خراسان في (٦٨٨ هـ) فأرسل أرغون بايدو لضبط أمور خراسان فاضطر الأمير نوروز الى الفرار الى التركستان وظل في حالة عصيان حتى (٦٩٣ هـ) حين قدم يطلب عفو غازان فعفا عنه غازان وأحسن اليه .

وبعد أن جلس بايدو تحرك غازان بحث من الأمير نوروز ليلاقى لاينخان الجديد بأذربايجان في الظاهر وبقصد القضاء عليه في الباطن ، وبرغم محاولات بايدو ارجاعه الى خراسان بالوعد مرة وبالوعيد أخرى فلم ينحرف بدفع من الأمير نوروز حتى جرت الحرب بين الطرفين في الخامس من رجب (٦٩٤ هـ) في إحدى قرى مراغة وطلب بايدو من غازان التسلح بعد أن أحس الهزيمة في جنده ودخل الاثنان في مفاوضات شروط الصلح وتقسيم البلاد الايلخانية ، وعاد غازان الى خراسان وهو غير مطمئن لصفاء نية أمراء بايدو وبعد فترة خلص الأمير نوروز بعد اتفاقات سرية مع طغاجار والأمراء المغول بالحيلة من بايدو ولحق بخازان .

وفي (٦٩٤ هـ) اعتنق غازان الاسلام بتشجيع من الأمير نوروز وسمى نفسه محمودا واقتدى به نحو مائة ألف من المغول فدخلوا

الاسلام كذلك (١) فزادت هذه الواقعة من العداوة بينه وبين بايدو وحتى حل آخر عام (٥٦٩٤ هـ) حين هاجم غازان آذربايجان متذرعاً بعدم وصول عائدات فارس التي ضمها بايدو الى حوزة غازان ، ولحق صدر الدين الزنجاني بمعسكر غازان أيضاً لسخطه على بايدو عزله من وزارته وهاجم بجنده آذربايجان وتخلّى طغاجار والأمرء الباقون عن بايدو لميلهم الى غازان ولم يجد بايدو مناصاً من الفرار الا أن الأمير نوروز أوقعه بأسره بالقرب من نخجوان فأرسل به الى غازان في صحراء أوجان فقتله غازان في الثالث والعشرين من ذي القعدة (٥٦٩٤ هـ) (٢) .

(١) راجع في ذلك أيضاً حبيب السير ج ٣ ص ٨٣ .
(٢) يذكر خواندمير أن بايدو بدأ حكمه عادلاً فأعاد الحقوق الى أصحابها وأعفى الأوقاف الاسلامية من الضرائب (حبيب السير ج ٣ ص ٨٢) ويورد وصاف أنه عهد بالوزارة الى جمال الدين المستكرداني فاختار لقب الوزارة بدلاً من لقب صاحب الديوان (تاريخ وصاف ص ٢٨٤) ولم يكن يدين بالمسيحية يقول هورث ومع ذلك عمل على احياء آداب هذا الدين غير أنه في الوقت نفسه لم يكن يضمّر عداًء للاسلام عكس سابقه فكان يرسل ابنه ليصلى مع المسلمين كما يصلون .

(Howorth III, P. 387/

الفصل السادس

سلطنة الايلخانات المسلمين

١ - سلطنة السلطان محمود غازان

(٦٩٤ - ٧٠٣ هـ)

من حين جلوس غازان حتى انهيار أسرة الايلخانات غدا الاسلام الدين الرسمي للدولة وتأسس الحكم الايلخاني على الشرع والآداب الاسلامية وزالت طاعة الايلخانات من وقتذاك للقاءن بخانباليغ وانبتت الصلة تدريجيا بين خانباليغ والبلاط الايلخاني . دخل غازان في العاشر من ذي الحجة (٦٩٤ هـ) تبريز وجلس على الايلخانية في يوم النيروز بتلك السنة وكان أول ما أصدر من أمر يوم جلوسه وجوب قبول الاسلام ديناً للمغول واجراء آدابه الدينية ورعاية جانب العدالة ومنع الأمراء والأكابر من ظلم الرعية .

وبعد فترة كتب غازان أوامره الى الأمصار وأرسل رسلا خاصين وفحواها تخريب الكنائس والصوامع فخربت الكنائس ومعابد اليهود ومعابد نار المجوس وحطمت في تبريز اصنام البوذيين وطيف بها في شوارعها وبذلت الكنائس الى مساجد ونزل أذى كبير بغير المسلمين تعصبا للدين (١) .

وأمر غازان لطلب الأمير نوروز أن تسك الشهاداتتان على اختتام

(١) من ذلك اجباره غير المسلمين على الظهور بثياب مميزة لهم (حبيب السير ج ٣ ص ٨٣) .

الدولة وأن تشرع الأوامر والمكاتيب الرسمية بالبسملة وأن يراعى ذلك على العملة المتى تضرب باسم غازان أيضا وينقش أسماء الخلفاء الأربعة عليها كما كان الرسم أيام العباسيين •

استورز غازان خان صدر الدين احمد الخالدي أو (صدر جهان) الزنجاني ثم أهلك من اشتراك في قتل كيخاتو من الأمراء وبعث بطغارجار لقيادة عسكر الروم وأمر في عقبه من يقتله ونجا بذلك من شره وكان شديد النفوذ والقوة •

ويعت اسلام غازان على ثورة طائفة من الأمراء البوذيين لكن غازان قبض عليهم جميعا بعون الأمير نوروز والأمير هرقداق ثم أوردتهم مورد التهلكة وعزل صدر الدين من الوزارة الذي اتهم بمؤازرتهم بشهادة الأمير نوروز وهم بقتله غير ان الأمير هرقداق توسط له فنجا من الموت وعاد الى الوزارة كما كان •

قتل الأمير نوروز في الثاني والعشرين من ذي القعدة (٦٩٦ هـ) : —

جلس صدر جهان ثانية على مسند الوزارة لكي يفكر في الانتقام من الأمير نوروز الذي سعى في عزله فحالف أعداءه لهذا الهدف وسمى الجميع بوسائل متعددة الى قلب نوروز • وزيف صدر جهان وأخوه قطب جهان على لسان نوروز وأخيه مراسلات موجهة الى سلطان مصر فحواها أنه مع اسلام غازان الا أن امراءه لم ينالوا شرف الدخول فيه فما تراءل الفرصة للسلطان سانحة لمهاجمة ايران واستئصال شأفة الكفر وأن الأمير نوروز وأخوته متأهبون لعون المصريين وشملت خطاباتهم أيضا ذكر ارسال الأمير نوروز بضعة أثواب قيمة هدية للسلطان •

وقد أثار افشاء هذه المراسلات حنق غازان خان وتحرك الايلخان وكان وقتذاك بهمدان معجلا الى شهبهان وقد بلغ به الغضب مبلغا جعله يقطع نحو خمسة وثلاثين فرسخا في اليوم ، وفي الحادي والعشرين من

جمادى الأولى (٦٩٦ هـ) بلغ شهبان وأمر بقتل أخوة الأمير نوروز بدون محاكمة أو مساءلة وأرسل من يتتبع أتباع نوروز وأشياعه وأخوته الثمانية بالقتل حيثما وجدوا •

واستدعى أخاه (خدابنده) الذى كان ولى وجهه شطر خراسان بجيشه والأمير قتلغشاه وهرقدان ومعهما عشرون ألف جندي والأمير تشوبان وبضعة نفر آخرين من الأمراء من نقاط مختلفة وأمر الجميع بالقبض على الأمير نوروز بخراسان •

وعلم الأمير نوروز بما يعد له فلاذ بالفرار بأربعمئة من صحبه الى هراة بعد أن خالفه قواد جيشه وانفصلوا عنه وذلك ليحتوى بالملك فخر الدين كرت الذى تزوج بابنة أخيه وعليه لنوروز أياذ بيضاء ولسكى يطلب مدده الا أن فخر الدين سلم الأمير نوروز الى جنود قتلغشاه فقتله قتلغشاه وسير رأسه فى الثانى والعشرين من ذى القعدة (٦٩٦ هـ) الى غازان •

قتل صدر جهان فى الثانى والعشرين من رجب (٦٩٧ هـ) :

بعد قتل الأمير نوروز أشاح غازان خان فى جمادى الأولى (٦٩٧ هـ) بوجهه عن صدر الدين أحمد الزنجانى صدر جهان بعد أن أتهمه عدد من عمال الديوان وأمراء غازان بالتصرف فى أموال الدولة وشكا صدر جهان رشيد الدين فضل الله الطبيب الهمدانى وهو من الأعمال التابعين له الى غازان متوهما اشتراكه فى مؤامرة ضده وحديثه للسلطان حديث العداوة لسه فرد عليه غازان أن رشيد الدين لم يتفوه بكلمة ضده •

وفى هذه الأثناء قدم الأمير قتلغشاه الذى كان توجه لضرب ملك الكرجيين الى معسكر غازان على ضفاف نهر كورا (كر) وسمع أن صدر جهان قد تحدث الى الايلخان عن أتباعه شر الحديث ونسب اليهم الشدة فى القتل والنهب فعاتبه غازان فاستقصر من الوزير عن سبب

غضب الايلخان وعمن ذكره بسوء أمام غازان ، فأظهر صدر جهان رشيد الدين فضل الله الى قتلغشاه على أنه سبب القضية ومحركها فغضب قتلغشاه من رشيد الدين وشكاه الى غازان .

وعلم غازان بعد استدعاء قتلغشاه أن صدر جهان اتهم رشيد الدين فحنق عليه وأمر بتقييده في السابع عشر من رجب (٦٩٧ هـ) وبعد محاكمته تركه الى قتلغشاه لمعاقبته فشطره قتلغشاه نصفين في الثاني والعشرين من رجب وانتهت بهذا حياة صدر جهان الذي كان مع ذكائه وكرمه وأدبه رجلا طالبا للجاه والفتنة والدسائس .

وفي أواخر عام (٦٩٧ هـ) حين كان غازان في طريقه من تبريز الى بغداد لقضاء الشتاء أصدر أوامره في أوجان بتولى سعد الدين محمد المستوفي الساوجي وزارته وديوانه ورشيد الدين فضل الله نيابة وزارته فأقبل هذان على إدارة البلاد الغازانية يعان أحدهما الآخر .

حروب غازان في الشام : —

ومن الوقائع الخارجية الهامة لعهد غازان غزوه مصر والشام ولم يكن موضوع النزاع في هذه الغزوات الخلافات الدينية بين المغول ومسلمي مصر والشام كما كان في أيام هولاكو وأباقا لان غازان غدا مسلما وإنما بعثت المنافع والمصالح السياسية الى ظهور النزاع بين الطرفين . فقد رنا مما اليك مصر الى اخراج بغداد عن يد المغول بعد أن استولوا بالتدريج على جميع الشام وسواحل البحر المتوسط من الصليبيين وبلغوا شاطئ الفرات الأعلى وكانوا يودون احياء الخلافة العباسية بها وقام غازان مدافعا عن أملاك الايلخانات واسترداد البلاد التي استحوذ عليها هولاكو وقواده من قبل .

وشرعت الحرب في (٦٩٩ هـ) حين هاجم غازان يصحبه الأمير قتلغشاه والأمير تشوبان وثلاثون ألفا من آذربايجان ببلاد الشام

وأصاب المسلمين في ربيع الأول من نفس العام على مقربة من حمص في مجمع المروج بالهزيمة واستولى على الشام وفلسطين لكنه أجبر على العودة إلى إيران لدفع المغول الجغتائيين فاهتبل المصريون الفرصة واستعادوا كثيرا من البلاد الضائعة .

وفي الحملة الثانية لغازان على الشام (٥٧٠٢) أنزل الملك الناصر محمد (٦٩٨ — ٥٧٠٨) ابن سيف الدين قلاوون سلطان مصر بأمره غازان الأقوياء في مرج الصفر بغوطة دمشق في الثاني من رمضان (٥٧٠٢) هزيمة قاسية واستأسر منهم عددا كبيرا ولاذ الأمير تشوبان وقتلغشاه بالفرار يجللهما فضيحة كبرى إلى ضفاق لفرات حيث معسكر غازان . وتأثر غازان من هذه الهزيمة عظيم الأثر إلى حد أن الدم كما ذكر نرف من أنفه لشدة غضبه وقتل بعضا من الأمراء المهزومين لتخفيف نار حنقه وأدب البقية بضربهم بالعصا ولم يبارح فكره الانتقام حتى موته (١) .

وفاة غازان في الحادي عشر من شوال (٥٧٠٣) : —

بسط غازان يد البذل والانععام بعد مجلس الشورى الذي عقده أثر هزيمة مرج الصفر في أوجان وتأديب قادة الجيش ، وخلع على كل من قادته وأنعم عليهم أنعاما جزافا ، ومكث خمسة عشر يوما في مخيمه وزع فيها أموال خزائنه والأموال التي جمعت ظلما من الولايات من قبل باسم أعداد الجيش وصنع ما لم يصنعه إيلخان سابق في هذا العطاء . وبعد انتهاء قوريتاي أوجان أتى غازان تبريز لكي يهيئ جيشه للتحرك إلى الشام والانتقام من هزيمة مرج الصفر لكنه صار فريسة مرض بعينه على نحو مباغت ومكث فترة تحت علاج الأطباء الصينيين . وبعد قليل عاد إلى أوجان وتحرك إلى بغداد لقضاء الشقاء لكنه لم يستطع تحقيق

(١) لتفاصيل حروب غازان مع المماليك انظر حبيب السرج ٣ ص ٨٨

مقصده بسبب هطول الثلج والمطر فقرّر أن يتقضى شتاءه ذاك حوالى
قزل أوزن •

أصيب غازان فى سفره لقضاء الشتاء الأخير بشديد المرض ولم
يكف عنه الهم والحزن منذ هزيمة مرج الصفّر ، ولم يجد أى علاج معه
فاضطر الى أن يتحرك فى أوائل الربيع من حوالى قزل أوزن الى ساوه
واستقبله الوزير سعد الدين الساوجى فى منزله هذا حيث كان وطنه
حرى الاستقبال •

وفى ساوه تحسن غازان تحسنا طفيفا لكنه حينما تحرك منها الى
الرى عاوده المرض بشدة فاضطر الى المكث بضعة أيام فى الرى ثم سار
الى قزوین ووافاه أجله فيما حولها يوم الأحد الحادى عشر من شوال
(٥٧٠٣) بعد نحو تسعة أعوام من الحكم فى سن الثالثة والثلاثين وحمل
جسده من ذلك المكان الى تبريز وأوسدوه الثرى فى (شنب غازان) أو
(شام غازان) أحد الأبنية التى أقامها بجانب تبريز يعلوه قبة •

ومع قصر عمره حكم غازان الا أنه مع ذلك أحد سلاطين الشرق
العظام بلا شبهة بسبب اصلاحاته وأعماله والأبنية والقواعد والقوانين
التي نفذها ، واذا لم تصح مقارنته بمثل كوروش الكبير ودايوش الأول
والسلاطين العظام الشأن الساسانيين لكنه يعد من ناحية ادارة الملك
والدولة واحدا من مشاهير سلاطين ايران وأول ملك فى الاسرة الايلخانية
من هذه الناحية • بيد أنه يتوجب الأخذ فى الاعتبار أن القسم الأكبر لهذه
المناقب والمعظمة وعلو الصيت التى اتصف بها غازان انما يرجع لبركة
وجود الوزير الأريب الفاضل خواجه رشيد الدين فضل الله الهمداني
الذى أخذ على عاتقه ادارة بلاد غازان الواسعة بالتبدير والفضل
والسياسة من ناحية وشارك غازان فى تحقيق رفاهية الرعايا واصلاح
الأمر المالية وانشاء الأبنية والآثار الخيرية ، ومن ناحية ثانية خلّد
بقلمه المبدع ذكر محامد غازان وأعماله البيضاء ووقائع أيامه على

صفحات الزمان ، وقد اجتمع غير هذا الوزير العالم له من الفضلاء
نتيجة لحب الأدب وتشجيعه له في البلاط الإيلخاني وشارك كل منهم في
هذه المرحلة بخطوة هامة على نحو يمكن أن يقال به أن عهد غازان وخلفيه
أو لحاجتيو والسلطان أبي سعيد خان بسبب وجود رشيد الدين فضل
الله وأولاده أحد ألمع المجهود الأدبية لتاريخ إيران بل هو ولأسباب سوف
نذكرها منعدم النظير في هذا المضمار في تاريخ هذا البلد .

شمائل غازان خان وفضائله : -

عفا السلطان محمود غازان خان بعد أن أسلم من المؤمنين الجادين
في الدعوة إلى هذا الدين وظل حتى نهاية عمره يجهد في رعاية مراسم
الدين الحنيف وآدابه وإقامة شعائره ويسعى إلى تحويل ذلك القسم
من عساكره الذي ظل على إثراكه وعبادته الأصنام أو بوزيته إلى الدين
الاسلامي وكان يباحثهم ويحادثهم بنفسه لهذا الأمر .
كان غازان رجلا عاقلا خيرا بالحرب خاصة قبل بلوغه الإيلخانية
أي عهد حكمه خراسان وذلك اثر حملات المغول المتعاقبة فيمما وراء
النهر على هذا البلد فقد أتقن فنون القتال ومجابهة العدو ووقف على
أسرار هذه الفنون ولم يك يبالى الموت بل كان يحرص جنوده دائما
على اجتياز الحياة وعدم الخوف من لقاء العدو وكان يستحضر قواده
في الغالب كما كان يدين جنكيز ويلقى إليهم بتعليماته الخاصة ويوصيهم
وصية جنكيز الفاتح الأريب بالاستفادة قبل كل شيء بالطرق والمرشدين
والإدلاء والاستعانة بمدد جواسيسهم قبل التحرك لتأمين وسائل التجهيز
والمؤونة وتحصيل المعلومات عن أحوال العدو المعنوية وتجهيزاته
المختلفة . وقد جهد غازان جهدا بليغا في رعاية النظام والانضباط
العسكري وكان متأسسا بجنكيز في هذا الأمر أيضا ويقول إن السبب
الأساسي لهزيمة الجيوش هو عدم انتظام الجند وتفسخ انضباطهم
وانحلاله وقت الوغي أو غلبة العيىد .

كَانَ غَازَانُ عَلَى عِلْمٍ قَلِيلٍ بِالْعَرَبِيَّةِ وَلُغَاتِ الصُّينِ وَالتُّبَّتِ وَاللَّاتِيَّةِ
فَضْلًا عَنْ امْتِقَانِهِ الْمَغُولِيَّةِ وَالْفَارْسِيَّةِ وَكَانَ شَدِيدَ الْمِيلِ لِمَعْرِفَةِ تَارِيخِ
السُّلَاطِينَ وَآدَابِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ خَاصَّةً مَنْ عَاضَرُوهُ مِنْهُمْ وَكَانَ كُلَّمَا صَادَفَ
أَحَدَ الْأَجَانِبِ اسْتَعْلَمَ مِنْهُ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ كَامِلَ الْاسْتِعْلَامِ ، لَكِنَّهُ كُنَّا
شَدِيدَ التَّعَلُّقِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ بِمَعْرِفَةِ تَارِيخِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ الْمَغُولِ فَلَمْ
يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْأَفْرَادِ وَالْكِبَارِ الْمَغُولِ يُضَارِعُهُ عِلْمًا بِأَحْوَالِ الْمَغُولِ وَاسْمَاءِ
سُلَاطِينِهِمْ وَوَقَائِعِ أَيَامِهِمْ وَقَدْ نَقَلَ رَشِيدُ الدِّينِ عَنْ فَمِ غَازِيٍّ قَدِيرٍ مِنْ
الْمَعْلُومَاتِ النَّفِيسَةِ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ جَامِعِ التَّوَارِيخِ •

وَكَانَ غَازَانُ خَانَ فَوْقَ هَذِهِ الْفَضَائِلِ رَجُلًا فَنَانًا وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِبَعْضِ
الصَّنَاعَاتِ الْيَدَوِيَّةِ وَالْحِرَفِ الْمَخْتَلِفَةِ مِنْ قَبِيلِ الْمَعْمَارِ وَالنَّقْشِ وَالْحَدَادَةِ
وَصِنَاعَةِ الْأَسْلِحَةِ وَأَنْفَقَ قَدْرًا مِنْ عَمَلِهِ مَتَجُولًا فِي طَلَبِ الْكِيمِيَاءِ
وَالِاسْتِغَالِ بِالرَّمْلِ وَالتَّنْجِيمِ وَجَمَعَ النِّبَاتَاتِ الْعَجِيبَةَ كَمَا هِيَ عَادَةُ الْمَغُولِ
وَكَانَ يَفْكُرُ فِي بِنَاءِ مَرْصَدٍ بِالْقَرْبِ مِنْ تَبْرِيزٍ وَصَنَعَ نَمُودَجًا لَهُ فِي شَامِ
غَازَانِ •

كَانَ غَازَانُ يُوَثِّرُ أَهْلَ الْأَدَبِ وَالْحِكْمَةِ وَالْفَضْلِ وَغَالِبًا كَانَ يَجَالِسُهُمْ
وَيُطَارِحُهُمُ الْأَسْئَلَةَ فِي مُحَضَّرِهِمْ وَلَدِيهِ الْمَامِ كَافٍ بِالْأَدْيَانِ وَالْمَذَاهِبِ وَالْمَلِكِ
وَالنَّحْلِ يَمْضِي كَثِيرًا مِنْ وَقْتِهِ فِي مِبَاحَثِهِ الْفِرْقِ الدِّينِيَّةِ الْمَخْتَلِفَةِ
وَمُنَاطَرَتِهِمْ • وَكَانَ ذَا خُبْرَةٍ فِي تَشْخِيصِ نَدَرِ كِفَاةِ النَّاسِ وَلِيَاقَتِهِمْ يَنْزِلُ
كُلًّا بِمَقَامِهِ الْبَحْرِي بِهِ حَسَبَ فَضْلِهِ وَاسْتِعْدَادِهِ ، وَقَلَّمَا كَانَ يَصْغِي لِكَلَامِ
الْمُغْرَضِينَ وَسَعَايَةِ السَّاعِينَ ، وَعَلَى النَّقِيضِ مِنْ ذَلِكَ كَانَ شَدِيدًا قَاسِيَا
فَوْقَ الْمَعْتَادِ فِي عِقَابِهِ الْمَخْطِئِينَ وَتَأْدِيبِهِمْ وَيَغْلُظُ فِي مَعَاقِبَةِ عَمَالِهِ وَأَتْبَاعِهِ
وَقَوَادِ جَيْشِهِ الَّذِينَ يَتَعَدُّونَ حُدُودَ الْعَدْلِ وَالنَّصْفَةِ وَكَانَ جَمَاعًا لِأَزْمَةٍ
هَوَاهُ لَمْ يَصْدُرْ عَنْهُ مَا يَبِينُ عَنْهُ تَشْهِيهِ وَكَانَ يَنْزِلُ مَنْ يَرْتَكِبُ
رَذِيلَةً شَدِيدَ الْعِقَابِ وَالْمُؤَاخَذَةِ ، وَلَمَّا كَانَ فِي تَنْفِيزِهِ يَأْسَاءُ الَّتِي سَوْفَ
نَذْكُرُهَا غَايَةَ الْمُرَاعَاةِ وَالشَّدَةِ فَلَمْ يَقُلْ حِكْمَةً فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ وَأَعْمَالِ
الْقَسَاوَةِ عَمَّا سَبَقَهُ فِي الْعُهُودِ الْمُتَقَدِّمَةِ •

القواعد والياسا الفازانية : -

وضع غازان قواعد وياسات لتحقيق رفاهية الرعية ووضع
الضرائب وصولا منظمًا ورقع الظلم والتعدي وجسّن إدارة الأمور وألغى
كثيرا من الآداب والرسوم التي كان معمولًا بها قبله ولم يرخص بها وزاها
مجانبة للمعدل والنظام ، ونشير إلى قواعد باجمال :

١- قبل غازان كان جمع الضرائب بالولايات يقطع للحكام وكانوا
غالبا ظلموا طامعين فطالبوا الرعية احيانا بأداء الضرائب عشر مرات في
عرض العام الواحد بل عشرين مرة في بعض الأوقات .

٢- وكان من المقروض أن تجمع حذيلة هذه الضرائب من المصارف
الجارية والصكوك التي كان يرسلها الديوان حضرات للزعية بالولايات
الا أن الحكام كانوا يتلقون أكثر هذه الضرائب والموائد بالاستيلاء
عليها لأنفسهم فتبقى الحوالات بأيدي الرعية لم يؤد مالها أو تدفع
ضرائبها فتعود إلى الخزينة . ولم يكن العمال بالديوان يفتشون قبط في
عائدات الولايات ولا يعرفون شيئا عن حساباتها فيصدرون بدون أدنى
ملاحظة أو مراجعة الصكوك والحوالات الآتية من حكام الولايات ، وكان
بين هؤلاء الحكام وصاحب الديوان أو الوزير علامات متفق عليها فإذا لم
يرسم صاحب الديوان هذه العلامات على الحوالات امتنع الحكام عن
دفع أموالها التي أدتها الرعية .

٣- وقد هجرت الرعية العاجزة قراها لظلم الحكام وجورهم وجلوا عن
أوطانهم فنتج عن ذلك خراب تام في المدن والقرى ، وكان عمال الديوان
على علم كامل بهذه الأوضاع لكنهم لم يقدموا على القضاء على الظلم
وأشبابه لتحالفهم مع الحكام ، وكانت عامة أصحاب الدواوين والوزراء
المغول مشتركين في هذا الظلم بتفاوت بينهم والمسؤولين عما نتج عنه من
خراب وان كان أكثرهم مسئولية صدر الدين الخالدي الزنجياني لأنه
افتتح هذا الوضع الفاسد ووصل في إشرافه وانفاقه المال في غير موضعه
إلى حد الافتضاح وبلغ إصدار الحوالات والصكوك من غير أن يصدّر

ما لها وضرائبها في عهده أبلغ القبح والفضيح . .

وكان غازان شديد التأثر لهذا الفساد المبالي فأقدم قبل كل شيء على تنظيم وصول الضرائب واقصار أيدي العمال وحكام الولايات الظلمة وطمأنه خواطر الرعية من هذه الناحية ، لهذا أمر ألا يقطع جميع الضرائب وألا تطالب الرعية بدفع الضرائب أكثر من مرة طول العام ، وأرسل لكل ولاية مستوفيا خاصا لكي يعبد كشفها أو صورة لعائدات جميع دافعيها من البلاد طبق آخر تحديد حدد لها بالاسم والراسم ويرسل به الى غازان ولكي ينسخ صورة أيضا للاملاك الشخصية والخالصة والأراضي الخاصة أو الـ (اينجو) والأوقاف المستقلة ويذكر فيها أسماء المستفيدين بعوائدها في الثلاثين سنة الأخيرة ، ويرتب ويدون (قانون المال) كما كان المصطلح لكل ولاية .

وبعد أن وصلت هذه الصور والكشوف التي الديوان وأزيات أخطاؤها استنسخ منها عمال الديوان خلاصة العوائد والضرائب المقرر بالمطالبة بها سنويا وقيدت مضبوطة بالديوان ، ومهر الموظفون الكبار الديوانيون كشف ضرائب كل قرية ومدينة بالأختام الديوانية ووشح السلطان عليها باسمه (١) . .

وأصدر غازان أوامره بالالاقيد من هذا الوقت فما بعده حكام الولاية والمستوفون حوليات على أحد من الرعية وإذا خالف حاكم هذا الحكم فصدر ضكا أو كتبه كاتب عوقب الأول وقطعت يد الثاني . . وكان اثر هذا النظام وإزالة التعدي على الرعية وظلمها وتحديد مقدار معلوم من الضرائب لكل قرية وضعية عن قواعده وقوانين ثابتة أن عمريت الولايات بعد عامين أو ثلاثة ودخلت الأموال بتمامها غير منهوبة الخزانة وعصرت يد تعدي الحكام والمستوفين والمبعوثين تماما .

(١) التوشيح تعليق العنق بالحمائل والزينة وتزيين المكتوب بالأضواء والختم وباصطلاح علم البديع تضمين اسم الشخص أو الشيء في الحرف الأول للمصراع أو البيت بترتيب الجمع والترتيب . .

بأختامهم ويعطونه الرسول ليبلغه الى أقرب منزل اليه راكبا خيل منزله
وتفعل نفس الفعل الرسول تاليه الى أن يجل الخطاب المخيم السلطاني،
وهكذا كان المبعوثون يقطعون في اليوم الواحد ستين فرسخا. وكان
المسافة بين خراسان وتبريز مثلا تطوى في ثلاثة أو أربعة أيام .

وأمر غازان فضلا عن ذلك أن يصرف لكل مبعوث نفقات سفره
وأن يبنى بالمدينة بيوت تسمى (ايلخى خانه) أى بيوت المبعوثين
لأقامتهم، ولم يصبح لغير الايلخان ونواب البلاط الحق في إرسال مبعوث
من لدنه، وعلاوة على ذلك أمر قاصدين في كل منزل ليبلغوا لدى
الأقضاء أخبار المنازل احدهما للأخرى وكان هؤلاء القاصدون يقطعون
في اليوم ثلاثين فرسخا .

٣ - عم غازان خان في شعبان (١٢٩٨ هـ) أمرا على جميع البلاد
نهى فيه عن الربا وفوائد المال نهيا تاما كما أمر الحكام والشحنات بعقاب
من يعصى الأمر .

٤ - قبل أيام حكم غازان خان كل حاكم لبلاد الروم و آذربايجان
وفارس وكرمان والكرج ومازندران يسك عملته بغير عيار يخالف العملات
الأخرى ولما لم يكن عيار السكات واحدا في كل البلاد الايلخانية ظهر
اختلال في التعامل وصار سبب ضرر التجار وجهد اكبر في أمور
التجارة . وأصدر غازان أيام حكومته أمرا بأن يكون عيار العملة الذهبية
والفضية في كل البلاد تسعة أعشار وأمر كيخاتو نفس هذا الأمر لكنه
بسبب عدم قدرة الايلخانيين لم ينفذ هذا الأمر فلم يتجاوز عيار العملة
الذهبية والفضية عن الثمانية الأعشار .

وجمعت بأمر غازان كل العملات المغشوشة في كل البلاد الايلخانية
فلم يرج غير المسكوكات التي أمر بضررها وكان موظفو المسكوكات
يضبطون العملات المخالفة لصفات الأموار بها ويكسرونها ويحملونها الى
دار الضرب ليعاد سكها كاملة العيار .

٥ - وكان قبل غازان مقاييس الوزن والكيل بشكل خاص في كل ولاية بل في كل مدينة وقصبة وكان الوزن والكيل يختلف اثناهما عن الآخر من قرية الى قرية اختلافا فادحا وكان هذه المشكلة تسبب كل حين بين موظفي البحوالات الضريبية ومحصلي الضرائب أو الرعية الاختلاف وتوجد حجة للعمال الجائرين لكي يحصلوا من الرعايا ظلما أكثر مما يحق لهم المطالبة به فكانوا يستنزفون الناس ما يريدون بضربهم بالعصى وتعذيبهم بحجة اختلاف المكييل والموازين ، وقد سبب هذا الاختلاف فضلا عن المعاييب المشار اليها انتكاس التجارة أيضا وعدم رغبة الناس في أن يحملوا تجارتهم الى سائر الولايات لأنه غالبا كان يقع الاختلاف بين البائع والمشتري على الوزن والميزان وكان التعامل ينتهي أغلب الأوقات بضرر البائع فصار هذا الأمر موجب نقص بعض الاموال في غالب الولايات .

وأصدر غازان لكي يوحد الأوزان والمكييل أمرا وزعه على سائر الولايات وعين موظفين مخصوصين لكي يساووا موازين التعامل بالذهب والفضة وأوزان الاحمال والمكييل في كل مكان وأن يصنعوا هذه الموازين من الحديد ويمهروها بأختام خاصة .

٦ - لما كان من نتيجة استيلاء المغول وجيوب عهد الحكام الإيلخاني وظلم العمال الديوانيين وتعديهم أن خربت أغلب القرى والقصبات وبارت المزارع ، أصدر غازان أحكاما لتعمير ما خرب من الأراضي البوار بأن يجدد الناس العمار والموانئ ويزرعون المزارع البائرة لقاء معاملة خاصة من فروع الديوان لهم فيخفف عنهم الضرائب . وقبل غازان خربت الأملاك الخاصة الإيلخانية أو أملاك البند (اينجو) تماما وأكل الحكام الاموال المرصودة لها ، فأمر غازان بأن يوضع من الضرائب لكل ولاية مبلغ تحت اختيار الحكام لشراء البذور ونفقات الزراعة على أن يستتزل السنة التالية من محصولها . وفي السنة

الأولى أحب بعض الحكام أن يمتنع عن أداء مقرراتها بخفصة أضرار
الآفات وضعف محصولها فقصمت أملاكهم التي الديوان بناء على أوامر
غازان ونتيجة لذلك زرعت كل الأراضي البوار وبلغ إنتاجها من ثوي
كبيرا .

٧ — قبل غازان كانت طرق التجارة غير آمنة وخطرة بسبب
تسلط قطاع الطرق عليها ومشاركتهم ممن سبوا أنفسهم رفاق القافلة
فكانت أموال المسافرين ورجال القوافل معرضة دائما لخطر النهب
والسرقة واتفق قطاع الطرق مع الأدلاء والمرشدين عليهم .

فأمن غازان الطرق وأمسك بقطاع الطريق ولقوا جزاءهم ووضع
مرشدين أمناء في المنازل الخطرة وقبرر أن يأخذوا عن كل حيوان أجرا
معينا وان يكونوا مسئولين عن سلامة الطرق ، وإذا وقعت سرقة في
الطريق كان على مرشد هذا القسم من الطريق الذي حدثت فيه السرقة
أن يقبض على اللص أو يدفع قيمة ما سرق . كما قرر أن يوضع على
رؤوس الطرق قوائم قصيرة من الجبر أو الحصى ينصب عليها لوحات
يكتب عليها عدد المرشدين والقدر المستحق لهم أخذه عن كل حيوان .

٨ — قبل حكم غازان كان الملازمون خاصة الأيلخانات الأمراء وقواد
ابلهم وحيولهم وقاصدوهم يتمولون بمال من الأثرياء بكل مكان يصلونه
لنفقاتهم . وغلب أن يرد عليهم في اليوم الواحد ثلاث وأربع مجموعات
من هذه الجماعة يعقب بعضها بعضا يأخذون من الناس تجورا وغنما
ما يريدون فننادى غازان في أسواق المدن أن لا يعطى من هذا التاريخ
فصاعدا أحد بلا استئذان ولا رسم الملازمين والقاصدين والجفاليين الخاصنة
دينارا واحدا ولو سمع أن أحدا أخذ من غيره شيئا ظلما فسوف يسترد
ذلك منه بضرب الهراوة وكان هو وجيشه إذا تزلوا بأي مكان اشبهقوا
ما يلزمهم بأسفار عادلة فلم يكن أحد يتعرض للرعايا والعامه بسوء .

٩ — نهى غازان بناء على أمر منه عن شرب الشراب والتسكرك في

الشارع العام وقرر أن يطاف بالعاصي في الطرقات ثم يعلق بالأشجار وأرسل بالأوامر المتتابعة الى الولايات منع فيها الناس من التلطف بحديث الكفر كما أمر أن لا يعتقد أحد أن كفاءة السلطان أو قطنته لهما دخل في الانتصارات التي كانت نصيبه أو نصيب جيشه بل يعدها جميعا من توفيق الله عز وجل وأن أي شر يتولد عن السلطان لا ينسب الا اليه ، وأصدر حكما كذلك يخفض فيه في عقود الزيجات من صداق المرأة ويحدده بتسعة عشر دينارا ونصف دينار حتى اذا لم يحدث اتفاق بين المرأة وزوجها لا يكون أمر الطلاق متعسرا بسبب ارتفاع قيمة الصداق .

١٠ - وأحدى عظيمات اصلاحات غازان تنظيم أمر المرافعات واختيار القضاة والشهود وأمور التعامل العرفي فكان قبله سوق التزوير والغش شديد الرواج بسبب عدم الاهتمام باختيار القضاة وأخذهم الرشوة فقل أن فصل في أمر بمقتضى العدل والانصاف وكان القضاة يستأجرون مناصبهم وشاع كمال الشيعوع أخذهم بالشهادة الزور وتزوير الاقرارات والحجج وأخذهم الرشوة واعداد المستندات المزورة وتقليد الخطابات .

وأصدر غازان خان لكى يلغى هذه الرسوم المقبحة وليصلح نظام المعاملات والمرافعات أربعة فرمانات : الفرمان الأول بخصوص منصب القضاء والثاني بشأن التقادم وعدم الترافع لقضية مضى عليها ثلاثون عاما والثالث بشأن اثبات ملكية البائع قبل البيع والرابع تأكيد الفرمانات الثلاثة السابقة وتكميلها .

١١ - لم يكن لرسوم الجنود ورؤسائهم وتموينهم ورواتبهم نظام صحيح قبل غازان وانما كان لبعض قواد الجيش وخدمهم مقدار معين من الأجر يأخذونه من الديوان ، فحدد غازان للجنود الذين يخدمون على كئب من العاصمة رواتب معينة كان يرفعها من عام الى عام لاولها كانت مكوك رواتب الجنود قبله ترسل الى الولايات وغالب الوقت لم

تكن تصل أصحابها فيؤدى ذلك الى أضرار للرعية والجنود أصدر غازان أمره بأن تجتمع في كل ولاية من الولايات في مكان معروف أموال الديوان حين تجمع وذلك بعلم الشحنة لكي يدفع قيمة أى حوالة وصلت فسور وصولها الى صاحبها فلا يضار الرعايا ثم أصدر في (٥٧٠٣ هـ) أمرا حدد فيه لعامة الجنود اقطاعات معلومة .

١٢ — وقبل غازان كانت جماعة من صناع الأسلحة يصيبون كل عام مقداراً من الأجور المالية والعينية لقاء اعدادهم الأسلحة للجيش الايلخانى ، لكنه بسبب الهرج والمرج الشائع في أمور البلاد لم يكن العدد المقرر ارساله من الأسلحة كل عام يرسلون به الى الجيش ، فقاطع غازان تعامله معهم وأمر بعضاً من صناع الأقواس والسهام والسيوف بارسال مائة مجموعة من كل منها سنوياً ويأخذوا قيمتها حسب السعر الجارى وكلف رجلاً أميناً يتسلم الأسلحة منهم كل عام وسمى ولاية ليدفع مالها ثمنها لهذه الأسلحة ، وبهذا النظام كان عشرة آلاف جندى على أهبة بأسلحتهم بينما كان يدفع قبل غازان ضعف ما دفعه ولا يسلح ألفاً جندى .

١٣ — واحدى اصلاحات غازان ترتيبه (التاريخ الايلخانى) أو (التاريخ الغازانى) الذى قام به لتوفيق وتطبيق السنوات القمرية مع الشمسية في التقويم الهجرى اذ أنه حدث فرق بينهما بسبب تأخير بداية العام أو (النوروز) ومن ثم تكون فارق ثلاثة عشر عاماً بين السنتين في عهد غازان ، فطابق هذا الايلخان السنين القمرية بالشمسية في الثالث عشر من رجب من عام (٥٧٠١ هـ) بعد أن اهتم تطبيقها من عهد المعتضد الخليفة العباسى والديلمية ، وجعل من هذا اليوم بداية تاريخ جدد ، الا أن هذا التاريخ لم يدم وعجلت الايام بزواله

الابنية الغازائية : —

غازان خان أحد السلاطين المعمرين المشيدين لكثرة تشييده العمائر والأبنية ، وقد جرت عادة المغول أن يوسد اجساد خاناتهم ثرى مكسان

مختلف بعيد عن للعمار والزراعة ويحظر دخوله ، فأحب غازان بعد أن آثر الاسلام ديناً أن يقتسبه برجالات الدين الكبار وسلاطين المسلمين فابتنى لنفسه مقبرة وهو حى أوقف عليها لكى يحيا على وقفها الصلحاء والزهاد والعباد فيذكرونه بالخير بعد موته ، ولهذا القصد بنى قبة فى (شام تبريز) الذى سعى بعد ذلك بشنوب غازان أو شام غازان جنوب تبريز بثلاثة أرباع الفرسخ كانت من روائع المعمار الاسلامى فافتت فى كبرها وعظمتها ما بنى حتى عهد فى البلاد الاسلامية .

وبعد أن أتم بناء قبة قبره أوقف عليها فى ايران والعراق أملاكاً خاصة ولاها الوزيرين سعد الدين السلوجى ورشيد الدين فضل الله ، وبنى حولها كثيراً من المساجد والمدارس والخانقاهات والحمامات ودور الكتب وغيرها من وجوه الخير .

وخلاف ما أشير اليه من أبنية أعاد غازان بناء مدينة أوجان بأكملها فى (٨٧٩٨) من جديد واختط فيها أسواقاً وحمامات جديدة وبنا خانقاة أيضاً فى همدان ، وشيد أسواراً دائرة حول تبريز وشيراز وعمر فى (٨٧٠٢) قلعة تبريز .

٢ - السلطان محمد خدابنده أوجايتو

(٧٠٣ - ٧١٦ هـ)

اختار غازان خان كما سبق القول أيام حياته أخاه محمداً ولياً لعهد و خلفاً له وكان محمد حين وافى غازان أجله فى خراسان فما أن سمع بوفاة أخيه حتى ابتدأ بقتل الأمير الأفرنگ ولد كيخاتو عن طريق جماعة من أمرائه وكان يطلب خلافة غازان يستاعده فى ذلك (هرقداق) قائد جيش خراسان ومع أن هرقداق ولي دهره فإلا أنه لم يقض فترة طويلة حتى وقع فى الأسر ثم قتل مع أخيه له وثلاثة أولاد ونجلين محضين فى بداية حكمه من شر عائلة عظيمة !

بعد القضاء على فتنة الأفرنج وهرقداق وادخال جنودهما طاعة
السلطان وإشاعة الأمن بخراستان تركها السلطان متعمداً التي تبرز دار
ملكه وقد رافقه في منزله هذا كثرة من الجنود وجمع من الأمراء الكبار
من قبيل الأمير مولاي سونج وإيسن قتلغ وعلى القوشنجي .

وبعد جلوس محمد على العرش لقب نفسه السلطان أولجايتو
أي السلطان المغفور له وكان إذ ذاك لا يزيد عن الثلاثة والعشرين عاماً
وهو ثالث ابن أرغون خان .

وقد لقب الشيعة السلطان محمدًا أولجايتو بلقب (خدابنده) أي
عبد الله بسبب تعلقه بمذهبهم إلا أن أهل السنة حرّموا هذا اللقب إلى
(خربنده) أي المكار والخمار بدافع العداء والحقد وذكر لقب السلطان
محمد أو لجابتو لهذا السبب بالشكلين معا في كتب القدماء .

أصدر أولجايتو بعد جلوسه بأيام ثلاثة أمراً يقضى بإقامة المراسم
الدينية وتباعد الأسلام ورعاية قوانين غازان ونياساته وخلع على الأمراء
وقواد الجيش الكثير ، ومنح مئتين ثوبان رئاسة (١) القيادة العامة
للجيش والمقام الأول بين رجال الملك ، وجعل تحت امرته الأمير تشوبان
وفولاذقيا وسونج وإيسن قتلغ ثم أبقى رشيد الدين فضل الله الهمداني
الطبيب وزيراً له كما كان سابق حاله أيام أخيه وجعل سعد الدين محمد
الساوحي شريكاً له في أمور الديوان والوزارة .

بنساء السلطانية في (٧٠٤ هـ) : —

فكر غازان خان أو آخر عمره أن يختط مدينة في (ضمن سلطانية)
حيث ينبع نهر أبهر وزنجان القضيران وشرع في بنائها لئلا أن الأجل

(١) بالتركية بيلكر بيكي أي رئيس الرؤساء أو أمير الأمراء وذكرها المؤلف
في النص الفارسي . وفي تاريخ بخاري أن هذه الرتبة العسكرية تعادل في
العصر الحديث رتبة المشير وكانت تشارتها علماء أحرار بطويلا ، وقد طلبت هذه
الرتبة في عهد تيمور والأوزبك . (تاريخ بخاري ص ٢١٥ وحاشية رقم ٢)

لم يمتد به فافتى أولجايتو فكرة أخيه .

كانت منطقة السلطانية الجالية ومروجها عهد المغول مرتعا لأحشامهم وغلب أن كانوا يلقون برجل اقامتهم فى عبورهم من العراق الى آذربايجان أو بالعكس ، فالتقى غازان خان فيها وكانت خربة تماما أساس مدينة وبدأ بناءها أولجايتو باسم السلطانية على بعد خمسة فراسخ من زنجان وتسعة من أبهر فى (٧٠٤ هـ) فلتمها فى مدة عشرة أعوام بحيث أن فى عام (٧١٣ هـ) ظهرت احدى أعظم البلاد الإسلامية فى مكان لم يكن أكثر من مرج وأنشأ بها كثيرا من العماثر والمدارس والمساجد والحمامات والأسواق وتجمع بها سكان كثيرون من كل طبقة .

وأمر أولجايتو ببناء سور مربع حول السلطانية كان طوله ثلاثين ألف قدم وبلغت ضخامة جدرانها انه كان بمكة أربعة فرسان أن يتحركوا على جدرانها متحاذين ، وأقام أولجايتو بوسطها قلعة عظيمة كانت كأنها مدينة فى عظمتها وبنى بها قبة ليدفن بها بعد وفاته وعرفت باسمه (نساء خدابنده) وهى من أهم الأبنية ومن النماذج الرفيعة للمعمار فى عهد المغول .

وقد اقتفى أولجايتو فى بناء السلطانية الأسلوب الذى سار عليه غازان فى بنائه شنيب غازان فى تبريز فقد أمر بعد تشييد المدينة والقبة على أطراف قبره ببناء سبعة مساجد زين أحدها بالمرمر والصينى على نفقته وأقام فيها كثرة من الأبنية كدار الشفاء ودار الدواء ودار السيادة والخانقاه وأوجد أولجايتو أيضا فى السلطانية بعد قصر بناء لاقامته الخاصة مدرسة كبيرة على غرار المدرسة المستنصرية ببغداد استدعى اليها المدرسين والعلماء وأهل البحث والدراس من كل حدب وصوب .

وقد شارك فى بناء العاصمة الجديدة أمراء أولجايتو ووزرائه كل بنصيب ومن بينهم الوزير رشيد الدين المبذى عمر محله كاملة من السلطانية شملت ألف دار فضلا عن مدرسة ودار للشفاء وخانقاه .

وبعد أن بنى أولجايتو السلطانية استقدم أفواجا من أرباب الحرف والصناعات من تبريز إليها وشغلهم بترويج صناعاتهم اليدوية فيها ، وافتن في الإهتمام بها حتى صارت في مدة وجيزة أول مدينة في البلاد الأيلخانية بعد تبريز ، ولكن للأسف لم يدم لها عظمتها إذ زالت أهميتها بعد أولجايتو وأبى سعيد خان مرة واحدة ، فخربت بالسرعة التي عمرت بهنا وسوى الأمير تيمور لئلا الذي كان كانه على عداء شخصي مع العمار ما بقي منها بالأرض ولم تترك هذه المدينة من ذاك الوقت حياة وما تزال إلى اليوم أطلالا .

فتوح جيلان في (٧٠٦ هـ) : -

بقيت ولاية جيلان الصغيرة الواقعة من أردبيل واخلخال حتى حدود كلاردشت وأرض مازندران طوال عهد السقلاء المغول بمنجى من سيطرة قواد جنكيز وهولاكو والأيلخانات. أعقابهما ولم يتمكن المغول منها بسبب وجود المعابر الصعبة العبور إليها والمروج الكثيفة حولها .

وفي (٧٠٦ هـ) سير أولجايتو أربعة جيوش من أربع نواح على النحو التالي : أرسل الأمير تشوبان من ناحية أردبيل وطالش وقتلغشاه من جهة اخلخال وطوغان والأمير مؤمن من اتجاه قزوین وكلاردشت واتجه هو بالجيش الرابع عن طريق لاهيجان صوب جيلان هدف الهجوم .

أرسل أولجايتو قبل غزوة جيلان سفراء إلى أمراءها المحليين طلب منهم طاعته ، فبعث أمراؤها كلهم بهدايا إلى السلطان ودخلوا طاعته فلقوا منه الأكرام والاحترام لكنهم أدركوا بعد قليل أن ثروة جيلان التي فاقت الحد وصيت انتاجها خاصة حريرها أطمعا أمراء أولجايتو بالولاية ، فأصبح كل أمير من أمراءها يتوقع ويضرب أخماسا في أسداس وبدأ كل منهم لذلك السبب يخرج عن طاعة السلطان وينبعث للدفاع عن أملاكه الوراثية وماله واسمه ، فأخفق هذا أولجايتو وصمم على تحريك

جيشه والاستيلاء على جيلان من الجهات الأربع .

ومع أن فتح جيلان كان يبدو للوهلة الأولى سهلا بسبب صغرهما وقربهما وعدم قوة أمرائها المحليين الا أنه اتضح بعد قليل أن أمر فتحها ليس سهلا كما كان يبدو لأن صعوبة الطرق والموانع الكثيرة كالغابات والجبال والأمطار والأوحال من ناحية جعلت من جيش أولجايتو في كل خطوة يخطوها نهب الشدة والخطر ومن ناحية أخرى فإن دفاع أهلها البطولي عن أرواحهم وأموالهم أحل بجيش خدابنده الهزائم المتتابة ومع أن أولجايتو سيطر على جيلان نهاية الأمر وأدخل أمراءها طاعته يؤدون الخراج اليه الا انه غرم خسائر ضخمة في الأرواح وقتل القائد العام لجيشه وهو قتلغشاه الرجل الأول في المملكة في هذه المعارك .

وبعد أن سيطر أولجايتو على جيلان وادخل أمرائها طاعته قرر أن يرسل كل منهم مقدارا من الحرير كل عام كخراج الى المعسكر الايلخاني ويعد نفسه من هذا الوقت تابعا له ، ثم قرع ابن قتلغشاه بالعصا لفراره من الحرب وعين الأمير تتوبان في منصب قتلشاه أي القيادة العامة للجيش وعاد بجميع أمراء جيلان المطيعين الى السلطانية .

أولجايتو والتشيع :-

عمدت أم أولجايتو وكانت من قبيلة الكرائيت المسيحية ابنها - نيكولا في البداية - طبق مراسم الدين المسيحي وعاش أولجايتو بهذا الدين حتى وفاة أمه فتزوج بامرأة مسلمة . وقد حثته زوجته على الاسلام واختار خدابنده من المذاهب الأربعة السنية المذهب الحنفي مذهبا بسبب نفوذ علماء خراسان الأحناف وأصبح مسلما رسما وأمر بنقش اسم الخليفة الأول على مسكوكاته .

وفي (٥٧٠٩ هـ) دخل السلطان محمد خدابنده المذهب الشيعي بتشجيع أحد أمرائه ذوى النفوذ وأصرار علماء الشيعة فأمر

بترك أسماء الخلفاء الثلاثة في اليسكة والخطبة وباحلال أسماء أمير المؤمنين علي والامامين الثاني والثالث عند الشيعة محل الأوائل في الخطبة والاقتصار في اليسكة على اسم علي بن أبي طالب وقبول شعب ايران مذهب التشيع .

وأصدر أولجاتيو أمره لكي ينشر عقائد التشيع بجلب أئمة هذا المذهب من البلاد لينشئوا مدارس خاصة لتعليم اصول التشيع وعقائد فرقه كما هيأ مدرسة بحوار قبة السلطانية عمل فيها ستون معلما ومدرسا اجتمع عليهم مائتا تلميذ لتعليم عقائد الشيعة وأنشأ مدرسة أخرى في معسكره باسم (المدرسة السيارية) من خيم تطوف مع الجيش أينما ذهب ويتحرك معها طائفة من كبار علماء الدين ليدرسوا لطلاب العلم .

وقد دفع اقبال أولجاتيو واهتمامه بالمذهب الشيعي علماءه الى أن يأتوا معسكره من كل جذب وصوب ويحببوا السلطان أكثر مما سبق في هذا المذهب ويحاولوا احكام ايمانه به بالأدلة الكلامية والشواهد المختلفة فيسدوا الطريق على نفوذ أئمة اهل السنة . وكان بين هؤلاء العلماء العلامة جمال الدين الحسين بن المطهر الحلي (٦٤٨ - ٥٧٢٦) وابنه فخر المحققين فخر الدين محمد (٦٨٢ - ٧٧١ هـ) وكلاهما من علماء الشيعة المعروفين خفا مع جماعة أخرى من أئمة هذا المذهب الى بلاط أولجاتيو بالسلطانية وقدم العلامة الجلي وهو من أشهر مصنفي الفرقة الامامية الاثنى عشرية ومن علماء المعقول والمنقول ومن تلامذة نصير الدين الطوسي كتابين في اصول عقائد الشيعة من تأليفه تحفة الى أولجاتيو . وأنزل السلطان بالجللي وابنه منزلة الاحترام وأقاما بالمعسكر ، وطفقت قوة التشيع تزداد يوما بعد يوم اثر هذه الواقعة وأتى علماء الشيعة من البلاد المختلفة خاصة من العراق والبحرين ايران وانكبوا على تأليف الكتب ونشر عقائد هذا المذهب .

وكان السلطان خدابنده ذا طبع مسالم قليل التعصب فبعد قليل

من قبوله التشيع وإصدار أوامره بالترويج له بتشجيع علماء الإمامية رأى أن أهل أغلب بلاد إيران خاصة أهل قزوین وشيراز واصفهان لا يطيعون أوامره وأن جماعة من أمرائه يصرون ويتعصبون في الحفاظ على مذهب أهل السنة ، لهذا قتل من حماسه الأول في مشايخته للتشيع وأمر ثانية آخر عمره أن تدخل أسماء الخلفاء في السكة والخطبة .

قتل سعد الدين الساجي في (٧١١ هـ) : —

عمل سعد الدين محمد الساجي مشاركا لرشيد الدين فضل الله الشطر الأعظم لسلطة غازان وأولجايتو في إدارة أمور الدولة وتدبير مهامها لكنه أخذ يفقد قبوله الأول في خدمة أولجايتو بالتدريج ونزل منه منزلة خشونته ، والأمر الذي كان باعثا على أفول نجم إقباله يوما بعد يوم هو طلوع كوكب سعادة رجل ذكي طامح للمجد نفذ إلى البلاط الإيلخاني وأخذ يستلقت انتباه أولجايتو إليه أنا بعد آن وهو تاج عليشاه جيلان تبريزي وكان في الأصل دلال جواهر وأحجار كريمة لم لم يكن بفضل أو علم ولكنه بفهم وذكاء والاستعداد ، وقد تعرف إلى الأعيان والأمراء وكثر تردده عليهم عن طريق تعامله التجاري معهم وعرف نفسه بنفس الطريقة للسلطان فأصبح موضع اهتمامه .

وأرسل الوزير سعد الدين بعليشاه إلى بغداد لتدبير المصانع الخاصة بالنسيج بها لابعاده عن البلاط فذهب إليها عليشاه وسرعان ما نظم أمور مصانعها تنظيما حسنا وصنع بها بعض المنسوجات النفيسة العالية القيمة لم يصنع مثلاً أبداً قبله ولما قدم السلطان بغداد أتحفه عليشاه وأهداه بها ، فزاد اهتمام خدابنده به أكثر مما كان وأخذ أمره في الارتقاء حتى أنه رافق العسكر السلطاني ، ولما بلغ الجيش السلطانية شيد عليشاه على نفقته الخاصة بهذه المدينة أبنية رائعة وأقام سوقاً لم ير مثله حتى ذلك الوقت بالعاصمة فرضى أولجايتو الذي كلف بتعمير هذه المدينة والبناء بها على عليشاه رضاء كبيراً وزاده

أكراما ورعاية عما سبق . أما سعد الدين فقد برم بما حدث ولم يستطع أن يرى علو أمر عليشاه وعلى النقيض منه أبدى رشيد الدين احترامه لعليشاه وتعظيمه له فأدى الخلاف بينهما إلى الاصطدام فسعى سعد الدين للاضرار برشيد الدين ، فسعى رشيد الدين به عند السلطان دفاعا عن نفسه وتخلصا من عدوه واتهمه بالاختلاس وبعد أن حقق في حسابه وثبت الجرم عليه قتل بأمر من أولجاتيو في العاشر من شوال (٧١١ هـ) على بعد فرسخ واحد من بغداد ، وبعد أن قتل سعد الدين اختار أولجاتيو عليشاه في منصب الوزير المقتول وذلك بطلب من رشيد الدين وقرر أن يكون الأخير مع تاج الدين عليشاه في أمور تعامل الديوان وأن يكون عليشاه مع رشيد الدين في المشورة والتدبير لأمور الملك وأن يطيع تاج الدين أوامر رشيد الدين .

وعمل رشيد الدين هذه المرة على إصلاح ما خرب في عهد تولى سعد الدين وأتباعه وتقنين قوانين جديدة وأتاب في كل ولاية حاكما أمينا من بين ذلك عهد إلى حمد الله المستوفي القزويني المؤرخ والمنشيء المعروف (١) بحكم قزوين وأبهر وزنجان وطارم العليا والسفلى وإلى ابنه أي ابن رشيد الدين جلال الدين بحكومة اصفهان وإلى ابن آخر له هو الأمير عبد اللطيف بوزارة أبي سعيد وإلى عهد السلطان وكان قد نصب في حكم خراسان في عام (٧١٣ هـ) .

(١) هو أبو بكر أحمد بن نصر المستوفي القزويني في (٧٥٠ هـ) سليل الأسر القديمة التي عاشت سنوات طويلة في قزوين ، ولى أعمالا في خدمة رشيد الدين فضل الله الذي وجهه إلى تعهد أموال وحكم قزوين وزنجان وأبهر . وكان حمد الله غالب الحضور بمجالس رشيد الدين والمشاركة في مباحثاته العلمية والتاريخية . ومن آثاره المعروفة نظمه ظفرنامه ونزهة القلوب وتاريخ كريدة أو التاريخ المختار الذي ألفه عام (٧٤٠ هـ) لغياث الدين محمود ولد رشيد الدين . وهذا الكتاب موجز لكتاب جامع التواريخ اثر رشيد الدين مع إجازات لتواريخ أخرى ، ويحوى الكتاب مقدمة وستة أبواب في كل منها فصول مختلفة ساق فيها المؤلف بداية التاريخ ومباحث عقلانية ثم تواريخ الرسل والعرب والخلفاء وملوك إيران حتى عهده .

وفي أوائل عام (٧١٢ هـ) قدم بلاط أولجياتيو جمع من أمراء الملك الناصر محمد سلطان مصر وقواده وبعض فرسانه وحرصوه على غزو الشام ، وكان أولجياتيو يفكر في هذا الأمر حتى قبل فتح جيلان فعزم على تنفيذ فكرته وتحرك بجيش متأهب من الموصل إلى شاطئ الفرات ولكنه فشل في الاستيلاء على أول قلاع الشام من ناحية العراق في الخطوة الأولى فعاد إلى إيران وتخلّى نهائياً عن فكرة غزو الشام (١) .

وبعد عودة أولجياتيو من الشام أي في (٧١٣ هـ) نصب ابنه أبا سعيد الذي ولد عام (٧٠٤ هـ) وكان وقتذاك ابن التسعة أعوام في حكم خراسان وعين الأمير سونج لأتابكته ورئاسة خراسان وعبد اللطيف بن رشيد الدين بوزارته وجعل جماعة أخرى من الأمراء في معيته .

وقبل انتصاب أبي سعيد على حكم خراسان هاجمها المغول الجغتائيون مرارا وغلبوا الأمير بيساو والأمير على القوشجي وتصادف دخول أبي سعيد المدينة مع هجوم منهم آخر وانضم الأمير ييساول والأمير على القوشجي بعد عجزهما عن مقاومتهم لجيش أبي سعيد وظل أبو سعيد مدة حكمه لخراسان وكانت ثلاثة أعوام وبعض العام في شغل دائم لدفع هجومهم .

وفي (٧١٥ هـ) أي قبل وفاه أولجياتيو بعام احتاج أبو سعيد للمال لدفع رواتب جنده وأرسل مرارا وتكرارا إلى الخزانة بطلبه أي إلى تاج الدين عليشاه ورشيد الدين فضل الله وكان هذان الوزيران ينفس

(١) وجه أولجياتيو سفارة إلى ممالك الغرب المسيحية مكونة من « تومس الدوتشي » تحالفا ضد الممالك وكتب رسائل إلى البابا كليمنت الخامس وإلى ملكي فرنسا وإنجلترا ، وقد أدت هذه الرسائل إلى الاعتقاد بأنه يميل إلى اعتناق المسيحية ، وكان ذلك منافيا للحقيقة ، وما زالت رسائله إلى فيليب موجودة في متحف الوثائق الوطنية (وليم موير : تاريخ دولة الممالك في مصر ص ٨٢) .

أجدهما على الآخر منزلته ويطمح كلاهما الى الاستقلال فأخذ كل منهما يحيل دفع المال على الآخر • واستقر رأى أولجاتيو في النهاية لانتهاء النزاع بين الوزيرين على تقسيم بلاد بينهما فجعل عراق العجسيم وخوهرستان وولايات البلور وفارس وكرمان بعهدة رشيد الدين وعراق العرب وديار بكر وبلاد الروم تحت ادارة عليشاه الا أن الأخير طلب الى السلطان أن يشركهما معا في الادارة العامة للبلاد وأن تمهر الأوامر والأحكام بخاتم كليهما •

أشرك أولجاتيو في (٥٧١٥هـ) عليشاه ورشيد الدين في أمر الوزارة ليتدخلا متفقين في تصريف أمورها المالية وتنفيذ أحكامها وقرر من هذا الوقت أن يكون لكل من الوزيرين معاون في أمور الوزارة • وبعد أن أخذ هذا النظام صفته الرسمية اعتكف رشيد الدين في منزله طوال الشتاء لصابته بالنقرس ولم يأت الديوان لمدة أربعة شهور كاملة وكان أبو سعيد خلال هذه المدة يرسل برسله متعاقبين يطلبون المسال وكان عليشاه يجيبه أن الخزانة خالية من المال وأن أموال الديوان كلها عند رشيد الدين الذي يمارض حتى لا يدفع مالا ولا يغادر منزله بغرض أن يظهره مقضرا فيزيله كما فعل بسعد الدين • وفي النهاية الأمر أمر أولجاتيو لأجراء مصالح الملك أن يتراضى الوزيران مع أنه كان خشنا مع رشيد الدين وأن يشترك الاثنان كما كان الحال في ادارة الأمور •

موت أولجاتيو في الثامن والعشرين من (٥٧١٦هـ)

كان أولجاتيو كأغلب الايلخانات غيره يفرط في الشرب والشهوة فزاده ضعفا وفي رمضان من (٥٧١٦هـ) حينما كان في القنص في أطراف السلطانية وقع فريسة آلام في قدميه وساءت صحته وأهبط يوما دخل فيه الحمام في تناول أطعمته لتذينة لاشتد به المرض وفي الثامن والعشرين من رمضان ذلك العام وافته متيته فأودع ثرى المدينة في قبته ولما

يزد عن الأربعين بعد حكم اثنتى عشرة سنة ونصف سنة .
أصدر أولجاتيو فى مرض موته أمرين يقضى أولهما بتحديد ذكر
اسماء الخلفاء الراشدين فى خطبه الجمعة والثانى بارجاع نصف أموال
سعد الدين الساوجى الى أولاده .

وأولجاتيو بوجه عام من ايلخانات ايران الأخيار عاش الناس فى
عده فى رفاهية وقل أن اقدم على ظلم أو قسوة ، واستقام فى عهده
مذهب التشيع وازدهر العلم والأدب وكان ملكا معمرا فعلاوة على اتقائه
بناء السلطانية وقبتها فى سفح جبل بيستون وشيد مدينة أخرى سميت
باسم (سلطان آبادتشمشال) أو بغداد الصغرى ومدينة ثالثة على
حدود موغان قرب نهر أرس باسم (سلطان آباد أولجاتيو) وكان له
علاقات مع البابا وسلاطين أوروبا المسيحيين والروم الشرقية وأرسل عنه
مبعوثين الى فرنسا وانجلترا وإيطاليا ولعله كان يهدف من وراء ذلك
الى تجميع حلفاء له لمهاجمة الشام ومصر وكان يفكر فى هذا قبل فتحه
لجبلان وكان بعض المسيحيين فى جزيرة قبرص وأرمينية يحرصونه على
هذا الهجوم ، لكن هذه العلاقات لم تتعد قسط حدود التعارف ولم
تنته بارسال مدد حرب من أحدهما للآخر بسبب المواقع الأساسية
والتنافس السياسى .

٣ - السلطان أبو سعيد بهادر خان

(٧١٦ - ٧٣٦هـ)

فى وقت مرض موت أولجاتيو أرسل امرأه ووزيراه سرا رسلا
الى أبى سعيد وكان وقتذاك فى مازندران يستقدمونه الى السلطانية على
عجل لينصلا قبل وفاة أبيه وكان هدفهم من هذا التعجيل أن يبلغ
أبو سعيد العاصمة قبل أن يتحرك أتاكه الأمير سونج من طوس فيجعل
الأمراء والوزراء بالبلاط وكان جمعهم تحت نفوذ الأمير تشوبان من

ولى العهد الشاب مطيعا لارادتهم فيقصبون بذلك يد قدرة الأمير بسونج أتايكه ، الا أن أبا سعيد وحاشيته كانوا أوفياء للأمير بسونج فلم يخرجوا عن أمره ولم ييارجوا موضعهم الى ان شاع خبر موت أولجاتيو فقدم الأمير سونج من خراسان • وتحرك أبو سعيد بمصاحبة أتايكه الى السلطانية فاستقبله الأمير تشوبان والأمراء الآخريين وأدخلوه العاصمة باجلال كبير وفي غرة صفر (٥٧١٧هـ) ارتفق الأمير تشوبان ساعد أبي سعيد والأمير سونج ساعده الآخر وأجلساه رسما على عرش الأبلخانية •

قبل أن يلج أبو سعيد السلطانية كان ميله الى أن يعطى الأمير سونج منصب امارة الأمراء الا ان سونج لم يقبل قائلا ان قبول هذا المنصب يفرض عليه ابتعاده عن العاصمة وتجهد حال السلطان . ولما انه كان يميل كسابق عهده الى أن يكون حاضرا لخدمته وألا يتعارض مع تشوبان في هذا المنصب حث أبا سعيد على التخلي عن هذه الرغبة فأبقى السلطان بعد جلوسه هذا المنصب للأمير تشوبان كما كان الحال في عهد أبيه وأرسل ابن تشوبان تيمور تاش لحكم ولاية الروم واختار جلال الدين الابن الأكبر لرشيد الدين فضل الله في وزارة واستيفاء بلاد الروم •

وعند ورود أبي سعيد السلطانية بعث رشيد الدين محمدا لاستقباله ولما كان بينه وبين الأمير سونج تذكر سابق وكان يعلم أن سونج يحفظ عليه فهم بأن يتقرب الى الأمير تشوبان منافسه ويجعله حاميه القوى واتصل سرا بتاج الدين عليشاه والأمراء الباقين وفي النهاية كان أن ثبت بتدبيرهم منصب امارة الأمراء لتشوبان •

وفي نتيجة هذا الترتيب أبقى أبو سعيد وتشوبان رشيد الدين وعليشاه في الوزارة الا أن أزمة الامور الأساسية صارت في يدي عليشاه ولم ينصب رشيد الدين وكانت الشيخوخة قد أصابت منه وهمل أمـور

الديوان في ذلك الوقت الا في أن يستريح من شرور أعدائه ويمضي
ما بقي من عمره في أمن وراحة .

قتل رشيد الدين في السابع عشر من جمادى الأولى (٧١٨هـ)

سيطر الأمير تشوبان على مقاليد أمور الجيش والبلاد بعد أن زادت
قوته تدريجاً وفاقته الحد حتى أنه لم يبق لأبي سعيد من السلطة سوى
اسمها وكان هذا الأمير كما سبق القول على اتفاق مع رشيد الدين
فبعث هذا إلى تحريك حسد عليشاه وغضبه فجعل يسعى بكل وسيلة إلى
أن يقضي على رشيد الدين .

وقد بلغت المنافسة بين الوزيرين وكان لها سابقة مفصلة في هذا
الوقت أوجها فشقت الأمور على أصحاب الديوان لأن إذا قدم أحدهم
إلى أحد الوزيرين خدمة اكتسب أضرار الآخرين وعداوته ، فأدى الأمر
إلى اختلال أمور الديوان وأخذ الطرفان يثير أحدهما عمال الديوان طعن
الآخر .

وقد أدت تحريضات عليشاه في النهاية إلى عزل رشيد الدين عن
الوزارة أواخر رجب (٧١٧هـ) وترك الأخير السلطانية إلى تبريز
للراحة ، ولم يكن سونج راضياً عن عزله برغم حقنه السابق لكنه لم
يستطع التدخل في الأمر لاصابته بمرض صعب لكنه قال أنه ما إن تتحسن
صحته فليسوف يعيد رشيد الدين إلى الوزارة ، إلا أنه تحرك برفقة
أبي سعيد إلى بغداد إذ ذاك ووافاه أجله في (٧١٧هـ) على فرسخ واحد
منها .

واستقدم الأمير تشوبان وكان هذه الأوقات في أذربايجان رشيد
الدين إليه وقال له إن وجوده أمر ضروري في بلاط الإيلخان ولن
تستقيم الأمور بغير رأيه وتدبيره فأجابه رشيد أن أيام وزارته فاقبت
أيام وزارة غيره عداوان له ثلاثة عشر ولداً يخدمون السلطان والأفضل

له أن يظلوا هم بالخدمة ويقبضى هو بقية عمره بشأن الدار الآخرة لكن،
تشوبان أصـر عليه وقبل رشيد أخيرا أن يلنى الوزارة •

وقد أقلق رجوع رشيد الدين للوزارة باستظهار تشوبان القسوى
عليشاه وسائر أعداء الوزير الفاضل فدفعهم هذا الى التشـمير عن
السواعد لاستئصاله •

واتهم السعادة رشيد الدين هذه المرأة أمام أبى سعيد.أنه دس
السم لأولجاتيـو عن طريق أحد ابنائه وكان قائما على شراب الـيلخان
فسقاه شرابا مسموما ، فغضب أبو سعيد لهذا غضبا شديدا ومن المدهش
أن تشوبان المخائل أكد الأمر للإيلخان وشهد أميران قبضا مالا من
عليشاه بصحة الواقعة كذلك واستصدر الجميع حكما من أبى سعيد بقتل
رشيد الدين • وقتل الجلادون فى السابع عشر من جمادى الأولى
(٥٧١٨ هـ) أولا ولد رشيد الدين القائم على شراب أولجاتيـو ولم يتجاوز
عمره الستة عشر عاما أمام ناظرى أبيه ثم ثنوا بهذا الوزير الفاضل
نسيـج وحده فشقوقه بالسيف نصفين فى سن الثالثة والسبعين بالقرب
من تبريز وانتهى بهذه الواقعة المشينة عمر أحد أكابر الحكماء والأطباء
والمنشئين والمؤرخين الايرانيين الذى قل نظيره فى رجال المشرق •

وبعد قتل رشيد الدين ضبط أعداؤه جميع أمواله وأموال ابنائه ونهبوا
محلة الربع الرشيدى التى بناها فى تبريز ولم يتركوا حتى الأملاك التى
أوقفها واتهموا هذا المسكين باطلا وتسبب هذه التهمة الباطلة فى ألا
يستريح جسده تحت ثرى قبره لأن بعد قرن أميرانشاه ابن الأمير تيمور
لنك الذى أصابه مس من الجنون بسبب سقوطه من على جواده قد أمر
بنشر قبر رشيد الدين الكائن بمسجد كان بالربع الرشيدى فى تبريز
واستخرج رفاته فأودعوه مقابر اليهود •

وقضت ارادة الله تعالى أن يلقي كافة من اشترك فى مؤامرة قتل
رشيد الدين نفس مصيره واحدا بعد الآخر ولم ينج منهم أحد حتى.

الأمير تشوبان وقتل الجميع أما على أيديهم هم أو على يد أبي سعيد .
أما تاج الدين عليشاه الذي لم تسعه الفرحة بقتل منافس قوى مثل
رشيد الدين فقد فرق في الناس الهدايا والعطايا شكرا لهذا التوفيق من
بينها. أن أرسل في نفس عام قتل رشيد (٧١٨ هـ) حلقتين من الذهب زينة
كل منهما ألف مثقال إلى الكعبة ليعلقها بها تذكرا للانتصار الذي صار
نصيبه . وبقي عليشاه بعد قتل رشيد الدين مدة ستة أعوام وزيرا لأبي
سعيد في راحة واطمئنان وتزايد احترامه في عين الأيلخان يوما بعد يوم
وظل يحيا بهذه الحال إلى أن توفي في جمادى الآخر (٧٢٤ هـ) ودفن
باحترام في تبريز .

وقد فرط قتل رشيد الدين والستة الأعوام التي قضاها عليشاه
وزيرا مستقلا وكان مع ذكائه رجلا عاميا عاريا من الفضل عقد أمور
الديوان وسياسة الملك وحين أن مات عليشاه اختير أولاده بأمر أبي سعيد
يعاون أحدهم الآخر للوزارة مراعاة لحق احترام أبيهم فزادت الفوضى
والاختلال شدة إلى أن حل الوقت الذي صار أبو سعيد فيه في أسف
عظيم لمقتل رشيد الدين وعلم مبلغ تخبطه في قبول سعاية الأمراء وعليشاه
بنة وحينما دعي إلى اختيار غياث الدين محمد ولد رشيد الدين إلى
الوزارة قال أنه لم يكن أحد حريا بخلافه رشيد الدين في وزارته من بعد
قتله ورفع السلطان لتلافى الظلم الذي حل بهذا الرجل الكفء كما سنرى
ابنه غياث الدين محمد إلى وزارته .

الثورات أوائل سلطنة أبي سعيد : —

شجعت سن شباب أبي سعيد وحداثة أمره الأعداء الخارجين
للإيلخانات على الاعتداء على بلاده من ناحية وعصاه جمع
من قواد أولجايتو الأقوياء وكان كل منهم أميرا مقتدر بنفس أحدهم
على غيرة جاهه ومقامه من ناحية ثانية ، واحتوى أبو سعيد بكسائته
ورشاده وعون قواده الباقين جميع هذه المشكلات ومنع انهيار الأسرة

الايخانبة ما بقى حيا ، وأهم مشكلات حكم أبى سعيد كانت كالتالى

١ - انبعث الأمير يسور من بلاد جغتاي وكان موضع انعام أولجاتيو فى السابق ومقيما فى بادغيس بهراة يطلب فى (٧١٦ هـ) تسخير خراسان ومازندران وتقدم فى أوائل (٧١٧ هـ) حتى مازندران فأرسل أبو سعيد قائده المعروف (ايس قتلغ) (٢) لدفعه فتظاهر يسور بطاعة السلطان لكنه أعلن العصيان بعد قليل وهاجم هراة لكنه لم يقو على غياث الدين كرت فعاد الى خراسان وبعد أن غلب أمراء أبى سعيد فى (٧١٨ هـ) اتخذ سبيلا الى مازندران ، وأمر أبو سعيد هذه المرة الأمير حسين جورجاني ولد الأمير آقبوقا جلاير بالقضاء على يسور فركن الأخير الى الفرار حينما لم يطق مقاومته وقتل أثناء قتله وأمنت خراسان شره .

٢ - هاجم من الناحية الشمالية الغربية أى من جانب مغابر جبال القفقاز أوزبك خان ملك صحراء القباقي البلاد الايلخانية وقضى أبو سعيد أيضا بمؤازرة الأمير تشوبان على هذه الفتنة وعاد أوزبك خان الى بلاده من ناحية الدربند .

٣ - قام الأمير تشوبان وكان أقوى وأكبر أمراء أبى سعيد بعزل أو معاقبة قواد الايلخان وأمراءه الذين وهنوا فى حربهم فى الدربند فحنقوا عليه وصمموا على قتله ، وهاجم المخالفون تشوبان وابنه الأمير حسن قرب بحيرة كوكتشه لكن الأمير وابنه نجيا من القتل وبلغا تبريز فأدخل تاج الدين عليشاه أمير الأمراء تشوبان الى السلطان فتلقاه أبو سعيد خلاف المتوقع بترحاب واحترام .

وسار الأمراء الثائرون بعد غلبتهم لتشوبان من ديار بكر و آذربايجان الى السلطانية لكى ينهوا أمر الأمير بعون أبى سعيد فخف أبو سعيد مع

(١) صحة اسمه يساور كما ذكر غاهبرى فى تاريخ بخارى (ص ١٩٦) .

(٢) صحة الاسم (ايسن) هى (اسن) وهو لفظ تركى معناه القوى والسليم (المرجع السابق ح ١ ص ١٩٨) .

الأمير تشوبان لدفع الثوار وكان أهمهم الأمير إيرنجين والد زوج السلطان وحاكم ديار بكر وتطالب على أعدائه في الحرب التي جرت في جمادى الأولى (٧١٩ هـ) على مقربة من ميانج وقبض على إيرنجين والرؤساء الباقين فلقب من هذا الوقت بلقب (بهادر خان) .

وبعد هذا النصر زادت سطوة وشوكة الأمير تشوبان وأولاده العديدين في حكم أبي سعيد إلى حد أن السلطان كان ينادى الأمير تشوبان أبا وسيدا ، ولما ماتت (دولندي) أخت أبي سعيد وزوج تشوبان زوجته السلطان أخته الأخرى (ساتى بيك) وكان (دمشق خواجه) ولد الأمير تشوبان في بلاط السلطان كل شيء وبحكم الوزير العام للبلاد الايلخانية وكان لابنه الآخر تيمور تاش امارة أمراء حكومة بلاد الروم وكان يحكم فيها مستقلا .

قتل الأمير تشوبان في (٧٢٨ هـ) : —

كان للأمير تشوبان ابنة اسمها (بغداد خاتون) طبقت شهرة حسنها الاتفاق وزوجها للأمير شيخ حسن ولد الأمير حسين جورجاني جلاير ، وكلف أبو سعيد بهذه الابنة فأرسل إلى أبيها أن يحرض شيخ حسن على أن يسرح امرأته بغداد خاتون ليتزوج بهذا السلطان فغضب تشوبان لهذا الأمر ونسب ابنته وزوجها إلى قراباغ .

وأخذ الجوى يحرق أما سعيد يوما يعد يوم بنار عشق بغداد خاتون ولما علم أن تشوبان لا يوافق في مواله ساء ظنه وبابنه دمشق خواجه الذي كان هذا الوقت وزيرا في الحقيقة للبلاد الايلخانية إلى حد أن قتل الابن في شوال (٨٢٧ هـ) حينما كان أبوه في خراسان بتهمة اتصاله باحدى الحرمين السلطاني وعلق برأسه على قلعة السلطانية ونهب أمواله . ولما سمع الأمير تشوبان بقتل ابنه دعا ابنه الآخر الأمير حسن للثورة على أبي سعيد فلم ينصع له رغم الحافة في دعوته بل اتجه

ابنه الى السلطانية بدعوة الايلخان لعله يلطف من غضب أبى سعيد عليه ويلتحق بخدمته . أما أبو سعيد الذى كان فى خوف تام من الأمير تشوبان وقوة أولاده الباقين فقد أسرع بجيش كبير لملاقاة تشوبان ولم يقصده فى تحركه هذا: غير القضاء المبرم على أسرة التشوبانيين .

وقصد الأمير تشوبان لقاء العارف المعروف الشيخ ركن الدين علاء الدولة السمناني (١) بسمنان وأرسله يتوسط له عند أبى سعيد الذى أشتهر بحبه للصوفية فتلقى علاء الدولة باحترام لكنه لم ييسد موافقته فى قبول طلبه المتعلق بالأمير تشوبان . ولما رأى تشوبان أن جماعة من أتباعه تركوه أيضا لمعسكر أبى سعيد سرح زوجته ساتى بيك والتجسأ بغياث الدين كرت من (٥٧٢٨ هـ) .

وبعد هذه الواقعة حرض فى النهاية أبو سعيد شيخ حسن الجورجاني على تطلق زوجة بغداد خاتون وبني بها ولقبها بلقب (خداوندكار) .

كان للأمير تشوبان تسعة أبناء أكبرهم الأمير حسن الذى حكم خراسان ومازندران فلما سمع بقتل أبيه رحل الى خان القبجاق وقتل فى خدمته فى هروبه مع الشركس .

وكان الابن الثانى لتشوبان تيمور تاش حاكم ولاية الروم وقد قام

(١) هو أبو المكارم ركن الدين أحمد بن محمد البيايانكى السمناني من كبار صوفية النصف الثانى من القرن السابع والنصف الأول من الثامن ، ولد بام (٦٥٩ هـ) ومات (٧٣٦ هـ) ، وكان أبوه محمد الملقب بشرف الدين وزيراً لغازان خان . وقد عمل السمناني أول الامر فى ديوان أرغون لكنه اعتزل العمل بعد عشر سنوات وأثر اكمال تعليمه الدينى حتى أذن له بالتدريس بالعلوم الدينية . ثم سافر الى بغداد فى (٦٨٧ هـ) وراد الشيخ عبد الرحمن الاسفراينى حتى حاز منه مرتبة الارشاد الصوفى فعمد الى سمنان ليرشد أهلها . وللسمناني آثار عربية وفارسية كثيرة بحيث ينسب اليه ثلاثمائة كتاب ورسالة ، منها بالعربية فى التفسير مطلع النقط ومجمع اللفظ ، وبالفارسية فى النصوص سر البال فى اطوار سلوك اهل الحال وسلوة العاشقين والعروة لاهل الخلوة والجلوة ، كما ترك غزليات ورباعيات .

ففيها بفتوحات هامة وكان يعيش في صفاء ومودة تامين مع سلطان مصر الملك الناصر ، ولما قتل أبوه أعلن عصيانه لأبى سعيد وترك بلاد الروم الى مصر . فأبدى الملك الناصر له الاحترام في بداية الأمر لكنه خشى بعد قليل شوكته واستبدأ به فسيره الى ايران بدعوة أبى سعيد ثم أمر سرا من يقتله قبل وصوله الى ايران فقتل في الرابع من ثبوال (٧٢٨هـ) فلربما يتمكن تيمور تاس بعد وصوله ايران بعون أخته بغداد خاتون وغيث الدين محمد الذي ولى الوزارة بعد قتل دمشق خواجه من الأمور ويقوى ويعود للانتقام من الملك الناصر .

ولم يكن لأولاد تشوبان أهمية كبرى كان من بينهم محمود حاكم أرمنية وبلاد الكرج قتله أبو سعيد في (٧٢٨هـ) في تبريز وآخر كان مع أبيه تشوبان وكان صغير السن قتله الملك غياث الدين كرت ، ولم يكن لبقيتهم شأن كبير أو اسم ورسم .

حوادث سنى سلطنة أبى سعيد الأخيرة :

في (٧٢٩هـ) رفع حاكم خراسان (نارى طغاي) رأس العصيان وكان هذا الرجل أحد العوامل العامة في القضاء على دمشق خواجه وجمع ثروة طائلة من نهب أمواله وبلغ القوة والنفوذ الكبيرين في معسكر أبى سعيد وبلغ أمر كبره حد نفور أبى سعيد منه ، ولكي يبعده الايلخان عن حضرته أرسله لحكومة خراسان ، وأمر نارى طغاي الذي ادعى خلافة الأمير تشوبان على أن يستولى على هراة التي كان يتوارث حكمها آل كرت منذ سنين ، إلا أن غياث الدين كرت الذي كان بمعسكر السلطان في هذه الآونة استصدر الايلخان أمرا ووصل الى هراة وعلم يسارى طغاي أنه لن يستطع مقاومة آل كرت .

وبعد وصول أنباء ثورة خراسان واحتمال هجوم المغول الجغتائيين أمر أبو سعيد خاله (على بادشاه) حاكم اربل مع بضعة نفر ممن

الأمراء بالتوجه الى خراسان ، ولما اطلع نارى طغاي على تحرك الامراء أرسل رسلا متعاقبين الى الجيش الاليخاني يقول انه لا ضرورة لقدم الامراء الخراسان طالما أنه ليس من خطر هجوم عليها ، وتهاون أمراء أبى سعيد في تنفيذ أوامره لتحالفهم مع نارى طغاي بغرض أن ينتهي أمر غياث الدين الى القتل ، وفي النهاية تمكن أبو سعيد من العصبة وقتلهم جميعا في عيد الأضحى عام (٥٧٢٩ هـ) وعلق رؤوسهم بقلعة السلطانية .

وفي (٥٧٣١ هـ) أخبر بعض المغرضين أبا سعيد أن أمير شيخ حسن جلاير يكتب زوجته السابقة بغداد خاتون سرا بغرض قتل السلطان ، فأمر بالقبض عليه وبقتله غير أن عمه السلطان وأم الأمير شيخ حسين توسطت لابنها فعفا عن قتله السلطان لكنه حكم عليه الا يبقى أمامه وأن يحبس باحدى الأماكن البعيدة ، فحبس الأمير مع أمه في قلعة كماخ احدى قلاع بلاد الروم وتبعد عن زنجان بمسافة مسير يوم واحد وسقطت بغداد خاتون من نظر السلطان ، وبعد قليل ثبتت براءتها فأورد أبو سعيد المغرضين مورد الهلاك وحلت بغداد خاتون مرة ثانية محل عنايته وبعد عامين بنى أبو سعيد بدلا لخاتون ابنه دمشق خواجه أيضا .

وفي (٥٧٣٢ هـ) مات الأمير دولتشاه حاكم بلاد الروم الجديد أثناء سيره لتقلد منصبه فخلص أبو سعيد الأمير شيخ حسن جلاير من حبسه وأرسله الى الروم في أوائل (٥٧٤٢ هـ) وظل الأمير حتى وفاة أبى سعيد في عمله هذا .

وفي (٥٧٣٤ هـ) عزل أبو سعيد الأمير شرف الدين محمود شاه اينجو من امارته وكان ممن تربى في كنف الأمير تشوبان وولى من فترة سابقة حكم فارس وجمع اليها كرمان والبحرين وكيش وأصفهان وحصل ثروة ونفوذا فاق المعتاد وصار من كبار رجال عهده باتصاله بالوزير غياث

الدين ، وعين السلطان غيره في مكانه . فتحالف محمود شاه مع نفر من الأمراء وكان يأنس في نفسه الكفاءة عن كل رجل في الحكم وتعقب حاكم فارس الجديد حتى قصر سلطنة أبي سعيد وطلب من السلطان تركه فغلب أبو سعيد الأمراء العصابة وقبض عليهم وأصدر أمره بقتلهم الا أن غياث الدين الوزير تدخل واستجاز السلطان لنفيهم وحبسهم وحبس كلا من هذه الجماعة في احد الأماكن ومن بينهم شرف الدين محمود شاه اينجو الذي حبس بطبرك قلعة لأصفهان ، وأرسل ابنه جلال الدين مسعود شاه لبلاذ الروم لدى الأمير حسن .

وفساة أبي سعيد في الثالث عشر من ربيع الثاني (٥٧٣٦ هـ) :

في آخر عام (٥٧٣٥ هـ) تحرك أوزبك خان ملك القبجاق عن طريق الدربند لمهاجمة أران و آذربايجان ، ولما لم يكن أحد الأمراء الكبار في هذا الوقت حاضرا السلطان ترك أبو سعيد السفر الى بغداد الذي الذي كان مزمعا عليه وأمر غياث الدين الوزير بالتوجه لصد أوزبك خان . فقصد الوزير بجيش قرا باغ وسرعان ما لحق به أبو سعيد بجيش عظيم لكنه أصيب بالمرض في (٥٧٣٦ هـ) بسبب حرار الجو وفساده في أران ، وفي الثالث عشر من ربيع الآخر من ذلك العام وافته منيته في حدود شروان فحمل جسده الى السلطانية ودفن بالقبة التي ابتناها في ما حول هذه المدينة .

أبو سعيد آخر ايلخان قوى في أسرته وكان ملكا كريما عاقلا محبا للعلم وارتقى في عصره العلم والآداب كبير ارتقاء وظهره مؤرخون وشعراء كثيرون وان كان شطر عظيم من هذا الرقى بفضل وجود الوزير المحب للفضل غياث الدين محمد كما سنرى . كان السلطان ذا قريحة شعرية حسن الخط ويضرب على الأوتار ومع أنه لم يكن شديد التعصب الا انه أقفل بإشارة من مستشاريه بعض الكنائس ، وبعد القحط والطوفان اللذين حدثا في (٥٧١٩ هـ) في أغلب بلاده وأظهر له رجال الدين

أن سبب ذلك أعمال الناس القبيحة أمر أن يخلى كل مكان من دنان الخمر
وتقتل الخمارات ولم يترك غير خمارة واحدة في كل ولاية للأجانب .

الايخانات الباقسون

أبو سعيد هو آخر ايلخان كبير لهذه الاسرة لأن بعد موته المباشرة
اتجهت أسرة الايلخانات بسرعة نحو الانهيار وانتهى منصب الايلخان
الى النزاع والصراع بين عدد من الأمراء الخائرين من الأسرة
الجنكيزية وعدد آخر من الأمراء غيرهم المتخاصمين فتجزأت بالتدريج
المبلاد الايلخانية الى أجزاء عديدة وتهيأ الجو لسيطرة الأمير تيمور
كوركاني الذي تصادف مولده في نفس عام موت أبي سعيد فسقطت دولتهم
القصيرة الأجل في يد هذا الأمير القاهر .

ولم يكن لأبي سعيد أولاد ذكور ولما كان غازان بدوره عهد حكمه
صير أمراء أسرة هولكو بين قتل أو خامل الذكر والصفة تماماً فلم يظهر
بعد موت أبي سعيد من يستطيع القبض على أزمة الأمور بيد قوية .
ورفع الوزير غياث الدين محمد بعد مشاورة الأمراء والأميرات أحد
أحفاد أريق بوكا أخى هولكو كان اسمه أرباكاون وقد عينه أبو سعيد
أيضاً لخلافة الى الايلخانية واختاره كبار المغول بعد اقامة مراسيم
تشيع جنازة أبي سعيد مباشرة في هذا المنصب .

سلطنة أرباكاون (من الرابع عشر من ربيع الثاني حتى الرابع من شوال ٧٣٦ هـ)

هاجم أرباكاون بعد جلوسه الدربند ليمنع ملك صحراء القبجاق
الذى بلغ نهر كورا وبعد حرب قصيرة تغلب أرباكاون وعاد الى تبريز
وبنى بساتى بيك أخت أبي سعيد وزوج الأمير تشوبان ، وفي منتصف
رجب أهلك الأمير شرف الدين محمود شاه اينجو بتهمة اخفائه أحد

أولاد كولاكو في منزله ليعلن سلطنته ولاذ ابنا محمود شاه أي الأمير جلال الدين مسعود شاه والأمير شيخ أبو اسحاق من تبريز فالتجأ الأول بالأمير شيخ حسن والثاني بعلى بادشاهه بديار بكر .

وفي نفس هذه الأيام التي لم تستقم فيها سلطنة أرباكاون ، اجتمعت داشان خاتون وحاجي خاتون أم أبي سعيد وعدد من الأمراء الباغين الفتنة بالتدريج حول الأمير على بادشاه وحرصوه على مخالفة أرباكاون ، ونصب الأمير على حفيد بايدوخان موسى خان على الايلخانية وتحرك من ديار بكر الى آذربايجان وهزم في معركة واحدة جرت على ضفاف نهر جغاتو في السابع عشر من رمضان (٥٧٣٦) جيش أرباكاون والوزير غياث الدين وقبض على الاثنين وقتلها .

قتل الوزير غياث الدين في الحادي والعشرين من رمضان (٥٧٣٦)

كان غياث الدين محمد بن رشيد الدين فضل الله رجلا سليم القصد والصدر خيرا محبا للفضل سعى عهد وزارته في أن يحسن الى كل أعداء أبيه ومن يطلب له الشر لكن الغرور ركة في أمور السياسة لأنه رفض نصيحة الخلاء في القضاء على الأمراء المشايعيين لعلى بادشاه وأصابهم بالخور من ناحية ولم يقبل اقتراح الأمراء المعارضين لتعيينه في منصب قيادة الجيش فجراه على المخالفة ، ولهذا فما ان تفرق جيش أرباكاون على نهر جغاتو وأسر الوزير في إحدى قرى مراغة ومع أن على بادشاه لم يكن راضيا بقتله حتى حرصه الأمراء المعارضون للوزير على قتله وكان وزيرا عالما من كبار المربين لاهل العلم والادب ومن كرام عصره بعد أبيه فقتل على بادشاه الوزير في الحادي والعشرين من رمضان (٥٧٣٦) وفي نفس الوقت أسر أرباكاون أيضا في (ساجاس) بزنجان فسلم بأمر من على بادشاه الى أتباع محمود شاه اينجو فقتلوه في الثالث من شوال من نفس العام انتقاما لقتله محمود شاه .

وكان غياث الدين من الوزراء الذين خلدوا اسمهم بالخير في تاريخ

ايران مثل والده تماما لأنه فضلا عن كفاءته وحنكته ومجالدته بالسيف كان من المنشئين البلغاء وفضلاء عصره ، أجل اهل الأدب والمعرفة وكان يحلهم محال الكرامة ويصلهم بالضلات القيمة وأنشأ جمع من كبار العلم والأدب الكتب والمنظومات باسمه .

سلطنة موسى خان (من شوال حتى الرابع عشر من ذى الحجة ٧٣٦ هـ) :

بعد أن قتل الوزير غياث الدين وأرباكاون نصب أمير على بادشاه موسى خان حفيد بايدو ملكا في مدينة أوجان ، وسرعان ما شبت الثورات في بعض الولايات بسبب قلة كفاءة موسى خان خاصة وأن الأمير شيخ حسن بزرگ الايلكاني ولد أمير حسين كوركان حاكم بلاد الروم وزوج بغداد خاتون الأول وكان من كبار أمراء أبي سعيد ويعتبر حفيدا لأرغون من ناحية أمه ولذلك لقب أبوه الأمير حسين بلقب كوركان أي صهر أرغون خان قد قدم ذاك الأمير من مقر حكمه ببلاد الروم الى آذربايجان وكان أميرا كفوا طموحا انتخب لمنصب الايلخانية أحد أحفاد منكوتيمور ولد هولاکو واسمه محمد خان وقبض على أزمة الأمور باسمه ، ولما غلب في الرابع عشر من ذى الحجة (٧٣٦ هـ) الأمير على بادشاه وموسى خان وقتل الأول استقل في توليه الأمر تماما .

سلطنة محمد خان (من ذى الحجة ٧٣٦ هـ حتى ذى الحجة ٧٣٨ هـ) :

بعد دخول تبريز أجلس الأمير شيخ حسن الايلخاني محمد خان رسما على عرشها وبني بدليشاد خاتون جزءا وفاقا لما صنعه أبو سعيد ببغداد خاتون ، وكان غرضه أيضا غير الانتقام من التزوج بدليشاد خاتون انه اذا أتت هذه السيدة بولد وكانت حاملا من أبي سعيد (١) لا يجعلها

(١) المعروف انه لا يحل لرجل ان يعتقد أو يبنى على امرأة حامل الا بعد انقضاء عدتها بوضع الحمل ويبدو أن السياسة كشأنها دائما تحطم أصول الدين .

أحد تطالب بمنصب الايلخان ومن ثم يعرض منصبه للخطر .
وأحسن الأمير شيخ حسن بأعقاب رشيد الدين وجعل الوزارة
الايلخانية لصهر رشيد وهو الأمير جلال الدين مسعود شاه اينجو وابن
بنفته محمد زكريا ثم جازى قتلة بغداد خاتون وسير ساتى بيك زوج
الأمين تشوبان وأرباكاون مع (سيور غان) الابن السادس لتشوبان وابن
هذه السيدة الى صحراء موغان .

سلطنة طغا تيمور خان (٧٣٧ - ٧٥٣ هـ) :

بعد استيلاء الأمير شيخ حسن الايلخانى على آذربايجان عادت
جماعة من أمراء أبى سعيد ففروا من آذربايجان والعراق الى خراسان
واختاروا فيها أحد أمراء البيت الجنكيزى وكان يقيم بمارندران ومن
أحفاد أحد اخوة جنكيز ويسمى طغا تيمور ليكون الايلخان وأوجدوا
سببا لتحقيق أهدافهم مقابل محمد خان والأمير شيخ حسن .

وبعد أن أعلن تنصيب طغا تيمور اصطحبه الأمراء العصاة وتحركوا
الى آذربايجان ولحق بهم فيها موسى خان العوبة الأمير على بادشاه
الذى كان قد هرب من حربه الأمير شيخ حسن الايلكانى . وجرت الحرب
بين جيش الحلفاء وجنود الأمير شيخ حسن فى منتصف ذى القعدة
(٧٣٧ هـ) بالقرب من مراغة فهرب طغا تيمور وسقط موسى خان أسيرا
فى يد الأمير شيخ حسن وقتل فى العاشر من ذى الحجة من نفس العام .
واستولى الأمير شيخ على آذربايجان والعراق لنفسه وأتى طغا تيمور
خان خراسان أيضا وجلس على عرش الايلخانية بغون من بقية الأمراء
المتحالفين معه فى ذلك البلد .

عصيان الأمير حسن كوتشك فى (٧٣٨ هـ) :

بعد أن قتل موسى خان وفز طغا تيمور الى خراسان بقي تائران فى
البلاد الايلخانية أولهما طغا تيمور خان الذى أدخل جرجان وخراسان

تحت طاعته وثانيهما محمد خان آله مقاصد الأمير شيخ حسن الكبير (١) وبعد بضعة شهور من واقعة قتل موسى خان ظهر ثائر ثالث في بلاد الروم وكان أحد أولاد الأمير تيمور تاش بن الأمير تشوبان سالدوز كان يسمى شيخ حسن وسمى بعد أن شهر أمره بالأمير شيخ كوتشك (أى الصغير) تمييزاً له عن شيخ حسن بزرگ وقيل له أيضاً الأمير شيخ حسن التشوبانى •

ولما قتل أتباع الملك الناصر تيمور تاش اختفى ابنه شيخ حسن في بعض بلاد الروم وظل يعيش متوارياً حتى (٥٧٣٨ هـ) ، وفى هذه السنة نهض بهوس الاستيلاء أظهر أحد غلمانه وكان يشبه أباه تيمور تاش شبهاً بسيطاً وأعلن أن الأمير تيمور تاش قد خرج بعد أن فر من سجون القاهرة وظل حتى ذاك الوقت مختفياً ولكن تنطلى خدعته على الناس زوج هذا الغلام من أمه وكان يمشى مترجلاً خلف ركبته •

وطبقت شهرة ظهور تيمور تاش الآفاق فحركت من ناحية أصحاب الأمير على بادشاه وأشباع الأسرة التشوبانية الذين كانوا على عداوة مع الأمير شيخ حسن بزرگ على القيام ضده والملحوق بجيش تيمور تاش المكاذب وأفزعت الملك الناصر سلطان مصر من ناحية أخرى •

وفى النهاية تواجه شيخ حسن الكبير والصغير فى العشرين من ذى الحجة (٥٧٣٨ هـ) فى آلتاغ بنخجوان ، وقبل أن يحتدم الوغى خلى الأمير بير حسين بن الأمير محمود بن الأمير تشوبان الذى كان من قواد شيخ حسن الأيلكانى الكبير جيشه وانضم إلى جيش ابن عمه الأمير محمد خان لكنه بسقط أسيراً بيد شيخ حسن التشوبانى فلأمر بقتله ودخلت آذربايجان والعراق تحت سيطرة التشوبانيين وطفق جنود الأمير حسن التشوبانى يهاجمون الناس لنهب أموالهم •

(١) الكبير بالفارسية بزرگ واسمه شيخ حسن بزرگ وان ترجمنا آخر اسمه للعربية تجاوزا •

سلطنة ساتى بيك (٧٣٩ حتى أوائل ١٧٤١ هـ) :

ولما دخل الأمير شيخ حسن الصغير تبريز أتاح ستة عشر نفر من أعقاب الأسرة التشوبانية وطلبوا اليه اختيار أحد أفراد أسرة هولكو للإيلخانية ، ولما لم يبق من هذه الأسرة رجل ذائع الاسم نصب قواد الألوف بالجيش والتشوبانيون ساتى بيك بنت أولجايتو وأخت أبى سعيد ولم تكن على صفاء مع الأمير شيخ حسن الكبير نصبوها إيلخانة وخطب لها بأمر شيخ حسن التشوبانى ونقش اسمها على العملة وصارت آذربايجان واران تحت امرة ساتى بيك وشيخ حسن بينما ظلت سائر البلاد الأخرى فى ايران والعراق تحت رئاسة أمير من الأمراء السابقين لأولجايتو وأبى سعيد أو من الأسر المطيعة لهم .

وبعد استقرار ساتى بيك على عرش الإيلخانية زحف الأمير شيخ حسن التشوبانى لصد الأمير شيخ حسن الإيلكانى الى قزوین فقبل الأخير الصلح واعترف برسميته سلطنة ساتى بيك وأخذ كل من الندين القوين بالآخر فى أحضانه وقررا ن يقضى حسن الكبير الشتاء فى السلطانية ويذهب حسن الصغير وساتى بيك الى اران على أن يعقدا مجلس الشورى أو القوريلتاي لتدبير أمور المستقبل ، وتوجه حسن الصغير وساتى بيك الى اران وعاد حسن الكبير الى العراق .

ومع أن هذا الصلح لم يدم الا أنه لم يدع لحسن الكبير أهمية وكان فى حكم المعترف بسيادة الأمير حسن الصغير والأسرة التشوبانية . ولهذا أرسل حسن الكبير أحد خاصته الى خراسان وحرص طغا تيمور خان على اتيان العراق فأتى طغا تيمور فى رجب (١٧٣٩ هـ) ساوة فبلغ بها حسن الكبير معسكره وقام بهر اسم استقباله لكنه بعد قليل وقف على سوء فعله اذ رأى أن أحدا من أمراء خراسان لا يلتقى اليه بالا ، لكنه تحصل اذ لم يكن أمامه وسيلة أخرى وفى هذا الحين بلغ نبأ تحرك حسن التشوبانى وساتى بيك لدفع طغا تيمور خان . واجتذب حسن الصغير حسنا الكبير

بالحيلولة مرة أخرى الى طاعته وطاعة ساتى بيك وعاد طغسا تيمور الى خراسان لعدم قدرته على القتال .

سلطنة شاه جهان تيمور خان (من ذى الحجة ٧٣٩ حتى ذى الحجة ٧٤٠ هـ) :

لما عاد حسن الصغير الى آذربايجان نهب بلاط ساتى بيك بحجة أن الملك لم يصنع للنساء ونصب مكانها أحد أحفاد يشموت بن هولكو واسمه سليمان خان وتزوج بساتى بيك قسرا . ولما سمع حسن الكبير بهذا الخبر أعلن سلطنة ابن آفرنك بن كيخاتو بلقب شاه جهان تيمور خان وقدم الى عراق العرب واستولى على بغداد وديار بكر وخوزستان .

وتواجه الحسنان الندان القويان مع الايلخانيين الجديدين في الأربعاء آخر ذى الحجة (٧٤٠ هـ) في حوالى نهر جغاتو في مراغة وجرت المهزيمة على جيش حسن الكبير وشاه جهان تيمور . وعاد حسن الكبير بهزيمة الى بغداد وعزل شاه جهان تيمور واستقل بالحكم وأسس حكم أسرة الايلكانيين أو آل جلاير في بغداد وعراق العرب .

سلطنة سليمان خان (من أوائل ٧٤١ حتى ٧٤٥ هـ) :

وضع حسن الصغير بعد نصب سليمان خان آذربايجان وأران وبلاد الكرج وعراق العجم تحت سيطرته وعمل على بسط قدرته في هذه البلاد وأهلك كثيرا من المتمردين عليه في مدة قليلة .

وفي (٧٤٠ هـ) حينما أجلس حسن الصغير سليمان خان على عرش الايلخانية أرسل الأمير بير حسين بن الأمير محمود بن تشوبان ابن عمه الى فارس وكانت وقتها بيد أبناء الأمير محمود اينجو ، فاستقبلوه بها ولكنه قتل أحد أفراد أسرة اينجو مغترا فثار أهل شيراز وطردوا الأمير بير حسن منها .

وبعد انتهاء هذه الحادثة وانهزم حسن الصغير وظهور كفاءات من الأمير بير حسين سيره حسن الصغير من طرف سليمان خان بجيش كبير الى فارس وقرر لحكمه يزد وكرمان أيضا وكانتا حتى ذلك الوقت في يد الأمير مبارز الدين محمد المظفرى •

ولما سمع الأمير مبارز الدين محمد الذى كان تربطه علاقات مودة بالأمير بير حسين بتحريك الأخير خف الى استقباله ومد جيشه وتلاقى به فى اصطخر وتحرك الأميران يرافق أحدهما الآخر الى شيراز • وهرب مسعود شاه اينجو بن محمود شاه الى كازرون لعدم قدرته على مقاومتها فلما علم بعودة مبارز الدين الى شيراز وضرب بحصاره عليها والأمير بير حسين • وسقط من الطرفين قتلى كثيرون ولم ينته القتال بانتصار أحدهما واستقر الأمر فى النهاية على الصلح ودخل بير حسين المدينة وفوض حكم كرمان ويزد لمبارز الدين فاستولى عليهما بعون جيش بير حسين وأسر حاكمهما الذى استصرخ ملوك آل كرت قبل ذلك (٧٤١هـ) • وفى (٧٤٢هـ) فوض الأمير بير حسين الذى سيطر على فارس وأصفهان لنفسه وترك كرمان ويزد للأمير مبارز الدين لأخى مسعود شاه اينجو الذى فسر الى بغداد قبل ذلك وهو شيخ أبو اسحاق حكم أصفهان لعله يرضى عليه بهذا تلو ب اسرة اينجو الا أن شيخ أبا اسحق حرك الملك أشرف أخا شيخ حسن الصغير حينما كان بالعراق للسيطرة على فارس فأنتها الملك أشرف ، وخان أتباع بير حسين رئيسهم فأجبر على تخليّة فارس وكان يخشى فى تلك الآونة مبارز الدين أيضا مما جعله يتجه الى تبريز لدى الأمير حسن الصغير الا أن الأخير لخشيته هو الآخر استبداده بالأمر دس اليه السم بعد أن استقبله بالسلطانية وانتهت دولته القصيرة العمر •

أما ملك أشرف وقد سلمت اليه فارس بلا تعب فقد توجه الى شيراز وكان شيخ أبو اسحاق أسرع منه فى بلوغها بحجة ترتيب وسائل استقباله بها ، وجمع فيها حوله جماعة من العامة والمنتهزين للفرص فباغتوا أتباع الملك الأشرف بالهجوم بعد دخولهم شيراز فشتتوا جمعهم وجعلوا الملك

الإشرف يولى وجهه فارا واستولى شيخ أبو اسحاق على المدينة .

وفي (٧٤٣هـ) قدم مسعود شاه اينجو الذى سبق أن قدم الى بغداد لدى شيخ حسن الكبير وشرف عن طريقه بزواجه من ابنة (دمشقى خواجه) وأخت دلشاد خاتون وكان أهل شيراز يعدون حكم مدينتهم حق مسعود شاه برغم تغلب أخيه شيخ أبى اسحاق عليها ولهذا ظهر النزاع بين أشياع الأخين ، ولما أن مسعود شاه فى هذه الآونة قد قتل الابن الثامن للأمير تشوبان الثائر عليه فقد كر شيخ أبو اسحاق الذى كان فى شيراز نكارة راجعا بعد سماعه خبر قتل أخيه راجعا الى شيراز وأعاد استيلاءه عليها .

قتل شيخ حسن التشوبانى فى السابع والعشرين من رجب (٧٤٤هـ) :

وفي عام (٧٤٤هـ) أرسل شيخ حسن التشوبانى أو الصغير جيشا مع سليمان خان والأمير يعقوب شاه أحد أمراء بلاد الروم للسيطرة على هذه البلاد فلقيا بها الهزيمة وكرا قافلين وحبس شيخ حسن يعقوب شاه وكانت زوجة شيخ حسن الصغير على علاقة بالأمير يعقوب شاه فظننت أن زوجها ألقى به فى الحبس لاختفاء أسرارهما بعد أن علم بها فتعاونت مع اثنتين أو ثلاث من الحريم وقتلته فى ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من رجب (٧٤٤هـ) بوضع مخز مشين .

وبعد قتل رأس سلسلة الأمراء التشوبانيين أى شيخ حسن الصغير قسم سليمان خان أمواله وخزائنه التى لا حصر لها بين الأمراء وتوجه هو الى قرا باغ لما لم يأنس فيه الكفاءة لخلافته . أما ملك أشرف فقد صاحبه ياغى باستى الى آذربايجان ولحق بهما الأمير سيور غان الذى تخلص من حبسه بالروم عند بحيرة كوكشدة وجمع الأمراء التشوبانيون الثلاثة حولهم كثرة من الجنود ودخلوا تبريز .

سلطنة أنوشيروان العادل (٧٤٤ - ٧٥٦ هـ) :

احتدم النزاع بعد قتل شيخ حسن التشوباني بين عميه وأخيه ملك أشرف ولما صار النصر في النهاية مع ملك أشرف عين من تسمى بأنو شيروان الذي اختلف في نسبته فذهب البعض الى أنه قبجاقى وبعضهم جعلوه من أولاد هولكو وجماعة ثالثة اعتبروه من أصل كاوياني (١) عين في الايلخانية ولقب بالعادل وهو آخر ايلخان عين بمنصبه عن طريق الأمراء وحدث في نفس هذا الأوان أن زال سليمان خان الايلخان صنيعة شيخ حسن الصغير أيضا .

وبعد تملك أنو شيروان وصل ملك أشرف الذي يعد ثاني أمراء أسرة التشوبانيين الى مدينة كنجة واستولى عليها وأهلك عميه واستقل بها في (٧٤٤ هـ) تماما وحكم أربعة عشر عاما (٧٤٤ - ٧٥٩ هـ) بالظلم والجور وجمع الأموال الى أن أتى هذه المدينة في أوائل (٧٥٩ هـ) جاني بيك ملك القبجاق بدعوة أهل تبريز فقتله وانتهت بقتله دولة الأمراء التشوبانيين . ونهاية أنو شيروان الكاذب الآلة المسخرة لتنفيذ أهداف ملك أشرف غير معروفة كنهاية سليمان خان أيضا وكل ما يعرف عنه أن عملة باسمه بقيت حتى (٧٥٦ هـ) وهي السنة العشرون بعد موت أبي سعيد بهادرخان آخر ايلخان شهير للأسرة الايلخانية وتعد هذه السنة أيضا التي كانت بعد قتل طغا تيمور خان بثلاثة أعوام آخر حكم هذه الأسرة .

(١) كاوياني نسبة الى كاوه الحداد الذي أعلن الثورة على الضحاك لظلمه وسفكه دماء الايرانيين ، بناء على شاهنامه الفردوس وغيرها . وقد جعل الايرانيون من الحرقلة التي رفعها كاوه علما للثورة شعارا لايران وزادوا عليها قطعا من الجواهر كلما واتاهم نصر ، ووقع هذا العلم الثمين في ايدي المسلمين عند استيلائهم على المدائن (١٤ هـ / ٦٣٦ هـ) . وكان مدع للسلطة المسلمين عند استيلائهم على المدائن (١٤ هـ / ٦٣٦ هـ) . وكان كل مدع للسلطة آغازتا انقراض ساسانيان . حسن بيرنيا مشير الدولة . تهران ١٣٤٦ ش ص ٢٣٤ ، ٢٤٥ .

فهرست أسماء ایلخانات ایران

(من ٦٥١ حتى ٧٥٦ هـ)

- ١ — هولاكو خان بن تولوى بن جنكيز (٦٥١ — ٦٦٣ هـ)
- ٢ — أباقا خان بن هولاكو (٦٦٣ — ٦٨٠ هـ)
- ٣ — السلطان أحمد تكودار بن هولاكو (٦٨٠ — ٦٨٣ هـ)
- ٤ — أرغون خان بن أباقا (٦٨٣ — ٦٩٠ هـ)
- ٥ — كيخاتو بن أباقا (٦٩٠ — ٦٩٤ هـ)
- ٦ — بايدو خان بن طرغاي بن هولاكو
(جمادى الأولى ٦٩٤ — ذى القعدة ٦٩٤ هـ)
- ٧ — غازان خان بن أرغون (٦٩٤ — ٧٠٣ هـ)
- ٨ — أولجايتو خدا بنده بن أرغون (٧٠٣ — ٧١٦ هـ)
- ٩ — أبو سعيد بهادر خان بن أولجايتو (٧١٦ — ٧٣٦ هـ)
- ١٠ — أربا كادون ... بن أرتوبوكا بن تولوى (٧٣٦ هـ)
- ١١ — موسى خان بن على بن بايدو
(من شوال حتى ذى الحجة ٧٣٦ هـ)
- ١٢ — محمد خان ... بن منكو تيمور بن هولاكو (ذى الحجة ٧٣٧ هـ)
- ١٣ — ساتى بيك ابنة أولجايتو (٧٣٩ — ٧٤١ هـ)
- ١٤ — شاه جهان تيمور بن آلافرنگ بن كيخاتو
(٧٣٩ — ٧٤٠ هـ)
- ١٥ — سليمان خان ... بن يشموت بن هولاكو
(٧٤١ — ٧٤٥ هـ)
- ١٦ — طغا تيمور خان (٧٣٦ — ٧٥٣ هـ)
- ١٧ — أنو شيراون العادل (٧٤٤ — ٧٥٦ هـ)

الفصل السابع

الفترة بين العهد الايلخاني والعهد التيموري

تجزأت البلاد الايلخانية من بعد موت أبى سعيد بهادر خنزان كما ذكرنا نبذة من ذلك الى أقسام عدة بيد الأمراء الكبار وظهر في العشرين عاما ما بين موته وفناء آخر المعينين الايلخانيين في أماكن مختلفة من ايران خمس سلاسل كالتالى :

١ - سلسلة الأمراء الايلخانيين أو آل جلاير ومؤسسها شيخ حسن الكبير بن الأمير حسين ابن آقجوقا بن ايلكان نويان جلاير وقد استقل بالحكم في (٧٤٠هـ) بعد عزله شاه جهان تيمور وأسس أسرة حكمت من بعده حتى عام (٨١٣هـ) في بغداد وعراق العرب .

٢ - سلسلة الأمراء التشوبانيين أى أبناء الأمير شيخ حسن الصغير أو الأمير شيخ حسن التشوبانى الذى استقل بالحكم في آذربايجان وأران مدة أربعة أعوام ونصف العام ، وثانيهما الأمير ملك أشرف أخوه الذى تملك آذربايجان أربعة عشر عاما (٧٤٤ - ٧٥٩ هـ) وقتل في أوائل العام الأخير على يد جاني بيك ملك القفجاق وانتهت بقتله الأسرة التشوبانية .

٣ - سلسلة آل المظفر وهم أولاد الأمير المظفر الذى استقل ببزد وكرمان بعد موت أبى سعيد وثار ابنه الأمير مبارز الدين محمد في (٧٤٠هـ) وأسس من هذا الوقت سلسلة تغلبت بعد ذلك على فارس أيضا وكان لها حتى (٧٩٥هـ) استقلال وشوكة .

٤ - أسيرة اينجسو أو أولاد الأمير شرف الدين محمود شاه
الذى برغم حكمه من فترة قبل موت أبى سعيد فارس ومضافاتها لمكن
استقلالهم بدأ من عام (٥٧٤٢ هـ) أى من وقت أن طرد شيخ أبو اسحاق
ابن محمود شاه ملك أشرف التتوباني من تلك المدينة واستقل بها ،
وانتهت هذه الأسيرة أيضا بقتل شيخ أبى اسحاق فى (٥٧٥٨ هـ) .

٥ - السربداريون الذين رفعوا راية الاستقلال فى سبزوار فى
(٥٧٣٨ هـ) وكان لهم حكم محدود بهذه الناحية من هذه السنة حتى عام
(٥٧٨٨ هـ)

وغير هذه السلاسل الخمس التى ظهرت فى ايران بعد أبى سعيد
خان حكم عدد من الأفراد أيضا فى هراة وفارس وكرمان وينزد
ولرستان من قبل استيلاء المغول حكما مخطيا نصف مستقل لأنهم انقادوا
لطاعة ايلخانات الاسرة الجنكيزية فلم يمحهم المغول ، وزال بعض هذه
الأسر أيام حكم الايلخانات وبقي بعضها حتى فترة ما بعد أبى سعيد
وأشهر هذه السلاسل ما يلى :

١ - أتابكة السلغوريون أو أتابكة فارس .

٢ - أتابكة كرستان .

٣ - أتابكة يزد .

٤ - القراخطايون بكرمان .

٥ - آل كرت فى هراة .

ويتوجب العلم بأن هذه الأسر لم تبلغ أهمية سياسية وقدرة هامة
وانما غالب الاهتمام الذى يوجه اليهم بسبب تدخلهم فى تاريخ أدب
ايران وتربيتهم لاهل العلم والأدب وإذا لم يصلنا آثار الفضلاء
والشعراء وتصانيفهم لا محى اسم أغلبهم وقد أزلت هذه الأسيرة نفسها
أو أن الأمير تيمور كوركان قضى عليها .

١ - ملوك آل كرت

ملوك آل كرت هم طبقة من ملوك ايران الشرقية حكموا فيها من النصف الأول للقرن السابع الهجرى حتى أواخر القرن الثامن وكانت عاصمتهم دائما هراة ومع أنه لم يتبق في التاريخ السياسى لهذه المملكة اسم كبير ولا رسم ظاهر بل اشتهرت جماعة منهم بالخيانة وعدم الوفاء الا أنهم أبقوا ذكرا طيبا في تاريخ أدب ايران •

وأول من كان له في التاريخ اسم ورسم معتبران من هذه الأسرة هو الملك ركن الدين بن تاج الدين الذى بنى بابنة السلطان غياث الدين محمود الغورى وعين من طرف السلطان حاكما لقعة خيسار من القلاع التى على الحدود بين هراة والغور •

واختار الملك ركن الدين آخر عمره حفيده ابن بنته شمس الدين محمد بن أبى بكر الذى اشتهر هو أو أبوه باسم (كرت) خلفا له وشمس الدين محمد كرت في الحقيقة هو مؤسس أسرة آل كرت •

وقد تصادفت رئاسة الملك ركن الدين لقعة خيسار مع بداية استيلاء المغول وأدرك ركن الدين أن صلاحه في تبعيته لجنكيز خان ولكى يثبت وفاءه الكامل له أرسل حفيده وخلفه شمس الدين محمدا كرت في صحبة خان التتار وظل مطيعا للمغول حتى عام (٥٦٤٣ هـ) •

ومع أن خليفة الملك ركن الدين أى شمس الدين محمد (٦٤٣ هـ - ٦٧٦ هـ) وقع أوائل أمره موضع حسد بعض أمراء المغول وكان جغتاي يريد محاكمته بتهمة تعاونه مع المسلمين المهزومين الا أن لحسن حظه جغتاي مات في نفس الأوان وبلغ شمس الدين معسكر منكو القآن فترك 'خان المغول مراعاة لسابق خدماته ووفائه ووفاء أسرته له حكم هراة وجام وباخرز وبوشنج والغور وخيسار وفيروزكوه وخرجستان ومرغاب ومروالزود وفارياب حتى ضفاف سيحون واسفزار وفسراه

وسيستان وكابل حتى شاطيء السند ، وصار الملك شمس الدين من حوالى (٦٤٨ هـ) حاكما مستقلا لهذه البلاد المتسعة . وفى عهد هولاکو حين قدم لاستئصال الاسماعيلية كان شمس الدين كما سبق الشرح أول من خف لأداء فروض الطاعة له وهو الذى أدخل بأمر هولاکو ناصر الدين عبد الرحيم محتشم قهستان فى طاعة المغول ، وعاش خادما للمغول حتى موته .

وفى عهد ايلخانية أباقا وهجوم براق خان على خراسان انحسار شمس الدين الى براق فلما غلب براق اعتصم شمس الدين خوفها بقلعة خيسار وظل متحصنا بها حتى (٦٧٤ هـ) وفى النهاية عفى عنه بعسـون شمس الدين صاحب الديوان ورافق هارون ابن صاحب الديوان الى تبريز لحضرة الايلخان لـكن أباقا لم يهتم به فأقام شمس الدين بتبريز حتى مات مسموما فى (٦٧٦ هـ) وخلفاء الملك شمس الدين كرت كالتالى :

١ - الملك ركن الدين بن شمس الدين (٦٧٧ - ٧٠٥) :

أرسل أباق بعد موت شمس الدين ابيه ركن الدين لحكم هـراة وإدارة ملك آل كرت ولقبه بلقب أبیه شمس الدين وكان يسمى للتفريق بينه وبين أبیه بـشمس الدين كهين أو الأصغر . وتحصن شمس الدين هذا من بعد موت أباقا بقلعة خيسار وظل بها حتى آخر عمره .

٢ - الملك فخر الدين بن ركن الدين (٧٠٥ - ٧٠٦ هـ) :

لما لم يجد الملك فخر الدين من أبیه ركن الدين أيام حياته تمكينا بل ألقاه أبوه حبيسا وظل كذلك حتى خلاصه الأمير نوروز قائد جيش المغول بخراسان ثم طلب من غازان له حكم هـراة فأخذها له فى (٦٩٥ هـ) وزوجه من ابنة أخيه ولما أن ركن الدين قد أثر التحصن بخيسار كما سبق فقد كانت امارة ملك آل كرت فى حقيقتها لفخر الدين . ومع كل الأيادى البيضاء التى كانت للأمير نوروز على فخر الدين

على النحو الذى سبق تفضيله قبض الثانى على الأول لما التجأ اليه
اعتماداً على أفضاله عليه وتركه لقتلغشاه وقتل قتلغشاه نوروز فى ذى
الحجة (٥٦٩٦ هـ) .

وبعد هذه الحادثة بثلاثة أعوام امتنع فخر الدين عن إرسال المال
الذى تعهد به إلى ديسوان خراسان وتحالف مع بعض الشعائر القاطعة
للطرق السيستانية التى حل غضب غازان عليها ، فأرسل غازان أخاه
أولجاتيو لتأديب فخر الدين ، لكن فخر الدين طلب الأمان لما بلغ
أولجاتيو نيشابور وقبل الأخير الصلح بسبب عدم اطمئنانه للسيطرة على
قلعة هراة لكنه لم يصف قلبه لفخر الدين المشهور بخيانتة وقطعه
المواثيق حتى صار أولجاتيو ايلخان وامتنع فخر الدين عن الذهاب اليه
لتهنئته . فأرسل أولجاتيو أحد قادته بعشرة آلاف جندي لتأديبه لكن
هذا الجيش لم يحقق شيئاً وقتل قائد أولجاتيو فى (٥٧٠٦ هـ) ، فسـير
أولجاتيو جيشاً آخر إلى هراة تألف من ثلاثين ألفاً ، واثناء انشغال
الجيش بالسيطرة على المدينة وفى فخر الدين أجله فاستولى جيش
المغول على هراة فى ذى الحجة (٥٧٠٦ هـ) وتركت الامارة بأمر أولجاتيو
لابن فخر الدين الملقب بملك غياث الدين .
٣ — الملك غياث الدين (٧٠٧ — ٥٧٢٩ هـ) :

ليس فى عهد حكم غياث الدين واقعة هامة وقد عاش وقتاً فى صفاء
مع أولجاتيو وأبى سعيد وفى خلاف وقتاً آخر اللهم الا اقدامه على
قتل الأمير تشوبان (٥٧٢٧ هـ) الذى سبق ذكره . وفى السنة التالية لقتل
تشوبان قدم غياث الدين إلى بلاط أبى سعيد لعله ينال عناية أكبر من
الايخان لقاء الخدمة التى أداها اليه لكنه لم ير اهتماماً بسبب نفوذ بغداد
خاتون فعاد آيسا إلى هراة ومات السنة التالية .

٦٥٥٤ — أولاد غياث الدين (٧٢٩ — ٥٧٧١ هـ) : بعد موت
غياث الدين أصابت امارة أسرة كرت أولاده الثلاثة على الترتيب شمس
الدين محمد (٧٢٩ — ٥٧٣٠ هـ) والملك حافظ (٧٣٠ — ٥٧٣٢ هـ) والملك

معز الدين حسين الذي كان مربيا كبيرا لاهل العلم والأدب وألف
سعد الدين التفتازاني من العلماء والفضلاء الكبار كتابه المشهور
(المطول) باسمه (١) .

وزامن جلوس الملك معز الدين ظهور أسرة السريداريين في سبزوار
وانبساط رقعة استيلائهم على خراسان وتفاقم قوة الأمير قزغن في
التركستان . ولمعز الدين مع السريدارية والأمير قزغن وقائع سوف نشير
اليها في الفصول التالية .

٧ - الملك غياث الدين الثاني (٧٧١ - ٧٨٣ هـ) : مات الملك
معز الدين في (٧٧١ هـ) بعد حكم تسعة وثلاثين عاما وخلفه ابنه
الملك غياث الدين الثاني ، لكنه ووجه آخر أمره حملة الأمير تيمور
الكوركاني على خراسان وسيطر الأمير تيمور على هراة في (٧٨٣ هـ)
وأسر غياث الدين وقتله مع ابنه وأخيه في ما وراء النهر في (٧٨٧ هـ)
وانهارت أسرة آل كرت .

اسماء ملوك آل كرت وأيام حكم كل منهم

- ١ - الملك شمس الدين بن أبي بكر كرت (٦٤٣ - ٦٧٦ هـ)
- ٢ - الملك ركن الدين بن الملك شمس الدين (٦٧٧ - ٧٠٥ هـ)
- ٣ - الملك فخر الدين بن الملك ركن الدين (٧٠٥ - ٧٠٦ هـ)
- ٤ - الملك غياث الدين بن الملك فخر الدين (٧٠٦ - ٧٢٩ هـ)

(١) هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني من علماء
وحكام العصر التيموري ، ولد في قريته تفتازان بالقرب من نسا بخراسان
عام (٧٢٢ هـ) و اقام في خوارزم مركز العلم والأدب اذ ذاك . ولما سمع تيمور
بمقامه استدعاه وأسند اليه مهام التدريس بسرخس ثم أحضره بعد ذلك الى
عاصمته سمرقند ومنحه اهتمامه ومكث التفتازاني بقية عمره بهذه المدينة .
ومن آثاره المطول والمختصر . وأغلب آثاره في المنطق وانصرف والنحو العربيين
والفلسفة والكلام والتفسير والفقه وكلها بالعربية . وله منظومة هي ترجمة
تركية لبوسقان السعدي الشيرازي .

- ٥ - الملك شمس الدين بن غياث الدين (٧٢٩ - ٥٧٣٠ هـ)
 ٦ - الملك حافظ بن غياث الدين (٧٣٠ - ٥٧٣٢ هـ)
 ٧ - الملك معز الدين بن غياث الدين (٧٣٢ - ٥٧٧١ هـ)
 ٨ - الملك غياث الدين الثاني بن معز الدين (٧٧١ - ٥٧٨٣ هـ)

أتابكة فارس

كان السلاطين السلاجقة يديرون أمور فارس بعد انتزاعها من الديلمية عن طريق حكام كايوا يرسلونهم اليها من جانبهم ودام هذا الحال نحو خمسة وثمانين عاما وحكم فارس في خلال هذه الفترة خمسة حكام من عهد ألب أرسلان حتى عهد ملكشاه الثاني أي عام (٥٤٣ هـ) من طرف السلاجقة ولقب هؤلاء الحكام وكانوا جميعا من علماء وابناء السلاطين السلاجقة بلقب (أتابك) .

وكان من بين هؤلاء الحكام الأخيرين الأتابكة الذين حكموا على فارس من قبل السلاجقة بوزابه أتابك محمد محمود ابن أخى السلطان مسعود السنوقى وقد عصى السلطان فى (٥٤١ هـ) وقتل فى نفس هذه السنة على يد السلطان مسعود فى أصفهان . وكان لبوزابه ابن أخ اسمه سنغر (١) ابن مودود ثار ليثار لعمه وكان بوزابه ينيب أخاه وأبى سنغر مودودا فى غيابه حينما كان يقصد قتال السلطان مسعود فى شيراز . ولما أصيب بوزابه بالقتل اختفى مودود وابنه سنغر وفى تلك الآونة استولى محمد بن محمود السلجوقى على فارس ، وفى (٥٤٣ هـ) آب سنغر الى فارس وطرد محمدا من هناك وتسلط عليها .

ويقال لأبناء سنغر وهم من جماعات التركمان من نسل رجل اسمه سلغور أتابكة فارس أو الأتابكة السلغوريون وظلوا يحكمون فارس من (٥٤٣) حتى (٥٦٣ هـ) تحت طاعة قسواد ايران الأقوياء ابتداء

(١) سنغر وسنغر وسنجر كلها كلمة واحدة تركية بمعنى الصقر .

بالخوارزميين ثم المغول والایلخانات وقد حفظ قبولهم أمر السلاطين
الكبار وأداؤهم الخراج اليهم فارس لمدة قرن تقريبا من الغزو والخراب
الناجم عنه .

ومع أن أتابكة فارس لم يكونوا قط ثقلا سياسيا هاما الا أنهم
أبقوا في تاريخ الأدب الفارسي ذكرا طيبا واستاذ الأدب الفارسي وأعذب
شعراء ايران السعدي الشيرازي مداح لهم .

الأتابك سنغر (٥٤٣ - ٥٥٨ هـ) : —

وبعد أن قتل بوزابه في (٥٤١ هـ) أودع حكم فارس الملكشاه
ابن محمود بن محمد السلجوقي . وفي عهد حكم ملكشاه نهض التركمان
الذين كانوا تحت إمرة السلاجقة ثائرين لما شاهدوا تشعث أمر أسرته
لمقامت جماعة منهم بقيادة سنغر بن مودود حوالى جبل كيلويه على
ملكشاه . في عام (٥٤٣ هـ) تغلب سنغر على جنود ملكشاه وأخذ شيراز
وأعلن نفسه أتابك فارس مثقبا بلقب مظفر الدين وأسس الأسرة
السلغورية .

وفي الوقت الذي استولى فيه الأتابكة السلغوريون على فارس
أصابته أسرة أخرى قدرة كبيرة في القسم الشرقي من هذه الولاية أى في
الناحية التي على الحدود بين فارس وكرمان والخليج وتشمل بلاد
دارابكرد ونيريز وآيج وفرك وطارم واصطهانات واستولوا على هذه
الولايات التي تسمى في ذلك الوقت شبانكاره .

وملوك هذا القسم المعروفون بملوك شبانكاره أو أمراء آيج كانوا
بقول مشهور طبقة من الايرانيين القدماء ويصلون بنسبهم الى أردشير
بأبكان .

وكان ملوك شبانكاره الذين استولوا على شبانكاره من حدود عام
(٥٤٨ هـ) وهم وقت سقوط دولة آل بويه واستقلوا بها في نزاع دائم

مع الأتابكة السلغورية بعد تأسيس دولتهم بسبب شبانكاره وكرمان ،
فثار النزاع مرارا بين نظام الدين يحيى منهم مع الأتابك سنغرا
السلغوري من أجل السيطرة على فارس سيطرة قطعية لكنه لم يستطع
التغلب عليه ، وحكم سنغر شيراز أربعة عشر عاما ونشر العدل والأعمار
حتى مات في (٥٥٥٨) •

الأتابك مظفر الدين زنكي مودود (٥٥٨ - ٥٧١) :

بعد سنقر صارت الأتابكة لأخيه زنكي الذي كان نهب الصراع مع
ملوك شبانكاره طوال مدة حكمه ولم يستطع في النهاية القضاء عليهم
لأسيما وأنهم بلغوا تلك الأيام قوة فاقت الحدود ولم يعد ممكنا ازالتهم •
ولكى يزيد الأتابك زنكي من قدرته على الحكم قدم إلى السلطان أرسلان
ابن طغرل السلجوقي سلطان العراق واستصدره أمر أتابكته الرسمي
وظل ملكا مدة أربع عشرة سنة إلى توفى في (٥٧١) •

سعد بن زنكي (٥٩٩ - ٦٢٣) :

مظفر الدين سعد بن زنكي أحد اكبر أتابكة فارس ظل يصارعه ابن
عمه طغرل بن سنغر طوال مدة حكمه حتى غلبه سعد في (٥٩٩) واستأسر
طغرل وحصار هو أتابك فارس ثم ضبط كرمان وقصر عنها أيدي ملوك
شبانكاره •

وبعد أن بلغ هذه القوة زحف الأتابك في (٦٠٠) إلى أصفهان
والعراق وكانتا إذ ذاك في يد أتابكة آذربايجان وهاجم الأتابك أوزبك
بن جهمان بهلوان شيراز من أجل أن يصرف سعد بن زنكي عنه وأكثر فيها
القتل والنهب ، وبعد هذا بقليل أمر السلطان محمد خوارزم شاه ابنه
غياث الدين بالتوجه لتأديب الأتابك سعد أيضا ففر الأتابك من أمامه ولما
تفنن غياث الدين راجعا إلى خوزستان عاد سعد بن زنكي إدراجه إلى
فارس وأعاد سيطرته عليها •

وفي (٦٠٧ هـ) ثار الحاكم الذي أرسله الأتابك سعد الى كرمان واضطربت أمورها فاستولوا عليها السلطان محمد خوارزم شاه وخرجت بهذا عن ملكيته أتابكة فارس .

وفي (٦١٤ هـ) قصد الأتابك سعد العراق وتقدم مهاجما حتى لري واشتبك مع ملك قوى مثل خوارزم شاه وهاجمهم جيشه لكنه وقع أسيرا وأراد خوارزم شاه قتله لكنه عفا عنه بشفاعة أحد أتباعه واستقر الصلح على ان يترك الأتابك سعد قلعتي استخر واسكنوان (١) مع ربح مال فارس الى خوارزم شاه وأن يخطب ابنته (ملكة خاتون) لابن خوارزم شاه أي السلطان جلال الدين المنكرني ويبقى ابن زكي الأكبر في بلاط خوارزم شاه رهينة . بعد هذا أنزل خوارزم شاه الأتابك منزل الاحترام وأرسله الى فارس وعاد الى شيراز .

ولما علم الابن الثاني للatabك وهو أبو بكر بقرار صلح أبيه مع خوارزم شاه لم يرض به ولا بتزويج أخته من جلال الدين فنار على أبيه وخف الى صده ، وجرح الأب والابن أحدهما الآخر على مقربة من قلعة اصطخر وأسر أبو بكر وأودع محبس هذه القلعة وأتى الأتابك سعد فارس وأوفى بعهده مع خوارزم شاه .

ولم يقدم الأتابك من بعد عودة السلطان جلال الدين المنكرني الى ايران وحملاته في العراق حتى (٦٢٣ هـ) حين توفي على قتال أو حرب وإنما أمضى بقية عمره في تشييد أبنية الخير من السوق والمسجد والرباط والحمام وشق الترع والحصون حول شيراز وتشجيع اهل العلم والأدب وقد مدحه بشيعة نفسير من مشاهير شعراء الفارسية ، وما يقال ان الشيخ السعدي أخذ تخلصه من اسم هذا الأتابك قول خاطيء تماما .

(١) اسكنوان أو شكنوان مع اصطخر وقلعة شكسته كانت ثلاث قلاع فيما حول مدينة اصطخر ويقال لها القباب الثلاث لوقوع ثلاثها فوق ثلاثة جبال (سياتي) .

الأتابك أبو بكر بن سعد (٦٢٣ - ٦٥٨ هـ) : -

بعد الأتابك سعد صار حكم فارس إلى ابنه الأتابك أبي بكر وهو أشهر الأتابكة السلغوريين وقد بلغت في عهده قوتهم أوجها ولقيت فارس كثيرا من العمار والأزدهار . وكان الأتابك أبو بكر رجلا عاقلا بعيد النظر ، ولما قام بترميم ما تخرّب في فارس في عهد أتابكة السلاجقة وغزوات السلطان غياث الدين وطلوك شهبانكاره دخل طاعة أوكتاي خليفة جنكيز والانقياد له ورأى الصلاح في التسليم لأمر المغول وإن ينقذ أقليم فارس من هجومهم وكانوا في هذا الأوان أي في (٦٣٣ هـ) قد سسوا أصفهان آخر مدينة كبرى بالعراق بالأرض ولهذا أرسل ابن أخيه إلى بلاط أوكتاي وتعهد بأداء خراج فارس وبهذا التصرف الحكيم حفظ جنوب إيران من أضرار غزو جنود المغول ، ولكيلا يدع في يد المغول أي ذريعة للاغارة على فارس وكانت في تلك الأيام من أغنى ولايات إيران بسبب تجارتها الخارجية العامة كان يرسل سنويا ابنه سعدا وبرقته أحد أبناء أخوته بالخراج إلى حضرة الخان وكان يسمح لشعنات التتر بالأقامة بشيراز في (بيرون) ويهيء لهم أسباب الراحة من كل شيء ويقنع العامة من الاقتراب اليهم . والخلاصة أن فارس نعمت في عهده بالأمان والعمارة فصارت مركز تجمع الشعراء والفضلاء والعلماء الذين فروا فرعا من أمام المغول ومسلموا بأرواحهم وراموا ناحية هادئة ولما كان الأتابك أبو بكر يؤلف هؤلاء الناس بالتربية والمراعاة ويهيء لهم أسباب الأطمئنان فقد اجتمعوا حوله وأثبثوا اسمه ضمن أشعارهم أو قصائدهم أثبات هير وأشهرهم السعدى الشيرازي الذي نظم كتابه (بوستان) في (٦٥٥ هـ) بأبنة .

وكان الأتابك أبو بكر كأبيه في كثرة تشييده أبنية الخيز في شيراز . كان من بينها دار كبيرة للشفاء عولج فيها المرضى بالمجان وكان يصرف لهم الدواء والغذاء . وكان أبو بكر رجلا دينيا زاهدا صوفيا مغربا مرييا للصالحين والزهاد والذواوئش وأوقف على هؤلاء الناس أوقافا كثيرة .

وفي (٦٢٨ هـ) أي في العام الخامس من حكم الأتابك أبي بكر جعزده جيشه على الخليج الفارسي واستولى على عمان والبحرين (مسقط)

وكيش وشاطيء الخليج من البصرة حتى سواحل الهند وطوت شهرة قوته حتى الهند وخطب له في بعض البلاد ولقب من يومذاك بلقب (سلطان البر والبحر) .

ولما وصل خبر وفاة الأتابك أبي بكر لمسمع ابنه سعد وهو في طريقه الى مقر هولاء ناله المرض وقبل أن يبلغ سعد شيراز ويخلف أباه وافاه أجله في إحدى قرى (تفرش) بعد موت أبيه باثني عشر يوماً في السابع عشر من جمادى الأولى وكان في حياة أبيه يلقي الاحترام ويولى أهل العلم والأدب برعايته ، والشيخ السعدي (١) من خواصه وأخذ تخلصه من اسمه ودبج كتابه (كلستان) باسمه (٢) .

(١) السعدي الشيرازي المتوفى نحو (٦٩١ أو ٦٩٤ هـ) هو شرف الدين مصلح بن عبدالله بن كيار ونوابغ الأدب الفارسي ، ولد بشيراز نحو عام (٦٠٦ هـ) وبدأ تعلمه بها ثم رحل عنها الى بغداد حيث أكمل تعليمه بمرستها النظامية . وقد أقبل السعدي على التطواف لحبه للسياحة وبسبب الصراع بين الخوارز مشاهيين وatabكة فارس وهجوم المغول وطال سفره حتى أربى على الثلاثين عاماً أو ناهز الأربعين وحاب بلاد المسلمين تقريباً . وآب سعدى الى موطنه شيراز حين استقرت أمورها وأخذ في التأليف . ويعمد السعدي من الشعراء الإيرانيين العظام ان لم يكن أعظمهم على الإطلاق كما يعتبر استاذ النثر المسجع الموزون ومن مبرزى الكتاب . ونظم السعدي القصيدة والقطعة والرباعي والترجيع بنند (مجموعات من الشعر لكل منها وزن وقافية مختلفان وآخرها بيت يتكرر بقافية مختلفة يسمى الترجيع) والتركيب بنند (هو الترجيع بنند الا أن البيت المسمى بالترجيع لا يتكرر) غير أنه يمكن القول ان الغزل اعتلى انواع الشعر كلها بالسعدي الذي بلغ به ذروة لطفه وجماله حيث يجمع السلاسة والصناعة والسهولة والامتناع . وآثار سعدى هي ديوان غزلياته من الطيبيات والبدائع والخواتيم والغزليات التقليدية ثم البوستان والقصائد والمعات والرباعيات والترجيعات . . أما كتابة الكلستان (بمعنى البوستان) فهو كتاب قيم في النثر المزوج بالشعر . وقد انزع الشاعر تجاربه وما رآه في أسفاره وما سمعه في أعماله فبدت حاوية للمواضيع الأخلاقية والمواعظ والحكم ومضامين العشق واللفظ والجمال . وقد ترجمت آثار السعدي الى اللغات الأجنبية فصار بها شاعراً عالمياً .

(٢) السعدي يقول في هذا :

على الخصم سوس كه ديباجه همايسونش

بنام سعد ابى بكر سعد بن زكى است سياقى

اى : على الخصم سوس وديباجتسه المباركة

بنام سعد ابى بكر سعد بن زكى است (سياقى) .

الأتابكة السلفوريون الباقيون :

وبعد أن حمل سعد بن أبي بكر بن زنكى الى شيراز اختير للأتابكية ابنه محمد الصغير السن ، وبما أنه سقط من سقف القصر وهو في الثانية عشرة في (٥٦٦٠ هـ) أعطيت الأتابكية لأحد أحفاد سعد بن زنكى وكان اسمه محمداً أيضاً . ولما كان محمد هذا سفاكاً جائراً فاسقاً فأمسك به الأمراء في (٥٦٦١ هـ) وأرسلوا به الى مقر هولاكو وبلغ أخوه سلجوقشاه الحكم ، لكنه قتل في (٥٦٦٢ هـ) بيد أحد قواد هولاكو الذي أرسله لتأديب الأتابك ولم يبق بعده رجل من الأسرة السلفورية ففوض المغول حكم شيراز لبنت الأتابك سعد بن أبي سعد وهى (لبش خاتون) التى زوجها هولاكو في (٥٦٦٣ هـ) لابنه منكوتيمور فضمت فارس رسماً الى ديوان الايلخانات ، وتوفيت أبش خاتون في (٥٦٨٤ هـ) في تبريز ومع أن استقلال السلفوريين قد انتهى في الحقيقة من عام (٥٦٦٣ هـ) إلا أن أبش خاتون أعاد السلطان أحمد تكودار تنصيبها على حكومة فارس في العهد الايلخانى وظلت بها حتى عام (٥٦٨٣ هـ) حين ذهبت الى تبريز لحضور محاكمة بها ثم توفيت هناك في العام تاليه .

أسماء أتابكة فارس وأيام حكم كل منهم

- ١ - سنغر بن مودود (٥٤٣ - ٥٥٥٨ هـ) .
- ٢ - زنكى بن مودود (٥٥٨ - ٥٥٧١ هـ) .
- ٣ - تكله بن زنكى (٥٧١ - ٥٥٩١ هـ) .
- ٤ - طغرل بن سنغر بن مودود (٥٩١ - ٥٥٩٩ هـ) .
- ٥ - سعد بن زنكى (٥٩٩ - ٥٦٢٣ هـ) .
- ٦ - أبو بكر بن سعد (٦٢٣ - ٥٦٥٨ هـ) .
- ٧ - الأتابك سعد بن أبي بكر في ٥٦٥٨ هـ (اثنا عشر يوماً) .

- ٨ — محمد بن سعد (٦٥٨ — ٦٦٠ هـ) *
- ٩ — محمد بن سلغور بن سعد (٦٦٠ — ٦٦١ هـ) *
- ١٠ — سلجوقشاه بن سلغور (٦٦١ — ٦٦٢ هـ) *
- ١١ — أبش خاتون بنت سعد أبى بكر (٦٦٢ — ٦٨٤ هـ) *

٣ — قراخطائيو كرمان

تأسيس سلسطة القراخطائيين في كرمان كان على نحو ما نعلم بيد براق الحاجب أحد الأمراء الكبار للسلطان غياث الدين بن السلطان محمد خوارزم شاه ولقب براق بقتلغ خان ولذا تعرف هذه الأسرة أيضا بالأسرة القتلغ خانية *

وحيثما وصل جنكيز الى خراسان قدم براق الحاجب باجاسة السلطان غياث الدين الى كرمان واستولى عليها في (٦١٩ هـ) ومات في (٦٣٣ هـ) وأمضى مدة حكمه مطيعا للمغول *

وظل أتباع براق الحاجب يحكمون كرمان حتى (٧٠٣ هـ) ولم يستطع أحدهم الاستقلال بحكمه بل كانوا دائمي الطاعة والانقياد للایلخانات *

وأشهرهم (سلطان حجاج) (٦٥٦ — ٦٧٦ هـ) الذي بلغ الامارة من بعد أبيه قطب الدين محمد ابن عم براق ولما كان صغير السن وقت بلوغه الحكم أدارت امرأة أبيه (قتلغ ترکان) التي كانت أولا زوجة لبراق ثم تزوجت بقطب الدين محمد بعد وفاة براق أمور كرمان من طرف هولاء وشهرت هذه المرأة بالعدالة والكفاءة ومراعاة أهل العلم والأدب وبالتعمير وزوجت إحدى بناتها وهي (بادشاه خاتون) أباقا خان لكي تحكم أساس حكمها في كرمان وتسد الطريق أمام مطالبة سلطان حجاج وأخيه أي ابني زوجها *

ولما بلغ حجاج حد الرشدا أساء معاملته زوجة أبيه فولت قتلغ ترکان وجهها شطر معسكر أباقا زوج ابنتها وشكت إليه فحرم حجاج من تدخله في أمور سلطنة کرمان فلأذ بالذهاب الى سيستان والهند ومات بنفس هذه الحدود في (٦٩٠هـ) •

واستقلت قتلغ ترکان بحکم کرمان حتى (٦٨١هـ) وفي هذا العام حصل الابن الآخر لزوجها وهو (سيور غتمش) من السلطان أحمد تكدار على أمر بامارة کرمان ولما لم تستطع قتلغ ترکان الغاء الأمر ماتت حسرة فاستقل سيور غتمش بحکم کرمان •

ولى سيور غتمش کرمان مدة عشر سنوات (٦٨١ - ٦٩١هـ) الا أن اخته (بادشاه خاتون) التي تزوجها كيخاتو بعد وفاة أباقا كانت نزاعة دائما الى توهين أمره الى أن هلك حاميه أرغون وتملك كيخاتو فقدمت بادشاه خاتون الى کرمان متذرة برؤية وطنها وقبضت على سيور غتمش وألقت به في (٦٩١هـ) حبس احدى القلاد • ومع أن سيور غتمش خلص من حبسه بعد قليل بعون زوجته كردوجين ابنة منكو تيمور بن هولاکو وابش خاتون السلغورية لكن لم يطل به الوقت حتى سقط بيد كيخاتو الذي تركه تحت تصرف زوجته بادشاه خاتون فأوردت هذه المرأة أخاها في (٦٩٣هـ) مورد الهلاك •

وبعد أن قتلت بادشاه خاتون أخاها سيور غتمش جعلت من نفسها واليا لکرمان في (٦٩١هـ) وكانت كما نعرف ابنة قطب الدين محمد وقتلغ ترکان واشتهرت بحسنها وفضلها وأدبها وسمت نفسها بعد الاستيلاء على منصب أخيها (حسن شاه) •

وفي (٦٩٤هـ) خرجت کرمان عن يد بادشاه خاتون عن طريق بايدو وباصرار من كردوجين وشاه عالم أخت سيور غتمش التي تزوج بها الايلخان الجديد دوکان من استولى على هذه المدينة هي كردوجين التي سلمت لها بادشاه خاتون فقتلتها انتقاما لسيور غتمش واعتلت كردوجين مقامها المارة کرمان •

وآخر ملك قرا خطائي لكرمان هو قطب الدين شاه جهان بن
سيور غتمش الذي ولي من جانب غازان كرماني في (٥٧٠٢ هـ) الا أن
أولجايتو عزله بعد جلوسه لما رأى منه عدم الكفاءة والميل إلى العزلة
وتحولت كرماني إلى حكم شحنات المغول المباشر .

وكان لقطب شاه جهان ابنة اسمها (مخدوم شاه خان قتلغ) تزوج
بها الأمير مبارز الدين محمد المظفرى وأكثر سلاطين آل المظفر من
أبنائها .

أسماء قراخطايو كرماني وأيام كل منهم

- ١ - براق الحاجب بن كلدوز (٦١٩ - ٥٦٣٢ هـ)
- ٢ - ركن الدين مبارك خواجه بن براق (٦٣٢ - ٥٦٥٠ هـ)
- ٣ - قطب الدين محمد ابن أخى براق (٦٥٠ - ٥٦٥٥ هـ)
- ٤ - سلطان حجاج بن قطب الدين وأمه عصمة الدين قتلغ ترکان
زوجة قطب الدين (٦٥٥ - ٥٦٨١ هـ)
- ٥ - جلال الدين سيور غتمش بن قطب الدين (٦٨١ - ٥٦٩١ هـ)
- ٦ - صفوة الدين بادشاه خاتون بنت قطب الدين
(٦٩١ - ٥٦٩٤ هـ)
- ٧ - مظفر الدين محمد شاه بن سلطان حجاج (٦٩٤ - ٥٧٠٢ هـ)
- ٨ - قطب الدين شاه جهان بن سيور غتمش (٧٠٢ - ٥٧٠٣ هـ)

٤ - أسرة اينجو وآل المظفر

بعد جلوس أبى سعيد على عرش الايلخانية نظر الى شاهزاده خانم كردوجين ابنة ابش خاتون ومنكو تيمور أى زوج سيور غتمش القرأخطائى نظر العناية ففوض اليها حكم فارس مراعاة لمودتها وحبها وكفائها التى أظهرتها فى وفاة أولجاسيتو فى ادارة أمور السلطنة حتى دخول أبى سعيد لسلطانية وكان حكمها لفارس من أول (٥٧١٩) فوقعت هذه المملكة برها وبحرها تحت تصرفها ومقطعة لها مقاطعة تامة ولم يكن لها من بعد أمها ابش خاتون رئيس أو قائد معين فدخلت كردوجين أرض أجدادها تحفها مظاهر العزة وكانت امرأة عاقلة محبة للخير فأنشأت تتشر العدل وتشيد أبنية الخير وتبسط يد البذل والجود فأقامت نحو اثنى عشرة مدرسة ورباطا ومستشفى ومسجدا وسدا وأوففت عليها كثيرا من الأوقاف ، وحين أن أرسلت بهدايا وتقدمات نفسية الى أبى سعيد أصدر لها السلطان أمرا ملكيا باعفائها من دفع الضرائب .

ولا يعرف متى ماتت كردوجين وأما ما يعرف عنها أنها تزوجت فى بداية حكمها بالشحنة المغولى بشيراز ، ثم الأمير تشوبان من بعده وظلت فى حكم شيراز فى (٥٧٢٩) لأن فى هذا العام قدم الأمير مبارز الدين محمد بن المظفر من يزد الى كرمان اليها كما قدم ابن زوجها قطب الدين شاه جهان وبنى مبارز الدين بابنة قطب الدين وهى مخدوم شاه وعاد بها الى يزد .

وفى عهد حكم كردوجين لفارس أرسل الأمير تشوبان أحد خاصته وكان وكيلا للأملاك الايلخانية الخاصة أو ما تسمى بأملاك الـ (اينجو) واسمه شرف الدين محمود الى وزارة فارس وكرمان ويزد وكيش والبحرين ، فوضع شرف الدين محمود هذا الذى كان يعد نفسه منتسبا

لعبد الله الأنصاري (١) بلاد جنوب إيران من اصفهان حتى جزر الخليج تحت ادارته المالية وعرف بالأمر شرف الدين محمود اينجو فتجمع له مال كثير عن هذا الطريق حتى أن حاصل أملاكه الشخصية السنوي كان يبلغ في أواخر أيام سلطنة أبي سعيد مائة تومان أي ألف ألف ذهباً . وبعد كردوجين استقل محمود شاه بهذه النواحي تماماً وكان رجلاً ذا كفاءة وذكاء ويسار ويتحدث بجملة أمام أبي سعيد . وعزله أبو سعيد كما سبق من حكم فارس في (٥٧٣٤ هـ) لكن محمود لم ينصح لأمره وأعلن تمرداً وعفا السلطان عن قتله بوساطة غياث الدين الوزير وحبسه بقلعة طبرك بآصفهان ، وبعد قليل أُرغم الوزير السلطان عليه وخلصه من حبسه وأقام محمود بالمعسكر . وأمر أبو سعيد بابنه جلال الدين مسعود شاه فارس إلى بلاد الروم لدى أمير شيخ حسن القشوباني حاكمها لمعاش فيها خلال حياة أبي سعيد .

وكان للوزير غياث الدين اهتمام بأسرة اينجو أي محمود شاه وأولاده جلال الدين مسعود شاه وغياث الدين كيخسرو وجمال الدين أبو اسحاق حسن وأدخلهم في أعمال الديوان ، ولما أن محمود شاه غالب

(١) هو أبو اسحاق عبد الله بن محمد الأنصاري من صوغية القرن الخامس الأشهر عامر السلطان الب أرسلان السلجوقي والوزير نظام الملك ، ويصل نسب عبد الله الأنصاري إلى المجاهد أبي أيوب الأنصاري الذي غزا مع يزيد بن معاوية القسطنطينية (٤٩ أو ٥٠ هـ) واستشهد أمامها ودفن على أبوابها (انظر الكامل لابن الأثير ج ٣ / ١٩٥ ، ١٩٧ هـ) ولد عبد الله بهراة واشتهر في شبابه بالتبحر في العلوم الأدبية والدينية وحفظ الشعر العربي ومهر في علم الحديث والفقه وأخذ التصوف عن الشيخ أبي الحسن الخرقاني (متوفى ٤٢٥ هـ) كما استفاد من الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير (متوفى ٤٤٠ هـ) . نظم عبد الله الشعر باللغتين والف كثيراً من بينها ترجمة طبقات الصوغية للسلمي إلى اللهجة الهروية وتفسير القرآن الكريم كان أساس تفسير الميبدى المشهور كشف الأسرار وعدة الأبرار المؤلف حسام (٥٢٠ هـ) . وللأنصاري رسائل فارسية أخرى مثل مناجات ناميه وزاد العارفين والهي ناميه وكنز السالكين ورساله دل وجان أو رسالة القلب والروح وقلندر ناميه ، ويمكن اعتبار نثره رائد النثر الموزون والمسجع ونوغي الأنصاري عام (٤٨١ هـ) .

اقامته بالمعسكر السلطاني فقد كان يعد قبل عصيانه لأبي سعيد مستشاراً للوزير وموصولاً منه .

ولما كنا شرحنا تفصيل قتل شرف الدين محمود شاه بيد أرباكاون وفرا أولاده وقتل أرباكاون بيد أولاد محمود شاه فليس إعادة هذا الشرح هنا ضرورياً وحسبنا القول أن علي بادشاه بعد تغلبه على أرباكاون أرسل مسعود شاه اينجو وبصحبته الأمير بير حسين بن الأمير محمود بن الأمير تشوبان في (٧٤٠هـ) إلى شيراز وخول لأمر الأمير بير حسين حكم فارس ويزد وكرمان ، فاستوزر بير حسين سلطان شاه أخا مسعود شاه لكنه بعد قليل قتل سلطان شاه . ولما استقدم بير حسين من يزدا الأمير مبارز الدين محمد استوحسن مسعود شاه اينجو من كليهما فتركهما إلى كازرون ومنها رحل إلى شيخ حسن الكبير ببغداد .

وفي (٧٤٢هـ) فوض الأمير بير حسين حكم أصفهان إلى شيخ أبي اسحاق أخى مسعود شاه وسلطان شاه ، واستدعى شيخ أبو اسحاق كما مر ملك أشرف أخا شيخ حسن الصغير لقتال بير حسين وأخذ فارس منه انتقاماً لمقتله أخاه واستولى أشرف بيسر على شيراز وطرد بير حسين ، ونجح أبو اسحاق بعد قليل في أن يخرج شيراز عن يد أشرف في نفس ذلك العام بعون أهلها وأن يصير حاكماً عليها .

أما الأمير مسعود شاه أخو شيخ أبي اسحاق الذي سبق أن هرب إلى بغداد فقد أمره شيخ حسن الكبير حاكمها بالتوجه مع الأمير ياغى باستى بن الأمير تشوبان قبل أن يعلم بوقائع بير حسين وملك أشرف إلى شيراز فأتياها في (٧٤٣هـ) وقت استيلاء شيخ أبي اسحاق عليها .

ولما ذهب أبو اسحاق إلى كازرون حرك الحسد ياغى باستى إلى قتل مسعود شاه فعاد أبو اسحاق بمدد من أهل كازرون إلى شيراز ولم يطق ياغى مقاومته فهرب إلى ملك أشرف بالعراق فاستقر أبو اسحاق في شيراز وخطب له فيها ونقش اسمه على عملتها ونادى بنفسه ملكاً رسمياً عليها .

أصل آل المظفر ونسبهم : —

آل المظفر وعم أولاد الأمير مبارز الدين محمد بن المظفر من نسل واحد من أهل خواف إحدى قرى خراسان واسمه غياث الدين حاجي وقد هاجر حاجي هذا عن موطنه وقت استيلاء جنكيز على خراسان وأتى إلى يزد وأقام بها . وكان له ثلاثة أولاد هم أبو بكر ومحمد ومنصور ، ولحق الأولان بخدمة الأتابك علاء الدين بن قطب الدين بن محمود شاه (توفي عام ٦٦٢ هـ) أتابك يزد ، وبعث بهما الأتابك عام (٦٥٥ هـ) قائدين لثلاثمائة فارس إلى معسكر هولاكو حينما أزمع على فتح بغداد . وأمر أبو بكر بمرافقة جيش المغول المتجه إلى حدود الشام ومصر وقتل في الطريق في حروبهم مع أعراب البادية ورجع محمد إلى يزد وظل بسلطان الأتابك حتى وفاته ولم يعقب هذا الولدان .

أما الابن الثالث لغياث الدين حاجي وهو منصور فكان مع أبيه بيزد ورزق ثلاثة أبناء هم محمد وعلي المظفر ، ولم يعقب على بن منصور الذي مات مغمورا . أما محمد والمظفر فكانت لهما ذرية تولد منها سائر ملوك آل المظفر . وكان المظفر الابن الأصغر لمنصور بن غياث الدين حاجي رجلا عاقلا شجاعا ودخل خدمة الأتابك يوسف شاه بن الأتابك علاء الدين (٦٦٢ — ٦٩٠ هـ) وأعطاه الأتابك حكم مدينة ميبد . ولما أخلى يوسف شاه يزد خوفا من المغول وتحرك إلى سيستان ليلتجئ بالأمير نوروز رافقه المظفر وقد لقب بالأمير شرف الدين . ورأى الأمير شرف الدين المظفر أثناء سفره من بعض أمراء الأتابك هما بقتله ، فعرج إلى كرمان وانظم إلى خدمة جلال الدين سيو غتمش القراخطائي فتعهد القراخطائي بالعناية . وبعد فترة آب المظفر إلى يزد وذهب منها إلى المعسكر الأيلخاني وتعرف إلى أرغون خان ونال رتبة حارس للخان وظل بجيش الأيلخانات عهد كيخاتو وغازان . ولما عصى أتابك لور كيخاتو وقت جلوسه وعزم كيخاتو تأديبه اختار الأمير المظفر ليقوم بهذه المهمة ، فميم المظفر وجهه إلى لرستان وكانت بينه وبين الأتابك افراسياب

علاقات مودة فانتهى الأمر الى المسالة ورافق افراسياب الأمير المظفر الى المعسكر الايلخانى فنزل كلاهما من الايلخان منزل العناية وخدمت فتنة لرسنتان .

وبعد وفاة كيخاتو صار المظفر فى غازان خان فى (٦٩٤هـ) وعاش لديه ولدى خلفه أولجاتيو مقربا محترما وتقلد أثناء ذلك بعض المناصب الهامة وظل يرتقى أمره حد أن أصدر أولجاتيو أمرا بأن يلقى ارشاد وحفاظ طرق الولايات بين كرمنشاه ولسنتان حتى هراة ومرو وأبرقو مع حكومة مدينة ميبد . وقضى الأمير المظفر حيناً فى ميبد وأغلب الأحيان فى المعسكر الايلخانى الى أن عاهد أئى وطنه فى (٧٠٧هـ) . وفى (٧١١هـ) وقتما توجه أولجاتيو الى بغداد خف المظفر ومعه ابنه مبارز الدين الى ركبته عن طريق شيراز وجبل كيلويه وبلغ المعسكر ببغداد وأذن له الايلخان بالعودة بعد أن صاحبه مدة . وفى عودة المظفر أمر بقتال المتمردى فى شبانكاره ، ولما فرغ من تسكين فتنة هذه الناحية أصابه الوهن والتعب فى نفس شبانكاره فلاقاه أجله فيها فى الثالث عشر من ذى القعدة (٧١٣هـ) وحمل جسده الى ميبد .

وقد أعقب الأمير شرف الدين المظفر بن منصور بن غياث الدين حاجى الخراسانى ولدا وبنتين ، وولده هو الأمير مبارز الدين محمد الذى يعد أول آل المظفر .

الأمير مبارز الدين محمد (٧١٨ — ٧٥٩هـ) —

لم يزد مبارز الدين حينما مات والده عن ثلاثة عشر عاما لهذا عمد أعداء أسرته الى اتهام ابيه بالظلم والتعدى أمام الوزير رشيد الدين فضل الله وادعوا أملاكه التى احتازها وأتى الأمير مبارز الدين معسكر أولجاتيو وظل به حتى آخر عهد حكمه . ولما خلف أبو سعيد أباه أبقاه فى نفس مقامه وأرسله فى (٧١٧هـ) الى ميبد .

وفي (٧١٨ هـ) قدم من شبانكاره الى يزد أخو شيخ أبي اسحاق اينجو وهو الأمير غياث الدين كيخسرو وعقد مع الأتابك فيها أسباب المودة ثم عجل منها الى ميبد وتوثقت بينه وبين الأمير مبارز الدين عرى الصداقة ، لكنه الأمر لم يطل اذ شب نزاع بين نائب الأمير كيخسرو وأتابك يزد لأمر بسيط فقتل الأتابك وكان فظا نائب الأمير كيخسرو .
فهاجم كيخسرو ومبارز الدين الأتابك بعد استئذان أبي سعيد وهزمه في هذا النحو في (٧١٨ هـ) وانتهت حكومتها الى الأمير مبارز الدين من طرق الايلخان بعد اتصاله به .

وبنى الأمير مبارز الدين كما سبق القول في (٧٢٩ هـ) بابنه قطب الدين شاه جهان الحاكم المقرأ خطائي لكرمان وهي خان قتلخ مخدوم شاه وهذه المرأة هي أم شاه شجاع وشاه محمود وسلطان أحمد .

بعد وفاة السلطان أبي سعيد ثار في كل جانب من الولايات الايلخانية من يطالب بالاستقلال وأخذ الأمير مبارز الدين بدوره أهبطه لهذا الأمر أيضا ومهد المجال لكي يستقل أيضا لأنه لم يكن من بقية الأسرة الايلخانية الرجل القوي الذي يجعل أعداءه لا يتجاوزون حدودهم وكان الوزير الكفاء غياث الدين قد لقي القتل أيضا ولما كان كل وال يدعى نصيبا له من تلك البلاد الواسعا وكان الأمير مبارز الدين قائما من عام (٧١٣ هـ) حتى ذاك الوقت بالقضاء على فتن جنوب ايران وضبط طرقها فأخذ يطالب بنصيبه ويدعو الى خلافة أتابكة يزد خلافة مستقلة .

وكانت فارس كما سبق شرحه في تلك الآونة تحت سيطرة شيخ أبي اسحاق وأخوته وكان هذا الأمير يرنو ببصره الى يزد . ولهذا أتاها في (٧٣٧ هـ) بأمر أخيه جلال الدين مسعود شاه فلما تلقاه مبارز الدين بالاحترام التام ترك المدينة الى كerman ، وبعد قليل عساده الى يزد ثانية ليسيطر عليها بحجر أنه عائد الى شیراز لكنه لم يقو على مبارز الدين وانتهى الأمر بتخليته المدينة بوساطة أحد العلماء وأوبسته الى شیراز .

وفي (٧٤٠) رأينا أن الأمير بير حسين التشسوباني بلغ قازنس واستمد الأمير مبارز الدين فأتيا متحالفين إلى شیراز ولأذ منعود شاه بالفرار إلى كازرون فطوى الأمير بير حسين فارس تحت تصرفه وترك حكم كرمان التي كانت تبعا لفارس إلى مبارز الدين فاستولى عليها في (٧٤١هـ) .

وبعد أن اطمأن شيخ أبو اسحاق من ناحية فارس وطرد عنها الأمير بير حسين وملك أشرف أزمع على فتح كرمان وقد أدعى حكمها بعد أن دانت له أصفهان وهرمز بالطاعة وخطب له فيهما وسكت عملتهما باسمه ولا سيما وأن كرمان كانت جزءا من أملاك أجداده فجرد جيشا كبيرا عليها وتقدم إلى (سيرجان) لكنه فشل في دخول قلعتها مما أجبره على تخليتها وتقدم حتى قبل كرمان بخمسة عشر فرسخا ، وسمع أن الأمير مبارز الدين قادم بجيش متأهب لصدده فنصح به بعض مرافقيه بالعودة إلى شیراز فانقصر وعاد .

ولما عاد شيخ أبو اسحاق قام الأمير مبارز الدين بقتال عشيرتين من قبائل المغول هما (أوغانى) و (جرماني) بسبب عصيانهما وكانتا قد أتيتا كرمان من عهد ببيور غتمس وإيلخانية أرغون للمحافظة على حدودها ، ثم عهد إلى شيخ أبي اسحاق ألا يدخل أمير شيخ الأوغانى رئيس العشيرة الأولى شیراز إلا أن أبا اسحق الذي لم يتخل عن فكرة ضم كرمان ويزد إليه نقض هذا العهد في (٧٤٧هـ) لما رأى مبارز الدين في عنت شديد وتظاهر بأرسال خمسة آلاف فارس لمدد مبارز الدين بكرمان وأمرهم أن ينضموا إلى العدو مبارز الدين حين يشرع المقتال ، وزحف هو إلى يزد . ومع أنه أخذ يزد لكنه لم يقو على شاه مظفر ولد مبارز الدين في ميبد وعالم أن جنوده والأوغانيين مع ضربهم الحصار على كرمان وغلبتهم لمبارز الدين لم يتمكنوا من الاستيلاء على المدينة لهذا اضطر إلى الصلح والعودة إلى شیراز .

وفي (٧٤٩هـ) أرسل الأمير مبارز الدين ابنه شاه شجاع الذي لم يزد

وقتها عن السادسة عشرة لتأديب الأوغانيين والجرمانيين وغلب شمساه
شجاع هذه الجماعات في مناطق كرمان الحارة • وبعث أبو اسحاق أحد
قاداته لما سمع بتمرد هذه الطوائف الى هرمز ومكران لكي يحصلا
أموالهما ويأتى كرمان فيمد المتمردين على آل المظفر ، لكن هذا القائد
استجاز خيائته وانضم الى آل المظفر فأدى هذا الى قوة أمر المظفرين
ووهن أمر أبى اسحاق •

وفي (٧٥١ هـ) عاود أبو اسحاق هجومه على يزد لكنه لم يحقق شيئا
فعاد الى شیراز وفي السنتين التاليتين أيضا أنفذ أحد أمراء الروم
الفار الىه من ملك أشرف لفتح كرمان فلم يجد نتيجة كذلك وهزمه مبارز
الدين فعاد الى فارس مهزوما •

قتل شيخ أبى اسحاق في (٧٥٨ هـ) :

غضب مبارز الدين لكثرة تعدى شيخ أبى اسحاق وأتباعه على كرمان
ويزد فأزمع على ضم شیراز والقضاء عليه ونصب في (٧٥٤ هـ) ابنه
شاه شجاع وليا للعهد وتوجه معه الى شیراز ، فلما علم بذلك أبو اسحاق
سير القاضي عضد الدين الايجى (١) العالم الكبير المعروف يطلب الصلح
من مبارز الدين • فاستقبل مبارز الدين القاضي عضد باختفاء بالغ لكنه رفض
طلب أبى اسحاق قائلاً انه نقض العهد سبع مرات ولا يمكن الوثوق
بعهوده فعاد القاضي عضد الدين بغير فائدة وتقدم مبارز الدين صوب
شیراز وفي صفر (٧٥٤ هـ) نزل حوالىها وألقى بحصاره عليها • واستغرق
حصار شیراز نصف عام ولم يقنط مبارز الدين مع أنه أصيب بالمرض
خلال مدة الحصار ولقى ابنه شرف الدين المظفر حتفه أيضا بل زاد من

(١) هو عضد الدين عبد الرحمن احمد الايجى المتوفى (٧٥٦ هـ) من
علماء فارس المعروفين ومن مدينة ايج ، تولى القضاء وكان شافعى
المذهب ، وله تواليف كثيرة بالعربية في الفلسفة والكلام والأخلاق والمذهب
اشهرها (المواقف في علم الكلام) الذى يعد من الكتب المعبرة في علم الكلام •

كفاحه حتى انتهى بالاستيلاء على المدينة في الثالث من شوال من العام نفسه . وكان أبو اسحاق في أيام الحصار يمضي غالب وقته متغافلا خميرا سكيلا : لا هيا وضاق جمع من اهل المدينة بأفعاله فاتصلوا سرا بالأمير مبارز الدين وفتحوا احدى بوابات المدينة لجنوده وهرب أبو اسحاق واستصرخ شيخ حسن الايلكاني ، فقدم هذا من بغداد اليه مددا بلغ ألفى جندي هزمهم أيضا شاه شجاع فاضطر أبو اسحاق الى الاعتصام باصفهان ووقع ابن له عمره عشر سنوات وجماعة من قواد جيشه أسرى لآل المظفر هقتلوا جميعا وصارت فارس على هذا تحت تصرف المظفرين . وبعث مبارز الدين شاه شجاع لحكم كرمان وأقام هو بشيراز .

وفي (٨٧٥٥) أناب مبارز الدين ابن اخته شاه سلطان عنه في شيراز وتوجه لاستئصال شأفة أبي اسحاق باصفهان واستدعى اليه شاه شجاع من كرمان .

وفي غياب مبارز الدين قام نفر من أهل شيراز واتباع أبي اسحاق بدعوة عشائر الأوغانية والجرمانية للثورة على عمال آل المظفر الا ان شاه شجاع أوقف الجميع عند حدودهم وأمن فارس وخف الى أبيه مبارز الدين وحصر الاثنان أصفهان .

ووقع أبو اسحاق والسيد جلال الدين مير ميران كبير اصفهان الذي كان له في اصفهان منذ وفاة أبي سعيد القوة والنفوذ في الحصار وأخذ كلاهما يتوسل لطبيب العون بالجميع .

ولم يستطع مبارز الدين وشاه شجاع فتح المدينة وحل عليهما الشتاء فأجبروا على رفع الحصار والعودة الى شيراز فاغتنم أبو اسحاق الفرصة وتوجه الى لرستان عله يجمع منها مددا له فأمدده أتابكها وعاد أبو اسحاق الى اصفهان لكنه فشل في الوصول اليها لأن شاه شجاع أعاد حصاره عليها ووقف جنود مبارز الدين حائلا بينه وبين الجنود المحاصرين . وعاد الأتابك الى لرستان واتجه أبو اسحاق الى شوشتر

أما كبير اصفهان السيد جلال فأثّر اطاعة آل المظفر فغفوا عنه •

وفي (٧٥٧ هـ) جاء أبو اسحاق إلى أصفهان وأعد جيشا بعون من السيد جلال استعداد به المدينة فاستقر على كرسي أمارتها ، فعجل مبارزا المدين لمحاصرتها وظلال حصاره لها فتترك شاه سلطان على حصارها وارتحل هم لقتال اتابك لورستان •

وصار المحصورون في فصل الشتاء نهب قلة الطعام والضيق الشديد فضعفت مقاومتهم وهرب غالبهم أو انضموا إلى شاه سلطان وفر جلال ميرميران إلى كاشان وأخفى أبو اسحاق نفسه أيضا في دار شيخ الاسلام بالمدينة وسقطت المدينة في ربيع (٧٥٧ هـ) بيد آل المظفر •

وسرعان ما أسر شاه سلطان أبا اسحاق وبدأ بحبسه في قلعة طبرك ثم بعث به بأمر من مبارز الدين إلى شیراز وسلم الأمير مبارز شيخ أبا اسحق لينجو إلى ابن أحد كبار شیراز الذي كان أبو اسحاق قتله فأتى بأبي اسحق في يوم الجمعة الحادي والعشرين من جمادى الأولى (٧٥٨ هـ) إلى (ميدان سعادت) بشيراز أحد أبنية أبي اسحاق وقتله •

كان شاه شيخ أبو اسحاق رجلا كريما فاضلا محبا للشعر ولكنه لاه مغرور قاس بلا تدبير ومع هذا فقد كانت فارس في أيام حكمه وسائر أفراد أسرته عامرة وكانت تضارع في كثرة نعمها ومالها حالها عهد الاتابكة السلغوريين • ولما أن الأمير شيخ أبا اسحاق كان يجهد في العناية بأهل العلم والأدب فقد اجتمع حوله شعراء وعلماء معتبرون أشهرهم شمس الدين محمد حافظ الشاعر السامي الفكر الشيرازي (١) ونظام الدين

(١) الشاعر الإيراني الأشهر حافظ الشيرازي هو شمس الدين محمد ابن بهاء الدين المعروف بلسان الغيب أكبر شعر الغزل الفرس ، ولد أوائل القرن السادس بشيراز وحصل العلوم بها وأخذ يدارس الأدب ودواوين الشعراء العرب وتخلص بالحافظ لحفظه القرآن الكريم . لحق الحافظ في شبابه ببلاط ملوك الاينجو وآل المظفر وعمل في دواوينهم ومدحهم وتوفي في عام (٧٩١ هـ) . ويشمل ديوان الحافظ غزلياته التي شهر بها

عبيد الله الزاكاني (٢) وشمس الفخري الأصفهاني (٣) الذين مدحوا
أبا اسحق ورثوه بعد موته .

فتح الأمير مبارز الدين في (٧٥٨ هـ) تبريز وبعد مقام فيها أنبىء أن
السلطان أويسر الحلايري آت لفتحها فرأى الإصلاح أن يعود إلى شیراز ،
ولما سلك مبارز الدين في سفره هذا مع ولديه شباه شجاع وشاه محمود
مسلك التحقير وهدمهم بالعقاب وجرمانهم البصر خاف ولداه على حياتهما
فتجالفا مع شباه سلطان الناقم أيضا على أبيهما وتواضعا على القبض
عليه عند وصولهم أصفهان وتقييده . وفي الخامس عشر من رمضان
(٧٥٩ هـ) نفذ المتآمرون خطتهم فبدأوا بالقبض على مبارز الدين وحبسوه

ومثويه ساقى نامة وبضع قصائد . وقد امتاز شعره بالمثانة والقوة مع أن
الفهد الذي عاشه كان يتسم بالفتن والتلاقل . ولم يغفل في مدحنه . مزج
الحافظ المعاني للصوفية بفد أن تشرب روح التصوف بمعاني العشق وبلغ
بهذا المزج غايته . وحاز ديوانه شهرة ورواجا لم يصل اليهما ديوان شاعر
غزل قنط مما يجعله أحب الشعراء إلى الفرس . وقد طبع ديوانه في أدن أن
مرارا وتكرارا

(٢) عبيد الزاكاني المتوفى نحو عام (٧٧٢ هـ) من الشعراء الهجائيين
والناثرين المنتقدين في الأدب الإيراني . غادر غريته زاكاني من أعمال قزوین
التي شیراز حيث حصل العلوم والفنون وصار من غضلاء عهده وأدبائه ثم
سافر إلى العراق ولاقى سليمان الساجي الذي مرثى عنه . ومجموعة
آثار الزاكاني تشمل القصيدة والغزل والرابعي والقطعة والأشعار الهزلية
ورسائله عشاق نامة وأخلاق الأشراف وریش نامة (كتاب اللحن) وصند بند
(المائة نصيحة) وتضمينات ورساله دلکشا (الرسالة المبهجة) ورسالة
تعريفات وموش وكربه (الفار والقط) غالفامه وغيرها ، ويبلغ شعره الجاد
نحو ثلاثمائة ألف بيت .

والزاكاني من كبار الأدب الفارسي وشاعر منتقد هاج انتقد فساد
عصره بأسلوب ساخر متهمك ويلاحظ أنه لم يتخذ السخرية من أجل السخرية
وانما جعل منها سوطا يلهب فيه فاسدى عصره ومطية لتبنيه الخارجين عن
الصراط القويم في عهده .

(٣) الشمس الفخري هو شمس الدين محمد بن سعيد الفخري
الأصفهاني من كتاب وشعراء القرن الثامن ، ألف عام (٧٤٥ هـ) كتابا في
اللغة الفارسية هو (معيار جمالي) وقدمه إلى شيخه ابنى اسحق اينجو .
ويشمل أجزاء أربعة في العروض والقافية وبدائع الصنائع والفاظ الفارسية .

في قلعة طبرك وفي التاسع عشر من نفس الشهر سملت عيناه بأمر من شاه شجاع ثم أرسلوه من طبرك الى قلعة (سفيد فارس) احدى قلاع جبل كيلويه .

وبعد فترة راسل مبارز الدين الأعمى ولديه يطلب الصلح فسأتي شيراز وصارت الخطة والسكة واجراء أمور الحكم باسمه ، وبعد ثلاثة ادرك شاه شجاع ان أباه ما يزال يقصده فأعاد تقييده وسيره الى مناطق فارس الحارة ومنها الى قلعة (بسم) بكرمان الا أن الأمير مبارز الدين الذي وقع فريسة المرض مات في الطريق قبل وصوله هذه القلعة الأخيرة في ربيع الأول (٧٦٥ هـ) ودفن في المدرسة المظفرية بميبد وكانت احدى ما بناه بها .

حكم الأمير مبارز الدين محمد أربعين عاماً في تبريز وكرمان والعراق وفارس ومات في سن الخامسة والستين وسمى في مدة حكمه لابي تأسيس أسرة قوية شهرت باسم أبيه أي بال المظفر . وكان ديناً ناسكاً متعصباً وفي (٧٥٢ هـ) طفق يستغفر الله عن ذنوبه ويتلو القرآن الكريم وينشغل بالعبادة والطاعة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والاجتهاد في تعبد عظيم اجتهاد وبنى لتعهد أحوال السادات وعلماء الدين في شيراز دار الريادة وفي كرمين مسجداً وأوقف عليهما وقفاً خاصاً . وأثناء حصاره اصفهان في (٧٥٥ هـ) بايع رسول أبي بكر المعتضد بالله الذي نادى بنفسه في مصر خلفاء للخلفاء العباسيين مقتدياً بشيخ أبي اسحق في هذا وذكر اسم الخليفة في الخطبة وعلى السكة وجعل علماء العراق وفارس ويزد يبايعونه أيضاً ، لكنه كان ضيق الخلق حاد الكلمات يعاقب الناس غالباً بيده ويتجاوز الحد في القسوة في منعه المنكرات ولهذا لم يكن الظرفاء والمتتدرون من أهل شيراز يذكرونه بالخير وكانوا يسمونه بالملك المحتسب تتدرا به .

شاه شجاع (٧٦٠ - ٧٨٦ هـ) :-

بعد أن سمل الأمير مبارز الدين تعهد ابنه الأكبر جلال الدين شاه

شجاع أمور الحكم نفوض أخاه شاه محمودا في حكم ابرقو وعراق العجم وأخاه سلطان عماد الدين احمد في حكم كرمان واستورز قوام الدين محمدا صاحب عيار وحبس شاه يحيى بن شاه مظفر ابن أخيه في شيراز .

في بداية حكم شاه شجاع تمردت العشائر الأوغانية والجرمانية فارتحل لصدّهم وبعد هزيمتهم قبل اعتذار رؤسائهم ودخولهم طاعته فعاد الى شيراز . وخدر شاه يحيى الحبّيس بقلعة قهندز حارسها فتحصن بها ولم يستطع شاه شجاع مع حربه وقتاله أن يمسك بابن أخيه . وانتهى الأمر بالصلح بين الطرفين على أن يبارح شاه يحيى القلعة ويذهب الى يزد حاكما عليها من قبل عمه وأن تخلي القلعة لسيطرة العم ، وقبل شاه هذا الاقتراح وارتحل الى يزد لينقض عهده فمّا ان وصلها حتى ثار عاصيا عمه وأخذ يروغ من قبول حكم شاه شجاع بالحيل والخداع ويتصيد الأسباب لعداوته الى أن تحرك في النهاية شاه شجاع ومعه الوزير قوام الدين صاحب عيار وجيش كبير من شيراز الى يزد فبقى في ابرقو وتقدم الوزير لحصار يزد فحرب بحصاره عليها فلما ضاق الحال بشعبها وشاه يحيى راسل عمه بأبرقو يعتذر اليه ويظهر عجزه ويلحف في ذلك حتى عفا عنه شاه شجاع فاستقدم الوزير وعادا الى شيراز . وأصاب شاه شجاع من هذا الوزير بسعاية اعدائه في ذي القعدة (٥٧٦٤) مقتلا .

وفي (٥٧٤٤) تمرد شاه محمود حاكم ابرقو واصفهان من قبل أخيه هادفا الاستيلاء على العراق ، فهاجم يزد واسقط اسم أخيه شاه شجاع من الخطة مستوليا عليها فقدم أخوه الى اصفهان ووقعت الحرب بين الأخين وحصر شاه محمود في اصفهان وتتابعت الحروب بين جنده وجيش شاه شجاع وشاه سلطان الى أن باغتت جماعة من عساكر شاه محمود أتباع شاه سلطان فهزموهم وأتى بشاه سلطان الى شاه محمود مقيدا وكان سبب سمل أبيه مبارز الدين فعامله بنفس المعاملة .

وفي نهاية الأمر تصالح الأخوان. وتقرر أن يظل شاه محمود حاكما لاصفهان كما كان ويجرى الخطبة باسم أخيه وإن كان شاه محمود قد انصاع لهذا الطلب لكنه لم يكن صافي القلب لأخيه بل كان يخطط إزالتة. بأى وسيلة ويستولى على ملك أبيه ولهذا راسل السلطان أويس جلایر ملك آذربايجان وخوفه استيلاء شاه شجاع على تبريز وخرصه على معاداة أخيه فأمدّه أويس بجماعة من أمراءه فاستظهر شاه محمود بهم وببقية من أمراء أبى اسحاق وجراً على عصيان أخيه وانضم شاه يحيى الى العصاة أيضا وبلغهم من لرستان وقم وكاشان وساوه وآوه مدد فخرجوا من اصفهان فى (٥٧٦٥ هـ) لأزالة حكم شاه شجاع ويمموا شطرا شيراز .

وخرج شاه شجاع للقاء عدوه مع أخيه الأصغر سلطان احمد وإينه سلطان أويس من شيراز وقبل أن يبلغ جنود شاه محمود استاء سلطان احمد من أخيه شاه شجاع فانضم الى جيش شاه محمود وسلك بعض جنود شاه شجاع وأتباعه كذلك طريق الخلاف فاشتد الأمر عليه ومع كل هذا لم يفقد عنان المقاومة والثبات وواجه أعداءه بإرادة صلبة وكان طبعيا أن يهزم ويعود مكسورا الى شيراز ويتحصن بها فحصره جنود شاه محمود . وطالت المحاصرة وأخذت قوة مقاومته وعدد رفاقه يتضاءلان يوما بعد يوم . واخيرا طلب شاه شجاع الصالح وتلاقى الأخوان أسفل قلعة قهندز وبعد ترتيب قرار الصالح غادر شاه شجاع الى أبرقسو ودخل شاه محمود شيراز تجلله العظمة والجلال .

وفي ربيع (٥٧٦٦ هـ) أخذ شاه شجاع كرمان وارتحل لتأديب الأوغان والجرمانيين فبعث شاه محمود بشاه يحيى لمعاونتهم الا أن شاه يحيى وأخاه شاه منصور تحولوا عن شاه محمود وانضما الى عمهما شاه شجاع فقوى عزمه على استرداد شيراز عاصمته السابقة حتى أن توجه مباشرة من كرمان اليها وألحق بالقرب من جسر فسا على رأس طريق شيراز فى الرابع والعشرين من ذى القعدة (٥٧٦٧ هـ) بشاه محمود الهزيمة وعاد الى .

شيراز وركن محمود الى الفرار الى أصفهان •

وظل النزاع بين شاه شجاع وشاه محمود قائما الى عام (٥٧٧٦) حين توفي الأخير وغزا شجاع أصفهان مرارا وبعد أن يغلب أخاه يعفو عنه ويرجع الى شيراز ولقى منه مرة الهزيمة بعد أن استطاع بممدد أويس جلاير حميه وتقدم محمود حتى شيراز لكنه لم يستطع فتحها فعاد الى اصفهان •

وتمكن شجاع بعد موت محمود من اصفهان بيسر وهاجم تبريز كذلك منتهزا فرصة موت أويس جلاير في ذلك الوقت أيضا فغلب ابنه سلطان حسين وقر بينهما الصلح وزوج حسين أخته لزين العابدين. ولد شجاع وترك الأخير لابنه زين هذا حكم أصفهان وكان موضع النزاع بين آل جلاير وآل المظفر •

وفساة شاه شجاع في (٥٧٨٦) :

في عام (٥٧٨١) قام رجل اسمه عادل آقا مشايخا سلطان حسين في السلطانية وقصد مهاجمة بلاد آل المظفر فأتاه شاه شجاع بالسلطانية لقتاله وكانت الهزيمة عليه أول الحرب والنصر آخرها له نتيجة لثباته ووصول المدد اليه فأخذ السلطانية وعفا عن عادل وعاد الى شيراز • وتجمعت لعادل آقا تدريجيا القوة ، ولما خرج في (٥٧٨٤) سلطان احمد الابن الثاني لسلطان أويس جلاير على أخيه سلطان حسين وقتله نادى عادل آقا بحكم الابن الثالث لاويس وهو سلطان أبو يزيد ودخل في حرب مع سلطان أحمد ولما كان قد أعلن نفسه تابعا لشاه شجاع استمده فأتاه بالسلطانية في (٥٧٨٥) •

وقبله بلغ السلطانية سباء ظن شجاع بابنه الشبلي وتوهم منه الخروج فأمسك به قرب اقليد من أعمال فارس وحبسه باحدى القلاع ثم سمل عينيه في شعبان (٥٧٨٥) • ولما وصل السلطانية قام باصلاح ذات البين لولدى أويس وخرج منها مع عادل آقا وانتهى أمر النزاع بين أبي يزيد وأحمد بوساطته نهاية طيبة •

وارتحل شجاع من قزوین الى خرم آباد وشوستر ولقى فيهما
 عنتا ولأيا شديدين بسبب الشتاء والأمطار والطرق الوعرة وأثناء شياه
 منصور وإلى لرستان وبعد لقائه يمّم ناحية شیراز وفي طريقه أفرط في
 شرب الخمر حداً أمرضه . وأحس بدنو أجله ففرق الصدقات والعطايا
 واستدعى إليه ولديه سلطان أحمد زين العابدين وكان لکليهما أتباع
 وأشياع فخاف اقتتالهما بعد وفاته فنصحهما وأوصاهما بحفظ الوفاق
 والاتفاق لمنع الخلاف ، وولى زين العابدين عهده وفوض سلطان أبا يزيد
 أخاه الصغير السن في حكم أصفهان وعين سلطان أحمد بكرمان ثم راسل
 الأمير تيمور كوركان وسلطان أحمد جلاير ليراعيا أولاده وبعد قليل أى في
 يوم الأحد الثاني والعشرين من شعبان (٧٨٦هـ) لفظ أنفاسه الأخيرة
 ودفن بشيراز .

أمضى شاه شجاع غالب مدة حكمه الستة والعشرين عاما في صد
 العصاة وكان يخرج منتصرا في الغالب وكان كآبيه شجاعا دينا ، حفظ
 القرآن الكريم في التاسعة واجتهد في العبادة بالغ الاجتهاد وكان ملکا
 لماضيا محبا للشعر والشعراء مشجعا للأدب وتتلّمذ الى القاضي
 عضد الدين الأيجى وبعض علماء زمانه . وكان يمتاز بحافظة قوية حتى
 أنه كان يستظهر السبعة أو الثمانية الأبيات العربية بمجرد سماعها وكان
 ينشد الشعر العربى والفارسى وبقي عنه قطعات ورباعيات عدة
 بالفارسية . وراج في عصره الشعر الفارسى ومن شعراء عهده الحافظ
 الشيرازى والعماد الفقيه الكرمانى (١) ومن مداحيه أيضا .

(١) العماد الكرمانى المتوفى (٧٧٣هـ) من فقهاء القرن الثامن وشعرائه،
 رآه الشاعر الحافظ الشيرازى مرثيا حينما ذكر في شعره أنه كان علم هرة
 تقتدى به في صلاته وكان الشاه شجاع بعد هذا كرامة له وكان الحافظ يعتبره
 مكرما وتحايلا . وكان العماد من أهل كرمان ايتنى فيها مدرسة . ومن آثاره
 المنظومة ديوان غزليات ومثنوى محبت نامة صاحب دلالان او مثنوى محبة العارفين
 ومثنوى مؤنس الأبرار .

زين العابدين (٧٨٦ - ٧٨٩ هـ) :

بعد وفاة شاه شجاع خلفه مجاهد الدين زين العابدين لكنه ووجه بخلاف سائر كبار أسرته في بداية حكمه ، فمن ناحية قدم شاه يحيى بدعوة أهل أصفهان اليها واستولى عليها وهاجم شيراز عاصمة زين العابدين لضمها ومن ناحية ثانية ترك أبو يزيد بن الأمير مبارز الدين وأشياعه جانبه وانضم إلى جيش شاه يحيى ولما رأى زين العابدين أنه لن يخطب شاه يحيى قبل مصالحته وترك حكم أبرقو لأبي يزيد . وسمع أن شاه منصور بن شاه المظفر منصرف إلى غزو شوشتر فخرج إلى كازرون وفر منصور من أمامه .

أما أهل أصفهان فطردوا شاه يحيى بعد عودته إليها من شيراز لأمساكه وبخله فعاد إلى يزد ودخل الأصفهانيون طاعة زين العابدين فلما أخذها ارتحل إلى نطنز وغلب أبا يزيد بها الحاكم من طرف شاه يحيى فهرب إلى لورستان وعاد زين العابدين إلى شيراز .

وفي (٧٨٨ هـ) جمع أبو يزيد الهارب أمام زين العابدين إلى لورستان جماعة حوله فأتى بهم كرمان وهم حاكمها سلطان أحمد بدعوته إليه ولكنه لم يسمح له بدخول عند سماعه أن جنوده الناهبين أغاروا على القرى وجاروا على الناس فارتحل إلى يزد لدى شاه يحيى .

وفي نفس عام (٧٨٨ هـ) سير الأمير تيمور كوركان الذي كان استولى على كل بلاد ما وراء النهر والتركستان وجزء من إيران رسولا من قبله إلى شيراز لدى زين العابدين يطلب إليه التعجيل إلى بلاطه لأن أباه شاه شجاع أوصاه به . فلم يجبه زين العابدين ولم يسمح لرسوله بالعودة . فأتى الأمير الكوركاني في شوال (٧٨٩ هـ) من همدان إلى أصفهان وأدخل حاكمها تحت طاعته وهرب من وجهه زين العابدين وأمرؤه إلى بغداد وقبل شاه يحيى أمرته ، وانشغل عمال الأمير تيمور بجمع المال الذي جمعه الناس لهم لكنهم أصابوهم في نسائهم ومالهم بالظلم

والاعتداء فقتلوههم ، وغضب الأمير تيمور لهذا فأمر بالقتل العام للمدينة
وهلك بنسيف جنود هذا السفاك سبعون ألفا من الأصفهانيين .

وبعد القتل العام في أصفهان قصد تيمور شيراز فبعث سلطان
أحمد ببعض أمرائه للأمير تيمور وكان قد قبل طاعته قبل ذلك وأظهر له
الأمير عطفًا مما شجعه إلى ملاقاته بمعسكره واستولى تيمور على بلاد
آل المظفر بعير عناء وقسمها بين شاه يحيى ولسطان أحمد ولسطان
أبى اسحاق ابن سلطان أويس بن شاه شجاع ثم آب راجعا إلى ما وراء
النهر عند سماعه أنباء عنها غير طيبة .

أما زين العابدين الذى فر ناحية بغداد فقد انطلقت عليه خدعة وعد
شاه منصور حاكم شوشتر بمده فوقع أسيرا في قبضته وجسسه في قلعة
سلاسل بها .

شاه يحيى (٧٨٩ - ٥٧٩٥) :

ترك الأمير تيمور حكومة شيراز لشاه نصره الدين يحيى وسيرجان
لسطان أبى اسحاق بن أويس بن شاه شجاع وكرمان لسلطان عماد الدين
أحمد ولما تم هذا التقسيم قدم شاه يحيى إلى شيراز وقد بلغ أمله الأول
فجلس مكان شاه شجاع ولسطان زين العابدين على كرسي اماراة
آل المظفر .

وما أن سمع سلطان أبو يزيد الذى كان بيزد وينتوي الذهب إلى
الهند متقسيم البلاد المظفرية ولم يأخذ من القسمة نصيبا أتى كرمان
وتجالف مع فريق من الأوغانيين وعصى سلطان أحمد فغلبهم وأسر
أبا يزيد ثم عفا عن أخيه (١) وسيره إلى هرمز فجمع أبو يزيد أموال هذا

(١) سبق أن ذكر المؤلف أن سلطان أبا يزيد أخ صغير السن لشاه
شجاع وعليه فهو عم سلطان أحمد والصحة أن أبا يزيد هو ابن شاه شجاع
وأخ أحمد .

البلاد وعاد به الى كرمان وظل في معية أخيه حتى سنة وفاته (٥٧٩٢ هـ) •

أما شاه منصور فبعد أسر زين العابدين وسماعه بعودة الأمير تيمور
شيد ركابه من شوشتر الى شيراز فأخيلها شاه يحيى عندما لم يصيادف
في نفسه طاقة لقاء أخيه الأصغر وأتى يزد ناد تولى منصور على شيراز
ببسر •

وفي عودة يحيى الى يزد عزم أخذ كرمان من سلطان أحمد فجبرت
الحرب بين جنودهما في السابع من جمادى الأولى (٥٧٩٢ هـ) في صحراء
(بافت) وكان النصر من نصيب أحمد فهرب يحيى وصحبه •

ولما استقر يحيى بـ شيراز تمكن زين العابدين من حبسه بقلعة
ببلاسل بعون بعض حراسه وقصد أصفهان وبعد قليل نجح في الاستيلاء
عليها •

شاه منصور (٧٩٠ - ٥٧٩٥) :

ولما علم شاه منصور باستيلاء زين العابدين على أصفهان زحف
من شيراز لطرده منها فطوى أولا يابرقو تحت سيطرته ثم أتى أصفهان ،
ولم يكن الاستيلاء عليها سهلا له فتركها الى شيراز ومنها الى لرستان
أدخلها طاعته وأصاب فيها أحد أولاد أتابكتها ورجع الى شيراز ليلتأهب
للاستعادة أصفهان ..

وتحالف شاه يحيى و سلطان زين العابدين و سلطان أحمد و سلطان
ابو اسحاق بعزم التحرك من كرمان ويزد وأصفهان لازالة شاه منصور
وقرروا أن تكون سيرجان نقطة الالتقاء في شهر صفر (٥٧٩٣ هـ) ويهاجموا
بمسير متعاضدين • وما أن زحف منصور الى سيرجان حتى تخلف يحيى
المشهور بخلف المواعيد ونقض المواثيق عن مد حلفائه وأخذ يماطلهم
مدة • وفي النهاية أنزل منصور في فسا بجنود أحمد وزين العابدين
الهزيمة فعاد الأول الى كرمان والثاني الى أصفهان وبقي أبو اسحاق
بسيرجان •

وعاد إلى شيراز بعد هذا الفتح منصور وأخذ أهبة وقصد أصفهان لينجلى عنها زين العابدين * وانقضت غالبية جيش زين العابدين عنه وانضمت إلى منصور فخلى أصفهان بلا قتال واتجه إلى خراسان فضم منصور المدينة إليه *

ولم يكذ زين العابدين يبلغ الرى حتى قبض عليه حاكمها وأرسل به إلى منصور فسلم هذا عينية وشد رحله إلى يزد فخرّب أكثرها وبعد صلحه مع يحيى انقلب إلى كرمان وأرسل إلى أحمد يخبره بين التحالف معه وترك طاعة تيمور هو ويحيى ومدّهما له بجيش لكي يتقدم إلى خراسان ويصد هجمات تيمور أو التهيؤ لقتاله * ولم يكن سلطان أحمد يجرؤ على مخالفة تيمور فعصى هذا الاقتراح فخرّب منصور كثرة من قرى يزد وكرمان وعاد إلى شيراز وأثار أبا اسحق على أحمد وهرّسه على ضم ولايته وأخذ أبو اسحاق يهاجم أملاك أحمد إلى أن بلغ منه أحمد وقت فتنة تيمور بالعراق وفارس مقتلاً *

انهيار آل المظفر في (٥٧٩٥هـ) :

قال الغضب من الأمير تيمور لجسارة منصور وغزواته فقصده أول (٥٧٩٥هـ) شيراز من شوشتر ولما عصف بقلعة سفيد المحكمة خلص سلطان زين العابدين الأعمى المحبوس بها بأمر منصور ووعدّه بالانتقام من منصور *

وكان شاه منصور وقتذاك بأصفهان فرحل عنها إلى شيراز وبهلاً من أن يأخذ أهبة الدفاع غرق في الشراب واللهو ولم تنق عينا أحد عليه مدة أربعين يوماً في أي مكان لانصرافه بكليته إلى الخمر الصافي ولما سمع باستيلاء تيمور على قلعة سفيد وعزمه إلى شيراز ولى دبره للهروب من المدينة * وبعد مدة قليلة آب إلى شيراز من فسا وجمع نحو خمسة آلاف فارس وماش وهاجم على بعد ثلاثة فراسخ من شيراز الأمير تيمور وكان

جيش تيمور يبلغ الثلاثين ألفا ، ومع أن عقد ونظام جناحي جيشه انفرط
الا أنه حارب ببطولة وهاجم مرارا قلب جيش تيمور حتى حطم مقاومته
جيشه ولم يبق غير تيمور وخمسة من أتباعه وضرب منصور بسيفه
مرتين على قلنسوة تيمور فلم يصب بسوء لتلقى أحد أمرائه ضرباته
بدرعه وعاد منصور الى شيراز وقد أصيب بطعنات ثلاث غير أن أحد
أتباع تيمور أنزله من على جواده وهو يجهل أمره وقتل هذا الشاب
الشجاع .

وبعد قتل شاه منصور خف سائر أفراد الأسرة المظفرية لطاعة تيمور
فقيدهم جميعا وبعث أولا بسلطان شبلې الذي سمل بأمر والده شاه
شجاع وزين العابدين الذي حرم بيد شاه منصور البصر الى سمرقند
ثم ترك فارس الى ابنه عمر شيخ وقصد أصفهان وبرغته أمراء الأسرة
المظفرية بيد أنه قبل بلوغه لها أمر بقتل جميع أفراد هذه الأسرة صغيرها
قبل كبيرها في العاشر من رجب (٧٩٥هـ) في قرية ماهيار من أعمال قمشه
وقتل بقيتهم الحكام التيموريون في الولايات وذكر أن عدد قتلى هذه
الأسرة على يد عمال تيمور بلغ السبعين . والخلاصة أن هذه الأسرة
الكبيرة التي خلد ذكرها الطيب في تاريخ أدب ايران وجود الشاعر
الكبير الحافظ الشيرازي زالت من الوجود على هذا النحو المفجع ولم
يبق من آثارهم غير هذه الشهرة الطيبة .

ومع أن سلاطين آل المظفر كانوا عقلاء مقاتلين ناشرين للعلم
والأدب الا أن التعصب والقسوة غلب على خلقهم خاصة الشقاق وقتل
الأخ وسمل العينين أحدهم للآخر وهذه صفات كانت لهم لم يسلم منها
حتى شاه شجاع مع علمه وفضله وكانت هذه الصفات من الأسباب
الأساسية لسقوط دولتهم ، ومدة حكم هذه الأسرة اثنان وسبعون عاما
من (٧٢٣هـ) حتى (٧٩٥هـ) وحوزة ملكهم هي فارس وكرمان ويزد
وأصفهان وبعض أجزاء من خوزستان .

أسماء سلاطين آل الظفر وزمان حكم كل منهم

- ١ — أمير مبارز الدين محمد بن مظفر بن منصور بن غياث الدين حاجي
(٧٢٣ — ٧٦٠ هـ)
- ٢ — شاه محمود بن أمير مبارز الدين محمد
(٧٦٠ — ٧٧٧ هـ)
- ٣ — سلطان عماد الدين أحمد بن أمير مبارز الدين محمد
(٧٦٠ — ٧٩٥ هـ)
- ٤ — شاه نصرة الدين يحيى بن أمير مبارز الدين محمد
(٧٦٠ — ٧٩٥ هـ)
- ٥ — شاه شجاع بن أمير مبارز الدين محمد
(٧٦٠ — ٧٨٦ هـ)
- ٦ — سلطان زين العابدين بن شاه شجاع
(٧٨٦ — ٧٩٠ هـ)
- ٧ — شاه منصور بن شاه مظفر بن أمير مبارز الدين محمد
(٧٩٠ — ٨٧٩ هـ)

٤ — أمراء لورستان

لورستان (أو لورستان أو بالتعريف بالألف واللام) هي أراضي اللوريين الذين كانوا وقت الاستيلاء المغولي قسمين هم اللوريون الكبار واللوريون الصغار ، وبين مساكن اللور الكبار وشيراز بلد اللوريين جماعة ثالثة منهم كانت موجودة ومعروفة باسم (شولستان) . واليوم تعرف الشولستان بـ (ممسنى) واللور الكبار بكوه كيلويه أو جنباك كيلويه ويختارى ، واللور الصغار هم ما نسمى بلادهم اليوم لورستان والتي كان يطلق عليها تلك الأيام بلرستان الصغرى ، وقد وسعت أغلب منطقة (فيلى) أى أطراف خرم آباد وأراضى (بشت كوه) .

وكان كل من اللور الكبار والصغار قبل استيلاء المغول حتى فترة بعد انهيار الأيلخانيين نصف مستقلين يحكمهم أمراء منهم شهر بعضهم بوقائع مشهورة كأولئك الذين حازوا أسما في التاريخ وصفة بسبب ترويجهم للأدب الفارسي أو حروبهم لأسر أخرى .

ويفوق اللور الكبار وأمراؤهم في التاريخ ذكرا على اللور الصغار لأنهم سكنوا بين فارس وعراق العجم وعراق العرب وشولستان وكانت لهم علاقات مع أتابكة فارس وخلفاء بغداد وكانت أهم مساكنهم تقع على رأس طريق العراق العربى ووادى نهري قارون وكرخه بفارس وسواحل البحر . وكانت الأسرة التى بلغت قوة فى اللورستان الكبرى من حدود منتصف القرن السادس الهجرى وسميت بالأمراء الفضلويين أو تجاوزا بأتابكة لورستان أصلا من أكراد الشام الذين أتوا الى إيران عن طريق ميافارقين وأذربايجان والقوا برحالهم بداية القرن السادس الهجرى فى (أشتران كوه) وسهوله الشمالية وكانت عاصمة أتابكة لورستان مدينة (ايدج) أى مال أمير أو ايدة الحالية . وأشهر أتابكة لورستان هم :

الأتابك تكله (٦٤٩ - ٦٥٦هـ) :-

والأتابك مظفر الدين تكله أحد أشهر أتابكة لرستان وقصد ناهض أتابكة فارس وأمران اللور الصغار والشول والمغول وقضى الشطر الأعظم من عمره في حروبه معهم .

اشتد الصراع ما بين أتابكة فارس وأتابكة لرستان التي كانت بدايته من عهد الأتابك هزار أسب في أيام اماره تكله إذ أن الأتابك سعد بن زنكي هاجم أملاكه ثلاث مرات هادفا استئصال الأمراء الفضلوية والاستيلاء على بلاد اللور الكبار لكنه لم يغز في أي منها بل كان النصر دائما لتكله مما زاد أهميته واعتباره .

وفي (٦٥٥هـ) حينما بلغ جيش هولكو هذه المنطقة وقت مسيره للاستيلاء على بغداد وبلاد العراق سارع تكله الى لقائه وحضر غزو المغول لبغداد لكنه لما رأى وحشية التتار في هذه الحروب من قتل الخليفة ونكبة المسلمين أصابه التأثر فكر في العودة الى لرستان فأعلم هولكو قواده بهمهم وهمته فأراد القبض عليه فعاد تكله الى بلاده دون اعلامه ، وبعد أن أمنه هولكو اصطحبه الى تبريز وقتله بها في الخامس عشر من ذي القعدة (٦٥٦هـ) وولى أخاه شمس ألب أرغو حكم اللور .

وليس بعهد اماره شمس الدين ألب أرغو التي استمرت خمس عشرة سنة حادثة تذكر .

يوسف شاه (٦٧٢ - ٦٨٨هـ) :-

خلف ألب أرغو ولده يوسف شاه وقد أدى هذا الأتابك الأباقي الأيلخان خدمات جليلة ومن ثم لقبه أباقي بلقب (بهادر) وضم الى ملكه خوزستان وكوه كيلويه ومدينة فيروزان (على بعد فراسخ من أصفهان) وكلها يكان .

ولما جلس أرغون خان استمر يوسف شاه على طاعته لهم وأمره
أرغون باصطحاب الوزير شمس الدين الجوينى صاحب الديوان اليه
فقدم به اليه يوسف شاه وزوجه الوزير بابنته • وبعد قتل شمس الدين
عاد الأتابك يوسف شاه بأمر أرغون الى بلاد اللور وظل بها حتى وفاته

الأتابك أفراسياب (٦٨٨ - ٦٩٥ هـ) :-

كان ليوسف شاه ولدان أفراسياب وأحمد خلف الأول أباه فى الحكم
وأرسل أخاه الثانى الى بلاط الايلخان • وكان أفراسياب مستبدا ظالما
بدأ بمصادرة أفراد أسرة وزير أبيه ثم قتلهم قتلة شنيعة وخافه جماعة
من أتباعهم ففروا الى أصفهان فأرسل عقبهم أفراسياب للقبض عليهم
أحد أقاربه وقد قارنت هذه الحادثة موت أرغون (٦٩٥ هـ) • ورأى
أفراسياب فرقة أوضاع البلاط الايلخانى فرصة سانحة للثورة والتمرد
على المغول فأمر بقتل المغول المقيمين بأصفهان وأرسل عنه ولاة الى
همدان وفارس حتى شاطئ البحر وصمم على مهاجمة تبريز وقدم هو
الى العراق وأهلك بالقرب من قهرود بكاشان أحد قادة المغول واغتسم
منه كثيرا وأساء الى أسرى المغول اساءة بالغة •

وأرسل الايلخان الجديد وهو كيخاتو الذى امتلأ غضبا لتصرفات
أفراسياب وجراسته جيشا كبيرا لتأديبه وتأديب قومه ، فأوسع المغول
اللور قتلا وذبحا واعتصم أفراسياب الذى لم يطق مقاومتهم
بقلعة (منكشت) ولما رأى أنه لن ينجو منهم فر الى معسكر كيخاتو يطلب
عفو فأكرمه الايلخان وترك أفراسياب أخاه أحمد بمعسكرهم وعاد الى
بلاده ، وفى هذه المرة أهلك طائفة من أمراء وكبار مملكته بحجج مختلفة
لكى يستقل تماما •

وفى عهد الايلخان غازان بدأ أفراسياب بداية حسنة معه فكان موضع
رعايته ويحكم بلاده من جانبه وفى (٦٩٥ هـ) أتى غازان همدان فبلغ

افراسياب موضعه وأدى له فروض الطاعة فأذن له غازان بالعودة ، لكن الأمير هرقداق والى فارس فى عودة أفراسياب عاد به الى غازان وشرح له سوء سيرته فأمر غازان بقتله فى العشرين من ذى الحجة (٦٩٥هـ) .

نصرة الدين أحمد (٦٩٥ - ٧٣٠هـ) :-

خلف نصره الدين أحمد أخاه افراسياب وهو أحد مشاهير الأمراء الفضلويين لأنه فضلا عن حسن سلوكه مع رعيته كان له اختلاط بالعلماء والزهاد وأهل الأدب والشعراء فبقى عنه ذكر طيب .

أشاع الأتابك نصره الدين أحمد مراسم المغول فى بلاده وسمى سعيه بليغا لترميم ما خربه أخوه ببناء المدارس والرباطات والطرق وشيد نحو مائة وستين زاوية أو خانقاة فى بلاده المختلفة من بينها أربعة وثلاثون فى اينج عاصمته . وكان يقسم عائدات بلاده السنوية أقساما ثلاثة متساوية يجعل كلا منها للانفاق على وجه خاص ، فقسم منها للانفاق على نفسه والأقارب والأتباع خاصته ، وثالث ثان للانفاق على عسكره وثالث للانفاق على الزوايا والمدارس وكان هو نفسه من الصلحاء وكان أغلب لباسه الصوف ويتصدق على الفقراء بالطعام والمال واللباس . ويذكر الأتابك نصره الدين أحمد بخير فى تاريخ الأدب الفارسى فقد ألف له ثلاثة كتب فارسية أبقي مؤلفوها بها ذكرا له طيبا ، وأول هذه الكتب (تاريخ معجم فى آثار ملوك العجم) لشرف الدين فضل الله الحسينى القزوينى (١) ثم (معيار نصرتى) (٢) فى العروض والقوافى الذى ألفه

(١) شرف الدين الحسينى من أدباء وشعراء القرن السابع وأوائل الثامن بلغ خدمة الجايتو من طريق الوزير غياث الدين محمد غالف أغلب مؤلفاته له وللاتابك نصره الدين أحمد شاه لرسقان . أما أثره المعروف التاريخ المعجم فهو فى ذكر مآثر ملوك ايران القدامى وله كتاب آخر فى فن الانشاء والبيان والتعريف بأرياب الأدب وهو القربل النصرىة وكان تابعيا فى أسلوبه النثرى لوصاف صاحب تاريخ وصاف الذى سوف يشير اليه .

(٢) الكتاب اسمه الذى ذكرته المعاجم الأدبية هو معيار جمالى ومفتاح

شمس الفخرى الاصفهاني باسم الأتابك ثم (تجارب السف) (١) بقلم هندوشاه بن سنجر النخجواني (٢) .

وخلف نصره الدين أحمد ابنه الأتابك يوسف شاه الثاني (٧٣٠ - ٧٤٠) ومن بعده ابنه الثاني (الفراسياب الثاني) ولما أن أسره اينجو وآل المظفر في فارس بلغت شأوا ظاهرا فأعملت نفوذها في لرستان فخربت بالتدريج أوضاع اللور ، لا سيما في عهد مبارز الدين اذ أمد أتابك اللور نور الورد بن سليمان شاه بن الأتابك أحمد شيخ أبا اسحاق فأتى مبارز الدين لقتاله في (٧٥٧هـ) وأسر نور الورد وسمل عينيه وترك حكم اللور لبشكنك بن سلغر شاه بن أحمد وهو ابن عم وصهر نور الورد وذهب هو نفسه لشد أزر ابنه شاه شجاع في حصاره لأصفهان .

وظل أتابكة اللور الكبار حتى النصف الأول للمقرن التاسع وكان آخرهم غياث الدين كاوس الذي ذهبت دولته بيد السلطان ابراهيم بن شاه رخ التيموري فانقرضت أسرته .

أبو اسحاقى وهو معجم في الفارسية الفه الفخرى عام (٧٤٥هـ) لشيخ أبى اسحاق بن الأمير محمود اينجو حاكم فارسى ، وليس كما ذكر المؤلف بهذا الاسم أو انه ألف للآتابك نصره الدين أحمد . على أية حال فالكتاب قيم ويشمل أربعة فنون الأول في العروض الفارسية والثانى في قوافيها والثالث في علم البديع والصناعة والآخر في معجم اللفظ الفارسي ، وشواهد الكتاب كلها تقريباً من وضع المؤلف . وقد نهج المؤلف نهج الأسدي الطوسي في ترتيبه الألفاظ في الفن الرابع من كتابه اذ جعله حسب الحرف الأخير للكلمة ، وجعل كل حرف باباً ونظم الأبواب حسب ترتيبها الأبجدي .

(١) تجارب السلف الم ألف عام (٧٤٤هـ) هو ترجمة لكتاب منية الفضلاء في تاريخ الخلفاء والوزراء المعروف بالتاريخ الفخرى لابن الطقطقى الذى ألفه عام (٧٠١هـ) . ولم يقتيد المترجم هندوشاه حرفياً بالأصل بل حذف أجزاء منه وزاد عليه وأورد حكايات وقصصاً لم ترد فيه . ونثر الكتاب سهل مسلسل وأنشأه بليغ وهذب .

(٢) مؤلف الكتاب السابق هو محمد بن فخر الدين هندوشاه النخجو من مؤرخى القرن الثامن وإن لم يذكر له كتاب غير كتابه السابق .

أسماء أتابكة اللور الكبار

- ١ - أبو طاهر حدود عام (٥٥٥٠)
- ٢ - الأتابك هزار اسب بن أبي طاهر (حتى عام ٦٢٦هـ)
- ٣ - عماد الدين بهلوان بن هزار اسب (٦٢٦ - ٦٤٦هـ)
- ٤ - نصره الدين كلجه بن هزار اسب (٦٤٦ - ٦٤٩هـ)
- ٥ - تكله بن هزار اسب (٦٤٩ - ٦٥٦هـ)
- ٦ - شمس الدين ألب أرغو بن هزار اسب (٦٥٦ - ٦٧٢هـ)
- ٧ - يوسف شاه بن ألب أرغو (٦٧٢ - ٦٨٨هـ)
- ٨ - افراسياب بن يوسف شاه (٦٨٨ - ٦٩٥هـ)
- ٩ - نصره الدين أحمد بن يوسف شاه (٦٩٥ - ٧٣٠هـ)
- ١٠ - يوسف شاه الثاني بن نصره الدين أحمد (٧٣٠ - ٧٤٠هـ)
- ١١ - افراسياب الثاني بن نصره الدين أحمد (٧٤٠ -)
- ١٢ - نور الورد بن سليمان شاه بن الأتابك أحمد (٧٥٧ - ٧٥٧هـ)
- ١٣ - الأتابك بشنك بن سلغر شاه بن الأتابك أحمد (٧٥٧ - ٧٩٢هـ)
- ١٤ - بير أحمد بن الأتابك بشنك (٧٩٢ - ٧٩٨هـ)
- ١٥ - أبو سعيد بن بير أحمد (٨٢٠ -)
- ١٦ - شاه حسين بن أبي سعيد (٨٢٠ - ٨٢٧هـ)
- ١٧ - غياث الدين كاوس بن بشنك

أما شعبة اللور الضغار فمع أن بضعة نفر أقوياء ظهوروا فيهم ودامت
أمارتهم مددا أطول لكنهم لم يبلغوا مرتبة اللور الكبار أسما أو رسما .

٥ - التشوبانيون

لم يزد التشوبانيون كما سبق القول عن أميرين أولهما أمير شيوخ حسن بن أمير تيمور تاش بن أمير تشوبان سلدوز والذي سبق تفصيله أحواله وأعوانه ، وثانيهما أخوه ملك أشرف الذي هاجم فارس أيام قتل أخيه لأخذ شیراز فلما بلغه خبر قتل أخيه عام (٧٤٤هـ) عاد إلى تبريز وخلف أخاه كما مر ونادى بمن كان اسمه انوشيروان ايلخان باسم انوشيروان العادل وبعد قليل عزل العادل واستقل بالأمر .

وحكم ملك أشرف أربعة عشر عاماً (٧٤٤ - ٧٥٨هـ) في آذربايجان بسفك الدماء والظلم والجهل ولم ينقض على امارته ثلاث أو أربع سنوات حتى جلى غالب أهل تبريز تماماً لجوره عن بلدهم وأعقب الهجرة ظهور وباء عظيم في (٧٤٧هـ) فيها فسقطت تبريز تماماً من أهميتها وعمارها ولم يسع ملك في هذه الحال الا لجمع المال وايداء الناس .

وفي (٧٤٨هـ) فكر ملك أشرف أن يستولى على بغداد من أمير شيوخ حسن الكبير الايلكاني فهاجمها لتحقيق قصده ، وفزع حسن من ظهور جنود أشرف المفاجيء فقرر الذهاب إلى الروم ويتحصن بقلعة كماخ الا أن زوجه دلشاد خاتون منعته من الفرار وأحكمت أسوار بغداد وتأهبوا لصد أشرف ، ولم يحقق جنود أشرف شيئاً أمام استعداد جنود شيوخ حسن وثباتهم بل لم يستطيعوا مقاومة هجماتهم فعادوا إلى آذربايجان منهزمين .

ولما عاد ملك أشرف إلى تبريز قسم مملكته بين أمرائه لكي يستخرجوا من بلادها أموالاً يرسلون بها إليه ومع ذلك فكان يقيدهم ويستولى على ما معهم ثم يبعث بغيرهم بدلاً منهم وكان كلما سمع أن أحد الناس عنده مال لم يهدأ الا حين يأخذ ماله ولم يكن يقصد في الغالب من مهاجمة البلاد غير القتل والنهب حتى أنه هاجم شروان مراراً فلما لم

يستطعم السيطرة على أميرها وقلاعها نهب قراها حتى حدود بلاد الكرج .

وفي (٧٩١هـ) قصد أشرف أصفهان ليضمها إليه فقاومه أهلها ولما رأى منعتها عليه قنع أن يخطب له فيها ويسك عملتها باسمه وعاد إلى تبريز وقتل جماعة من الأمراء والناس وقد حبسهم قبل ويمم إلى قرا باغ .

وفاض بأهل تبريز من ظلم ملك أشرف وفسقه ولم يطق علماءها وزهادها تحمل مظالمه فانطلقوا منها باحثين عن راحتهم منه بأي وسيلة فاستمدوا (جاني بيك خان أوزبك) الملك المغولي المسلم للقبجاق وكان رجلا دينيا محبا للفضل فأعد جاني بيك جنودا في ظرف شهر وأرسلهم إلى آذربايجان في (٧٥٨هـ) عن طريق دربند .

ولما علم أشرف بوصول جند جاني بيك حمل الأموال العظيمة التي جمعها بالجور والخبز أربعمئة بخل وألف بعير ووجهها إلى خوى وعسكر هو بأوجان ، وعصف جنود جاني بيك بيسر بجيش أشرف ، فبعجل أشرف عقب خزائنه لكنه أسر في خوى وأعيد إلى تبريز وتجرع الكأس التي أذاقها الناس وذلك باصرار حاكم شروان وصارت خزائنه ونفائسه نصيب الخالين (١) وزال الأمراء التشويانيون .

وبعد قليل أخذ جاني بيك تيمور تاش بن ملك أشرف وسلطان بخت ابنته معه في طريقه إلى شهر غازان وترك ابنه (بردي بيك) على رأس خمسين ألف جندي في آذربايجان إلا أن بردي بيك عاد إلى القبجاق بعد قليل بسبب مرض والده وبقى (أخي جوق) نائبه في

(١) قيل في ذلك : أرايت ما فعل أشرف الحضار

نال المظالم ونال غيره المال ؟

وبالفارسية : ديدى كنه جة كرد اشرف خر

أو مظلمة برد وديكرى زر (سيافى)

وفي نص البيت الفارسي بالأصل (أشرف خر) أي أشرف الحرولاتفاسب هذه الصيغة المقام فقلنا (أشرف خر) أي أشرف الحضار لقرب دلالتها .

تبصير (١) •

الأميران التشوبانيان

١ — أمير شيخ حسن كوجك أو الصغير بن تيمور تاش بن أمير تشوبان
(من ٧٣٨ حتى ٧٤٤ هـ)

٢ — ملك أشرف أخو شيخ حسن
(من ٧٤٤ حتى ٧٥٨ هـ)

٦ — الأمراء الايلكانيون أو آل جلاير

أشهر أسرة ظهرت في الفترة بين انهيار ايلخانات ايران وظهور
تيمور الكوركاني عن تجزئ دولة الايلخانات الكبرى هي أسرة آل جلاير
أو الايلكانيين التي ذكرنا فيما سبق نبذة عن مؤسسها شيخ حسن بن
أمير حسين آقبوقا المعروف بشيخ حسن بزرگ أو الكبير وخلاصة عن

(١) لفظ (أخي) المرادف للفتى أول من أطلق عليه من الصوفية هو
(أخي فرج زنجاني) المتوفى (٤٥٧ هـ). انظر صفحات الأتس للجامي بخطوط
مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (٥٦٩ غا) ورقة ٧٠٠ أ و ٦٩ ب . والاول
من استخدم لفظ (أخي) يريد به الفتى والأخيه يعني بها الفتوة هو شهاب
الدين السهروردي (المتوفى ٦٣٢ هـ). في كتابيه الفارسيين (رسالة الفتوة).
والكتاب في الفتوة. ولما زار ابن بطوطة الأناضول عام (٧٣٤ هـ) وصادف
الفتيان وأهل الفتوة بهم وجد كلا منهم يسمى نفسه بـ (أخي) بدلا من (فتى)
فذكرهم في رحلته على أنهم (الفتيان الأخية) قائلا (واحد الأخية (أخي).
على لفظ الأخ. إذ أضافه المتكلم إلى نفسه). (مذهب رحلة ابن بطوطة لأحمد
العوامري وزميله — مصر (١٩٤٤) ١٤٤). فالكلمة عربية وليست كما ادعى بعض
المستشرقين مثل بروكلمان وودني وشايدر وجيزه وتاثير من درسوا الفتوة
أنها تركية أتت من اللفظة الأويغورية (أقي) بمعنى السخي . وقد تلقب
الغزاة والمقاتلون بهذا الاسم عن أهل الفتوة والغزو كما صادفنا في هفت
الوضع (أخي جوق) أي الأخ الكبير بالتركية كما تلقب به المتصوفة وأرباب
الحرف وأطلق على أسرات في الأناضول في القرن الحادي عشر وأماكن
مختلفة به وبالروملی . (انظر لزيد من التفاصيل رسالة المترجم للحكومي
(جوامع الفتوة في الأناضول) ص ٤ — ٦ ، ٩٦ .

أبيه أمير حسين كوركان (بمعنى صهر أرغون خان) وجدده آقبوقا . أما أبو آقبوقا فهو ايلكانويان أو الأمير ايلكا وكان من قبيلة جلاير وأحد القواد الذين صاحبوا هولاءكو الى إيران ، ولذلك تسمى هذه الأسرة بالايلكانيين وآل جلاير وينبغى التفريق بين الايلكانيين هؤلاء والايلكانيين أتباع الايلكانات أعقاب هولاءكو فى إيران .

حكم أمير شيخ حسن بزرگ سبع سنوات (٧٤٠ - ٧٥٧هـ) فى العراق العربى مستقلا لما كان متزوجا بدلتشاد خاتون زوجة أبى سعيد سابقا وكان أصلا من قبيلة جلاير المغولية وينتسب لايلكانات من ناحية أمه فقد اعتبر نفسه أخرى من غيره بخلافتهم ، ومع أنه فى نهاية الأمر أسس دولة قوية الى حد ما الا أن دولة أولاده لم تثبت من ناحية اتساع الملك والقوة الحربية والسياسية بقدر اشتهارهم بحب الشعر وتشجيعهم لبضعة نفر من شعراء الفارسية مثل الجافظ الشيرازى ومحمد العصار (١) وشرف الدين الرامى وسلمان الساوجى (٢) وعبيد الزاكاني ، وقد أشهرتهم خاصة قصائد مدح جمال الدين سلمان الساوجى أكثر من غيرها .

(١) العصار المتوفى (٧٨٣هـ) هو شمس الدين محمد من الشعراء المتصوفة فى تبريز ، له مثنوى اسمه (مهر ومشتري) أى الشمس والمشتري اهدحه الشاعر المعروف عبيد الرحمن الجامى من أشهر شعراء القرن التاسع الهجرى وسوف يشار اليه .

(٢) الساوجى هو جمال الدين سلمان بن علاء الدين من كبار شعراء القرن الثامن كان فى خدمة غياث الدين وزير السلطان أبى سعيد بهادر أول الأمر ثم لحق بعد موت الوزير ببلاط آل جلاير ، ويعتد الساوجى أكبر شعراء القصيدة الايرانية بعد المغول وقبل العصر الصفوى ، انتهج نهج الانسورى وقلد المولتشرى أيضا ، وله قصائد فى حمد الله ومدح الرسول والائمة ولم يكن هذا معولا به قبله . وكان الساوجى أستاذا فى الغزل وموضع اهتمام الجافظ الشيرازى . وفى غزليات الشاعر موضوعات طريفة وتشبيهات مبتكرة كثيرة . وله غير القصائد والغزليات ترجيعات وتركيبات وقطع ومثنويات . وغلوق ديوان شعره له مثنوى اسمه جمشيد وخورشيد أى جمشيد والشمس الفه لأويس عام (٧٦٣هـ) وغراقنامه الفه عام (٧٧٠هـ) له أيضا .

وفي مدة حكم حسن الكبير المستقل التي بلغت سبع عشرة سنة في العراق كانت زوجه المدبرة تدير غالب الأمور وعملت هذه المرأة التي ظلت تعيش حتى قبل موت زوجها بعامين على تشجيع الشعراء ببغداد وتعميرها ونشر أعمال الخير والبر ، وأحد أقسام ديوان سلمان الساوجي الهامة يتعلق بمدح هذه السيدة • وقد توفي حسن الكبير عام (٧٥٧هـ) •

معز الدين أويس (٧٥٧ - ٧٧٦هـ) :-

استقر في اماره شيخ حسن بعد وفاته ابنه معز الدين أويس الذي ولدته دلشاد خاتون عام (٧٣٩هـ) وكان يناهز حين مات أبوه التاسعة عشرة وهذا الأمير الشاب هو أشهر أمراء جلاير بعد أبيه لأنه كان أميراً أحسنت تربيته محباً للشعر والشعراء وتعلم في تعلم الأدب الى الشاعر سلمان الساوجي وقد تعلق بهذا الشاعر تعلقاً جعله يصطحبه في أغلب أسفاره وسلك الشاعر فتوحات السلطان ومقاماته في عقد النظم في قصائده •

فتح تبريز في (٧٥٩هـ) :

في ربيع (٧٥٩هـ) قدم السلطان أويس بجيش كبير تبريز ليطرد عنها أخى جوق نائب بردى بيك الأوزبكي فجعل أخى جوق مع جماعة من الأمراء والبقية الباقية من جيش أمير أشرف التتوباني لصدده واحتدمت الحرب بين الفريقين في المعابر الضيقة الواقعة بين بلاد الكرد و آذربايجان • ولم يتبين في اليوم الأول نصر حاسم لأحدهما غير أن أخى جوق هرب الى تبريز صباح اليوم التالي فتعقبه أويس • ولما عاد أخى جوق لم يكف بدوره عن ظلم الناس والاضرار بهم وأخلى تبريز وفر الى نخجوان فدخل أويس تبريز في رمضان (٧٥٩هـ) واستقر في الربع الرشيدى وأهلك نحو سبعة وأربعين أميراً منافقاً من أمراء ملك أشرف وهربت البقية الى أخى جوق •

وأرسل أويس أحد أمرائه في عقب أخى جوق والأمراء الفارين لكن الأمير تلكاً في مسيره وتهاون في الحرب فوقعت عليه الهزيمة وأجبر أويس على العودة الى بغداد في الشتاء وترك آذربايجان مرغماً لأخى جوق •

وفي السنة التالية كما سبق القول هاجم مبارز الدين المظفرى آذربايجان واستولى على تبريز لكنه ما ان سمع بأوبة أويس اليها من بغداد حتى أخلى آذربايجان وعاد الى شيراز وضم أويس تبريز اليه ثانية وصارت من هذه الواقعة آذربايجان وأران وهوغان تبعاً لآل جلدير وانبسطت حدودهم الى السلطانية وشاطيء بحر الخزر شرقاً •

وفي (٧٦٥هـ) أم داويس كما سبق شاه محمود المظفرى ولما طرد محمود بمدده شاه شجاع عن شيراز زادت أهمية أويس عن ذى قبل وطوى صيته حتى كرمان وسواحل الخليج الفارسي • واستخلص أويس في (٧٦٦هـ) بعون قرا محمد التركمان بغداد من حاكمها العاصى واستحوذ أيضاً على ولايتى موث والموصل من يد (بيرام خواجه) أخى قرا محمد التركمان وفتح أمراؤه في هذا الوقت نفسه شروان أيضاً •

وجلب أويس بترويجيه ابنته لمحمود المظفرى الذى كان يحكم أصفهان وينافس شاه شجاع محموداً ذاك تحت نفوذه وفي (٧٧٢هـ) أخذ الرى كذلك من يد (أمير ولى) أحد أمراء طغا تيمور خان أمير جرجان •

وفاة أويس في (٧٧٦هـ) :

في (٧٧٤هـ) قدم أمير ولى الى عراق العجم ثانية لاستخلاصها وأخذ مدينة ساوه وعاد الى جرجان ، فانتقل السلطان أويس لاقتلاع جذور فسادة في ربيع الثانى (٧٧٦هـ) من تبريز الى الربع الرشيدي لكنه أصيب بالمرض أثناء هذا فمات في غرة جمادى الأولى بعد تسعة عشر عاماً من الحكم •

كان شيخ أويس بهادر خان أحد الأمراء المشيدين المحبين للشعر

والشعراء المهتمين بهم وكان هو نفسه كما سبق القول ينظم الشعر ،
وفي عهده أقيمت علاقات سياسية وتجارية بين بغداد وتبريز من ناحية
ومصر ومدينة البندقية من ناحية أخرى • وقد أنشأ يمدح أويس شعراء
من قبل سلمان الساوجي ومحمد العصار وعبيد الزاكاني وشرف الدين
الرامي وقد عاشوا في حكمه ودولته •

السلطان حسين (٧٧٦ — ٧٨٤هـ) :

أوصى أويس في موته بتولى ابنه الأكبر (شيخ حسن) حكم بغداد
وابنه الأصغر (حسين) عهده ، فقال الأمراء ان شيخ حسن هو الأكبر
ولن ينقاد للأمر ، فقال أويس (أنتم عارفون) وما أن سمع الأمراء
قولته هذه حتى قيدوا شيخ حسن وقتلوه بعيد موت أويس فخلف حسين
أباه •

كانت طوائف التركمان المختلفة قد حظيت بالقوة في عهد السلطان
أويس في جنوب بحيرة وان وحوالي سنجار وموش والموصل وصار أحد
رؤسائهم وهو قرا محمد كما رأينا من أتباع أويس • فلما مات أويس
وحد قرا محمد وأخوه بيرام خواجه التراكمة المطيعين لهم المسمين بالقرا
قويونلو (أو أصحاب الخراف السوداء) تحت قيادتهما فاستولوا
على عدد من القلاع الواقعة حول مساكن قبيلتهم ووضعوا من الناحيتين
البلاد المجاورة لهم المتعلقة بالايلكانيين أي العراق وأذربايجان تحت
تهديدهم •

وفي (٧٧٧هـ) زحف سلطان حسين الى غرب بحيرة وان لاستئصال
شأفة التركمان القراقويونلو واستولى على بعض قلاعهم فطلب الأمير
قرا محمد الصلح ودخل طاعته عندما قابله وأهداه ألف رأس من الخراف
فعاد حسين الى أذربايجان •

وفي نفس العام الأخير تحرك شاه شجاع كما سبق شرحه بايعاز
من أهل تبريز الساخطين على السلطان حسين لهوه وعدم اهتمامه الى

آذربايجان فهزم السلطان ودخل تبريز لكنه عجل بعودته عند سماعه عصيان شاه يحيى بفارس فأعاد حسين سيطرته الى تبريز وبعد صلحه مع شاه شجاع زوج ابنته لزين العابدين ولد شجاع .

وفي (٥٧٧٨ هـ) ارتحل حسين الى (جمي أوجان) لقضاء الربيع وعجل اليه عادل آقا حاكم السلطانية ، فثار بعض امراء السلطان على عادل آقا لاحتيازه قوة ونفوذا كبيرين . وقفل عادل آقا راجعا الى السلطانية وأعطى شاه منصور بن شاه مظفر المظفرى الذى لجأ اليه قبل حكم همدان ودفعه لصد الأمراء العاصين على رأس جيشه . ولم يكن هؤلاء الأمراء العصاة على وفاء للسلطان حسين أيضا . فترك السلطان أوجان الى تبريز خوفا منهم فأقبلوا الى معسكر السلطان ونهبوه وتوجهوا منه صوب بغداد وأخبر السلطان عادل آقا بما حدث . وأوقع شاه منصور بالأمراء العصاة في بلاد الكرد هزيمة وفي أسره ثم أمر السلطان أمر الآقا بقتلهم فقتلهم عادل جميعا وزاد في عين السلطان احتراما .

وفي نفس العام (٥٧٧٨ هـ) تمرد أيضا بعض الأمراء الجلايريين في العراق العربى على السلطان واستولوا على بغداد . فزحف السلطان حسين وعادل آقا في (٥٧٨٢ هـ) بجيش كبير من تبريز الى بغداد وهرب العصاة الى شوشتر وقد عجزوا عن الثبات وبقي السلطان ببغداد وذهب في عقبهم عادل آقا الى خوزستان وأدبهم ، وعاد الى السلطانية لما كان مغاضبا من السلطان .

قتل السلطان حسين في (٥٧٨٤ هـ) :

عاد حسين الى تبريز وأرسل بأغلب جيشه الى السلطانية لاستمالة عادل آقا ليعاونوه في أخذ بعض قلاع الرى من قبضة أمير ولى ، ولم يكن في هذا الحين من أمراء السلطان وجنوده أحد تقريبا في تبريز

مما جعل أخا السلطان أحمد يغادر المدينة خفية ويتجه الى أردبيل وموغان وأران ويعد جيشا ليعود به الى تبريز . وباغت أخاه بالهجوم فاقتاده اسيرا وفي الحادى عشر من صفر (٧٨٤هـ) أهلكه وجلس مكانه باسم السلطان احمد .

السلطان احمد (٧٨٤ — ٨١٣هـ) :

بعد مقتل السلطان حسين هرب أخ له آخر هو أبو يزيد خوفا من تبريز الى السلطانية لدى عادل آقا فنصبه فى الملك وقدم به الى تبريز لمقاتلة السلطان احمد . وبدأ احمد باجتذاب بعض القواد المرافقين لعادل آقا اليه فأوهن هذا من قوته وجعله يعود الى السلطانية . وبين ذلك حرض عادل الأمراء العصاة بالعراق وبغداد على مخالفة أحمد فهاجموا آذربايجان ونالوه بالانكسار فهرب احمد الى نحجوان عن طريق خوى ولاقى فيها قرا محمد تركمان واستمده ، فعاد ثانية الى تبريز بهزيمة قرا محمد للعصاة .

وبعد فترة قصيرة صالح السلطان احمد عادل آقا الا أن الأخير لم يهتم بالأمر واقترب الى تبريز وأتاه أمراء بغداد مجتمعين على أحمد مما أجبره على الفرار الى موغان وأران . وفى النهاية تدخل أمير الأبخاز بين الطرفين للمصالح وقرر أن تكون آذربايجان للسلطان احمد على وجه الاستقلال وعراق العجم للسلطان أبى يزيد محمى عادل آقا وعراق العرب لأحمد وعادل مشتركين فى ادارتها .

وسخط عادل آقا على السلطان احمد استبداده وسفكه فأتى بجيشه آذربايجان وواجه السلطان على مقربة من مراغة وغلب السلطان وآب عادل الى السلطانية وخلاها خوفا الى همدان ومنها راسل شاه شجاع يحرضه على فتح آذربايجان ، فقدم شجاع الى تبريز فأخفض له أحمد جناح المودة فمنع عادل آقا عن مباشرة الأمور وبعد فترة وجيزة استولى أحمد على السلطانية .

وفي نفس هذه الأيام تناهت أخبار قدوم جنود الأمير تيمسور الكوركاني من بلاد ما وراء النهر إلى خراسان وتقدمه منها إلى قومس والري وبلغ رسله تبريز لملاقاة السلطان أحمد * وأرسل أحمد رسل الأمير التيموري إلى بغداد ثم تعقبهم ليلقاهم بها ويفاوضهم * وأفساد عادل من غياب أحمد فاستعاد السلطانية من عماله وخالفه وبقيت السلطانية وقلعتها بيده حتى مجيء تيمور إليها *

وقضى السلطان أحمد من عام (٥٧٨٨ هـ) حتى (٥٨١٣ هـ) حين قتل بيد قرايوسف التركمان في تطواف حائر وقتال أعدائه ويأس وقنوط * وسيطر الأمير تيمور في (٥٧٨٨ هـ) على آذربايجان وأخرجها تماما عن تمك آل جلاير فأنحصر ملك أحمد في عراق العرب وبعد سبعة أعوام من هذا دخلت بغداد طاعة الأمير الكوركاني ففر أحمد إلى مصر ولم يجرؤ على أمر ما بقي تيمور حيا ، وما أن سمع بموته حتى عاد إلى بلاده السابقة واستعاد العراق العربي وحكم في بغداد خمس سنين أخرى * بيد أن عداوة برزت بينه وبين قرايوسف التركماني فجرت الحرب بينهما في تبريز وقتل أحمد في (٥٨١٣ هـ) ويعد في الحقيقة آخر أمير للأسرة الأيلكانية برغم أن بضعة نفر من الأمراء الأيلكانيين بعد قتله تولوا السلطة *

الأمراء الأيلكانيون أو آل جلاير

- ١ — أمير شيخ حسن برزك أو الكبير بن أمير حسين بن آقبوقا بن ايلكان (٧٤٠ — ٧٥٧ هـ)
- ٢ — السلطان شيخ أويس بن شيخ حسن (٧٥٧ — ٧٧٦ هـ)
- ٣ — السلطان حسين بن شيخ أويس (٧٧٦ — ٧٨٤ هـ)
- ٤ — السلطان أحمد بن شيخ أويس (٧٨٤ — ٥٨١٣ هـ)
- ٥ — شاه ولد بن شيخ علي بن شيخ أويس (٨١٣ — ٥٨١٤ هـ)
- ٦ — السلطان أويس بن شاه ولد (٨١٤ — ٥٨٢٤ هـ)
- ٧ — السلطان محمود بن شاه ولد (٨٢٤ — ٥٨٢٧ هـ)
- ٨ — السلطان حسين بن علاء الدولة بن سلطان أحمد (٨٢٧ — ٥٨٣٦ هـ)

٧ - السربداريون والطغاثيموريون

بين أسر الأمراء الذين قضوا مدة من الأمانة والتسلط بعد انهيار الأيلخانات في بعض ولايات إيران كان السربداريون ومع أنهم غير محل للمقارنة بغيرهم من الأمراء من حيث اتساع الملك والقوة والشوكة ولا من ناحية دوام الحكم وعظمة الآثار ، لكن لأن لهم اعتبارا خاصا في تاريخ إيران قبل تشكل الأسرة الصفوية يتمثل في مناهضتهم لأهل السنة وخلافهم لهم وإعلانهم المذهب الشيعي وسعيهم لنشر آدابه وأحكامه ، وكانت بداية أمرهم على شكل دعوة مذهبية لها مزيدون ومشايخ على نحو عدهم روادا لمريدي الشيخ صفى الدين الأردبيلي وأولاده .

جعل أمراء هذه الأسرة من مدينة سبزوار التي اشتهرت منذ القدم بتشيع أهلها (١) مركزا لهم ووثقوا علاقاتهم مع الدراويش والشيوخ

(١) يضرب المثل في الغلو في التشيع بأهل سبزوار ، من ذلك حديث الإسفزاری . (من مؤرخي القرن التاسع) في كتابه الفارسي (روضات الجنات في أوصاف مدينة هراة) عن أهل سبزوار ، يقول (وسبزوار ولاية متميزة بمناغمها ومزارعها المرغوبة ، ولكن أهلها أصحاب غلو تام في الرفض كما يحكى أن السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان عاتبهم على رفضهم فأنكروا قتال إذا كان قولكم صدقا وأنكم لا تدينون بالرفض فأمثلوا أمامي من يسهى بأبي بكر من أهالي ولايتكم حتى أصدقكم . فآخذ هؤلاء في البحث وجدوا في الطلب وفي النهاية وجدوا من يسمى بأبي بكر وكان القى به تحت زرع يعترية المرض والفقر ، قد بلغ الضعف منه مبلغه حتى سقم جسمه ونحل بدنه بسبب مرضه وجفائهم له . فحملوه على محفة وأشخصوا به إلى السلطان . فلما رآه سألهم : من هذا الذي ليس بميت ولا حي ؟ قالوا : اعذرنا أيها السلطان فلا يوجد في ولايتنا (أبو بكر) أفضل وأصح ممن تراه . . (راجع كتابه المذكور المذكور لمزيد من التفاصيل ص ٢٧٧ - ٢٧٩) وفي (رشحات عين الحياة) من تأليف علي بن الحسين الواعظ (من أقباء القرنين التاسع والعاشر) تذكر على أهل سبزوار في رفضهم وغلوهم في التشيع في صورة حكايات أيضا منها أن سنيا جلس يستريح في ظل جدار في سبزوار ، وبعد لحظة رفع رأسه فوجد من يجلس على أعلى الجدار وقد كتب اسمي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على كف قدمه . فلم يطق السنى وأخرج مديته وضرب بها قدمه ، فصرخ الرافضي واجتمع عليه الرافضة . ولما رأى السنى أنه هالك بين هذه الجموع أن لم يصطنع الحيلة قال أنه لم يطق أن يرى أسماء يهتفون فوق رأسه فغضب وضرب قدمه ليبعدها من فوقه . فجعل الرافض يلثمون يديه لقوة اعتقاده ، وخلص منهم بهذه الحيلة (رشحات عين الحياة مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (٥١٠) ورقة ١٨٨ .

الذي شهروا بحب آل علي ، وحثوا الشعراء على مدح أهل البيت وكاتبوا بعضا من علماء الشيعة خارج إيران لاسيما في جبل عامل الذي كان مركزا هاما للشيعة في ذاك الحين واستقدموهم لارشاد الناس وإجراء شعائر دين الشيعة إلى خراسان ، وأسفرت هذه الدعوة عن تأليف الفقيه المعروف (الشهيد الأول الشيخ شمس الدين محمد المكي) المقتول في (٧٨٦هـ) كتابه المشهور (اللمعة الدمشقية) باسم السلطان علي المؤيد السربداري وأرسله إلى خراسان حتى يعمل شيعتها طبق الفتاوى المدرجة به ، وهذا الكتاب وشرحه كما سيمر من أشهر الكتب الفقهية للطائفة الامامية أي الشيعة الاثنى عشرية وما يزال شرح اللمعة الدمشقية من الكتب الدراسية معتبرة .

كان أحد السادات الأثرياء واسمه (خواجه فضل الله) ينتسب إلى الامام الحسين من ناحية أبيه وإلى يحيى بن خالد البرمكي من ناحية أمه مستقرا بقرية باشتين إحدى قرى سبزوار حينما كانت سوق أصحاب الشيخ حسن الجوري الداعين الناس إلى الثورة على أهل السنة وقصر أيدي الظلمة في رواجها وكان أحد أبنائه وهو أمين الدين عبد الرازق يعيش في بلاط أبي سعيد خان ، وقبل موت أبي سعيد كلف عبد الرازق بمأمورية ديوانية فأرسله إلى كرمان ليأتي بأموالها إلى الديوان ، فجمع عبد الرازق أموال كرمان وكان رجلا لا هيبا مسرفا فأنفق كل هذه الأموال ظلما وعدوانا وكان يفكر في جواب يتعلل به للديوان حينما وافاه خبر موت أبي سعيد فنفضت فيه هذه البشري روحا جديدة وأتى سبزوار فرأى أن اخوته قتلوا مبعوث وزير خراسان (خواجه علاء الدين محمد) وكان سبب قتل هذا المبعوث أنه طلب منهم خمرا وحسنا فلم يتحملوا جرائته وقتلوه فاستصوب عبد الرازق ما فعله اخوته وضموا اليهم جماعة من شجعان بيهق وتآزرت هذه الجماعة قائلة (اذا وفقنا فلسوف نقضي على ظلم الظالمين والا نرى رؤوسنا على المشانق فلن نتحمل ظلما

ولا جورا بعد اليوم) ولهذا عرفوا باسم السريداريين (١) .

واختارت جماعة السريداريين أمين الدين عبد الرازق في الثاني عشر لشهر شعبان (٧٣٧ هـ) رئيسا لها وبدأوا حينما لم يكن عددهم كبيرا وقوتهم شديدة عصيانهم بشكل الانقضاخ على قوافل وأموال من عرفوا بالظلم والجور وجمعوا بهذه الوسيلة الأموال والأسباب التي تؤدي إلى عصيان أكبر ، وزدت شوكتهم وقدرتهم تدريجا إلى أن تغلب عبد الرازق على الوزير علاء الدين محمد وزير خراسان وقتله ، وفي (٧٣٨ هـ) استولى على مدينة سبزوار ورفع راية الاستقلال .

وبعد هذا الانتصار الذي كان نصيب عبد الرازق تملكه الغرور والجبر وأراد أن يتزوج بابنة أحد أعيان خراسان بالقوة فلم تقبله البنت وهربت من سبزوار إلى نيشابور فبعث الأمير عبد الرازق أخاه الأمير وجيه الدين مسعود ليأتي بها ، فصادفها في نيشابور وأراد إرجاعها إلى سبزوار بالعنف فالتصفت منه الفتاة أن يتركها واستحلفت بحب أمير المؤمنين على ألا يمضي عزمه فأطلق مسعود سراحها وعاد إلى نيشابور ، فخاطبه الأمير عبد الرازق بغضب وسبه وقبحه فلم يتحمل رجيح الدين اهاناته ووثب على أخيه بخنجره فأرداه قتيلا في الثاني عشر من ذي الحجة (٧٣٨ هـ) وانتقلت إليه رئاسة السريداريين ودامت حكومة عبد الرازق عامين وشهرا واحدا .

وجيه الدين مسعود (٧٣٨ — ٧٤٤ هـ) :

امتاز الأمير وجيه الدين مسعود الباشتيني عن أخيه بحسن خلقه ومزيد شجاعته وكرمه وفتوته ولهذا علا أمره كثيرا ولما كان يود أن يقيم أساس دولته على التي هي أقوم اتصل بالشيخ حسن الجوري واستدعاه إلى سبزوار وجعله إمامه ومقتداه في مناهضة الظلمة وتعهده برئاسة

(١) سريدار حرفيا من رأسه على المشنقة .

طائفة الجورية الدنيوية وجمع جمعا آخر من الأئمة والمشايع والسادات في سبزوار حوله فاتحد الأمير والشيخ واستوليا على نيشابور في (٧٣٩هـ) وأفزعوا من الفاحيتين طغاتيمور خان ملك خراسان وجرجان والملك معز الدين كرت صاحب هراة والجبال خاصة وأن ثورتهم كانت ضد أهل السنة وكان هذان الملكان يعتبران نفسيهما حاميين للسنة وكانت قوة أي طائفة شيعية لاضرار رعاياهما وضدهما على طول الخط .

قنع طغاتيمور خان كما سبق شرحه في بداية حاله بجرجان وخراسان بعد الهزائم التي لقيها وأخوه الأمير على كاون بالعراق وكان يدير خراسان عن طريق عماله ادارة سيئة حتى حين قيام السريداريين . وبعد أن سارت الركبان بذكر قوة السريداريين في خراسان جمع طغاتيمور جيشا سيره بقيادة أخيه أمير على من جرجان الى سبزوار ، فخف الأمير مسعود والشيخ حسن الجوري في (٧٤١هـ) للقاء هذا الجيش ، وأصاب السريداريون الأمير عليا أخا طغاتيمور بالقتل في المعركة وبعد حرب شديدة تغلبوا على جنوده وهزموهم وعادوا بغنائم كثيرة الى سبزوار وقد زادهم هذا النصر شهرة في خراسان عن ذي قبل وزاد عدد التابعين لهم .

وزحف الأمير وجيه الدين مسعود والشيخ حسن الجوري بعد قتل الأمير على كاون وغلبة جيش جرجان نحو طغاتيمور فغلباه أيضا على شاطيء نهر أترك وفر طغاتيمور تجاه لار ورودبار قصران وخرجت خراسان وجرجان عن سيطرته تماما .

حرب الأمير مسعود للملك حسين كرت في (٧٤٣هـ) :

وبعد الاستيلاء على خراسان وجرجان توجه الأمير مسعود والشيخ حسن الجوري للسيطرة على هراة واستخلاص بلاد غرجستان والجبيل وكانت بيد الملك معز الدين حسين كرت وكان أغلب أهدافهم من

هذا الغزو القضاء على الملك حسين الذي يجد في ترويع المذهب السنني وتقويته جدا بليغا ، وجرت الحرب بين الطرفين على بعد فرسخين من (زاوه) من بلاد خواف في الثالث عشر من صفر (٧٤٣هـ) وهزم السريديون وعاد الملك معز الدين بعد قتال قصير في خراسان الى هراة .

وكان انهزام جيش السريديين في واقعة زاوه مقدمة انهيار دولتهم في خراسان لأن أهل الناس كان في زيادة ثبوكة هذه الأسرة واعتبارهم ليكونوا سدا أمام هجوم أتراك ما وراء النهر وجنود تيمور الذين كانوا في بداية ظهورهم الا أن هزيمة زاوه بدلت هذا الأمل الى يأس .

وهاجم الأمير مسعود في أواخر (٧٤٣هـ) مازندران ليستولي عليها وبدأ بآمل لكن جيشه أصيب بضربات شديدة في النهاية بسبب وعورة الطرق وهجمات الرعية والأمراء بمازندران وسلك الأمير السريدي بعد مدة من الإقامة في الطريق سبيل الفرار لكنه سقط في يد أهل مازندران فأردوه في آخر ربيع الأول (٧٤٠هـ) قتيلا .

وبعد مقتل وجيه الدين مسعود أشهر أمراء السريديين تحولت قيادة هذه الجماعة الى نوابه وعلمانه فتداولوها واحدا بعد آخر بضعة أعوام ، وليس لهم اسم أو صفة يذكران حاشا آخرهم (خواجه علي مؤيد) الذي شهر لمناسبات مختلفة .

خواجه علي المؤيد (٧٦٦ - ٨٨٨هـ) :

كان الخواجه علي المؤيد السبزواري من أمراء وجيه الدين مسعود تحصل بين الناس على نفوذ وشهرة بسبب نسبه البارز وتدينه وقد بلغ شهرة فائقة وهو آخر السريديين وحكم مدة أطول ممن سبقه بسبب تعلقه الكامل بالتشيع وسعيه في نشر مناقب الأئمة وإقامة مراسم هذا

المذهب واحترام السادات •

ولما غير خواجه على في بداية حكمه اعتقاده في اتباع الشيخ حسن الجوري الذي سبق أن قتل في حرب زاوه ، قدم أحدهم في (٧٧٨هـ) الى فارس واستمد شاه شجاع فأمدّه وعاد الى خراسان واستولى لنفسه في (٧٧٩هـ) على سبزوار وأجرى الخطبة والعملة باسمه فقدم خواجه على الى مازندران واستعاد سبزوار بعون الأمير ولي الذي كان قد استولى على مازندران اذ ذاك وتسيطر مرة أخرى على هذه الناحية •

وضم خواجه على بلاده ولايات قازين وطبرستان وترشيز وقهستان ايضا واتسعت حدوده من الدامغان حتى سرخس ، وجرى صراع بينه وبين الأمير ولي مرارا وحصر الأخير سبزوار في النهاية فاستصرخ خواجه على الأمير تيمور كوركان ، فأتى خراسان بعد أربعة شهور من هذا الوقت أي في (٧٨٢هـ) فخف على لاستقباله وظل بركبته حتى سرخس ، ثم أصبح من هذا الأوان ملازما للأمير تيمور في كل هجماته وكان الأمير يحبه كذلك ويحترمه ، ومكث على نحو سبعة أعوام مع أقربائه في صحبة الأمير الكوركاني الى أن وافاه أجله في (٧٨٨هـ) في خرم آباد من لرستان أثناء حرب بعد أن أصيب بسهم فيها وانتهت بقتله الأسرة السريدارية •

كان على المؤيد ينصب في ترويج العلم والأدب ويجهد كما قلنا سابقا في احكام أصول المذهب الشيعي جهدا بليغا وكان على ترابيل مع الشيخ الشهيد المكي يدعوّه الى المجيء الى خراسان وألف الشيخ كتابه اللعة الدمشقية باسمه وأرسل به اليه بخراسان •

أسماء الأمراء السريداريين وأيام كل منهم .

- ١ — الخواجه عبد الرازق الباشتيني (٧٣٦ — ٨٧٣٨)
- ٢ — الخواجه وجيه الدين مسعود أخوه (٧٣٨ — ٨٧٤٥)
- ٣ — الآغا محمد آيتمور (٧٤٥ — ٨٧٤٧)
- ٤ — الخواجه شمس الدين أخو عبد الرازق (٧٤٧ — ٨٧٤٩)
- ٥ — الخواجه شمس الدين على الجشمي (٧٤٩ — ٨٧٥٣)
- ٦ — الخواجه يحيى الكرابي (٧٥٣ — ٨٧٥٩)
- ٧ — الخواجه ظهير الكرابي أخو الخواجه يحيى (٧٥٩ — ٨٧٦٠)
- ٨ — بهلوان حيدر القصاب (٧٦٠ — ٨٧٦١)
- ٩ — ميرزا لطف الله بن الخواجه مسعود (٧٦١ — ٨٧٦٢)
- ١٠ — بهلوان حسن الدامغانى (٧٦٢ — ٨٧٦٦)
- ١١ — الخواجه نجم الدين على المؤيد (٧٦٦ — ٨٧٨٨)

أما طائفة طغاتيمور أو طغاتيمورخان حفيد أخى جنكيز وأبنائه فبعد أن قتل طغاتيمور خان بيد الخواجه يحيى السريدارى فى (٨٧٥٤هـ) حكموا من (٨١٢هـ) فى جرجان وما حولها لأن الأمير ولى الذى طرد بعد طغاتيمور السريداريين من جرجان أجلس لقمان ولد طغاتيمور حاكما على جرجان الا أنه بعد قليل عزله من منصبه لما رأى عدم كفايته ، وفى (٨٧٨٦هـ) استولى الأمير تيمور على جرجان من الأمير ولى الذى ولى وجهه فارا الى تبريز وخلخال وقتل هناك بأمر تيمور وأعطى تيمور لقمان حكم جرجان وظل به حتى (٨٧٩٠هـ) وبعد موته حكم ابنه وحفيده أيضا حتى (٨١٢هـ) تحت حماية التيموريين جرجان واسترا باد مدة قليلة .

اسماء الامراء الطغاتيموريين وأيام كل منهم

- ١ — طغاتيمور خان بن ١٠٠٠ جوجى قسار أخى جنكيز
(٧٣٧ — ٥٧٥٤)
- ٢ — لقمان بادشاه بن طغاتيمور
(٧٦١ — ٥٧٩٠)
- ٣ — بيرك بادشاه بن لقمان بادشاه
(٧٩٠ — ٥٨١٠)
- ٤ — السلطان على بن بيرك بادشاه
(٨١٠ — ٥٨١٢)

الفصل الثامن

الحضارة والعلوم والصناعات في عصر استيلاء المغول

عهد المائتي عام الذي شرحنا أحداثه مع أنه أسوأ العهود التاريخية للبلاد الإسلامية إلا أنه يعد تكملة للقرون الالاءة للنهضة العلمية والأدبية للعصر العباسي ولم تظهر حتى ذاك العهد آثار الاستيلاء المغولي السيئة كما يتوجب مما جعله من أقوى العهود في تاريخ العلم والحكمة والأدب الايرانى ويمتاز من وجوه كثيرة خاصة من حيث تعدد ممثليه ذوى الدرجة الأولى الذين عايشوا هذا العهد عن غيره من العهود من مثل المولوى الرومى والسعدى والحافظ وعطا ملك الجوينى ورشيد الدين فضل الله الوزير وحمد الله المستوفى والعلامة قطب الدين الشيرازى ونصر الدين الطوسى ، ويمكن القول ان بعد انقضاء عصر هؤلاء العظماء الذى امتدت أعقابه حتى أواخر العهد التيمورى بدأ عهد انحطاط العلوم والأدب فى ايران وبلغ فى أيام السلاطين الصفويين والأفشاريين منتهى الضعف والتفاهة وفى هذه العهود الأخيرة فقط ظهرت آثار استيلاء المغول والتيموريين المخربة .

كبار هذا العهد

كبار هذا العهد عهد الاستيلاء المغولى من الكتاب والشعراء حتى العلماء وأهل الحكمة والعرفان كثرة كثيرة الى حد أن حصر أسمائهم جميعا وتفصيل أحوال سائرهم لا يتيسر لنا فى هذا الكتاب المختصر ولهذا نقنع بأسماء مشاهيرهم فى طى بضعة عناوين : —

١ - المؤرخون والكتاب

مؤرخو عهد المغول وهم الذين تقتصر مصادر معلوماتنا المتعلقة بهذا العهد على مؤلفاتهم القيمة كثيرون وتصانيفهم بعضها بالفارسية وبعضها بالعربية وأشهر المؤرخين الفارسيين اللغة هم :

منهاج السراج الجوزجاني مؤلف كتاب طبقات الناصري الذي صنفه هذا المؤلف بين سنتي (٦٥٧هـ) و (٦٥٨هـ) في السند باسم أحد حكامه المحليين في التاريخ العام ، ولما كان المؤلف معاصرا لهجوم المغول في إيران الشرقية وفر من أمامهم إلى الهند فقد أوسع القسم الأخير من كتابه المتعلق بهذا العهد كثيرا من المعلومات القيمة (١) .

علاء الدين عطا ملك الجويني (٦٢٣ - ٦٨١هـ) أخو شمس الدين محمد صاحب الديوان مؤلف كتاب تاريخ جهانكشاي الذي أتمه في (٦٥٥هـ) والذي يعد أحد الأعمال السامية في الفارسية في تاريخ الجنكيزيين حتى عهد المؤلف فضلا عن تاريخ الخوارزمشاهيين والاسماعيلية مع كثير من الفوائد الأخرى .

شهاب الدين عبد الله الوصاف الشيرازي والذي صنف كتابه التاريخي تذييلا لتاريخ جهانكشاي الجويني حتى عام (٧٢٨هـ) وإن كان تعبيره متكلفا ومصنوعا إلا أن موضوعاته في غاية الأهمية

(١) هو منهاج الدين عثمان بن محمد سراج الدين الجوزجاني المتوفى (٦٩٨هـ) من علماء خراسان هاجر إلى الهند أثناء الهجوم المغولي وأقام في بلاط ناصر الدين قباچه الذي نصبه في رئاسة المدرسة الفيروزية . ولما أغرق قباچه نفسه في السند وسقطت بلاده في يد التتمش أتى منهاج الأخير فرقى في بلاطه وألف كتابه طبقات الناصري باسم ناصر الدين محمود شاه ولد التتمش .

أما كتابه فهو تاريخ العالم آنذاك خاصة تاريخ الغزنويين والغوريين وخلفائهم في غزنة والهند فضلا عن احتوائه في الفصل الأخير منه وقائع شاهدها المؤلف تخص المغول وخاناتهم حتى عهد هولاكو .

• والاعتبار (١) •

الخواجه رشيد الدين فضل الله (٦٤٥ — ٧١٨ هـ) وزير غازان المشهور وأولجايتو وأبى سعيد مؤلف الكتاب العديم النظير جامع التواريخ فى التاريخ العام وتاريخ المغول والذى أنهاه المؤلف فى (٧١٠ هـ) ويعد خاصة جزؤه الدائر على تاريخ المغول والمسمى (تاريخ غازانى) أكثر المصادر اعتبارا وعظما فى أسانيده المتصلة بهذه الفترة •

حمد الله المستوفى القزوينى مؤلف كتابين أولهما تاريخ كزيده وهو خلاصة جامع التواريخ لرشيد الدين وثانيهما نزهة القلوب فى الجغرافيا والأول ألفه المستوفى سنة (٧٣٠ هـ) والثانى عام (٧٤٠ هـ) •

محمد بن على الشبانكارى مؤلف مجمع الأنساب باسم غياث الدين محمد (٢) •

الفخر البناكتى صاحب تاريخ روضة أولى الألباب الذى ألفه فى (٧١٧ هـ) •

(١) وشهرته وصاف الحضرة توفى (٧٣٠ هـ) ولد بشيراز حيث حصل العلم والأدب ثم لقى القربى عند غازان خان وأولجايتو بوساطة الوزير رشيد الدين فضل الله . وقد قدم كتابه تاريخ وصاف أو تهجيزية الأمصار وترجيية الأمصار عام (٧١٢ هـ) الى أولجايتو عن طريق وزيره أيضا وهو تذييل لتاريخ عطا ملك الجوينى يقع فى خمسة أجزاء ويشمل تاريخ ايلخانات ايران ويبدأ من حيث انتهى بجهانكشاى من عام (٦٥٦ هـ) وينتهى الى أواسط عهد أبى سعيد بهادر والى عيب على الكتاب تكلفه لكنه ينفرد بأثبات مراسلات الملوك أثناء قصة الوقائع فضلا عن ذكره الشعراء وحديثه من شعرهم ، وأبحاث الفلسفية والدينية .

(٢) ألف محمد بن على بن محمد الشبانكاره كتابه التاريخى مجمع الأنساب مرتين أحدهما عام (٧٣٣ هـ) والثانية (٧٤٣ هـ) لأن الكتاب فقد وقت الأمانة على منزل الوزير فيث الدين محمد بن رشيد الدين فضل الله ، فلجأ المؤلف الى إعادة تصنيفه من حافظته . والكتاب تاريخ عام من بدء الخليقة حتى وقت تأليفه ، وقسم المؤلف الملوك الى بضع طبقات والطبقات الى بضع مجموعات والمجموعات الى بضع طوائف وزاوج بسين التفصيل والإيجاز فى قص الوقائع وبين السهولة والصنعة فى أسلوبه .

شرف الدين فضل الله الحسيني القزويني مؤلف التاريخ المعجم
باسم الأتابك نصره الدين أحمد اللوري .

هندوشاه النخجواني صاحب كتاب تجارب السلف في تاريخ
الخلفاء والوزراء الذي صنفه في (٧٢٤هـ) باسم الأتابك نصره الدين أحمد
أيضا وهو أحد الكتب الكثيرة المعذوبة والفصاحة الفارسية.

معين الدين اليزدي (توفي عام ٧٨٩هـ) مؤلف تاريخ آل المظفر
باسم (مواهب الهيبة) (١) .

ابن البيبي صاحب كتاب سلجوقنامه أو تاريخ سلاجقة الروم (٣) .
ضياء البرني وله كتابان الأول (أخبار برمكيان) والثاني (تاريخ
فيروزشاهي) أو تاريخ الأسرة التغلقية من سلاطين دهلي .
ابن البزاز مصنف كتاب (صفوة الصفا) في مناقب الشيخ صفي
الدين الأردبيلي (٢) .

(١) معين الدين اليزدي المتوفى (٧٨٩هـ) ألف كتابه مواهب الهيبة
أو مواهب الهيبة عام (٧٥٧هـ) والذي يبدأ من بداية حكم الأسرة المظفرية
حتى قتال الشاه شجاع والشاه محمود وانتهاء المؤلف عام (٧٦٧هـ)
بناء على تشجيع الشاه الشجاع وأبيه مبارز الدين . وهذا الكتاب يمتاز
تاريخ وصاف في أنشائه المتكف المصنوع والاستعارات الغريبة لكنه مفيد
من الناحية التاريخية .

(٢) ابن بيبي هو نصر الدين يحيى عمل في دواوين سلاجقة الروم من
عهد مسعود الذي حكم من عام (٦٨١هـ / ١٢٨٢م) فصاعدا ، وشغل
رئاسة ديوان الطغراء ، وقد بلغ شأوا كبيرا أبوه نجم الدين في حكم كيقبادا
(٦١٦-٦٣٤هـ) حيث كان سفيره إلى حكام بغداد ودمشق والحشاشين بالموت
والغول ، ومات ابن بيبي عام (٦٨٤هـ) ودفن يقونية .
وكتابه يعد من إحدى الوثائق الهامة في تاريخ آل سبجوق وهو تلخيص
لكتابه التركي الفصل في تاريخهم أيضا ، وقد قام بإيجازه بنساء عن شكوى
أحد أصدقائه ضخامة الأصل التركي .

(٢) ابن البزاز هو توكل بن اسماعيل أحد الصوفية ألف كتابه هذا
بتشجيع من شيخ صدر الدين ولد صفي الدين الأردبيلي بعد أن خلفه في
منصب الإرشاد . ويحوي الكتاب مقدمة وأثنى عشر بابا يشمل كل منها
بضعة فصول في ذكر نسب وأصل وكرامات الشيخ وأحواله وتأويلاته للقرآن
وجذباته وسماحه وكراماته بعد موته . وهذا الكتاب أقدم المصادر التي أفاد
منها مؤرخو العهد الصفوي .

أحمد بن زركوب من معاصري شاه شيخ أبي اسحاق مصنف كتاب
(شيراز نامه) (١) وغيرهم كثيرون .

ومن الكتاب المشاهير لهذا العهد يتعين ذكر بضعة نفر منهم أبو نصر
الفراهي مؤلف المعجم المبالغ الشهرة (نصاب الصبيان) (٢) الذي كان
يعيش في تاريخ الشعراء الفرس وجوامع الحكايات في القصص الخلقى
والتاريخ والروايات (٣) ، ثم شمس قيس الرازي مؤلف كتاب المعجم
في معايير أشعار العجم في العروض والقافية والبديع الذي أنشأه
المؤلف في حدود (٦٣٠هـ) باسم الأتابك أبي بكر سعد بن زنكي (٤) ، ثم

(١) أبو العباس بن أبي الخير زركوب الشيرازي ألف كتابه شيرازنامه
في تاريخ وجغرافية شيراز نحو عام (٧٣٤هـ) باسم الوزير حاج قوام
الدولة . ويشمل الكتاب مقدمة وبضعة فصول في جغرافية شيراز وتاريخ
ملوك وأمراء فارس ومشايخ المدينة وفضلائها . ونثره خال من التصنيع
حين يقص التاريخ والوقائع التاريخية لكنه حين يمدح أو يصف يزدان بالبيان
والبديع .

(٢) أبو نصر محمد بن أبي بكر الفراهي نسبة إلى قرية غراهة من
سيستان المتوفى (٦٤٠هـ) أو (٦٤٦هـ) ألف كتابه نصاب الصبيان الفارسي
في الشعر العربي شاملاً مائتي بيت ، ولأن عدد المائتين درهماً هو حد نصاب
زكاة الفضة سمي المؤلف كتابه بالنصاب .

(٣) العوفي (متوفى ٦٣٥هـ) هو سيد الدين أو نور الدين محمد
وينتسب إلى عبد الرحمن بن عوف الصحابي المشهور ولد في النصف الثاني من
القرن السادس في بخارى حيث تعلم ثم هاجر إلى ما وراء النهر وخراسان
وسيستان ولاقى علماءها ثم إلى السند وقت الهجوم المغولي واتصل بقباجة
وظل في خدمته حتى (٦٢٥هـ) حين لحق بخدمة التتمش . وكان العوفي أديباً
ناثراً وشاعراً بقي عنه القصائد والقطعات ، وكتاب له لباب الألباب في سير
الشعراء الفرس من البداية حتى عهد تأليفه . وجزؤه الأول في شعر الملوك
والأمراء والوزراء العلماء والثاني للشعراء غيرهم البالغين مائة وتسعة
وستين

(٤) توفي شمس الرازي أواسط القرن السابع وولد بالسري وأقام
بما وراء النهر وبلاد العراق إلى أن صار من قدماء سعد بن زنكي وأبي بكر
أنفه ، ومن آثاره (كتاب الكافي في العروضين والقوافي) لعمله أصل كتابيه
المعجم في معايير أشعار العجم والمعرب في معايير أشعار العرب . والمعجم
من أجمع الكتب الفارسية في العروض والقافية ونقد الشعر قيم من ناحية
شواهد الشعرية وذكره كثرة من الشعراء قبل المفلول .

شمس الفخرى صاحب كتاب (معيار جمالى ومفتاح أبو اسحاقى) الذى حرره فى (٧٤٤هـ) فى العروض والقافية والبديع واللغة باسم شاه شيخ أبى اسحاق ، ثم محمد بن محمود الآملى من مدرسى المدرسة السلطانية فى عهد أولجايتو ومؤلف كتاب نفايس الفنون الذى يشبه دائرة المعارف فى العلوم المتداولة باسم شيخ أبى اسحاق (١) فى (٧٤٢هـ) وجماعة أخرى .

٢ - العلماء والعارفون والحكماء

أبو يعقوب السكاكى (٥٥٥ - ٦٢٦هـ) من علماء الأدب ومؤلف الكتاب المشهور (مفتاح العلوم) فى الصرف والنحو والمعانى البيان والشعر وغير ذلك - شهاب الدين السهروردى (٥٣٩ - ٦٣٢هـ) من كبار العارفين مؤلف عوارف المعارف فى التصوف (٢) - نجم الدين الداية الرازى (توفى فى ٦٤٥هـ) صاحب كتاب مرصاد العباد (٣) - أثير الدين الأبهري (توفى ٦٦٠هـ) من الحكماء مؤلف كتاب (هداية الحكمة)

(١) الآملى هو شمس الدين محمد بن محمود المتوفى (٧٥٣هـ) كان شيعى المذهب غيلسوفا وعالما . وكتابه (نفائس الفنون فى عرائس العيون) فى بيان شرف العلوم وتقسيمها الى علوم الأوائل والأواخر ويشمل العلوم الأدبية فى خمسة عشر فنا كعلم اللغة والبيان والمعانى والصرف والنحو والعروض والقوافى وغيرها . وتشمل العلوم الشرعية فيه تسعة فنون كعلم الكلام والتفسير والحديث والحكم والأخلاق وأصول الفقه .

(٢) السهروردى هو شهاب الدين أبو حفص عمر (٦٣٢ . ٥٣٩هـ) له تاليف متعددة فى التصوف والفتوة مثل عوارف المعارف ورسالة الفتوة وكتاب فى الفتوة . وكتابه الآخران بالفارسية . وكان السهروردى من مقربى الخليفة الناصر لدين الله العباسى (٥٧٥ - ٦٢٢هـ) .

(٣) نجم الدين أبو بكر عبد الله بن محمد الرازى المتوفى (٦٤٥هـ) من الصوفية المعروفين ، فرأى من المغول من الرى الى العراق ثم الى الأناضول ولاقى السهروردى السابق فى ملاطية ثم لحق بخدمة علاء الدين كيقباد وألف كتابه مرصاد العباد فى سيواس بالفارسية عام (٦٢٥هـ) لهذا السلطان فى التصوف والأخلاق وآداب المعاش والمعاد ويختلف نثره بين السهولة والموازنة والسجع ويزدان بالشعر الفارسى والعربى له وآخرين غيره .

وأعظمهم جميعا الخواجه نصير الدين محمد بن محمد الطوسي (٥٩٧ هـ - ٦٧٢ هـ) أحد النجوم الالامعة فى تاريخ ايران ومن العلماء الجامعين ذوى الفنون وهو كما نعرف بدأ حياته فى خدمة الاسماعيلية ثم دخل بلاط هولاءكو وأشهر مؤلفاته الفارسية (أخلاق ناصرى) الذى حرره باسم ناصر الدين عبد الرحيم بن أبى منصور محتشم قهستان ، ثم (أساس الاقتباس) فى المنطق و (أوصاف الأشراف) فى التصوف و (معيار الأشعار) فى العروض والقافية . أما أشهر كتب نصير الدين فهى بالعربية ومنها (تحرير أوقليدس) فى الهندسة و (تحرير المجسطى) فى الهيئة و (شرح الاشارات) فى الحكمة و (تجريد الكلام) فى اثبات عقائد الشيعة الامامية أشهر من أى شىء . وقام نصير الدين كما سبق بأمر هولاءكو وأبائا فى مراغة فترات بوضع زيچ ورصد الكواكب يعاونه جماعة من الفضلاء وكتابه (زيچ ايلخانى) نتيجة هذه الأعمال والأرصاد وخلصتها .

ومن علماء عصر المغول الكاتبى القزوينى أو نجم الدين دبيران (توفى ٦٧٥ هـ) من معاونى نصير الدين فى زيچ مراغة ومؤلف الكتاب المشهور (شمسيه) فى المنطق باسم شمس الدين الجوينى ، وزكريا القزوينى (٦٠٠ - ٦٨٢ هـ) مؤلف كتابى (عجائب المخلوقات) و (آثار البلاد) (٤) ، وجمال القرشى الذى ترجم صحاح اللغة للجوهري الفارابى من العربية الى الفارسية وأنشأ منه كتابه (صراح) (٥) ثم

(٤) حماد الدين زكريا بن محمد القزوينى المتوفى (٦٨٢ هـ) من علماء ايران قد أحاط بعلم الجغرافية احاطة كاملة له عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات بالعربية فى العلوم الطبيعية وترجمته الفارسية موجودة ثم آثار البلاد بالعربية أيضا ساق فيه سر بعض شعراء ايران المعروفين وهو أقدم المصادر عن الشعراء والبلاد التى ولدوا أو توطنوا فيها .

(٥) الجوهري المتوفى (٣٩٨ هـ) هو اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابى من علماء اللغة العربية صرف وقتا بين القبائل العربية يجمع الفاظا ويعد ذلك أتى نيشابور وعمل بالتدريس بها و (الصحاح فى اللغة) يعد من كتب اللغة الهامة .

القاضي ناصر الدين البيضاوى (توفي ٥٦٨٦ هـ) من معاصري أرغون خان صاحب تفسير (أنوار التنزيل) أو التفسير البيضاوى بالعربية ثم نظام التواريخ بالفارسية (١) ، ثم العلامة قطب الدين محمود الشيرازى (٦٣٤ - ٥٧١٠ هـ) من كبار العلماء الجامعين لعهد المغول مؤلف (شرح كليات قانون ابن سينا) فى الطب و (درة التاج) بالفارسية فى العلوم المختلفة و (شرح حكمة الاشراق) وغيرها (٢) - العلامة الحلى (٦٤٨ - ٥٧٢٦ هـ) من كبار علماء الشيعة ومن المروجين لهذا المذهب وصاحب كتب عديدة فى الفقه والأصول والكلام - القاضي عضد الدين الايجى (٧٠١ - ٥٧٥٦ هـ) من معاصري شيخ شاه أبى اسحاق صاحب كتاب (مواقف) فى علم الكلام - العلامة قطب الدين السرازى (٣)

(١) البيضاوى المتوفى (٦٨٥ هـ) هو أبو الخير ناصر الدين عبد الله أبو سعيد من أهل بيضاء غارس عمل بالقضاء فى شيراز وكان هذا المنصب لأبيه فى عهد الأتابك أبى بكر بن سعد الزنكى ، والبيضاوى يشتهر لفقهه وتفسيره المعروف بأسرار التنزيل بالعربية وطوالع الأنوار فى التوحيد ومنهاج الوصول فى علم الأصول بالعربية كذلك .

(٢) قطب الدين محمود بن ضياء الدين مسعود الشيرازى المعروف بالعلاقة الشيرازى (المتوفى ٥٧١٠ هـ) تلقى الطب عن أبيه وكان من الأطباء المعروفين ومشايخ الصوفية ثم تصوف فى العاشرة وخلف والده فى الطب ثم لحق ينصير الدين الطوسى وقرأ عليه الهيئة وكتاب اشارات ابن سينا . وبعد ذلك رحل الى بغداد والروم ولاقى جلال الدين الرومى ومكث وقتاً بقونية وتعرف الى معين الدين بروانه غولاه قضاء سيواس وملاطية .

وفى (٦٨١ هـ) بعثه أحمد تكودار الى مصر فذهب منها الى الشام حيث درس كتاب القانون والشفاء لابن سينا ثم اعتزل فى تبريز أربعة عشر عاماً وعمل بالقاليف . ومن آثاره العربية الادراك فى دراية الافلاك والتحفة الشاهية وشرح حكمة الاشراق للسهروردى المقتول وفتح المنان فى تفسير القرآن وحاشية على كشف الزمخشري .

(٣) قطب الدين محمد الرازى المتوفى (٧٦٦ هـ) من تلامذة عضد الدين الايجى كان من أهل الري لكنه صرف الجزء الأخير من حياته بالشام ، ألف كتباً فى الحكمة والمنطق منها شرح الرسالة الشمسية المعروف بشرح شمسية فى المنطق ألفه للوزير غياث الدين محمد وفى شرح كتاب الكاتينى القزوينى ثم لوامع الأسرار فى شرح مطالع الأنوار فكتاب المحاكمات قضى فيه بين الأمم الفخر الرازى ونصير الدين الطوسى فى خلافاتها على شرح اشارات ابن سينا .

(وفاته ٥٧٦٦ هـ) صاحب شرح شمسية وشرح مطالع في المنطق .

وعارفو هذه الفترة المشهورون هم الشيخ صفى الدين الأردبيلي (٦٥٠ - ٥٧٣٥ هـ) جد السلاطين الصفويين وسوف نذكر حاله بعد ذلك وكمال الدين عبد الرزاق الكاشاني^(١) (توفي ٥٧٣١ هـ) من كبار عهد أبى سعيد وعلاء الدولة السمناني (٦٥٩ - ٥٧٣٦ هـ) وغيرهم .

٣ - الشعراء

وأشهر شعراء العصر المغولى هم :

- ١ - الشيخ فريد الدين العطار (توفي ٥٦٢٧ هـ) ثالث الشعراء الصوفية بين شعرائهم بعد السنائي^(٢) والمولوى الرومى وله كتاب بالنثر فضلا عن منظوماته العديدة وكتابه باسم (تذكرة الأولياء) فى أحوال العارفين وأشهر منظوماته منطق الطير والهى نامه وأسرار نامه .
- ٢ - كمال الدين اسماعيل الاصفهاني ولد الشاعر المشهور جمال الدين محمد بن عبد الرزاق من كبار الشعراء النازمين للقصيدة بالعراق وقتل فى فتح أصفهان (٥٦٣٥ هـ) بيد المغول .
- ٣ - أثير الدين عبد الله الأوماني الهمداني (توفي ٥٦٦٥ هـ) من

(١) لقب كمال الدين اسماعيل بن جمال الدين محمد بن عبد الرزاق الاصفهاني (توفي ٦٣٥ هـ) بخلاق المعاني مدح كآبیه جمال الدين عبد الرزاق السرة آل صاعد وآل خجند ثم الخوارز مشاهيين واتبكة فارس وحكام طبرستان السببهذات . عاش غطاءع المغول واختفى فى واقعة القتل العام بأصفهان بيد المغول ثم قتل فى النهاية عام (٦٣٥ هـ) . وكان كمال الدين استاذا فى القصيدة وكان يبدأها من غير تغزل وله فى وصف أصفهان وعهد عمارها وخرابها قصائد كثيرة .

(٢) فريد الدين العطار الشاعر الفارسي ذو التأليفات الثرة ، بدأ حياته كآبیه عطارا ثم اعتزل عمله وأقبل على التصوف وجلى أفكاره الدقيقة فيه بالشعر القوى . ولم يمنع اعتزاله من السفر ولقاء مشايخ التصوف . ألف كتباً ورسائل فى الشعر والنثر بعدد سور القرآن الكريم . ويتميز العطار فى الإيضاح موضوعات التصوف العميقة بالشعر والنثر بالسهولة والسلاسة وضرب الأمثلة المختلفة وقص الحكايات المتنوعة وكان استاذا فى هذا الأمر . وله أيضا فضلا عن ديوانه مثنويات مختار نامه ومصيبت نامه ووصيت نامه وبلبل نامه وحيدر نامه وخسرو نامه وشرف نامه .

مداحى الأتابك مظفر الدين بن الأوزبك .

٤ — سيف أسفرنك (٥٨١ — ٦٦٦ هـ) من شعراء ما وراء النهر
قرض الشعر في عهد السلطان محمد خوارزم شاه وظل حيا بعد استيلاء
المغول بقترات .

٥ — جلال الدين محمد البلخي أو المولوى الرومى (٦٠٤ —
٦٧٢ هـ) صاحب الكتاب البالغ الشهرة (مثنوى) من السوامق العديمة
النظير ، وهو أكبر الشعراء الصوفية الفرس ومن مفاخر ايران الجليلين
وله غير المثنوى أشعار كثيرة كذلك نظمها باسم شيخه شمس الدين
التبريزى وتسمى مجموعها بكتابات شمس (٣) .

٨٧٦ هـ — امامى الهروى (٤) ومجد همكر (٥) وبدر الجاجرمى وقد

(٣) المولوى هو جلال الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن الحسين
الخطيبى من كبار شعراء الصوفية فى القرن السابع ، ولد فى بلخ لكنه لقب
بالرومى لطول اقامته بقونية . ووالد المولوى لقب بهاء الدين ولد وهو
ينتسب من ناحية امه الى الاسرة الخوارزمية لذلك كان من المقربين فى
بلاط محمد خوارزم شاه ، لكنه رحل عنه ولاقى العطار فاهدى الى ابنه جلال
الدين كتابه اسرار نامه وهو لا يزال طفلا (٦١٠ هـ) . واستقر المقام ببهاء
الدين فى قونية بدعوة من سلطانها كيقيباد فظل بها حتى موته (٦٢٨ هـ) .
وخلف جلال الدين والده فى ارشاد الناس صوفيا وتعليم المريدين كما اخذ
عن برهان الدين المحقق الترمذى من رباهم والده . وفى (٦٤٢ هـ) لاقى
جلال الدين الصوفى الكبير شمس الدين محمد التبريزى فاثّر فيه تأثرا جملة
يعتزل الناس ويلحق به . وفى (٦٤٥ هـ) رحل شمس الدين عن قونية
بلا عودة فحزن جلال الدين وجعله ينصرف الى تأليف الشعر حتى موته .
ومن آثار مثنويه الكبير فى ستة مجلدات ومجموعة رباعياته وديوان غزليات
معروف بديوان شمس . ومن آثاره المنثورة كتاب غيسه ما غيسه والمجالس
السبعة المكاتيب . بلغ المولوى بالشعر الصوفى درجة عليا ليس فى ايران
والهند والافاضل فحسب بل اسرى نفوذه الى الغرب ، كما ترجمت آثاره الى
لغات مختلفة .

(٤) الهروى هو ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن عثمان ، كان له
مع مجد همكر وغيره مطارحات شعرية ومدائح فى أمراء كرمان ووزرائها .
وقد اعترف همكر بسبقه فى الشعر الذى لم يبق له منه غير ديوان مخطوط
وقطع فى كتب السير .

(٥) أما مجد همكر فهو من شعراء القصيد ومن مداحى الأتابك سعد
ابن ابي بكر وبهاء الدين الجوينى حاكم فارس وغيرهما . وله فوق المدح
هجاء وغزل عاطفى ويصادف حينا فى أشعاره موضوعات اجتماعية وحكيمية .

ماتوا جميعا في (٦٨٦هـ) .

٩ — فخر الدين العراقي الهمداني (توفي ٦٨٨هـ) من الشعراء العارفين والفاظمين الشعر البالغ اللطف وقد قضى الشطر الأعظم من عمره في الشام والروم ودفن بدمشق (١) .

١٠ — أكبر شعراء هذا العهد بل وأستاذ جميع شعراء إيران أبو عبد الله شرف بن مصلح الشيرازي أو السعدي الذي لم يقرض حتى اليوم أحد الشعر بالفارسية بفصاحة بيانه وعذوبته ولم ينثر نثرا بسلاسته وجزالته وهو أشهر من أن يعرف ولد أوائل القرن السابع وتوفي في (٦٩١هـ) وأول سوامته كتابة (بوستان) أو (سعدي نامه) الذي أنشأه هذا الشاعر المتمكن في (٦٥٥هـ) للآتابك أبي بكر بن سعد وباسمه والذي كان السعدي من خواصه وتخلصه بالسعدي مأخوذ من اسمه ، وغزليات سعدي وقصائده لا نظير لكل منها أيضا خاصة وأن السعدي استاذ الغزل الفارسي وقل أن استطاع شاعر الوصول في هذا الأسلوب درجته .

١١ — همام الدين التبريزي (٥٩٨ — ٧١٤هـ) من خاصة الاسرة الجوينية وأشهر شعراء آذربايجان (٢) .

١٢ — الشيخ محمود الشبستري (توفي ٧٢٠هـ) من العارفين

(١) فخر الدين ابراهيم الهمداني المتخلص بالعراقي من الصوفية وشعراء الغزل ، ولد بهمدان ورحل الى الهند وخلف شيخه بهاء الدين زكريا بها في الارشاد ، غير أنه تركها الى بغداد فلقى شهاب الدين السهرودي . وبعد ذلك قصد الاناضول فدرس على الشيخ صدر الدين القوينوي أحد مشاهير صوفية قونية والف له كتابه اللغات . وتقتل الشاعر بعد ذلك في مصر والشام حيث توفي . والعراقي من شعراء الغزل والصوفية المشبوبي العاطفة يبذل شعره نحو ستة آلاف بيت ، وله مثنوي عشاق نامه المنظوم على نسق حديقة الحقيقة لسفائي .

(٢) من شعراء آذربايجان ومداحي شمس الدين محمد صاحب الديوان كان له مع السعدي مصاحبة ومداعبة وتأنى به في الغزل ، نظم اشعارا باسمه صحبت نامه لشرف الدين هارون ولد شمس الدين صاحب الديوان .

والشعراء المعروفين بآذربايجان وهو ناظم المثنوى المعروف (كلشن راز) أو روضة الأسرار وهو جواب منظوم لخمسة عشر سؤالا صوفيا من الأمير الحسيني الهروي من العارفين والشعراء الهرويين الذي توفي عام (٥٧١٨هـ) (١) .

١٣ — الفزارى القهستاني (توفي ٥٧٢٠هـ) من الشعراء الفحصاء بقهستان وكان اسماعيلي المعتقد (٢) .

١٤ — الأمير خسرو الدهلوى (٦٥١ — ٥٧٢٥هـ) أشهر شعراء الفارسية بالهند ويشتهر بعذوبة الشعر وكثرة وله خمسة دواوين من الغزليات والقصائد وخمس منظومات على غرار خمسة النظامي (٣) .

١٥ — الأمير حسن الدهلوى (توفي ٥٧٢٧هـ) من رفاق أمير خسرو وأتباع أسلوب السعدى (٤) .

(١) هو سعد الدين محمود بن عبد الكريم من كبار الصوفية كان مقصد المتسائلين عن المسائل الفلسفية والصوفية . له غير كلشن راز رسالتا حق اليقين وشاهد وينسب اليه رسالتا سماعات فانه ومراة المحققين في القصوف .

(٢) من الشعراء المنتسبين الى الاسماعيلية اخذ تخلصه من اسم نزار الابن الثانى للمستنصر بالله ثامن خليفة غاطمى فى مصر . ويشمل ديوانه غزليات يقترب أسلوبها الى أسلوب السعدى ، خلف مثنوى دستور فانه . (٣) يمكن اعتباره رائد السبك الهندى أو أسلوب التعبير بالفارسية فى الهند ، وديوان اشعاره على خمسة اقسام : تحفة الصغر نظمها فى شبابه ويحوى القصائد والغزليات والترجيع بند ، واسطة الحياة — غرة الكمال وساق فى مقدمته حديثا عن الشعر ومحسناته وكبار الشعراء — بقية النقية — نهاية الكمال . وتتميز قصائد الشاعر بطولها والقاسى فيها بالحقائى . أما خمسته المذكورة فهى : مطلع الانوار — شيرين وخسرو ومجلون ولىلى وايينه اسكندرى (المرأة السكندرية) — نهشت بهشت (الثمانى جنات) . وله أيضا منظومات مثل قران السعدين و (نه سيهر) أو التسعة أفلاك ومفتاح الفتوح فى سير ملوك الهند . ومن كتبه المنشورة خزائن الفتوح ورسائل الامجاز فى حسن الانشاء . ويمكن عد أمير خسرو أكبر شاعر فارسى فى الهند .

(٤) هو خواجه حسن شيخ نجم الدين بن على السنجرى الدهلوى من شعراء الهند الفارسيى اللغة ومن معروفى الصوفية فى القرن الثامن ، اخذ عن الشيخ نظام الدين اولياء من كبار الصوفية الهنود الذى رآه خسرو الدهلوى أيضا . اقتدى حسن الدهلوى بالسعدى فى غزله وأشار الى ذلك فسمى سعدى الهند .

١١٦ — الأوحدي المراءى: الأصفهاني (توفي ٥٧٣٨ هـ) من الشعراء العارفين المولود بأصفهان وعاش في مراغة وهو صاحب مثنوى (جام جم) باسم غيات الدين محمد الرثيدي الوزير (١) .

١٧ — الخواجهوي الكرمانى (٦٧٩ — ٧٥٣ هـ) أكبر شعراء كرمان ومن مداحي أبي سعيد بهادرخان والوزير غياث الدين محمد وله فضلا عن قصائده وغزلياته خمسة يقلد خمسة النظامى (٢) .

١٨ — ابن يمين (توفي ٥٧٦٩ هـ) من أهل فريو مدد بجوين من مداحي ملوك الكرت والسريدارية والطغا تيمورية وأفضل شعره مقطعاته التي تشمل المواعظ والنصح والحكم (٣) .

١٩ — نظام الدين عبيد الزاكانى (توفي ٥٧٧٢ هـ) من الفضلاء والشعراء ذوى الذوق العالى فى عهد أبى سعيد وشاه شيخ أبى اسحاق

(١) من الشعراء المتصوفة كان مريداً للشيخ أبى حامد أوحسد الدين الكرمانى (توفي ٦٣٥ هـ) فأخذ تخلصه من اسمه : يتألف ديوانه من القصائد والغزليات والقطعات والترجيعات والرباعيات والغزليات الصوفية . له أيضاً مثنوى ينطق العشاق نظمها (عام ٧٠٦ هـ) لوجيه الدين حفيد نصير الدين الطوسى ثم مثنويه المعروف (جام جم) أو كنس جهشيد التي تقص الشاهنامه أن جهشيد ملك ايران الاسطورى كان يرى فيها سائر الدنيا .

(٢) هو كمال الدين أبو العطاء محمود بن على لاقى فى سفره الشيخ علاء الدولة السمنانى الصوفى المعروف وأخذ عنه . وأقام فى شيراز فترة وصاحب شاعريها الكبير الحافظ الشيرازى . من آثاره ديوان غزليات وقصائد ثم مثنويات تقلد النظامى وهى روضة الانوار وكمال نامه وسام نامه وجوهر نامه وكل ونوروز أو الزهور واليزوز . وكان الخواجهوي محتذياً حذو السعدى فى غزله .

(٣) هو أمير محمود بن بامر يمين الدولة الطبرائى ، كان أبوه شاعراً ويعمل فى ديوان الأيلخانات فى خراسان وعمل ابن يمين أيضاً بهذا العمل فترة . ومن حوادث حياته أسره فى الحرب التي جرت فى زاوه بين وجهيه الدين السريدارى وملك معز الدين كرت ونهب ديوانه ثم جمعه له ثانية . وكان ابن يمين شيعياً صوفياً ، أنشأ شعراً ذا فائدة اخلاقية واجتماعية بسبب كثرة تجاربه ، ويصل شعرة الى خمسة عشر ألف بيت ، وترجع أغلب شهرته الى شعره الخلقى .

وشاء شجاع وكان استاذاً في النثر والنظم خاصة في النثر فهو تابع
وقال للشيخ السعدى وترجع أغلب شهرته الى مطايباته المنعدمة النظير
وقصته المنظومة (موش وكربه) أو القط والفأر .

٢٠ - سلمان الساوجى (توفى ٧٧٩ هـ) من مشاهير شعراء عهد آل
جلالير صاحب ديوان قصائد وغزليات وعدة مثنويات وأشعار أخرى .

الصناعات والأبنية والآثار

وفي عهد سيطرة المغول خاصة بعد هجوم هولاكو وتأسيس أسرة
الايلاخانات واهتمام الايلاخانات المسلمين منهم بتشبيد الأبنية والعمائر ،
وقع الجانب الصناعى خاصة النقش والتصوير تحت التأثير المباشر للفن
الصينى ، والسبب الأساسى لهذا الأمر هو جلب الفنانين الصينيين من
الصين لايران بأمر الايلاخانات ، ثم اهتمامهم بل قل تعطيقهم بأحياء
السفن المغولية فقد ظلوا مع قبولهم الاسلام واقامتهم فى ايران ينظرون
الى الياسا الجنكيزية بعين الاحترام ويحفظون مجدين فى ذلك بكل ما
يتصل بالمغول وماضيهم التاريخى وآدابهم ورسومهم لدى أجدادهم
ولذلك دأبوا دأباً شديداً على تخليد تاريخهم وشجعوا على تأليف
المصنفات فى هذا التاريخ بكل نصب وانفاق مال .

ونتيجة لهذين الأمرين واختلاف أهل ايران الى الصين انتشر
النقش بالاسلوب الصينى فى ايران بالتدريج ، والأمر الذى أزر رواج
هذا الأسلوب الاسلامى الخاص ببنى العباسى والسلاجقة ، حتى فى بلاد
ما وراء النهر هو انتشار النسخ من الكتاب الكبير جامع التواريخ
تصنيف رشيد الدين الذى كان يتابع نشره حتى فى تلك البلاد بأمر
أولجاتيو وبإصرار مؤلفه الوزير الذى استمد فى تأليف بعض أقسامه
علماء الصين والمغول والأويغور ودفع بفنانى ورسامى هؤلاء الناس الى
رسم الصور فى نسخة أيضا الا ان هذه النسخ المتميزة برسومها ونهاية
دقتها ونفاستها وجمالها قلدت رسومها بعد وقوعها فى أيدي الناس .

أما النسخ لهذا الكتاب الموجودة في مكتبات أوربا وألفت في عصر رشيد الدين بعد قليل من وفاته فهي أول النماذج لفن التصوير في عهد المغول الذي امتزج فيه الفن الإسلامي الموجود قبل العهد الإيلخاني بالفن الصيني فصار ممثلاً لبداية رواج فن وأسلوب خاصين .

وعلى أثر نفوذ المصورين الصينيين والأقلام والأحبار الصينية وطرق التلوين ورسم الخطوط وصور بعض الحيوانات التي لم تسبق بين المسلمين كالأفاعي وبعض الحيوانات الأسطورية دخل بالتدريج عناصر جديدة في التصوير الإيراني وصار رسم الوجوه المغولية ذات العيون اللوزية والمخدود البارزة أمراً شائعاً في هذا التصوير ووصل هذا الامتزاج بين الفن الصيني والإيراني أوجه في عهد التيموريين .

وشاعت في عهد المغول بالإضافة إلى التصوير بعض الصناعات الأخرى اتضحت فيها آثار الفنانين الإيرانيين اتضاحاً كاملاً ويمكن الوقوف بيسر عند مشاهدتها على كمال الاهتمام لدى هؤلاء الفنانين بالابداع واظهار جوانب الجمال والذوق ، وأهم هذه الصناعات صناعة القاشاني والأطباق الخزفية والنقش البارز على الأبواب والأخشاب وتفضيض المعادن ونسج الأقمشة العادية والمنسوجات المقصبة بالذهب وصناعة الأسلحة وغير ذلك .

وبقى نسج المنسوجات النفيسة الذي راج كلياً في إيران قبل استيلاء المغول أيضاً على حال ارتقائه في عهد الإيلخانات بل زاد رواجاً وازدهاراً عن ذي قبل لأنه كان يتعين على الأمراء والعمال والوزراء كل سنة أن يتحفوا ويهدوا الإيلخانات بأشياء من هذه المنسوجات وكانوا يشجعون على نسج المنسوجات المذهبة خاصة في مراكز حكمهم وأمارات ملكهم فوجدت مصانع عديدة لهذه المنسوجات في تبريز والكرج وبغداد ومرو وطوس وشوشتر وشيراز ونيسابور وكان المغول يختارون في بداية فتوحاتهم من بين أرباب الحرف الذين كانوا يرسلون بهم إلى

أرض المغول وقرأقروم جماعة من الأساتذة النساجين خاصة ، والذين حازوا المهارة في نسج المنسوجات المذهبة والمقصة بالذهب .

وكان لنسج المنسوجات الحريرية في ذياك العهد في ايران خاصة في جيلان وخراسان ويزد وكرمان أهمية فائقة وكان الحرير في ذلك الحين من الثروات النفيسة حتى أن جزءا من الضرائب العينية لهذه الولايات كان يدفع حريرا وكان الحرير في الغالب هو الخراج المعهود تأديته الى دافعي هذه الولايات ، وبعد أن فتح أولجاتيو جيلان حث أمراءها المحليين على تأدية مقدار من الحرير في العام ما وسعهم دفعه . وفي خراسان أيضا عهد السريداريين منع بهلوان حسن الدامغانى (درويش عزيز مجدى) من مخالفته بأن أعطاه بضعة خربارات من الحرير (١) وسيره الى أصفهان وكان الحرير كما سوف نذكر أحد أهم البضائع التجارية في الشرق عهد استيلاء المغول وكان تجار الغرب يحرسون على شرائه وجلبه حرصا شديدا .

وازدهر شديد الازدهار أيضا نسج الطنافس والسجادات والأكمة العالية عهد ايلخانات ايران وسائر البلاد الاسلامية في الشرق وكان يحمل كثير منها الى الهند عن طريق موانئ الخليج الفارسى والى أوروبا عن طريق تجار البندقية وجنوه .

وكانت صناعة آلات الرصد والآلات الفلكية وأنواع الساعات وآلات معرفة أوقات الصلاة وتحديد وقت الظهر رائجة في سائر البلاد الاسلامية ، وجد قبل غزو المغول الاسماعيلية والخلفاء العباسيين في جمع هذه الآلات واستقدام أساتذة هذه الصناعات الى أكبر مركزى الشرق في بلاد المسلمين وهما ألموت وبغداد ولهذا شهرت خزائن بغداد وألموت من هذه الناحية شهرة عالية في دنيا تلك الأيام ، ولما استولى

(١) الخريار أو الخروار وزن قديم يساوى مائة من تبريزى والمن يعادل ثلاثة كيلوجرامات تقريبا .

هولاكو على هاتين المدينتين وضع القسم الأكبر لهذه الآلات القيمة تحت اختيار نصير الدين الطوسي ليفيد بها في رصده بمراغه ، وجمع نصير نفسه في أسفاره الى بغداد مقدارا آخر من تلك الآلات لتحقيق عمله واستصحب معه العارفين بصناعة الآلات الفلكية والرصدية .

واحدى شعب المصناعات الجميلة الأساسية التى لقيت خاصة أهمية تفوق المعتاد وقت الغزو المغولى في البلاد الاسلامية هى تجويد الخط وقد أنفق المستنصر والمستعصم ووزراؤهما أموالا باهظة في استجلاب الخطاطين واستخدامهم في خزائن الكتب والمكاتب في دار الخلافة . وأشهر خطاطى هذه الفترة اثنان أولهما صفى الدين عبد المؤمن الأزموى (مات ٦٩٣ هـ) الذى مر ذكره ، وثانيهما تلميذه الذى زاد شهرة في فن الخط عن أستاذه ومرتبة وهو جمال الدين ياقوت المستعصمى (توفى ٦٩٨ هـ) وكان كلاهما من الخطاطين الخاصين للمستعصم آخر خلفاء بنى العباس ، وبعد انهيار دولتهم لحقا بخدمة الأسرة الجوينية . وكان ياقوت الذى يعد أستاذ خط النسخ بداية أمره أحد العلماء الذين اشترأهم المستعصم لنفسه ودفعه ليتعلم الى صفى الدين عبد المؤمن ، فسرغان ما مهر في الأدب وحسن الخط وفاق في هذا الفن الأخير أستاذه .

المعمار والأبنية

يبدو للوهلة الأولى غريبا اهتمام المغول بالبناء والتعمير والبحث في هذا الموضوع عهد استيلائهم لأن التتار أولا كما قلنا لم يكن لهم تقييد بمكان ثابت كأي طائفة بدوية وكان مستقرهم هى المخيمات القبلية ومساكنهم الخاصة التى تكون بحكم المدينة وقت الحار ولا يتخلف عنها أثر عند الترحال كما أن التتار وأتباع جنكيز وقواده وخلفاءه كانوا ثانيا آية التخريب وحينما كانوا يضعون أقدامهم كانوا يقلبون كل ما هو قائم وعامر رأسا على عقب ، وكانوا أحيانا يسوون أعظم البلاد بغير مبالغة منا بالصحارى والفلوات . الا أن هذه الحالة خاصة بهم أوائل حالهم

ولما أصبح المغول أرادوا أم أبو محكومين بآداب رعاياهم المغلوبة أجبروا على قبول الإقامة في العواصم مثلهم وتأسيس الإدارات وجمع الوزراء والعمال الديوانيين حولهم . ولما لم يستطيعوا التخلي عن عاداتهم القبلية وهي الارتحال للإقامة في الشتاء أو الصيف أو من التنقل من المشتى إلى الصيف وبالعكس ، فكان لهم غالباً محلان للإقامة أحدهما — للصيف — في عراق العجم و آذربايجان (تبريز ، موغان ، أران ، السلطانية) و ثانيهما — للشتاء — في عراق العرب (بغداد) وبنى في كل واحد من هذه المراكز الإيلاخانات والأمراء والوزراء قصوراً وأبنية لهم . فضلاً عن أن خلفاء جنكيز وقادته بعد الاستيلاء والتخريب على بلاد إيران ما أن تبقى لهم حتى يسمحوا للناس بتجديد أبنيتها وعمائرهما وكانوا هم أنفسهم بعض الأحيان السابقين في هذا التعمير ولهذا رُممت كثير مما خربوه قبل ذلك .

كان المغول حتى قبول الإيلاخانات الاسلام ديناً يدفنون أجساد سلاطينهم بعيداً عن أنظار الناس في أماكن خافية ولهذا فإن مكان قبر الإيلاخان غير المسلم منهم لا يعرف على وجه الدقة ، لكنهم بعد أن أسلموا خاصة من عهد غازان فصاعداً حين قوى الاسلام في قلوبهم وزادت مدة سلطنة الإيلاخانات المسلمين عن أسلافهم الكفار ، أقدموا على بناء المقابر والقباب الخاصة كما يقتضى قانون المسلمين (١) وعلاوة على ذلك قاموا بتشديد وتعمير أبنية الخير لبدء تعلقهم بالاسلام من مثل المساجد والجوامع والمدارس .

(١) ربما يقتضى هذا قانون المسلمين ولا يقضى به قانون الاسلام ، لأن الله تعالى حرم إقامة الأنصاب التي تتخذ بعد ذلك بعد نسيان صاحب النصب أو ثانياً وأضرحة يعتقد فيها ويتقرب إلى أصحابها الزائرون والمتشفعون بالنذور والأضاحى من دون الله تعالى ، من حيث أن النفع والضرر والشفاعة والأمر لله تعالى دون غيره ، وكان العرب في جاهليتهم يتقربون ويستشفعون بالأنصاب والأوثان ، ثم انتهوا عن ذلك بعد الاسلام فترة ، لكنهم وغيرهم عادوا إليها في صورة مقابر الكبار والأولياء والصالحين وكل من هب ودب بشرط أن يكون له ضريح أو قبة .

وصار متداولاً من عهد غازان فما بعده بناء ثلاثة أنواع من الأبنية بيد الأيلخانات والأمراء والوزراء :

١. — بناء القرى ومدن القشتية والتصنيف أو تعمير القرى والمدن السابقة مثل تعميرهم أوجان وتسميتها بمدينة الاسلام ، وبناء (محمود آباد) بموغان وتجديد قسم من عمائر المرى وتشديد سور تبريز وإقامة (شنب غازان) عن طريق غازان وبناء السلطانية وسلطان آباد تشمتشال بأمر أولجايتو وتشديد قسم من السلطانية والربع الرشيدى بأمر رشيد الدين فضل الله الوزير وجزء من أبنية تبريز بواسطة عليشاه الوزير وغير ذلك .

٢. — الأبنية الدينية والمدارس ودور الخير كبناء دار السيادة وخانقاه النجف والأبنية الخيرية بشتب غازان بأمر هذا الأيلخان وإقامة مسجد (ذو الكفل) والدور الخيرية التى تشيدها عطا ملك فى عراق العرب ورشيد الدين فى السلطانية والربع الرشيدى .

٣. — المقابر والقباب أى قبة شنب غازان مقبرة هذا الأيلخان وقبة السلطانية مقبرتا أولجايتو وأبى سعيد .

ومن عهد هولاكو فصاعداً حين زادت العلاقات بين البلاد الإسلامية فى وسط وغرب آسيا بالصين وتردد المتحضرين الصينيون والایرانیون الى بلديهما فاختلفت الفريقان ونتاج عن ذلك أن تعلم كل منهما علوم الآخر وفنونه ، حدث أن نفذت العمارة الإسلامية لعهد السلاجقة والعباسيين عن طريق الايرانيين الى الصين وكذلك المعمار الصينى الى البلاد الإسلامية . وقد تأثر المسلمون من الأسلوب المعمارى الصينى خاصة بشكل القباب التى قلداً نظائرها فى المقابر والمساجد تقليداً كاملاً فى المعابد الصينىة والبوذية ثم استخدام اللون السماوى الشفاف فى أعمال القاشانى وتغطية أسطح القباب بالقاشانى الأزرق البراق .

أما الذى لا يزال باقيا حتى الآن من آثار عهد الإيلخانات وأبنيتهم
ومع أنه بحال خربة ومحمى الجزء الأعظم منها فلا يزال محل الاهتمام
كالتالى :-

- ١ — المقبرة المعروفة بمقبرة ابنة هولكو فى مراغة .
- ٢ — بقايا مرصد مراغة .
- ٣ — مسجد ورامين عن أولجاتيو .
- ٤ — قسيم من المسجد الجامع فى أصفهان عن أولجاتيو أيضا .
- ٥ — قبة السلطانية عن أولجاتيو كذلك .
- ٦ — بنىء عن أبى سعيد فى مراغة .

ومن بين هذه الأبنية الأكبر أهمية من غيره ولقى شهرة فائقة فى
عصر الإيلخانات وما يزال قسيم هام منه قائما هو قبة السلطانية أبى
مقبرة السلطان محمد أولجايتو الذى شيده كما سبق قوله أثناء حياته
ضمن بناء مدينة السلطانية التى استغرقت ما بين عامى (٥٧٠٥)
و (٥٧١٣) .

الفصل التاسع

ظهور الأمير تيمور وتأسيس أسرة الكوركانيين

أوضاع ما وراء النهر وقت ظهور الأمير تيمور :

في تقسيم البلاد التي استولى عليها جنكيز ، كما ذكرنا في آخر الفصل الثاني ، صارت بلاد القراخطائيين السابقة وما وراء النهر نصيب جغتاي ، ولم يعص جغتاي أوكتاي وقت خانيته للمغول رغم أنه الأكبر سناً بل كان يصدق دائماً على خانية أوكتاي عليه وعلى بلاده. وكان يدير بلاده بمعون من أحد رؤساء قبيلة البرلاس وهو قراجار نويان . ويصل مؤرخو تيمور نسب هذا الفاتح الى الأمير قراجار نويان البرلاسي من ناحية الأب ويعتبرون قراجار الجد الخامس لتيمور .

حكم أولاد جغتاي الذين تسمى أسرتهـم بالخانات الجغتائيين أو حكام البلاد (أولوس) الجغتائية مدة ستة وثلاثين ومائة عام (من ٦٢٤ حتى ٧٦٠ هـ) على بلاد ما وراء النهر وقسم من خوارزم وكاشغر ، وكانت عدتهم نحو الثلاثين كان من بينهم خانان من أولاد أوكتاي تصادف حكمهم للبلاد الجغتائية وليس لهم ذكر خاص في تاريخ ايران اللهم الا بضعة نفر منهم هاجموا ايران في أيام الايلخانات عن طريق الدربند أو خراسان من مثل براق (٦٦٣ — ٦٦٨ هـ) الذي أغار عليها بإقسا . وباراق هو أول خان للبلاد الجغتائية أثر الاسلام ديناً لكن رعاياء لم تحبذ عمله هذا فعادت أكثريتهم للثمة السابقة بعد موته .

ودخل الاسلام أحد خلفاء براق وهو (قرمشيرين) (٧٢٢ —

٥٧٢٧ هـ) فدخل على عقبه هذه المرة خلاف السابقة أكثر الرعايا الجغتائية الاسلام ، وأصبح الاسلام من هذا الوقت فما بعده الدين الرسمي لخانات ما وراء النهر ومغولها .

وفي أوائل النصف الأول للقرن الثامن أصاب خانات الجغتائيين شديد الوهن وسقطت أزمة أمورهم من حدود (٥٧٤٦ هـ) بيد أحد رؤساء قبيلة البرلاس واسمه الأمير قزغن وكان الأمير قزغن هذا يولى ويعزل من يشاء من خانات الجغتائيين وكان لابنه الأمير عبد الله من بعده نفس النفوذ والمنصب الى أن تمكن من قتل الأمير حاجي برلاس من أحفاد قراجار نويان والأمير بيان سلدوز يعاونه الخان تحت حمايته واستحوذا على الأمر لكنهما لم يستطيعا إدارة الأمور كما ينبغي فصارت ما وراء النهر رهن المهرج والمرج واثارت في كل ناحية الثورات والقلقل .

وقد حرص وصول أبناء ثورات ما وراء النهر الى كاشغر حيث كانت شعبة أخرى من خانات البلاد الجغتائية تباشر أمور الحكم (تغلق تيمور) (١) حاكمها وكان من أحفاد براق خان على غزو ما وراء النهر وهاجمها تغلق تيمور مرتين احدهما في عام (٥٧٦١ هـ) والأخرى في (٥٧٦٣ هـ) وقتل في المرة الثانية الأمير بيان سلدوز (٢) وسيطر على بلاد ما وراء النهر وأتاب ابنه الياس خواجه في إدارة أمورها ، فظل يحكمها حتى (٥٧٦٥ هـ) حين طرده عنها تيمور الكوركانى والأمير حسين حفيد الأمير قزغن .

أصل تيمور ونسبه : —

تيمور ولد الأمير ترغاي (٣) وأوصل المؤرخون نسبه الى أسرة

(١) تغلق كلمة تركية بمعنى حامل الراية و (تغلق) تعنى العلم والراية (تاريخ بخارى ص ٢٠٨ ح ٢) .

(٢) أنفا ذكر المؤلف أن قاتله هو الأمير عبد الله والخان الواقع تحت حمايته .

(٣) أبوه تورغاي وليس ترغاي أو تارغاي ، وتورغاي تركية بمعنى

جنكيز وصحة هذا الادعاء غير معلومة حتى ان هناك شكاً في أن الأمير قراجارنويان البرلاسى جده الخامس (١) * ولد تيمور في شعبان (٥٧٣٦هـ) أى بعد موت السلطان أبى سعيد بنحو خمسة أشهر في إحدى قرى مدينة كس (مدينة سبز) (٢) الحالية جنوب سمرقند على مفترق الطرق بين هذه المدينة وبلخ) وعاش أيام صباه بين قبيلة البرلاس التى كانت أقرباء لأجداده ، وأتقن فنون الحرب الشائعة عند القبائل الصحراوية وبين أفرادها وهى عملهم الرئيسى من رسوم الصيد والفروسية ورمى السهام حتى غدا فارساً ماهراً ورامياً للسهام بطلاً ، وكان عالى المهمة طموحاً فلم يقنع بذلك وخطا في طريق العلو والرئاسة .

ذكر أن جد الأمير تيمور كان يظهر كامل اخلاصه للمسالحين والمفقرات وظل هذا الميل لهذه الطائفة فيه وفي أسرته فكان من أول أمره يبدى الاخلاص للزهاد ومشايخ التصوف وكان يأتيتهم ويطلب منهم المدد .

وأوائل حياة الأمير تيمور غير معروفة على وجه الدقة وما يقرب الى اليقين أنه لم يحدث في هذه الفترة المبكرة من حياته شيء ذو بال

طير الدج ، أما (تيمور) غهى من (تمر) أو (دمر) تركية بمعنى الحديد ، وينسب الى (كركان) وصحتها (ككن) وليست هذه الكلمة من كوركمان أو كورخان بمعنى الخان العظيم كما ذهب بعض الباحثين وإنما بمعنى (المليح) في التركية وكانت اسم أسرة تيمور (تاريخ بخارى ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ وحواشيها) .

(١) ان ما يقال من أن تيمور من أصل مغولى اعتمادا على ميرخواند صاحب (روضة الصفا) وشرف الدين على يزدى صاحب (ظفرنامه تيمورى) — وكلاهما من مؤرخى العهد التيمورى — وقد ادعى كل منهما ان تيمور منحدر من نسل قراجة نويان (قراجارنويان) المغولى خطأ كبير من ناحيتين الأولى أن هذا الأمير قراجة لم يشر اليه الجوينى صاحب جهان كشا أدنى إشارة ، كما أن تيمور خالص النسب الى بيت برلاس التركى لا المغولى . راجع في ذلك الكتاب السابق ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ وحواشيها) .

(٢) اسمها الفارسى (شهن سبز) أى المدينة الخضراء لفرط اخضرار نبتتها .

لأنه كان اذ ذاك مغمورا ويحيا حياة أفراد قبيلته المعادية لكي يهتم
بإثباتها مؤرخ ، وانما بدأت أحداثه التاريخية في التقيد والذكر من حدود
عام (٧٦١هـ) وحسب وتوالت السنوات بعد ذلك مقيدة مضبوطة .

ففي (٧٦٢هـ) حين قام تغلق خان الأول مرة بغزو ما وراء النهر
كان الأمير تيمور في خدمة الأمير حاجي برلاس فلما هرب الأمير حاجي
أمام تغلق الى خراسان كان تيمور برفقته أيضا وبعد مدة وجيزة آب
تيمور الى ما وراء النهر ولحق بخدمة تغلق تيمورخان ، وترك خان
الكاشغر حكم مدينة كس التي كان رؤساء البرلاس يتوارثونه الى تيمور
وحينما عاد تغلق تيمور الى كاشغر استقل تيمور بحكمه وبعد قليل بسط
سلطانه على أغلب بلاد ما وراء النهر .

وفي هذه الأيام استعان الأمير حسين القرغني بجماعة من أمراء
ما وراء النهر الأقوياء فهزم الأمير بيان سلدوز وكان ينقم عليه قتله عمه
الذي أصابه بالحزن فانهزم بيان الى بدخشان فاختارت هذه الجماعة
من الأمراء الأمير حسينا لامارة ما وراء النهر ونصب كل منهم على حكم
ناحية منها تحت امرته واستقر من ضمنهم الأمير تيمور على حكم كس
مقر أجداده . وفي هذا المحين زوج الأمير حسين أخته بتيمور مؤثره
لمصاهرته فسمى تيمور من هذا الأوان تيمور كوركمان أي تيمور الصهر ،
ويذهب البعض الى أن تيمور قد أضيف الى اسمه لقب كوركمان أي
الصهر من بعد أن بنى بابنه تغلق تيمور (١) .

وبما أن أوضاع ما وراء النهر اقترنت بعدم الأمن وكان الأمراء
المتوردون دائمي الخلافات أحدهم مع الآخر غزا تغلق تيمورخان هذه
البلاد مرة أخرى في (٧٦٣هـ) وقتل الأمير بيان وجعل الأمير حسين يفسر
وترك حكم ما وراء النهر الى ابنه الياس خواجه وبقي تيمور على
حال حكمه لكس .

(١) سبق التنبيه الى ان معنى كركن اصل (كوركمان) بالتركية هي
الملح من غامبري صاحب تاريخ بخارى (ص ٢٠٦ حاشية ١) .

وبعد فترة تحالف الأمير تيمور مع الأمير حسين المتواري بقصد الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر متعللاً بمظالم التابعين لالياس خواجه وهاجم خوارزم لكنه غلب على أمره فركن إلى الفرار إلى خراسان وبعد أن أسره التركمان ساكنو أبيورد وعودته إلى سمرقند وحياته متخفياً بها عاد أخيراً إلى خراسان وانضم معه الأمير حسين إلى خدمة الملك معز الدين حسين كرت *

ولما طلب تغلق تيمور إلى معز الدين كرت تسليمه هذين الأميرين هربا إلى قندهار ومنها إلى سيستان فاحتال واليها وهاجمهما وأثناء قتالهما أصيب تيمور بعدة طعنات منها في عقب قدمه وكتفه الأيمن وفقد الأصبعين الآخرين من كفه اليمنى وأصيبت قدمه اليمنى بضربة لم ترجعها بعد ذلك إلى حالتها الطبيعية فكان يمشى طوال عمره عارجا فسمى لذلك بتيمور الأعرج (لنك) *

وبعد أن التأم جراح تيمور أخذ هذا الأمير وحسين القزغني بعد أن جمعا الجنود والإتباع بلاد دركر وترمذ وبلخ وبدخشان وكش من أيدي عمال الياس خواجه ، وتقوى قلباهما بعد أن قناحت اليه أنباء موت تغلق تيمور وعزم الياس خواجه ابنه على العودة إلى كاشغر فهاجما الأخير وهزماه وسيطر على ما وراء النهر * ومع أن الياس انتقم منهما لهذه الهزيمة في (٧٦٥هـ) وأجبرهما على الفرار إلى بلخ إلا أنهما عادا في (٧٦٦هـ) فاستوليا على ما وراء النهر وقطعت يد الأتراك الجغتائيين تماما عن هذه البلاد *

وبعد الاستيلاء الأخير على ما وراء النهر وقع الخلاف بين الأمير حسين وتيمور ووافى زوجة تيمور وأخت الأمير حسين في ذياك التاريخ أجلاها فانبثت قرابة النسب بينهما فأعلن تيمور مناهضته لحسين وجرد جنده يهاجمه فخانه بعضهم مما أجبره على الفرار إلى أبيورد وظل الصراع بين الأميرين قائمة حتى (٧٦٩هـ) إلى أن طمس أن بعض علماء

طاشقند وخجند الأمير تيمور من ناحية حسين فاصطالحا • ولم يدم هذا الصلح اذ بدأ أحدهما يسيء الظن بالآخر حتى سلم الأمير حسين تماماً الى تيمور فتخلى عن الرئاسة والقيادة بشرط الأبقاء على حياته • فتظاهر تيمور بتأمينه وانقض أمرؤه في أطراف بلخ في أوائل رمضان من ذاك العام على حسين وولديه فأهلكوهم وصارت ما وراء النهر من حين ذاك تحت سيطرة تيمور بلا منازع • ودخل تيمور في الثاني عشر من رمضان سنمرقند (٧٧١هـ) وكون مجلس شورى من الأمراء والكبار والعلماء ، ومع أنه لم يلقب بالسلطان في هذا الحين ولقب أحد أمراء البلاد الجغتائية وهو سيور غتمش بالسلطان لكن رمضان (٧٧١ هـ) يعد بداية استقلال الأمير تيمور •

غزو خوارزم (٧٧٣ - ٧٨١ هـ) :-

كانت خوارزم في تقسيم البلاد الجنكيزية نصيب جوجى وخلفه عليها أولاده واستولى الحكام الجغتائيون عليها بعد ذلك وضموها الى أملاكهم •

ووقت استقلال تيمور وجا-وس سيور غتمش خان استولى من يسمى حسين الصوفى من قبيلة القنقرات على خوارزم • فأرسل تيمور له ليترك هذا البلد التابع لديوان الحكام الجغتائيين الى وارثهم سيور غتمش فلم يقبل الصوفى فاضطر تيمور الى مهاجمة خوارزم •

وغزا تيمور خوارزم أربع مرات بين عامى (٧٧٣ هـ) و (٧٨١ هـ) وغلب في الأولى حسين على أمره ومات حسرة فترك تيمور حكمها الى ابن حسين فعصى الابن بعد مدة وقدم تيمور اليه وأدخله طاعته • والمرة الثالثة وقعت (٧٧٧ هـ) والرابعة (٧٨٠ هـ) وفي الأخيرة أخذ تيمور خوارزم بعد حصار ثلاثة أشهر ونصف شهر أوائل (٧٨١ هـ) وخربها ثم ضمها الى بلاده •

غزو أرض المغول وصحراء القبجاق في (٧٧٦ - ٧٧٩ هـ) : -

غزا تيمور بين غزواته لخوارزم شرق ما وراء النهر وشمالها الشرقي أي كاشغر وأرض المغول وصحراء القبجاق مرارا فلما مات تغلق تيمور تسلط أحد أمرائه الأقوياء وهو قمر الدين دوغلات علي الأمور واستبد بالحكم في كاشغر فأفاد تيمور من هذا وأخذ يغير من (٧٧٦ هـ) حتى (٧٧٩ هـ) على جنود قمر الدين وملكه كلما أمن جانب خوارزم وهزم قمر الدين بضع مرات وألجأه إلى صحراء القبجاق * وفي (٧٨٧ هـ) سيطر على صحراء القبجاق أي المنطقة بين سيحون وبحيرة خوارزم وبحر الخرز وأصاب عليها أميرا من أسرة باتو اسمه (توقتمش) (١) وعاد إلى سمرقند *

غزوات تيمور على خراسان في (٧٨٢ - ٣) و (٧٨٤ - ٥ هـ) : -

ولما مات الملك معز الدين كرت الذي كان على مودة دائمة وضافا بتيمور غير ابنه غياث الدين بير على سيرة أبيه ولم يحضر مجلس الشورى الذي عقده تيمور في رمضان (٧٧١ هـ) بسمرقند * وفي (٧٧٨ هـ) أرسل تيمور إلى غياث الدين بينما كان يغزو خوارزم ليذكره بالمودة القديمة بينه وبين أبيه ، فاستقبل غياث الدين رسوله هذه المرة بترحاب وأحكم تيمور أساس المودة بين الأمرتين بتزويج غياث الدين ابنة أخته *

وفي (٧٨٢ هـ) اضطربت أوضاع خراسان على نحو ما رأينا في تاريخ السربداريين شديد الاضطراب وأخذ شاه شجاع وشاه منصور والأمير ولي وغياث الدين والخواجه على المؤيد في الكر والفر في هذا البلد ، فاهتبل تيمور هذه الفرصة لضمه * ولما اطمأن قلبه من ناحية خوارزم نهائيا سير أول صيف (٧٨٢ هـ) ابنه ميرانشاه ذا الأربع عشرة سنة بعدة من كبار أمرائه إلى خراسان ولحق بهم وبعد أن غلبوا جنود غياث الدين كرت في

(١) . ليس توقتمش كما ذكر اقبال المؤلف وغيره وإنما صحة الكلمة هي (تختمش) لفظ جفتائي حديث يقابل لفظ منكو القديم ومعناه الخالد والباقي . (تاريخ بخارى ص ٢٢٢ وحاشية ٢) .

فيشاهبور توجه الى هراة عن طريق خواف • وبدأ في منتصف ذي الحجة
بحصار فوشبغ (قوريان الحالية) ففتحها ثم فتح هراة أيضا بعد حصار
دام أربعة أيام وأسر غياث الدين وعفا عنه وبعد اغتنامه خزائن ملوك
الكرت. أتى الى نيشابور وسبزوار • وفي هذا المكان أتى على المؤيد
السريداري خدمة تيمور وقدم الأمير ولي المستولى على جرجان في تلك
الأيام اليه مطيعا أيضا فعاد الى بخارى وبهذا انتهت الغزوة الأولى
لله لخراسان •

وبينما كان الأمير تيمور في مصيفه على حدود بخارى أتاه أتباع
لعلى السريداري وأخبروه أن الأمير ولي ورئيس التركمان في أبيورد
ونساء مع قبولهم طاعته اتفقوا على مهاجمة سبزوار فنهض تيمور في آخر
شتاء (٧٨٤هـ) لعون على السريداري الى خراسان وغافل قلعة كلات معقل
رئيس التركمان وفتحها ثم ألحق بها قلعة ترشيز التي استولى عليها أحد
عماله بنى كرت عاصيا بناء على طلب غياث الدين الذي كان في ركب تيمور ،
وفي هذا المكان وصل كتاب من شاه شجاع فدعاه الى ايداع أولاده اليه
فأجاب تيمور جوابا مطمئنا •

وارتحل تيمور من ترشيز الى مازندران فطلب الأمير ولي الأمان
منه فعاد الى خراسان واحتفظ بغياث الدين وأخيه وابنه من ذلك المكان
حبيسين أمام ناظريه فلم يسمح لهم بالعودة الى هراة ، واصطحبهم معه
الى سمرقند وأتاب في هراة عمالا من قبله •

وفي (٧٨٥هـ) تمرد أهل هراة على نواب تيمور فبعث ابنه ميرانشاه
من خراسان لقتالهم وجاء بنفسه في عقبه وأعمل التيموريون الذبح في
الهراتيين وأقاموا من جماجمهم منارات • وعند سماع تيمور بثورة أهل
هراة أخذ الغضب منه مبلغه حتى أنه أمر بقتل غياث الدين وأخيه وابنه في
سمرقند وفي خريف (٧٨٥هـ) قصد هراة وأقام يقتل في أهلها ثانية ويصادر
أموال هؤلاء المساكين وبعد أن سكن نار غضبه سلمت له سيستان وبغست
أيضا حتى حدود سيستان فعاد الى سمرقند •

الاستيلاء على مازندران واسترأباد في (٧٨٦ - ٧٨٧ هـ) :

كانت مازندران حتى عام (٧٥٠هـ) في يد طبقة من ملوك باوند من الأمراء القدامى الإيرانيين ، وفي هذا الوقت أردى شخص اسمه (أفراسياب التشلوي) آخر أمير لهم قتيلا وجعل من نفسه حاكما لها . وفي أيام ظهور أفراسياب التشلوي كان أحد السادات الحسينيين هو السيد قوام الدين المرعشي (من أولاد السيد علي مرعشي من أتفاد الامام علي زين العابدين) موضع احترام الناس التام في مازندران ، ودخل أفراسياب هذا ضمن مريديه خلقت له لعله يزيل من أذهان الناس قبيح فعله بقتل آخر ملك باوندي .

ولم يدم اتصال أفراسياب بقوام الدين لأنه بعد قليل ألقي به في الحبس ولما أطلق سراحه زاد مريدو الشيخ عن ذي قبل . وفي النهاية ملك أفراسياب في الحرب التي ثارت بينه وبين قوام الدين في (٧٦٠هـ) وصار قوام الدين حاكم مازندران وأسس أسرة تسمى بالمسادات العلوية القوامية . وقد طوع قوام الدين بيد أولاده من عام (٧٦٠هـ) حتى (٧٨١هـ) سنة وفاته شطرا هاما من جيلان وغيروزكو وكلا رستاق ونور وكجور حتى هزار جريب وقزوين .

كان لقوام الدين أربعة عشر ولدا ولما مات هاجم ابنه الأكبر السيد كمال الدين وخليفته استرأباد وجرجان وهما ملك الأمين ولي وغلب الأخير في (٧٨٢هـ) وهزمه إلى خراسان .

وفي الغزوة الثانية لتيمور في خراسان زين ابن أفراسياب للتشلوي لتيمور ففتح مازندران انتقاما لدم أبيه ، وكان تيمور حبيبا أيضا من الأمير ولي فزحف إلى خراسان من بلاد ما وراء النهر للقضاء عليه والمسادات القوامية في (٧٨٦هـ) وأتى منها كبودجامه (فيما حول أشرف أوبه شهر الحالية) . وغلب تيمور الأمير وليا في أحرش كبودجامه . وتتعبه إلى الري . وفي ربيع (٧٨٦هـ) بلغ السلطانية لضمها وكانت لابن

السلطان أحمد الجلايري ، وفي أواخر هذه السنة استحوذ على قلعتها .
وفي بدايات (٧٨٧هـ) تحرك تيمور الى آمل وسارى فقدم كمال الدين مطيعا
اليه فأبقى. مازندران لأولاد قوام الدين وعاد الى سمرقند .

هجوم السنين الثلاث (٧٨٨ - ٧٩٠ هـ) :-

لاذ الأمير ولنى بعد هجوم تيمور على جرجان والرى بالفرار الى
آذربايجان ودخل طاعة السلطان أحمد جلاير ، وبعد فترة أتى من طرفه
الى عادلى آقا حاكم السلطانية يدعوه الى طاعة السلطان الجلايري ويغزو
خراسان بعونه ، لكنه لم يخرج بشيء من مهمته هذه فعاد الى تبريز
ونصب عليها من قبل الجلايري .

وموافق هذه الأيام حمل توقتمش خان الذى أبلغه تيمور بسلطنة
صحراء القبجاقي فيما سبق على تبريز عن طريق الدربند فاستخلصها من
يد الأمير ولنى ونهبها وعاد الى صحرائه بعد فترة من التقتيل والنهب ومات
السلطان أحمد أثناء ذلك .

وحدثت هذه الأنباء الأمير تيمور الى التحرك الى ايران فعبّر جيحون
(٧٨٨هـ) وقضى ثلاثة أعوام يقاتل ويذبح وينهب فى الولايات بعد شاطيء
النهر المواجه لايران وقد سمي المؤرخون المعاصرون هذه الغزوة التى
طالت ثلاثين بينين بهجوم السنين الثلاث .

وقبل بلوغ تيمور خراسان استصفى عاد آقا بعون أمراء ميرانشاه
ابن تيمور وجنوده همدان والحق بها تبريز من يد أتباع أحمد جلاير وأسر
(أمير ولنى) فى كرمروود ياذربايجان وأهلكه . فوصل تيمور الى مازندران
على عجل ، وبعد أن جدد طاعته كمال الدين القوامى وعلى السريدارى
قصد لصيد الملك عز الدين اللورى (٧٥٠ - ٨٠٤ هـ) وأصيب فى الهجوم
الذى قام به على خرم آباد على المؤيد آخى الأمراء السريداريين وهلك .
ولما سمع تيمور بعد أن أسير عز الدين أن أحمد جلاير آت من بغداد الى

تبريز وجه ابنه ميرانشاه اليها ثم توجه هو نفسه اليها كذلك . وخلقى السلطان أحمد تبريز وكر راجعا الى بغداد فتملكها تيمور بلا منازع ثم ألحق بها في ملكيته آخر صيف (٧٨٨هـ) أرمنية واستولى على تفليس بهجمة واحدة ودعا ملكها لقبول الاسلام وجلب شروان أيضا تحت تبعيته بادخال أميرها طاعته .

وفي أوائل ربيع (٧٨٩هـ) أرسل توقتمش خان ثانية بجند له الى أران وأذربايجان ، فتعقبهم ميرانشاه بأمر من أبيه الى الدربند واستأسر منهم كثيرا ، وخلق تيمور عليهم جميعا وأعادهم الى توقتمش وذكره عن طريقهم بسوابق فضله عليه ودعاه الى ترك الخلاف .

وبعد فتح أذربايجان والكرج وشروان أخذ تيمور مثل بايزيد العثماني بلاد أرمنية وأرزنه الروم وارزنجان أيضا وبعث ميرانشاه يتعقب قرا محمد القراقويونلو رئيس تراكمه وان وبايزيد فهرب قرا محمد وفتح تيمور مدينة وان أيضا بعد حصار سبعة وعشرين يوما وعاد الى أذربايجان .

وفي بداية هجوم السفين الثلاث راسل تيمور سلطان زين العابدين ولد شاه شجاع وخلفه يستدعيه اليه بموجب الوصية التي أودع بها شاه شجاع أولاده اليه ، فلم يأبه زين العابدين بطلبه ولم يدع مبعوث تيمور يعود ، فغضب تيمور لهذا وقدم أصفهان لتأديبه عن طريق همدان وكلبايكان . وطلب علماء أصفهان أمان تيمور وتعهدوا بأداء مال اليه . فقبل تيمور وأرسل بعض أمرائه الى داخل المدينة لتحصيل المال ، فأنزل هؤلاء الأمراء في جمعهم المال أذى كثيرا بأهل أصفهان ولم يرعوا عن انتهاك حرمان أهلها . فثار الناس وقتلوا محصلي تيمور ونوابه في جمع المال بأنسوا حال وقامت ثورة عظيمة بالمدينة . وهاجم تيمور أصفهان وقت الغروب وظل يقاتل أهلها حتى صباح اليوم التالي فلما دخل أصدر أمره بذبح أهلها وأمر فجمع له سبعون ألف جمجمة فأقام منها هذا

السفك منارات من الجماجم في المدينة بحيث أقيمت في نصف قلعة
أصفهان ثمان وعشرون منارة من ألف وخمسمائة رأس وفي النصف الآخر
أقل قليلا خلاف المنارات خارج القلعة .

وبعد واقعة أصفهان الأليمة عزم الأمير السفك الكوركاني الى
شيراز وهرب زين العابدين المظفرى كما مر منها فزعا واعتصم بشوشتر
لدى شاه منصور فحبسه بها . وفي أواخر (٧٨٩هـ) دخل تيمور شيراز
بلالئى ، ولما وصلت مسامعه أخبار عصيان توقتمش خان في هذا الوقت
قام بتقسيم البلاد المظفرية بين شاه يحيى وعماد الدين أحمد أبى إسحاق
حفيد شاه شجاع وعجل الى سمرقند .

الصراع بين تيمور وتوقتمش (٧٩٠ - ٨٣هـ) :

في أيام هجوم السنين الثلاث قصد قمر الدين دوغلات الى توقتمش
لينتقم لهزائمه السابقة فأوعز اليه أن يجعل بلاد تيمور من الناحيتين
موضع هجومها .

وهاجم قمر الدين من ناحية فرغانه وتوقتمش من جهة بخارى بلاد
ما وراء النهر في (٧٩٠هـ) وثار أهل خوارزم بتحريض توقتمش على
اتباع تيمور . أما قمر الدين فقد لقي الهزيمة من عمر شيخ ولد تيمور
ولما سمع توقتمش برجوع تيمور هرب الى صحراء القبجان ، فبلغ تيمور
خوارزم ، وقام بتخريب هذه المدينة الى حد أنه لم يسكن فيها حائط
يستراح تحت ظله وزرعوا الشعير فوق أطلالها ، ولم يسكنها واحد الى
عام (٧٩٣هـ) حين أمر تيمور باعادة تعميرها . وفي أواخر نفس عام
(٧٩٠هـ) مات سيور غتمش خان الذى اختاره تيمور في (٧٧١هـ) على
سلطنة ما وراء النهر وجعل الأمير الكوركاني محمود خان ولد سيور
غتمش حاكما بعد أبيه مراعاة فيما يبدو لحقوق أولاد جغتاي .

وفي شتاء (٧٩١هـ) هاجم توقتمش خان مرة أخرى ما وراء النهر

لكنه هزم أيضا من عمر شيخ وتعقبه تيمور حتى أرض المغول وصحراء القبجان وعاد إلى سمرقند بعد غزو وقتال فيهما وتحرك في منتصف صفر (٧٩٣ هـ) إلى صحراء القبجاق بعد الاستعداد لهجوم قاطع ، وفي الخامس عشر من رجب لنفس العام أنزل على شاطيء اتل (الفولجا) الأيسر بتوقعتمش هزيمة فادحة وعاد إلى عاصمته بخنائم وأسرى كثيرين .

هجوم السنين الخمس (٧٩٤ - ٧٩٨ هـ) :

ولما عاد تيمور من صحراء القبجاق أناب ابنه ميرانشاه في حكم خراسان وحفيده « بير محمد » في حكم غزنة وكابل ، وبعد خلاصه من مرض شديد أصابه قصد إيران في رمضان (٧٩٤ هـ) لاختاد الثورات التي شبت بها وظل يقاتل فيها خمسة أعوام وتسمى حروبه هذه بهجوم السنين الخمس . وأتى تيمور أولا إلى جرجان ومازندان وكان السيد كمال الدين القوامي قد آثر العصيان فغلب تيمور جنده وأرسل بالسيد في سفينة إلى خوارزم . وبعد قضاء الشتاء بمازندران اتجه في صفر (٧٩٥ هـ) إلى شوشتر عن طريق الري والسلطانية وكجروود (سلطان آباد العراق) وفرشاه منصور المظفرى من أمامه وكان استقل بشوشتر في ذلك الوقت صوب شیراز فذهب تيمور في أثره إليها .

وأورد تيمور كما مر بنا في تاريخ شاه منصور بالأمير الشجاع المظفرى في حرب خروس قرب شیراز مسورد الهلاك وأدرك أسيرة آل المظفر وترك فارس إلى عمر شيخ وعاد إلى أصفهان . وبعد عدة أيام من إقامته بها توجه إلى آذربايجان وعراق العرب لمقاتلة السلطان أحمد جلاير وقراقويونلو .

وتمكن تيمور من قرا محمد والآق قويونلوية فهزمه بشدة وفي شوال (٧٩٥ هـ) تحرك تجاه بغداد .

وأخلى السلطان أحمد بغداد ولم يك يطيق مقاومة تيمور وهرب إلى

الثام ويمهم تيمور الى فتح قلعة تكريت التي صارت وقتها عش فساد لعابري السبيل والقوافل ففتحها بعد لأي شديد وجعل من رؤوس المدافعين عنها منارات ، وبعد أن أدخل طاعته واسطا والبصرة سلك طريق الجزيرة . وفي هذا السفر أصاب سهم قاتل في ربيع الأول (٥٧٩٦) عمر الشيخ اثناء قدومه لملاقاة أبيه على بعد أربعة منازل من بغداد من سهام أهل هذا المكان ، فأرسل تيمور بابنه بير محمد خلفا لأبيه الى حكومة فارس .

وأما تيمور ببقية عام (٥٧٩٦) في فتح بلاد أرمنية والكرج وضرب التركمان وبلغ العراق العربي بقضاء الشتاء ، وفي هذا الحين بلغه خبر هجوم توقتمش خان على الدربند وأران مجددا فخف تيمور اليهما على جناح السرعة وهاجم صحراء القبجاق منهما .

وفي هذا السفر الذي بدأ في ربيع الثاني (٥٧٩٧) أنزل على ضفاف نهر (ترك) في شمال القفقازنة بتوقتمش هزيمة ثانية وترك في عقبه ولايتي الشركس والقزاق ودخل روسيا واستولى أيضا على مدينة (موسكو) وبعد اغارته عليها رجع الى آذربايجان . ثم عمل على اخماد الفتنة التي ثبتت في غيابه في نهاوند وسيرجان ويزد و آذربايجان وحسين ذاك ترك حكم آذربايجان الى ميران شاه وقصد الى سمرقند في شوال (٥٧٩٨) وحول في السنة التالية حكم خراسان و هراة كذلك الى شاهرخ ابنه الثاني .

فتح الهند في (٥٨٠١) : —

عاد تيمور من هجوم السنين الخمس وكان أول ما فكر فيه بعد ذلك أن يغزو الخطا والختن أي ما وراء كاشغر والصين الأصلية ، لكن لا يعرف لماذا قدم على هذا الغزو فتح الهند في هذا الآن ، ووصل الى كابل بنية جهاد كفار ذلك البلد في غرة ذي الحجة (٥٨٠٠) وبعد

قتال مع الأفغانيين في جبال سليمان عبر وادي خيبر ثم عبر السند أوائل
(٨٠١ هـ) .

وكان حكم السند والبنجاب في هذا الحين للسلطان محمود الثاني
من ملوك التغلقين أو أسرة أبناء محمد تغلق. وكان مقره مدينة دهلي .

لما عبر تيمور نهر السند بدأ بحصار قلعة (بطنير) من قلاع البنجاب
الهامة وبعد ستة أيام اجتاحتها في السابع والعشرين من صفر وقتل نحو
عشرة آلاف من الهنود ثم اتخذ سبيله الى دهلي .

وتواجه جيش تيمور والسلطان محمود في السابع من ربيع الثاني
(٨٠١ هـ) في (بانى بت) على مقربة من دهلي ، وفي هذه المعركة التي كان
النصر الكلي فيها لتيمور قتل نحو مائة ألف من أهل الهند بيد جنوده
وهرب السلطان محمود الى دهلي ودخلها تيمور في العاشر من ذلك الشهر
وأخذ جنوده ينهبون المدينة ومكثوا بها خمسة عشر يوما . وحين بلغ
تيمور أنباء ثورات نشبت بإيران عجل يترك دهلي فقسم بلاد آل تغلق
بين قواد جيشه وعاد الى سمرقند عن طريق أفغانستان .

هجوم السنوات السبع (٨٠٢ - ٨٠٨ هـ) :

حينما انقلب تيمور الى سمرقند أنبىء أن ابنه سقط من على جواده
فأصيب بارتجاج شديد في مخه فصار يصدر عنه أمور شاذة (١) ولهذا
سلك الرعايا المغلوبون في الكرج وأذربايجان والعراق طريق العصيان ،
فتأهب تيمور بحملة جديدة على إيران وبلادها الغربية وزحف اليها .
وغزواته هذه التي تسمى بهجوم السنوات السبع هي آخر حروب له .

(١) يميل فامبرى الى أن ميران شاه كان يعاني من الهذيان وأن مؤرخيه
برروا سلوكه الشاذ بأصابته في مخه اثر سقوطه من فوق فرسه ، وقد روى
عنه أنه أمر يوما بهدم دور كثيرة ومساجد وغيرها من المنشآت لا شيء الا لأن
يذكره الناس بتدمير كل شيء باعتباره ابن أعظم رجل في الدنيا ولا بد أن يشتهر
بأي شيء . راجع تاريخ بخارى ص (٢٣٣) حاشية (١) .

وكانت الخطوة الأولى في هجوم الأعوام السبعة وصوله إلى تبريز وبعد تنبيه حاشية ميرانشاه وندمائيه وتنظيم أوضاعها قصد الكرج لقتال أهلها الذين استفادوا من الظروف التي جرت فهاجموا آذربايجان . وبعد أن أوقف الكرجيين على حدودهم وهاجم بلادهم أخبر من آذربايجان أن السلطان العثماني (بايزيد خان الأول) (٧٩٢ - ٨٠٨ هـ) طلب من وإلى هذا البلد المال والخراج . وتبادل الجانبان مراسلات يهدد فيها كل منهما الآخر وانتهت بتقديم تيمور أوائل المحرم (٨٠٣ هـ) إلى سيواس من بلاد الروم ، وبعد حصار عشرة أيام عصف بها واستولى على مدينة ملطية والسواحل الجنوبية للبحر الأسود أيضا وترك هذه البلاد لجد التركمان الآق قويونلو وهو قرا عثمان البايندرى وعرج على الشام .

في (٨٧٩ هـ) أثناء هجوم السنوات الخمس حينما كان تيمور في إيران وجه سفيرا من لدنه إلى سلطان مصر الملك الظاهر برقوق من المماليك البرجية يظهر له مودته ، فأردي الملك الظاهر مبعوث تيمور قتيلا واستأسر حارس الحصن قلاع أرمنية عن عريق قرا يوسف بن قرا محمد وأتى به إلى مصر وألقاه بالسجن .

فلما فتح تيمور ملطية أرسل إلى ولد وخلف الملك الظاهر الملك الناصر هرج (٨٠١ - ٨٠٨ هـ) رسلا يطلبون إطلاق سراح قائد القلعة المحبوس ، فلم يبال الملك الناصر بدعوة تيمور كما فعل أبوه من قبل بل أودع رساله السجن ، فلما بلغ تيمور هذا الخبر ركبته الغضب حتى أتته عند الحملة على الشام ومصر أهم من تعقب السلطان العثماني ، فتقدم من الجزيرة إلى حلب مباشرة وفي التاسع من ربيع الأول (٨٠٣ هـ) بلغ قلعة هذه المدينة وفتحها في الحادي عشر منه وأغار على المدينة ونهبها وسلك طريق دمشق بعد مكث خمسة عشر يوما .

وكانت دمشق إذ ذاك مركز معسكر الملك الناصر وبلغ هذا السلطان بجيش كثيف من مصر دمشق بطلب أهل الشام . ولم يكن بالند للأسير

تيمور فبعد حرب قصيرة هرب من الشام الى مصر فسلم أهل دمشق لتيمور خوفا من الذبح ، فأمنهم تيمور ، وبعد قليل أمر بنهب دمشق مركز النفائس وسوق الثروة والأمتعة القيمة متذرعاً بأسباب غير وجيهة فقامت فيها فتنة عظيمة أصاب في نتيجتها هذه المدينة الجميلة وأهلها ضربات شديدة .

وبعد فتح الشام عاد تيمور الى العراق ليقبض على جندور فساد السلطان أحمد جلاير الذي لم ينجب اليه تماماً وكان دائم الظلم والجور لرعاياه وليضم عاصمته بغداد الى بلاده .

في أيام انشغال تيمور في الهند وغزواته في بلاد الكرخ وسسيواس والشام وفق أحمد جلاير بمؤازرة قرا يوسف التركماني في أن يستعيد الجزيرة وبغداد لكنه كان كثير الظلم فطرده رعاياه عن بغداد فارتحل السلطان أحمد الى الموصل وعاش بها مع قرا يوسف تحت حماية السلطان العثماني بايزيد خان .

هاجم تيمور بغداد مع مقاومة واليها الشديدة في السابع والعشرين من ذي القعدة (٨٠٣ هـ) وأمر انتقاماً لقتل بضعة نفر من قواده كانوا قد قتلوا أثناء حصارها بأعمال الذبح فيها إذ جعل كل جندي في جيشه البالغ عشرين ألفاً يضرب عنق بغدادى ويعطيها اليه ففعلوا كما أمر وفي هذه الواقعة خرب كثير من الأبنية والمدارس والمساجد ببغداد .

ولما فرغ تيمور من فتح بغداد وسائر بلاد العراق شد رحاله الى قرا باغ لتمضية الشتاء بها وهناك هياً أموره للحملة على بلاد الروم وقتال بايزيد خان .

حرب أنكوزية في التاسع عشر من ذي الحجة (٨٠٤ هـ) :

بعد أن عاد تيمور من العراق هاجم قرا يوسف التركماني ببغداد لكنه هزم من أبى بكر حفيد تيمور ووالى العراق فلاذ بالسلطان بايزيد خان

وحرص السلطان على ايذاء الأمراء الأناضوليين الذين رضوا بحماية تيمور وتبعيتهم له • ولم يلق السلطان بايزيد فكرا لتقوية جيشه ولا بالامتنع تيمور لاغتراره بفتوحاته السابقة في الأناضول مع هزيمته في سيواس والفرصة التي لاحت له عندما كان تيمور منشغلا بحروب الشام والعراق ، وكان منهمكا في الصيد والقنص حتى قبل المعركة بثلاثة أيام ولما انتوى الاسراع لصد تيمور هلك من جنوده نحو خمسة آلاف عطشا نتيجة ما دبره تيمور اذ قطع عليهم طريق الماء •

وشبت الحرب في التاسع عشر من ذي الحجة (٨٠٤هـ) جنوب غربى مدينة انكورية أو انقره (عاصمة تركيا الحالية) ودامت من الصباح حتى المساء فى حرارة الصيف • وأجبر السلطان بايزيد على الفرار مع استبساله فى المقاومة بسبب القيظ وهلاك جميع جيشه لكنه وقع فى الأسر فتلقاه تيمور بالاحترام واحتفظ به معه وظل السلطان فى جيش تيمور الى ان وافاه أجله فى شعبان (٨٠٥هـ) •

وبعد فتح ولايات الأناضول وصل تيمور حتى أزمير وشاطئ البحر المتوسط وهناك أتاه مبعوث الملك الناصر فرج الذى حل به الفزع لفتوحات تيمور وأظهر له تبعية ملكة للأمر صاحب العراق وقبل الملك الناصر من هذا الوقت أن يخطب لتيمور ويسك عملته باسمه •

وعاد الأمير تيمور بعد هذه الانتصارات الى قرا باغ وبعد تبضية الشتاء فيها توجه الى مازندران فحطم ثوارها وفى المحرم من (٨٠٧هـ) بعد سبعة أعوام عاد أدراجه الى سمرقند •

وفى (٨٠٥هـ) أى فى الهجوم على بلاد الروم مات السلطان محمود خان بن سيور غتمش آخر بقية الحكام الجغتائيين والذى رفعه تيمور قبل ذلك الى السلطة وكان يجالذ بسيفه — أى تيمور — باسمه فى الظاهر أو قتل فى رواية أخرى بأمر تيمور • ولم يختار تيمور خانا فى محله وأمر أن تجرى الخطبة والسكة باسمه ، ومن هذا الأوان أصاب تيمور فى الحقيقة مقام السلطنة •

موت تيمور في السابع عشر من شعبان (٨٠٧ هـ) :

ولما عاد تيمور الى سمرقند زوج بضعة نفر من أحفاده واحتفل سرورا بهذا الأمر وبالفتاحات التي صارت نصيبه احتفالات طويلة وتأهب لمهاجمة الصين والتي كان فكرة فتحها تراوده قبل غزوه الهند .

وبعد اعداد مائتي ألف رجل ومثلهم فرسان زحف تيمور ومعه بضعة من قواده وأحفاده في الثالث والعشرين من جمادى الأولى (٨٠٧ هـ) صوب شاطيء سيحون . واتفق أن كان الشتاء في ذلك العام شديد البرودة حين قام تيمور قبله بقليل من مرض ألم به ، فأصيب بالبرد في (أترار) (فاراب القديمة) على شاطيء سيحون ولما كان أفرط في شرب العرق سقط مريضا في حالة خطيرة ، وهناك حل بل المنون في السابع عشر من شعبان (٨٠٧ هـ) في سن الحادية والسبعين ودفن بها .

مع أن الأمير تيمور أحد أعظم الفاتحين والغزاة ومن القواد المحنكين المتدبرين وليس في هذا ريب الا انه يقل نظيره في القسوة والعنف والفظاظة والدهاء . ولا تصح مقارنة بجنكيز لأن جنكيز كما نعلم فضلا عن جمعه الصفات اللازمة لتمتلك البلاد وفتحها يمتاز بصفتين الأمير تيمور خلو تماما منهما الأولى صفة ادارة البلاد المفتوحة ورعاية العدالة والقانون والنظام والترتيب والثانية خلوه من التعصب الديني وحياده في مسألة الأديان والمذاهب عند الرعايا المهزومين في حين أن أعذار تيمور في غزوه الهند والصين ونهب دمشق كانت أعذارا دينية وكان يفرق في تذييحه للمهزومين بين المسلم والمسيحي (١) .

(١) القول ان تيمور كان يتذرع لحروبه بتذرعات دينية ينقصه الدقة لأن مثل هذا السفك كان يهيمه أولا وقبل كل شيء لغزو البلاد ما فيها من خيرات وما يجره فتحها من تمكن سياسي يدفعه حبه للسفك المعهود فيه ولم يأخذ في اعتباره وقت الغزو أو الذبح أي دين أو مذهب فقد قاتل في الهند المسلمين وغير المسلمين ولم يفرق بين مسلم أو بوذي وأغار على دمشق ونهبها ولكن لم تبلغ مآسى ولا فظائع بغداد فلم يفرق بين سني أو شيعي ولم تترك بلاد الكرج دارمنية المسيحية ما رأت اصفهان أو هراة المسلمتان غنائى لتيمور مراعاته الدين والمذهب في غزوه وسفكه ؟ .

وبعثت هاتان الصفتان الموجودتان في جنكيز والمنعومتان في تيمور على أن تدوم دولة الأول خلاف دولة الثاني فترات بعد موت مؤسسها ، وأن يحفظ أولاد جنكيز البلاد الواسعة التي فتحها وامتدت من المحيط الهادى حتى البحر المتوسط في كمال انتظام ونظام وترتيب تحت أمرهم نحو قرن في حين أن دولة تيمور كانت كدولة نادر الأفشارى في سرعة تفسخها مرة واحدة بعد وفاة مؤسسها ولم يستطع واحد من بعد تيمور ممن خلفوه أن يحافظ على هذه البلاد تحت نظام وإدارة سليمين .

قل اتساع البلاد التيمورية عن الجنكيزية بقليل لأنه إذا كان تيمور قد زاد عن بلاد جنكيز ضمه للهند وجزءا من روسية لكنه لعدم تمكنه من فتح الصين لم يصل اتساع ملكه الى درجة وسعة البلاد الجنكيزية .

ولم يدع استبداد تيمور بالأمر وعدم اعتناؤه بالأمور الادارية لبلاده أن يبرز في عهده وزراء عظام كأيام السلاجقة والایلخانات . أما من شغلوا في أيام تيمور الوزارة أو الأعمال الديوانية الأخرى فقد كانوا أناسا مجهولين عد أغلبهم منشئين خاصين بهذا الأمير ولم يشاهد منهم أى نوع من الكفاءة في إدارة البلاد وقد أهلك أغلبهم تيمور نتيجة لأقل خلاف كان يصدر منهم (١) .

(١) في قول المؤلف تهانف الى حد كبير لان تيمور معروف انه له مجموعة من القوانين هي المسماه (توزوكات تيمور) أى مراسيمه (توزوك في التركية تعنى المرسوم والقانون) فوق انه ضمنها سيرته وهى تتصل بالياسا المغولية . ومن هنا نقل قوانين جنكيز خان الخاصة بالنظم العسكرية في البلاد واحتفظ بالرتب العسكرية المغولية كرتبة تومان أغناسى (قائد العشرة آلاف) ويوزياشى (قائد المائة) وأونباشى (قائد العشرة) . وبقي نظام الحكومة على حاله اللهم الا قوانين المكوس فبعد عدلت ، ومنسق الشرع الاسلامى . واقتبس تيمور قواعد السلاجقة والخوارزميين لمص الرتب فأخذ من الأخيرين رتبة بكريكى أو أمير الأمراء . ولم تسكن الإدارة المدنية على ما ورد في توزوكات تيمور بأقل نظاما من الإدارة العسكرية التي يرجع اليها الفضل في فتوحات تيمور الواسعة ، فكان على رأس هذه الإدارة ديوان بيكى (كبير الحجاب) يعاونه أرزيكى (الحاجب) وأربعة من الحجاب وكان أحد هؤلاء الوزراء يوكل به شئون الخراج والمكوس والشرطة .

مادة تاريخ ولادة وخروج وموت الأمير تيمور

السلطان تيمور الذي كان نسيج وحده
ولد في سنة ثلاثين وسبعمائة
وخارج في الواحدة والسبعين والسبعمائة
وودع العالم في السابعة بعد الثمانمائة (١)

أما الثاني فكان يناط به أمر مدفوعات الجند وتموينهم ، في حين كان يختص الثالث بسجلات واحصائيات الجيش والمواريث والرايسع بنفقات البلاط السلطاني . وكان كبار الموظفين يوكل لهم تنفيذ القوانين وجمع الخراج في رفق بالناس ما وسعهم ذلك . والمفروض أن استخدام السوط كان ممنوعا منعا باتا حتى لدى تيمور يقول ان الحاكم الذي يهاب الناس سوطه أكثر من شخصه غير جدير بمنصبه . انظر تاريخ بخارى ص ٢٠٧ وحاشية ٣ ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(١) أصل الأبيات بالفارسية : -

سلطان تهرآنکه مثل او شاه نبود

در هفتصد و سی و شش آمد بوجود

در هفتصد و هفتاد و یکی کرد خروج

در هشتصد و هفت کرد عالم بدرود

الفصل العاشر

خلفاء تيمور

(٨٠٧ - ٩١١ هـ)

كان للأمير تيمور أربعة أولاد هم :

١ - الأمير غياث الدين جهانكير وقد مات في أوائل ظهور أبيه
بسمرقند وأعقب ولدين هما السلطان محمد ولي عهد تيمور ومات في
هجوم السنين السبع أي في شعبان (٨٠٥) والثاني بير محمد الذي فوض
إليه حكم غزنة والهند وولاية عهد تيمور وقد قتله أحد أمرائه بعد
موت جده .

٢ - الأمير معز الدين عمر شيخ حاكم فارس وقد مات أيضا في
حياة أبيه كما مر بنا إذ قتل في (٧٩٦ هـ) على بعد أربعة منازل من
بغداد .

٣ - الأمير جلال الدين ميرانشاه حاكم آذربايجان والعراق
والجزيرة الذي أصيب في أواخر أمر تيمور باختلال في مخه واستمر يحكم
في ملكه بعد أبيه حتى (٨١٠ هـ) مع وجود هذا المرض به وفي النهاية كما
سيمر قتله في العام الأخير قرا يوسف التركمانى .

٤ - الأمير معين الدين شاه رخ أفضل وأشهر أولاد الأمير
الكوركاني الأربعة وهو الذي جلس بعد موت أبيه على سلطنته رسما (٣)

(٣) مع أن تيمور وابناءه كانوا من الترك وكانت التركية شائعة جدا

=

ولما مات تيمور كان له ستة وثلاثون عقبا ذكرا من أولاده وأحفاده ،
ولكى يحول بين أعقابه والنزاع على حكم البلاد قسم بلاده بينهم في
حياته الا أن تدبيره لم يؤثر لأن الحرب احتدمت ما بين ولديه الباقيين
ميرانشاه وشاهرخ وأحفاده الكثيرين بعد موته مباشرة واستولى كل من
الولدين بالتدريج على أجزاء من أملاك أولاد أخويهما ، وتآلفت من البلاد
التيمورية الواسعة دولتان كبيرتان احدهما دولة ميرانشاه وابنيه أبى
بكر ومحمد عمر في ايران الغربية والعراق والجزيرة وأران والكرج
وأرمينية ، وثانيهما دولة شاهرخ في خراسان وهراة وما وراء النهر .
وأسرعت الأيام بزوال دولة ميرانشاه بعلّة سفاهته وثورات ولديه وقسوة
آل جلّاير وتراكمه القراقويونلو في حين أن دولة شاهرخ دامت فترات
نتيجة لكفاءته وعقله وخبرته الأمور وغدا بلاطه وبلاط خلفائه من أفضل
مراكز العلم والأدب والفنون وبرزت فترة لألاءة أخرى على اثر وجوده
ووجود ابنائه في تاريخ حضارة ايران .

١ و ٢ - السلطان خليل وشاهرخ

(٨٠٧ - ٨٥٠ هـ)

مع أن شاهرخ اختاره أبوه في (٨٧٩٩ هـ) لحكم خراسان وسيستان
ومازندان فقد أقل الإقامة في حوزة حكمه وكان أكثر أوقاته مرافقا لأبيه
في غزواته الا حين سيره الى هراة لإدارة حكومتها في رجوعه من غزو
الأناضول ، ولما مات تيمور كان شاهرخ مقيما بهراة . ولما علم بموت

في بلاطهم بقول غامبرى الا انهم لم يستطيعوا التخلص من الفارسية حتى في
أسمائهم ، فالابن الاول لتيمور (جهانكير) يعنى اسمه الفارسي هذا المستولى
على الدنيا) والابن الثالث (ميران شاه) يعنى اسمه (ملك الامراء) والرابع
(شاهرخ) يعنى اسمه الشاه الرخ ، وابن الولد الاول له وهو (بير محمد)
يعنى اسمه الشيخ محمد وغير ذلك من أسماء الامراء والقواد .

أبيه بقى فى بلاده ولم يفكر لسلامة نفسه وجبه السلام فى منافسة أخيه
وابناء أخويه •

ورشح الأمراء التيموريون المقيمون باترار بعيد موت سيدهم
(ميرزا خليل) ولد ميران شاه حاضرهم بالمعسكر للسلطنة مع أن تيمور
عين بير محمد ولد جهانكير لولاية عهده وأجلس فى الرابع من رمضان
(٨٠٧ هـ) فى سمرقند على عرش السلطنة التيمورية وكانوا يعتقدون أنه
سوف يمضى غزو الصين وهم معه تحت امرته •

وقد دفع انتخاب ميرزا خليل للسلطنة بير محمدا المناهضة ابن
عمه ، وكان حاكم فارس وأخوه ميرزا رستم حاكم اصفهان وأخوه
الثانى ميرزا اسكندر مالك همدان ، فقرر بعد مشاورة أمراءه أن يتجه
رغم أنف ميرزا خليل وأبيه ميرانشاه الى شاهرخ عمه وزوج أمه ليدعوه
الى السلطنة • وقبل شاهرخ هذا الطلب وأبقى بير محمدا من جانبه على
حكم فارس وقام بنهاية الكفاءة والعدالة بتصريف أمور ذلك الجزء من
ايران ونشر الأمن والعدل فيه •

وواجهت سلطنة ميرزا خليل فيما وراء النهر مشاكل كثيرة لأن فئة
من الأمراء والناهضين لتحكيم وضعية تيمور رفعوا رؤوس العصيان وكان
مسلك ميرزا خليل غير مرض مما جعل شاهرخ يزحف الى ما وراء النهر
لتأديب ميرزا خليل والاستحواذ على خزائن أبيه التى استلبها خليل •
وأرسل خليل سفراء الى شاهرخ حينما كان ببلخ يظهر له الطاعة ومسير
له جزءا من خزائن تيمور • فصدق شاهرخ على سلطنة خليل على ما
وراء النهر وعاد الى خراسان • أما بير محمد فلم يكف عن دعواه
وجرد جيشه لمهاجمة ما وراء النهر لكته غلب وهرب الى قندهار وكان
بصدد هجوم آخر حين أصاب منه أحد أمراءه وكان وزيرا له مقتولا فى
(٨٠٩ هـ) •

وعزل خليل بعد فترة بيد أحد أمراءه الأقوياء ثم حبس واستولى

خان كاشغر على ما وراء النهر • وقصد شاهرخ هذا الطرف لاصلاح
أموره وأرسل ميرزا خليلا لحكومة العراق وأناب ابنه ميرزا ألغ بيك في
حكم ما وراء النهر في (٨١٢ هـ) وظل خليل بحكم العراق الى أن مات في
(٨١٤ هـ) •

كان تيمور قد ولى في حياته في حكومة ايران الغربية والجزيرة
والعراق وأران وأرمينية والكرج كما ذكرنا جلال الدين ميرانشاه فلما
اختلط أشرك ولديه أبا بكر ومحمدا عمر في الحكم مع أبيهما وترك اختيار
جميع الأمور لمحمد عمر ابن ميرانشاه الأصغر • وبعد قليل قيد محمد عمر
أخاه أبا بكر وأرسله لسجن السلطانية ولاد ميرانشاه بخراسان •

وبعد فترة هرب أبو بكر من السلطانية وأتى أباه وحثه على العودة
الى آذربايجان وهناك في الحرب التي اشتعلت في الرابع والعشرين من
ذي القعدة (٨١٠ هـ) بينهم وبين قرا يوسف التركمانى أصيب ميرانشاه
بالقتل واستدعى اهل تبريز أبا بكر على رغم أنف محمد عمر اليها •

وثار محمد عمر الذى طرد من عام قبل حكمه واعتصم بشاهرخ على
غمه فلما غلب في الحرب وجرح وافاء أجله في ذي الحجة (٨٠٩ هـ)
وهرب أبو بكر أيضا بعد هزيمتين من قرا يوسف الى كرمان وقتل فيها في
(٨١٠ هـ) • وبهذا زال ميرانشاه وولداه أبو بكر ومحمد عمر ثلاثتهم في
سنوات متقاربة ومات الابن الثالث لميرانشاه وهو ميرزا خليل على نحو
ما سبق في (٨١٤ هـ) في حكمه العراق بعد أن أخلى من سلطنة ما وراء
النهر •

وفي (٨١٠ هـ) أوقع شاهرخ ببير بادشاه الطغا تيمورى هزيمة
شديدة ، ولما وقع الخلف بين أولاد أخيه عمر شيخ ميرزا اسكندر وميرزا
رستم وميرزا بايقرا الذين حكموا على فارس وهمدان واصفهان ذهب
شاهرخ لتهديتهم وفي (٨١٧ هـ) أخذ اصفهان من ميرزا اصفهان وأعطاها
لميرزا رستم • وبدأ رستم مع وصاية شاهرخ بسمل أخيه ثم قتلته في

(٨١٨ هـ) ، وبما أن ميرزا بايقرا عصى شاهرخ بدوره في سيران فقد قام شاهرخ بطرده عنها وترك فارس لابن له اسمه ابراهيم سلطان .

وبعد أن خلصت ما وراء النهر وجرجان وسيستان وكرمان وفارس وعراق المعجم قصد شاهرخ الى آذربايجان للانتقام لقتل أخيه ميران شاه من التراكمة القراقويونلو في (٨٢٣ هـ) فتقدم اليه قرا يوسف لكن قبله احتدام الوغى مات قرا يوسف فجاءة فأمضى والهاء الاسكندر وجهانشاه الحرب مع شاهرخ فخلبا وفقدوا الري . وفي الحرب الثانية التي جرت في (٨٣٢ هـ) والثالثة التي وقعت في (٨٣٨ هـ) كانت الغلبة في لنتييهما لشاهرخ ، وبعد الحرب الثالثة قبل جهانشاه طاعة شاهرج وولاه من طرفه حكم آذربايجان وهرب الاسكندر .

وبعد انتهاء أمر التراكمة القراقويونلو لم يقيم شاهرخ بغزو همام بعد ذلك وأمضى بقية أيامه في التعمير والحفاظ على العلاقات الودية مع بلاد الأطراف كالصين والهند والتبت .

وشاهرخ أحد أفضل الملوك الذين تسلطوا على ايران فقد اتصف فوق تدينه وتقواه وعدالته ومسالته ببالح كرمه وحبه للعلم ومطلبه للادب وتشجيعه الفنون وتعميره فقد رمم كثيرا من الخرائب التي وقعت من أبيه تيمور . وفي مدة ثلاثة وأربعين عاما من الحكم مع أنه لم يقدم على الحرب في وقت ما بقصد التملك الا انه كان يخوض الحرب كلما وقعت بتعقل شديد وكان يخرج ظاهرا في كل حروبه تقريبا .

وكان ينظم الشعر ويخط حسن الخط وكانت هراة في عصره مركز تجمع العلماء والأدباء والشعراء والخطاطين والرسامين فوق أنه أسس بها مكتبة ضخمة لاسيما وأنه أمر بتأليف عدد من أفضل الكتب التاريخية الفارسية وبتشجيع من هذا الملك المحب للفضل والفن وقد تتابع هذا العمل في عهد أولاده وأكمل أوائل العصر الصفوي .

وكانت إحدى نسوة شاهرخ وهي جوهر شاد آغا مشهورة بإنشاء

الآثار الخيرية وأقامت في هراة ومشد طوس بضعة مبان أشهرها مسجد
جوهر شاد. (أرض أقدس) •

٣- ميرزا علاء الدولة وميرزا ألغ بيك

(٨٥٠ - ٨٥٣ هـ)

لم يبق بعد شاه رخ من أولاده الخمسة غير ميرزا ألغ بيك ومات
بقيتهم في حياته • وأشهر هؤلاء الأولاد غير ألغ بيك غياث الدين بايسنقر
(٧٩٩ - ٨٣٧ هـ) الذي تخطى عن الملك وحكم تبريز واستقر أبداً بسبب
أنه كان صاحب ذوق فاضل محبا للأدب والجمال وصرف عمره في جمع
الكتب والاختلاط بأهل الفضل والأدب وكان بلاطه محل تجمع الرسامين
والخطاطين والموسيقيين والشعراء وأهل الأدب والفضل وكان نفسه
ماهر إني القريض وأنواع الخط الجميل خاصة • وهو الذي جمع شاهنامه
الفردوس ثانية ونظم منها الشاهنامه البايسنقرية • توفي بايسنقر في
اليسايح من جمادى الأولى (٨٣٧ هـ) ودفن بمسجد جوهر شاد بمشهد •

وبعد أن وصل خبر وفاة شاه رخ إلى سمرقند جلس ألغ بيك مكان
أبيه على العرش ومع أنه لم يطل في سلطنته لكنه أنشأ طوال مدة حكمه
على ما وراء النهر التي بلغت ثمانية وثلاثين عاماً (٨١٢ - ٨٥٠ هـ) في
سمرقند تبالطاً بتأثير بلاط أبيه وأخيه بايسنقر وكان على علم دقيق
أقسام العلوم الرياضية وكان يقضى الشطر الأعظم من أوقاته في المرصد
الذي شيده بسمرقند ، وفي (٨٢٣ هـ) نظم بعون جماعة من فحول العلماء
الرياضيين وعلماء الهيئه علمه عهد من مثل صلاح الدين موسى قاضي زاده
البرومي ومولانا على القوشجي وغياث الدين جمشيد الكاشاني الزيج
المعروف بالألغبيكي الذي أنبني على أصوله استخراج التقاويم حتى عهد
قريب (١) ، هذا فضلاً عن تشجيعه أهل الفضل والأدب والفن •

(١) . تتقسم جداول زيج ألغ بيك إلى أقسام أربعة وتتناول : مختلف
العصور والمناطق ، المواقيت ، مسالك النجوم ، ثم مواقع الأجرام الثابتة
(تاريخ بخارى ص ٢٦٨ ح ١)

لكنه خلافا لذلك لم يرمنه كفاءة جملة حتى انه لقي هزيمة في زمن حياة أبيه أي في (٨٢٨ هـ) من المغول الأوزبك ، ولم يوفق أيضا في وقائع عهد حكمه .

وبمجرد وصول خبر موت شاهرخ وقد لقي منيته حول الري أعلن حفيده ميرزا علاء الدولة ولد بايسنقر سلطانا في هراة وقبض على ابن ألغ بيك وهو ميرزا عبد اللطيف وألقى به في السجن . وأنفذ ألغ بيك رسلا الى ابن أخيه ليخلصوا عبد اللطيف . وعقد الصلح بين الطرفين ببقاء ميرزا علاء الدولة في حكم هراة وبعودة عبد اللطيف الى سمرقند لدى أبيه .

وفي (٨٥٢ هـ) طرد ألغ بيك بعون أولاده علاء الدولة عن هراة فاعتصم بأخيه ميرزا بابر بشيراز وعاد بعونه الى خراسان . .

وبعد أن قتل ألغ بيك أهل هراة لاتهامهم بعدائه وانحيازهم الى التراكمة القوا قويونلو تقدم لصد الأوزبك الى سمرقند فأتى ميرزا بابر الى هراة ورقى عرش شاهرخ وسمل علاء الدولة الذي بقى بقیة حياته ولم يكن في عمى كامل حتى عام وفاته (٨٦٥ هـ) يطرق هذا الباب وذلك الباب الى أن لقي حتفه على ضفاف الخزر .

وثار ميرزا عبد اللطيف على أبيه في (٨٥٣ هـ) في بلخ وكانت له الغلبة في الحرب التي جرت بينهما بل سقط ألغ بيك أسيرا في يد ابنه ، وأمر عبد اللطيف بأبيه فقتل بيد أحد خدومه في العاشر من رمضان (٨٥٣ هـ) بعد حكم عامين وثمانية أشهر . وعام قتل ألغ بيك هو عام التفسخ التام لبلاد تيمور لأن قبله طرد إخوه ميرزا بابر أخاهم بابر من هراة ، وصار أحفاد تيمور يقاتل أحدهم الآخر في ناحية من نواحي ايران وما وراء النهر ولم يكن لأحدهم لياقة أو جدارة لكي يدير دولة بهذا الاتساع ويفرض قوته على أعدائه .

٥ - عبد اللطيف

(رمضان ٨٥٣هـ - ربيع الأول ٨٥٤هـ)

لم يحكم ميرزا عبد اللطيف بعد قتله أباه أكثر من ستة شهور فقد كان مشهورا بالفظاظة وسوء الخلق واساءة الظن مع انه لم يكن خلوا من تذوق للأدب وهيبة وسياسة فقد حانت لخدم والده فرصة فقتلوه في السادس والعشرين من ربيع الأول خارج سمرقند رميا بالسهام وعلق رأسه بمدخل مدرسة ألغ بيك وقيل في هذه الحادثة شعر :
ان قاتل أبيه لا يليق بالملك
واذا لاق به لا يبقى غير ستة شهور (١)

٦ - ميرزا عبد الله

(٨٥٤ - ٨٥٥هـ)

ميرزا عبد الله هو ابن ميرزا ابراهيم سلطان بن شاه رخ وقد وصل الملك من بعد قتل عبد اللطيف فيما وراء النهر وابتلى أول حكمه بعصيان أبي سعيد حفيد ميرانشاه لكنه غلبه في فترة وجيزة ، فولى أبو سعيد وجهه لاجئا لأبي الخير خان ملك الأوزبك واستمده ، وفي جمادى الأولى (٨٥٥هـ) تمكن من ميرزا عبد الله على بعد فراسخ أربعة من سمرقند وأرداه قتيلا .

٧ - ميرزا بابر

(٨٥٢ - ٨٦١هـ)

وبعد أن فر ميرزا بابر بن ميرزا بابينغر من هراة أمام أخيه ميرزا سلطان محمد وقضى مدة من الانتقال والقتال غلب في النهاية وعاد ثانية

(١) البيت بالفارسية : بددکش بانشاهی رانشاید . . اكرشاید
بجزشمنه نیاید .

الى سلطنة هراة وفي هذه المرة قتل أخاه بعد لقاء ثان بينهما وظل يحكم
مستقلا في خراسان وهراة مدة سبعة أعوام الا أن جهان شاه قرا قويونلو
أخرج عن يده في (٨٥٧هـ) العراق وفارس وكرمان • وقد توفي ميرزا
بابر عام (٨٦١هـ) •

٨ — السلطان أبو سعيد

(٨٥٥ — ٨٧٣هـ)

ميرزا سلطان أبو سعيد هو ابن ميرزا سلطان محمد بن ميرانشاه
وقد اعتلى عرش ما وراء النهر بعد قتل ميرزا عبد الله بعون من أبي الخير
خان الأوزبك في (٨٥٥هـ) وهو — وقد بنى باحدى بنات ألخ بيك — الملك
الوحيد بعد شاهرخ من أسرة تيمور الذي ضم بضعة أجزاء هامة من بلاد
تيمور زمانا تحت ادارة واحدة وقيامه كذلك بفتوحات عظيمة •

بعد أن تغلب أبو سعيد على أحفاد شاهرخ استصفى هراة وغزنة
وكابل وسيستان ثم خوارزم بعد قليل وفي (٨٧٣هـ) لما قتل أوزون حسن
الآق قويونلو جهانشاه القرا قويونلو واضطربت أوضاع بلاد الأخير
استدعى أمراء العراق وكرمان وأذربايجان أبا سعيد لحكمهم فبلغ
(میانج) بهدف الاستيلاء على أذربايجان وخطب أوزون مصالحته الا أن
أبا سعيد لم يقبل وقد أخذ منه الغرور وهاجم أران عن طريق أردبيل •
فقطع حسن بيك طريق المؤونة على جنوده ففشى الجوع فيهم والعطش
ثم انتصر حسن بيك في حربه لأبي سعيد ، وقبض على أبي سعيد أثناء
فراره ، وفي الخامس والعشرين من رجب (٨٧٣هـ) تجرع كأس القتل
بعد ثمانية عشر عاما من الحكم •

الأمراء التيموريون الباقون

بعد أن قتل أبو سعيد عادت إيران وما وراء النهر إلى حال من الفوضى والهرج والمرج فقد أعلن ميرزا سلطان أحمد (٨٧٣ - ٨٩٩ هـ) نفسه ملكا فيما وراء النهر من ناحية وطوى تراكمه الآق قويونلو آذربايجان والعراق من ناحية أخرى تحت امرتهم وحرص حسن بيك مؤسس هذه الأسرة ميرزا دكار محمد بن ميرزا سلطان محمد بن بايسنقر على استخلاص خراسان واشتبك مع سلطان حسين ميرزا حفيد بايقرا بن عمر شيخ ابن الأمير تيمور الذي كان مستوليا في هذه الآونة على خراسان لكنه هزم في (٨٧٤ هـ) . فأعاد أوزون حسن معاونته وكان النصر هذه المرة له وفر أمامه سلطان حسين ميرزا بن بايقرا ودخل يادكار محمد هراة . وبعد قليل باغت سلطان حسين ميرزا في الحرم (٨٧٥ هـ) يادكار محمدا بالهجوم وقتله في صفر من هذا العام وانهارت أسرة شاهرخ بقتل يادكار محمد . ومقارن هذه الأيام على نحو ما سوف نبين ضمن تاريخ الصفويين بلغ الأوزبك ببلاد ما وراء النهر قوة كبيرة ، وبعد أن قضوا على الحكم التيموري في هذه الناحية شرعوا في مهاجمة خراسان ولهذا صار سلطان حسين ميرزا الذي طال حكمه من (٨٧٥ هـ) حتى (٩١١ هـ) فريسة هجومهم على خراسان آخر حكمه وتحرك هذا السلطان في (٩١١ هـ) من هراة لدفعهم ، لكن أجله وافاه ولما يسر بضعة منازل في السادس عشر من ذي الحجة من هذا العام وسقط أولاده الذين انهزموا من الأوزبك في خراسان وآذربايجان وفارس وانتهت الأسرة التيمورية بهزيمتهم .

والسلطان حسين ميرزا بن بايقرا أحد أشهر الأمراء التيموريين لأنه فضلا عن حال الأمن والراحة النسبية التي نعم بهما أهل خراسان وهراة مدة حكمه فإن عصره هو ألمع عصور الحضارة في عهد تملك التيموريين ، فقد كان هو نفسه فاضلا شاعرا واجتهد في جمع الفضلاء وأهل الفنون

في بلاطه اجتهادا بليغا وكان أقام مدرسة ومكتبة كبيرة في هراة لطالاب العلوم لم ير نظيرها حتى ذاك العهد وكان يدرس فيها نحو عشرة آلاف طالب على نفقته أنواع علوم العصر وشيد هو وأمرأؤه في هراة الأبنية والمعمائر الكثيرة والتي تعد أفضل الأعمال الضخمة المعمارية والمتصفة بالجمال الفني للمعمار الاسلامي . وصنف باسمه المؤرخون الكتب التاريخية المتعددة ونظم الشعراء كثير قريضهم له ، ومن كان معـاون السلطان حسين ميراز ومؤازره في هذا الأمر وزيره المحب للعلوم الأمير نظام الدين عليشير (٨٤٤ - ٩٠٦ هـ) الذي تخلص في الشعر الفارسي والتركي بالنوائى . ومن مفاخر عهد السلطان حسين ميرزا ووزيره الشهير وجود عظام مثل مولانا نزر الدين عبد الرحمن الجامي الشاعر الكبير والفاضل العالي القدر وأمير خوند المؤرخ مؤلف كتاب (روضة الصفا) و (بهزاد) الرسام الأستاذ وعدد غيرهم كثير (١) .

(١ .) كان حريا بالمؤلف أن يفصل في نهضة ايران العلمية والأدبية والفنية عهد التيموريين ، إذ شهدت البلاد عهد تيمور وخلفائه رواجاً في العلوم العقلية أثر تشجيعهم لعلمائها خاصة النجوم والرياضة والجغرافيا والحكمة والطبيعة والتاريخ . وقد كان من بين الحكام أنفسهم العالم ذو الفهم والبصيرة ، ومن من لم يسمع بالغ بـيك ومرصده المشهور ؟ وقد أورد الاديب والوزير الشهير على شير النوائى وزير حسين ياقرا في كتابه مجالس النفائس أن الغ بـيك كان يحفظ القرآن كله بالسبع قراءات وليس كما ظن غامبرى حين ذهب الى أنه كان يتميز بملكة حفظ قوية حتى انه كان يحفظ سبع سور من القرآن ، وما حفظ الغ بـيك لسبع سور بدليل على قوة حافظته . وكان الا بـيك عالما بالنجوم وقد بدأ في اقامة مرصده الشهير عام (٨٣٢ هـ) . ويصف عبد الرازق السمرقندى صاحب « مطالع السعدين » الآلات التي شاهدها فيه كما دهش عندما شاهد الكرات السماوية وعليها النجوم والكواكب وكذا الخرائط التي تبين صورة كل اقليم في دقة تامة . ويدل بناء مثل هذا المرصد على تقديم علوم الفلك والرياضة والجغرافية . وكان تيمور كما ذكر السمرقندى يهتم أكثر بعلوم الدين والتصوف يقول (كان يراعى تعظيم السادات والعلماء ويكرم الائمة والصالحين ويبالغ في تقوية الدين والشرع المبين ، ولم يشرع احد في زمانه في التأليف في علم الحكمة والمنطق) فكان أن الحق الغ بـيك رعايته بالعلم التطبيقية بعلوم الدين والتصوف . ومن العلماء الذين ألفوا بالفارسية في هذه العلوم غياث الدين

الحسيني الاصفهاني الذي ألف كتابه (دانشنامه جهان) في علم الحكمة الطبيعية (٨٧٩هـ) بإسم الامير محمود بن أبي سعيد ، وكمال الدين الخوارزمي (متوفى ٨٤٠) وسيد صاين الدين تركة وقد أشرى العربية والفارسية بمزيد مؤلفاته التي انبسخت على علوم الدين والتصوف والحكمة وبلغت مؤلفاته العربية اثني عشر كتابا والفارسية سبعة عشر كتابا ورسالة . ولا ينبغي اغفال العلامة جلال الدين الدواني الذي عاش بين التركمان الآق قوينلو والف باللغتين ما يرمو على عشرة كتب في علوم التوحيد والتصوف والحكمة والأخلاق . هذا ويشيد خواندمير بالسلطان حسين بايقرا ويمدح فيه حبه للعلماء ورجال الدين وكان يدعوهم لمجالسته يومي الاثنين والخميس من كل اسبوع يفترف من علومهم اذ يتناظرون لديه . وقد التحق بمعينه أو وزيره على شير جمع كبير من العلماء والفقهاء والمتصوفة منهم (مولانا جسامي الخيوي) أحد تلامذة عبيد الله احرار شيخ الطريقة القشبندي ، ومولانا نصيح الدين وكان ذا حظوة لدى على شير وله شروع مفيدة على أهم كتب المذاهب في عصره (متوفى ٩١٩) وكان للشاعر الشهير نور الدين عبد الرحمن الجامي فوق شعره ونثره مؤلفات في علوم الدين والتصوف والحكمة والفلسفة . ومن تلامذته ومشهوري الفقهاء الملا عبد الله جعفر (٩١٦م) ومولانا معين الدين الفرائي صاحب المؤلفات في سيرة النبي الاكرم وأركان الاسلام ، والحسين الواعظ الكاشفي (٩١٠م) الذي قاربت مؤلفاته أربعين في التفسير والتصوف والنجوم والأدب والأخلاق . ثم مولانا محمد القاضي صاحب (سلسلة العارفين) ، وعلاء الدولة الغازي السمرقندي الشهير بدولتشاه صاحب تذكرة الشعراء التي ألفها عام (٨٩٢هـ) فضلا عن شيخ الاسلام احمد التفتازاني صاحب المؤلفات في الفقه ومولانا الشيخ حسين وكان غدا في علوم الحكمة والكلام ولم يكن السلطان ابو سعيد يبرم أمرا دون مشورته وكان ضليعا في الحكميات والمنقولات والمحدث مير جلال والفقيه القاضي اختيسار وغيرهم .

أما علم التاريخ فقد راج بذوره في هذا العصر ومن اسباب رواجه فضلا على تشجيع الحكام لتخليد مآثرهم هذه السفارات التي أوردتها صاحب مطلع السعديين فقد ذكر وصفا لرحلتين تجاريتين بدأت أولها من هراة ووصلت الصين وأطلقت الثانية من ميناء هرمز وكان المؤلف أحد أعضائها قاصدا الهند . ويصف السمرقندي ذاك الميناء وصفا دقيقا ويذكر ما كان يعج فيه من خلق وغدوا من كل حذب وصوب مصطحبين طرائف ما تفتج بلادهم . وأقدم مؤرخي هذا العهد هو نظام الدين الشامي أو شنب غازاني صاحب (ظفر نامه) الذي ألفه بناء على أمر تيمور (٨٠٤) وقد وضع تيمور بنفسه تحت تصرف المؤلف ما احتاجه من أسناد ووثائق . ثم ذيل هذا الكتاب في عهد شاهرخ وبناء على أمره مؤرخ شهير هو حافظ آيرو (٨٣٤) الذي أكمل

نقصه باثبات أحداث آخر عهد تيمور . وصار هذا الكتاب أساسا لكتاب شرف الدين اليزدى (م ٨٥٨) (ظفر نامه تيمورى) . ولأبرو كتابا هاما أحدهما فى التاريخ وهو (زبدة القوارىخ) ألفه لبايسنقر فى أربعة مجلدات منها حوادثه عند عام (٨٢٩٠) وثانيهما فى جغرافية ولايات ايران وقد طبعه بكثير من المعلومات التاريخية القيمة . أما كتاب اليزدى الألف لذكر فقد وضع لبراهيم سلطان بن شاهرخ على غرار جهانكشا الجوينى عام ٨٢٨ وقد قبس منه ميرخواند صاحب روضة الصفا وخواند مير مؤلف جيب السير . وكتاب مطلع السعدين لكمال الدين عبد الرزاق السمرقندى (م ٨٨٧) المشار اليه آنفا ذكر مؤلفه الوقائع التى حدثت بين عصرى أبى سعيد الایلخانى = (٧١٦ - ٧٣٦) وأبى سعيد التيمورى (٨٥٥ - ٨٧٣) . ومحمد خاوند شاه المشتهر بهيرخواند (٩٠٣) وضع كتابه روضة الصفا على سبعة أجزاء لم يتم منها لمرضه الا الستة الأولى وقد بدأت بتواريخ الأنبياء وانتهت الى عهد اخلاف تيمور أى عام (٨٧٣) . وقد كتب السابغ ابن أخته غياث الدين بن همام خواندمير (م ٩٢٤) واشتهر بحبيب السير وقد شمل تاريخ عهد حسين بايقرا ثم ذيله رضا قلى خان هدايت فى عهد القاجاريين بالمجلدات الثامن حتى العاشر فى تاريخ الصفوية والزندية وبعض القاجارية أى حتى عام (١٢٧٤ هـ) ولخواندمير كتب أخرى مثل (نامه نامى) أو الكتاب الشهير ودستور الوزراء وخاصة الأخبار فى أحوال الأخيار . وأخيرا يعد كتاب (روضات الجنات فى أوصاف مدينة هراة) لمؤلفه معين الدين الزمى الأسفزارى (م ٨٩٩) من أهم الكتب فى تاريخ مدن هراة خاصة ومدن خراسان عامة . وقد تتبع فيه تاريخ هذه المدن من الفتح العربى حتى العام الخامس والعشرين من حكم السلطان بايقرا الذى أهدى ألف الكتاب له .

أما عن الآداب فقد عمل بها طائفة من السلاطين التيموريين ومن أول من قال شعرا منهم هو شاهرخ الذى نظم بالفارسية والتركية ولا يزال غزله فى زوجته (جوهز شاد) مشهورا فى الفولكلور الهروى . وقبله ترك خليل ميرزا شعرا فى زوجة (شاد ملك) حينما فرقت بينهما الأيام وذكر له دولتشاه السمرقندى بعضا من أشعاره . أما بايسنقر فبقى عنه شعر فضلا عن حبه الأدب وجمعه لشاهنامه الفردوسى . وكان السلطان اسكندر بن عمر شيخ قرض الشعر بالتركية والفارسية . وترك احمد بن شاه ديوانا ومثنويا بعنوان (لطافت نامه) . أما أبو سعيد فقد مدحه خواندمير بحماية للأدب والأدباء وظهير الدين بابر - سس الدولة المغولية بالهند غنى عن التعريف فكتابه « بابر نامه » بالجفتائية الذى ضمنه سيرته وآبائه ووصف نفسه مغامراته والبلاد التى زارها يعد بحق أصدق المراجع التى يرجع اليها للاطلاع على أحوال العصر وشخصياته . والسلطان حسين ميرزا بدوره

شهير في هذا المضمار ، فقد عرف بقرضه الشعر بالفارسية والتركية وأورد
 وزيره على شير في المجلس الخاص بهذا السلطان من كتابه شعره
 التركي ، كما أثبت له شعر فارسي . كما نشأ على غرار من أولاده من قال
 شعرا ذكر منهم على شير بدیع الزمان ومحمد مؤمن وغريدون ميرزا وأورد
 شعرا لكل . وقد زاد على شير في مجالسه على مدن ذكرهم من السلاطين
 وأبنائهم أبى بكر ميرزا حفيد تيمور والسلطان أحمد ميرزا وبايقرا ميرزا شقيق
 حسين بن بايقرا وكيجيك ميرزا ومحمود ميرزا بن السلطان أبى سعيد . كما
 احصى امراء هؤلاء السلاطين الأدباء من قبل شيوخهم السهيلي ، مسدوح
 الكاشفي وله مثنوى ليلى والمجنون وميرزا مقيم كيخسروى وهما من امراء
 بايقرا وكذلك ميرزا قاسم ولدى ، ناهيك عن الشراء الوزراء وأشهرهم على
 شير الذى اشتهر سياسيا وقائدا ووزيرا ثم أدبيا . وترجع شهرة على شير
 بالأدب الى نظمه خمسة دواوين أربعة منها بالتركية وهى (غرائب الصفر
 - فواتر الشيباب - بدائع الوسط - فوائد الكبر) والخامس بالفارسية
 وتعدى ستة آلاف بيت ، هذا فضلا عن مثنوياته الخمسة وهى حيرة الأبرار
 وفرهاد وشيرين وسد سكندرى وقصة الشيخ صنعان وسبعة سبابة . وكتبه
 الأخرى للشعرية والنثرية باللغتين منها مثنوى لسان الطير وسراج المسلمين
 وتنظم الجواهر ومحبوب القلوب وقاريسخ انبياء ونسائم المحبة ورسالة
 عروضيه وخمسة المتحيرين فى أحوال جامى الشاعر ومحاميات اللغتين الذى
 سمى فيه أن يثبت أسبقية التركية على الفارسية ثم كتابه الشهير مجالس
 النفائس . وقد ألف هذا الكتاب بالتركية وأورد فيه تراجم الشعراء عصره
 وجعله فى ثمانية مجالس : الأول لشعراء أدرك على شير آخر عمرهم والثانى
 لشعراء عاصروه فى صباه وشبابه والثالث لشعراء اتصلوا به زمن شهرته
 والرابع لشعراء لم يشتهروا بالشعر وقالوه مصادفة والخامس لشعراء
 خراسان المقلين والسادس لغيرهم من اصحاب الدواوين والسابع للسلاطين
 الشعراء والثامن والآخر فى لطائف السلطان حسين بايقرا . وقد ترجمه
 فخرى الهراتى الى الفارسية عام (١٢٨) والحق به الفصل التاسع فى
 احوال على شير وآخرين .

أما الشعراء غير الحكام لهم كثيرون ولكن من اشتهر منهم بشعر جيد
 قليل منهم نعمة الله ولى (م ٨٣٧) شاعر شاهرخ ومسرقتند وخواجه
 عبد الله الهاتفى ناظم سيرة تيمور شعرا وعصمت البخارى شاعر خليل والغ
 بيك (م ٨٤٥) وحسين كبرى حفيد نجم الدين كبرى . وعد غامبرى من
 شعراء تيمور وكتابه سيد على الهمدانى ولطف الله النيشابورى وكمال الدين
 الخجندى وأحمد الكرمانى . أما شعراء عهد بايقرا فأشهرهم عبد الرحمن
 الجامى آخر الشعراء المعظم وكان ميرزا فى النظم والسنن وعلوم الدين
 والفلسفة وسائر علوم العصر . نظم ديوانا ومثنويات سبعة (هفت أورنگ)

كسبحة الأبرار، وتحفة الأحرار ويوسف وزليخا وليلى والمجنون وسلامان وأيسال وسلسلة الذهب وغيرها ، وكتبه النثرية كثيرة منها نفحات الأنس وبهارستان ونقد النصوص وأشعة اللغات وغيرها كثير . وبعد الجامي ذكر يابر حسين علي طفيلي جلاير وينسائي الهروي وسيلي بخاري وابن أخت الجامي عبد الله مثنوي كوي ومير حسين معماري ويوسف بديعي وغيرهم . والجدير بالذكر أن الأدب في تركيا والهند وما وراء النهر يدين في بعض أسباب ظهوره لهذا العصر ، فالأدب التركي شاع على يد علي شير وبابر ثم أخذ يقرض في الإسلام بعد ذلك ولم يأت قبل هذا العصر هذا النفوذ الأدبي للغة الفارسية في تلك البلاد سواء في تأثيرها في لغاتها المحلية أو في رواجها فيها . هذه النهضة في الآداب والعلوم جعلت لفظ ميرزا لقباً لأولاد تيمور يطلق حتى عهد قريب في إيران علماً على المثقف الأديب وصاحب القريحة والعقل وذلك لاقتراءه بالأمراء التيموريين أصحاب الفضل والعلم من قبيل شاهرخ وألغ بيك وبايسنقر وحسين بايقرا ومن إليهم .

جمع تيمور كنوزاً وثروات طائلة من غزواته في مختلف أجزاء آسيا أنفق جزءاً عظيماً منها في إقامة المنشآت الفخمة التي رام بها تزيين حاضركه هي ومسقط رأسه ، وحرص تيمور على أن يخلد ذكر كل نصر باهر أحرزه وكل حادثة قد وقع له بتذكارات من المنشآت وجلب لذلك مئات من البنائين من الهند وأهم رجال المعماريين من بلاد إيران ودمشق . ولقد أمر تيمور بإقامة منشآت كثيرة في أجزاء مختلفة من دولته من بينها مسجد في تبريز وقصر في شيراز ومدرسة في بغداد وضريح على قبر الولي المشهور أحمد اليسوي بمدينة التركستان وأجمل هذه المنشآت التي يتجلى فيها ذوق تيمور الرفيع ما أقيم بكش وسهرقند . ففي الأولى بنى الأضرحة والمدارس وقصر آق سراي (القصر الأبيض) الذي استغرق بناؤه عشر سنوات ، وفي الثانية أضوا ما يتألق فيها قصر دلکشا أو المبهج الصيفي وقصر باغ بهشت أو روضة الجنة وقصراً باغ شمال أو روضة الشمال وباغ نو أو الروضة الجديدة . وقد تعددت المساجد التي بناها تيمور في سهرقند وأصفهان وغيرها . ويتميز عهد تيمور خاصة بإقامة المدارس الكثيرة وأجراء الأرزاق عليها .

وقد أصلح شاهرخ ما دمر أبوه وعمر أبراج هراة ومرو ولم يترك بلداً في نطاق حكمه إلا وأعاد بناءه . وما تخلف من آثار زوجته جوهرشاد شاهد على اهتمامها — متأسية بزوجها — بالتشييد في مشهد وهراة اللتين ما يزالان تحتفظان إلى اليوم ببعض آثارها . وأورد يروان عن دولتشاه صورة من الحياة الفنية في بلاط شاهرخ وذكر أربعة من مشاهير الفن فيه وهم عبد القادر المراغي أستاذ الموسيقى (م ٨٣٨) ويوسف الأنثكاني المطرب وقوام الدين الشيرازي المهندس المعماري ومولانا خليل المصور الذي عد ثنائي مائتي . وورث بايسنقر وألغ بيك عن والديهما حب الفن وأهله ، فأولهما كلن يجمع

=

حول الرسامين وأهل الطرب والخطاطين والمذهبيين والكتبة من كل ولاية وكان بايسنقر نفسه غنانا موهوبا في الخط إذ أثر عنه مصحف شريف كتبه بخط الثلث وكذا نقشه بهذا الخط في مسجد والدته في مشهد . وألغ بيك غنى عن التعريف ومن منشأته خانقاه ومدرسة ومسجد مقطع وقصر جهل سستون أو قصر الأربعين عمودا . ويعتبر عهد بايقرا العصر الذهبي لارتقاء الفنون والتعمير والآداب والعلوم جميعا . وحسبنا دليلا قول بابر في غنون هذا العصر (وكان ببلاط بايقرا كذلك طائفة من الخطاطين كان سلطان على شهيد ييزهم جميعا . أما الرسامون ففئة كان بهزاد أرغهم قدرا وكان يتقن رسوم الوجوه الملتحية ، ثم شاه مظفر وكان يتقن إبراز الملامح . أما الموسيقيون فلم يكن منهم يجيد العزف مثل خواجه عبد الله مرزايد ومنهم كذلك محمد العودي وشيخى النائي وشاه قلى العجلى ثم حسين العودي الذى كان يؤدى لحنا كاملا على وتر واحد . أما مير غزو فكان ملحنا ممتازا لا عازفا ومثله البنائى . وكان البهلوان محمد أبو سعيد فردا في غنه نبغ في مختلف ألعاب القوى) .

وفي باب التعمير في عهد بايقرا ، أنشأ وزيره على شير سبعين وثلاثمائة بناء من مساجد ومدارس وخانات بقي منها حتى اليوم سبعة أبنية في ايران خلاف ما هو موجود في أفغانستان وجنوب روسيا . وبلغت هراة في عهد بايقرا أقصى درجة اتساعها الى حد تعسر السير في طرقاتها وأسواقها لكثرة الخلق وتعذر الخروج والدخول في طرقها . ويحمد خواندمير دأب بايقرا على تعمير البلاد فكان يبتاع من ماله الخاص مناطق يوقفها لأعمال الخير كما كان يشارك بنفسه في زرع الحدائق والأشجار . وقد أصبحت العمارات السلطانية وشوامخ البنيان موضوعات لشعر الشعراء وأشهرهم الجامى . ويفيض الاسفزارى في وصف مسجد هراة الجاليع وقلاعها ولواحقها ودروبها وأبوابها الخمسة وأسواقها الأربع وبروجها المائة والأربعين وخندقها وقاس محيطها وقطرها وسمى نهرين يجريان بها . ولم يصب هذا السلطان اهتمامه على هراة وحدها وإنما عمر في طول البلاد وعرضها البوادي والأماكن المهجورة حتى اتصلت المسافة المهجورة بين مرغاب ومروشا هراة جهان وكان طولها ثلاثين فرسخا وكذلك بين سرخس ومرو وكانت تقرب من خمسة وعشرين فرسخا .

راجع في ذلك المصادر الفارسية الآتية : (١) مجالس النفائس لعلى شير النوائى ترجمة غفرى هراتى . تحقيق على أصغر حكمت . تهران (١٣٣٨) ص ١٠٨ - ١٣٠ ، ١٥٠ - ١٧٢ ، ٩٩ (٢) حبيب الير لخواندمير ص ٢٠٢ ، ٣٤٤ - ٣٥١ (٣) سبكشناسى يا تاريخ تطور نثر فارسى : محمد تقى بهار (تهران / ١٣٣٧ ش) ج ٣ ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢١٢ (٤) از سعدى تاجامى . انوار براون . ترجمة على أصغر حكمت (تهران / ٢٥٣٥ شاهنشاهى) ص ٥٣٢ - ٥٣٦ ، حاشية ٥٣٨ ، ٥٤٢ ، ٦٣٧ - ٦٣٩ ، ٦٧٣ - ٦٧٧ ، ٥٥٧ - ٥٥٨ (٥) جامى : على أصغر حكمت (تهران / ١٣٢٠ ش) ص ١٣٢ ،

الفصل الحادي عشر

التركمان القراقويونلو

(٨١٠ - ٥٨٧٣)

و

الآق قويونلو

(٨٧٢ - ٥٩٢٠)

منذ أواخر عهد سلطنة الايلخانات بلغ في ايران القوة بالتحريض جماعة من التركمان الذين هاجروا أثناء غزوات المغول من خوارزم وأطراف بحيرة آرال وشرقي بحر الخزر الى آسيا الغربية والقوا برحالهم في شمالها الغربي وشمال الجزيرة ، واستفادوا من الضعفة الذي حدث بعد موت أبي سعيد بهادر خان فأخذوا يخربون على الأطراف ويستصفون البلاد . وأشهر هذه الطوائف اليدوية للتركمان اثنتان أولاها جماعة القراقويونلو أي أصحاب الخراف المسوداء التي سكنت شمال بحيرة (وان) وثانيتهما جماعة الآق قويونلو أي أصحاب الخراف البيضاء الساكنة ديار بكر . وسبب تسمية هاتين الجماعتين بهذين الاسمين بقول البعض هو لون أعلامهم ويقولون بغض آخر لسون خرافهم . وقد ظهر التركمان القراقويونلو قبل الآق قويونلو بنحو نصف قرن وظلوا في صراع دائم مع تيمور قبل نجاحهم في تأليف سلطنة لا اعتقادهم المذهب الشيعي بينما كان الآق قويونلو خلافا لهم الميمنة للمذهب السني وكانوا يمدون تيمور في غزواته .

أ - أمراء القراقويونلو

١ - قرا يوسف بن قرا محمد

(٨١٠ - ٨٢٣ هـ)

أمراء القراقويونلو هم أبناء من يسمى قرا يوسف بن قرا محمد وكان قرا محمد من أمراء السلطان أحمد الجلايري وأبا زوجته وقد سبق ذكره وذكر ابنه قرا يوسف ضمن تاريخ السلطان أحمد الجلايري والأمير تيمور وأولاده في الفصول السابقة .

استولى قرا يوسف كما سبق القول أثناء هجوم تيمور على الأناضول على عراق العرب وطرد منها السلطان أحمد الجلايري فأرسل الأمير تيمور بميرزا أبي بكر بن ميرانشاه وميرزا رستم ابن عمر شيخ حفيديته لصد قرا يوسف هذا فهزمه فولى فارا إلى مصر وألقى السلطان المصري الملك الناصر فرح به وبالسلطان أحمد الجلايري الذي كان كان النجاة التي قتل ذلك في سجنه خوفا من الأمير تيمور .

وبعد ذیوع نبأ موت تيمور أتى قرا يوسف آذربايجان وفي جمادى الأولى (٨٠٩ هـ) في ما حول نخجوان هزم الأمير أبا بكر ميرزا وأخذ منه تبريز . وفي الحرب التالية التي جرت في الرابع والعشرين من ذي القعدة (٨١٠ هـ) بينه وبين أبي بكر وابن ميرانشاه قتل الأخير ومهد قرا يوسف سيطرته على كامل آذربايجان ورقى ابنه (بير سداق) في نفس العام السلطنة وقام باسم أبيه بالقتال وفتح البلاد ، فبدأ بهزيمة قرا عثمان البایندري رئيس الآق قويونلو في ديار بكر ثم أصاب بالقرب من تبريز السلطان أحمد الجلايري بالهزيمة والقتل وضم إليه العراق العربي ، وفي (٨١٥ هـ) أنزل بأمير شروان ومالك الكرج الهزيمة ، وفي (٨١٦ هـ) استخلص السلطانية وسادة وقزوین وطارم وتقدم من

ناحية الغرب أيضا حتى حلب . لكنه في (٨٢٣ هـ) حين أتى لصد شاهرخ مات في أوجان بأذربايجان موت الفجاءة ففتفرق جنوده . ومع أن قرا يوسف أعلن في البداية سلطنة ابنه بيربداق لكن ابنه بما أنه مات حول اليه وباسمه السلطة . ومجموع امارة الابن والأب أربعة عشر عاما .

٢ - أسكندر بن قرا يوسف

(٨٢٣ - ٨٣٩ هـ)

بعد موت قرا يوسف رفع القرا قويونلو الأمير اسكندر ابنه الى الامارة وتقاتل في السابع والعشرين من رجب (٨٢٤ هـ) مع شاهرخ وغلب على أمره الا انه لما عاد شاهرخ الى خراسان أعاد أذربايجان الى امرته وحاز انتصارات في أرمنية وأران وبلاد الأكراد كذلك . وفي (٨٣٢ هـ) استصفى السلطانية من أيدي أتباع شاهرخ ولهذا جرد شاهرخ جيوشه ثانية على أذربايجان قاصدا القرا قويونلو وفي ذي الحجة (٨٣٢ هـ) تقاتل في (سلماس) مع الاسكندر وأخيه جهانشاه . ومع ان الاسكندر أظهر في الحرب مقاومة مستبسة لكنه لم يصبر على المقتال فهرب الى الأناضول وعاد شاهرخ الى خراسان ، وفي السنة التالية استخلص الاسكندر أذربايجان اليه فأجبر شاهرخ على أن يعود لصدده . وفي هذه المرة أخذ جهانشاه وجماعة اخرى من رؤوس القرا قويونلو جانب شاهرخ فاضطرو اسكندر الى الهروب ، وأثناء هروبه قطع قرا عثمان البايندرى عليه الطريق فأرداه اسكندر قتيلا في أرزنة الروم (٨٣٩ هـ) . وبعد قليل عاد الى أذربايجان لكنه هذه المرة لقي الهزيمة من أخيه جهانشاه التابع لشاهرخ وفر الى نخجوان وبها قتل بيد ابنه في الخامس والعشرين من شوال (٨٤١ هـ) .

٣ - جهانشاه بن قرا يوسف

(٨٣٩ - ٨٧٢ هـ)

نصب جهانشاه أميرا في (٨٣٩ هـ) أي حينما أتى شاهرخ للمرة الثالثة الى آذربايجان وفر الاسكندر وهو أشهر أمراء القرا قويونلو من كل ناحية وأفضلهم لانه كان شاعرا محبا للفن والأدب ذواقا لهما وبلغت دولته في عهده أوج عظمتها واتساعها فقد غلب في (٨٤٤ هـ) الكرجيين واستولى على العراق من يد أحد اخوته وألحق به (٨٥٠ هـ) العراق العجمي وفارس وكرمان ، وفي (٨٦٢ هـ) هاجم هراة لضمها واستولى عليها بعد هزيمته لميرزا علاء الدولة التيموري . وفي النهاية لما علم بثورة ابنه في آذربايجان صالح غريمه ميرزا سلطان أبا سعيد وترك له خراسان وعاد الى تبريز وأخمد نيران الفتنة التي اشتعلت في آذربايجان وبغداد وفارس قبل ، وبقيت أجزاء كبرى من ايران والعراق فترة تحت ادارته فشاع الأمن والهدوء فيها . الا أن هذا الصالح لم يدم لأن رجلا أقوى منه ظهر بين قبيلة الآق قويونلو واسمه حسن بيك كان يضمر الشنثان له للأحنة القديمة بين القبيلتين . ولما توجه في (٨٧٢ هـ) جهانشاه اليه لقتاله بديار بكر بوغت بالهجوم وهزم وقتل بين فبراير .

ومن آثار جهانشاه القرا قويونلو الخيرية مسجد في غاية الابداع اسمه المسجد الأزرق أو (كوى مسجد) والذي لا يزال بعضه باقيا الى الآن مع اصابته بزلزال حدث بتبريز يعد من أفضل أعمال القاشانيين والمعمار الاسلامي .

٤ - حسنعلی میرزا

(٨٧٢ - ٨٧٣ هـ)

آخر أمراء هذه الأسرة هو حسنعلی میرزا ولد جهانشاه الذي ظل حبيسا في قلعة (باكويه) أو (باكو) في عهد والده مدة خمس وعشرين

سنة ولهذا لما أخرج من خبئته وجلس محل أبيه لم يكن فيه بقية عقول ،
فأتلف خزائن أبيه وقتل كثرة من أمرائه وأتباعه ولقى هزيمة من حسن
بيك الآق قويونلو وأخزي في (٨٧٣هـ) من ابنه وانتهت أسرة الأمراء
القرأ قويونلو في نفس هذا العام (٨٧٣هـ) .

اسماء امراء القراقويونلو وزمان كل منهم

- ١ - قرأ يوسف بن قرأ محمد (٨١٠ - ٨٢٣هـ)
- ٢ - أسكندر بن قرأ يوسف (٨٢٣ - ٨٣٩هـ)
- ٣ - جهانشاه بن قرأ يوسف (٨٣٩ - ٨٧٢هـ)
- ٤ - حسنعلی میرزا بن جهانشاه (٨٧٢ - ٨٧٣هـ)

ب - امراء الآق قويونلو

- ١ - الأمير حسن بيك بن علي بن قرأ عثمان
(٨٧٢ - ٨٨٢هـ)

مؤسس أسرة امراء الآق قويونلو هو أبو النصر حسن بيك الذي
سمي بسبب طول قامته بالتركية (أوزون حسن) أي حسن الطويل وهو
حفيد قرأ عثمان البائندري الذي سبق ذكره . وكان قرأ عثمان هذا كماً
رأينا دائماً الانجياز للأمير تيمور وكان بركيه في غزوة الأناضول .
وبعد أن أخذ الأمير حسن بالعلبة رئاسة القبيلة من يد أخيه الأكبر
تسلط على أرمنية الغربية والوادي الأعلى لنهر دجلة وأدخل طاعتهم
الأكراد في هذه المنطقة ، وكانت أمه إحدى الأميرات المسيحية من أسرة
الحاكم اليوناني لطرابزون ولهذا دخل في اتحاد مع آخر حاكم لهذه
التاحية ، وتزوج أيضا ابنة أخ هذا الحاكم ، وأولد هذه المرأة واسمها .

كاترينا ولدا وبنتين ، وتزوج الشيخ حيدر الصفوي احدى هاتين البنيتين
والتي سميت (مارتسا) أو (علمشاه خاتون) ومارتا هذه هي أم الشاه
اسماعيل وجدة السلاطين الصفويين . وفي نفس هذه الأيام أى فى
(١٥٥٧م) فتح السلطان محمد الثانى العثمانى مدينة استانبول
(القسطنطينية) وأدال دولة الروم الشرقية وبسبب قرابة أسرة
امبراطور طرابزون لأباطرة الروم الشرقية ومجاورة طرابزون لحدود
أمالك محمد العثمانى أراد هذا السلطان الفاتح ضم هذا البلد كذلك
فراسل حسن بيك السلطان لكى يمتنع عن الاستيلاء على هذه المنطقة
لأنها تحت حمايته . فلم يأبه السلطان لطلبه وضم طرابزون الى
أملكه ، فأخذوا أوزون حسن يغير على الأناضول مدة الى ان قر بينه
وبين السلطان شبه الصلح .

وبعد استقرار الأوضاع فى الغرب اتجه الأمير حسن الى الحدود
الشرقية لبلاده أى بلاد جهانشاه القراقويونلو ، ووقع فى مخالف هذا
الغريم القوى جهانشاه الذى كانت كل حواسه هذه الأوقات منصرفة
الى عراق العجم وفارس وخراسان وقد غفل عن حدوده الغربية ،
ونتيجة لهذا الفتح الذى تيسر له فى (١٤٧٢هـ) والنصر الثانى الذى
حازه أمام السلطان أبى سعيد التيمورى فى (قراياغ) بأران وأزال
عدويه الكبيرين بيسر بلغ الأمير حسن شوكة كبرى واعتبارا عظيما ،
وانضمت اليه بمحو هذين الخصمين جميع العراق العربى والعجمى
وفارس وكرمان حتى سواحل الخليج ونجح أبو النصر حسن بيك فى
تأسيس مملكة واسعة الأرجاء امتدت من حدود الأناضول حتى عمان .

ولم يبق حسن على علاقاته مع السلطان محمد الثانى مدة طويلة ،
لأنه كان يرنو الى توجيه ضربة انتقامية له لقاء فتح السلطان لطرابزون
وقد عده حسن انتهاكا لاعتباره هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان
الأمراء المسيحيون الغربيون خاصة دولة البندقية يدفعونه دوما لمهاجمة

الأناضول بسبب خوفهم من السلطان العثماني الذي أخذ يهاجم الجزر المتعلقة بأهل البندقية في شرق البحر المتوسط وكانوا يغرونه بالهجوم بالملك والسلاح وعقد المعاهدات ، من أجل هذا لم يعد أوزون حسن يلقي بالال للسلطان بل أخذ يحط من شأنه باللقاب دون قدره ينبذ بها في مراسلاته معه . وفي النهاية أرسل السلطان محمد أواخر (٨٧٦هـ) جيشا لجبا إلى الأناضول شنت التركمان الذين كانوا أتوا إليه في معركة جنوب قونية . وبعد أشهر عدة أي في ربيع الأول (٨٧٧هـ) تقدم السلطان بنحو مائة ألف جندي حتى أرزنجان وتواجه مع جيش أوزون حسن غرب هذه المدينة . ومع أن النصر كان في بداية القتال مع أوزون حسن وقتل على يديه وإلى الأناضول ونحو اثني عشر ألف جندي من الجيش التركي ، إلا أن السلطان محمدا تدارك الأمر فأعاد في نفس هزيمته ترتيب جنده المتشعثين بتدابيره العسكرية وهاجم الجيش الآق قويونلو من جديد فأنزل بهم هزيمة مرة وقتل أحد أبناء حسن بيك في المعركة وهرب هو إلى تبريز ، ولم يقدم بعد هذا حتى آخر عمره على مهاجمة الأناضول مع أنه لم يتخل عن فكرة غزوه .

وآخر واقعة هامة في حكم الأمير حسن بيك غزوه تغليس في (٨٨١هـ) وفتحها واغتنامه منها أسرى كثيرين وغنائم ضخمة ، ولما فرغ من هذا الأمر وعاد إلى تبريز وافته المنية في آخر رمضان (٨٨٢هـ) بها .

٢ و ٣ - سلطان خليل ويعقوب بيك

(٨٨٢ - ٨٩٦هـ)

بعد موت أمير حسن بيك خلفه ابنه سلطان خليل وأنساب أخفاء يعقوب بك في إمارة ديار بكر . وبعد ستة أشهر عمى يعقوب بك أخفاء الذي كان لاهيا عابثا بغير كفاءة وفي الحرب التي جرت بينهما بالقرب

من خوى قتل خليل في الرابع عشر من ربيع الآخر (١٨٨٣ هـ) وغدا يعقوب
ملسكا

حكم يعقوب اثني عشر عاما وشهرين ومضى أغلب وقته في هذه
المدة في انبساط ومعاشرة لأهل الأدب والشعر . والواقعة الهامة لحكمه
هي تخريب السلطان حيدر الصفوي والد الششاه اسماعيل ممدا . ومساعد
فرخ يسار أمير شروان في (١٨٩٣ هـ) . وفي هذه الواقعة كما سنرى قتل
حيدر وحبس يعقوب أولاده في قلعة اصطخر بفارس . وسلطان حيدر
كان ابن خال يعقوب بك وزوج أخته لأبيه

أمراء الآق قويونلو الباقون

بعد موت يعقوب بك في الحادي عشر من صفر (١٨٩٦ هـ) رقى ابنه
ذو العشرة أعوام بايسنقر بمساعي (صوفي خليل موصلو) أحد الأمراء
الأقوياء للآق قويونلو . ورفض الأمراء الباقون هذا الترتيب ونادوا بأخي
يعقوب (مسيح) سلطانا . ودارت الحرب بين الجانبين وقتل مسيح
وبعض أمراء الآق قويونلو ولم يرحموا غير رستم حفيد الأمير حسن
فاقتادوه ليحبس بأجدي القلاع . وقتل صوفي خليل في آخر (١٨٩٦ هـ)
في حرب مع أحد الأمراء المخالفين فصار بايسنقر فريسة المشايخين حكم
رستم ولما لم يكن يستطيع مقاومتهم هرب إلى فرخ يسار في شروان .
دامت سلطنة رستم (١٨٩٧ - ١٩٠٢ هـ) خمس سنوات ونصف سنة
وأطلق في بداية حكمه سراج أولاد الشيخ حيدر الصفوي وهم (سلطان
على) واسماعيل وابراهيم الذين كان يعقوب بيك حبسهم بقلعة
اصطخر وأبقاهم معه . وقد تمكن يعون أخيهما الأكبر سلطانا على من
قتل بايسنقر في (١٨٩٧ هـ) . الذي استمد شروانشاه يسار لكنه أساء الظن
بعد قليل بسيلطانا على ففر هذا وأخوه ومريدوهم إلى أردبيل . وأرسيل
رستم جيشا يتعقبهم قتل سلطانا على في حربهم لهم في أردبيل

وفي ذي القعدة (٩٠٢هـ) قبض على رستم ابن عمه (أحمد بيك) الذي تمرد عليه قبل ذلك وقتله وجعل من نفسه الأمير الحاكم . ولم يطل حكم أحمد بيك الذي اتصف بالعدل والتدين وحب العلم لأنسه في ربيع الثاني (٩٠٣هـ) أهلك على يد والي كرمان العاصي ، فانقسم بعد قتله أمراء الآق قويونلو الى ثلاث عشائر رفع كل منها أحد الأمراء للحكم ودخلوا في منازعات بينهم فصارت سائر ايران بسبب هذه المنازعات في اضطراب وخراب وكانت هذه الحوادث حينما قام الشاه اسماعيل الصفوي ليأخذ بثأر أبيه وأخيه وتجمع حوله أتباع وأتباع في جيلان وأردبيل . وأشهر الأمراء الآخرين للآق قويونلو (سلطان مراد) ولد يعقوب بيك بن أوزون حسن و (الوند بيك) ولد يوسف بن أوزون حسن . وغلب الشاه اسماعيل الوند بيك في أوائل (٩٠٧هـ) في حوالى نخجوان ، واستخلص من يده آذربايجان ، وهزم اسماعيل أيضا سلطان مراد في السنة بعدها بالقرب من همدان وهرب مراد الى بغداد ومنها الى الأناضول الى أن قتل بيد جنود مؤسس الدولة الصفوية في (٩٢٠هـ) في ديار بكر .

أسماء الأمراء الآق قويونلو وأيام كل منهم

- ١ — أمير حسن بيك (٨٧٢ — ٨٨٢هـ)
- ٢ — سلطان خليل بن أمير حسن (٨٨٢ — ٨٨٣هـ)
- ٣ — يعقوب بيك بن حسن بيك (٨٨٣ — ٨٩٦هـ)
- ٤ — بايسنقر بن يعقوب (٨٩٦ — ٨٩٧هـ)
- ٥ — رستم بن مقصود بن حسن بيك (٨٩٧ — ٩٠٢هـ)
- ٦ — أحمد بن أغورلو محمد بن حسن بيك (٩٠٢ — ٩٠٣هـ)
- ٧ — الوند بيك بن يوسف بن حسن بيك (٩٠٣ — ٩٠٧هـ)
- ٨ — سلطان مراد بن يعقوب بن حسن بيك (٩٠٣ — ٩٠٨هـ)

الفصل الثاني عشر

أصل الصفويين ونسبهم وابتداء أمرهم

ترجع نسبة (الصفوى) فى أسماء سلاطين الأسرة التى تشكلت بهمة الشاه اسماعيل فى عام (٩٣٥هـ) كما نعلم من اسم جد ملوك هذه الأسرة . وهو الشيخ صفى الدين أبو اسحاق الأردبيلى الذى ولد عام (٦٥٠هـ) وتوفى عام (٧٣٥هـ) ودفن فى مدينة أردبيل حيث تقوم مقبرته اليوم .

كان الشيخ صفى الدين من عارفى عهده المشاهير راده كثير من المريدين والتابع . وكان فى بداية أمره مریدا للشيخ تاج الدين الزاهد الجيلانى وتزوج ابنته ، فلما مات شيخه وحموه عام (٧٠٠هـ) خلفه فى مقام الارشاد والتف جميع مريدى الشيخ زاهد حول صفى الدين وأزجى كبار العهد الاحترام اليه وكان من ضمنهم الوزير رشيد الدين فضل الله وابنه الوزير غياث الدين محمد .

وبعد أن مات الشيخ صفى الدين خلفه ابنه الشيخ صدر الدين موسى (٧٠٤ - ٧٩٤هـ) فى مقام الارشاد ومكث فترة فى حبس الملك الأشرف التتوبانى ، وبعد أن نجا منه هاجر من أردبيل الى جيلان . ولما قتل الملك الأشرف بيد جاني بيك فى (٧٥٨هـ) عاد الشيخ صدر الدين الى آذربايجان بدعوة هذا الملك وأقام مرة أخرى فى أردبيل .

وبعد موت الشيخ صدر الدين خلفه أحد أبنائه بناء على وصيته منه وهو سلطان خواجه على وظل فى مقام الارشاد حتى عام (٨٣٠هـ) وقد لاقاه الأمير تيمور الجورجاني ثلاث مرات خلال خلافته لوالده .

والشاه اسماعيل مؤسس الأسرة الصفوية هو ابن سلطان حيدر بن سلطان جنيد بن صدر الدين ابراهيم ، وصدر الدين ابراهيم المتوفى عمام (٨٥١هـ) هو ولد سلطان خواجه على السابق الذكر .

كان سلطان جنيد معاصرا لأوزون حسن وقد لاقاه في ديار بكر ، وقد زوج الأمير حسن أخته خديجة بيكم لسلطان جنيد فأولدها ابنا هو سلطان حيدر والد الشاه اسماعيل . أما حيدر فقد بنى كما مر في سيرة أمراء الآق قويونلو بابنة خاله أوزون حسن وكانت من أسرة أمراء يونان واسمها مارتا أو غلمشاه خاتون أو (بكى آغا) ، فولد الشاه اسماعيل من هذه المرأة اليونانية وعلى هذا فنسب السلاطين الصفويين من ناحية الأم يتصل بالأمراء اليونان بطرأوزون وبأمراء التركمان الآق قويونلو من ناحية الجدة .

وقد نسب مؤرخو العصر الصفوي هؤلاء السلاطين الى الامام موسى الكاظم من ناحية آبائهم وأنشأوا لهم شجرة هذا النسب ، الا أن هذه النسبة كاذبة ولم ترد في المؤلفات التي ألقت قبل عهد الشاه طهماسب الأول وفي أيام الشاه اسماعيل وأجداده .

وقتل الجنيد في (٨٦٠هـ) في حربه أمير شروان فخلفه سلطان حيدر وتقدم الى شروان كما سبق يطلب ثأر أبيه وعلا في أول الأمر على أمير شروان لكن الأمير استمد الأمير يعقوب التركمانى فأمدّه يعقوب برغم نسبه لسلطان حيدر ، وقتل حيدر في تلك الواقعة في عام (٨٩٣هـ) .

كان لسلطان حيدر أولاد ثلاثة هم على و ابراهيم واسماعيل وأرسل الأمير يعقوب هؤلاء الثلاثة لحبسهم بقلعة اصطخر بفارس فظلوا بها الى أن أمر الأمير رستم بيك في عام (٨٩٨هـ) باحضارهم . وقتل على في نحو الى أردبيل وهاجر ابراهيم واسماعيل الى جيلان وأصاب القتل ابراهيم أيضا في هذا الأوان وبقي اسماعيل وأمضى نحو ستة أعوام بين المسادات القواميين بجيلان .

وفي أوائل (٩٠٥هـ) قدم اسماعيل الى أردبيل عن طريق آسبازا بعون مریدین كثرة كانوا يسلكون طريقة آبائه وقد انبثت جماعاتهم باسم (الصوفية) في جميع بلاد آذربايجان وأران وأرمينية والجزيرة، وبعد ستة شهور قصد أرنجان وفيها التفت حوله نحو سبعة آلاف منهم وكانوا من الترك من طوائف مختلفة مثل الشاملو والأستاجلو والقاجار والتكلو وذی القدر والأفشار . وكان كل واحد منهم يضع على رأسه قلنسوة من (السقرلاط) وهو قماش أحمر لذا عرفوا باسم القزلباش أي ذوو الرؤوس الحمراء ولهذا النسب أيضا سموا من هذا الوقت بالقزلباش والقزلباشية وشملت التسمية أتباعهم وجنودهم حتى ملوك الصفويين .

لم يزد الشاه اسماعيل الذي ولد في الخامس والعشرين من رجب (٨٩٢هـ) عن الثالثة عشرة من عمره حين انبعث للثأر لوالده وتأسيس أسرة حاكمة ، ولما اتصل به القزلباشية بدأ بموافاة أردبيل لزيارة مقابر أجداده ورؤية أمه ، ثم سلك منها طريقه الى شروان ، وغلب في ولاية شماخي في قرية (كلستان) أمير شروان قاتل أبيه وقتله واستولى على مدينة (باكو) أيضا . وسمع اذ ذاك أن ألوند بيك التركماني قد جرد جيوشه لقصده فتقدم اليه واحتاز فتحا باهرا في المعركة التي جرت بينهما في (شور) قرب نخجوان أوائل (٩٠٧هـ) وقتل نحو ثمانية آلاف من التركمان الآق قويونلو في هذا الواقعة ولذا ألوند بالفرار الى ديار بكر . ودخل الشاه اسماعيل تبريز مظفرا موفقا وآثر هذه المدينة عاصمة له واعتبلى عرش السلطنة رسما وسك العملة باسمه وأقر مذهب الشيعة الاثنى عشرية مذهباً رسمياً لدولته وارتدى علامة هذا الرسم بتاجاً من السقرلاط الأحمر .

وبعد هذا النصر جرد الشاه اسماعيل جيوشه على غباراق المعجم ومقاتل مراد بيك الآق قويونلو خائف ألوند بيك على مقربة من همدان والحق به الهزيمة فلما فر مراد الى شیراز أتاها الشاه اسماعيل يتعقبه وفي ربيع الأول (٩٠٩هـ) دخل هذه المدينة ، وسقطت نتيجة هذا الفتح أسرة الآق

قوينلو تماما من ايزان وضمت عراق العجم وفارس وكerman الى بلاد
الشاه اسماعيل .

ومع أن التراكمة الآق قوينلو قد زالوا عن ايران الا أنهم ظلوا
يدعون السلطة في عراق العرب ، وفر مراد بيك من فارس وأتى بغداد
وتمكن من الأمور بها . فقصده الشاه اسماعيل بغداد بعد أن أدخل ايران
في طاعته وفتح ديار بكر وقضى على من بقى من الآق قوينلو فيها وفي
(٩١٤هـ) سيطر على جميع العراق العربى بلا قتال أو إراقة دماء تذكر
وتقدم بعد ذلك لفتح قلاع شوشتر والحويزة وسخر أيضا خوزستان
وعاد الى آذربايجان عن طريق أصفهان وأمضى الشتاء في قراباغ والدر بند
وباكو وبعد حصوله على بعض الفتوحات آب الى تبريز .

فتح خراسان في (٩١٦هـ) : —

كانت خراسان هي البلد الوحيدة التي لم تدخل حتى ذاك الوقت
طاعة الشاه اسماعيل وكانت تحت سيطرة أولاد تيمور أولا ثم استولى
عليها الأوزبك أثناء نهضة الشاه اسماعيل . ونقصد بالأوزبك الذين سوف
يأتى ذكرهم خلال كل عهد سيطرة الصفويين أنهم جماعة من أخلاف المغول
أخرجوا في حدود عام (٩٠٤هـ) سلطنة ما وراء النهر عن قبضة أخلاف
تيمور ووفقوا في انشاء دولة بها ويسمون بالأمرء الشيبانيين نسبة الى
شيبان أو شيبان أحد أولاد جوجى بن جنكيز وكانوا من نسله ، وشيبان
بكسر الشين وسكون النون لا تتصل قط بقبيلة بنى شيبان العرب (١) .

(١) : تعنى كلمة اوزبك سيد نفسه والمستقل وكانت نفس هذه الكلمة
شائعة بين المجريين بوصفها من القاب الشرف وهي ترى في الوثائق التي يرجع
الى عام (١١٥٠هـ) . وكان اوزبك هو تاسع الحكام من بيت جوجى حمل قومه
على الدخول في الاسلام وليس اسمه شيبان كما يدعى المؤلف . فأصل
الاوزبك اذن تركى مغولى وعاشت قبائلهم ما بين الفولجا وبحر آرال . وكان
اسم الجغتائيين يطلق فيما سلف من الأيام على الترك المستقرين المتحضرين ،
في حين كان لفظ الأوزبك اذ ذاك مدلولاً على البرابرة الذين يقطنون منطقة
السهوب الشمالية الغربية حتى تبدل الحال بعد اسلامهم واتصالهم بالحضارة
الاسلامية ببلاد ما وراء النهر فأصبح للفظ الأوزبك المدلول الذى كان للفظ
جغتائى من قبل ، وبات الترك البرابرة غير المتحضرين يعرفون باسم القرغيز
أو القازاق (ومعناها الرحل البرابرة) .

(انظر تاريخ بخارى ٢٩٥ — ٢٩٨ وحواشيها)

وكان مؤسس أسرة الأوزبك هو (محمد شاهى بيك) أو (شيبكخان)
الذى استتفى فى (٩١٣هـ) خراسان من أولاد السلطان حسين ميرزا
بايقرا ، وكان شديد التعصب للمذهب السنى لذا فقد آذى الشيعة (١) ،
فضلا عن أنه أرسل الى الشاه اسماعيل رسالة جريئة دعاه فيها الى ترك
التشيع وهدده أنه اذا لم يقبل دعوته فسوف يتقدم الى آذربايجان
ويدخله المذهب السنى بقوة السيف . ولم يأبه اسماعيل برسالته فأخذ
الأوزبك يهاجمون حدود كرمان فقص اسماعيل هذه المرة فى أواسط عام
(٩١٦هـ) الى خراسان وبعد أن استولى على مشهد تعقب الأوزبك الذين
لاذوا بمرو . وهاجم اسماعيل فى السادس والعشرين من شعبان (٩١٦هـ)
قلعة مرو وعلى اثر حرب ضروس قتل فيها نحو عشرة آلاف من الأوزبك
فتح على اسماعيل فتح مبين ولفظ شيبك خان آخر أنفاسه فى المعركة .

ويعد فتح مرو من الوقائع الهامة لآسيا الوسطى لأن من هذا الوقت
فما بعده أمحت فتنة عظمى كانت تتهدد ايران والهند من جانب الأتراك
ونجا مذهب التشيع من خطر عظيم اذ كان لم يشب عن الطوق فى ايران
بعد وكان شيبك خان لا يألو جهدا فى محوه ، كما نجا الشاه اسماعيل
وظهير الدين بابر الذى كان أسس فى نفس الوقت دولة كبرى فى الهند من
شر خصم قوى ولهذا السبب قامت من هذا الوقت فصاعدا بين السلاطين
الصفويين بايران والملوك الجورجانيين بالهند المودة والألفة ، ولكي يحكم

(١) سمي الأوزبك بالشيبانيين نسبة الى شيبكى تحريف شاهى بك
والتي جرفت أيضا الى شاييك وهو الأمير محمد شاهى بك حفيد الأمير أبى
الخير الذى استقل بالأوزبك وبلغ شأوا كبيرا ، وكان الأمير محمد شاهى بك
قد نجح فى لم شجعت قومه بعد قتل جده ليقيم دولة على حساب التيموريين
ببلاد ما وراء النهر كما سبق لذلك نسب اليه الأوزبك . ولم يكن الشيبانيون
شديدي التعصب للمذهب السنى عن علم وتحرر وإنما اعتنقوا الاسلام أسما
وبقيت رسومهم وعاداتهم مثلهم مزيجا من رسوم الترك والمغول ، وكان المظهر
الملحوظ للحياة الدينية عندهم هو تهجيدهم لوليهم القومى الزاهد خواجه أحمد
اليسوى الولى الاثر عند يدو سهوب آسيا الوسطى وكان الأوزبك والقرغيز
يقدمون أشعاره ومواظله تقديسهم للقرآن الكريم (راجع تاريخ بخارى
٢٩٧ - ٨)

الشاه اسماعيل أوامر هذه الصداقة أرسل أخت بابر باحترام عظيم الى أخيه بالهند وكانت قد وقعت أسيرة بقبضة الأوزبك وأطلق سراحها نتيجة لفتح مرو .

وبعد هذا الفتح الكبير أتى اسماعيل الى هراة وأمضى الشتاء بها هائنا ثم أعد جيوشه لضم ما وراء النهر وفي ربيع عام (٩١٧ هـ) وجهه عنان عزمه اليها فتقدم حتى حدود جيحون لكنه لم يتجاوزها وكرزاجعا الى أذربايجان .

غزو ما وراء النهر في (٩١٨ هـ) : —

ونتيجة للمودة التي قرت بين ظهير الدين بابر والشاه اسماعيل قرر الطرفان مهاجمة ما وراء النهر يعاون أحدهما الآخر فيجتثا جرثومة تسلط الأوزبك كلية من هذه الاصقاع فأنفذ الشاه اسماعيل أمير أمراة المسمى احمد يار احمد الاصفهاني والملقب بالنجم الثاني بجيش اليها وقدم بابر معينا بدوره الا انه بعد عبورهما جيحون وبخارى لحقت بهما الهزيمة على يد خليفة شيبك خان وقتل النجم الثاني وعاد الاثنان من هذه الغزوة بخفي حنين (١) .

وتساقط الأوزبك بعد هذا الفتح على خراسان وهراة وسببوا

(١) هذا يخالف ما ذكره غامبرى في تاريخ بخارى ، اذ ذكر ان بابر انقهر قرصنة مؤت شيباني ليستخلص وطنه القديم ما وراء النهر من ايدي الشيبانيين فاستولى على سمرقند عام ٩١٧ ساعده على ذلك انقسام أعدائه ، بيد أنهم لما وحدوا كلمتهم هزموا بابر فترك سمرقند بعد حكم نصف عام . فلما بلغ الشاه اسماعيل هزيمة بابر بعث الى نجم ثاني حاكم خراسان لانجاده ضمن اجراءات حماية خراسان من الأوزبك فلاحق الجيش الفارسي ببابر عند ترمذ وهاجم الاثنان قارشي واستوليا عليها وأدى بنجم ثاني تعصبه الشديد للمذهب الشيعي الى قتله كل حاميه المكان . غائر هذا ثائرة بابر حتى أثر أن يضحي باسترداد ما وراء النهر ، فقطع علاقه بفارس وترك نجم ثاني يتجه الى بخارى مفتردا ليلاقى الأوزبك وجزاء ما اقترفت يده (تاريخ بخارى ٢٢٧ — ٢٣١) .

انشقاقات بالغة في الحقيقة لاسماعيل ولم يعد فتح مرو بعد هزيمته .
شيئا الا ان اسماعيل وصل معجلا الى خراسان ، وكان أن اطلع الأوزبك
بتحرك اسماعيل فأخلوا هراة وخراسان وهربوا الى ما وراء النهر .
فأمنت هذه البلاد ثانية حتى حدود جيحون وعادت الى ملكية اسماعيل .

حرب تشالدران في (٩٢٠ هـ) .

وفي حين تأسس الدولة الصفوية في ايران بلغت دولة الأتراك
العثمانيين في الأناضول والبلقان ذروة القوة والعظمة ، وكان
هؤلاء الأتراك الذين اعتنقوا المذهب السني خلافا لمؤسس الاسرة
الصفوية ويجالدون بسيفهم لنشر الاسلام كانوا يرقمون تشكك دولة
كبرى في شرق ممتلكاتهم بعين العداء خاصة أن الصفويين كانوا على عداوة
معهم من الناحية الدينية وكان الشاه اسماعيل لا يألو أدنى جهده لاجتثاث
سافة المذهب السني من ايران .

وفي (٩١٨ هـ) صارت السلطنة العثمانية من نصيب السلطان سليم
خان الأول (٩١٨ — ٩٢٦ هـ) أحد أقوى السلاطين العثمانيين وأكثرهم
فتحا . وبدأ هذا السلطان فأظهر بغضه للشيعة بأن أمر بقتل كل شيعي
يسكن الأناضول فقتل نتيجة تنفيذ هذه النية القبيحة نحو أربعين ألفا
من شيعة الأناضول ، ثم لما سمع أن الشاه اسماعيل دخل في علاقات مع
أعداء السلاطين العثمانيين أي ملوك المجر وممالك مصر الذين
كانوا يألون شاه ايران على العثمانيين أنفذ جيشا الى الجزيرة
وأذربايجان ، فخلف الشاه اسماعيل في أوائل شهر رجب (٩٢٠ هـ) من
اصفهان الى أذربايجان وتقدم محمد خان استاجلو حاكم ديار بكر أيضا
بجيش لعموم الملك الصفوي واصطف جنود الفريقين في صحراء تشالدران
في مشرق بحيرة أورمية (الرضائية) .

وكان جيش الشاه اسماعيل يتألف من بستين ألف فارس في حين أن
السلطان سليم بلغ جيشه مائة وعشرين ألف جندي مسلح ببنادق جديدة

ومدافع قوية • ومع أن الشاه اسماعيل والقواد الايرانيين قد أبلغوا في هذه الحرب بلاء حسنا وضارب الملك الشاب الصفوى بسيفه مدافع الأعداء الا انه بسبب كثرة جيش الخصم وقوة أسلحتهم النارية حاقت به الهزيمة وقتل محمد خان استاجلو وجماعة كبيرة من قواد ايران في هذه الواقعة وتقهقر الشاه اسماعيل الى تبريز •

وبعد فترة قدم الشاه اسماعيل الى همدان واستولى السلطان سليم على تبريز لكنه لم يستطع المكث بها لمقاومة أهلها وكفاح جنود ايران فتأخلاها بعد أسبوعين وعاد اليها الشاه اسماعيل •

ومع أن موقعة تشالدران كانت ضربة شديدة لقوة الشاه اسماعيل العسكرية وكان من نتائجها ضم السلطان سليم له ديار بكر وبلاد الأكراد الا أن أثرا آخر لها لم يبد على ترلزل أساس الدولة الصفوية ووفق اسماعيل بعد قليل في احكام أساس أمره • وكان يبدى اهتمامه الخاص بخراسان بسبب خطر الأوزبك عليها لذلك عين لحكمها ابنه الصغير طهماسب الذي لم يكن يبلغ وقتها الثلاثة أعوام يعاونه أحد أمرائه وقضى بقية أيام ملكه جائلا في ولايات ايران المختلفة ولم يقيم بعد ذلك بغزو أو قتال هام •

وفاته الشاه اسماعيل في التاسع عشر من رجب (١٥٢٠هـ) :-

مرض الشاه اسماعيل في شهر رجب (١٥٢٠هـ) حينما كان في قمعه باحدى الولايات ومات في التاسع عشر من هذا الشهر على مقربة من (سراب) ولم يتجاوز الخامسة والثلاثين ولم يحكم أكثر من أربعة وعشرين عاما فحمل نعشه الى أردبيل ودفن بمقبره الشيخ صفى الدين •
يعد الشاه اسماعيل بلا شبهة أحد أرشدو أكبر ملوك ايران ومع أنه تخطى جادة الانصاف والمروءة في تحميل مذهب التشيع على شعب ايران وكان أغلبهم حتى ذاك الوقت من السنة ، سفك دماء كثير من

الأبرياء بقسوة إلا أن سياسته في هذا السبيل أى إيجاد الوحدة المذهبية في إيران وجعل المذهب الشيعى رسميا واختيار السيرة التى سار عليها خلفاؤه قد أفضت الى نتيجة هامة جدا هى حفظ المجتمع الايرانى من شر هجمات السلاطين العثمانيين المتعصبين الذين كانوا يسمون أنفسهم من أواخر عهد السلطان سليم أمراء المؤمنين وخلفاء جميع المسلمين وادعوا أن كافة المسلمين لابد أن يطيعوهم بحافز الايمان كعهد الناس في زمن العباسيين وأن يعترفوا بأن اجراء أوامر السلطان فيهم فريضة دينية بعد حكم الله ورسوله . وقد حالت سياسة الملوك الصفويين بعداوتهم الدينية للسلاطين العثمانيين دون انخداع أهل إيران بهذه الدعوة وانخراطهم بفقد استقلالهم في المجتمع السنى بل انهم خلافا لذلك كانوا دائما يتوددون ويرتبطون ببلاد المسيحيين الأوربيين وهم أعداء السلاطين العثمانيين في دفاع عن أنفسهم ، وكانوا يستقبلون سفراءهم ويبعثون اليهم بمبعوثيهم ، وقد تعرفت إيران الى حد ما بهذه الطريقة كما سوف نشير الى أحوال أوربا التى كانت فى حالة من الرقى ، كما صارت مقدمات لانتقال بعض وسائل الحضارة الجديدة الى إيران (١) .

(١) هكذا يبين المؤلف عن عقيدته وعقيدة أسلافه الصفويين ، فهم يرون موالة الذين كفروا من النصارى أحل من موالة المؤمنين من الأتراك العثمانيين المحاربين لنشر الاسلام في أوربا . والصفويون بذلك وبحكم الله تعالى خارجون عن الاسلام يقول تعالى في سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منكم غانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين) الآية (٥١) ، ويقول تعالى في نفس السورة الآية (٥٥) (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يتقون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) .

سلطنة الشاه طهما سب الاول

(٩٣٠ - ٩٨٤هـ)

بقى عن الشاه اسماعيل مؤسس الاسرة الصفوية أربعة أبناء :
اولهم طهما سب الذي ولد في الرابع والعشرين من رجب (٩١٩هـ) وكان
عمره حين توفي أبوه أحد عشر عاماً وكان يحكم أولا خراسان ثم استدعى
الى مقر أبيه وقت وفاته ، وثانيهم القاص ميرزا الذي صغر طهما سب
بنحو ثلاثة أعوام وثالثهم سام ميرزا الذي صنف كتابا اسمه (تحفه
سامي) عام (٩٥٧هـ) في تراجم الشعراء وبلغ حكومة خراسان بعد
طهما سب ، ورابعهم بهرام ميرزا +

ورفع الأمراء والاعيان بالدولة طهما سب الى السلطة بعد وفاة
الشاه اسماعيل ، ولما كان الشاه الجديد لا يزال طفلا استقرت مهام
الأمر في حقيقتها في أيدي الأمراء الأقوياء فجنحت الأمور الى الفساد
بسبب تنافسهم واستبدادهم خاصة وأحد عدوى الصفويين الدينيين أي
الأوزبك في الشمال الشرقي والأتراك العثمانيين في الشمال الغربي لآيران
كان كلاهما قويا ويتحسسون فرصة مواتية للعصف بما بنى الشاه
اسماعيل +

الحرب مع الأوزبك : -

استحوذ عبيد الله خان الأوزبك في عام (٩٣٢هـ) على خراسان
ولقى أمراء الشاه طهما سب الذين تقدموا لصدده الهزيمة منه في فيروز كوه
بهرات في (٩٣٣هـ) فتحرك الشاه طهما سب في العام التالي بنفسه الى
خراسان وفي المحرم من (٩٣٥هـ) ألحق هزيمة فادحة بعبيد الله خان
وأمرأه الأوزبك الآخرين في (زور آباد) على كتب من مدينة (جيام)
ولاذ الأوزبك بالفرار الى ما وراء النهر وخلصت خراسان وهرات من
أيديهم مؤقتا ونصب حسين خان شاملوى على حكومتها من جانب

طهماسب . وفي نفس العام عاود الأوزبك هجومهم على خراسان فتولى الأمر طهما سب لصدهم ، وأتاب هذه المرة في حكم خراسان بعد دفع الأوزبك عنها أخاه الأصغر بهرام ميرزا .

وفي عام (٩٣٧هـ) أتى عبيد الله خان خراسان ثلاثة وحاصر هذه المرة هراة ودام حصاره عاما ونصف العام الى أن ذاع خبر قدوم طهما سب الى خراسان ففر عبيد الله خان . وترك طهما سب حكم خراسان بعد استتباب الأمن بها الى سام ميرزا أخ له آخر مزعما مهاجمة ما وراء النهر لكنه عندما علم بهجوم السلطان سليمان خان العثماني على غرب ايران تخلى عن ارادته .

بلغ سليمان خان السلطنة العثمانية في عام (٩٣٦هـ) بعد موت السلطان سليم الأول وحاز فتوحات عظيمة في أوروبا وحصل لهذا شهرة واسعة وفي عام (٩٣٩هـ) حينما كان طهما سب بخراسان هاجم آذربايجان بتأليب بعض من أمراء ايران ، لكنه قفل عائدا الى العراق العربي قبل وصول طهما سب لما حل بجيشه من خسائر كبيرة بسبب البرد والثلوج ، واستولى على بغداد وعاد في السنة التالية الى آذربايجان لكنه لم يظل اذ عاد الى بلده الاصلى فأدخل طهما سب آذربايجان طاعته وعاقب الأمراء المتمردين المعاوين للسلطان سليمان خان .

وفي عام (٩٤٠هـ) عصى سام ميرزا طهماسب وهاجم قندهار فلما سمع عبيد الله خان الأوزبك أن هراة خالية تقدم اليها بجيشه ، فقدم طهماسب من تبريز الى خراسان وسمع عبيد الله خان بقدومه فذهب في (٩٤٢هـ) هراة وعاد الى ما وراء النهر . وأقر طهماسب الأحوال بخراسان واستولى على هراة وعاد في (٩٤٣هـ) الى آذربايجان (١) .

(١) يختلف قاضي مع اقبال في تاريخ غزوات الشيباتيين . الخميني لايران : انتقاما مما حل بزعمهم بشيقاتي لينكر أن غزوات عبيد الله سبع لخمس ، الاوليان حدثتا آخر عهد الشاه اسماعيل ، أما الثالثة فقد حدثت عام (١٥٢٤/٩٣١) ولم يحز الشيباتيون في الغزوات الثلاثة انتصارات حاسمة .

شهرة القاص ميرزا :-

وفي عام (٩٤٤هـ) علم الشاه طهماسب بثورة والى شروان فأرسل أخاه القاص ميرزا للاستيلاء على شروان لكن أهلها أبوا أن يسلموا. قلعتهما الا الى الشاه نفسه فشخص اليها بنفسه وبعد أن فتح تلك الديار أناب أخاه القاص في حكمها . وظل القاص ميرزا حتى عام (٩٥١هـ) مطيعا لأخيه في حكمه لشروان لكنه رفع علم الثورة في هذه السنة عليه . ولم يقد الشاه طهماسب كثرة نصحه أخاه بترك عصيانه فأرغم على التحرك اليه لصدده . وفي النهاية خاف القاص ميرزا فأرسل أمه وابنه الى طهماسب حتى استرضياه فعفا عنه . لكن القاص اتجه عام (٩٥٣هـ) الى استانبول قاريا ولاذ بالسلطان سليمان خان وحرضه على مهاجمة آذربايجان . فدخل سليمان خان تبريز وتقدم القاص ميرزا بستة آلاف فارس الى همدان ووجه منها قاصدا دخول أصفهان . لكن أهل أصفهان لم يمكنوه منها فعاد عن طريق فارس الى بغداد . وفي النهاية ساء ما بينه وبين السلطان سليمان ، وأسره في بلاد الأكراد قادة جيش طهماسب ، وبعد عام وإفشاء أجله في حبس أخيه .

علاقات الشاه طهماسب بالعثمانيين :-

دانت للشاه طهماسب بلاد الكرج في (٩٥٦هـ) وشروان في (٩٥٧هـ)

وقام عبيد الله بغزو خراسان للمرة الرابعة عام ٩٣٥ (١٥٢٨) ولم يتمكن الأوزبك من الفرس. لأن الآخرين استخدموا البنادق في حربهم للترك الذين كانوا يحاربون بالسهم وسقط في هذه الغزوة خمسون ألفا من الأوزبك وعشرون ألفا من الإيرانيين . والغزوة الخامسة وقعت عام (١٥٣١ / ٩٣٨) حينما كان طهماسب منهمكا في القتال مع السلطان العثماني وظل الأوزبك يفتنسان حتى عاد الشاه بعد حربه اليه . ولما رقى عبيد الله عرش الأوزبك عام (٩٤٠) عاود غزوه لایران فغزاهما عام (١٥٣٥ / ٩٤٢) وعام (٩٤٦ / ١٥٣٩) غزوته السادسة والسابعة وانتزع حصن هراة من سام ميرزا لكنه لم يستطع الاحتفاظ به (تاريخ بخارى ٣٣٢ - ٣٣٦) .

بالطاعة وكانتا قد خلعنا طاعته قبل وأخذ طهماسب في (٩٥٨هـ) يهاجم بلاد الروم فبعث بابنه اسماعيل ميرزا لفتح أرزنة الروم وأدخل تحت امرته من بلاد الأكراد وأرمنية جميع ما كان السلطان سليمان قد استولى عليه . وقد دفع وصول هذه الأخبار للسلطان سليمان خان للتخبرك الى إيران فبلغ في ربيع (٩٦٠هـ) نخجوان ، لكنه عاد بعد يومين ، فأعاد طهماسب أمراء شروان والكرج الذين انبعثوا يساعدون السلطان الى طاعته ثم آب الى قزوین .

وفي عام (٩٦٦هـ) لاذ أحد أبناء السلطان سليمان وهو بايزيد بطهماسب بسبب الخلاف الذي نشب بين السلطان وأولاده ، فأمر طهماسب بأن يقام له الاستقبال الملكي حيثما حل ، ودخل قزوین مجللا بالاحترام التام وعاش فترة معززا في دار السلطنة الصفوية . لكن الشاه طهماسب حنق عليه في عاقبة الأمر بسبب ما ارتكبه وأصحابه من أمور غير مرضية فألقى به في حبسه وقتل جماعة من أصحابه .

وأرسل السلطان سليمان في عام (٩٦٧هـ) بضعة نفر من السفراء محملين بالتحف والهدايا القيمة الى مقر طهماسب يطلب الصلح . وتصلح الطرفان في عام (٩٦٨هـ) بعد تبادل السفراء وأعاد طهماسب بايزيد الى أبيه واستمر هذا الصلح حتى آخر سلطنة السلطان سليمان أي حتى عام (٩٧٤هـ) ولما تولى سليم خان الثاني السلطنة العثمانية سلك كذلك طريق المودة مع طهماسب وأرسل سفيرا الى قزوین لهذا الأمر .

وفاة الشاه طهماسب في (٩٨٤هـ) :-

واقعات السنين الأخيرة لسلطنة الشاه طهماسب الأول هي وقائع داخلية عامة من قبيل ضرب العصاة ودفع الأوزبك . وأصاب المرض والعلل الشاه طهماسب من حدود عام (٩٨١هـ) ومع أنه تحسن لكنه في النهاية توفي في الخامس عشر من صفر (٩٨٤هـ) بعد حكم أربعة وخمسين عاما .

وقد حكم مدة أطول من أى حاكم صفوى ومع أنه لا يمكن أن يقاس من ناحية كفايته وإدارته وفتوحاته بمثل الشاه اسماعيل والشاه عباس الكبير بحال قط الا أنه على أية حال لم ينقص في عهده شىء من أرض إيران وأبقى الشاه طهماسب وأخوته وقواده أعداء إيران الخارجيين على حدودهم بأى نحو كان وصدوا هجماتهم .

وقد ظلت علاقات إيران بالدول الأجنبية الغربية التى بدأت على عهد الشاه اسماعيل الأول بسبب استيلاء البرتغاليين على جزاير خليج فارس وسواحلها ، ظلت على حالها على عهد الشاه طهماسب ، خاصة وأن أحد الرحالة الانجليز واسمه (آنتونى جنكنسن) (Anthony Jenkinson) قدم الى روسيا من طرف الشركة التجارية التى أسست فى لندن باسم شركة التجارة مع دولة موسكو (روسيا الأصلية) بهدف فتح طريق التجارة مع الشرق ، فأرسله قيصر موسكو (ايفانمخوف) سفيراً الى بخارى ، ثم أتى فى سفر ثان عام (٩٦٧هـ) الى بحر الخرز عن طريق شاطيء الفولجا ونزل ميناء باكو ووصل مقر طهماسب بقزوين عن طريق أردبيل وقدم الى الشاه ما بعثته الملكة اليزابيث الكبرى اليه من هدايا ، لكن الشاه طهماسب لم يهتم كثيراً بشأن الرحالة الانجليز الذين كانوا مبعوثين من ملكة مسيحية ، وعاد الانجليز بقدر من الحرير والقماش النفيس الايرانى الى بلادهم ، فجذبت هذه البضائع اهتمام أولياء شركة تجارة موسكو تجاه إيران ، وتجلت أهمية الحرير الخام الايرانى لدى تجار الغرب فقدم بضعة نفر من مبعوثى الشركة المذكورة من نفس طريق موسكو - إيران على رحلات ست . لكنه اتضح بعد ذلك أن طريق موسكو بسبب طوله وأخطاره طريق بغير فائدة ، ولهذا فقد تركته شركة موسكو ، وبعد هذا كما سوف نقول اتجه الانجليز الى طرق أخرى للتجارة مع إيران .

سلطنة الشاه اسماعيل الثاني

(٩٨٤ — ٩٨٥ هـ)

كان للشاه طهماسب أولاد عديدون لهذا دب النزاع بين القواد والأمرأ بعد موته في اختيارهم خليفة الشاه ، فنادت جماعة من الأمراء الاستاجلو بحيدر ميرزا ملكا ورفضت سائر القزلباشية هذا الاختيار ونهضت ثائرة وقتلت حيدر ميرزا وأتوا باسماعيل ميرزا وكان أبوه قد حبسه في قزاقاغ وجعلوه ملكا باسم الشاه اسماعيل الثاني .

كان اسماعيل ميرزا رجلا فاسقا سفاكا سفيها وكان قد تربى في شبابه على يد معلم به في هرارة فصمم على طرح المذهب الشيعي وأجراء الخطبة والسكة باسم الخلفاء الراشدين ، فضلا عن أنه اتبع لقتل أولاد عمه وأعمامه فقتل أكثرهم ، ولم ينج غير أخيه (سلطان محمد ميرزا) الذي كان بشيراز وأولاده ومن بينهم عباس ميرزا وكان يعيش بهرارة فقبل أن يتم تنفيذ أمر الشاه اسماعيل بقتلهم وجد الشاه مقتولا في قزوین ليلا في أحد المنازل فنجى سلطان محمد ميرزا وأولاده من القتل . وقد حدثت وفاة الشاه اسماعيل الثاني في الثالث عشر من رمضان (٩٨٥ هـ) ودام حكمه سنة وثلاثة شهور وتسعة عشر يوما .

سلطان محمد خدا بنده

(٩٨٥ — ٩٩٦ هـ)

بعد أن ذاع خبر موت الشاه اسماعيل الثاني جلس سلطان محمد ميرزا الذي كان بشيراز مكان أخيه بها بتاريخ الخامس والعشرين من رمضان وفي الثاني من شوال دخل قزوین ولقب خدا بنده أي عبد الله .

أرسل السلطان العثماني مراد خان الثالث (٩٨٢ — ١٠٠٣ هـ) بعد علمه بوفاة الشاه اسماعيل الثاني عثمان باشا أحد قادته المشهورين عام

(٩٨٦هـ) الى شروان وقراباغ ففتح هذا القائد تلك النواحي مما جعل محمدا خدا بنده يسير ابنه الأكبر حمزه ميرزا بجيش لجب لدفع العثمانيين فاستعاد حمزة البلاد المسيطر عليها وانهزم الجيش العثماني .

وفي عام (٩٨٩هـ) تمردت عن طاعة الشاه قادة جماعة الشاملو التي كانت تعيش في خراسان تحت امره عباس ميرزا ولد الشاه وانبعث منهم (علي قلى خان) لى يجرى الخطبة والسكة باسم عباس ميرزا . فسير سلطان محمد حمزة ميرزا الى خراسان فعلم العثمانيون نبأ تحركه فعاودوا هجومهم على شروان وأعاد عثمان باشا سيطرته عليها .

ولم تخمد فتنة خراسان برغم مهاجمة حمزة ميرزا لها ، ولكى تدفع فتنة على قلى خان الشاملو الذى كان يتولى رئاسة خراسان أمر وزير خدا بنده (سلمان اعتماد الدولة) بعزله عن منصبه هذا واضطر خدا بنده فى النهاية أن يشخص بنفسه فى عام (٩٩١هـ) الى هراة لاستخلاصها من يد ابنه عباس ميرزا . ولم يسلم له أهل هراة بل هددوه بألا يمكنوا عباس ميرزا من حكمهم اذا لم يسلمهم الوزير ميرزا سلمان . وأبى عجز خدا بنده أن يترك الوزير المسكين الى قزلباشية هراة فقتلوه وعاد الشاه الى آذربايجان لصد عثمان باشا دون أن يتمكن من استعادة هراة . وشدد حمزة ميرزا ضغطه فى حصاره لهراة ولما أدرك عباس ميرزا أنه لن يتخلص من حصار أخيه جنح الى المهادنة والصلح وقرر الأخوان أن يتجنبيا كل ادعاء للسلطنة ما بقى أبوهما حيا وأن تكون خراسان وهراة تحت حكم عباس ميرزا وأن تبقى العراق فى يد حمزة ميرزا . وسكنت فتنة خراسان بهذا الترتيب مؤقتا وقفل حمزة ميرزا عائدا الى قزوین لى يمد أباه فى صده عثمان باشا .

ودارت رحى المعركة بين حمزة ميرزا وعثمان باشا فى (٩٩٣هـ) فى تبريز وانهزم عثمان باشا وتقهقر الى بلاد الأكراد .

وكان حمزة ميرزا ابن خدا بنده الأكبر وفى عام (٩٩٤هـ) قتل اثر

مؤامرة في الثامن من ذي الحجة من هذا العام على بعد منزل من كتجة بيد جماعة من أمراء التركمان والأفشار فلما بلغ خراسان هذا الخبر تحرك أمراء خراسان بصحبة عباس ميرزا من مشهد إلى قزوین لكي يؤدبوا الأمراء المتمردين وينفذوا ارادتهم التي كانوا يفتقونها من قديم وهي أن يجلسوا رئيسهم عباس ميرزا على كرسی السلطنة .

وانتخب الأمراء قتلة حمزة ميرزا بعد قتل هذا الأمير الکفء أخاه أبا طالب ميرزا للسلطنة وقدموا من كتجة يحملون جثة حمزة إلى أردبیل ثم ساروا على عجل من قزوین ومنها إلى أصفهان ولما سمعوا أن عباس ميرزا يصحبه علی قلی خان الشاملو ومرشد قلی خان الاستاجلو الحاكم السابق لخواف وباخرز قد تحركوا إلى قزوین عادوا إليها لمنعم عنها .

ودخل عباس ميرزا في ذي الحجة (٩٩٦هـ) قزوین وكان محمد خدا بنده في هذا الوقت في شیراز ورفع مرشد قلی خان وعلی قلی خان عباس ميرزا رسماً إلى سلطنة ایران بلقب الشاه عباس وبهادر خان وصدق خدا بنده علی سلطنة ابنه أيضا وظل حياً حتى عام (١٠٠٣هـ) .

الفصل الثالث عشر

سلطنة الشاه عباس الكبير

(٩٩٦ - ١٠٣٨ هـ)

ولد الشاه عباس الكبير في غرة رمضان (٩٧٨ هـ) بمدينة هراة حينما كان أبوه محمد خدا بنده واليا لها من طرف الشاه طهماسب ، ولم تتجاوز سن عباس الثامنة عشرة حينما خلف أباه في السلطنة في قزوین .

ومع أن عباس ميرزا طالب بالسلطنة في خراسان من حدود عام (٩٨٢ هـ) يساعده مرشد قلى خان الاستاجلو وعلى قلى خان الشاملو إلا أنه تخلى عن ادعائه هذا بعد مصالحته لحمزة ميرزا في هراة مؤقتا الى أن قتل حمزة فأتى كما رأينا الى قزوین واعلى رسما سلطنة الصفويين . وقد دفعت القلاقل التي حدثت آخر عهد سلطان محمد خدا بنده في جميع نقاط ايران خاصة في طرفي البلاد الشرقي والغربي بجسارتي ايران العدوتين اللتين كانتا تحفظان على الصفويين الحقد الديني وهما الأوزبك والعثمانيون بالتطاول على حدودهم حتى أن مشاكل عظمى واجهت الشاه عباس بسبب هذين الخصمين .

دفع الأوزبك : —

بعد أن تحرك الشاه عباس من هراة الى قزوین هاجم ملك الأوزبك عبد الله خان الثاني (٩٩١ - ١٠٠٦ هـ) — وهو أحد أشهر خانات الأوزبك ومن ملوكهم الغزاة الفاتحين — مدينة هراة وبعد ستة شهور قتل حاكمها القزلباشي واستحوذ عليها . ولم يجد الشاه عباس الذي كان مصمما على

قتال العثمانيين مناصا غير أن يصالح عدوا ويدفع الآخر فصالح لهذا
العثمانيين وأرسل حيدر ميرزا ابن أخيه حمزة ميرزا إلى السلطان وصالحه
على أن يتخلى له عن تبريز وشروان والكرج ولرستان أي القسم
الأساسي لغرب وشمال غرب إيران ، وسلك طريقه إلى مشهد لصدد
عبد المؤمن خان بن عبد الله خان الذي أتاها وألقى بحصاره عليها .

ومرض الشاه عباس في طهران ودام مرضه نحو خمسين يوما
واستولى عبد المؤمن خان على مشهد في أثناء هذه الفترة وأردى جماعة
كثيرة من أهلها صرعى ونهب نفائس عتبة القدس (ضريح الامام الرضا)
ومن بينها مكتبتها القيمة ثم استولى على نيشابور والدامغان وولى من
جانبه واليا على كل مدينة .

ولما تحسنت صحة الشاه أخلى عبد المؤمن خان خراسان وبادر
الشاه عباس إلى مدافعة المتمردين بالداخل الذين أفادوا من مرضه
وأعلنوا تمردهم فأدخل يزد وكرمان وجيلان طاعته وقضى فترة أيضا في
أصفهان وقراباغ يتفقد أحوالها وينظم أمورها . ولم يصدر عن الشاه
عباس حتى عام (١٠٠٦هـ) حركة هامة لدفع الأوزبك الذين كانوا دائمي
الاغارة على بلاد خراسان والعراق العجمي ثم يعودون إلى التركستان
بالأسلاب وانصرف وقته إلى الاستيلاء على بعض ولايات إيران التي لم
تكن قد أطاعته وقتها مثل لرستان التي كانت حتى ذاك الوقت في يدي
أتابكة اللور الصغار وكولايتي رستمدر وكجور اللتين كانتا تحت إمرة
الأمراء المحليين .

وفي أواخر عام (١٠٠٥هـ) قصد الشاه عباس مشهد وفي السادس من
المحرم (١٠٠٦هـ) غلب في هراة ابن أخت عبد الله خان وهزم الأوزبك
هزيمة شديدة حتى أن هذه النواحي اتقت شرهم لفترة لا سيما وأن
عبد الله خان توفي في هذه الآونة وأن ابنه عبد المؤمن خان قتل بيد أمرائه

بعد أبيه بسنة شهور (١) •

فتح اللار والبحرين في (١٠٠٩هـ) :-

أناب الشاه عباس وردى خان زركر باشى (٢) في حكومة فارس عام (١٠٠٣هـ) وكان ولاية اللار اذ ذاك تحت حكم مجموعة من الخوانين المحليين الذين كانوا يصلون بنسبهم ادعاء الى جرجين ميلاد بطال الشاهنامه المشهور وكانت موانئ هذه الولايات من قبيل ميناب وجرون (المكان القديم لبندر عباس الحالية) اسما تحت أمر أمراء هرموز ورسما تحت طاعة الحاكم البرتغالى للهند •

كان البرتغاليون قد استولوا عام (٩١٢هـ) على جزيرة هرموز وأدخلوا أمراءها الذين كانوا يؤدون الجزية لسلطين ايران تحت طاعتهم وسيطروا أيضا على عمان ومسقط وجزر الخليج الأخرى • وفي عام (٩٢٠هـ) أرسل الشاه اسماعيل سفيرا الى البوكرك الحاكم البرتغالى للهند حين كان في الخليج واحتفى بمقدمة البوكرك كما كانت تقتضى الظروف وقتها ، لكنه بعد قليل حينما سمع أن أمير هرموز قبل تبعيته للشاه الصفوى تحرك لتأديب هذا الأمير وفي نهاية الأمر عقد في ميناب مع مبعوث الشاه اسماعيل معاهدة وقبل أن يمد ايران في اخمادها فتن بلوجستان وغزوها للبحرين ازاء صرف الشاه الصفوى نظره عن مطالبة طاعة أمير هرموز اليه وأن تتحد ايران والبرتغال ضد العثمانيين وبالرغم من وجود هذه المعاهدة فقد أخرج البرتغاليون عام (٩٢٦هـ) البحرين أى

(١) راجع للتفضيلات وللوقوف على الجدل السدينى حول التسلسل والتشيع والذى أثاره علماء مشهد مع علماء الأوزبك بقصد تحويل هجمات عبد الله خان عنهم تاريخ بخارى (٢٤١ - ٣٤٦ ، ٣٥٤) .

(٢) اسمه في الاصل (الله وردى خان) ولا يصح اسلامة أن يسمى عبد من عباد الله باسم الله ، لهذا فقد سميناه وردى خان وحسب ، أما زركر باشى فتعنى رئيس الصائغين (زركر فارسية . تعنى صائغ وباشى تركية تعنى رأس ورئيس) •

ساحل الأحساء والجزر المجاورة لها عن سيطرة الشاه اسماعيل ولم يتمكن الشاه اسماعيل من أن يحول دون تحقيق أهداف البرتغاليين بسبب عدم توفر أسطول لديه ثم لمشاكله الداخلية ، حتى انه لم يقدم على أى تحرك فى الثورة العظمى التى شبت فى جميع جزر وسواحل الخليج ضد البرتغاليين من قبل الايرانيين من عام (٩٢٥هـ) حتى (٩٢٨هـ) وكان البرتغاليون على وشك أن ينتهى أمرهم فيها تماما اثر هذه الثورة .

وفى عام (١٠٠٩هـ) بدأ وردى خان بخانات الملاز فأزالهم لأنهم كانوا حائلا دون ارتباط فارس المباشر من ناحية الجنوب الشرقى بسواحل الخليج كما كانوا يساعدون البرتغاليين ثم أنفد جيشا الى البحرين للسيطرة عليها لأنها كانت دائما تتبع فارس (١) . وهاجم البرتغاليون البحرين ، فجعل وردى خان من ميناء جرون مصب هجمات لكى يخفف من ضغط البرتغاليين عليها فمنع بهذا من إعادة استيلائهم عليها ، وقد ظلت البحرين تحت سيطرة الصفويين وكانت أول ولاية من ولايات سواحل الخليج تخرج عن قبضة البرتغال اذ ظلت هذه الولايات لمدة قرن تحت سيطرتهم .

الحرب مع العثمانيين :

استقدم الشاه عباس فى عام (١٠١١هـ) جنود ولاياته وأذاع أنه ينوى التحرك الى شيراز ثم قدم قزوين من أصفهان وهناك علم صحبه أن الشاه ينتوى فى الحقيقة مهاجمة آذربايجان واستخلاص ولايات شمال غرب ايران وغربها القى اضطر الى اخلائها للعثمانيين فى بداية حكمه ، وبدأ الشاه عباس بجملته بجيشه المتأهب على تبريز ففتحتها فى الخامس عشر من جمادى الأولى (١٠١١هـ) ثم سقط منها على ايرقان وأمر ضمن ذلك

(١) فى قول اقبال ان البحرين كانت دائما تاريخها قبيحا لفارس والفرس بجانب كبير ، فالعرب سكنوها وعمروها قبل ظهور الجنس الأرى على مسرح الحياة وهذه بدهية لا تحتاج الى اثبات .

وردى خان أن يهاجم بغداد من ناحية خوزستان • فاتجه وردى خان الى بغداد وألقى حصاره عليها لكنه استقدم قبل فتحها بأمر الشاه الى ايروان وفتح الشاه ايروان في أوائل عام (١٠١٣هـ) •

وقد تجاسر قائد الجيش العثماني في بغداد وهو أوزون احمد بعد أن فصل وردى خان عنها فظهر أمام همدان لكن قادة الجيش الصفوي استأسروه هناك ولكي يتم ما أنجزه الجنود سير الشاه عباس وردى خان لفتح وان (فان) وآخر لقارص فحاصراهما • ووجه السلطان العثماني قائده المشهور جغال أوغلي بجيش ضخم لاستخلاص وان وقارص فأسرع الشاه لمواجهة وكان في تبريز ولم يكن معه أكثر من اثنين وستين ألفا بينما تجاوز جنود جغال أوغلي المائة ألف •

وقد استعمل الشاه عباس الحيلة في هذه الحرب فقسم جنده فقتل وبدأ بدفع قسم من فرسانه لتكثيف حملاتهم على جيش جغال أوغلي ، فأنعطف الترك بقوتهم الرئيسية اليهم على ظن انهم الجزء المهام من جيش ايران فلما اشتعلت الحرب على هذه الحال سقط الجيش الاساسي على الترك وكانوا يتوقفون لهذه الفرصة فقتل في هذه الحرب نحو عشرين ألف تركي من الجيش العثماني ولأذ جغال أوغلي بالفرار ثم مات بعد قليل حزنا وحاز الشاه الصفوي هذا الفتح الكبير في الرابع والعشرين من جمادى الثانية (١٠١٣هـ) وفتح الشاه عباس في السنة التالية كنجسه وتقليس وياكو والدربند وشروان وشماخي وديار بكر والموصل ، وعاد الى قزوين أوائل عام (١٠١٥هـ) بعد أن استعاد سائر الولايات التي استولى عليها العثمانيون ونال شوكة واعتبار يفوقان العادة •

وفي عام (١٠١٧هـ) أرسل السلطان احمد خان رئيس وزرائه (الصدر الاعظم) مراد بلأنا بجيش ثان لقتال ايران واستولى مراد باشا على تبريز بسهولة لكنه لقي هزيمة مرة فيها وعاد الى الأرض العثمانية منهزما وفي النهاية استقر الصلح بين ايران والعثمانيين في عام (١٠٢٠هـ)

واعترفت الدولة العثمانية رسماً بإعادة الولايات السابقة الإيرانية إلى
الشاه عباس وقبل شاه إيران أيضاً أن يرسل سفويًا مائتي حمل من
الحرير الخام إلى استانبول •

وأنبىء الشاه عباس في عام (١٠٣١هـ) أن طهمورث خان الكرجي
هاجم حاكم قراباغ بلمة من أتباعه النصاري وأردوه صريعاً فتحرك
الشاه من أصفهان متجهاً إلى بلاد الكرج فوصلها آخر العام وفر طهمورث
ولم يفد الشاه كثرة استماله له لكي يدخل طاعته بل أن طهمورث توسل
بالسلطان العثماني فحطم هذا الصلح الذي قام بين إيران وتركيا منذ
فترة قليلة •

وفي أوائل عام (١٠٣٤هـ) لما سمع الشاه عباس بعودة طهمورث إلى
الكرج وهزيمته للحاكم الإيراني اتجه إليها ونزل ذبحاً في أهلها حتى أنه
أهلك منهم نحو سبعين ألفاً خلال عشرين يوماً واستأثر مائة وثلاثين ألفاً
ثم دخل تفليس في منتصف جمادى الآخرة ، وسلك طريقه منها إلى بحيرة
كوكجة لصدد محمد باشا قائد السلطان أحمد خان وصدره الأعظم الذي
قدم يعين طهمورث ، فحاصر محمد باشا إيران لكنه صار تحت حصار
جنود الشاه فصالح الشاه بعد أن فقد أربعة آلاف جندي وتعهد أن
يتوسط بين الدولتين عند وصوله استانبول •

وتوفي السلطان أحمد خان في عام (١٠٣٧هـ) وخلفه مصطفى خان
الأول ولم يمكث على العرش غير عام فخلفه عثمان خان الثاني الذي
بعث الصدر الأعظم خليل باشا بجيش كبير إلى تبريز فلقى الهزيمة
الكبيرة وبصحبه ستون ألفاً على بعد ثلاثة فراسخ من كدوك شبلي من
القائد الإيراني (قرتشغاي خان) في نفس عام (١٠٣٧هـ) وبلغ
قرتشغاي خان بالأسرى قزوين حيث الشاه فعينه على حكومة
آذربايجان •

وبعد هزيمة خليل باشا عقدت في عام (١٠٣٨هـ) معاهدة صلح ثانية

بين الطرفين وتقرر ان تكون حدود البلدين هى نفس حدود عهد
الشاه طهما سب وأن يرسل ملك ايران سنويا مائة حمل من الحرير الخام
الى السلطان العثمانى •

وجرت آخر حرب للشاه عباس مع العثمانيين بين سنتى (١٠٣٣هـ)
و (١٠٣٤هـ) وكانت بسبب الاستيلاء على بغداد لان بغداد مع أنها
كانت تبعا لايران فى عهد الشاه اسماعيل الا أن السلطان سليمان خان
أخذها من ايران ، وعاد وردى خان بأمر الشاه عباس قبل فتحها كما
سبق الى ايروان فظلت تتبع السلاطين العثمانيين •

وفى عام (١٠٣٢هـ) هاجم الشاه عباس العراق العربى من أصفهان
ففتحته فى الحادى والعشرين من ربيع الأول ثم ضم الى ايران (العتبات
العاليات) وشخص هو بنفسه لزيارة هذه الاماكن المشرفة وقام بتعمير
أبنيتها •

وفى أوائل عام (١٠٣٣هـ) قدم حافظ أحمد باشا من طرف السلطان
مراد خان الرابع لاسترداد بغداد وحاصرها فى التاسع من صفر فبعث
الشاه عباس اليها زينل بيك الشاملو فغلب زينل حافظا وبعد حصار سبعة
أشهر أنقذ بغداد وأتى الشاه بنفسه اليها فى (١٠٣٤هـ) وعلى اثر بضع
حروب انهزم جنود حافظ أحمد باشا تماما ولم تقع من هذا الوقت حتى
نهاية حكم الشاه عباس حرب أخرى ذات أهمية اللهم الا أن هجمات
الولاة العثمانيين للحدود على بلاد الكرج وأرمينية لم تنقطع وقتا •

الاستيلاء على قشمر وهرموز فى (١٠٤١هـ) :-

بعد فتح البحرين على يد جنود ايران وحصار ميناء جرون أرسل
ملك أسبانيا فيلب الثالث الذى استولى فى هذه الآونة على البرتغال
وحكمها أيضا سفيرا بتحف وهدايا كثيرة الى مقر الشاه عباس والتمس
منه أن يعطيه البحرين ليستولى عليها عمال شركة الهند البرتغالية وأن

يرفع حصاره عن جرون • واستقبل الشاه الصفوي رسل فيليب في (١٠١١هـ) فاحتفى الشاه لمقدمهم احتفاء عظيمًا لأنه كان يود محالفة البلاد المسيحية ضد العثمانيين وأمر وردى خان أن يرفع الحصار عن جرون ويضع البحريين تحت تصرف البرتغاليين لكنه لم يصر كثيرًا على الأمر الثاني كما لم يمكن حاكم البحريين البرتغاليين منها •

وفي (١٠١٧هـ) أعاد فيليب الثالث سفيره السابق إلى إيران وشكا من أن نواب الشاه رفضوا تمكين البرتغاليين من البحريين وهنا شاه إيران وهو يتملقه على فتوحاته في حروبه مع العثمانيين ، فأرسل الشاه عباس رسالة ودية للملك إسبانيا مع مخصص من قبله وسفير إسبانيا لكنه لم يذكر حرمان البحريين • وفي عام (١٠٠٩هـ) حين كانت البحريين يبيد الإيرانيين وحين كان وردى خان مدركا أن البرتغاليين لم يتخلوا عن استعادتها طفق يتعرض إلى ميناء جرون والقلاع والموانئ الأخرى على أطراف باب هرموز وكانت جميعا في قبضة البرتغاليين وذلك لكي يصرف اهتمامهم إليها ولكي يكون مركزا لجنوده بجوار قلعة جرون المحكمة ، فبهى بهذا أسبابا لمضايعة البرتغاليين على الدوام وابتنى قلعة باسم (قلعة عباسي) على مقربة من جرون •

وفي (١٠٢١هـ) أرسل وردى خان ابنه امام قلى خان للسيطرة على جرون لكنه فشل في أخذها في ذلك الوقت وكان أن مات وردى خان أيضا في نفس العام فصار امام قلى خان خلفا لأبيه في رئاسة فارس • إلا أن امام قلى خان فتح جرون في عام (١٠٢٣هـ) وخرّب قلعتهم البرتغالية وأنشأ مكانها بندر عباس الحالية على مقربة من قلعة عباس السابقة •

اتجه سفير فيليب الثالث المسمى أنطونيو دي كوفيا (Antonio de Gouvêa) ودفكيز بيك الروماني سفير الشاه عباس إلى أوربا لجلب مساعدة إسبانيا إلى إيران في حربها مع العثمانيين في (١٠١٧هـ) وعادا إلى إيران في (١٠٢١هـ) ولم ينتج عن هذه

السفارة ما كان ينتظره شاه إيران لذا عامل أنطونيو بخشونة وقتل دنكيز بيك أيضا لارتكابه أيام سفره حركات بذيئة وصمم بجدية على أن يقطع أيدي البرتغاليين عن جزر الخليج وسواحلهم وكانت حملة أمام قلتي خبان على جرون على اثر هذا التصميم .

وفي أوائل عام (١٠٢٣هـ) أرسل فيليب الثالث سفيره مرة أخرى إلى إيران يطلب من الشاه ضم البحرين إلى جرون على وعد بمساعدته في حملته على العثمانيين في الغرب ، فرد الشاه عليه وقد آيس من تحقيق وعوده أن جرون جزء من أرض إيران وأن البحرين قد استولى عليها جنوده من أمير هرموز . وكان الشاه عباس في هذا الأوان منشغلا بمفاوضات مع مبعوث شركة التجارة الانجليزية في الهند لأعطائهم امتيازات تجارية نظير حصوله على عونها البحري لهذا أعاد سفير فيليب صفر اليديين وكان هذا في حكم قطع العلاقة ما بين إيران وإسبانيا .

وأنزل أسطول شركة الهند الشرقية الانجليزية في عام (١٠٣٠ هـ) بالبرتغاليين في ميناء جاسك هزيمة عظيمة وقد أجلت هذه الهزيمة وهنا كبيرا بعظمة البرتغال البحرية في الخليج .

وفي هذه الأيام دخل أمام قلتي خان بامر الشاه في مفاوضات مع ممثلي الشركة الانجليزية لكي يستمد بأسطولهم في حملاته على جزيرتي قشم وهرموز وأبى ممثلو الشركة المطلب لمدة عام إذ أنهم كانوا يخشون ألا يكونوا أندادا للبرتغاليين في هرموز من ناحية ومن ناحية أخرى لم يحبوا أن يقدموا على هذه الخطوة بغير اجازة من بلاط لندن لأن فيليب الثالث كانت علاقاته بملك إنجلترا ودية . وفي النهاية هددهم أمام قلتي في حالة عدم استجابتهم لطلبه بالاستيلاء على جميع السلع التي تتبسع الشركة في سواحل الخليج ، وأخيرا عقد ممثلو الشركة في ميناب معه معاهدة قرر بمقتضاها أن يحمل الإيرانيون على قشم وهرمز من ناحية البر ويهاجمها الانجليز من البحر ويقتسم الطرفان الغنائم بالتساوي بعد

الفتح ويتحمل الطرفان أيضا نفقات الأسطول والذخيرة وأن يعود الأسرى المسلمون إلى الإيرانيين والمسيحيون إلى الانجليز (باستثناء حاكم هرمز البرتغالي الذي قرر أن يترك إلى إيران) كما يصير دخل جمرك هرمز قسمة بين الجانبين وأن تعفى البضائع التي تصدرها الانجليز للشاه وإلى فارس من دفع الرسوم الجمركية .

وبعد عقد هذه المعاهدة بدأ امام قلى بحملته على قشم وباستيلائه عليها قطع طريق مياه الشرب عن برتغاليي هرمز ثم أثار عمان عاملها على البرتغاليين .

ولما فتحت قشم ألقت القوات المتحدة الإيرانية والانجليزية في السابع والعشرين من ربيع الثاني عام (١٠٣١ هـ) بحصارها على قلعة هرمز وفتحتها في النهاية في العاشر من جمادى الآخرة وسقط ثلاثة آلاف أسير برتغالي في أيدي الانجليز وعدد من العرب بقبضة الإيرانيين ، وقتل الأسرى العرب بأمر امام قلى وأرسلت رؤوسهم إلى بندر عباس .

وبفتح هرمز فقد البرتغاليون أكبر معاقلهم وأشدّها تحصينا في الخليج بعد قرن وبعض قرن كما زالت اسرة أمراء هرمز القديمة في عام (١٠٣١ هـ) التي حكمت من بضعة قرون في هرمز القديمة (ميناب الحالية) وهرمز الجديدة (جزيرة هرمز الحالية) وسواحل موغستان وعمان مستقلين حيناً وتحت أمر أمراء إيران وأخيراً تحت حكم ملوك البرتغال وأسبانيا أحياناً أخرى .

وبعد فتح قشم وهرمز كان امام قلى يود الخراج عمان ومسقط أيضا عن قبضة البرتغاليين وتخليص مسلميهما من شرور اعتداءاتهم العاشمة ولهذه النية دخل في مفاوضات مع نواب شركة الهند الشرقية لجلب مساعدة الانجليز . لكن الانجليز ولما يستفيدوا بشيء من فتح هرمز وكانوا يودون أن يتلافوا ما خسروه هذه المرة اقترحوا لامام قلى أن يترك لهم جميع جزيرة هرمز ونصف العائدات الجمركية لها وان

يكون لهم الحق في الاحتفاظ بأربعة سفن حربية في الخليج • ورفض امام قلى هذا الاقتراح لانه لم يكن يقبل أن تسقط هرمز في أيد مسيحية مرة أخرى ، ولم يصادف تنفيذ خطة الاستيلاء على مسقط وعضان برغم مهاجمة امام قلى لهما بسبب ضعف قوة ايران البحرية توفيقا كما فشل البرتغاليون في استعادة هرمز برغم محاولاتهم الى ان تصالحوا مع المشاه عباس في (١٠٣٤هـ) وتنازلوا عن جميع ما كان لهم فيها سبق • وكان المشاه لا يريد أن يفقد صداقة ملك أسبانيا والبرتغال لكيلا يبقى وحيدا في حالة حدوث حرب له مع الانجليز لهذا سمح للبرتغاليين أن يقوموا بصيد اللؤلؤ في البحرين ويؤسسوا لهم في ميناء ككك شممال شرقى لشكة قلعة ودار للتجارة

موت المشاه عباس في الثالث والعشرين من جمادى الأولى عام (١٠٣٨هـ)

أصدر المشاه عباس في العام الأخير من سلطنته أوامره لامام قلى خان والى فارس أن يهاجم ومعه أمراء خوزستان البصرة فيستولوا على هذا الميناء عن طريق دجلة وجزيرة العرب وقصد المشاه نفسه أيضا مازندران • وفيها زاد المرض على المشاه الى أن وافاه أجله ليلة الرابع والعشرين من جمادى الأولى عام (١٠٣٨هـ) في بلدة أشرف (بنهر الحالية) وقد عمر تسعة وخمسين عاما وثمانية شهور وثلاثة وعشرين يوما وحمل جسده من مازندران الى كاشان ثم دفن بعد فترة في قم •

وقد حال وصول خبر موت المشاه عباس دون يستولى امام قلى على البصرة وكان يحاصرها فأتى أصفهان ليقابل المشاه الجديد •

يعد المشاه عباس الكبير الذى حكم ايران تسعة وأربعين عاما من بداية اعلانه السلطة وثلاثة وأربعين عاما من خلع أبيه أعظم ملوك ايران بعد الاسلام — بلاشبهة — نظرا لأعماله الكبيرة التى تبذرت في فتوحاته والآثار الخيرية التى ظهرت في ادارته الملك ويجوز أن أحدا من ملوكنا

ليس في نظر الغنوام الأيرانيين في شهرته وطيب ذكره ، وتشتهد الحكايات والأساطير الجارية عنه على ألسنة الناس بهذا ولم يكن اطلاق لقب (الكبير) الذي أطلقه عليه الفرنج عبثا .

وللأسف فان اعمالا ارتكبها الشاه عباس في مجال حياته الخاصة تبلغه الى الدرجة النهائية لقسوة القلب والفظاظة والتغصب من قبيل قتله لابنائه الأرشد (صفى ميرزا) عام (١٠٢٢ هـ) بتهمة التفكير في عصيانه وسمل ولدين آخرين وانزال الذبح العام للكرجيين وقتل التابعين والمتهمين بأدنى مظنة أو ذنب . أما غير هذا فان الشاه عباس فضلا عن غلبته لأعداء ايران السابقين وكسب المآثر الكثيرة في فتوحاته قد جاهد أكثر من أى ملك في مضمار رفاهية الشعب وتعمير البلاد وثنى الطرق وتشييد الأبنية والعمائر ولا يزال الى اليوم آثار عديدة من آثاره الخيرية في كل ايران .

نقل الشاه عباس في حدود العام الألف الهجرى عاصمة الدولة الصفوية من قزوین الى اصفهان فولت هذه المدينة وجهها مرة اخرى الى العمران والعظمة بفضل اهتمام هذا الشاه وكانت قد نزلت من عهد السلاجقة عن اعتبارها وعمارها ، وطفق الشاه وأعيان دولته يشيدون بها العمائر والمساجد والطرق والحدائق . وبدأ الشاه عباس في عام (١٠١١ هـ) بتأسيس سوق (تشهار بازار) وميدان (نقش جهان) وفي عام (١٠١٩ هـ) ابنتى مسجد شاه واختط لأقامته قصر (عالى قابو) والجنان على حافتى نهر زاینده رود والمنازل الملحقة بها .

وخلافا لاصفهان أقام الشاه عباس أبنية عدة في ولايات ايران الأخرى خاصة مازندران التى كانت من أماكن سياحة الشاه وصيده الدائمة ، ومن بين ذلك اقامته لميناء فرح آباد في (١٠٢٠ هـ) وأشرف في (١٠٢١ هـ) وجادة سنكفرش في (١٠٣١ هـ) لماسازندران بطول خمسة وأربعين فرسخا من فرح آباد حتى خوار الرى وطريق أخرى من نفس

الولاية بين جاجرم في خراسان حتى صنعراء موغان .

وفي عراق العرب عمر كما أثر الشاه عباس مدينة النجف ومقابر الأئمة — ثم أوقف عام (١٠١٧هـ) جميع أملاكه الخاصة للأئمة الأربعة عشر المعصومين وأمر أن يعود ريعها إلى السادات (١) .

وفي عام (١٠٢٨هـ) أمر امام قلى أن يزيل جزءا من جبل (زرد كوه بختياري) الذي ينبع من سفوحه نهرا قارون وزاينده رود أي الجزء المسمى كوه رنك الذي أقدم الشاه طهما سب على حفره قبل ذلك ، لكي يدخل قسما من ماء نهر قارون في نهر زاينده رود بهدف تعمير أصفهان ، فبادر امام قلى لتنفيذ الأمر لكنه لم يستطع تحقيقه بسبب صعوبته .

وكان الشاه عباس رجلا يحب السياحة والتطواف وكثرت زياراته أغلب مسنيه لمشهد أو مقبرة جده الشيخ صفى الدين بأردبيل لذا فإنه يرى عنه منازل للقوافل ابتناها من الحجر لا حصر لها على كل الطرق

(١) المعروف أن الأئمة اثنا عشر اماما في المذهب الاثنى عشر الامامى وليسوا أربعة عشر اللهم الا اذا ادخل غرضا الشاه عباس اسماعيل بن جعفر الصادق امام الاسماعيليه وأخت الرضا (المعصومة) التي لازال قبرها بقم الى اليوم مزارا يحج اليه الشيعة فصار عدد الأئمة أربعة عشر . وليس يعنينا في هذه المسألة عدتهم فان كانوا يقتلون أو يزيدون لا يفتقص الأمر أو يزيد بقدر ما نعنى به من وصفهم بالعصمة التي لا يتصف بها الا الله تعالى ، فالعصمة باطلاق الله وحده ، والرسول صلوات الله عليه ليس معصوما من الخطأ وحده الا في حالة نزول الوحي عليه وتبليغه للناس أما غير ذلك فهو كسائر البشر يجري عليه ما يجري عليهم من النسيان والخطأ ، وهذا واضح من قوله تعالى للرسول (يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربيك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين) المائدة / ٦٧ . أما دون الوحي وتبليغه للرسول مفروض للخطأ كما حدث منه وحدث به القرآن الكريم في أكثر من حادثة كاعراضه عن الأعمى لشغله بكبار قريش وتحريمه ما أحل الله له ابتغاء مرضاة أزواجه وغير ذلك وكان الوحي يرفد الرسول دائما غيرته على اجتهد به بغير وحي أو يعدله أو يعلمه بشيء جديد . وإذا كان الرسول الموحى اليه تنتقى عنه العصمة الا حين الوحي وتبليغه فمن الضلال البين اعتقاد العصمة على اطلاقها أو جزء منها على بشر قط والله تعالى اعلم .

الرئيسية في ايران وتقول العامة أن تسعة وتسعين وتسعمائة منزل
للقوافل أنشأها الشاه عباس الكبير ويوضح هذا العدد كثرة ما بنسأه من
هذه المنازل (١) .

وفي عام (١٠٠٨ هـ) قصد الشاه زيارة مشهد من اصفهان راجلا فأمر
بقياس المسافة ما بين اصفهان ومشهد عن طريق صحراء باطناب فبلغ
مائتي فرسخ الا واحدا .

وفي عام (١٠١٧ هـ) حين أتى الشاه عباس مراغة ورأى بها مرصد
هولاءو صمم أن يعمره وأرسل لاعداء مشروع تعميره الشيخ بهاء الدين
محمد العاملى والملا جلال المنجم وعلى رضا الخطاط فعرضوا تقريرهم
لتجديد المرصد ، لكنه لا يعلم لأى سبب لم تطبق هذه النية عملا واقعا .

سياسة الشاه عباس الادارية :

سعى الشاه عباس قدر استطاعته والى الحد الذى كان يسمح به
عصره فى تعمير البلاد واصلاح ما يتعلق بالتجارة والجيش والزراعة من
أمر ولم يغفل كذلك عن استجلاب الأجانب والافادة بهم فى هذه الميادين .

ولم يكن الشاه عباس فظا على غير أهل السنة من دون أتباع سائر
المذاهب لذا فقد جلب أثناء غزواته لأرمنية والكرج نحو ثلاثين ألف اسرة
من مسيحيى هذه الولايات الى مازندران وأسكنهم بها كما رحل الى

(١) ليس من الدقة الاعتماد على مآثور العامة والجفلى فيما ينسبون
الى سلطان أو غيره من فعل خاصة اذا كان البطل سلطانا عندهم ، ولعل
نفس العدد المذكور (٩٩٩) يوضح كذب الخبز لضخامته أولا ولا يثاره دون
غيره ثانيا لان من بينى الف منزل الا واحدا يستطيع اقامتها الى الالف اذا
فرض استطاعته بناء مثل العدد الضخم . ويبدو ان العامة اختاروا هذا العدد
دون غيره فى رواياتهم لقربه فى أذهانهم من الالف ليلة وليلة واحدة وحكاياتها
وأبطالها الخالدين عند العوام وربما هدفوا الى أن يعلوا منزلة بطلهم الصفوى
على بطل الف ليلة وليلة الأسطورى ، فواحد أمضى عمره يشيد ألف بنسأه
وآخر قضاه يسمح ألف حكاية فشتان اذن بين البطلين ..

أصفهان خمسين ألف أسرة من أرامنة جلفا وایروان وبنى لهم مدينة جلفا على شاطئ نهر زاینده رود وأنشأ لهم فيها الكنائس وشجعهم على التجارة مع الهند والبلاد الخارجية بأن أعطاهم الحرية الكاملة .
وفي عام (١٠٠٦ هـ) حينما كان الشاه عباس في خراسان يدفع الأوزبك قدم أحد النجباء الانجليز كان متصفا بالحنكة والخبرة بالحرب يصحبه أخوه وستة وعشرون رجلا من بلاد الانجليز ليقابل الملك الصفوي بايران وكان يغرض الى اكتساب امتيازات تجارية من ناحية والى ادخال الشاه عباس في تحالف مع السلاطين المسيحيين في أوروبا ضد الأتراك العثمانيين من ناحية أخرى .

وبلغ هذا للرجل واسمه أنتوني شرلي (Antony Sherly)
ومعه أخوه روبرت (Robert Sherly) والبعثة المرافقة لهما
مقر الشاه عباس بقزوین وقدموا التحف والهدايا التي اصطحابها ، فلقبهم الشاه بحفاوة واصطحبهم الى أصفهان .

وفي أصفهان أدرك الشاه ووردى خان أن من بين رفقة شرلي من يعرف بفنون المدافع والأمر الأخرى العسكرية ، وكان الشاه وقائد جيشه يفكران في تنظيم جيش جديد على نظير الجيوش المنظمة لبلاد أوروبا لاجراج الاتراك العثمانيين ودفعهم وكان الجيش الصفوي حتى هذا الوقت مؤلفا من فرسان جماعات القزلباش التي كانت تدين بالولاء في الحقيقة الى رؤسائها أكثر من الشاه حتى أنهم كما رأينا كانوا يتدخلون في عزل الملوك وتنصيبهم حسب أهوائهم ، وقد ثار الشاه عباس نفسه على أبيه عن طريقهم فوصل الى السلطة .

وكان الشاه الصفوي يعلم بما لديه من معرفة بأحوال الجيش العثماني أن جنده القزلباش ليس بمكنتهم مجابهة العثمانيين وأنه يلزم جيش متدرب مطيع للشاه اطاعة مباشرة لهذا بدأ بتخفيض عدد الفرسان القزلباشية الى ثلاثين ألفا وأحل محل المبعدين عشرة آلاف فارس وعشرين

ألفا من المشاء لقوا جظا من التدريب والتعليم بعسونا أصحاب شرلى واخوته وكانوا يتلقون من الدولة الجراية والرواتب وجهزت لهم مدفعية حديثة وأنيطت قيادتهم العامة بوردى خان .

وقد ألف الشاه عباس طائفة جديدة من الطوائف المختلفة لحراسته الخاصة لتوقعه الأخطار المحتملة من القزلباشية وسماها (شاهينسون) أى أصحاب الشاء وأدخلت هذه الطائفة فضلا عن حراستها للشاه بين فرق جيشه .

وفى أواخر عام (١٠٠٧هـ) حين نجح الشاه عباس فى تأليف هذا الجيش وقبر مهاجمة العثمانيين أرسل أنتونى شرلى ومعه حسين على بيك بيات الى ملوك أوربا لكى يعقد معهم صفقات رابحة فيما يتعلق ببيع حرير ايران وكان فى هذا الوقت من نفائس البضائع المطلوبة عند الأوربيين كما يبنى معهم أساس تجالف ضد العثمانيين قائم على مقسام محكم .

وثناء السفر وقع الخلاف بين شرلى وحسين على بيك فخلاه شرلى وقدم الى اسبانيا لدى فيليب الثالث ولم يعد الى ايران ثانية . ووصل حسين على بعد سفر طويل الى بلاط أسبانيا وعاد الى ايران بسفينة كان فيليب وضعها تحت تصرفه وقد استغرقت عودته نحو أربعة أعوام . وسير ملك اسبانيا فى نفس ذاك الوقت ديكوفيا بسفارة الى ايران وكان الشاه عباس كما رأينا على أهبة أن يرفع حصاره عن جرون لكى يكتسب مودة فيليب وأن يعيد البحرين أيضا الى البرتغاليين .

وعاود ديكوفيا زيارة ايران (١٠١٧هـ) وعاد هذه المرة يصحبه زنجير بيك سفير ايران بأسبانيا الى بلده ثم آب ثالثة الى ايران فى عام (١٠٢١هـ) . لكن هذه السفارات لم تسفر عن نتيجة هامة كما سبق لأن الشاه لم يكن مستعدا أن يعيد البحرين ولم يساعد فيليب شاه ايران فى هجومه على العثمانيين من الغرب . وقطع الهجوم على هرمز سلسلة هذه

المفاوضات الودية وقصرت البرتغاليين رعاية فيليب الثالث تماما عن جزر الخليج وسواحله .

وفي (١٦٠١ هـ) حين لم يعد أنتوني شرلي من أوروبا ولم تؤد سفارة حسين على بيك الى نتيجتها المطلوبة أرسل الشاه عباس روبرت أخينا أنتوني شرلي - وكان أسدي خدمات جليلة في الحروب مع العثمانيين وأصبح محط نظر الشاه - بسفارة الى أوروبا ، فتفاوض باسم الشاه من عام (١٦٠١ هـ) حتى (١٠٢٤) في الهند وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وإنجلترا وروما مع ملوك هذه الدول والبابا ، وكان من ضمن ذلك وصوله عام (١٦٠٩ هـ) لقصر فيليب الثالث لكنه وقع فيه فريسة دسائس أخيه أنتوني الذي كان ينفس عليه مكانته فاتهم روبرت بإساءة العلاقات بين ملك الانجليز والسلطان العثماني وتوليد الحروب .

وعاقبة الأمر قابل روبرت ملك إنجلترا في (١٦٢٠ هـ) وأطلعه على اقتراحات الشاه عباس وفحواها ترك مينائين من موانئ إيران للانجليز واعطاؤهم حرية التجارة مع إيران ومنح عمال شركة الهند الشرقية الانجليزية الحرية أيضا لقاء قطع التجارة مع العثمانيين لكن الملك رفض هذه المقترحات بسبب رفض جماعة من تجار الانجليز كانت لهم تجارة هامة في موانئ الشام والعمانيين وكانت ترى منافعها في إثارة المشاكل ، لكنه سمح لروبرت ان يعقد في عودته لأصفهان معاهدة مع إيران ودخل روبرت أصفهان أخيرا بعد تحمل مشقات بالغة في سفره في عام (١٦٢٤ هـ) .

أرسلت شركة الهند الشرقية الانجليزية نفسها في نفس الوقت مبعوثا الى إيران لكي يحصل على اذن الشاه ببيع بعض بضائعها التي لم تبع في الهند ولها مشتركون في إيران . وقد كسب المبعوث اذن الشاه بالرغم من ممانعة روبرت شرلي ووضع الشاه عباس ميناء جاسك تحت تصرف الشركة لإقامة تجارها ولتسويق تجارتهم وفتح بهذا العمل الباب لمنافس قوى للتجار البرتغاليين في الخليج .

وقدم روبرت شرلي مرة أخرى في (١٠٢٤هـ) الى فيليب الثالث
بمفارة له فرد فيليب بسفير في (١٠٢٣هـ) الى ايران • وبقى شرلي
حتى (١٠٣١هـ) في البرتغال وظل مسفير فيليب أيضا بايران حتى
(١٠٢٨هـ) لكن أحدا منهم لم يحصل نتيجة من مهمته بسبب ما ذكرناه
سابقا من أسباب •

الفصل الرابع عشر

سلاطين الصفويين المتأخرون

لسوء حظ ايران أن الشاه عباس كان يسيء معاملة أولاده ولم يهتم بتربية وتنشئة خلف جدير له فلا جرم أن وقع بعد موت هذا الشاه الكبير مباشرة التاج والتخت الصفويان في أيدي ملوك بغير أهبة أو ضعف فأخذت عظمة الدولة واحترامها يقلان يوما بعد يوم وخطا ثانية أعداء ايران الخارجيون في طريق هجومهم عليها .

ولد للشاه عباس أربعة أبناء أولهم صفى ميرزا الذى قتل كما قلنا بأمر الشاه ، وثانيهم طهما سب ميرزا الذى مات في حياة أبيه ، وثالثهم ورابعهم سلطان محمد ميرزا وامام قلى ميرزا اللذان سمل الشاه عينيهما .

وحينما كان الشاه عباس يحتضر في مازندران أوصى أن يخلفه سام ميرزا ولد صفى ميرزا وكان مقيما بأصفهان ، وجلس سام ميرزا في أصفهان بعد سماعه خبر موت جده باسم الشاه صفى ليلة الاثنين الموافق العشرين من جمادى الثانية (١٠٣٨هـ) على عرش السلطة ولم تتجاوز سنه في هذا الوقت السبعة عشر عاما .

سلطنة الشاه صفى

(١٠٣٨ - ١٠٥٢هـ)

فتح موت الشاه عباس وجلوس ملك شاب غر مكانه الميدان ثانية لهجوم الاوزبك والاتراك العثمانيين فهاجم الاوزبك في شوال عام

(١٠٣٨ هـ) مشهد لكنهم هزموا على يد حاكمها منوشهر خان فهربوا الى التركستان وخوارزم .

لكن الواقعات الهامة التي جرت على الحدود الشمالية الغربية لایران لم تدفع بهذه السهولة بل ظل الشاه صفی فريسة لها طوال مدة سلطنته الأربعة عشر عاما وكان أن ظهر أثناء هذه الحروب عجز الشاه كاملا . وما أن سمع السلطان مراد الرابع (١٠٣٢ - ١٠٤٩ هـ) أحد آخر سلاطين تركيا الأکفاء الفاتحين بخبر موت الشاه عباس حتى قرر أن يعرض هزائم عهد هذا الشاه فجعل من إعادة السيطرة على بغداد منظور نظره .

وكان أحد أبناء أسرة كرجية يعيش في خدمة الشاه عباس وأسدي خدمات كبيرة في حروبه معه ويدعى جورجى سكذيه (Giorgi Sakadzé) ويلقب بمورافي (Mouravi) لكنه أعلن عصيان الشاه في عام (١٠٣٢ هـ) وأخذ يؤلب الكرجيين عليه وبعد مدة من الكر والفر لم يطق المقاومة فلاذ بالسلطان مراد خان وأخذ يكرر دعوته له بمهاجمة ایران .

ولم يجرؤ السلطان مراد على الاقدام على هذا الهجوم ما بقى الشاه عباس حيا وفي السنة الأولى من حكم الشاه صفی أرسل الصدر الأعظم خسرو باشا بجيش الى بغداد وسير مورافي الكرجي الى الموصل وفان واذربايجان ، فحفظ رستم بيك آذربايجان عن الهجوم وقتل خسرو باشا مورافي الا ان أمير عراق العرب وبغداد لم يدفع بيسر لأن خسرو باشا هاجم هذه التواحي بجيش كبير فأنفذ الشاه زينل خان الشاملو قائد الجيش لدفعه وتحرك هو بنفسه من أصفهان تجاه العراق ، وحاصر خسرو بغداد وسير بعضا من جيشه لفتح بلاد الأكراد . ووصل زينل خان على عجل الى قلعة مريفان لكنه أصيب بالهزيمة المرة بها في الثاني والعشرين من رمضان عام (١٠٣٨ هـ) فتقدم الترك عن هذا الطريق الى همدان بينما كان صفی قلی خان الحاكم الإيراني لبغداد مستقبلا في

الدفاع عنها وتقدم ولاية آذربايجان في كل مكان منها لمواجهة الترك .
فتحت هزيمة مريفان طريق ايران الغربية أمام عساكر خسرو باشا
ولاذ الشاه صفى بالهرب عنها . لما سمع بقدومهم وتقدم الأتراك حتى
جزين لكنهم عادوا عنها . الى بغداد . وأورد الشاه زينل خان مورد الهلكة
من شدة غضبه وتوجه في بداية عام (١٠٣٩ هـ) الانتقاد بغداد . وقد
تمكن صفى في دفاعه عن بغداد من قتل اثني عشر ألفا من الترك ولما سمع
خسرو باشا وصحبه بتحريك الشاه الى بغداد رفعوا حصارهم عنها ، وعاد
الشاه الى أصفهان بعد زيارة النجف .

وفي عام (١٠٤١ هـ) سمع الشاه صفى أن طهمورث خان ملك الكرج
سلك سبيل العصيان وتحالف مع داود خان والى قرا باغ وأخى امام
قلن خان فاتح هرمز . فأرسل الشاه صفى رستم خان القائد لدفع
طهمورث وتحرك بنفسه في عقبه ، وهزم رسم طهمورث وداود وأجبرهما
على الفرار . وأمر الشاه بتنصيب خسرو ميرزا أحد الأمراء الكرجيين
على سلطنة بلاد الكرج وكان قبل رئيس الحرس بأصفهان وحصار خسرو
ميرزا ملكا لهم تلبعا للشاه صفى باسم رستم الأول .

وفي عام (١٠٤٣ هـ) اشتعلت الحرب مرة أخرى بين ايران
والعثمانيين واتجه السلطان مراد بنفسه الى ايران لكنه عاد بسبب
للقلاقل التي ثارت في الشام بينما كان الشاه صفى قد توجه بعساكره
الى بلاد الأكراد لمواجهة الترك . وفي (١٠٤٥ هـ) أعمل السلطان مراد
نيته بمهاجمة ايران فبلغ في بداية هذا العام أرزنة الروم وبعد أهبطه هاجم
آذربايجان وحاصر في صفر من نفس العام ايروان فاستولى عليها نتيجة
خيانة الأمير كونه خان قاجار حاكمها وأرسل السلطان هذا الأمير الخائن
لحكومة حلب . وبعد ذلك استولى السلطان على تبريز وخرب كثيرا من
عمائرها ومبانيها وحرقها لكنه خلاها بسبب البرودة الشديدة فاتجه الى
ديار بكر . ولم يحرك الشاه صفى حتى ذلك الوقت ساكننا قلما عاد

السلطان استعاد ابروان وعاد الى اصفهان .

وفي عام (١٠٤٨ هـ) أتى السلطان مراد مرة أخرى مهاجماً ايسران وحاصر هذه المرة بغداد يصحبه محمد باشا الصدر الأعظم ، ومع أن الايرانيين المدافعين ظلوا يقاومون مدة خمسين يوماً ، وقتل محمد باشا أثناء هذه الحروب الا أنهم سلموا المدينة بسبب قلة المؤن فأغار عليها الاتراك . وسمع الشاه صفى بهمدان بأخبار استسلام المدينة وكان قد تحرك من اصفهان لانقاذها فأرغم على طلب الصلح وترك بغداد للعثمانيين وقنع بالاحتفاظ بابروان .

موت الشاه صفى في الثاني عشر من اصفـر (١٠٥٢ هـ)

مات الشاه صفى في عودته من مشهد في كاشان في الثاني عشر من صفر (١٠٥٢ هـ) على اثر الافراط في الشرب وحمل جسده منها الى قم حيث دفن .

لم تمر سنة في مدة حكم هذا الملك اللاهى العاجز القاسى ، وكانت قصيرة الى حد ما ، من دون أن يقتل جماعة أو يجرمها من خلية البصر ولم يكف في فعله هذا حتى عن قتل المحارم والنساء وكان سادراً في هذا الفعل القبيح الى حد أن اكثر كبار البلاد من القواعد والوزراء والمستوفين وأمراء الاسرة الحاكمة قد قتلوا على يده .

وفي العام الأول من حكمه قتل عمه الأعمى امام قلى ميذا بحجة أن جماعة كانت تفكر في جعله سلطاناً ، وحينما كان خسرو باشا مستحوذاً على همدان والخطر الكبير متجها الى المملكة أهلك زينل خان الشاملو قائد الجيوش ، واستدعى اليه امام قلى خان فاتح هرمز الذى اتحد أخوه داود خان حاكم قرا باغ مع طهمورث خان الكرجى متهما امام قلى أنه يفكر مثل أخيه بالاستقلال بفارس ، فقتله وأولاده الثلاثة في قزوين في عام (١٠٤٢ هـ) ووصم بقتله هذا الأمير الكفاء المحب للأدب جبينه بعار كبير .

سلطنة الشاه عباس الثانى

(١٠٥٢هـ - ١٠٧٧هـ)

وبعد موت الشاه صفى جلس ابنه ذو التسع سنوات عباس ميرزا على عرش سلطنة ايران باسم الشاه عباس الثانى عشر من صفوى (١٠٥٢هـ) ، وبما أنه كان طفلا فى ذاك الوقت فقد وقعت مقاليد الأمور فى أيدي الأمراء وجمع ميرزا تقى اعتماد الدولة الوزير السابق لمازندران وكان الصدر الاعظم زمام جميع الأمور فى يده كنائب للسلطة ، الا أن الامراء الآخرين وقعوا فى خلاف معه وفى النهاية فى (١٠٥٥هـ) دفعوا الشاه الشاب الى قتله .

وفى بداية سلطنة الشاه عباس الثانى اعتزل ملك الأوزبك امام قلى خان الحكم لضعف بصره وأخلف أخاه ندر محمد خان ورحل من التركستان عازما زيارة مكة مارا بخراسان . فأمر الشاه ان يحتفى به فى كل مكان وقدم هو نفسه لاستقباله حتى فرسخين من قزوین وأرسله الى مكة باحترام تام .

ومن أعمال الشاه عباس الثانى الخسبة فى بداية ملكة تحفيضه ضرائب الشعب نحو خمسمائة ألف فجعل هذا العمل هذا الشاه الشاب بعد مظالم عهد الشاه صفى أثرا لدى العامة . وعمل آخر هو إصداره أمرا بمنع شرب الخمر والمثردة فيه الا أن هذا المنع لم يدم لأن الشاه نفسه قطع توبته أسرع من غيره وسقط فى شراب المدام الى حد أنه غفل أغلب وقته بسبب ذلك عن الاهتمام بأمور الملك وأخذ يجانس فى معاقرة الخمر كل من هب ودب .

وكانت علاقات السلاطين الصفويين والملوك الكوركانيين للهند حتى عهد هذا الشاه قائمة دائما على أساس المودة والصفاء ، وكانت هاتان الجماعتان من الملوك يتحد احدهما مع الأخرى غالب الوقت ضد المعتدين

من الأوزبك ولم يكن يفضل بين إيران والهند غير ولاية قندهار ، كما سبق أن أشرنا الى العلاقات الطيبة في عهد الشاه اسماعيل الأول بين هذا الملك وظهير الدين محمد بابر مؤسس أسرة الكوركانيين في الهند . وفي عهد خلف هذا الشاه أي الشاه طهما سب الأول ، لأذ همايون ولد بابر الى إيران عام (١٥٥١ هـ) نتيجة للهزيمة التي منى بها من شيرخان أفغان ، وحرم لذلك من المتاجر والعرش . وأصدر الشاه طهما سب الى عامة المحكم على طول الطريق أوامره بأن يستقبل همايون الاستقبال المسمى وأن يعاملوه معاملة تنسيه الهزيمة المرة التي ذاقها من الأفغان . وكان الشاه طهما سب يتلقاه بكل اعزاز واجلال طوال المدة التي قضى فيها في إيران ، ثم أمده الشاه وأعادته الى الحكم . وفي عهد الشاه عباس الكبير كانت علاقة المودة والصداقة قائمة بينه وبين أكبر شاه وابنه جهانكير .

وفي السنة الأولى من حكم الشاه عباس الثاني قرر شاه جهان خلف جهانكير الذي تملك في (١٥٣٧ هـ) أن يضم الى الهند ولاية قندهار التي تقلها عن إيران والتي كانت من عهد الشاه عباس الكبير في يد الصفويين دائما ، وأرسل شاه جهان ابنه لها لهذا العزم . وأمر الشاه عباس قائد الجيوش رستم خان بجمع جيوشه وصد جنود شاه جهان إلا أن رستم خان لم يهتم بالأمر لعل سبب ذلك أن الشاه كان لا يزال وقتها صغير السن ففقد الشاه قندهار ، وكان أن أمر الشاه قرشسغاي خسان والي خراسان بقتل رستم خان فقتله وأخوته أيضا .

وبعد أن هاز شاه شاه جهان هذا النصر توجه الى التركستان ، وهاجم بلخ بحجة مد ندر محمد خان الذي أصيب بالهزيمة بيد ابنه وأمرائه بينما كان يخطط في الحقيقة للاستيلاء على التركستان . فبلغ ندر محمد خان خراسان واستمد الشاه عباس الثاني . فاستدعاه الشاه لقابلته وعاجل الى لقائه فيما بعد اصفهان بفرسخين ، ثم أرسل في (١٥٥٥ هـ) جيشا الى التركستان لمعاونته وبرفقته . وسمع شاه جهان

بهذا الخبر فراجع عن التركستان واستعاد نادر محمد خان سلطانته السابق ، وبعث شاه جهان في السنة التالية سفيرا الى العاصمة الصفوية وهالاح الشاه عباس .

وفي عام (١٠٥٧ هـ) نصب الشاه عباس (مرتضى قلى خان قاجار) قائدا عاما على جيش ايران وامره بجمع جنوده لاستعادة قندهار ، ثم تحرك هو بنفسه في العام التالي قاصدا زيارة مشهد والمقصود بمرتضى قلى خان من اصفهان الى مشهد وقندهار والى بحصاره على المدينة الأخيرة .

وعجز في النهاية جنود شاه جهان عن المقاومة فسلموا في (١٠٥٩ هـ) قندهار لشاه ايران ، فأنفذ شاه جهان ابنه (اورنگ زيب) لاستعادة المدينة وقدم هو الى كابل الا أن الأب والابن لم يستطيعا التغلب على جنود ايران ، فبقيت قندهار تحت سيطرة ايران حتى ايام فتنة الافغان ، ومع أن شاه جهان هاجم المدينة بجنوده في أعوام (١٠٦٢ هـ) و (١٠٦٣ هـ) و (١٠٦٤ هـ) إلا أن جنود الشاه عباس حافظوا عليها وألحقوا بالكوركانين الهزيمة في كل مرة .

وفي عهد الشاه عباس الثاني كانت غرجستان دائما في طاعة ايران ، ويرغم شروع الروس في مهاجمتها على نحو ما سوف تشير اليه فقد كان خسرو ميرزا أو رستم خان الأول بمصد هجماتهم باسم شاه ايران ، كما أن طهمورث خان أتى غرجستان في بداية حكم الشاه عباس الثاني تاتية قاصدا اخراج رستم خان عنها غير أن رستم خان عليه قبل وصول مسعود الشاه قتلاذ طهمورث بالقرار الى روسيا وأثار الروس وحركهم للاستيلاء على غرجستان فقدموا في (١٠٦٣ هـ) الى منطقة داغستان وبنوا لهم فيها بضع قلاع ، فقام ولاية غرجستان وداغستان وشروان بتخريبها فبقى طهمورث طريدا في روسيا الى أن عاد في (١٠٧١ هـ) الى ايران يخطب عفو الشاه فعفا عنه .

وفاة الشاه عباس الثانى فى الرابع والعشرين من ربيع الأول (١٠٧٧ هـ)

مرض الشاه عام (١٠٧٦ هـ) فنصحه الأطباء بالاقامة فى مازندران فأتى الشاه الى أشرف وأقام بها نحو العام ثم رحل عنها الى مشهد لكنه لفظ أنفاسه الأخيرة ليلة الثالث والعشرين من ربيع الأول على مقربة من المدامغان ونقل جسده الى قم وكان عمره أربعة وثلاثين عاماً وتسعة شهور ونصف ، ودامت سلطنته خمسة وعشرين عاماً وخمسة عشر يوماً .

والشاه عباس الثانى عامة من ملوك الصفويين الأخيار فقد كان عادلاً ، الى حد ما ، محسناً للرعاية رحيماً بهم بناء ، وخلف كجده آثاراً خيرية كثيرة ، كما قام بتشييد قصر (عالي قابو) (١) عام (١٠٥٤ هـ) و (باغ سعادت) أى جنة السعادة عام (١٠٥٦ هـ) على ضفاف زاینده رود ، وبنى قصر (تشهل ستون) أى ذى الأربعين عموداً فى (١٠٥٧ هـ) فى أصفهان ، كما أنشأ قنطرة نهر زاینده رود فى (١٠٦٨ هـ) والمسجد الجامع بأصفهان فى (١٠٧١ هـ) . ومن العلماء المشهورين عهد هذا الشاه الشاه لآبد أن نذكر (الملا محمد تقى المجلس الأول) (١) (والملا محمد فيض) (٣) و (آغا حسين الخوانسارى) و (الملا خليل القزوينى) .

(١) تعنى فى التركية (القصر العالى) .

(٢) كان من متعصبى المذهب الشيعى ويعرف بالمجلس الأول تميزا له من ابنه المجلس الثانى الذى الذى غاظه تعصبا وهو من كبار علماء الشيعة فى العهد الصفوى . وكان الابن يدمو للمذهب فى العامة ويسىء معاملة أهل التصوف . من آثار الابن بالعربية بحار الأنوار فى الحديث ، وبالفارسية عين الحياة كتاب فى النصيح والوعظ ومشكاة الأنوار ، حلية المقتفين ، حياة القلوب ، جلاء العيون ثم حق اليقين .

(٣) وهو المعروف بفيض الكاشانى من فقهاء العهد الصفوى وينسب اليه تأليف كثيرة فى المذهب الشيعى منها اصول المعارف والكلمات المكنونة فى الحكمة والتفسير والصفى والوفى فى الحديث والتفسير وكلها بالعربية . ومن آثاره الفارسية أبواب الجنان فى آداب صلاة الجمعة . وله ديوان يبلغ نحو ستة آلاف أو سبعة آلاف بيت ، توفي (١٠٩١ هـ) .

سلطنة الشاه سليمان

(١٠٧٧ - ١١٠٦ هـ)

كان للشاه عباس الثانى ولدان أولهما صفى ميرزا من أم شركسية وثانيهما حمزه ميرزا ابن زوجته كرجى شاه ، وكان الشاه عباس لا يمين إلى صفى ميرزا مع انه كان ابنه الأكبر وأمر فى أواخر عمره بأن يحبس فى أحد القصور الملكية .

وبعد موت الشاه اجتمع امرأؤه فى الدامغان ، وقرورا طالما أن الشاه لم يبد رأيا فى تحديد خلفه أن يخلفه حمزة ميرزا ابن الثمانية أعوام ، ولكن ينجح اختيارهم أشاعوا أن الشاه قد سفل عينى صفى ميرزا فلا يمكنه النهوض بالحكم ، فأنبعث رئيس خصيان حريم الشاه وهو (آغا مبارك) مخالفا هذا الاختيار وقال أن صفى ميرزا صحيح وسالم وهددهم انهم اذا لم ينصرفوا عن فكرتهم فليسوف يقدم على قتل حمزه ميرزا . ولم ير الأمراء أمام هذا فوجئا من أن ينصبوا صفى ميرزا وعمره عشرون عاما سلطانا وسمى الشاه صفى الثانى ثم الشاه سليمان بعد ذلك .

ويعد صفى ميرزا من أسوأ السلاطين الصفويين فقد كان قضى عمره مع النساء فى دار الحريم والخصيان ورقى السلطة بغير تربية أو تعليم وبأخلاق النساء ، فكان من ناحية ضعيف النفس فانسقا وكان يؤثر من ناحية أخرى صحبة النساء والخصيان ومشاورتهم على إدارة أمور الملك والاستماع لنصح الرجال المحنكين . بيد أن صارت وزارته من نصيب شيخ على خان زنكنه الذى كان يدير أمور كرمانشاه على عهد أبيه وكان أمير الأصطبل الملكى فى آخره . وكان الشاه يشكو من غدم اعتناء الوزير الأعظم لأبيه فأرداه قتيلا فى (١٠٧٩ هـ) بيد شيخ على خان ورفع القاتل مكان المقتول الى رئاسة الوزارة فظل بها شيخ على حتى عام (١١٠١ هـ)

وهو يدير بكفاءة ورعاية للتقاس وعادل وببذل أمور الملك ، ولم يكن الشاه الذى وقع نهب آلام القدمين والنقرس ويعيش فى دار الحريم غالبا يهتم كثيرا بأمور السلطنة بسبب يقظة شيخ على وحنكة .

ومن الوثائق المشهورة الهامة فى حكم الشاه سليمان هجوم التركمان علم (١٠٨٣ هـ) بقيادة (آدينه سلطان) على استرأباد والدمغان وسمنان وقتلهم ونهبهم بها ، وقد هزم (كلب على خان الشاملو) هذه الجماعة فى السنة التالية وقتل آدينه سلطان وان كلب قلب على جرح فى الحروب ومات متأثرا بجراحه بعد انتهاء هذه الفتنة .

من احسن حفظ الشاه سليمان أنه لم يكن فى عصره لأحد من جيران ايران الخارجيين قدرة أو قوة تجعلهم يقصدون مهاجمة البلاد وانتشغل كل منهم اما بضعفه أو بأمور أخرى ، ولهذا فلم تحدث طوال فترة حكم هذا الشاه وهى طويلة الى حد ما (ثمانية وعشرون عاما وبعض غلم) واقعة خارجية هامة ضد ايران ، فانصرفت فترة حكمه مطمئنة بالنسبة له .

وفى عهد الشاه سليمان بسبب الامن والراحة راجت تجارة ايران مع البلاد الأجنبية وأنشأت فى بلاد ايران المختلفة خاصة اصفهان منشآت كثيرة عن طريق للشاه وأعيان بلاطه من بينها قصر (هشت بهشت) أو الجنان الثمانى الذى أنهى الشاه بناءه فى (١١٠٢ هـ) بأصفهان .

ومن الرحالة المشهورين الذين أتوا فى عهد هذا الشاه ايران وآلفوا كتب رحلات معتبرة حاوية لمعلومات قيمة عن تلك الأيام ، (شاردان الفرنسى (Chardin) الذى خلف أفضل وصف لاصفهان ، ثم تافرنيه (Tavernier) الفرنسى أيضا الذى قام بست رحلات الى ايران من عهد الشاه صفى الى عهد الشاه سليمان ، ويعد كتاب أسفاره وكتاب شرح تنقيح الشاه سليمان من الوثائق الهامة لتاريخ ايران فى هذا العهد .

سلطنة الشاه سلطان حسين

(١١٠٦ - ١١١٥ هـ)

كان للشاه سليمان سبعة أولاد أكبرهم سلطان حسين ميرزا ، فرفع الأمراء بعد موت الشاه ذلك الأمير بسبب ضعف نفسه ورقته وميله للاحتجاب لكي يركبوا كل مركب حسب أهوائهم في ظل عدم كفاءته ، ولم ينصاعوا لوصية الشاه سليمان بخلافة ولده الثاني مرتضى ميرزا الذي كان شابا عاقلا قادرا .

واعتلى سلطان حسين ميرزا باسم الشاه سلطان حسين عرش أبيه عام (١١٠٦ هـ) وكان أول فعل قبيح ارتكبه تنصيبه لشاهنواز خان الغرجي على حكم قندهار وهذا الحاكم السيء السيرة هو من عرف بلقب كركين خان أو الذئبي والذي كان سبب عصيان الأفغاننة وانقراض الأسرة الصفوية .

علاقات إيران بروسيا : —

في أواسط حكم الشاه طهما سب الأول شرع قيصر موسكو أيفان الرابع بعد فتحه لمدينة هشتار خان وبلوغة سواحل بحر الخزر وحدود الداغستان في مهاجمة شمال القفقاز ، ووقسم الجزء الشرقي لغرجستان تحت تهديد الروس والقازاق ، وهزم حكام داغستان المعتدين الروس مرارا ومنعوا تقدمهم من هذه الناحية .

وبعد موت الشاه طهما سب أي في أيام حكم الشاه اسماعيل الثاني والسلطان محمد خدا بنده أخذ الروس يتدخلون في أمور غرجستان الشرقية بسبب ضعف إيران فأرسل خدا بنده سفيرا إلى موسكو للاحتجاج على هذا التدخل . ولما أدخل الشاه عباس الكبير غرجستان تماما تحصت طاعته ، لم يقدم الروس على حركة للهجوم عليها ما بقى هذا الشاه على قيد الحياة .

وفي عهد الشاه عباس أى حينما كان أبو بطرس الكبير قيصرًا لموسكو ، وصلت بعثة مؤلفة من ثمانمائة شخص إلى قزوین بهدف فتح طريق التجارة مع ایران ؛ ولكن بعد أن فهم الشاه أنهم اعتبروا إعفاءهم من دفع الرسوم الجمركية انصواءً سياسيًا لهم أقدم على طردهم من ایران وأعادهم إلى الدربند . فغضب قيصر روسيا لهذا وأرسل سفنًا إلى مازندران ، فأحرق جنودهم فرح آباد ونزلوا على ضفاف (مسرداب) باستراباد فحصرهم الإيرانيون في شبه جزيرة ميانكالة وقبضوا على أكثرهم ولم يجد عمل القيصر شيئًا .

وبدأ بطرس الكبير بالسلام لأنه كان يرنو إلى أن ينفذ عن طريق ایران إلى الخليج الفارسي والهند فأرسل أرمينيا اسمه إفرى إلى اصفهان في عهد الشاه سلطان حسين . فاستقبله الشاه ومن معه بحفاوة وقبل منح التجار الروس امتيازات تجارية . وبعد سبع سنوات أرسل بطرس سفيرًا آخر إلى ایران شكًا من الاعتداءات على التجار الروس في بخارى وطلب لذلك تغريمًا . وكان مسلك هذا السفير جائرًا مغشرا كما كانت أحوال ایران سيئة لهذا لم تثمر المفاوضات بينهما وعاد سفير بطرس معتديا عليه ، فأوجد هذا ذريعة لبطرس للتدخل في أمور ایران ، فبدأ بحرب الشاه سلطان حسين ثم تذرع بعونه ثم شرع من حدود عام (١١٣٤ هـ) يهاجم القفقاز محتجا بانخياره للشاه طهما سب الثاني ، واستولى كما سوف نشير على جميع سواحل بحر الخزر من دربند حتى استراباد لنفس تلك الذرائع ، وعقد الشاه طهما سب الثاني في عام (١١٣٥ هـ) مع بطرس معاهدة تخلي فيها رسميًا عن دربند وباكو والسواحل الجنوبية لبحر مازندران حتى آخر استراباد لقاء المعاونة التي تمده روسيا بها وذلك بسبب أن الشاه كان يتلمس أى عون من أى شخص لطرد الأفغان وحصوله على التاج والعرش وبهذا العمل وضعت روسيا قدمها في هذه المناطق وظل هذا الحال قائمًا حتى أوان بزوغ نجم نادر شاه الأفشاري .

ثورة الأفغان الفلجيين :

بعد أن ولى كوركين خان هراة ضاق أهلها الأفغان الفلجائيون أو الفلجيون الساكنون في حدود قندهار ذرعا به مع أن كان خلوا من كل كفاءة بسبب ظلمه لهم ، وتعاقبت شكاياتهم لتعديده وأتباعه الفرجيين للشاه سلطان حسين ، لكنهم عجزوا عن أن يصلوا الى الشاه الذى يمضى كل وقته داخل دور الحريم معاشرًا لهم وللخصيان ولم يكن الخواص الفرجيون أيضا يسمعون ببلوغ تظلم أهل قندهار له لهذا أخذ غضب أهل قندهار يتزايد يوما بعد يوم وظل نطاق اعتداءات كوركين خان وجوره يتسع أيضا . وفي النهاية أتى ميرويس أو الأمير أويس الفلجى رئيس شرطة قندهار أصفهان لكى يطلع الشاه على حقائق الأمر لكنه عجز بإيعاز كوركين خان وأعوانه الفرجيين عن مقابلة الشاه واحتجزوا مدة أيضا في أصفهان الى أن سمح له بالسفر الى مكة فخرج من أصفهان بعزم الزيارة .

وبعد أن عاد ميرويس من مكة الى أصفهان رأى أن أوضاع البلاط الصفوى قد زادت اضطرابا ، ولما كان عدد من تجار بطرس الكبير ومبعوثيه يقيمون في هذه الآونة في أصفهان دخل ميرويس في مفاوضات معهم فحرضته هذه الجماعة على إثارة أفغان قندهار ضد إيران . وأشاع ميرويس أيضا في أصفهان أن بطرس الكبير عازم الاستيلاء على غرجستان وأرمينية وأن كوركين خان متألب معه ، ونجح بهذه الحيلة بأن يعود الى رئاسة شرطة قندهار ويراقب أفعال كوركين خان .

(١) يبدو أن هؤلاء الأفغان الفلجيين هم اصلا ترك من قبيلة خلج أو خلخ أو قلج التى سكنت في ازمان متقدمة على شواطئ هلمند . ولعلمهم كانوا من بقايا السك أو السيث الذى أطلق اسمهم على سكستان او سيجتان وهى سيستان الحالية . وينسب اليهم بعض المؤرخين بيت الفلجيين الذى حكم بالهند في القرنين السابع والثامن الهجريين وكان لهم فتوحات عظيمة بها . (راجع : تاريخ بخارى ص ٤٨ وحاشية ٢ بها) .

وفي عودة ميرويس الى قندهار أراد كركين خان ايذاه واضعاف أمره فخطب منه ابنته فأرسل اليه بنتا أخرى على أنها ابنته ، فأرضاه بهذا بعض الشيء ، وفي (١١٣ هـ) دعاه الى وليمة بلحدي الحدائق ثم قتله بها ، وأثار الغلجيين على شاه ايران عن طريق فتاوى استصدرها أثناء حجه من العلماء السنة مفادها وجوب الثورة على الشيعة وقتالهم ، وكان اورنگ زيب سلطان الهند يحرضه على هذا أيضا •

وبعد وصول مقتل كركين الى الشاه سلطان حسين أرسل ابن أخيه كيخسرو خان لدفع ميرويس فألقى بحصاره على قندهار وظل محاصرا لها عاما ومع أن المحاصرين كانوا على استعداد للتسليم فرد عليهم لسفاهة رأيه ردا غير مناسب حتى غلب على أمره ثم قتل مع وجود خمسة وعشرين ألف جندي تحت امرته فزادت هذه الواقعة ميرويس والغلجيين شجاعة حتى أنهم هزموا القواد الصفويين الآخرين الذين أتوا الى قندهار للاستيلاء عليها ، واستقل ميرويس بهذه المدينة •

ثورة الأفغان الأبداليين :

حينما كان كيخسرو خان الغرجي ابن أخى كركين قاصدا قندهار نصب عبد الله خان الأبدالي الذي كانت قبيلته على عدااء مع الأفغان الغلجيين حاكما لهرأة فلما قتل كيخسرو خان وانهزم الجنود الايرانيون من الغلجيين ثار الأفغان الأبداليون بدورهم في عام (١١١٨ هـ) واجتزأوا هراة من ايران •

وتحرك الشاه من اصفهان لدفعهم لكنه لم يتقدم عن طهران وأرسل قائدا ليتم الأمر ، فقتله الأبداليون في (١١١٩ هـ) وأعلنوا الثورة •

وفي (١١٢٠ هـ) هزم الأفغان الأبداليون بيد محمود ولد ميرويس وقد رأس الغلجيين بعد موت أبيه وقتل عمه عبد الله ، وصرع أسد الله خان ولدا لعبد الله خان الأبدالي قائدهم وأظهر محمود هذا العمل أمام رجال البلاط بأصفهان على أنه خدمة مسداة لهم ، فلقب رجال البلاط

الحمقى محمودا بلقب (حسين قلى خان) ونصبوه على قندهار بارسال
سيف مرصع له •

وفوق قندهار و هراة اتسعت بالتدريج شقة الثورات فى سائر ولايات
ايران فمن ناحية أخرج عمان عن تبعية ايران عربها الخوارج ، ومن ناحية
اخرى هاجم مشهد فى (١١٢٢ هـ) الحاكم السابق لمدينة تون (ملك محمود
السيستانى) الذى عد نفسه من أعقاب الصفاريين وحكم خراسان
مستقبلا •

استيلاء الأفغان (١١٣٥ - ١١٤٢ هـ) :

وفى عام (١١٢٢ هـ) وصل محمود عن طريق سيستان ليستولى على
ايران الى كرمان ففتحها بمساعدة الزردشتيين بها ، لكنه منى بهزيمة
شديدة فيها على يد لطف على خان والى فارس وعم فتح على خان الوزير
الأعظم فهرب الى هندهار •

وكان أعيان البلاد يخشون رقى أمر لطف على خان فانبعثوا يتآمرون
على الوزير الأعظم فتح على خان حينما كان يعمل على تسيير لطف على
الى قندهار وحرصوا الشاه الجاهل على سملته واقصاء لطف على فأعاق
هذا الفعل النهوض الى قندهار وأتاح الفرصة لمحمود لى يقوم بهجوم
آخر •

وفى (١١٢٤ هـ) هاجم محمود كرمان عن طريق سيستان كرة ثانية
ومعه صحبة قلة من الأفغان ، وبعد أن استولوا عليها تقدم عن طريق يزد
الى اصفهان وتغلب على جيش ايران فى (كلون آباد) على بعد أربعة
فراسخ شرق اصفهان واغتنم مدفعيتهم واستحوذ على جلفا وفرح آباد •

وانحصر الشاه وجنوده فى اصفهان ومع أن الدفاع عن اصفهان لم
يكن أمرا شاقا بسبب كثرة الجند ووفرة ماء نهر زاینده رود فى هذا الوقت
وكان ربيعا وسهولة منع الأفغان من عبور قناطر النهر الا أن الخوف

والضعف قد استوليا على الشاه ورجال بلاطه البلهاء الى حد أنهم لم يكونوا يفكرون في غير التسليم بالقضاء والقدر واطهار ايمانهم بأن نجم اقبال محمود في تصاعد وأن زوال السرة الصفوية أمر محتتم • وبين ذلك استولى الأفغان على أحد معابر نهر زاینده رود فحاصروا العاصمة ولما كان سبق لهم قطع طريق المؤونة عنها فسرعان ما بدا القحط في المدينة ولم ير الشاه سلطان حسين مناصا من الشخوص الى محمود في فرح آباد يوم الجمعة الثاني عشر من محرم عام (١١٣٥ هـ) ويسلم له التاج والعرش • ودخل محمود اصفهان في الرابع عشر من هذا الشهر ، وجلس في قصر (تشهل ستون) على عرش ايران مكان الشاه سلطان حسين •

والشاه سلطان حسين أحد أسوأ ملوك ايران مسلكا وذكرا فقد كان رجلا شديد العجز وضعف النفس خلوا من كل رأى وتدبير ، ومثل أبيه مغلوبا لرأى النساء والخصيان معاشرًا لهم وكان يتبع الشعوذة والسحر والخزعبلات أكثر من اتباعه نصيح العقلاء المجربين وعزمهم • وفترة حكمه هي فترة ذروة تحكم رجال الدين الجهلاء بأمور الملك ورواج سـوق الخرافات والعقائد الباطلة • من أبنية عهد هذا الشاه الهامة مدرسة تشهار باغ أو مدرسة الأربع جنان من بين ما بنته أم هذا الشاه والتي تعد من سوامق آثار العهد الصفوي •

سلطنة الشاه طهما سب الثاني

(١١٣٥ - ١١٤٥ هـ)

في عام (١١٣٤ هـ) حين اقترب محمود الأفغانى الى اصفهان أرسلت جماعة من أركان الدولة طهما سب ميرزا ولى عهد الدولة الى قزوین لكي يجمع جنودا لعون أبيه وانقاذ أصفهان ويقوم بحرب الأفغان •

وبعد أن استولى محمود على اصفهان دفع بعدد من الأفغان لقتال طهما سب ميرزا بقزوین فتركها طهما سب وسلك طريقه الى تبريز املا في

ان يجد معينا ورفيقا وبعد ان سلم اهل قزوین أولا لجنوئی محمود ، قاموا بقتل أغلبهم بعد فترة وجیزه ولم ینجح غیر قليل منهم بالفرار الى أصفهان .

وكان محمود حتی هذا الوقت يعامل أهل أصفهان بالحسنی وأبقى كثيرا من العمال السابقین فی أعمالهم فغضب لما بلغه خبر تمرد اهل قزوین وعلم أن الايرانیین غیر راضین باستیلائه فغیر من مسلكه معهم من هذا الوقت وأنزل سفكه برؤساء القزلباش وببقية الاسرة الصفویة وقتل فی يوم واحد أربعة عشر ومائة أمير ایرانی وواحدا وثلاثین رجلا من الصفویین وأهلك كل من كان له عمل فی خدمة الشاه سلطان حسین ، وتفرق أهل أصفهان الى أطراف البلاد لظلمه وظلم صحبه السنة ، وخربت هذه المدينة التي كانت أشد البلاد فی عصر الصفویین ازدهاما بالسلطان واحدی أبهى مدن العالم .

ولما ان الولايات الأخری قد سلكت سبیل الثورة بعد قیام اهل قزوین أرسل محمود جنوده لاختداد هذه الثورات فاستعاد كاشان وشیراز بعد مدة من الحصار لكنه عجز عن فتح بختیاری وبندر عباس فأثر كل ذلك علیه وفی (١١٣٦ هـ) أصيب بورم فی مخه أو بمرض « الرساسم » وزاد الأمر علیه حتی انتهى به الى الجنون فارتكب أمورا نفرت منه أتباعه الأفغان ، وفی نهاية الأمر قتله ابن عمه أشرف فی اصفهان انتقاما لقتله ، أباه عبد الله وخلفه على عرش ایران .

هجوم الروس والعثمانيين على ایران :

كان بطرس الكبير كما سبق القول مهتما من عهد الشاه سلطان حسین بالاستيلاء على البلاد فی شمالی ایران ، وبعد سفارتین أرسلهما الى ایران قدم بنفسه فی صيف عام (١١٣٤ هـ) بجيش عن طريق وادی الفولجا الى دربند فاستولى عليها وتقدم حتی داغستان لكنه اصطدم فیها بمعاذاة العثمانيين ، ولم یکن یود أن یدخل معهم فی حرب بسبب الاستيلاء على

داغستان فعاد الى روسيا •

وبعد فترة أرسل الأفغان جنودهم لضم رشت فاستمد حاكمها لعدم استطاعته مقاومتهم بطرس بروسيا ، فانتهاز القيصر الفرصة للتدخل فاستولى في السنة التالية على باكو أيضا •

وكان طهما سب يدق الأبواب لاستجلاب العون فقبل لكسب عون بطرس أن يترك له الايالات الشمالية ليران على شريطة أن يمده بطرس بجيش ، لكن بطرس لم يصدر عنه تحرك لمساعدته حتى فترة ، فظل طهما سب على حاله من التجوال حتى سمع أن أشرف قتل محمودا الأفغانى ، فدخل قزوین وأعلن نفسه فيها شاه خلفا لأبيه •

وكان بطرس يتظاهر بمؤازرة طهما سب وهو في الحق لا يسعى الا الى الاستيلاء على الولايات التي تركها له ، فتمكن من سواحل بحر الخزر من دربند حتى مازندران وانتظر يرقب فرصا لهجمات أخرى • وأقدمت الدولة العثمانية هي الأخرى على مهاجمة بلاد الكرج أملا في الافادة باختلال أمور ايران ، وحاصرت تفليس ، وأصبحت القفقاز مرة أخرى ميدانا للمنافسة بين العثمانيين والروس • وفي النهاية قسمت الدولتان شمال ايران وغربها بينهما مقررتين أن الولايات الساحلية لبحر الخزر تكون نصيب روسيا وأن آذربايجان وكرمانشاه وهمدان تتبعان للعثمانيين ، ونتيجة لهذا التقسيم حاصر العثمانيون تبريز غير أن أهلها استبسلوا في الدفاع عنها فعجز الأتراك عن الاستيلاء عليها •

قتال أشرف للدولة العثمانية :

مع أن الدولة العثمانية وفق معاهدتها مع بطرس كان يتبعها الكرج وايلات ايران الغربية ان أن ضم هذه المناطق كان لابد أن يتم بالحروب ، ولم يكن هذا الأمر ميسورا بسبب مقاومة ولاية هذه الولايات واهل ايران ووجود أشرف خاصة أن أشرف كان كالسلطان العثماني تابعا للمذهب

السني وان اقسام السلطان العثماني على مثل هذا باتحاده مع ملك مسيحي ضد قائد سني قضي على أعداء السنة وهم الشيعة بايران كان يبدو في عين رعية السلطان أمرا قبيحا ، وبهذا كان تحقيق مقصد السلطان أمرا مشكلا .

ولكى يقضى السلطان على هذه المشكلة استفتى علماءه فأقتوه بضع فتاوى مفادها أن ليس لامام وملك آخر في وجوده حق ادعاء الامانة والسلطة في بلاد المسلمين ، وهاجم ايران مستظهرا بهذه الفتاوى وتقدمت عساكره حتى اصفهان ، لكنه في حربه مع أشرف أبت أغلب جنوده قتال السنة الأفغان فانهزم السترك . وصالح أشرف في عام (١١٣٩ هـ) السلطان ، وغض طرفه عن جميع ولايات ايران الغربية بالرغم من النصر العظيم الذي صار له ، واعترف بالسلطان العثماني أميرا له وللمؤمنين وقنع بأن يعترف السلطان به ملكا لايران .

أما الشاه طما سب الثاني فبعد جلوسه مكان أبيه وجمعه جنودا في القفقاز فقد بدأ بتهران فدخلها واستدعى بها رئيس قبيلة قاجار قوانلو وهو فتح على خان من استرياد لمساعدته ، ولما سمع بقدوم أشرف لحصار طهران رحل عنها الى مازندران وبعد أن لحق بجيشه رئيس القاجارية اختاره الشاه نائبا للسلطنة وأميرا للأمرء ، ثم اتجه الى مشهد قاصدا الاستيلاء على خراسان . وسوف نذكر بقية سلطنة الشاه طهما سب الثاني ضمن الفصل التالي .

اسماء الملوك الصفويين وأيام كل منهم

- ١ — الشاه اسماعيل الأول (٩٠٥ — ٩٣٠ هـ)
- ٢ — الشاه طهما سب الأول ابن الشاه اسماعيل الأول (٩٣٠ — ٩٨٤ هـ)
- ٣ — الشاه اسماعيل الثاني ابن الشاه طهما سب الأول (٩٨٤ — ٩٨٥ هـ)
- ٤ — سلطان محمد خدا بنده ولد الشاه اسماعيل الثاني (٩٨٥ — ٩٨٦ هـ)

- ٥ - الشاه عباس الأول بن سلطان محمد خدا بنده (٩٨٦ - ١٠٣٨ هـ)
- ٦ - الشاه صفى بن صفى ميرزا بن الشاه عباس الكبير
الكبير (١٠٣٨ - ١٠٥٢ هـ)
- ٧ - الشاه عباس الثانى بن الشاه صفى (١٠٥٢ - ١٠٧٧ هـ)
- ٨ - الشاه سليمان بن الشاه عباس الثانى (١٠٧٧ - ١١٠٥ هـ)
- ٩ - الشاه سلطان حسين بن الشاه سليمان (١١٠٥ - ١١٣٥ هـ)
- ١٠ - الشاه ههما سب الثانى بن الشاه سلطان حسين (١١٣٥ - ١١٤٤ هـ)
- ١١ - الشاه عباس الثالث بن الشاه ههما سب الثانى (١١٤٤ - ١١٤٨ هـ)

الفصل الخامس عشر

سلسلة الأفشاريين

(١١٤٨ — ١٢١٨ هـ)

ظهور نادر : —

نادر من طائفة (القرخلو) الصغيرة من قبيلة أفشار ، والأفشاريون جماعة من التركمان هاجروا من التركستان أو ان استيلاء المغول عليها واستوطنوا آذربايجان وظلوا بها الى أن رحلهم الشاه اسماعيل الأول عنها وأسكنهم في أبيورد بخراسان . وكانت قبيلة الأفشار تقضى الصيف في أبيورد والشتاء في دستجرد من أماكن وادي الكر حيث ولد نادر في المحرم من عام (١١٠٠ هـ) ولهذا شيد بها بعد ذلك قصورا وسميت دستجرد (مولودخانه) أي مسقط رأس المولود .

وكان اسم والد نادر (أمام قلى) مات في طفولة ابنه ، واسم نادر الأصلي هو ندر قلى ، وكان يعيش في بداية أمره مع أمه وهبط قبيلته حياة بائسة ، فلما بلغ سن الثامنة عشرة دخل في خدمة أحد رؤساء الأفشارية وكان في حكومة أبيورد وتزوج من ابنته ، ومن هذا الوقت أخذ يخطو مرحلة الارتقاء ، لأن نادرا بعد موت رئيسه بلغ حكومة أبيورد ورئاسة قبيلته ، ولما توفيت زوجته الأولى وهى أم رضا ميرزا أكبر أولاد نادر تزوج باختها التى ولت له نصر الله ميرزا وامام قلى ميرزا .

وبداية أهمية نادر تقترب بالوقت الذى استولى فيه ملك محمود السيستانى على خراسان كما سبق القول ، فقد أمر نادر بدفع الأوزبك من

قبل ملك محمود ، لكنه بعد قليل ترك خدمة مخدومه الجديد تمردا واستبدادا بالأمر وأخذ في السلب والنهب بخراسان .

وأوان ظهور هذه الوقائع أرسل الشاه طهما سب الثاني الذي كان يقيم في فرح آباد بـمازندان أحد قادته وهو رضا قلى خان لفتح مشهد وصد ملك محمود السيستانى فاستمد نادرا . ومع أن نادرا أجاب دعوته لكن هذين الرفيقين لم يتوافقا اذ لم يكن أحدهما راضيا بانتصار الآخر وكان كلاهما يحارب ملك محمود لحسابه الخاص ولهذا فقد هربا كلاهما واستولى ملك محمود على نيشابور أيضا وأعلن نفسه ملكا وسك باسمه العملة .

وأخذ نادر يعد جيشا آخر بعد هزيمته من ملك محمود وانقصر عليه في النهاية على بعد فرسخين من مشهد ، ولاذ محمود بالفرار بعد أن تكبد كثيرا من القتلى والأسرى .

وبعد أن سار بذكر هذا الفتح الركبان أرسل الشاه طهما سب رسولا لنادر وهو بخراسان يستدعيه لخدمته ، فأحتفى نادر بقدوم سفير الملك الصفوى ودعا الشاه الى موافاته بخراسان بعد أن تعهد بخدمته .

وسلك الشاه طهما سب من مازندران طريق خراسان يصحبه قائد جيشه فتح على خان قاجار القوانلو ، ولما فشا اتحادهم مع نادر لحقت جماعات كثيرة من عشائر خراسان وقبائلها لعون الشاه طهما سب بجيش نادر وكان من ضمن هذه الجماعات عدد من أكراد خبوشان .

وغضب فتح على قاجار الذي كان يريد أن يكون الشاه مطيعا له وتحصت حمايته لزيادة أتباعه من غير القاجاريين الذين كانوا سبب قسلة أهمية الدور القاجارى ، فأخذ يعمل على تشتيت اجتماع الأكراد الخبوشانيين ، ولما ضرب عنق أحد رؤسائهم باحدى الحجج ثار الأكراد واشتعلت الحرب بينهم وبين القاجاريين وقتل أتباع فتح على كثيرا منهم ، فلجأت هذه الطائفة الى الاستجداد بنادر ، فتوسط للصلح بين الفريقين

وطلب من الشاه العفو عنهم لأنهم اعتبروا متمردين بسبب اغواء فتح علي خان لهم . فعفا الشاه عنهم ولقب نادرا طهما سب قلى أى تابع طهما سب .

وتحرك طهما سب قلى خان في الثاني والعشرين من المحرم عام (١١٣٩ هـ) من خبوشان الى مشهد بعد أن رفض ملك محمود قبول طاعة الشاه طهما سب وحاصر في الثاني من صفر مشهدا . وفي أثناء حصار مشهد طلب فتح علي خان ، وكان قلقا لزيادة قوة نادر مشفقا على حياته ، اجازة الشاه لكي يعود الى استراياد محتجا بجمع جيش له ، فلم يرض الشاه بذلك بل وحرص هو وطهما سب قلى خان أحد القاجارية كان موتورا من فتح علي بقتله سرا ، وقتل فتح علي خان رئيس قبيلة القاجاريين بهذا في الرابع عشر من صفر عام (١١٣٩ هـ) ، فخلفه طهما سب قلى خان في القيادة العامة للجيش الصفوى .

واستغرق حصار مشهد شهرين ونصف شهر ، وكان ملك محمود مستبسلا في المدافع عنها بأسلحته ومدفعيته القوية ، وفي النهاية خانه أحد قواده في السادس عشر من ربيع الثاني (١١٣٩ هـ) وفتح آخر أبواب المدينة أمام جيش الشاه طهما سب واشتعلت الحرب بين الطرفين في مشهد . ولما ضاقت الأرض على ملك محمود بما رحبت سلم تاجه وعرشه الى الشاه طهما سب وأقام زاهدا باحدى زوايا المدينة . وبعد أن فتح طهما سب قلى خان مشهدا شغل نفسه لاستمالة الشيعة بتذهيب صسفة (العتبة الرضوية) ومنارتها وبناء منارة أخرى معها وأبقى ابنه رضا قلى ميرزا فيها ، وتوجه هو الى خبوشان ليتزوج بابنسة أحد رؤساء الأكراد . وكانت مخطوبة له ، وكان الشاه طهما سب قد خطب هذه الفتاة قبل هذا فأوجد بهذا حائلا دون تحقيق مقصد طهما سب قلى خان .

وقد ولد هذا الأمر الخصومة بين الشاه وقيائد جيشه وأسرع كل

منهما الى خبوشان لكي يسبق الى طلب يد هذه الفتاة ، فامتنع الأكراد عن تزويج ابنتهم لكل منهما فحاصرا قلعتهم ولما استشكل الاستيلاء على القلعة عاد طهماسب قلى خان الى مشهد ورفع الشاه طهماسب حصاره بسبب نهب بعض خزائن السلطنة في جاجرم . واستعاد طهماسب قلى خان من المغيرين ما نهبوه وأرسله الى الشاه فتقرب ثانية اليه ، ثم انتهز فرصة وتغلب على أكراد خبوشان العصاة ونال أخيرا هدفه في القروج بابنة أحد رؤسائهم . وعثر أثناء ذلك بمراسلات كتبها ملك محمود لاثارة الأكراد عليهم فاستصدر من الشاه حكما بقتله فقتله في مشهد .

وبعد أن قضى طهماسب قلى خان على منافسيه القويين فتح على خان وملك محمود السيستاني عزم على القضاء على الأفاغنة الأبداليين الذين كانوا قد استولوا على هراة من عام (١١٢٩ هـ) خاصة وأنهم مدوا نطاق هجومهم حتى حدود قائنات ومشهد أيضا . وبدأ طهما سبب قلى خان فاستصفى قائنات منهم في (١١٣٩ هـ) ثم دخل في حرب مع (الله يار خان) (١) الحاكم الأبدالي لهراة في (١١٤١ هـ) في (كافر قلعة) من محال جام . ولأذ (الله يار) بالفرار وبعد بضع هزائم من طهماسب قلى خان استأمنه فعفا خان الأفشار عنه وأبقاه كما كان على حكومة هراة .

صد أشرف الأفغانى :

كان الشاه طهما سب يصير خلافا لرأى طهما سب قلى خان على أن تفتح أصفهان قبل أى خطوة وتقتصر أيدي الأفغان الغلجائيين عن أهلها وقبل أن يتوجه طهما سب قلى الى دفع الأفغان الأبداليين اختار الشاه طهما سب أحد أمرائه واسمه محمد على خان نائبا للسلطة وقائدا للعراق وآذربايجان ، فثقل هذا الأمر على طهما سب قلى واشتعل النزاع ثانية

(١) الله يار ، وان كتبها الفرس (اللهيار) ، تعنى حبيب الله .

بينه وبين الشاه * وأزال طهما سب قلى مجمدا على خان وأتى بالشاه
الى مازندران وكان ينوى أن يطهر المناطق الساحلية لبحر الخزر من
الروس والعراق المعجمى من الأفغان الغلجيين ، لكنه بما أن فتنة الأفغان
الأبداليين قد تأججت كما رأينا اعتبر ان التحرك الى هراة أهم فتوجه
اليها *

وحينما كان طهما سب قلى منشغلا بالحرب مع (الله يارخيان)
الأبدالى ، بادر أشرف الغلجى وكان يقف على ما ينتويه طهما سب قلى
ازاءه ، فتحرك الى خراسان بجيش متأهب ولما اقترب من سمنان كان
طهما سب قلى قد رجع من هراة واسرع لصدده ، ووقعت الحرب بين
الطرفين على ضفاف نهر (مهمان دوست) الصغير فى منطقة الدامغان
فى السادس من ربيع الأول (١١٤٢ هـ) ، وكان أشرف واثقا من جيشه
الذى هزم الجيش العثمانى قبل ذلك بأربع سنوات ، لكنه منى بهزيمة
فادحة فتقهقر الى طهران * وقدم طهما سب قلى خسان الى طهران فى
عقب الأفغان ، ولقى أشرف هزيمة أخرى فى وادى خوار ولما لم يأنس فى
نفسه ثباتا عاد معجلا الى أصفهان وأنزل نقمته بكبار البقرلباس وأعيان
الصفويين فقتل منهم فيها نحو ثلاثة آلاف ، ولم يطل الأمر بطهما سب قلى
فاقترب بجيوشه من أصفهان ، وفى الحرب الثانية التى وقعت فى سهل
(مورتشه خورت) فى العشرين من ربيع الثانى (١١٤٢ هـ) انتصر
طهما سب قلى مرة أخرى ودخل أصفهان بعد ثلاثة أيام فتقهقر الأفغان
بسرعة عظيمة الى فارس واشترك فى حرب مورتشه خورت عدد من
الجنود العثمانيين بمدفعيتهم كانوا أتوا لعمون أشرف ، فلما انتصر
طهما سب قلى تلتطف بالأسرى العثمانيين وأعادهم الى أوطانهم *

وبعد دخول طهما سب قلى أصفهان أسرع طهما سب الثانى الشاه
الصفوى وكان بطهران الى عاصمة أجداده فوصلها فى الثامن من جمادى
الأولى ورأى أمه العجوز وقد ظلت تتخفى لمدة سبع سنوات فى ثياب
الجوارى *

وكان طهما سب قلى بعد فتحه لأصفهان يود العودة الى خراسان
ليعمل على الدفاع عنها. الا أن الشاه طهما سب لم يرض بهذا ، وفي
النهاية لأصرار الشاه مكث أربعين يوما بأصفهان للراحة متمتعا بكافة
الامتيازات ثم قصد فارس متعبا. أشرف فوصل الى صحراء زرقان على
بعد خمسة فراسخ من شیراز .

وتقهقر أشرف من شیراز أمام طهما سب قلى لكنه أصيب بهزيمة
ثالثة فى هذه المنطقة ففر الى اللاروقسا ، وكان معجلا فى قراره الى
حد أن كثرة من الأفغان ماتوا فى الطريق أو تخطفهم الناس . وأرسل
أشرف من اللار أخاه وجواهره ونفائسه التى سلبها الى العثمانيين
بطريق اللجوء وعمل هو على احكام قلعة اللار ، الا أن الناس قبضوا
على أخيه وقتلوه ، فلما سمع بمجىء طهما سب قلى ورأى قلعة عند
أتباعه ، قصد بعد مكث تسعة أيام فى اللار قندهار ، الا أنه لقى حتفه
على يد واحد من أسر البلوج فى بلوچستان ، وأرسل القاتل رأس أشرف
ومعها قطعة من الألباس الثمين كان يعلقها على ساعده الى الشاه طهما سب
بأصفهان فمنح الشاه الألباس الى الرسول وأرسل اليه خلعة قيمة أيضا ،
وبهذا انتهت فتنة الأفغان الغلجيين تماما من ايران .

دفع الروس والعثمانيين : —

قبل أن يبادر طهما سب قلى بالقضاء على الأفغان طلب الى روسيا
تخلىة ولايات بحر الخزر الساحلية اذ كانت استولت عليها كما سبق ،
وكانت روسيا مائلة الى ترك هذه الولايات فى ذلك الوقت بسبب الخسائر
التى تكبدتها فى الجنود الروس بسبب سوء طقس سواحل بحر الخزر
وبلغ عدد قتلى الطقس طوال اثنى عشر عاما من السيطرة الروسية من
مائة وثلاثين ألفا الى مائتى ألف ، لكنها لم تكن ترغب فى أن ينستولى
العثمانيون على هذه النواحي فأرسلت الى الشاه طهما سب أن يقدم
لاستعادتها .

وفي عام (١١٤٥ هـ) تعاهد مبعوثو ايران وروسيا في الصحراء على أن تعيد روسيا فوراً كل أراضي ايران اليها التي كانت جنوب مدينة (سليان) ونهر كورا لكن تخلية دربند دوباكو جعلت موكولة الى حين أن تسترد ايران ايروان والقفقاز من العثمانيين ويقل طريق سيطرتهم على سواحل بحر الخزر ، واستعادت ايران هاتين الولايتين أيضا عام (١١٤٧ هـ) بعد أن فتح طهما سب قلى شماخي وداغستان نتيجة لمعاهدة أخرى .

أما فيما يتعلق بالعثمانيين ، فبعد أن اطمأن طهما سب قلى من ناحية اجتثاث شأفة الأفغان الغلجيين أتى رامهرمز عن طريق كوه كيلويه ، وبها وافاه حسن علي بيك معير الممالك من طرف الشاه طهماسب بتاج من الجواهر وثلاثمائة خلع لقواد الجيش مكافأة له لفتح شيراز . فأرسل طهما سب قلى ابنه رضا قلى ميرزا الى الشاه طهماسب باصفهان ليزجي امتنانه وليطلب منه أن يزوجه إحدى بنات الشاه سلطان حسين ويجعل نيابة سلطنة خراسان لرضا قلى ابنه .

وفي دزفول وافى طهما سب قلى محمد خان بلوج الذي أرسله أشرف قبل ذلك الى العثمانيين فعرض عليه رسائلهم ومكاتباتهم لأشرف فنصبه بسبب هذه الخدمة حاكما على كوه كيلويه .

وفي خرم آباد قدم معير الممالك من جانب الشاه طهماسب بفرمان سلطنة خراسان لطهما سب قلى خان وأمر أن تسك العملة باسمه في هذه المنطقة .

وفي بروجرد أنبىء طهما سب قلى الذي كان قد أنفذ رضا قلى خان الشاملو الى استانبول ليطالب العثمانيين باخلاء بلاد ايران الا أن الاثراك لم يحسنوا اجابته فهاجم الجنود العثمانيين على الفور واستعاد منهم نهاوند وهمدان واستصفي بهذا الولايات الغربية منهم إذ أن بقية الجيش

العثماني ولت هاربة من لرستان وبلاد الأكراد الى بغداد • ولم يصب بالهزيمة من قواد طهما سب قلى غير قائده الذى كان بكرمانشاه ، لكنه بعد وصوله اليها استعادها بسهولة •

وفي غرة المحرم (١١٤٣ هـ) قصد طهما سب قلى آذربايجان ، وبعد فتحه ساو جبلاغ ومراغه ودهخوار قان وهزيمة الجيش العثماني دخل تبريز في السابع والعشرين من المحرم وتقدم لحصار ايروان لكنه سمع بها أن الأفغان الأبداليين هاجموا مشهدا ، لهذا ترك مشكلة العثمانيين وهي شبه منتهية وخف لعون ابنه ذى الاثنى عشر عاما رضا قلى ميرزا حاكم مشهد •

وبعد تحرك طهما سب قلى الى الشرق أتى الشاه طهما سب في جمادى الأولى (١١٤٣ هـ) من أصفهان الى تبريز وبرفقته ثمانية عشر ألف جندي على أساس أنه مستقل تماما بأمور ايران الغربية بعد أن ترك الشرق لطهما سب قلى وأنزل بالعثمانيين هزيمة شديدة على مقربة من ايروان وصرع منهم في هذه الحرب نحو تسعة آلاف وألقى بحصاره على ايروان •

ولكى يصرف العثمانيون الشاه أرسلوا بعلى باشا رئيس عساكر ايروان وأحمد باشا حاكم بغداد للسيطرة على عراق العجم وكان في هذا الوقت بغيروال ، فوصل الشاه طهما سب على عجل الى همدان وتواجه في قرية كردخان والجيش التركي ، وشغل أحمد باشا الشاه فترة بمفاوضات الصلح ثم باغت الجيش الايراني بالهجوم فلقى الشاه وقائده محمد خان بلوج هزيمة مرة ، واستولى أحمد باشا على كرمانشاه وهمدان وعلى باشا على مراغة وتبريز ولاذ الشاه طهما سب بالهرب الى اصفهان •

وكان أحمد باشا يخشى طهما سب قلى لهذا دخل على الفور في صلح معه ، ونتيجة لهذا عقدت بينه وبين الشاه طهما سب معاهدة في بغداد ، وقبل الشاه ان يترك للعثمانيين الولايات الواقعة على الضفة الشمالية

لنهر أرس وهي كنجه وتقليس وايروان ونخجوان وداغستان مع احتفاظه
بتبريز وأردلان ولرستان وهمدان وكرمانشاه لكنه لم يتحدث قط عن
استعادة الأسرى الإيرانيين فظلوا في أسر العثمانيين .

عزل الشاه طهما سب في (١١٤٥ هـ) : —

وبعد أن دخل طهما سب قلى مشهد بدأ فسير (الله يارخان)
الأبدالى من مشهد للسيطرة على هراة بعد أن فر هارباً أمام ثوار هراة .
وبعد أن فرغ من اقامة احتفالات عرس رضا قلى ابنه بفاطمة سلطان
بيكم أخت الشاه طهما سب توجه لنصرة أخيه ابراهيم خان ظهير الدولة
حيث كان قائماً على دفع تركمان التجن ولما انتصر عليهم عاد الى
مشهد .

وفي غياب طهما سب قلى عن خراسان طرد حسين الغلجى أخو
محمود الأفغانى بعون حاكم فراه الله يار خان من هراة وتقدم حتى
مشهد وهزم ابراهيم خان ظهير الدولة . وقضى طهما سب قلى من
رمضان (١١٤٣ هـ) حتى رمضان من العام تاليه يقر الأمور بأفغانستان
المغربية وترك هراة الى الله يار خان أول الأمر ثم الى شخص آخر بعد
عصيانه . وفي نفس هذه الحرب أتى معير الممالك نص معاهدة الشاه
طما سب مع أحمد باشا الى طهما سب قلى فلم يوقع عليها حانقا وأرسل
الى الباب المعالى عن طريق السفير العثمانى الذى كان بمعسكره رسالة
يخبره فيها رد جميع ولايات ايران والحرب ، وبعد ففتح هراة سلك طريقه
الى بغداد .

وبعد أن أطلع طهما سب قلى جميع ولاة ايران بالغاء معاهدة
الشاه مع العثمانيين وقبح مشكلة عدم استرداد الأسرى الإيرانيين بكل
ما لديه من وسيلة توجه الى بغداد مع اصرار الشاه على تحركه المباشر
اليها ، فبدأ بدخول اصفهان وطمأن الشاه وحينما كان الشاه عازماً قصد

العراق العربى وجه دعوته اليه فى معسكره حيث استقبل الشاه استقبالا
فاترا وخلع على أركان دولته خلعا نفيسة • وأمضى الشاه الليل فى
المعسكر بناء على رغبة طهما سب قلى وانشغل بشرب الخمر والسكر
وارتكب فى حاله هذه أموراً قبيحة فكشف طهما سب قلى هذه القبائح
لهؤلاء الأركان الذين رأوا منه قبل ذلك الخلع والاكرام ، وبحجة أن مثل
هذا الشاه لا يليق بالسلطنة أعلن عزل الشاه طهما سب الثانى عن العرش
فى الخامس من ربيع الأول (١١٤٥ هـ) واختار طفله الرضيع عباس ميرزا
أو الشاه عباس الثالث للسلطة • وأرسل طهما سب قلى بالشاه الى مشهد
لكى يحبس بها والشاه عباس الثالث أيضا الى قزوین ، وتوجه هو لصد
البختياريين كنائب عام لسلطنة ايران ولما تخلص من مشكلتهم عاد الى
كرمانشاه •

حصار بغداد وهزيمة جيش ايران (١١٤٥ - ١١٤٦ هـ) : —

وبعد أن ترك طهما سب قلى كرمانشاه توجهه أولا الى كركوك
فانضم اليه فيها جيش آذربايجان • وكانت خطة طهما سب قلى هى أن
يستدرج احمد باشا للقائه فى الصحراء فلا يضطر الى حصار قلعة بغداد
المحكمة ، لكن خطته لم تتم فأجبر بعد فتحه للنجف على أن يحاصر
بغداد •

وحاصر طهما سب قلى بغداد نحو عام ومع أن القحط عم اهلهما
الا أن احمد باشا ظل يقاوم بشجاعة ولم تنجح محاولاته المتكررة لارضاء
طهما سب قلى للصلح • وفى النهاية أرسل السلطان العثمانى قائده
الشهير توبال عثمان باشا الذى خبر الحروب لقتاله المسيحيين فترات فى
أوربا وحيازته انتصارات بها وبرفقته مائة ألف جندي لدد احمد باشا •
وترك طهما سب قلى نحو اثنى عشر ألف جندي لحصار بغداد وتوجهه

بالباقى ليقطع الطريق أمام عثمان باشا الى كركوك ، ومع أن النصر كان له في البداية وفر الأتراك أمام الإيرانيين إلا أن المشاء الإيرانيين عجزوا عن القتال بسبب شدة حرارة الصيف والعطش الشديد ، ولم يستطع الفرسان أيضا أن يستمروا في القتال لاصابة أغلب خيولهم بالجروح ، خاصة وأن جواد طهما سبب قلى سقط صريعا لنفس السبب وظن الإيرانيون أن قائدهم لقي حتفه ، فانفرط بهذا عقد انتظام الجيش النادرى فتقهقروا منهزمين الى كرمانشاه ، ووفق احمد باشا أيضا في تخليص بغداد في عام (١١٤٦ هـ) ولم يفقد طهما سبب قلى مع هذه الهزيمة عزمه و ارادته ، فلما بلغ مندليج كتب الى الولايات فرمانات وطلب منهم العون وجعل من همدان محل اجتماع الجيوش ثم استرضى قواد جيشه المنهزمين وبكل هذه التدابير تجمع له في همدان جيش متأهب بعد ثلاثة شهور من تاريخ هزيمة كركوك وتأهب طهما سبب قلى لخوض حرب مع العثمانيين .

قتل عثمان باشا وانتصار جيش ايران في (١١٤٦ هـ) : —

توجه طهما سبب قلى في الثاني والعشرين من ربيع الثاني (١١٤٦ هـ) من همدان الى العراق العربى وهزم على ضفة نهر دياره عشرين ألف جندي عثمانى كانوا مقيمين هناك وفرقهم أشتاتا ومع أنه سمع هناك أن محمد خان بلوج حاكم كوه كيلويه وخوزستان ركن الى العصبيان فلم يأبه بذلك وأخذ طريقه الى كركوك وفي قرية ليان على بعد ثلاثة فراسخ من كركوك الحق الهزيمة بجيش توبال عثمان باشا ثم عاد الى نهر دياره لى يجتمع به جيوش خراسان وكرمان وأردلن وكرمانشاه فيتحرك بهم لأخذ بغداد .

وقد أوهم عودة طهما سبب قلى الى دياره توبال عثمان باشا بأن القائد الايرانى تقهقر بسبب ضعف قواته ، فاقنتى أثره بهذا الوهم الا أنه هزم حين لقي الجيش الايرانى وعرف أحد الجنود الايرانيين

توبال عثمان باشا الذي كان يتحرك على محفة ، وحينما كان يعتلى جوادا للهروب اغتاله وأتى برأسه طهما سب قلى .

ونتيجة لهذا الفتح المبين الذي كان من نصيب جيش ايران في أوائل جمادى الثانية (١١٤٦ هـ) جنح أحمد باشا والى بغداد الى مسالة طهما سب قلى باسم الدولة العثمانية وتقرر أن يحرر الطرفان الأسرى وأن تكون حدود الدولتين نفس حدودهما زمن سلطة الشاه حسين . ورضى طهما سب قلى بهذا الصلح مع أن فتح بغداد كان موشكا لتعجله لصد محمد خان البلوجى ، فقصد مسرعا شوشتر .

وقد أذاع محمد خان أن طهما سب قلى في غزوته الثانية للعراق العربى قد أصيب مرة ثانية بالهزيمة من الترك وأن أثره مفقود ولما كان اهل الجنوب ساخطين أيضا لمسلك موظفى المالية النادرية الظالم فقد انحازوا اليه ، وقامت في شوشتر على وجه الخصوص ثورة ضد طهما سب قلى ، وشارك في الثورة أتباع الصفويين تصديقا منهم بادعاء محمد خان المشار اليه .

وأتى طهما سب قلى شوشتر وهو يتأجج غضبا وأطلق لجنوده الذين لا يخافون الله الحرية في نهب المدينة وانتهاك حرمة أهلها فارتكبوا بها فجائع لم تقل عما فعله المغول ببلاد المسلمين المهزومين .

ومع أن محمد خان البلوجى قد أحكم في كوه كيلويه سد الطريق أمام جنود طهما سب قلى إلا أنه هابه وخلفه ففر الى السار ، فأتى طهما سب قلى بنفسه الى شيراز وأرسل طهما سب قلى خان الجلايرى من جانبه الى اللارنقبص على محمد خان البلوجى في (١١٤٧ هـ) وأرسله الى رئيسه في أصفهان وسلم بأمره ولم يستطع محمد خان تحمل هذه الحالة فقتل نفسه في محبسه .

مهاجمة القفقاز وداغستان (١١٤٦ - ١١٤٨ هـ) :

ولما اطمأن بال طهما سب قلى من ناحية محمد خان البلوجى ترك اصفهان الى آذربايجان وعلم فى اردبيل أن الباشوات العثمانيين يستكفون عن قبول الصلح الذى عقده مع احمد باشا وأن الدولة العثمانية سيرت عبد الله باشا كوبر يلى زاده والى مصر بجيش جديد الى ايران وتركت له الخيار بين الحرب والصلح .

وكان عبد الله باشا قد طلب من طهما سب قلى مهلة عامين لاخلأ ولايات ايران الغربية فكر طهما سب قلى بغير ترو من اردبيل على شروان وكانت تحت سيطرة سرخاى خان لكزى التابع للسلطان العثمانى وفى الخامس والعشرين من ربيع الأول (١١٤٧ هـ) عبر نهر كورا ودخل سماخى وهرب سرخاى واستمد الباشوات المقيمين بتفليس وكنجه . وأرسل طهما سب قلى قائده المعروف طهما سب قلى خان جلاير الذى كان قد فرغ من مشكلة فارس والقضاء على محمد خان البلوجى ليتعقب سرخاى ، وهرب سرخاى بعد بضع هزائم من يد الجند الايرانيين الى بلاد الشركس ، فاستولى خان الافشارى أو طهما سب قلى على داغستان وبعث منها الجلايرى لحكم قندهار وتوجه هو الى فتح كنجه وأرسل مصطفى خان البغايرى لحصار تفليس .

وأتعب جنود على باشا المقيمين بكنجه فى دفاعهم الايرانيين كثيرا فشدد طهما سب قلى خان الحصار مستعينا بنصائح سفير الروس وعون مهندسيهم الذين أتوا من باكو بدعوة منه ، ولما أقدم العثمانيون على تحريض سلطان شبه جزيرة القرم (كريمة) على مهاجمة داغستان واستلزم هذا عبور جنود القرم أرض روسية ، ثارت الحرب بسبب هذا الأمر بين الروس والعثمانيين ، ولكيلا يحرم الروس من عون طهما سب قلى فى حربهم مع العثمانيين عقدوا مع ايران فى ربيع عام (١١٤٨ هـ) بكنجه معاهدة تحالف ضد الأتراك .

ومن بلاد ايران التي استولى عليها العثمانيون في الفترة ما بين
استيلاء الأفغان وظهور نادر الأفشاري قلاع ايروان الأربع وكنجه
وقارص وتفليس حيث يربط العثمانيون ولم يكن بوسع طهما سب قلى
بدون ضمه هذه النواحي الأربع. المحكمة أن يطرد جنود العدو من هذا
الجزء من ايران .

وحينما كان طهما سب قلى وقواده في شغل بحصار قلاع ايروان
الأربع قدم اليها عبد الله باشا بسبعة آلاف فارس وخمسين ألفا من
المشاة لمهاجمة جيش نادر وتواجه الفريقان في سهول باغاورد أو
(مراد تبه) ، وفي هذا المكان ألحق طهما سب قلى بالجيش العثماني
هزيمة شديدة في السادس والعشرين من المحرم عام (١١٤٨ هـ) وقتل
منهم خمسون ألفا ومعهم عبد الله باشا وباشوات آخرون ، واستسلمت
نتيجة لهذا النصر كنجة وتفليس غير أن ايروان وقارص ظلتا تقاومان .
وأمر ولاية الأمر العثمانيون أحمد باشا والى بغداد بأن يعقد صلحا مع
طهما سب قلى خان ، وقبلوا أن يسلموا ايروان بشرط أن تبقى قارص
لهم ، وبهذا صوب الباب العالي في أوائل عام (١١٤٨ هـ) الصلح السابق
بينه وبين طهما سب خان وعادت ولايات ايران الغربية .

وبعد القضاء على هذه الغائلة بادر نادر بضرب ملك الكرج العاصي
وشوار داغستان ولزك ، وبعد أن فوض من جانبه في هذه البلاد ولاية قدم
في الثامن من رمضان (١١٤٨ هـ) الى ساحل نهر أرس وعسكر بجيشه في
صحراء موغان .

قتويج نادر وانقراض الأسرة الصفوية :

وبعد أن وصل طهما سب في هذا المكان استدعى اليه من كافة بلاد
ايران أعيانها ورؤساء القري والقضاء والمشايخ وسير نوابا خاصين
للاتيان بهم الى معسكره اجبارا وأمر بأن يجتمعوا في صحراء موغان في

منتصف شهر بهمن وكان هدفه من جمعه لهم تصوييهم لرقية السلطة .
وأقام طهما سب قلى مجلس اجتماع مع قواده وجميع أفراد الجيش
وعلى باشا المدافع السابق لكتجة ومبعوث الدولة العثمانية والممثلين الذين
أتوا عن بلاد ايران وبدأ بقتل بعض أتباعه لسبب ما لكى يرى قوته
وبطشه ، ثم أخذ يتحدث فى أمر السلطة وقال قد قمت بما لزمه الكفاح
وأنقذت ايران من قبضة الأفغان والأتراك والروس ، والنشاه طهما سب
وابنه عباس ميرزا كلاهما فى سلام ، وولوا السلطة من تحبون منهما ،
وانى أفكر أن اعتزل فترة للراحة وأجلس فى زاوية بخراسان مطمئنا .
فقال الحاضرون وكانوا على علم بسبب كلامه وفهم لمقتضى حاله : لا يليق
بالسلطة غير خان الأفشار .

فرفض طهما سب قلى خان أولا الى أن قبل فى النهاية السلطة بشرط
قبول الحاضرين بشروطه . وكانت شروط طهما سب قلى خان الخمسة
هكذا :

١ - أن يكف الايرانيون عن عقيدتهم السابقة بالنسبة لأهل السنة
طالباً أن أهل السنة عدوا المذهب الجعفرى كمذاهب أهل السنة الأربعة
وعدوه خامسهم .

٢ - أن يشرك الايرانيون أهل السنة فى أحد أركان الكعبة الأربعة .
التي تتعلق بمذاهبهم الأربعة السنية وأن يصلوا بها بالمذهب الجعفرى .
٣ - يعين كل عام أمير للحجاج من طرف ايران يحمل حجاج ايران
الى الكعبة مثل امراء حج الشام ومصر وأن تعامله الدولة العثمانية بنفس
معاملة الحجاج الآخرين .

٤ - يطلق سراح أسرى الطرفين ويقت بيعهم وشرائهم .

٥ - يقيم وكيل عن كلتا الدولتين فى عاصمة كل منهما ويفصلان
أمور المملكتين وفق الصالح .

وبعد أن حصل على موافقة لهذه الشروط من جميع الحاضرين لبس تاج السلطة في الرابع والعشرين من شوال (١١٤٨هـ) أي لاثني عشر يوماً بقين على أول العام الفارسي (النوروز) وسمى نادر شاه وانتهت الأسرة الصفوية تماماً بعزل الشاه عباس الثالث وإن كان انقراضها الحقيقي في عام (١١٤٥هـ) حينما خلع طهما سب الثاني .

وعين نادر شاه بعد جلوسه ابنه رضا قلي ميرزا حاكماً على خراسان يعاونه طهما سب قلي خان الجلايري وأخاه إبراهيم خان ظهير الدولة على حكومة آذربايجان وفوض كلا من الولايات الأخرى إلى قائد وأنفذ سفراء إلى قيصر روسيا والخليفة العثماني ليعلنهما بجلوسه على العرش ومنهم عبد الباقي خان زنكنه الذي توجه إلى استانبول لهذا الأمر ولحمل شروط نادر الخمسة .

فتح البحرين وتأديب البختيارين في (١١٤٨هـ) :

كان من بين من عاد إلى عمله السابق بعد انتهاء اجتماع موغان مختفد تقى خان والى فارس الذي حصل على موافقة بفتح البحرين وكانت وقعت في يد جماعة من العرب منذ عهد الشاه سلطان حسين ، وقد تمكن محمد تقى خان من البحرين بيسر بسبب الخلاف الذي كان فاشياً في سكانها من العرب .

وتقدم نادر شاه إلى أصفهان بعد فسخ اجتماع موغان لتأديب قبيلة بختياري التي كانت دائمة التمرد ، وتغلب بعون جنود أصفهان وكوه كيلويه على مراد خان تشهارلنك رئيس هذه القبيلة واستأسره وقطع يديه وقدميه وفقاً عينيه ، وعاد إلى أصفهان بعد شهر من القتال في جبال بختياري الصعبة في جمادى الآخرة (١١٤٨هـ) ، وأرسل عدداً من قواده بمدفعية واستعداد كامل إلى بلوچستان وشغل نفسه بالاستعداد والسفر إلى قندهار .

حصار قندهار وفتحها (١١٤٩ - ١١٥٠) :

وبعد أن اطمأن خاطر نادر شاه من ناحية شمال إيران وغربها اتجه إلى الشرق وكان أول ما فكر فيه هو القضاء على وكر الأفغان الغلجيين أي قندهار والتي كان يتحرك منها أيضا إلى أراضى إيران كوركانيو الهند على الدوام ، وكانت هذه المدينة في هذا الوقت بيد حسين الغلجى أخى محمود الأفغانى •

ولما وصل نادر إلى قلعة قندهار لما علم أن فتحها ليس أمرا ميسورا فقرر أن يقضى على المحاصرين باطالة الحصار لهذا بنى مقابل قندهار مدينة جديدة سماها نادر آباد ، وقطع اتصالات قندهار مع الخارج وحاصرها عاما كاملا وفى النهاية رأى أن الأفغان لا يزال باستطاعتهم المقاومة فترة أخرى بسبب وفرة المؤن لديهم ، فكان أن أمر بالهجوم على القلعة وحمل البختياريون المرافقون لنادر على أحد أبراجها فسقطت قندهار فى الثالث والعشرين من ذى الحجة (١١٥٠ هـ)

وبعد فتح قندهار عامل نادر الأفغان برأفة وأرسل (حسين) لى يحبس بماندران ورحل جماعة منهم إلى نيشابور وأتى بأكثر سكان قندهار القديمة إلى نادر آباد فحلت هذه المدينة بالتدريج محل قندهار القديمة •

وأثناء حصار قندهار فتح رضا قلى ميرزا بلخ وغندوز وبدخشان أيضا وتغلب على أبى الفيض خان أمير بخارى وإيلبارس خان أمير خوارزم لكنه لم يتعرض لأسرة أمراء بخارى لأمر من نادر وعاد إلى مقر أبيه • وترك نادر سلطنة إيران إلى رضا قلى ميرزا وتوجه بنفسه لفتح الهند •

غزو الهند : —

وفى وقت تحرك نادر قاصدا فتح الهند كان حكم الهند الشمالية

الغربية ودهلى بيد محمد شاه من سلاطين الهند الكوركانيين ، وكان رجلا لاهيا فاسقا وخلف في (١١٣١هـ) « فرخ سير » على السلطنة ، ويصدق عليه قولهم (لم تكن يداه قط بغير كاس ولا صدره بغير حساء » (١) . وكان جنوده على نفيس سيرته من الانغماس في اللذائذ وامتلا بلاطه بالخائنين والفاسقين .

وكان نادر قد أرسل من حين فتحه لاصفهان حتى ذاك التاريخ سفراء مرارا الى دهلى يطلب من محمد شاه تجديد العلاقات الجسنة السابقة ومنعه دخول الأفغان الفلجيين أرض ايران وكان يسمع منه كل مره اجابة غير المطلوب حتى انه في المرة الأخيرة أي في (١١٥٠هـ) لم يسمح لسفير نادر بالعودة وعطله نحو عام عبثا بدهلى .

وفي أوائل عام (١١٥١هـ) أرسل نادر أمرا مؤكدا الى دهلى يطلب عودة السفير بعجلة الى ايران فقد كان غاضبا لعدم ارسال سفيره ، وتحرك لفتح غزنة وكابل وابنه نصر الله ميرزا للاستيلاء على شمال افغانستان . وبعد سيطرة نادر على هذه البلاد واقامة سبعة شهور في كابل لما رأى عدم مبالاة محمد شاه في جوابه على رسائله تحرك الى جلال آباد ، وتمكن من الاستيلاء على معابر الهند الشمالية الغربية ثم دخل في رمضان سهول البنجاب ، وكان أن بلغه في بيشاور خبر مقتل أخيه ابراهيم خان ظهير الدولة بيد لركيي داغستان ، فسير نادر اصلان خان قر خلو مكانه وصفي خان البخايري لقيادة داغستان وتقدم هو الى دهلى .

معركة كرنال في الخامس عشر من ذي امقعدة (١١٥١هـ) :

بعد عبور السند وفتح لاهور راسل نادر محمد شاه وذكره بالاصل المشترك لأسرة أفشار وأسرة بابر ولأمه على تعطيل سفرائه

(١) المثل بالفارسية : (هر كس دستش بی جسام و کتارش بی دلارام
نمیروند)

وقال ان مغرره للهند من أجل تأديب الأشرار الذين دفعوا بالشباب الى هذا التصرف .

وفي (سرهند) سمع نادر أن محمد شاه تحرك بثلاثمائة ألف مقاتل وألفى عربية مدفع من دهلي وأتى (كرنال) الواقعة على ساحل نهر جمنا وعلى بعد عشرين فرسخا شمال دهلي .

وكان تصريف امور محمد شاه في هذه الأيام بيد ثلاثة أولهم نواب نظام الملك بهادر حاكم الدكن الذي لم يرسل جنوده بسبب نزاع نشب بينه وبين الشاه وكان حليفا لنادر في الخفاء بعقيدة البغض ، وثانيهم خان دوران صمصام الدولة أمير الأمراء والقائد العام لجيش محمد شاه والثالث قمر الدين خان اعتماد الدولة صدر المملكة الأعظم ولم يكن أحد هؤلاء الثلاثة على صفاء بالآخر ويسعى كل منهم لتحطيم الآخر في السر . واستطاع نادر بسهولة في منتصف ذي القعدة أن يوقع بجنود محمد الذين لا حصر لهم في سهل كرنال مستعينا بقوة حاملي البنادق الماهرين في جيشه ، وقتل خان دوران وأخوه ، وذكر أن عدد قتلى الهند بلغ عشرين ألفا بينما بلغ عدد قتلى نادر اثنين وأربعين وجرحاه مائتين وكان أغلب أسباب هذا الأمر أن الهندو كانوا يحاربون بالأقواس والسهام بينما كان الايرانيون يقاتلون بالبنادق .

بعد هذا الفتح العظيم قدم نظام الملك الى معسكر نادر معتذرا وقرر أن لا يتعرض نادر الى روح محمد شاه وأمواله وحريمه ويسرح محمد شاه جيشه وأن يأتي الى مقر نادر بألف من أتباعه ، وبعد ثلاثة أيام يدخل نادر دهلي ويمكث أربعين يوما ضيفا على محمد ، وبعد هذه الفترة يدع سلطنة الهند الى محمد شاه ويعود الى ايران .

وفي دخول محمد شاه خيمة نادر أرسل نصر الله ميرزا لاستقباله وأتى هو أيضا ليلاقيه وأجلسه على مسندده وأدى شروط الصلح والاستقبال بما يليق .

وتحرك نادر شاه برفقة محمد شاه من كرناال الى دهلى فدخلها فى التاسع من ذى الحجة (١١٥١هـ) واستقبله الملك الكوركانى بعد أن سبقه الى دهلى لاستقباله باجلال عظيم * وترك نادر فى مجلس ضيافته كما وعد سلطنة الهند الى محمد شاه ، ونثر محمد شاه جميع نفائس أجداده وخزائنها احتفاء بمقدم ملك ايران *

ولم يصدر عن هندی حركة عداء لمدة ثلاثة أيام من دخول جنود نادر دهلى بسبب الأحكام القاسية التى أصدرها الا أن فى الحادى عشر من ذى الحجة وقع النزاع بين عدد من أهالى المدينة وبضعة جنود من جيش نادر ، وسرت فى الأهالى شائعة أن محمد شاه دس السم لنادر فى طعامه ، فدفعت انتشار هذا الخبر أهالى دهلى الى الثورة وقتل فيها جمع من جنود نادر *

.. وفى صباح اليوم التالى لما فهم نادر أن نحو سبعمائة من أتباعه قد لقوا حتفهم ولم يقدم واحد من أمراء الهند على اخماد الثورة أصدر أمره بقتل عامة أهل دهلى فشنل جنوده أنفسهم من قبل أن ينقضى هذا اليوم بثلاث ساعات حتى الرابعة من بعد ظهر اليوم التالى بتنفيذ هذا الأمر القبيح فاحترق القسم الأهم من المدينة وقتل نحو عشرين ألفا ، وفى النهاية أمر نادر بوقف المذبحة بشفاعة محمد شاه ونظام الملك وقمر الدين خان وعفا عن بقية الشعب *

وبعد بضعة أيام من هذه الواقعة زوج نادر احدى حفيدات اورنگ زيب بنصر الله ميرزا وأمر محمد شاه بأن يخطب لنادر فى جميع بلاده وتبىك باسمه العملة وأن يقدم الأمراء والأعيان هدية تليق بنادر اليه من الجواهر والنقد فأطاعوا طوعا أو كرها فنال نادرا من هذا ما يزيد عن سبعة ملايين ونصف مليون * وقدرت قيمة النفائس التى غنمها نادر من الهند من ثلاثين مليون ليرة انجليزية الى سبعة وثمانين مليونا ونصف مليون وكان من ضمنها (تخت الطاووس) والألماسة المعروفة

(كوه نور) (١) •

وأنعم نادر على كافة قواد جيئسه وأمرء الهند بهدايا لائقة وتجاوز عن ضرائب ايران لثلاث سنوات (وان كان استعاد هذه الضرائب بالقوة من الايرانيين بعد ذلك) ووضع بيده تاج السلطنة على رأس محمد شاه ، وأخلى محمد شاه البلاد في غرب السند وهى غزنة وكابل وقسم من البنجاب لنادر ، وتحرك ملك ايران في السابع من صفر (١١٥٢هـ) من دهلى الى السند وقد مكث بها سبعة وخمسين يوما •

وحينما شاع خبر قتل نادر حرّض رضا قلى ميرزا محمدا حسين خان قاجار على قتل الشاه طهماسب الثانى الذى كان بسبزواري خشية أن ينحاز الناس الى الصفويين وقتل كذلك ولديه الشاه عباس الثالث وسليمان ميرزا فلم يبق حيا من الأسرة الصفوية من يدعى السلطنة ، ولم يستقبح نادر فعلة رضا قلى بعد اطلاعه بها بل أن هذا الأمر تم كما يعتقد البعض بإشارة من نادر •

سفر نادر الى بخارى وخيوه وداغستان :-

حين عاد نادر الى كابل سمع أن خدا يار خان (٢) عباسى حاكم السند حانق لضم بلده الى ايران وأن عاصى للأوامر ، فتوجه نادر من كابل الى صحراء (تار) فى عقب خدايار فلم ير خدايار بدا من الاستسلام ، فعفا عنه نادر وأقره على حكمه السابق وأرسل من السند جماعة الى بلخ تعد له على ساحل نهر جيحون أسطولا لمهاجمة بخارى •

ووافى نادرا رضا قلى ميرزا فى هراة وعلى قلى خان ولد ابراهيم خان ظهير الدولة بالجيش الذى كان نادر طلبه ، ففوض حكم هراة الى شاهرخ ولد رضا قلى وتوجه الى بلخ فبلغها فى الثانى عشر من جمادى

(١) أى جبل النور (فارسية) •

(٢) أى حبيب الله (فارسية) •

الأولى (١١٥٢هـ) فتقدم أبو الفيض خان أمير بخارى لمقر نادر فاستقبله بحفاوة وزوجه إحدى بناته وشاهرخ حفيده بواحدة أخرى وجعل جيحون حدا بين إيران وبخارى واتجه إلى خيوة بألف ومائة سفينة لكي يؤدب ايلبارس خان الذي تخطى إلى (تجن) أيام مقامه بالهند .

واستأسر نادر في هجومه على خيوة ايلبارس خان وحكم بقتله واستحوذ في شعبان (١١٥٣هـ) على خيوة وأتاب عليها أحد أحفاد جنكيز ، ثم أتى مشهد وأخذ يهبي جيشه لضرب اللزك الذين قتلوا أخاه ظهير الدولة .

وتحرك نادر في الثاني من المحرم (١١٥٤هـ) من مشهد إلى داغستان وبينما كان يمر من طريق بين أدغال سواد كوه ، رمى بسهم في الثامن والعشرين من صفر من خلف شجرة فانطلق السهم يحف به أسفل ساعده الأيمن فصادف أبهام يده اليسرى واستقر بعنق جواده فانقلب به .

وأصابته هذه الضربة القاسية عقل نادر بالقشيت فترك رضا قلي الذي كان بركبه في طهران واتجه بنفسه إلى داغستان . وفي سفره هذا مع أن بعض رؤساء قبائل اللزك دخلوا طاعته إلا أن سكان داغستان كانوا يتحصنون بقلل الجبال الشاهقة ويشنون الغارات من كل ناحية على جيش نادر وأنزلوا به ضربات شديدة حتى أن نادر تعرض لهجومهم وهو بخيمته .

وكانت روسيا على علم بغزو نادر لداغستان وخططه لاعداد أسطول في بحر الخزر ومهاجمة شبه جزيرة القرم لهذا جمعت قوات في هشترخان وصار هذا سبب مقاومة اللزك القوية . وأجبر نادر على العودة إلى التدريب واشتعل غضبا لفشله في هذا السفر الذي استمر عاما ونصف عام خاصة أن أخبار الثورات كانت تصله من ولايات إيران ، ولم تجبه الدولة العثمانية إجابات شافية على طلباته ، فلانحرفت هذه الأهداث به عن الاعتدال وأفضت به إلى اختلال حواسه .

وفي رمضان (١١٥٤هـ) حينما كان نادر لا يزال بداغستان أتى بالغلام الذي رماه بالسهم في أدغال سوادكوه ، فحمل نادر عينيه ولمسا كان يعتبر هذه الحادثة بتحريض من رضا قلى ميرزا استدعاه من طهران وأمر أن يخرجوا عينيه من حدقتيهما بالخنجر .

علاقات نادر بالعثمانيين :-

وافق العثمانيون بعد اطلاعهم على شروط نادر على شروط أربعة ورفضوا قبول المذهب الجعفرى على أنه خامس المذاهب واعتبروه بدعة في الدين ، وتبدلت الرسائل والسفراء بين نادر والباب العالي بهذا الخصوص وكان الباب العالي مصرا على رأيه في اجابته لنادر في كل مرة . فغضب نادر لهذا ولما كان يظهر نفسه المعين على الاتحاد بين المسلمين فقد أمر ألا يسب الخلفاء الثلاثة في أى مكان من ايران وكتب في رسالة مهذبة الى السلطان العثمانى يذكره بهذا الأمر وأفهمه ضمنها انه اذا تعطل أكثر من هذا في قبول شروطه جميعا فلسوف يهاجم البلاد العثمانية ويجعله يقبل شروطه بالقوة . أما الثورات التى شبت بإيران في هذا الوقت فقد كان أولها ثورة محمد تقى خان حاكم فارس في (١١٥٦هـ) حين اختلف مع القاد المرافقين له في حملته على عمان فأعلن استقلاله ، فأرسل نادر محمد حسين خان القرخلو لتأديبه فسيطر هذا القائد على شیراز وقبض على محمد تقى فأعمى بصره وقطع احليله .

والثانية ثورة شروان في نفس العام أشعلها من يسمى سام ميرزا طالبا السلطة مدعيا أنه ابن للشاه سلطان حسين ونهض في آذربايجان ثائرا وضم اليه محمد خان ولد سرخاى خان اللزكى وخانات الدربند وداغستان ، وأحمد نادر عن طريق نصر الله ميرزا وبضعة نفر من قواده هذه الثورة في النهاية وقبض على سام ميرزا في ذى القعدة (١١٥٦هـ) .

والثالثة ثورة القاجاريين باستراباد بيد محمد حسن خان القاجار

ولد فتح علي خان نائب سلطنة الشاه طهماسب الثاني • وهزم نادر محمد حسن خان في أواخر (١١٥٦هـ) في صحراء التركمن عن طريق الشعبة الأخرى من القاجاريين التي كانت على عدااء مع قبيلة فتح علي خان ، وخرب استرabad وقتل جماعة كثيرة بذنب وبغير ذنب •

وقدم نادر في أوائل عام (١١٥٦هـ) إلى صحراء موغان وأرسل منها مدفعيته إلى كرمانشاه لمهاجمة العثمانيين ، فتقدم أحمد باشا وإلى بغداد إليه بالصلح لكن نادرا وكان ينتوي فرض شروطه على الباب العالي استولى على النجف وكركوك والموصل ، فطلبت الدولة العثمانية في أواخر عام (١١٥٦هـ) من نادر أن يكف عن الحرب لكي يدخل الطرفان في تفاوض مرة أخرى لحل المشاكل المذهبية فعاد نادر إلى مدينة وان وتقرر أن تحل الخلافات بالطريق السياسي •

وفي أوائل عام (١١٥٧هـ) أعلن رئيس عسكر قارص أحمد باشا حمل أوغلي عن رجل من أهل رفسنجان بكرمان أنه هو صفى ميرزا وأنه وارث سلطنة ايران وأرسل إلى نادر أنه مأمور بأن يبلغ صفى ميرزا السلطة ، فأخرج نادر سام ميرزا المدعى السابق الذكر من معسكر وأتلف له عينا وأرسله إلى أحمد باشا وأرسل يقول له (أرسلت لك سام ميرزا لرؤية أخيه المجهول) وقصد هو إلى قارص •

وتقدم نادر في جمادى الآخرة (١١٥٧هـ) ومعه نصر الله ميرزا إلى قارص فحاصرها ولما كان أحمد باشا مستعدا أن يجعل سلطانه يقبل شروط نادر ترك قارص إلى داغستان فأحاط باللذك من كافة الجهات وبعد تأديبهم وادخال رؤسائهم طاعته عاد إلى ضفاف نهر أرس •

وفي أوائل (١١٥٨هـ) أنبىء نادر أن محمد يكن باشا يقصد مهاجمة ايران ومعه بضعة قواد وجيش كبير من ناحية ارزنة السروم وقصارص ودياربكر والموصل فأنفذ نادر نصر الله ميرزا إلى دياربكر والموصل وتوجه هو إلى ايروان وكان يقصد إلى أن يجري الحرب في (مراد تبه)

بالقرب من ذاك المكان الذى هزم فيه منذ عشرة أعوام من قبل عبد الله باشا . وبلغ يكن باشا مراد تبه بمائة وخمسين ألف فارس وأرذعين ألفاً من المشاة وبدأت الحرب فى الحادى عشر من رجب (١١٥٨هـ) وحصر نادر يكن باشا وجنوده وقطع عليهم طريق المؤونة وبلغه فى هذه الأثناء خبر نيل نصر الله ميرزا فتحا عظيما أيضا بالقرب من الموصل ، فمات يكن باشا فى الحصار وانفرط عقد جنوده وقتل منهم فى المعركة اثنا عشر ألفاً ووقع فى يد جيش نادر مدفعية الجيش وخمسة آلاف أسير منه .

وبعد هذا الفتح اقترح نادر نفسه المصلح على السلطان العثمانى وترك آذربايجان الى أصفهان وبقي بها حتى العاشر من المحرم (١١٥٩هـ) ولما كانت حالته المعنوية قد ساءت كثيراً أنزل وجنوده ضربات بأهل هذه المدينة المظلومة ، ثم سلك طريقه منها الى مشهد وأرسل من طرفه ميرزا مهدي خان منشى الممالك الاسترابادى مؤلف (جهانكشاي نادري) (١) ومصطفى خان الشاملو الى استانبول فعقدا فى العاشر من المحرم (١١٦٠هـ) بين الدولتين معاهدة بالشروط الآتية : —

١ — حدود الملكتين هى نفس الحدود التى قررت فى (١٠٤٩هـ) بين السلطان مراد الرابع وشاه صفى .

٢ — يتجنب الطرفان من هذا الوقت فصاعدا العداء والاقدام على أمور تنافى المصلح .

٣ — يصل الولاة العثمانيون بالحجاج الايرانيين سالمين من مكان الى آخر .

٤ — يرسل الطرفان سفراء لمدة ثلاثة أعوام الى عاصمتيهما على نفقة الطرف الآخر .

٥ — يكف الحكام فى الولايات التى على الحدود عن الأفعال

(١) هذا الكتاب اوثق الكتب تاريخاً لعهد نادر لأن المؤلف كان منشىء نادر وصاحبه فى أسفاره . يحوى أحداث نادر وحروبه حتى عام موته واهتم المؤلف فى هذا الكتاب بالمعنى والمادة التاريخية أكثر من اهتمامه باللفظ ، وأن يرى فيه كلمات تركية .

المنافية للمودة وأن يتجنب الايرانيون سب الخلفاء وألا يطالب ولاية
الطرفين من تجارهما جزية أو خراجا خلاف القاعدة .

تفسير حال نادر وقتله : -

مع كل ما أسداه نادر لشعب ايران من خدمات وما وفر لهذا
الشعب من اسم واعتبار فان الايرانيين لم يكونوا من أول الأمر على
صفاء معه بسبب اصرار نادر على القضاء على المذهب الشيعي ونشر
المذهب السني والغاء الآداب الدينية الخاصة بالشيعية وحجز الأوقاف
ثم بسبب سعيه لحو اسم الصفويين وأثرهم وحث الناس على نسيان
هذه الأسرة وآثارهم الخيرية .

ولما كان نادر يسعى الى أن يجعل سلطنة ايران وراثيه في أسرته
ويقضى على المذهب الشيعي فقد كان على عناد خاص للصفويين لأن
السلطنة الحققة ارثهم ويدين رواج المذهب الشيعي لهم بالفضل ، الا أن
الايرانيين لم يكونوا راضين بهذا الأمر باطنا ولهذا كانوا يخفون
عداوتهم لنادر لا سيما وقد اتصف بالقسوة والفظاظة وارتكب عماله
ومحصلو الضرائب المظلم والتعدي فوق المعتاد ، فلم يطلب أحد منهم
دوام دولته نكره في نفسه .

وقد انحرف غزوه لداغستان ودفاع أهلها المستبسل واعماء رضا
قلی میرزا والثورات التي شبت وقتها في ايران بخلقه الذي لم يكن يعاب
في البداية بغير قسوته وشدته واصراره على اقامة المذهب السني انحرف
به عن حالة الاستقامة ولما رفضت الدولة العثمانية شروطه زاد قسوة
ووحشية وكان الأمر الذي يزيد غيظا تألمه لاعماء رضا قلی خان ، ولما
شعر بالندم مما فعل ، قتل خمسين من أمرائه بحجة أنهم لم يشفعوا له
يوم الحادثة .

وكان هذا الملك أول أمره كريما معطاء لكنه بعد غارته لدهلي

ووصله على غنائم الهند صار أداة للثؤم الطبع وحب المال والحرص ،
فطالب بضرائب الثلاث سنوات بقسوة والتي سبق أن ضرب صفحا عنها ،
وكان كل ما يحصل عليه يرسله الى قلعة كلات . خاصة في الثلاث أو الأربع
سنوات الأخيرة من حكمه أنزل بشعب ايران ضربات كثيرة في جمعه
الضرائب من غير وجه حق وارتكابه الجرائم في حقهم هو وعماله .

وكانت قسوته وغيظه وغضبه بالنسبة الى الأقاليم والرعية بها
بلا حد ، فمسلكه مع أهل شوستر وشيراز والملاز عقب ثورة محمد خان
البلوحي ومحمد تقى خان والى فارس واقامته منارات من الجمال في
فارس وكرمان أمر مشهور خاصة وأن عادة الاعماء القبيحة كانت من بين
معاقباته الرأجة وكان في الغالب يرافقه في معسكره عدد كبير من هؤلاء
المكفوفين . وقد ولدت هذه الأسباب سوء الظن الشديد بين رؤساء
القلزباش ونادر حتى أن الأمر أفضى شيئا فشيئا الى أن نادرا أما أن
يزيل رؤساء القلزاباشية أو هم يزيلوه .

وتحرك نادر في العاشر من المحرم (١١٦٠هـ) من أصفهان الى مشهد
ووصل في الثالث والعشرين من صفر الى عاصمته ولما أن شعب سيستان
قد أعلنوا ثورتهم لجور عماله فقد أرسل على قلى خان ابن أخيه
وطهماسب قلى خان جلاير قائد كابل لتأديبهم . وتحالف على قلى خان
وكان محكوما بأمر نادر بتنفيذ جريمة فظيعة مع ثوار سيستان فزادت
الثورة اشتعالا . وبدأ نادر بالتوجه الى ضرب أكراد خبوشان الذين
ثاروا هم أيضا ، وزاد في هذه الآونة جنونه فصمم على إرسال نصر الله
ميرزا وامام قلى ميرزا والأمراء الباقين الى كلات وعلى أن يقضى على
رؤساء القلزاباش وقر مع رؤساء الأفغان وكانوا أعداء ايران أن يهلك
القلزاباشية بعونهم اليوم التالي وقتذاك . وعلم رؤساء القلزاباشية بهذه
النية فدخلوا ليلة الأحد الحادى عشر من جمادى الآخرة (١١٦٠هـ) مخيم
نادر بفتح آباد بخبوشان واغتالوه ونجوا من شر أفكاره السوء .

وظالت مدة سلطنة نادر ما يقرب من اثني عشر عاما من عام
(١١٤٨هـ) حتى (١١٦٠هـ) وكانت عاصمته مشهد وان قل أن أقام في مكان
واحد .

ومما شيده نادر غير (مولود خانه) في دستجرد ومقبرته بمشهد
ونادر آباد بقندهار تلك التي قام بها في حرم الرضا في مشهد والحديقة
والقصر اللذين بناهما بقزوين . وما يجدر بالاهتمام في حكم نادر بناؤه
بحرية حربية في بحر مازندران للهجوم على داغستان وفي الخليج
الفارسي للاستيلاء على عمان وجزر الخليج .

قدم في عام (١١٥١هـ) أحد الرحالة الانجليز واسمه (جان التون)
(John Elton) كان سابقا يخدم روسيا ، الى رشت ومعه بعض
البضائع وحاز فرمانا من رضا قلى ميرزا يسمح له بالتجارة مع ايران
وعاد الى انجلترا وشجع الناس بها على تجارة ايران ، وبعد عودته
وحصوله على سماح من روسيا بنى سفينتين في مدينة غازان قدم بهما
الى شاطئ جيلان ، فأفاد نادر بوجود التون وأعلن هذا اسلامه فنال
منصب الرئاسة البحرية وأمر أن يبني لايران سفنا في عام (١١٥٦هـ) في
مشهد على نهر ولنكروود .

وأقدم التون على عمله بهمة مع مخالفته لروسيا ولابناء وطنه الذين
كانوا يخشون عدا روسيا للتجار الانجليز ونجح بعزمه المراسخ وعون
بضعة نفر من الروس والهنود في أن يطرح سفينة في الماء ، واستمر في
عمله حتى بعد قتل نادر لكنه قتل عام (١١٦٥هـ) في إحدى ثورات جيلان
المحلية فوقف موضوع ملاحمة بحر الخزر .

وفي عام (١١٤٩هـ) حينما كان محمد تقى خان والى فارس يهاجم
عمان والبحرين ولم يكن لديه سفن فضغط على الهولنديين لنقل جنوده
وبهذا استولى على عمان ومسقط ، ولما أن الانجليز لم يقدموا عوناً في
هذه الحرب لايران بل على النقيض أمدوا العثمانيين في دفاعهم عن

البصرة استاء منهم وعمل على بناء سفن في الخليج وأمر أن تعد هذه السفن في بوشهر ، لكنه بسبب أن الخشب كان يحمل من غابات مازندران الى سواحل الخليج وعلى الأهالي في البلاد الواقعة في الطريق أن يحملوا هذه الأخشاب بلا أجر من بلد الى أخرى فلم يسفر هذا الأمر عن النتيجة المتوقعة فظلت ايران بغير سفن في ساحل الخليج .

سلطنة علي شاه و ابراهيم شاه وشاهرخ

(١١٦٠ - ١٢٦٠ هـ)

لما شاع خبر قتل نادر نهب الأفغان والاوزبك الذين كان اعتمادهم على خان الأفشار ويخشون الايرانيين معسكر نادر بقيادة أحمد خان الأبدالي وهربوا الى قندهار وأعلنت الأفشارية بالواقعة على قلى خان ابن أخى نادر وكان في هذا الوقت موجودا بهراة ، فأتى على قلى على عجل الى مشهد وأرسل أحد غلمانه للاستيلاء على كلات وضبط خزائن نادر ثم قبض على جميع أمراء أسرته وقتل رضا قلى ميرزا الأعمى ونصر الله ميرزا وامام قلى ميرزا وسائر الأمراء ما عدا شاهرخ ولد رضا قلى الذى أخفاه وأذاع خبر قتله بهدف أن يجعله سلطانا اذا عجز عن الوصول الى السلطنة فيقبض على أزمة الأمور باسمه ، واذا أصاب التوفيق يجهز عليه .

وجلس على قلى خان في السابع والعشرين من جمادى الآخرة (١١٦٠ هـ) في مشهد بلقب على شاه وعادل شاه مكان عمه وفتح يد البذل والاسراف والبذخ في المآذات وأمر أخاه الأصغر ابراهيم خان بقيادة العراق وأصفهان واختار مير سيد محمد حفيد المشاه سليمان الصفوى لأمه للوزارة ورئاسة مشهد (عتبة القدس) .

وأعلن ابراهيم خان في السنة التالية أنه ابراهيم شاه في أصفهان وطالب بالسلطة من أخيه وغلب على شاه وأسر في الحرب التى جرت بين

هذين المتنافسين في زنجان وسمل بأمر أخيه •

واستدعى ابراهيم شاه الذي كان يدين انتصاره بالفضل الى الأمير أصلان خان القرخلو الأفشاري قائد آذربايجان شاهرخ من مشهد لكي يجعل السلطنة له ، فظن أهل مشهد هذه الدعوة حيلة منه فأعلنوا سلطنة شاهرخ في التاسع من شوال (١٠٦١هـ) في مشهد ، وجعل ابراهيم شاه بدوره من نفسه سلطانا في السابع عشر من ذي الحجة من نفس العام في العراق وتأهب لصد شاهرخ •

وفي عام (١١٦٢هـ) قام أشياع شاهرخ شاه بسمل عيني ابراهيم شاه واستدعى على شاه الأعمى الذي كان بمعسكر ابراهيم الى شاهرخ بمشهد لكي يقتله ، فلم يبق واحد من الأمراء النادرين منافسا لشاهرخ ، بيد أن الأمير سيد محمد والي مشهد الذي كان يعد حكم ايران من حق المصفويين وخدم قبض على شاهرخ وأعماه وجلس بمشهد ملكا باسم الشاه سليمان الثاني • فقام أهل مشهد على الشاه سليمان بعد أربعين يوما وأعموه هو الآخر واعترفوا بسلطنة شاهرخ الأعمى عليهم ، فلم يكن له من السلطنة على حاله هذه غير اسمها في مشهد الى أن وافاه أجله في (١٢١٠هـ) وخلفه ابنه نادر ميرزا وقضى على نادر ميرزا هذا عام (١٢١٨هـ) فتح على شاه وأزاله من خراسان فزالت الأسرة الأفشارية بهذا النحو تماما •

أسماء السلاطين الأفشارية ومدة حكم كل منهم

- ١ — نادر شاه (١١٤٤ — ١١٦٠هـ)
- ٢ — عادل شاه و ابراهيم شاه ولدا أخى نادر (١١٦٠ — ١١٦١هـ)
- ٣ — شاهرخ شاه (١١٦١ — ١٢١٠هـ)
- ٤ — نادر ميرزا (١٢١٠ — ١٢١٨هـ)

الفصل السادس عشر

الزنديون

(١١٦٣ - ١٢٠٩ هـ)

أوضاع إيران حال ظهور كريم خان :-

حينما توافق قواد النجود القزلباش على قتل نادر عزموا أيضا مهاجمة الأفغان والأزبك حالما يتم قتله فيقتولهم عن بكرة أبيهم . وعسانم الأفغان بهذا الأمر فجمع أحد رؤسائهم وكان أحد قادة نادر وهو أحمد خان الأبدالي الأفغان برفقته واتجه الجميع إلى قندهار وسرعان من تمكنوا من هراة ومشهد وجزء من الهند والبنجاب وكشمير . وأحمد خان الأبدالي الذي يسمى أيضا باسمه القسطنطين أحمد خان النجاشي هو مؤسس استقلال أفغانستان كما سغرى بعد . وأحد القادة الأفغان الآخرين لنادر من طائفة الغلجيين واسمه آزادخان أعلن عصيانه في بلاد الكرد . وبعد زوال دولة أبواهيم شاه استحوذ على قلعة أورمية وهاجم الكرج وبعد مصادقة الملك هذه البلاد تقرر أن يكون نهر أرس بين أملاك ملك الكرج والحد الفاصل بينه وبين آزادخان الأفغاني .

ومنح شاه رخ عهد سلطنته حكم أصفهان لأحد الخانات البختياريين وهو أبو الفتاح خان هفتش خان آخر من نفس الطائفة اسمه علي مردان خان علي أبي الفتاح خان حكمه لكنه لقي منه الهزيمة وفر أمامه وانهمك في جمع قوات لمهاجمة أصفهان للانتقام منه .

وكان ثائر آخر أعلن عصيانه وقت ضعف الأفشارية طالبًا الملك

والسلطنة وهو محمد حسن خان قاجار ولد فتح على خان الذى قتل
طهماسب الثانى والده بالتواطؤ مع نادر شاه . وأتى محمد حسن خان
الى سواحل بحر الخزر بعد قتل نادر وكان يعيش طوال مدة تسلط نادر
في صحراء التركستان وهاجم استراياد مرارا بعون التركمان ، ومد
قوته في مناطق بحر الخزر وقام بجمع أعوان له فاجتمع عليه عدد لا حصر
له من التركمان والقاجار .

ظهور كريم خان زند :-

كانت قبيلة الزند احدى طوائف اللور ولم يكن لها قبل ظهور
كريم خان اسم أو صفة يعتد بهما في التاريخ . وكانت قبيلة الزند في
الأصل تقيم في أحد مضافات ملاير وكانوا يقومون بالآغارة أيام تسلط
العثمانيين على غرب ايران في عهد حكم الأفغان حينما على الأتراك وحينما
آخسر على الأفغان . وبعد طرد نادر للترك والأفغان من ايران أدب
الزنديين وهجر جماعة كبيرة منهم الى الدركز بخراسان وأسكنهم حوالي
ابيورد ازاء مساكن التركمان .

وفي عهد عادل شاه صرف الزنديون أحد قواد نادر القندامي وكان
يدعى كريم توشمال في شئونهم لكي يعود بهم الى أوطانهم الأصلية ،
فأعادهم كريم يعاونه أخوه صادق الى منطقة ملاير برغم هجمات جيش
على شاه ، ومن هذا الوقت عهد الى كريم برئاسة قبيلة الزنديين .

وفي الوقت الذى عصى فيه ابراهيم شاه أخاه عادل شاه ذعبا كريم
خان لتأديب بعض القبائل المتمردة بالعراق ، ولقاء هذه الخدمة نال من
ابراهيم شاه التحف والهدايا وزاد شهرة عن ذي قبل .

وتوسل على مردان خان الذى أشرنا الى هزيمته من أبى الفتح خان
بكريم خان للقضاء على منافسه ، فطرد كريم خان وعلى مردان أبا الفتح
خان عن أصفهان ودخلا المدينة فلم ير أبو الفتح خان مناصبا من

الاستسلام لطاعة منافسيه المنتصرين ، وتشاور الخانات الثلاثة اللوريون عام (١١٦٣هـ) بشأن سلطنة ايران واستقر قرارهم أخيراً على أن يرفعوا الى السلطنة أحد أحفاد الشاه السلطان حسين من بنته واسمه اسماعيل الثالث وينوب على مردان خان عنه ، ويقود كريم خان الجيش ويتولى أبو الفتح خان أصفهان ، وأقسم هؤلاء الثلاثة على الحفاظ معاً على سلطنة الشاه اسماعيل الثالث وإذا نقض أحدهم عهده قسام الأخران بقتاله •

والذي نقض عهده وميثاقه منهم كان علي مردان خان لأنه كان يحقد على كريم خان حين توجه الناس اليه وكان يود أن يكون تصريف جميع الأمر بيده ، فقتل أبا الفتح في غياب كريم خان وصب أذاه على نصاري جلفا ، فعاد كريم خان الى أصفهان وكان قد رحل هذا الوقت لوضع حد لفتنة في الكرد فاستولى على أصفهان ولاذ علي مردان بالبختياريين •

وبعد أن غلب كريم خان علي مردان تقدم للأجهاز علي المدعي الكبير للسلطنة ايران وهو محمد حسن خان القاجار ، وأخرج في المرحلة الأولى جيلان عن سيطرته ثم أسرع منها لحصار قلعة استرآباد وشغل بهذا الأمر بعون شيخ علي خان الزندي •

وفي هذه الحملة لم يستطع شيخ علي خان الثبات فهرب ، ولما سمع كريم خان بدوره أن الشاه اسماعيل الثالث قد لجأ الى محمد حسن خان لم يتمكن من فتح استرآباد وعاد مهزوماً الى طهران ، وعظم أن علي مردان تحالف مع آزاد خان الأفغاني ضده فوجدت له مشكلة أخرى عن طريقهما •

وقدم كريم خان الى كرمانشاه وأنزل بعلي مردان الذي كان بها هزيمة عظيمة وطلب آزاد خان منه الأمان فلم يجب كريم سؤله وعجل

الى جربه لكنه غلب على أمره ولاذ بالفرار واستأثر آزاد خسان والدي
كريم وشيخ علي وأتى بهما الى أصفهان ، وهزم في قمشه كريمًا ثانية
فعاد خان الزند مهزوماً الى لورستان لكن الأمر لم يترك حتى رحل عنها
الى فارس بعد جمع جنود آخرين ، وحدث في هذه الأيام أن قتل علي
مردان بيد أحد أتباعه .

ولكى يدفع آزاد خان كريم خان ترك أصفهان الى فارس ولقاءه في
كحل كمارج على رأس طريق بوشهر ، ودارت الدائرة على آزاد خان
وغلبه كريم فعاد آزاد بهزيمة الى أصفهان عام (١١٦٦هـ) ولما علم أن
محمد حسن القاجاري قاصد من الشمال أصفهان أجبر على تركها الى
آذربايجان .

ولما حاز كريم هذا الفتح دخلت طاعته اللار ومناطق فارس الحارة
وحينما سمع خبر تحرك محمد حسن أرسل شيخ علي الى أصفهان
لواجهته وعمل هو على تنظيم أمور فارس ولقى شيخ علي من محمد
حسن الهزيمة فاضطر كريم أن يتوجه بنفسه الى أصفهان لكنه غلب هذه
المرّة من خان القاجار فلاذ بالفرار من أصفهان الى فارس .

وبعد فتح محمد حسن لأصفهان انتوى الاستيلاء على فارس
وتعقب كريم لكنه أذ سمع أن آزاد خان متوجه اليه من آذربايجان تقهقر
الى جيلان حيث هاجم جنود آزاد خان مرارا وفي آذربايجان فاستأصل
جنده وأجبره على اللجوء الى كريم ، وسقط آزاد من هذا الوقت من كل
أهمية واعتبار .

وفي تقهقر محمد حسن سيطر شيخ علي الزندي على أصفهان بيد
أن محمد حسن بعد قهره لآزاد طرد ثانية الزنديين عنها واستعادها .

هزيمة محمد حسن خان القاجاري في (١١٧١هـ) :

ولما زال علي مردان و آزاد خان لم يعد لتاج ايران وعرشها أكثر

من طالبين قوين أولهما محمد حسن القاجاري الذي كان مسيطرا على
سواحل بحر الخزر وشمال إيران حتى أصفهان وثانيهما خان الزند الذي
حكم على فارس وجزء من إيران الغربية .

وفي عام (١١٧١هـ) هاجم محمد حسن خان شيراز للقضاء على
منافسه وألقى بحصاره عليها ، وتمكن كريم في نهاية الأمر من هزيمة
الجند القاجاريين بسبب مساعدة الشعب وبلاء شيخ علي الحسن فعاد
محمد حسن مغلوبا إلى أصفهان ، ولما استشكل عليه المقام بها بسبب
سوء مسلك أتباعه مع أهلها تركها إلى مازندران فدخل كريم أصفهان
بانتصار تام ، وكان يود إنهاء سيطرة محمد حسن. تماما، لذا ترك فارس
لأخيه صادق وتحرك عن أصفهان لطهران وسير منتهل شيخ علي إلى
مازندران .

ولما دخل شيخ علي مازندران تحالف مع طائفة أخرى من القاجار
كانت على عدااء قديم مع قبيلة محمد حسن وألحق منهم حسين خان.دولو
حاكم أصفهان السابق من قبل محمد حسن بخدمته ولاقى بعونهم محمد
حسن بالقرب من أشرف لكنه لم يحز بنتيجة من هذه الحرب فتوجه منها
لقتح استرآباد .

ووصل محمد حسن على عجل إلى استرآباد لكنه هزم بها وهرب
إلى مازندران وحينما كان يريد عبور أحد المعابر عثر به جواده فحمل
عليه أخو حسين خان الدولو وكان خلفه من القاجار المخالفين له فاجتر
عنقه وأرسلها إلى شيخ علي فبعث بها بدوره إلى كريم بطهران .

وبعد قتل محمد حسن خان لاذ أتباعه من القاجاريين وابنه الأكبر
آغا محمد خوفا من أعداء قبيلتهم بصحراء (يميوت) عند التركمان ،
لكنهم عادوا بعد أربعة شهور لاجئين بكريم خان فسلمهم خان الزند
في كنف حمايته .

سطنة كريم خان

(١١٦٣ - ١١٩٣هـ)

بعد قتل محمد حسن قاجار استقل تقريبا كريم خان الذي ظهر عام (١١٦٣هـ) بجميع بلاد ايران ما عدا خراسان وظل حتى سنة موته حالة على هذا ، اذ لم يتعرض كريم خان لخراسان قط مراعاة لحقوق النعمة وظلت بيد شاهرخ ميرزا الأعمى وكان شاهرخ يحكمها حتى آخر حياته اسما .

ومن انبعث نائرا بعد محمد حسن خان القاجاري على كريم خان كان فتح علي خان الأفشاري من أتباع آزاد خان ، فتوجه كريم وشيخ علي الى اورمية لصدده وان هرب الأخير من المعركة الا أن كريما ظل يقاوم حتى تقدم فتح علي يعتذر اليه فعفا عنه ، ثم قتل بعد فترة قليلة بيد أحد أتباع كريم لسوء مسلكه . ولا يعرف بالضبط لماذا أغمى كريم خان في هذا الوقت شيخ علي ويبدو أن سبب ذلك هو غرور هذا القائد بانتصاراته فتدخل في مؤامرة لقتل كريم حين كان يحاضر اورمية .

وبعد القضاء على فتح علي الأفشاري واستسلام آذربايجان تأمر الزنديون أيضا على كرمان ويزد وجنوب خراسان ، ولم يقدم كريم من هذا الوقت حتى آخر عمره على غزو هام وانما قضى أغلب أوقاته في شیراز حيث اختار مقر عرشه في هناء وترفيه أحوال الرعية والتعمير ، وقد جعلت تهيئة أسباب العيش والراحة للناس ودفع الظلم والتعدي عنهم من كريم خان أكثر من كل شيء محبوبا لرعيته أثرا طيب الذكر عند كل منهم .

أوضاع سواحل الخليج وجزره في عهد الزنديين : —

استولى كما رأينا في أحوال الأفشاريين نادر شاه على عمان ومسقط عام (١١٥٦هـ) تماما بيد محمد تقى خان والى فارس وكلب على خان أخى

زوجه ، لكن ساء ما بين هذين القائدين مبكرا فقتل الأول الثاني وعصى نادرا وقام نادر بصدده .

وقد أغفلت هذه الأوضاع التي صادفت اختلال حال نادر ومشاكله في حروبه الأخيرة مع العثمانيين وأفضت الى قتله ايران عن الاهتمام بأمور جزر الخليج وسواحلها وأقر شيخ عمان بالتدريج قوته على القسم الأعظم من سواحل الخليج الجنوبية .

ولم يبد كريمة خان اهتماما كبيرا بجزر الخليج وسواحلها مع قرب عاصمته اليه بسبب انشغاله بمقاتلة الثوار عليه وخطوه من دوافع الفيتج والغزو فيما عدا مرة أو مرتين حين صد هجمات القراصنة .

وكانت تجارة الخليج البحرية اذ ذاك يتداولها الانجليز والهولنديون وكان الفرنسيون يزاحمون أعداءهم الانجليز فقد كانوا وقتذاك في حرب معهم في الخليج ، كما حدث في المحرم (١١٧٣هـ) حين قدموا الى بندر عباس بسفن أربع وقصفوا دور تجارة الانجليز بها ورحلوا عنها بعد حرق مبانيهم ونهب ما فيها من بضائع بعد خمسة عشر يوما .

وبعد هذه الواقعة بسنوات أربع نقل الانجليز مركز تجارتهم من بندر عباس الى البصرة وسبب هذا العمل الذي تم بعد أن نقل الهولنديون دور تجارتهم أيضا من ايران الى الأرض العثمانية صدمة قوية لتجارة ايران الخارجية . ولكي يتلافى كريم خان هذه الخسارة أعاد الانجليز في عام (١١٧٧هـ) الى بوشهر وحث بفرمان منه ممثلى شركة الهند الشرقية الانجليزية على افتتاح دار للتجارة في هذا الميناء ومنحهم حق احتكار تجارة بوشهر ، فتمس الانجليز لهذا الفرمان ففتحو تجارتهم في بوشهر وظلوا بها حتى (١١٨٣هـ) اذ رحلوا عنها بسبب انعدام الأمن الداخلى واعتداء شيوخ الأطراف عليهم الى البصرة .

كنيبهاوزن (Kniphausen) على جزيرة (خرج) الصغيرة .
وفي عام (١١٦٧هـ) استولى رئيس المركز التجارى الهولندى بالبصرة

وجعلها مركزا للصيد والتجارة بللؤلؤ وميتى فيها قلعة حربية .

ومع أن شيخ ميناء (ريك) وهو الأمير مهتا من العرب رعية ايران عصى مرارا كريم خان وعفا خان الزند عن قتله مراعاة لصهره الذى كان يعيش فى سلك العمال الزنديين الا انه قام ثائرا فى تلك الايام على صادق خان والى فارس وأخى كريم خان فأرسل صادق خان جماعة للقبض على الأمير مهتا الذى ميناء ريك فهرب مهتا الى جزيرة (خارجو) ثم هاجم خرج بسبب خلو الجزيرة من ماء الشرب ويعد قتله أو أسره الجنود الهولنديين بها ضمتها اليه فى (١١٧٩هـ) وهذا العام هو نهاية عهد سيطرة الهولنديين فى خليج فارس وسواحله وجزره .

وأصاب هذا النصر مهتا بالغرور والاعتداء فأخذ فى القومصنة والتهب فى البحر وأرسل كريم زكى خان وهو أخ له من أمه لدفعه فهرب مهتا أمامه الى البصرة حيث قتل وضمت جزيرتها خرج وخارجو الى كريم . وفى عام (١١٨٠هـ) قرر كريم أن يهاجم عمان ومسقط وأرسل لهذا زكى خان الى بندر عباس وحرك والى هرمز لعون أخيه ، فرحل زكى خان من بندر عباس الى هرمز وارتكب بها اعتداء خلقيا فى حق واليها فألقى به فى السجن وأطلع أخاه كريما بما حدث فلم يتم غزو عمان لهذا السبب ولما انتقل مركز الانجليز التجارى مرة ثانية الى البصرة صمم كريم أن يستولى عليها لى ينتقم من الانجليز ويسقط البصرة من ازدهارها ومكانتها التجاريين ، وتذرع لهذا بسوء معاملة العثمانيين للحجاج الايرانيين وبعض الأمور ثانوية أخرى لى يتدخل فى الأملاك العثمانية . وكان بداية الصراع بين ايران والعثمانيين فى أواخر عهد كريم خان بسبب الحامية التى كلن يسبغها خان الزند على ولاية البلاد الكردية التابعة للعثمانيين ، ولما عزل عمر باشا والى بغداد باشا بلاد الكراد الذى تحميه ايران أرسل كريم على مراد خان الزندى ابن أخته الى بلاد الكرد ، وكان النصر أولا مع الزنديين غير أن على مراد لما وقع فى يد

الترك أثناء المعركة وهو في حال من السكر انهزم الجنود بغير قتلهم .
وأنفذ عمر باشا على مراد إلى إيران خشية من كريم ، وأرلاد كريم قتله
لكنه عفا عنه أخيرا بشفاعة صادق خان .

ولكى يتلافى ومن هذه الهزيمة بعث كريم قائدا آخر من الزننديين
لبلاد الأكراد فغلب العثمانيين في تلك المنطقة وطلب أولياء الدولة
العثمانية برأس عمر باشا وإلى بغداد وقبل أن يصل جواب طلبه أرسل
أواخر عام (١١٨٨هـ) أخاه صادقاً بثلاثين ألفاً لتأديب سليمان آغا حاكم
البصرة الذي كان يؤازر شيخ عمان ضد إيران ، وكان ناصر خان بن
مذكور حاكم بوشهر والبحرين يعاون صادقاً من البحر في حملته هذه .

وحاصر جيش إيران البصرة في شهر صفر (١١٨٩هـ) برا وبحرا ،
وكان الانجليز على علم بأن الغرض الأساسي لكريم من غزوه البصرة
هو معاداتهم فوضعوا سفينتين حربييتين تحت تصرف سليمان آغا ،
وانحاز بعض عرب خوزستان للعثمانيين وسعى الأعداء في البر والبحر
ألا يدعوا قوات صادق تتصل بقوات ناصر ، غير أن هذه المحاولات لم
تسفر عن شيء فعبر جنود صادق بعد نصر هلم شط العرب وحاصروا
البصرة . واستمرت محاصرة البصرة ثلاثة عشر شهرا وضاق الأمر في
هذه الفترة على سليمان آغا وعمر باشا والدولة العثمانية وفشل الباب
المعالي أن ينقذ البصرة من حصارها سواء من البر أو البحر مع سعيه
لإرساله لباشوات ديار بكر وروان والموصل ودعوته لشيخ عمان ، وفي
النهاية أرسل السلطان العثماني رأس عمر باشا كما طلب كريم إلى
شيراز حيث كان الزند وطلب الصلح .

وأخذ كريم في تعطيل سفير السلطان في شيراز فلربما يفتح صادق
أثناء ذلك البصرة إلى أن استسلم أخيرا سليمان آغا في ربيع عام
(١١٩٠هـ) وفتحت البصرة بيد صادق خان ، وناصر خان آل مذكور . وترك
صادق بعد مقام أربعة شهور بالبصرة على محمد خان الزندي بها وعاد
إلى أخيه بشيراز مع سليمان آغا .

وفي غياب صادق ثار بعض من عرب خوزستان على محمد خان حاكم البصرة وقتلوا جماعة من جنود ايران عن طريق اغراق طريقهم بالماء وقتل الحاكم الزندي أيضا بيد غلام له . فأرسل كريم خان مرة أخرى صادق خان في (١١٩٢هـ) لتأديب العرب المتمردين وضبط أمور البصرة . وضرب صادق الثوار وأتى البصرة وظل بها حتى صفر (١١٩٣هـ) وفي هذا التاريخ بلغه خبر موت كريم عاد الى شيراز ولما خلت البصرة سهل على الأتراك العثمانيين استعادتها .

موت كريم خان في الثالث عشر من صفر (١١٩٣هـ) :-

أصيب كريم خان أواخر عمره بالسل ولما كان سنة آنذاك نحو الثمانين أخذ في الضعف والاعتلال يوما بعد يوم ، وقد زادت حادثة قتل علي محمد خان وثورة العرب وبعض ثورات أخرى تسببت في بعض الولايات اثر انتشار خبر موته الكاذب نحالة ووهنا الى أن وقع فريسة لقولنج حاد في الثالث عشر من صفر فمات هذا الملك البعيد النظر بنفس المرض في نفس التاريخ السابق بشيراز . وتبلغ مدة كر كريم خان وفرة وحكمه ثلاثين عاما وثمانية شهور .

وكريم خان عامة أحد ملوك ايران المحمودين الطيبين الذكر فكان رجلا محبا لرعيته طيب المسلك خلوا من الحقد والقسوة يعيش في بساطة شديدة لا يكلف كثيرا ببهارج الحياة والبلاط وجلال الحكم ورعيته حتى كان يتجنب قبول لقب الملك والسلطان فسمى نفسه في كل حياته بوكيل الرعايا . ومن أبنيته في طهران بناء اسمه (خلوت كريم خاني) أو مختلى كريم خان ، وفي شيراز سوق ومسجد و «حمام الوكيل» وبعض القصور الحكومية والتي تعد من ناحية العظمة واستحكام البنيان هامة لكنها ليست بذات قيمة فنية وتمثل عهد انحدار فن أعمال الكاشاني والمعمار في ذلك العصر . ولا يزال جاريا على ألسنة الناس حكايات وأساطير كثيرة تحكى بساطة حياة كريم وحسن معاملته وسعيه لتحسين أحوال الشعب .

أعقاب كريم خان

لم يودع كريم خان الثرى وقد ثار نزاع عائلى بين أقاربه بسبب خلافته بمعنى أن زكى خان أخا كريم لأمه المعروف بالقنوسة والفظاظة لما كان يدرك أن كبار الأسرة الزندية لن ينصاعوا لحكمه مع وجود صادق خان وأولاد كريم ، فلكى يجبرهم على اختياره حاصر مقر أولئك الناس ومنزلهم وهو القصر الملكى والحرم الخانى ، وقاوم المخصورون ثلاثة أيام حتى استقرت الأمور على الصلح . وأوقع زكى خان بهذه الحيلة خمسة عشر من كبار الزنديين فى شركه فأجهز عليهم وكان جسد كريم طوال هذه المدة لا يزال خارج قبره وأخيرا دفن زكى خان وأطلق اسم السلطنة على أبى الفتح خان ابن كريم الأكبر وبعد بضعة أيام أشرك أخاه محمدا على خان فى الحكم وكان صهر زكى وكان هو فى الحقيقة مالكا لأزمة الأمور وأخذ ينهب أموال قتلاه ويقسمها على جنوده .

وممن لم يقع فى أسر زكى خان من كبار الزندية صادق خان أخو كريم الشقيق الملقب باستظهار الدولة وكان يعيش بالبصرة مع ابنه جعفر خان ، ثم على مراد خان الزندى قائد كريم خان الذى ولاه الخان قبل موته أصفهان .

ولما علم زكى خان بتحرك صادق الى شيراز أرسل اليه بموافاة العاصمة على عجل لينظم أمور السلطنة على نحو ما يريد وكان غرضه أن يوقع بصادق أيضا فى شركه بأى طريقة . وما أن اقترب الى شيراز وعلم بحقيقة نية زكى ، ولأن أتباعه تفرقوا على أثر مشقات الطريق وتهديدات زكى ، لم يجد قوتا من الفرار الى كرمان .

ورفع على مراد راية الثورة فى أصفهان فقصد زكى بأربغين ألفا لصدده . وفى منزل ايزدخواست قامت جماعة من جنوده بقتله لفسقه وحركاته السيئة التى ضاقوا بها ذرعا فاعلم أبو الفتح خان على مراد بالقضية

وعاد هو إلى شيراز وجلس مستقلا على عرش الملكية .

وبمجرد وصول خبر قتل زكى لصادق وابنه جعفر ترك رفسنجان
كرمان إلى شيراز وقبل طاعة أبى الفتح خان . بيد أن أبا الفتح الذى
تعود معاقرة الخمر ولم يقلع عن هذه العادة برغم نصائح أبيه ومعاقباته
لما رأى نفسه مطمئنا مستريحا سار فى طريق اللذات وعجز صادق عن
إعادته إلى الطريق المستقيم رغم محاولاته . وفى النهاية ألزم صادق
أبا الفتح بيته وعمل هو فى تسيير أمور الملك .

ولما سمع على مراد خان خبر عزل أبى الفتح وكان لا يزال حتى
ذاك الوقت على طاعته وقام تحت خدمته بقتل ذى الفقاز خان الأفشارى
بوالى « خمسة » العاصى واسماعيل خان القشقائى من العصاة المخالفين
وأرسل برأسيهما إلى شيراز ، ثار على صادق وأعلن نفسه ملكا
بأصفهان . ولكى يفرق صادق قواد الجيش الذين اجتمعوا حول على
مراد أقدم على زجر أتباعهم وإيذائهم فأثار بعمله هذا معارضة قيادة
الجيش المقيم بأصفهان له وظل هذا الحال عامين . وفى عاقبة الأمر
أرسل على مراد عام (١١٩٥ هـ) أحد قادته لمقاتلة صادق بشيراز .

وتمكن على نقى خان ولد صادق من دحر هذا الجيش خارج شيراز
وأمسك بكثير من قادة جيش على مراد فولى هذا وجهه شطر
كرمانشاهان وحمل على شيراز بعد جمعه جندا آخرين فخان جعفر خان
هذه المرة أبناء صادقاً وكان أخا لعللى مراد من أمه وانحاز مع أكبر خان
ولد زكى خان إلى على مراد وانحصر صادق وابنه الآخر على نقى فى
شيراز .

وبعد تسعة شهور من الحصار استولى على مراد فى المحرم عام
(١٢٩٦ هـ) على شيراز وأهلك صادقاً وابنه علياً وأعمى أبا الفتح وأبناء
كريم خان الباقيين وجلس على عرش السلطنة وترك لجعفر خان جزاء
الخدمة التى أسداها له حكم بلاد الأكراد .

ولما اطمأن خاطر علي مراد من ناحية الزنديين أعد بأصفهان نحو أربعين ألفا بقصد السيطرة على مازندران واستراياد ودفع القاجاريين فتحرك إلى طهران ومنها أرسل ابنه لفتح مازندران عن طريق اللار . وفتح شيخ ويس خان ولد علي مراد — الذي لحق به والده بعد فترة قصيرة والقواد الزنديون الباقون — في علم (١١٩٨ هـ) ساري وطرد منها آغا محمد خان القاجاري فركن إلى الفرار من مازندران إلى استراياد .

فأرسل في عقبه شيخ ويس أحد قادته لحصار استراياد لكن هذا القائد لم يحقق شيئا بسبب معونة التركمان لآغا محمد خان وحدث القحط بين جنوده ، بل وقع في الأسر وقتل . فترك شيخ ويس بعد سماعه هذا ساري ولاقى أباه بطهران ونال غضبه . وسير علي مراد جيشا آخر إلى مازندران لكنه سرعان ما تشتت ، وعاد علي مراد إلى اصفهان وقد صار وقتها فريسة ثورة جعفر خان وبعض المتمردين غيره ، وما أن بلغ (مورتشه خورت) حتى وافته منيته عام (١١٩٩ هـ) .

ولما مات علي مراد قدم إلى اصفهان جعفر ابن صادق وأخو علي مراد الأمة والذي كوفي لخيانته أباه بحكم بلاد الأكراد و « خمسة » من طرف علي مراد ، وكان قد ثار علي علي مراد في غزوه لمزندران ، وأمسك في خطوته الأولى بشيخ ويس وأعماه ، ثم أنفذ نجف خان الزندي بجيش إلى طهران للقضاء على القاجاريين . وتغلب آغا محمد خان على جند جعفر خان مرة بقم وأخرى بكاشان فأضاع جعفر أصفهان اشفاقا منه . وهرب إلى شيراز ، وأدخل آغا محمد خان طهران وقسم وكاشان و اصفهان وبلاد الأكراد تحت طاعته .

واستعاد جعفر خان بعد عودة آغا محمد خان أصفهان من القاجارية ، لكنه أضاع المدينة في السنة التالية (١٢٠٠ هـ) ثانية وعاد مهزوما إلى فارس ، وظل النزاع من هذا العام حتى عام (١٢٠٢ هـ)

مستمرًا بين أتباع القاجاريين والزنديين إلى أن دس السم في العام
الأخير لجعفر خان بمؤامرة أحد أمراء الزنديين فمات به وخلفه صيد
مراد خان .

ولما سمع ابن جعفر الرشيدى لطف على خان بقتل والده وكان
يجالد بسيفه في ركاب والده وهو شاب وكان وقتها واليا لموانىء الخليج
وسواحله وصل معجلا إلى شیراز واستخلص العاصمة من صيد مراد
وقتل المتواطئين في مقتل أبيه وجلس على عرش المملكة عام (١٢٠٣ هـ)

سلطنة لطف على خان (١٢٠٣ - ١٢٠٩ هـ) :-

حاز لطف على خان آخر ملك في أسرة الزند وولد لجعفر خان
وحفيد أخى كريم خان في المدة القصيرة التي تملك فيها مع صغر سنه
فتوحات هامة وأبدى ضروبا من الشجاعة والتجلد ، ولم يطمئن اغا
محمد خان القاجارى على حياته ودولته ما بقى حيا ، لكن لسوء حظ
لطف على أنه بسبب حداثة سنه وعدم تجربته كان خلوا من السياسة
وقيادة الشعب وتدبير أمور الملك وكان يشيح عن نصيحة الصادقين
بسبب غروره وجهله ، فلم تدعه معاليه من أن يحصل نتيجة دائمة من
فتوحاته وسرعان ما زال وانقرضت بقتله الدولة الزندية .

في عام (١٢٠٤ هـ) تقدم آغا محمد القاجارى إلى شیراز لازالة
لطف على فلم يأنس هذا من نفسه الثبات فأخلى شیراز ويمم صوب
دشتى ودشتستان فسقطت شیراز بيد القاجاريين وعاد اغا محمد خان
إلى طهران . وفي السنة بعدها أتى لطف على بما جمعه من اعدادات
إلى شیراز فاستولى عليها بعون حاجى ابراهيم رئيس شرطتها ، وقرر
فتح أصفهان لكنه لقي الهزيمة ولما أراد العودة إلى شیراز أقفل حاجى
ابراهيم أبوابها أمامه لأنه كان قد انحاز إلى القاجاريين أثناء غياب
الخان الزندى وفشلت مساعى لطف على فى الاستيلاء على العاصمة
فانهزم إلى زرقان ، وحفظ حاجى ابراهيم المدينة بعون قيادة الجيش

القاجارى من استيلاء الزنديين •

ومكث لطف على شاب الزندى المشجاع فى جلاذ وصراع مع خان القاجار من عام (١٢٠٦هـ) حتى (١٢٠٩هـ) حين أسره محمد خان وقتله فى قلعة (بسم) بكرمان ، وكان الغالب أغلب مواقعه ، الا انه فى النهاية على نحو ما سوف نرى ضمن تاريخ آغا محمد خان انقطعت على يد هذا القاجارى سلسلة حياته وانتهت بموته سلطنة الزنديين التى دامت ستة وأربعين عاما من عام (١١٦٣هـ) حتى (١٢٠٩هـ) •

اسماء ملوك الزند ومدة كل منهم

- ١ - كريم خان (١١٦٣ - ١١٩٣هـ)
- ٢ - أبو الفتح خان بن كريم خان (١١٩٣هـ)
- ٣ - على مراد خان (١١٩٣هـ - المرة الأولى)
- ٤ - محمد على خان ولد كريم خان (١١٩٣هـ)
- ٥ - صادق خان أخو كريم خان (١١٩٣ - ١١٩٦هـ)
- ٦ - على مراد خان (١١٩٦ - ١١٩٩هـ - المرة الثانية)
- ٧ - جعفر خان بن صادق خان (١١٩٩ - ١٢٠٢هـ)
- ٨ - سيد مراد خان (١٢٠٢ - ١٢٠٣هـ)
- ٩ - لطف على خان بن جعفر خان (١٢٠٣ - ١٢٠٩هـ)

الفصل السابع عشر

الأسرة القاجارية

بداية أمر القاجاريين :-

القاجاريون أصلاً طائفة من الجنس المغولي وظاهراً من القبائل التي انتشرت من بلاد المغول مع الغزاة التتار والمغول في عهد جنكيز وأخلافه إلى البلاد الإسلامية ، وكان مقامهم إذ ذاك في الجزء ما بين الشام وإيران خاصة في أرمنية .

ولا يذكر كثيراً حتى تأسيس الدولة الصفوية شيء في التاريخ عن قبيلة القاجاريين وفي هذا العصر أي في قيام الشاه اسماعيل الأول كان القاجاريون المقيمون بأرمنية بدورهم من الجماعات التي انبعثت لعون الصفويين ، وبلغ بعض رؤسائهم من هذا الوقت الأمانة حيفا والسفارة والمناصب الحكومية الأخرى ، وقام الشاه عباس الكبير بتهجير قبيلة القاجاريين عن مقامهم الأصلي إلى مكان مختلف لكي يؤلف منهم لواء القبائل المهاجرة سدا ، فأسكن جماعة منهم في قرا باغ في مواجهة التركيين وأقر جماعة أخرى في جرجان واستراياد لمواجهة التركمان وثبتت جماعة ثالثة بمرو لصدد الأوزبك .

وفي هذه الأثناء أصاب قاجاريو جرجان واستراياد من أواخر العهد الصفوي أهمية وشوكة مخصوصين وإن كان النزاع قائماً بين طائفتي جرجان والقارجاريين أي سكان ساحل نهر جرجمان الأيسر والمقيمين على ساحله الأيمن ، كأي نزاع يدور بين أغلب القبائل بسبب المراعى والمياه وغيرهما فلا ينقطع ، فكانت الطائفتان تقضيان غالب الوقت تهاجم أحدهما الأخرى .

وكانت الطائفة القاجارية الساكنة على ساحل نهر جرجان الأيمن تدعى (يوخارى باش) أى سكنة رأس النهر الأقصى بينما كانت الطائفة المقيمة على الساحل الأيسر من النهر يطلق عليها (اشاقه باش) أى سكان رأس النهر الأدنى وانتشعت الجماعتان الى عشائر مختلفة فيما بينهما .

وفي حين سيطرة الأفغان على إيران ، توجه رئيس عشيرة القوانلو من قبيلة الاشاقه باش وهو فتح على خان القاجارى لمعاونة الشاه سلطان حسين بأصفهان ، لكنه لما رأى أوضاع البلاط يسودها التشتت الكبير وأن الشاه عاجز عاد الى استرآباد وظل بها كما مضى الشرح الى أن انضم الى جيش طهما سب ميرزا ولد الشاه سلطان حسين ، ولم يطل الأمر — كما مر — حتى لقي حتفه فى الرابع عشر من صفر (١١٣٩ هـ) بتحريض من نادر على يد أحد القاجاريين اليوخارى باش .

.. وكان لفتح على خان القوانلو ولدان هما محمد حسين خان الذى مات فى طفولته ومحمد حسن خان الذى ولد عام (١١٢٧ هـ) وكان فى نحو الثانية عشرة من عمره وقت قتل أبيه .

.. وكان نادر كما قلنا هو السبب فى الحقيقة فى قتل فتح على خان الاشاقه باش والذى استولى على منصبه فى بلاط الشاه طهما سب الثانى ولذا أنزل معاداة للأشاق باش القبيلة الثانية القاجارية اليوخارى باش باش مورد عنايته فأرسل منهم محمد حسين خان لحكومة جرجان واسترآباد ، ومحمد حسين خان هو الذى اغتال بأمر من رضا قلى ميرزا الشاه طهما سب الثانى وولديه الصغيرين عباس ميرزا (الشاه عباس الثالث) وسليمان ميرزا .

.. وفى عهد حكم محمد حسين خان اليوخارى باش لاسترآباد وعهد قوة نادر كان محمد حسن خان ولد فتح على خان يعيش متخفيا بين التركمان طوال هذه الفترة .

وفى عام (١١٥٦ هـ) حين كان نادر مشغولا بالحرب مع العثمانيين

هاجم محمد حسن خان بعون بعض تركمان « يموت » استرأباد واستولى عليها فسير نادر محمد حسين خان اليوخارى باش لصدده ففر محمد حسن ثانية الى صحراء التركمان ولم يتمكن نادر من القبض عليه طوال حياته .

وبعد قتل نادر عاد محمد حسن خان الى استرأباد فاستولى عليها وأقام بها وطلق يجمع الجنود ، ولما كانت ايران فى هذه الايام فريسة الهرج والمرج وكان بمكنة كل دعى أن يدعى سلطنتها ، انبعث محمد حسن خان هو الآخر يدعو لنفسه بالسلطة فى استرأباد لكنه واجه من الخطوة الأولى ندين قوين هما أحمد خان الأبدالى وكريم خان الزندى . واستطاع محمد حسن أن يهزم أحمد خان فى النهاية بعد أن توجه — هذا الأخير — مهاجما خراسان واسترأباد بقصد السيطرة عليهما ، لكنه فى صراعه مع الزنديين مع أنه كان المنتصر فى الأغلب ، لقى القتل فى جمادى الآخرة (١١٧٢ هـ) فى مازندران ووقع أولاده أسرى قبضته الزنديين .

وكان كريم خان رجلا رحيمًا كريمًا فحمل معه الى شيراز من بين أولاد محمد حسن التسعة آغا محمد خان وحسين قلى خان جهانسوز وأحلهم بلاطه وأرسل بقيتهم الى قزوین ولم يقصر فى حسن معاملته بهم أدنى تقصير ، الى أن نصب حسين قلى خان فى عام (١١٨٤ هـ) على حكم الدامغان ، لكن حسين هذا وقد سمي جهانسوز أى (محرق الدنيا) بسبب قسوته وظلمه ومظاظته سرعان ما عصى ولى نعمته وظل بعصيانته حتى قتله التركمان فى (١١٨٨ هـ) فى استرأباد .

أما آغا محمد خان فقد كان يعيش حتى موت كريم خان أى حتى (١١٩٣ هـ) فى شيراز فى بلاط الزنديين ولما كانت إحدى أقارب زوجته بعصمة كريم خان كان معزز الجانب محترما لديهم وله الحرية فى التردد على حرم خان الزنديين .

وأدرك آغا محمد خان عن طريق هذا التردد أن ساعات عمر خان الزندى معدودة فتذرع بذريعة ما وغادر مدينة شيراز ووصل معجلا الى

طهران ومعه عدد من القاجارية وأتباع آخر .

وفي طهران وقف علم آغا محمد خان على أن من بين أخوته السبعة من لا يميل إلى تربيته لقبيلة الشاقة باش وسطنته للدولة خاصة مرتضى قلى خان ورضا قلى خان ومصطفى قلى خان الذين وقفوا في مازندران لنصده . وأرسل الآغا محمد خان أخاه آخر هو جعفر قلى خان لازالتهم فغلبهم ومن هنا وضع آغا محمد قدمه بمازندران وفيها انضم إلى عسكره بابا خان ولد حسين قلى خان جهانسوز أخيه ومعه أمه ودخل أيضا مصطفى قلى خان في طاعته .

وكان حكم جيلان إذ ذاك بيد رجل اسمه هدايت خان بن حاجي جمال فومنى الذى أسدى وأبوه إلى محمد حسين خان خدمات فوقع منه موقع القبول . وفي نحو (١١٧٢٥ هـ) دخل هدايت خان تبعية كريم خان الزندى ، وكان — هدايت خان — يتصف بتذوق الأدب وحبه وبالشهامة ولذا مدحه بعض شعراء العهد الزندى وأوائل القاجارى — وأقبل فأقر أمور جيلان وروج من تجارتها مستعينا بالتجار الأجانب . فلما توفى كريم خان ساءت علاقة هدايت خان بالزنديين فدفع على مراد خان بجيش لتأديبه وألجأه إلى الفرار وان عاد بعد مدة وجيزة وصالح على مراد . وعندما أفل نجم على مراد وبزغ نجم آغا محمد ، قبل هدايت تسير أموال جيلان إلى خان القاجاريين .

وفي (١١٩٥ هـ) استنكف هدايت خان أن يرسل بمال جيلان إلى آغا خان فأرغم هذا على توجيه أخويه جعفر قلى خان ومصطفى قلى خان لضربه بجيلان . وحينما كان آغا محمد مقبلا إلى تأديب هدايت خان ثار عليه أخوه رضا قلى خان وهاجم (بار فروش) فأسر آغا محمد وكان مقيما بها مع بابا خان وأخيه الأصغر المسمى باسم أبيهما (حسين قلى خان) ، وأم الجميع ، وبعث وصول هذه الأنباء إلى جيلان على أوبة جعفر ومصطفى ، فظل أمر دفع هدايت خان بعد فراره إلى شروان منقوصا .

ونجح آغا محمد في النجاة سريعا من قيد رضا قلى الذى كان يخشى
بأس اخوته لا سيما جعفر مما جعله يتجه الى اصفهان ثم يتركها الى
مشهد ثم يوافيه أجله بعد قليل .

وبعد فرار الرضا قام المرتضى قلى أخو محمد الذى كان يتظاهر مرة
بطاعته وأخرى بخلافه بالاستيلاء على مدينة سارى ومن ثم رفض
سلطنة أخيه . وقابله أخوه محمد فهزمه ثم رضاه بحكومة جرجان
واستراباد وهزارجريب .

وقدم هدايت خان بعد مقام أربعة أعوام خارج جيلان الى رشت
يعاونه بعض اللزكيين فاستعادها ، فسير آغا محمد مصطفى خان قاجار
دولو قائده لطرده عنها ، وقبل هدايت خان هذه المرة أثناء فراره على
شاطئ نهرها ودخلت جيلان كلها تحت طوع القاجاريين .

وفي عام (١١٩٨ هـ) حين سير على مراد الخان الزندى ابنه شيخ
ويس خان الى مازندران لقتال القاجارية تألب مرتضى قلى مع الزنديين
معاديا لأخيه ، فلما انتصر القاجاريون وفر عسكر الزنديين فر مرتضى الى
شروان واستمد بها خانات باكو وشروان وقراباغ وطالش فاستحوذ
على جيلان .

وفي عام (١٢٠٣ هـ) تغلب آغا محمد بعون جعفر قلى وقواده
الآخرين على مرتضى قلى فتوجه هاربا الى طالش ثم عاد بعد قليل .
وأمر أخوه مصطفى هذه المرة بفتح جيلان فهزم مرتضى ودفعه هاربا
الى باكو ، فتركها مرتضى الى روسيا ولم يعد ثانية الى ايران .

جلوس آغا محمد خان في (١٢٠٠ هـ) :-

بعد زوال خطر الاخوة الثائرين والتغلب على الزنديين وادخال
شمال ايران ووسطها الطاعة توج آغا محمد خان في النيروز من عام
(١٢٠٠ هـ) فى الحادى عشر من جمادى الآخرة من هذا العام فى طهران ،

ولما لم يكن ولد له بسبب انقطاع نسله بيد عادل شاه آثر بابا خان الابن الأكبر لجيش قلى جهانسوز أخاه لولاية عهده ونيابة سلطنته ، كما فضل طهران عاصمة له بسبب قربها الى استراباد مقر قبيلة القاجاريين وهيمنتها على الولايات الجنوبية التي كانت لا تزال بيد الزنديين ، وقسم حكم ولاية على رؤساء القاجاريين وكبارهم ، وتأهب لاستئصال جعفر خان •

وفي عام (١٢٠٢ هـ) قصد آغا محمد فارس بهدف القضاء على جعفر خان لكنه لما سمع أن جعفر لن يبرح قلعة شيراز للقاءه وأن ليس أمل في النجاح وراء مهاجمة شيراز عاد الى العراق ، وحدث أن توفي جعفر في نفس العام فخلفه على عرش الزنديين ابنه الشاب الرشيد لطف علي خان وقرر مصارعة آغا محمد •

وفي العام التالي (١٢٠٣ هـ) سير آغا محمد أخاه جعفر وقائده مصطفى دولو الى شيراز وشخص بنفسه في عقبهم وحاصروا المدينة ، فلما أبدى لطف علي شديد المقاومة عاد آغا محمد الى طهران • وفي (١٢٠٤ هـ) سار لطف علي الى دشتي ودشتستان لاستجماع قواه ن رأى عجز جنده عن المقاومة ، فدعا أعيان شيراز آغا محمد يتلاء على مدينتهم • ولما عاد لطف علي من دشتستان سلمت له شيراز بية فتركها الى اصفهان لمقاتلة الخان القاجاري وأتاب في شيراز رئيس شرطتها حاجي ابراهيم ، واستصحب ابنه رهينة معه حتى لا يصدر عنه أثناء غيابه حركة عدائية •

وما أن آلت أمور شيراز الى حاجي ابراهيم ولأنه كان يعلم أن لطف علي مطلع على نيته الباطنة ألقى القبض على كبار الأسرة الزندية بالمدينة من ناحية وحرّض أخاه عبد الرحيم خان وكان بعسكر لطف علي على اثاره الجنود من ناحية أخرى ، وبهذا تفرق أكثر جنود لطف علي ليلا عن المعسكر بقمشة بسبب أن أسرهم وقعوا تحت تهديد رئيس الشرطة

بشيراز وهجومه ، فانهزم لهذا السبب لطف على أمام آغا محمد وعاد الى شيراز . بيد أن رئيس الشرطة وأتباعه أقفلوا عليه أبوابها فلم يجد مناصا من أن يتوجه الى بوشهر . ووافى مصطفى قاجار دولو شيراز وترك حكمها الى رئيس شرطتها نائبا عن آغا محمد .

وقبل واقعة قمشة طالب جعفر قلى أخو آغا محمد الشجاع الذى أكسب أخاه بعض انتصاراته بحكم أصفهان فأمتنع أخوه آغا محمد عن تحقيق مطلبه فارتحل جعفر مغاضبا الى بسطام . واحتال آغا محمد عليه حتى استدعاه اليه وقتله وتنكر بهذا اليه وهو صاحب حق عظيم فى عنقه .

ومكث لطف على طوال عام (١٢٠٥ هـ) ومعه قواته الضئيلة التى جمعها فى نزاع وصراع على حدود كازرون وشيراز مع مصطفى قاجار وحاجى ابراهيم رئيس الشرطة لكنه لم يصب توفيقا لقلعة استعداد جنوده . وفى ربيع عام (١٢٠٦ هـ) قرر آغا محمد أن يقصد بنفسه فارس لانتهاء أمر لطف على ، فأتى لهذه المنية بجيش متأهب اصفهان ، فترك حكمها الى حسين قلى الابن الآخر لحسن قلى جهانسوز وسلك طريقه الى زرقان حيث كان لطف على وهو فى حيلة شديدة . وكان لطف على على علم بتحرك آغا محمد عن أصفهان فسابق الى مجابهته وهجم بجراة على جيشه على مقربة من (أبرج) على بعد خمسة عشر فرسخا شمال شيراز ، ففرق جمعهم وتقدم حتى مخيم آغا محمد وكان على وشك افناؤه لولا أن أحد الموجودين أفهمه أن آغا محمد قدولى دبره فارا والفتح صار يسيرا فمن الافضل أن يتصبر على اغتنام مخيمه حتى الصباح فيحترق من وقوع نفائسه بيد جنده . فلما أسفر الصباح وعلم لطف على أن آغامحمد لا يزال بمخيمه وأن انتظام جنوده الكثيرين لا يزال قائما أدرك أنه لن يستطيع الثبات مع جنوده القلة فاضطر أن يفر الى خراسان . ودخل آغا محمد شيراز بيسر فأعمى عددا من كبار الزندين واستولى على اموالهم ثم استدعى حسين قلى من أصفهان اليه وأختاره

لحكم غارس مع نيابه رئيس الشرطة السابق الذكر وخرب قلعة شيراز .
وبعد أن فر لطف على من ابرج ظل في أخذ وجذب مع أتباع
القاجاريين بعون بعض الفرسان الذين أمده حاكم طبس بهم مدة من
الزمن في يزد وابرغو ونيريز الى أن رحل الى كرمان في (١٢٠٨ هـ) بدعوة
اهلها فجعل منها مركز اقامته وعاصمته .

وحت وصول خبر استيلاء لطف على على كرمان الى آغا محمد على
أن ينصرف عن عزمه للسيطرة على خراسان ويسلك طريقه الى كرمان .
ولما وصل الى كتب منها تحصن لطف على بعد مناوشات وهزيمة بالمدينة
فحاصرها خان القاجاريين وأدام حصاره أربعة أشهر . وفي نهاية الأمر
لما تيقن أنه لن يدخل المدينة كما أن البرودة انهكت قوى جنوده قرر
أن يرفع الحصار . وفي هذه الأثناء أبدى حراس بعض بوابات المدينة
خيانة لطف على وفتحوها أمام القاجاريين . وتدارك لطف على الأمر
فهزم المهاجمين وسد البوابة المفتوحة ، لكنه وقع فريسة خيانة أخرى
كالأولى ، وفاضت المدينة في هذه المرة بأثنى عشر ألفاً من جنود آغا
محمد . ونزل لطف على يقاتله مادامت فيه قوة لكنه ما ان رأى انه لم
يتبقى معه مدافع آخر حتى تسلك بجواده من أحد خنادى المدينة من بسين
المحاصرين وتحصن بمدينة (بسم) .

ولما ضبط آغا محمد كرمان أصدر أمره بتخريبها وقتل من فيها
وتأديبهم وأمر بأن يؤتى اليه من اهلها بأعين عشرين ألفاً ، وأصاب وجنوده
هذه المدينة بفظائع تجل عن الوصف .

ولما رأى حاكم بسم أن لطف على لا يصاحبه أخوه وكان من أتباعه
ظن أن أخاه وقع أسيراً لآغا محمد فصمم على القبض على لطف على لكي
يفتدى أخاه من آغا محمد به . وعلم لطف على بنيته فأراد الفرار لكنه
جرح حين فراره بفعل أتباع حاكم بسم فسلم أسيراً الى خان القاجار .
وبدأ آغا محمد بأن اقتلع بيده عيني هذا الشاب الجميل الرشيد

الزندی ، ثم استولى على الماستى (درياى نور) أو بحر النور و (تاج مساه) أو تاج القمر وكانتا معلقتين على ساعد لطف على وأرسل في ربيع الآخر (١٢٠٩) بهذا الوضع المؤلم الى طهران وابتجه هو الى شیراز ، ثم أصدر أمره من شیراز الى حاكم طهران بقتل لطف على ويبدو أن هذا الأمر تم باغواء حاجى ابراهيم رئيس الشرطة • وبعد انتهاء أمر لطف على وسائر الزنديين ضم آغا محمد حكومة فارس وكرمان ويزد الى بابا خان ولى عهده ونصب حاجى ابراهيم وزيرا له بقلب اعتماد الدولة •

غزو الكرج في (١٢٠٩ - ١٢١٠ هـ) :-

ولما هدأ بال آغا محمد من ناحية جنوب ايران اهتم بشمالها وفكر في أن يدخل طاعته ثانية شروان والكرج اللتين أطاعتا ايران طوال العهد الصفوى وخرجتا عنها في حكم الزنديين • وكان حكم الكرج في هذا الوقت لأركلى جان أو هرقل الثانى وكان في معاهدة منذ (١١٩٧ هـ) مع كاترين الثانية امبراطورة روسيا ، وقد وضع من نفسه وبلاده تحت حمايتها بعد الانتصارات التى صارت من نصيب قواد روسيا في شبه جزيرة كريمة (القرم) وشمال القفقاز •

وفي عام (١٢٠٧ هـ) قام أركلى ليسيتر على كنجة فاقترح آغا محمد في هذا الوقت عليه أن يترك له ايروان وقراباغ وشكى وشروان وحكومة آذربايجان بشرط أن يخرج عن تبعية روسيا ويعلن تبعية الكرج لايران كما كان حالها أيام الصفوية • فرفض أركلى لعجزه أو عدم قبوله التدخل عن حماية روسيا •

وتحرك آغا محمد في ربيع عام (١٢٠٩ هـ) صوب آذربايجان ، وعبر في غرة ذى الحجة من هذا العام جسر (خدا آفرين) على نهر أرس على رأس طريق أردبيل متوجها الى شوشى فحصرها ومعه مستون ألفا وثبت ابراهيم خليل خان جوان شير والى شوشى يقاوم بشدة ، فلما طال ثباته ، ترك آغا محمد بغلة حصار المدينة وهاجم تفليس ، وكان أركلى

خان عجوزا وغافلا معا فلم ير غير الفرار فأنصب آغا محمد وجنوده
المفتصرون في تفليس في السابع والعشرين من صفر (١٢١٠هـ) ونهبوا
المدينة ولم يألوا جهدا في ذبح أهلها وانتهاك حرمتهم وارتكاب الفظائع
الأخرى وكرروا في أفعالهم القبيحة هذه ما فعله السلطان جلال الدين
المنكبرنى بتفليس *

وكان آغا محمد بعد فتحه لتفليس على يقين من أن روسيا سوف
تنهض لحماية أركلى خان فاقترح عليه الصلح ، لكن أركلى رفضه مع
إصرار حاشيته على قبوله ، حتى أتى جنود روسيا إلى القفقاز في أواخر
عام (١٢١٠هـ) لحماية ، وبعد أن استولوا على الدربند وباكو وشكى
وصلوا إلى قرا باغ واستولوا على كنجة أيضا * وكان من حسن حظ
آغا محمد إذ ذاك أن توفيت كاترين الثانية وأمر خليفتها بعودة الجنود
الروس ، وكان آغا محمد في ذلك الوقت أسير السيطرة على خراسان *

ولما انتهى أمر خراسان ، توجه آغا محمد في الربيع أى أواخر عام
(١٢١١هـ) مرة ثانية إلى شوشى لاستعادة البلاد التى استولى عليها
الروس في القفقاز في السنة الماضية لكي يؤدب إبراهيم خليل خان الذى
كان يعلن طاعته حيناً وعصيانه حيناً آخر ، لكنه أصيب بالقتل حين
الحصار كما سنرى بعد قليل *

الاستيلاء على خراسان في (١٢١٥هـ) :-

بعد عودة آغا محمد من سفره الأول إلى القفقاز تحرك متذرعاً بزيارة
مشهد بينما كان ييطن استيلاءه على باقى جواهر نادر التى كانت بحوزة
حفيدة شاه رخ شاه الأعمى ، وكان شاه رخ كما أسلفنا يحكم على
خراسان فيما يشبه السلطان طوال الحكم الزندى بالرغم من كف بصره
ولم يرض الزنديون بالهجوم عليه *

ولما ورد آغا محمد مشهد استقبله شاه رخ شاه وابنه نادر ميرزا
وجماعة من العلماء والأعيان المشهدين فاحتفى بالجميع خان القاجار ،

لكنه بعد قليل أخذ الجواهر النادرية من شاهرخ بحجة أنها تتعلق
بسلطان الوقت . وكان يظن أن شاهرخ لا يزال يحتفظ بجزء منها
ويرفض تسليمها لذلك كان يقوم بتعذيبه في كل يوم تعذيباً خاصاً من بين
ذلك أنه أمر بصب الرصاص المذاب عليه ثم سيره إلى مازندران وكان
عمره ثلاثة وستين عاماً فمات هذا المسكين بعد أن وسعته تلك المصائب
أثناء السفر .

قتل آغا محمد خان في الحادي والعشرين من ذي الحجة (١٢١١هـ)

حينما استولى آغا محمد على إحدى قلاع شوشى وهرب إبراهيم
خليل إلى داغستان صب جام غضبه على ثلاثة من خدم محرمه لأسباب
واهية وتهددتهم بالقتل ، فاتفق الثلاثة سرا على قتله لأنهم كانوا على
علم بطبعه ومن أنه لابد أن ينفذ تهديده فينجون من شرور عذابه .
وبينما كان آغا محمد يغط في نومه وقت السحر ليلة الحادي والعشرين
من ذي الحجة (١٢١١هـ) سقطوا عليه فقتلوه وحملوا تاجه وحزامه
وصندوق الجواهر النفيسة الذي كان يحتفظ به معه إلى صادق خان
الشقاقى من قواده وكان معنى هذه الحركة أنه يجب أن يقوم بالثورة
على القاجاريين وطلب السلطنة .

كان آغا محمد خان الذى استغرقت مدة جلاده من عام (١١٩٣هـ)
حتى (١٢١١هـ) أى نحو ثمانية عشر عاماً ملكاً ذا تدبير ورشادة وشجاعة
لكنه ، ازاء ذلك ، كان يغلب على طبعه الشدة والقسوة وعبادة المال
والحرص الشديد ، وارتكب أفعالا قبيحة تتم عن فكرانه الجميل ، كسوء
فعلته بلطف على وسائر الزنديين مع تلك الرأفة والرحمة التى عامله
بها كريم خان ، واصطدامه المتكرر مع اخوته وقتله أخاه جعفر قلى ،
كل أولئك من الأعمال التى تجعله يقع موضع لوم كل رجل منصف .

سلطنة فتح علي شاه

(١٢١٢ - ١٢٥٠ هـ)

بعد أن أسفر صباح يوم الحادي والعشرين من ذي الحجة (١٢١١ هـ) عن انتشار خبر مقتل آغا محمد في المعسكر ثارت الثورة في الجيش حدا جعل كل واحد يغفل تماما عن دفنه وسلك كل قائد جماعة طريقا ، فقد ارتحل حاجي ابراهيم اعتماد الدولة مثلا الذي كان بالمعسكر الى طهران علي عجل واتجه صادق خان الشقاقى الى آذربايجان وأعلن بها سلطنته .

وبعد أن سمع ولي العهد وهو بابا خان بن حسن قلى خان جهانسوز ابن أخى آغا محمد وكان مقيما يومذاك في شيراز بخبر قتل عمه وافى طهران متعجلا وأتى العاصمة في العشرين من صفر (١٢١٢ هـ) ، وأبسدى اعتماد الدولة كفاءة ممتازة في ابلاغه العاصمة وقبضه على أزمة السلطنة بالرغم من وجود أعداء متعددين للشاه الشاب ولهذا نصب وزيرا .

وأمسك بابا خان الذى توج رسميا يوم عيد الفطر (١٢١٢ هـ) باسم فتح علي شاه في طهران بأحد أعمامه في بداية حكمه وكان يدعى الملك وسلمه ثم خف للقضاء على صادق خان الشقاقى الذى أتى قزوين فهزمه في ربيع الأول بآذربايجان . وبعد قليل عفا عن صادق بعد أن سلم الجواهر السلطانية وولاه حكم سراپ . كما آثر ابراهيم خليل خان الطاعة بدوره . ثم أمر فتح علي بنقل جثمان آغا محمد من شوشى ودفنه بالنجف الأشرف .

الثورات الداخلية :-

لما كان آغا محمد طوال حكمه منصرفا بكليته الى الغزو لم يهتم بإدارة البلاد كبير اهتمام ولم يرعنه عناية بتأسيس بناء يدوم من بعده فما ان مات حتى رفع من كل جانب واحد رأسه بالعصيان بسبب ترلزل بنيان

حكمه الذي أسسه خاصة وأنه قل من كان سعيداً بآغا محمد وبأعماله .
وبمجرد زوال قوته وهيئته حتى تنفست الجسارة والجرأة في أبدان
العصاة ، ونتج عن هذا أن صار فتح على شاه غريئة لشوار كثيرين .
وكان هؤلاء الشوار ضربين ، أعقاب الأسرة الصفوية والأفشارية
والزندية الذين كانوا يفكرون في استعادة السلطة السالفة ، ثم بضعة من
قواد آغا محمد أو قرابته .

وقد ذكرنا انتصار فتح على شاه في بداية دخوله طهران على عمه
على قلى وصادق الشقاقى ونذكر هنا أنه بعد قليل من جلوسه الرسمى
جمع محمد خان الزندى ابن زكى خان حوله جمعا استولى بهم على
أصفهان ، فأرسل فتح على شاه بعجلة بعض خانات القاجار لصدده فغلبوه
والجأوه إلى الفرار وأدخلوا أصفهان مرة أخرى طاعتهم .

وبعد فرار محمد خان عاود صادق خان الشقاقى العصيان
واستقطب بضعة نفر من رؤساء القبائل وكبار آذربايجان لكنه لم يفعل
شيئاً بل انهزم وطلب العفو من فتح على شاه حتى لا يقتل فعفا عنه .

ومدع آخر ثار في (١٢١٣م) هو أخو الشاه حسين قلى خان الثانى
الذى كان والى أصفهان من طرف فتح على ثم ولى فارس بعد ذلك . بدأ
حسين قلى في ثورته على أخيه بأسر أتباع الشاه بفارس وهم الوزير
ورئيس حراس قلعة فارس ورئيس شرطتها (وهو أخى حاجى ابراهيم
اعتماد الدولة) ثم سملهم وهاجم أصفهان فأدخلها طاعته .

وكان فتح على شاه يومئذ بآذربايجان يخطط لمهاجمة شروان
وقراباغ ، فلما علم بثورة أخيه عاد إلى طهران وأتى له أثناء الطريق
بمحمد خان الزندى الذى وقع أسيراً في يد قواده فممل بأمره بالقرب
من تبريز .

ولكى يتهيا حسين قلى للقاء أخيه فتح على أتى إلى فراهان عن
طريق كراز لكن قبل أن تجرى بينهما الحرب تصالح الأخوان بناء على
رغبة أمهما ووساطتها .

وفي نفس عام (١٢١٣هـ) اختار فتح علي بناء عن وصية آغا محمد خان ابنه الرابع عباس ميرزا الذي ولد في ذي الحجة (١٢٠٣هـ) وليا لعهد رسماً وعينه حاكماً لأذربايجان وجعل من سليمان خان اعتضاد الدولة قاجار أخى إحدى نسائه أتابكه ونصب ميرزا عيسى الفراهانى أو (ميرزا بزرگ القائم مقام الأول) وزيراً له .

وأحد من ثاروا على فتح علي نادر ميرزا ولد شاهرخ شاه الأفشارى الذى تمرد فى خراسان . ولما وصل فتح علي الى مشهد ولم يكن نادر ميرزا يقوى على الثبات ولج باب الاعتذار فعفا عنه الشاه وزوج نادر ابنته بأحد أمراء القاجاريين وبهذا زال آخر دعى باق من أسرة الأفشار .

قتل اعتماد الدولة فى (١٢١٥هـ) :-

فى أواخر عام (١٢١٥هـ) ساء ظن فتح علي شاه بجاجى ابراهيم الذى تقلد الأمور نحو أربعة عشر عاماً فى بلاط جعفر خان ولطف على خان وآغا محمد خان وفتح علي شاه بقوة تامة وأقر فى هذه المدة اخوته والمتعلقين به فى حكم الولايات وأعمال الديوان . فمن ناحية خوفت جماعة من أقارب الشاه الشاب هذا الشاه من نفوذ الصدر الأعظم وأتباعه ومن ناحية أخرى بعثت مظالم أتباع هذا الصدر واجحافهم الذى حل بالناس فى الولايات على كثرة شكواهم .

ولكى يقطع الشاه يد تسلط اعتماد الدولة وأشياعه أصدر أوامره بالقبض على الوزير وكافة من يتعلق به فى يوم واحد وقتل بعضهم وسمل آخرون ، وأعمى اعتماد الدولة أيضاً بأمر الشاه مع كفاءته البالغة التى أبدأها إبلاغ فتح علي شاه للسلطة ، ثم قطع لسانه وأرسل بهذا الوضع المزرى الى قزوین فظل بها حتى وفاته .

وبعد عزل اعتماد الدولة عهد فتح علي الى ميرزا محمد شفيع المازندراني بوزارته وكان من المستوفين بالبلاط قبل . وفى عام (١٢١٦)

أى فى بداية وزارة ميرزا شفيح تمرد اثنان من العصاة السابقين هما حسين قلى أخو فتح على الذى كان له يومذاك حكم كاشان ، فهاجم منها أصفهان وسك عملتها باسمه وأعلن نفسه سلطاناً ، فقدم فتح على نفسه لصدده وهرب حسين الى لرستان وقبض عليه أثناء فراره الى العراق وأتى به الى قم عند الشاه . وعفا فتح على عنه لاصرار والدته وأقامه فى قم ، لكنه لم يكن مطمئناً اليه لذلك استدعاه الى طهران بعد قليل وسلمه وأسكنه فى شميران فيها . والثانى هو نادر ميرزا ولد شاهرخ شياه الأفشارى الذى لم يرتدع بوجود أخيه رهينة عند فتح على فعصى فى خراسان وادعى السلطنة أواخر عام (١٢١٦ هـ) فى مشهد ثانية .

وفى المحرم (١٢١٧ هـ) ترك فتح على طهران الى مشهد لاستئصاله وحاصرها فى التاسع من ربيع الأول ، فلما طال الحصار وفشا القحط بالمدينة طلب كبارها الى الشاه التخلّى عن حصارها على أن يقبض أهلها على نادر ميرزا ويسلموه اليه . وترك فتح على اتمام أمر مشهد الى أحد قادته وانصرف هو الى طهران . وتمكن جنود الشاه أخيراً فى الليلة الأولى من رمضان (١٢١٨ هـ) من مشهد وهرب نادر ميرزا لكنه سقط سريعاً أسيراً فأرسل الى طهران وقتل فيها وسمل أولاده وأتباعه أو نفوا الى مازندران .

علاقة ايران بالهند وأفغانستان : —

دخلت ايران أيام سلطنة فتح على شاه طوعاً أو كرها فى السياسة الدولية بسبب اشتداد التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية واتساع نطاقه الى حدود ايران ، وصار للعلاقات الايرانية ببعض دول أوروبا أهمية خاصة .

ففى العام الثانى لسلطنة فتح على شاه أى فى (١٢١٣ هـ) فكر أمير أفغانستان زمان شاه (١٢٠٧ — ١٢١٦) حفيد أحمد خان الدراني الذى

كان على علاقة مودة دائمة مع شاه ايران أن يهاجم من كابل السهند والبنجاب ويقا تل قبائل المهرطة القوية التي كانت حائلا في الهند المركزية وشمال الدكن دون تقدم سياسة الانجليز وكانت في حرب مع حاكم الهند اللورد ولسلى (Lord Wellesely) أخى ولنجتون القائد الانجليزى الأشهر ، وأطلع اللورد ولسلى على مقصده هذا • وكان اللورد اذ ذاك نهب ضائفة أخرى في الهند اذ أن تيبو صاحب سلطان ميسور قد قام ضد قوة الانجليز ودخل في حرب شجاعة مع جنود ولسلى •

وكان ولسلى يخشى قدرة زمان شاه واستيلاء الأفغان على الهند ولهذا رفض اقتراحه ولكى يمنعه من تنفيذ فكرته فكر في تحريض فتح على شاه عليه ، لهذا أنفذ في عام (١٢١٤ هـ) مهدي على خان ممثل شركة الانجليز التجارية والمقيم ببوشهر الى بلاط ايران ، وأرسل تيمور صاحب بدوره سفيرا الى فتح على لأنه كان يميل الى صداقة ايران ضد الانجليز ، ولكن لحسن حظ ولسلى أن تيبو لقي حتفه في تلك الأيام في في احدى الحروب فقوت بلابل الانجليز من ناحية هذا الغريم القوى •

وكانت مهمة مهدي على أن يحرض ايران بدون اجبارها على دخول حرب مع زمان شاه على توليد مشقات لأمير كابل حتى لا يستطيع الإقدام على غزو الهند مطمئن البال • وأرسل زمان شاه الواقع في مثل هذا الخطر رسولا الى فتح على يطلب اليه عن سفاهة رأى أن يخلى له خراسان لتضم لأفغانستان • فغضب فتح على لهذه الجراءة وأرسل اليه يقول ان جنود ايران سوف يسيطرون على كل أفغانستان قريبا قريبا ويصلون بحدود ايران ايران الشرقية الى نفس حدودها أيام الصفويين •

وأصبحت هذه الحادثة لصالح الانجليز التام ووفق مهدي على بانفاق الأموال الباهظة في بلاط طهران أن يجعل خطة ولسلى عملية وأن يشعل نار الحرب بين ايران وأفغانستان • فضلا عن أن الفرصة قد سحت للانجليز من هذا الوقت لاقامة سفير لهم في طهران لأن ايران لم

تسمح لهم حتى ذاك الوقت بتعيين ممثل لهم فيها •

وبعد دخول مهدي على طهران بعثت ايران بسفير أيضا هو حاجي خليل خان القزويني الى الهند فأقام في بمباي ، وفي نزاع اشتعل في (١٢١٩ هـ) بين الحراس الهنود والاييرانيين خرقتيلا ، فكتب ولسلي الى فتح علي رسالة يعترز فيها عن هذه الحادثة ، فنصب الشاه ابن أخت حاجي خليل خان مكان خاله في سفارة ايران بالهند ولم يقطع علاقة المودة مع حكومة الهند •

أما فيما يختص أفغانستان ، فقد أحل فتح علي بعد عقد معاهدة مع حكومة الهند أخوي زمان شاه محمود! وفيروزا على رغم أنه محال الاحترام وكانا لجئا الى ايران خوفا من أخيهما فأفاد بهما في توليد ضيق لزمان شاه بمعنى أن شاه ايران أمد محمود! بجنود فأخرج في (١٢١٦ هـ) قندهار وكابل عن أخيه وقبض عليه وأعماه وصار أميرا لأفغانستان •

وفي الفترة التي كان الانجليز في الهند نهب أتباع تيبو صاحب والمهرطة من ناحية وكانوا في خوف من استيلاء الأفغان على شمال غرب الهند من ناحية أخرى ، لآح لهم خطر عظيم ثالث في آسيا صار سبب اضطراب فكرهم ، بمعنى أن نابليون بونابرت بعد أن رأى أنه ليس الئد للانجليز في أوربا وأنه عاجز عن انزال جنوده بجزر بريطانيا الكبرى عطف اهتمامه الى الهند وحدودها الغربية وكانت خطته أن يهاجم الهند واستجلاب مساعدة العثمانيين وايران عن طريق هذين البلدين وباستيلائه على هذا البلد الغنى الذي كان في ذلك الوقت منبع عظمة انجلترا وتجارته وصناعتها يقضى على بريطانيا •

وبدا نابليون بتحريض وعون تيبو صاحب في ميسور لكنه اذ لم يستطع معارنته بالمقدر المطلوب وقتل تيبو كذلك لم يحصل على فائدة عن هذا الطريق لهذا أقدم أولا على تكوين صداقة مع الدولة العثمانية ثم توجه بعد ذلك الى ايران •

وفي المدة التي كان بونابرت منشغلا بالحروب مع الانجليز وحلفائهم في أوروبا والبحر المتوسط كما سنرى قريبا بدأ الدور الأول من حروب ايران وروسيا عام (١٢١٨ هـ) الموافق (١٨٠٤ م) وصارت ايران بدون صديق أو معين يمكنه مساعدتها في صراعها مع احدى كبريات دول أوروبا فريسة لسلسلة من الحروب المشؤومة .

وقد القمى فتح على بعد شروع حروب الروس وايران توسط مبعوث الانجليز في بغداد أولا لاستجلاب عونهم وكان هذا وقت أن قدم مبعوثون الى ايران من جانب نابليون بونابرت يقترحون على الشاه عقد حلف ضد روسيا .

وكان فتح على على جهل تام بأحوال فرنسا ونابليون فحاز اثناء حصاره لايروان من خليفة الأرمن بها معلومات عن فرنسا ونابليون وعمل على افتتاح علاقات المودة بفرنسا بارسال رسالة الى سفيرها في استانبول .

ولم يكن يدور في خلد نابليون وقتذاك غير استئصال الانجليز عن طريق مهاجمة الهند ففكر في مهاجمتها عن طريق ايران بجلب صداقة فتح على ، فسير لتنفيذ نيته أحد كتابه وهو جوبرت (Jaubert) الى ايران قبل أن تصله رسالة الشاه ، الا أن جوبرت عطله عمال الدولة العثمانية ، فوصل طهران الرسول الثانى لنابليون وهو « روميو » (Romieu) في اكتوبر (١٨٠٥ هـ) (رجب ١٢٢٠ هـ) وأبلغ رسالة نابليون ومفادها الدعوة الى الصداقة والتحالف مع ايران ، لكنه مات بعد فترة متتابع مأموريته جوبرت الذي نجا وقتئذ من العثمانيين وبلغ طهران .

ومرض جوبرت في طهران وخوفا من أن يلقي نفس مصير روميو أذن له فتح على سريعا في الرحيل . وبعد ذاك سير الشاه ميرزا رضا خان القزويني حاكم قزوین سفيرا الى معسكر نابليون وكان بفينكنشتاين

في بولندا (Fin Kenstein) لكي يعقد بين الدولتين معاهدة بناء
على مقترحات نابليون •

وعقد ميرزا رضا خان عن فتح علي شاه في الخامس والعشرين من
صفر (١٢٢٢هـ) في فينكنشتاين معاهدة مع نابليون شملت ست عشرة مادة
تعهد نابليون بموجب هذه المعاهدة بأن يسعى الى استرجاع الكرج الى
ايران واجبار روسيا على تخليتها وارسال الأسلحة والمدافع والبنادق
والمهندسين والمعلمين لاصلاح الجيش الايراني وتقويته وقبلت اراء ذلك
ايران أن تحالف فرنسا في حربها ضد الانجليز وروسيا وأن تعلن فوراً
الحرب على انجلترا وأن تحرص رعاياها الأفغان على مهاجمة الهندو أن
يسمح للشاه لنابليون بعبور ايران اذا أراد غزو الهند عن طريقها ويضع
موانئ الخليج الفارسي وسواحلها تحت اختيار البحرية الفرنسية اذا
اقتضى الأمر •

وأرسل الانجليز ستة مبعوثين عن شركة الهند الشرقية التجارية
برئاسة جون ملكم (John Malcolm) الى ايران قبل عقد معاهدة
فينكنشتاين لأنهم كانوا يرقبون خطوات نابليون من بداية توجهه الى
الشرق • ونجح جون ملكم وكان ماهراً ذكياً في عقد معاهدة تجارية
وسياسية مع ايران بازجاء هدايا قيمة الى فتح علي شاه والرثساوي
الجزيلة لرجال البلاد ، وتعهد فتح علي أن لا يصالح زمان شاه مادام
لم يرفع يد التعدي عن الهند الانجليزية وأن لا يسمح الفرنسيين بدخول
ايران ، ويمد الانجليز مقابل ذلك ايران بالأسلحة في حالة وقوعها تحت
تهديد الروس أو الأفغان •

والسبب الأساسي لاهتمام الشاه بفرنسا مع وجود معاهدته مع
الانجليز هو عدم مساعدة الانجليز ، كما سبق الشرح ، لايران في حربها
مع روسيا لأن الانجليز كانوا يقاتلون في هذا الوقت مع الروس في حلف
واحد ضد نابليون في أوروبا وكانت مساعدتهم لايران خطرة تخالف صالح
حلفائهم الروس •

وبعد عقد معاهدة فينكنشتاين قدم بأمر نابليون الى ايران الجنرال جاردان (Gardanne) بعدد من المهندسين والخبراء العسكريين والعلمين فقاموا بنصب المدافع في أصفهان وتعليم الجنود الإيرانيين ورسم الخرائط وتمهيد الطرق ، فنشأت ردود فعل لهذا الأمر في ايران مدة من الوقت ، وكان فتح على يأمل بكل سذاجة في أنه سوف يلحق الهزيمة بالروس في نهاية الأمر بعون الفرنسيين وينجح في الاستيلاء على الكرج .

ولكى يحطم الانجليز خطة نابليون ويرجعوا فتح على عن تحالفه معه أرسلوا ثمانية بملكلم في صيف عام (١٨٠٨ هـ) (١٢٢٣ هـ) بابهة وجلال تامين الى بوشهر ، فامتنع الشاه عن استقباله بطهران وأرسل اليه أن يتحدث الى حاكم فارس بشأن طلباته .

وتلقى ملكلم هذا الأمر احتقارا لشأنه فاضطر الى الرجوع الى الهند وحث حاكم الهند ردا على ذلك على الاستيلاء على جزيرة خرج ومهاجمة سواحل ايران ، لكن في ذلك الوقت خطر الأفغان على الهند قد زال وخان نابليون ايران وصالح روسيا بدون علم الشاه واستدعى هيئة الموظفين الفرنسيين من ايران لذا رأى الانجليز خلافا لذلك أن الصالح لهم في تجديد علاقتهم الودية بفتح على فتقدموا بالصالح والتصافي .

وفي عام ١٨٠٧ (١٢٢٢ هـ) التقى الكساندر الأول امبراطور روسيا بعد هزائمه في أوروبا على يد نابليون به في مدينة تيلسيت (Tilsit)

من بلاد بروسيا الشرقية وتحالف الامبراطور ان ضد انجلترا ولم يذكر نابليون شيئا عن ايران ومشكلة الكرج بالرغم من وجود معاهدة فينكنشتاين ، وتخلي عن حليفه السابق فتح على شاه الذي ادخله في اتحاد معه بكل نفاق وتملق فيما سبق وتركه وحيدا أمام روسيا ، بل انه اصر على تصالح ايران روسيا مع قبول شروطها من أجل صالح فرنسا .

وبعد أن علم فتح على بمعاهدة تيلسيت أرسل الى نابليون عن

طريق سفير ايران عسكر خان أفشار رسائل عدة يذكره فيها بتعهداته التي قطعها على نفسه ، فلم يسمع منه غير اجابات واهية مما جعله يميل الى تجديد صداقته مع الانجليز .

وفي خريف عام (١٨٠٨م / ١٢٢٣هـ) قصد ممثل الانجليز في البصرة السير هارفورد جونز (Sir Harford Jones) من طرف بلاط لندن الى ايران فلما بلغ شيراز غادر جاردان طهران لجىء السفير الانجليز وكان لا يزال بايران ويسعى الى عقد صلح بين روسيا وايران ، فانقطعت بهذا العلاقات بين فرنسا وايران .

وفي الثالث من المحرم (١٢٢٤هـ) استقبل فتح علي هارفورد جونز وقدم اليه الأخير قطعة من الألباس القيم هدية من جورج الثالث ملك انجلترا ثم ذهب الى معسكر عباس ميرزا وتوسط في عقد معاهدة بين ايران وانجلترا . وتعهدت انجلترا بموجب هذه المعاهدة أن تمنح ايران سنويا مائة الف ليرة بين الحرب وبين روسيا مشتتة مائة وعشرين ألف ليرة انجليزية وأن تتحد البلدان ضد روسيا .

ولما أن هارفورد قد أتى ايران مبعوثا عن ملك انجلترا وليس من طرف شركة الهند الشرقية والحاكم العام للهند ، لهذا لم يذكر خيرا عن حاكم الهند والشركة الشرقية ، فاستاء حاكم الهند وبرز عداؤه بينه وبين هذا المبعوث . وقرر في النهاية أن يؤمر هارفورد بحفظ العلاقات السياسية في بلاط ايران وان يأتي جون ملكم لعقده معاهدة تجارية وانهاء المفاوضات التي بدأها هارفورد في هذا الشأن . فأتى السير جون ملكم في نفس هذا العام (١٢٢٤هـ / ١٨١٠م) لثالث مرة ومعه عدد من الخبراء العسكريين ، وكان من ضمن هؤلاء العسكريين ليند سساي (Lindsay) كانت قامته تريد عن المترين فلقبه الايرانيون لهذا برستم ، وبوتينجر (Pottinger) وكريستي (Christie)

فقد مهم ملكم الى عباس وانخرطت هذه الجماعة في اصلاح أمر الجيش

الاييراني والحرب في عداد جنود عباس ميرزا ، ورقى ليندساي الى منصب قيادة الجيش .

وبعد مجيء هارفورد بعث فتح على شاه ابن أخت اعتماد الدولة حاجي ابراهيم وهو ميرزا أبو الحسن خان الايلتشي يصحبه جيمس موريه (James Morrier) سكرتير السفير الانجليزى الى لندن لكي ينفذ ما توجبه البروتوكولات السياسية كما يطمئن على وعد السفير الانجليزى باعطاء ايران مائة وعشرين ألف ليرة سنويا .

ولا يخلو شرح سفر ميرزا أبى الحسن خان الايلتشي ومسلكه المضحك وما بدر منه من نوادر أثناء سفره من العجائب والمضحكات ، وقد حث هذا جيمس موريه على تأليف رواية باسم (حاجى بابا) ، ومع أن هذا الكتاب ألف بعدوبة شديدة غير أنه عامة لم يخل من الأغراض والتغريض (١) .

(١) كان أول ظهور رواية (مغامرات حاجى بابا اصفهاني :

(The adventure of Haji Baba of Isphan)

بالانجليزية عام ١٢٣٩ هـ / ١٨٢٤ م تأليف جيمس موريه (J. Morrier) السكرتير الاول للسفارة البريطانية في عهد فتح على . وكان المؤلف غرنسى الأصل تجنس بالجنسية الانجليزية وولد بأزمير فتعرف الى التقاليد الشرقية وتعلم التركية والفارسية والحقه أبوه فنصل انطلقوا باستانبول بوزارة الخارجية البريطانية غاتى ايران عام ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م سكرتيرا أولا للسفارة البريطانية . وقد وقف موريه خلال اقامته بايران على طبائع الفرس وتقاليدهم من خلال علاقاته بكبار رجال الدولة فانتقدهم وأبرز الجوانب السيئة في عاداتهم . وتضاربت الآراء حين نشرت هذه الرواية بسبب ما رسمه المؤلف الاجنبى للشخصية الايرانية ووصفه دقائق حياتهم ، كما دار الجدل حول ما اذا كان حاجى بابا بطل الرواية شخصية حقيقية أم بطلا خياليا من ابتداء المؤلف ، وهل كتب موريه الرواية بنفسه أم عاونه بعض أصدقائه الايرانيين . وكما ثار الجدل حول البطل والمؤلف ثار أيضا حول ترجمة الرواية للفارسية فحين يكون المترجم أهو الشيخ أحمد روحى كرماني المعارض لناصر الدين شاه أم هو ميرزا حبيب الاصفهاني الكاتب المعروف اذ ذاك وقد اخرج ((فيلوت) (Phillott) هذه الترجمة الفارسية وعليها اسم روحى كرماني عام (١٩٢٤) طبع كلكتا . وقد سلطت الرواية الضوء على الفساد الذى انتشر في ايران عهد القاجاريين وأبرزت المساوىء

وفي سنة عودة حاجي ميرزا أبي الحسن خان الايلتشي الى طهران
أتى (١٢٢٥ / ١٨١١) أرسلت إنجلترا السير جور أوزلي
(Sir Gore Ouseley) لعقد معاهدة جديدة مع إيران فدخل هذا
المبعوث الجديد في مفاوضات مع البلاط منطلقاً من الأساس الذي وضعه
هارفورد جونز وملككم لعقد معاهدة حاسمة ، واستمرت هذه المفاوضات
ثلاثة أعوام .

وفي النهاية عام (١٢٢٨ هـ) عقد السير جود أوزلي معاهدة مع إيران
وذهب الى لندن بصورة منها ، وأتى بها في السنة التالية جيمس موريه
مؤلف كتاب (حاجي بابا) ومعه السفير الجديد الانجليزي وهو
(اليس) (Ellis) بعد الموافقة عليها لكي يوقع الشاه عليها
أيضاً ، فوقع عليها في ذي الحجة (١٢٢٩ هـ) وهي من أكثر المعاهدات
سوءاً لإيران .

تعهدت إيران وفق هذه المعاهدة بإلغاء كافة المعاهدات والقرارات
التي عقدتها مع الدول الأوروبية المعادية لانجلترا وألا تسمح للدول
التي في حرب مع انجلترا بأن يعبر جنودها أرض إيران الى الهند ويحث
كذلك عمال إيران بمنع عبور جيش عدو انجلترا من خوارزم وبلاد القنار
وبخارى وسمرقند وغيرهما . وقبلت انجلترا أن تسعى لازالة الخلاف
بين إيران والدول الأوروبية اذا وقع عدا بينهما وأن لم ينته الأمر
بالسلام فاما أن يمد إيران من الهند بعون عسكري أو تساعد طوال مدة

الاخلاقية والاجتماعية من استبداد ورشوة وجهل وتعلق وكان مترجمها كان
يوجهها الى المستنيرين الايرانيين المشوقين الى تبديل الأوضاع الفاسدة .
واضفى المترجم على الترجمة مسحة محلية ايرانية غببت وكأنها عمل اصلي
متميز مما أعد الاذهان الى الثورة التي تحققت اواخر حكم ناصر الدين
شاه كما سيلي . للتفضيل انظر رسالة الماجستير للزميل الأستاذ عبد
عبد الوهاب ملوب بمكتبة جامعة القاهرة : التيار القومي في النثر الفارسي من
منتصف القرن التاسع عشر حتى الثورة الدستورية ص ١٢٢ وما بعدها .

الحرب بمائتي ألف تومان سنويا (مائة وخمسين ألف ليرة) • وإذا حدث خلاف بين ايران وأفغانستان تتعهد انجلترا بالخيار وإذا هاجم أمير أفغانستان الهند يجب على ايران أن تثنى الحرب عليه •

وقد وقع هذه المعاهدة من جانب انجلترا جيمس موريه وعن ايران ميرزا محمد شفيع الصدر الأعظم المازندراني وميرزا بزرگ القائم مقام الأول الوزير عباس ميرزا وميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة نشساط الاصفهاني منشيء ممالك فتح على شاه •

وقد وضعت معاهدة عام (١٢٢٩ هـ) وهي إحدى أسوأ معاهدات تاريخ ايران هذا البلد من ناحية العلاقات السياسية تحت رقابة انجلترا تماما ، ومع توقيعها سلمت ايران استقلالها السياسي للانجليز في حقيقة الأمر •

الدور الأول لحروب روسيا وايران

(١٢١٩ - ١٢٢٨ هـ)

الحاق الكرج بروسيا في عام (١٢١٥ هـ) :

مات هرقل ملك الكرج العجوز بعد قتل آغا محمد خان في شوشي بستة شهور وخلفه ابنه جورجى الثانى عشر (جرجين خان) ملكا ولكى يأمن جانب أعدائه وضع نفسه تماما تحت تبعية روسيا وعقد معها بهذا الصدد ، وفشل فتح على شاه رغم محاولاته الدائبة أن يحول دون جورجى وهذه المعاهدة أو أن يجعله تحت حماية ايران •

وثار اخوه جورجى عليه لقصر يده عن السلطة فهيات هذه الفرصة ذريعة للروس ، فقدم جنودهم الى تفليس لحماية جورجى وهزموا أعداءه • ومات جورجى في شعبان (١٢١٥ هـ) وأعلن الروس رسميا بعد موته بشهرين ضم الكرج الى روسيا وأخذوا يديرونها تحت اشرافهم

وواروا اخوة جورجى ، ولم يكف منهم أرشدهم وهو ألكساندر عن قتالهم وبعد أن رأى انه لن يستطيع غلبة حاكم القفقاز الروسى الجديد أى (سيسيانوف (Tzitzianov) — الذى قدم الى تفليس فى ذى القعدة (١٢١٧ هـ) — استنجد وأتباعه بفتح على شاه .

وهم سيسيانوف المشهور عند عامة ايران بلقب (اشبخدر) (١) بالاستيلاء على كنجة وشوشى أوائل عام (١٢١٨ هـ) ، ونجح فى شوال نفس العام فى السيطرة على كنجة مع استئصال حاكمها الايرانى فى الدفاع عنها بسبب خيانة الأرمن ، وبعد فتحها ، أدخل طاعته بالتهديد حكام ايرران وقرا باغ بعد أن يأسوا من مساعدة فتح على وانقطعت عنهم المقررات الديوانية لفترات ، وبهذا دخل تحت تبعية روسيا حتى حدود أرس ، وكان هذا العمل بمثابة البداية الرسمية للحرب بين ايران وروسيا .

حرب اتشميازين فى (١٢١٩ هـ) :

ولما بلغت أنباء الاستيلاء على كنجة واستسلام ايرران وقسرا باغ مسامع فتح على أمر هذا الشاه عباس ميرزا ومعه ميرزا شفيع الصدر الأعظم بصد الروس واستعادة قلعة ايرران . وتحرك عباس ميرزا صوب ايرران بعد تنظيم صفوف جيش آذربايجان لتأديب محمد خان قاجار حاكم ايرران لاستسلامه لسييسيانوف ، فأسرع الأخير لعون محمد خان بجيشه الى حوالى اتشميازين مركز خليفة أرمن ايرران فصب نيرانه على جيش عباس ميرزا لمدة أيام ثلاثة ، لكنه لم يتغلب عليهم فتحاشى الحرب المباشرة معهم وتحرك الى قلعة ايرران . ولما رأى محمد خان تفساده سيسيانوف الحرب مع عباس ميرزا لم يمكنه من ايرران وطلب العفو من ولى عهد ايران فعفا عنه عباس ميرزا .

(١) هذه الكلمة تحريف للكلمة (Inspector) (سياقى) وهى كلمة انجليزية بمعنى المراقب والمفتش ..

وقرر سيسيانوف أخيرا مباغته الجيش الايراني بالهجوم فيشيع به الاضطراب بالحملة المفاجئة ، فباغت لهذا في صباح السادس من ربيع الثاني (١٢١٩ هـ) في اتشميزين جيش عباس ميرزا فتفرق الجنود الايرانيون عن هذا المكان بددا .

وبعد هذا النصر الأولي الذي كان من نصيب سيسيانوف أرسل فتح على امدادات كثيرة الى عباس ميرزا وقدم هو نفسه الى آذربايجان لتعريض الجيش الإيراني ، فتجمعت لسييسيانوف من كل جانب بمجىء الأمداد الجديدة وبوجود عباس ميرزا أسباب المشقة فقطع طريق اتصاله بتفليس ، ولما فشل في السيطرة على ايروان وحجزه محمد خان موافقا عباس ميرزا اضطر الى الانسحاب الى تفليس وانتهت حرب اتشميزين بنصر ايران . وترك فتح على ايروان لمحمد خان كما كانت وعاد مع نائب السلطنة الى طهران في رجب (١٢١٩ هـ) .

قتل سيسيانوف في (١٢٢٠ هـ) :

ولما قنط سيسيانوف من تقدمه صوب آذربايجان فكر في مهاجمة سواحل جيلان فان استطاع ذلك سيطر على طهران عن طريقها ودفنم ايران الى قبول الشروط الروسية . وأثناء هذه الأحوال وصل فتح على أنباء تسليم ابراهيم خليل جوان شير حاكم شوشى وقرأ باغ — ولم يكن على صفاء قط مع ايران في أى وقت — لسييسيانوف تسليما كاملا وبتسليمه دخلت هاتان الولاياتان طاعة روسيا ، فبعث الشاه بنائب السلطة باصرار منه الى آذربايجان يرافقه ميرزا بزرگ القسائم مقام وأحال اليه تأديب ابراهيم خليل خان وعند وصول عباس ميرزا الى جسر (خدا آفرين) على نهر أرس وهو طريق اتصال اردبيل بشوشى لاذ ابراهيم خليل بالفرار لعدم تحمله المقاومة واستمد سيسيانوف فأرسل اليه بعض الجنود وتحرك هو الى جيلان بقصد الاستيلاء عليها .

وبسبب أن جيلان في ذاك الوقت لم تكن ميناء ولا مرسى صالحا ،

ولم يكن بمقدور السفن الكبيرة أن تتقدم حتى ساحلها ، صار سيديانوف
فريسة المثقات البالغة في انزال جيشه بانزلى وبيره زار ، وبعد أن أنزل
بعضهم اليابسة مع تحمله كل هذه الصعوبات الكبيرة أنزل أهل جيلان
المختبئون بالأدغال والمروج بهم الأضرار ، فأجبر سيديانوف بعد خسارة
وتلف لا حد لهما على أن يتخلى عن جزء من تموين الجيش ولوازمه
ويخلى جيلان .

وبعد عودة سيديانوف من جيلان ويأسه من إيروان قرر أن يهاجم
إيران هذه المرة من ناحية موغان وشاطيء بحر الخزر ، فوصل عباس
ميرزا على عجل الى كنجة فأدخلها طاعته وكان سيديانوف قد عزم
الاستيلاء عليها بناء على دعوة الأرمن بها ، وتوجه عباس لفتح شوشى
والقضاء على ابراهيم خليل وأمر جنوده بقصد باكو وطالش وشروان .

واستمد حاكم باكو حسين قلى خان عباس ميرزا وكان حسين
يصد هجوم الروس على هذه المدينة بشجاعة ، وفي هذه الأثناء وصل
سيديانوف ، بعد أن هزمه جيش إيران من كل طرف فضاف أن يحصر ،
الى باكو لعله يخدع حسين قلى ويدخله حلفه ، فتظاهر حسين بالموافقة
وطلب هذا الروسى الى قلعة باكو لكى يسلمها له ، وحينما كان فى تفاوض
معه أطلق ابن عم حسين قلى النار على هذا القائد الروسى فأرداه
صريعا ونهض أهل باكو يهاجمون جيشه وينهبونه ، وهربت بقيته بعضها
عن طريق اليابسة وأخرى عن طريق البحر ودخل كل ما وراء القفقاز
ثانية حتى حدود شاطيء كورا تحت أمر إيران .

حرب خانقشين فى (١٢٢٢هـ) :-

وبعد هلكة سيديانوف تأهب ابراهيم خليل بدعوة ابنته التى كانت
فى عصمة فتح على شاه وابنه الذى كان يعمل فى جيش نائب السلطنة
لكى يطالب عفو الأخير وأطلع أمراءه على قراره هذا ، فعفا عنه عباس
ميرزا وتحرك بنفسه الى شوشى لكى يخلص نفسه من شرور هجمات

الروس بها ، لكن قبل أن يبلغ ولى العهد شوشى سبق اعلام القائد
الروسى لها عن طريق حفيد ابراهيم خليل بتحركه ، فهاجمه ليلا وقتله
وواحدا وثلاثين من قرابته * وواجه عباس ميرزا قسوات الروس فى
(خانشين) احدى مجال قراباغ فهزم هزيمة شديدة ، وبعد وصول
امدادات للروس من تفليس تغلب عليهم أيضا وأسفر ذلك عن طاعة
شوشى وشروان أيضا لأمر نائب السلطنة .

حرب أصلاندوز فى (١٢٢٨هـ) :-

بعد مقتل سيسيانوف أنيطت القيادة العامة للجيش الروسى
بالقفقار بكودوفيتش (Goudowitch) ، ففكر القائد الجديد فى
الدخول فى مفاوضات صلح مع عباس ميرزا ، وكان «ذا وقت أن قدم
المبعوثون الفرنسيون الى طهران ، وسعى جاردان لى يجعل خطط
نابليون عملية فى أن يكون واسطة الصلح بين ايران وروسيا .

ولم تؤثر مساعى جاردان فى الصلح لأن كودوفيتش لم يكن ينتوى
غير خداع عباس ميرزا ، وهاجم مرة ايروان فى عام (١٢٢٣هـ) مباغتة لكنه
لقى الهزيمة فعاد مهزوما الى تفليس . وتقدم نائب السلطنة لتأديب
كودوفيتش من تبريز بنفسه الى نخجوان وهزم فى هذه المدينة وايروان
وبحيرة كوكتشه الجنود الروس مرارا ، ومن أهم معارك هذه الأيام
المعركة التى دارت رحاها بين حسين خان فاجار فى (١٢٢٥هـ) قائد
ايروان والروس وانتصر حسين خان انتصارا مبينا وأسر جماعة كبيرة
من الجنود الروس وأرسلهم الى طهران .

وفى نفس الآونة التى كانت الحرب مشتعلة كما سبق الشرح بين
ايران والروس غادر جاردان وصحبه الفرنسيون ايران وأتاها الاسيرجون
ملكهم فى سفره الثالث ، وعمل كريس - تى وليندساي من بين الخبراء
العسكريين الذين كانوا بخدمته على اسلاح مدفعية عباس ميرزا ، فنظم
وأعد نائب السلطنة بمعونهم جيشه ومدفعيته من (١٢٢٥هـ) حتى (١٢٢٨هـ)

وأرسل الروس خلال هذه الفترة مبعوثين لأكثر من مرة لعقد صلح الى
ولى العهد ، لكن المفاوضات لم تسفر عن نتيجة بسبب اصرار الروس على
الاحتفاظ بالولايات التي استولوا عليها حتى ذلك الوقت ورغبتهم عبور
أرض ايران لمهاجمة العثمانيين .

وبعد زيارة السير أوزلى طهران مع أن كل أمل ايران كان في
مساعدة الانجليز الا أن السفير الجديد الانجليزى سعى خلافا للسابق
بسبب الاتفاق الذى حدث حين وصوله ايران بين الروس والانجليز في
أوروبا في أن يتوسط في الصلح بين ايران وروسيا وأمر الموظفين الانجليز
في جيش عباس ميرزا أن يمتنعوا عن قتال روسيا ، لكن عباس ميرزا لما
أصر بشدة قبل أوزلى أخيرا أن يستمر كريستى وليندساي وثلاثة عشر
من العسكريين الأقل رتبة في عملهم مع ولى عهد ايران بمحض ارادتهم
دون أن يتحمل مسئولية أعمالهم .

وكان جيش ايران مقيما بأمر ولى العهد في أصلاندوز على شاطئ
نهر أرس ، وهاجم الروس مباغتة جيش عباس ميرزا وكان وقتها قد
انفصل عنه للصيد . وعلى اثر هذا الهجوم المباغت انفرط عقد انتظام
الجيش ، فلما بلغ الخبر عباس ميرزا قرر التقهقر لشدة خوفه الا أن
كريستى قائد جزء من سلاح المشاة وكان على علم بقلة عدد الروس منعه
من هذا القرار ، كما صب ليندساي بمدفعيته وابل نيرانه على المهاجمين
الروس فمنع تقدمهم . وفي الاجتماع الذى عقده عباس ميرزا لتحديد
قرار الحرب مع قواده العسكريين والمدنيين ، ظهر فيهم اختلاف في الآراء
الى حد أنه استحال اختيار أى قرار ولم يكن ولى العهد نفسه قادرا
على أن يحسم شيئا ، ولهذا حينما بادر الروس في اليوم التالى بالهجوم ،
بلغ الهرج والمرج ذروته في الجيش الى حد أن جماعة منهم أخذت تتبادل
النيران خطأ مع اخوانها ، وأصيب كريستى الذى كان يقاوم بشجاعة
فائقة ثم قتل ، وانسحب عباس ميرزا ومن بقى من القتل من جيشه الى
تبريز . وهاجم القائد الروسى في حرب أصلاندوز بعد هذا النصر ميناء

لنكران وسيطر عليه ، ف وقعت آذربايجان تحت التهديد الروسى من
ناحيتين •

وكان فتح على شاه يتأهب للتحرك الى آذربايجان والقيام بخطوة
حربية جديدة مع روسيا لولا أن ثورة التركمان فى خراسان صرفته عن
عزمه ، فأرسل يطلب الصلح حاجى ميرزا أبا الحسن خان الايلتشى الى
سان بطر سبرج وتوسط السير أوزلى أيضا فغادر طهران الى تفليس
والعاصمة الروسية •

وسرت روسيا بقدوم السفير الايرانى وطلبه الصلح كثيرا لأنها فى
هذا الوقت كانت فريسة صراعها مع نابليون بونابرت ، وسيرت لعقد هذا
الصلح الجنرال يرمولوف (Iermoloff) الى طهران •

معاهدة كلستان فى التاسع والعشرين من شوال (١٢٢٨ هـ) : —

وقعت المعاهدة التى انتهت الدور الأول لحروب ايران وروسيا فى
قرية كلستان من أعمال قراباغ بتوسط من السير جور أوزلى وبتمثيل
حاجى ميرزا أبى الحسن خان من طرف ايران وهى بفصولها الأحد عشر
من أسوأ المعاهدات التى أبرمت فى تاريخ ايران الحديث بل أنها ولدت
أسبابا لشقاء عظيم لمستقبل ايران بسبب أنها أول معاهدة مضرة عقدها
أولياء أمور ايران وقد بلغ بهم الجهل مبلغه مع دولة أوربية ولم يدركوا
أنهم استسلموا لقبول كل مطالب هذه الدولة فى وقت كانت فيه فريسة
أكبر المصائب فى أوربا •

فقد قبلت ايران وفق هذه المعاهدة أن تكون جميع الولايات التى
استولى عليها الروس حتى ذاك الوقت ملكا لهم ، وبهذا انضمت بلاد
الكرج والولايات الساحلية على البحر الأسود وبانكو والدر بند وشروان
وقراباغ وشكى وكنجة وموغان والجزء الأعلى من طالش الى روسيا فضلا
عن أن حق الملاحة فى بحر الخزر قد سلب من ايران • وفى لقاء هذا كله

تعهدت روسيا أن تعترف رسمياً نيابة السلطنة لعباس ميرزا وتتعهد بإبلاغه السلطة .

وقد بلغت هزيمة أصلاندوز وعقد معاهدة كلستان والثورات التي شبت بايران في هذه الفترة بضعف الدولة ذروة درجته ، وتبجح هذه الأوضاع طرح السير أوزلى معاهدة سيئة أخرى أشرنا اليها سابقا بين ايران وانجلترا وقعها في السنة التالية أى في (١٢٢٩هـ) فتح على شاه بسعى سفير انجلترا الجديد « أليس » فجعلت هذه المعاهدة من ايران العوبة في يد بلاط لندن من الناحية السياسية .

ثورات خراسان وأفغانستان : -

أثناء الحروب بين الروس وايران بسبب انشغال أولياء الدولة صار الجزء الشرقى بأكمله لايران من بلوجستان حتى صحراء التركمان نهب الثورات ، فقد رفع الرؤساء المحليون ورؤساء قبائل التركمان رؤوسهم ثائرين لغضبهم من حكام ولاياتهم ، وأهم هذه الثورات هي التالية :

كان محمد خان الأفغان الغلجيين قد التجأ الى ايران بسبب المنافسة بين أسرته والأفغان الأبداليين وأقام بكرمان فلما نزل بساحة هذه الولاية المقحط وحملت اليها الغلال من البلاد الأخرى بأمر فتح على شاه نهض بالاستيلاء عليها واستحوذ في (١٢٢٠هـ) على قلعة بم ، فأنفذ فتح على أحد قواده القاجاريين لدفعه فغلب محمد خان وهزم وقتل في بلوجستان .

وفي عام (١٢٢٢هـ) عصى فيروز ميرزا الذي يحكم هراة والغور تحت حماية ايران محمدا ولى ميرزا ولد الشاه وحاكم خراسان فاستولى محمد ميرزا على هراة وهزم فيروزا فهرب عنها . وفي عام (١٢٢٩هـ) تحرك فيروز ميرزا ثانية الى الغور وكان حكمها أنيط بوالى خراسان محمد خان ولد اسحاق خان القرائى من خانات (تربت حيدرية) . فأفساد ابن أخى فيروز وهو كامران ميرزا أمير قندهار من هذه السانحة بقصد استئصال عمه ومهاجمة خراسان فتحرك الى هراة وحاصرها . ورأى فيروز ميرزا

نفسه وقد أهدق به الخطر من كل جانب فلاذ بقائد جيش ففتح على
بخراسان وهو اسماعيل الدامغانى وقبل أن يكون تحت حماية ايران بأدائه
خمسين ألف تومان نقدا وخراجا سنويا وأن يجعل الخطبة والسكة باسم
فتح على . فلما قبل فيروز هذه الشروط تقدم لطرده كامران ، ففر الأخير
الى قندهار واستقر فيروز ثانية تحت تبعية ايران على امارته .

وفي (١٢٢٨هـ) قدم في نهاية المطاف الى السليمانية وشهرزور أحد
دراويش التركستان واسمه خواجه محمد الكاشغرى الذى كان ينسب
نفسه الى أمراء الصين واتصف بالرياء وطلب الجاه وجمع في الصين
والهند ومصر مريدين له وكان يخدع الناس حيثما حل فترة ثم يجبر على
الفرار فى النهاية ، وقد أدخل الى السليمانية ضمن مريديه وحته كما
سنرى بعد على الدخول فى حرب مع ايران ، ثم هرب منها الى استراباد
وجمع حوله جماعة من التركمان السذج وأقام فى مازندران واستراباد
فتنة وفسادا عظيمين . فأرسل الشاه محمد ولى ميرزا وحاكم مازندران
للقضاء على التركمان فأدبوا تلك الجماعة وفر أمامهم خواجه محمد ثم
قتل بعد قليل وخمدت فتنته .

وفي عام (١٢٣٠هـ) طالب اسحاق خان القرائى صاحب النفوذ العظيم
بقربت حيدريه والساخط على مسلك محمد ولى ميرزا بخراسان البلاط
الملكى بعزل الأخير وأظهر أولاده عدم مبالاتهم بالوالى أيضا ، فصرع
محمد ولى اسحاق خان وأحد أولاده فى مشهد انتقاما منهم ، فأفضى عمله
هذا الى ثورة أبناء اسحاق الباقين ، فلما عجز محمد والى عن هزيمتهم
عصى خانات خراسان الآخرون الحائقون على محمد ولى وطلبوا عزله من
الشاه . فاستدعى الشاه محمدا الى طهران وأمر اسماعيل خان الدامغانى
بإقرار أمور خراسان الى حين أن يتم تعيين حاكم جديد .

وفي العام التالى سير حسين على ميرزا شجاع السلطنة ولد الشاه
عن طريقه الى حكومة خراسان وأخذ شجاع السلطنة بمعونة اسماعيل
الدامغانى ثورات خراسان ، وأرسل فيروز ميرزا حاكم هراة اليه بعض

الهدايا في مشهد قابلا طاعته ، لكنه في (١٢٣٢هـ) عاود ثورته • فشخص هذه المرة شجاع السلطنة الى هراة مهاجما فاستصفاهما ، وعفى عن فيروز بعد تغريمه خمسين ألف تومان وقرر أن تسك العملة ويخطب باسم شاه ايران كما كان الحال سابقا • وبعد أوبة جيش ايران عن هراة انبعث محمود شاه أخو فيروز ميرزا ، وكان حديث الخلاص من سجنه وتأمر على قندهار وكابل ثانية ، يحرصه وزيره فتح خان الباركرائي ، ويدعوه أمراء خراسان العصاة خاصة محمد خان القرائي ولد اسحاق خان ، انبعث للاغارة على خراسان ، وبلغ فتح خان في (١٢٣٣هـ) بجيش كبير (كافر قلعه) وكان يؤازره ويحالفه في هجومه هذا رحيم خان الأوزبكي والي خوارزم وأمير بخارى وكانت خطتهم أن يطبق الاثنان بالهجوم على خراسان من الناحيتين •

وخف شجاع السلطنة الى هراة وقدم الشاه بنفسه الى خراسان وأنزل ذو الفقار الدامغانى بفتح خان على كذب من (كافر قلعه) هزيمة مرة ووقع نحو اثني عشر ألف أفغانى أسيرا لجيش ايران • وبعد هذا الفتح قدم والي خوارزم اعتذاره وعاد الى خيوه وبقي خانات خراسان أيضا في مناصبهم كلهم غير محمد خان القرائي ، والذي أصاب منه شجاع السلطنة مقتلا بعد تخريب قلعة تربت حيدرية والامساك به •

وبعد فرار فتح خان الى هراة أرسل معتمد الدولة نشاط الذي أسر في حربه مع الأفغان تصحبه جماعة من مشايخ هراة الى الشاه يطلب العفو ، كما أرسل محمود شاه رسولا الى الشاه وأعرب عن أن حركة وزيره المستبد كانت خلاف ارادته ، فقبل الشاه العذر بشرط أن يعاقب محمود شاه ففتح خان •

وسملت عينا فتح خان آخر الأمر في عام (١٢٣٤هـ) بيد كامران ميرزا ولد محمود شاه فأفضى هذا الفعل الى ثورة اخوته الكثيرين الذين ولاهم فتح حكومات الولايات فأصابوا مبلغا من القوة ، ورفع هؤلاء الاخوة المتمردون كل منهم واحدا من الأمراء الدرانيين على رغم أنف محمود

وكامران ، فشبت فتنة عظمى في أفغانستان •

وكان من بين أخوة فتح خان التسعة عشر من له أهمية واعتبار أكثر هو دوست محمد خان الذي هاجم كابل من بيشاور وهزم كامران ميرزا بين بيشاور وغزنة ، ومكث ما بين (١٢٣٤) حتى (١٢٤٢هـ) في صراع وقتال دائمين يعاونه اخوته مع بقية الأسرة الدرانية الى أن قضى على هذه الأسرة وأزالها من كابل وقندهار في السنة الأخيرة ، واستقل بأفغانستان كلها غير هراة التي كانت تبعا لخراسان ، وأسس الأسرة الحالية للأمراء أفغانستان أي السلسلة الباركرائية •

أما محمود شاه وابنه كامران ميرزا بعد أن طردا عن كابل وقندهار فقد قنعا بامارة هراة تحت طاعة ايران ، وان كانا لم يتخليا عن فكرة الاستقلال وكانا يتمردان كلما سنحت لهما الفرصة فيهما زمان ويعودان الى الطاعة •

وفي عام (١٢٤١هـ) ساء ما بين هذا الأب وابنه فطرد الابن أباه عن هراة وقدم اليها شجاع السلطنة بنفسه فأقر كامران على كرسى امارتها وظل هذا الحال حتى وقت غزو ولي العهد لهراة •

حرب ايران مع العثمانيين (١٢٣٦ — ١٢٣٨هـ) : —

في بداية حرب ايران مع روسيا في عام (١٢٢١هـ) لجأ باشا حدود شهرزور عبد الرحمن باشا الى ايران فأعاده الشاه حاكما على هذه المدينة ورئيسا لقبيلة يابان تحت حمايته فصارت هذه المسألة سببا لاستياء أولياء الدولة العثمانية •

واختار الشاه ولده الكفاء محمد علي ميرزا دولتشاه من أجل الحفاظ على حدود ايران الغربية وحمايتها في نفس تلك الأيام لحكومة كرمانشاه وولاية ولايات العراقيين التي على الحدود ، فدخل عبد الرحمن باشا تحت تبعية دولتشاه •

ولكى يطرد علي باشا والى بغداد عبد الرحمن وجه جيشا من بغداد

الى شهرزور ، فعليه دولتشاه وأبسر قائده وبعث به الى طهران ، وأرسلت الدولة العثمانية سفيرا الى طهران يعتذر ويطلب خلاص القائد الأسير فأعاده الشاه الى بلاده مكرما وأرسل أيضا الى استنبول سفيرا .

وكان يبرز كل وقت اختلاف بين دولتي ايران والعثمانيين بسبب سكن الأتراك السفة في سائر أقاليم البلدين وتنقلهم من بلد الى آخر وما ينشأ عنه من جدال حول أى قبيلة تكون رعية ايران وأيهما تتبع العثمانيين ، وفضلا عن هذا الموضوع فقد كانت اعتداءات الباشوات السنوية على الحجاج والزوار الايرانيين تثير غالبا القلاقل .

ولم يجد فتح على شاه حتى عام (١٢٣٦هـ) فرصة لكي يهتم بأمور غرب البلاد بسبب مشاكل ايران في حروبها مع الروس وثورات خراسان وأفغانستان ، حتى أن الجنرال يرملوف قائد القفقاز أتى عام (١٢٣٢هـ) طهران لكي يحرض ايران على مهاجمة العثمانيين بعون روسيا ولتسمح ايران للجيش الروسي بعبور أراضيها لمهاجمة العثمانيين ، فرفض الشاه قبول هذه الاقتراحات مراعاة للناحية الاسلامية ، خاصة وأن يرملوف لم يكن مستعدا بأي حال أن يدخل مفاوضات بشأن استعادة ايران للولايات المفقودة عكس ما كان يود البلاط ، لأن فتح على وولوى العهد كانا يأملان أن تستعيد ايران جزءا من هذه الولايات من روسيا عن طريق المفاوضات الودية ، ولهذا المهدف أرسل حاجى ميرزا أبو الحسن خان الايلتشى عام (١٢٣٢هـ) الى سان بطرسبرج ، فقتنع الروس وكانوا اذ ذاك رهينة الحرب مع العثمانيين وفي متاعب شديدة أيضا في خيوه بتعطيل المبعوث الايراني واستغفاله وأرسلوا يرملوف كذلك الى طهران لتبادل الصداقة واستمداد ايران في حروبها مع العثمانيين وخان خيوه ، ومع حاجتهم الملحة الى ايران فانهم لم يقبلوا باعادة جزء من الولايات السابقة الايرانية .

وفي عام (١٢٣٦هـ) وقع جمع من خدم الشاه الايراني الشخصي وبعض حريمه كان يتجه للحج عن طريق أرزنة الروم من حافظ على باشا

رئيس عسكرها موقع الاهمال والتهجم ونهبت أمتعتهم ، فضلا عن أن رئيس العسكر هذا رحل جماعة من قبائل حدود ايروان بحجة أنهم رعايا عثمانيون الى منطقة نفوذه ، فاعترضت ايران على هذه الأعمال وعزله حافظ على باشا ، الا أن خلفه ارتكب مثل هذه الأفعال ، فاضطر فتح على أن يأمر عباس ميرزا بمهاجمة العثمانيين .

وفي ذي الحجة (١٢٣٩هـ) دخل عباس ميرزا عن طريق خوى وتشالدران كردستان العثمانية وسيطر في الهجوم الأول له على موث وأخلاق ووان وبتليس وحاصر أرزنه الروم . وضم قواد ولى العهد المجربون للحروب مثل حسين خان قاجار وأخيه حسن خان وعسكر خان أفشار وأمير خان القائد على جناح السرعة أرمنية والكردستان العثمانية حتى ديار بكر ، لكنهم عادوا جميعا الى تبريز بسبب حلول الشتاء .

وفي عام (١٢٣٧هـ) رفض رئيس قبيلة بابان قبول حماية ايران فأرسل على باشا والى بغداد قوات لمساعدته الى السليمانية وشهرزور . وتحرك محمد على ميرزا دولتشاه لصد جنود على باشا عن كرمانشاه ناحية العراق العربى وبلغ بغداد في هجمة واحدة لكنه آب الى ايران بناء عن رغبة علماء النجف ، وسلك طريق الكردستان لذا صادف جيشه أضرارا بالغة . وعلى حدود آذربايجان فكر باشوات تلك الحدود في الاستيلاء ثانية على الولايات التى فتحها قواد ايران ظانين أنه يمكن الافادة من وجود عباس ميرزا في تبريز ، وحاصر منهم حافظ على الباشا السابق الذكر قلعة طوبراق الواقعة على رأس طريق بايزيد الى ايروان . فوجه عباس ميرزا حسين خان وأخيه حسن خان لعون المحاضرين بالقلعة فأنقذ هذان الأخوان القلعة من حصارها بالرغم من قلة ما معهما من جند ، وانهزم حافظ على باشا بعد تكبده للخسائر الكبيرة وركن الى الفرار .

وبعد الهزائم التى تلقاها القواد العثمانيون في الكردستان وأرمنية

والعراق العربي من إيران طلب العثمانيون الصلح فوقعته معاهدة في أرزنه الروم في ذي القعدة (١٢٣٨هـ) بين ممثلي الطرفين وشملت هذه المعاهدة مواد سبعة ردت بموجبها إيران الولايات التي أخذتها من العثمانيين وصارت الحدود بين الدولتين نفس الحدود السابقة ، وتعهد أولياء أمور الدولة العثمانية بعدم التعرض للزوار والحجاج الإيرانيين وألا يطالبوهم وتجار إيران بغير الرسوم الجمركية وأن يرسل الطرفان سفيرا إلى عاصمة كل منهما وممثلا .

الدور الثاني لحروب إيران وروسيا

(١٢٤١ - ١٢٤٣هـ)

كانت معاهدة كلستان مبهمة بشأن تحديد خطوط الحدود بين إيران وروسيا بمعنى أن موقعيها كفاهم أن اشترطوا أن كل ما استولى عليه الروس حتى تاريخ توقيع المعاهدة يكون ملكا لهم ، كما لم يتضح أيضا كثير من الأراضي التي على الحدود وكانت مراتع لعشائر قبائل الحدود ، وكان بعض الخانات يسعى إلى إشعال نار الخلاف بين إيران وروسيا لمنفعته الشخصية ، ومن ذلك أن حسين خان قاجار رئيس إيروان الذي لم يكن راغباً في دفع بقايا أموال غليه إلى الموظفين الإيرانيين ولكي لا يقوم عباس ميرزا بتأديبه كان يميل إلى إشعال نار الحرب بين البلدين وشغل ولي العهد بذلك .

وكان على مقربة من إيروان وبحيرة كوكتشسته قسم من أراضي الحدود يعد مراعى للقبائل رعيا إيران إلا أن الروس ادعوا ملكيتهم له فأخذ حسين خان قاجار متذرعاً بأن الروس لو تملكوا هذه المنطقة فلن يتيسر له الحفاظ على قلعة إيروان يوصى عباس ميرزا بمنع هجمات الروس عن طريق القوة القاهرة وبعدم السماح بأن يظهر خلل بسبب هذا في أركان دفاع إيروان .

وكانت تحدث مثل هذه الخلافات على حدود آذربايجان بين العمال
الاييرانيين والروس على سبيل الدوام وكان أهمها الخلاف الذى نشب بين
ابراهيم خليل خان جوان شير المسبب قتل سيسانوف والذى كان يحكم
يومذاك أردبيل والقائمين على الحدود من الروس فى طائش .

وخرض خانات طالش الحاقين على الاستعمار الروسى ابراهيم
خليل بعداء الروس العلنى واعتبر ابراهيم خليل اعتداءات الروس دليلا
على نقض معاهدة كلستان من جانبهم فأطلع فتح على الأمر وشجع
الشاه على تجديد الحرب مع الروس ، وكان ذلك مقترنا بوصول التماسات
المسلمين بالقفقاز وتظلماتهم المتعاقبة من ظلم الروس الى البسلاط
الاييرانى ، وأخذت أذهان الناس وعلماء الدين تنهياً رويدا رويدا الى
تجديد الجهاد فى الحرب ، لكن عباس ميرزا صاحب التجارب بالحروب فى
دورها الأول لم يكن ميالا الى هذه الخطوة .

وكان الروس اتفاقا يتحاشون تهيئة ذريعة لايران لتجديد الحرب
بسبب موت الكساندر الأول وما يشاهدونه من جلبة وحماس عند
الاييرانيين ، لهذا أرسلوا سفيرا الى طهران لنفس النية لحل الخلافات ،
وسير عباس ميرزا أيضا مبعوثا لنفس الأمر الى تفليس لئلا يرمـلوف
وذهب هو بنفسه الى طالش وقابل بها يرمـلوف ، وانتهت هذه الخلافات
حول هذه الحدود بالصلح الى حد ما .

لكن اقدام عباس ميرزا هذا لم يرض خانات طالش ولا العلماء
المتحمسين للجهاد ، واتهم عباس ميرزا بمصانعة روسيا وامتناعه عن تنفيذ
أمر الجهاد ، وتحركت جموع من العراق العربى واصفهان وطهران صوب
آذربايجان للجهاد ، وكان قيامها مصادفا لقدم سفير روسيا الى
السلطانية لانهاء خلافات حدود طالش وموغان لصالح ايران فى مأمورية
خاصة .

ولم يسمح فتح على شاه لهذا السفير بمقابله متأثرا بتحريض
أصحاب الاغراض ضد سفير روسيا وكان من أمراء الأسرة الحاكمة

المحترمين ، فعاد الى بلاده بدون أن يسمح له بالكلام ، وكان هذا
التصرف بمنزلة اعلان الحرب وبداية الدور الثاني للحروب بين ايران
وروسيا .

فتوحات جيش ايران :-

جعل فتح على من عباس ميرزا مع أنه لم يكن مائلا الى الحرب
جدا قائدا عاما للجيش المأمور بقتال الروس ، وأصدر كذلك أوامره التي
الخانات المحليين ورؤساء المسلمين الذين تستعمر بلادهم روسيا بمعاونة
عباس من كل ناحية .

ونجح الجيش الايراني في المرحلة الأولى في تحقيق انتصارات
سريعة بسبب أن الروس كانوا في الحقيقة غافلين عن الحرب لم يتأهبوا
لها فضلا عن معاونة مسلمي الولايات المضيفة ، بمعنى أن أملاك روسيا
من النواحي الثلاثة فيما وراء القفقاز صارت هدفا للهجوم : من ناحية
ايروان وبحيرة كوكشته ، ومن ناحية قراباغ والجزء الأوسط ثم من ناحية
طالش . وفي جبهة طالش الأخيرة طرد حسن خان الطالشي الروس عن
طالش وموغان بمؤازرة الجنود الذين أمدّه بهم عباس ميرزا ، وفي التاسع
من المحرم (١٢٤٢ هـ) أخذ ميناء لنكران ثم ساليان . وثار أهل باكو
أيضا على اثر هذه الفتوحات على الروس فطردوهم منها وسلك أهل شكى
وشروان نفس الطريق أيضا . وفي داغستان بدورها قتل مسلموها عامة
الروس بها ، وفي هذه الناحية استعاد جنود ايران كافة الأراضي
الضائعة .

وفي جبهة ايروان أصاب حسين خان وأخوه حسن خان أحد قادة
الروس المشاهير بهزيمة شديدة ، وأغار حسين خان بعون الكساندر ميرزا
ابن آخر ملك كرجي على جميع الأراضي الواقعة بين ايروان وتفليس ،
واستولى على كنجة أيضا محمد ميرزا ولد ولي العهد ومعه أمير خان
وهرب الروس منها الى الشمال .

وفي جبهة قراباغ كانت قيادة الجيش لعباس ميرزا ، ولما أن فتح على أنصر على أن يتقدم جيش ايران من هذه الناحية ويصل الى تفليس بعد الاستيلاء على قلعة شوشى الحصينة فقد أرسل الصدر الأعظم الجديد الله يار خان آصف الدولة ولد ميرزا محمد خان قاجار دولو بخمسة عشر ألف فارس عراقي الى قراباغ لعون عباس ميرزا . وأنزل عباس ميرزا بالقرب من شوشى بمددوف حاكم قراباغ هزيمة ساحقة وألقى حصاره على قلعة شوشى .

وطال حصار شوشى واغتتم الروس الفرصة ليعززوا جيشهم في تفليس ، وكان من حسن طالعهم هذه الأيام أن انتهت معاركهم مع العثمانيين وعين أحد ن قادة الروس المبروفين وهو باسكفيتش (Paskiewitch) الذى حصل أثناء تلك المعارك تجارب كثيرة وحاز فيها انتصارات باهرة في منصب القيادة العامة لجيش روسيا في القفقاز .

حرب شمكون في صفر (١٢٤٢ هـ) :

انسحب الجنرال مددوف بعد هزيمته في شوشى بما بقي من قواته الى شمال كنجة وبعد ضمه أمداد من تفليس هاجم كنجة وكانت مدفعيته قوية فدخل في شمكور بالقرب من كنجة في حرب مع أمير خان ومحمد ميرزا . وأبدى أمير خان مقاومة دامت حتى قتله لكن محمد ميرزا أثر الفرار فأسر الا أن أحد رؤساء شاهسون أنقذه وأوصله حتى ضفاف نهر أرس . وأخلى حاكم قلعة كنجة هذه المدينة المحكمة خوفا فتركها مسلموها الشجعان الذين قاتلوا الروس لأجل ايران حتى هذا الحد اشفاقا وعبروا نهر أرس فاستولى مددوف على المدينة .

حرب كنجة في الثالث والعشرين من ربيع الأول (١٢٤٢ هـ) :

ولما وصل خبر قتل أمير خان وهزيمة محمد ميرزا ترك نائب السلطنة بعض جنوده لحصار شوشى واتجه صوب كنجة على رأس ثلاثين ألفا لكنه

قبل أن يبلغها كان باسكيفتش قد وصلها وحصن جميع المواقع الهامة بها .
وفي وصول جنود ايران كنجة لم يكن باسكيفتش بأى حال مستعدا
لبداء الهجوم ، مما حمل عباس ميرزا امطار مواقع الجيش الروسى بوابل
الرصاص على اصدار الأمر بالهجوم وكان على وشك أن يصير النصر
نصيب الجيش الايرانى ، الا انه لسوء الحظ لم يتقدم الجزء الأعظم
من جيش عباس ميرزا خطورة واحدة لا سيما وأن آصف الدولة قاجار
ماطل فى اىصال مدده لولى العهد ، فحدث هرج ومرج فى صفوف
الجيش ، على نحو أن محمد ميرزا وغيره من الأمراء لم يفهموا جيدا
رسالة نائب السلطنة لهم ألا يتحولوا عن المعركة الا بناء على أمر ولى
العهد ولو أصيبوا بالقتل ، فهربوا جميعهم ومعهم جنودهم نحو نهر
أرس ، وفشل عباس ميرزا رغم محاولاته العديدة أن يصدّهم عن تحركهم
الذى لا أساس ولا سبب له ، فاضطر هو نفسه الى التراجع الى
أصلاندوز ، ونال باسكيفتش هذا الفتح الهام بتلك السهولة ، ونتج عن
ذلك أن انتصارات الجيش الايرانى الهامة التى أصابها فى الأسابيع
الثلاثة الأولى ثم تعد بذى بال .

لم يتكبد الجيش الايرانى فى حرب كنجة التى دارت رحاها بالقرب
من مقبرة الشاعر المشهور نظامى الكنجوى فى الثالث والعشرين من ربيع
الأول (١٢٤٢ هـ) خسائر جسيمة لأن مجموعها لم يتجاوز الألف
والخمسمائة قتيل ، الا أنها أثرت مقابل ذلك فى معنوياته تأثيرا شديدا
السوء الى حد أنه لم يتيسر رباطه الجاس وتولد روح الجسارة فيهم ،
ويمكن استخلاص الأسباب التى بعثت أكثر من غيرها على خراب أمر
الجيش الايرانى فى هذا الوقت على النحو التالى :

- ١ - عجز عباس ميرزا فى ادارة الجيش وتوحيده القيادة وحفظه
النظام مع أنه كان رجلا فى نفسه شجاعا جادا .
- ٢ - تنافس الأمراء القاجاريين أحدهم مع الآخر وعصيان غالبهم

لولى العهد واستقلال كل منهم بالقيادة .

٣ - عجز الاستعدادات المادية وقلة مصانع السلاح الى حد أن الرصاص المطلوب لصنع طلقاته لم يكن موجودا في تبريز بأسرها ، ولم تزد ذخيرته عن ألفى رصاصة فضلا عن نقصه للمهام الأخرى .

٤ - عدم وجود المال الكافي لدفع الرواتب والأرزاق للجنود الذين تجمعوا في آذربايجان ولم يكن فتح على المشهور بعبادته للمال مستعدا لأن يرسل من طهران مالا لآذربايجان وكان يقول ان لولى العهد يجب أن يدفع كافة نفقاتهم من أموال آذربايجان .

وضمن هذه المشاكل أن الروس استعادوا كل النواحي السابقة على سواحل بحر الخزر وتقدموا حتى طالش وموغان ، وطلب عباس ميرزا من باسكيفتش الصلح ولكنه كان يعلم أن القائد الروسى اشترط لهذا الأمر التخلي عن ايروان ونخجوان فاضطر الى متابعة الحرب باعداد قوات جديدة . وقام بزالة نقط الضعف ما أمكنه ذلك .

وكانت خطة باسكيفتش هذه المرة أن يهاجم عن طريق أردبيل ووسط أرس قلب آذربايجان وبالاستيلاء على تبريز يجبر ايران على قبول شروطه ، لهذا وجه أغلب قواته الى جسر (خدا آفرين) عن طريق شوشتى ، وحدث في هذه النقطة الحرب الأولى للصدام بين جنود عباس ميرزا وباسكيفتش هذه المرة .

وأجبر الجيش الايرانى الروس مع عبورهم نهر أرس بقيادة ملادوف نتيجة الهزيمة شديدة على التقهقر الى قراياغ ، وفي ايروان بهم هزيمة أخرى . واضطر باسكيفتش على اثر هاتين الهزيمتين أن يتحرك بنفسه من تفليس الى ايروان ، لكنه فشل رغم مساعيه في الاستيلاء عليها أمام بلاء حسن خان الحسن وأخيه العجوز حسين خان فعاد الى تفليس .

وفي السنة التالية أي في السادس والعشرين من ذي الحجة (١٢٤٣هـ) اتجه باسكيفتش بقوات عظيمة الى نخجوان وللاستيلاء على قلعة عباس آباد على ساحل أرس الشمالي ، فأرسل ولي العهد حسن خان وآصف الدولة اليها ، وألحق حسن حسن خان نتيجة هجومه على الروس بهم خسائر كثيرة ، لكن آصف الدولة لم يثبت كما ينبغي فاستولى الروس على عباس آباد ، واتجه باسكيفتش منها الى خوى . وبعد انتصار باسكيفتش في عباس آباد ، بالغ في شروطه . بشأن المصلح مع ايران حتى أنه اجاب على طلب عباس ميرزا المصلح أنه اذا كانت ايران مستعدة لأن تسلم روسيا سائر ولايات جنوب أرس وسبعمائة ألف تومان غرامة فإنه من الممكن قبول المصلح . ولما لم يقبل عباس ميرزا بدأت الحرب من جديد .

وهاجم هذه المرة عباس ميرزا وحسن خان الجيش الروسي في الجزء الواقع بين قرا باغ وطالش وبعد هزيمتهم في هذه المنطقة تقدموا الى ايروان واتشميزين .

هزيمة ايران : -

في غرة شوال (١٢٤٤هـ) ألقى باسكيفتش حصاره على قلعة سردار آباد من قلاع ايروان ومما بناه حسين خان السردار ، وبعد مدة من اطلاق النار عليها استولى عليها بحملة واحدة وبعد هذا على اثر حرب شديدة استولى كذلك على اتشميزين وايروان ، وقد حطم الاستيلاء على هذه النقاط الثلاثة الحصينة خط مقاومة الجيش الايراني في الطرف الغربي تماما ، وبعد فتح عباس آباد لم يعد هناك حائل آخر دون ضم آذربايجان من ناحية الشمال الغربي ، ولهذا فقد انقلب الجيش الروسي صوب خوى ومزند وتبريز وانسحب عباس ميرزا الى تبريز لانقاذها . وكان الحفاظ على تبريز في تلك الآونة موكولا من طرف الشاه الى

آصف الدولة ، وبدلاً من أن يبذل هذا الرجل الجبان الضعيف النفس الذي كان سبب بعض فشل غزو عباس ميرزا مقاومة أختفى خوفاً في منزل أحد الرعايا فدخل قائد جزء من الجيش الروسي تبريز بدعوة بعض أهلها ، فأستحوذ على كافة الذخائر والمهمات الأميرية ، وسمى عباس ميرزا في مرة أخرى أن يسد الطريق أمام تقدم باسكيفتش الى تركمانتشاي ودهخوارقان وديلمقان ، لكنه هزم في هذه النقاط الثلاثة أيضاً ، فاضطر الى إرسال أحد خاصته الى باسكيفتش يطلب اليه مقابلته .

معاهدات تركمانتشاي في الخامس من شعبان (١٢٤٣ هـ) :-

بعد أن أطلع رسول عباس ميرزا باسكيفتش طلب ولي العهد تسوك الحرب ، أوكل القائد الروسي هذا الامر الى الشروط الآتية :

- ١ - تتخلى ايران عن ايروان ونخجوان وأردوباد التي تستولى عليها روسيا اليها ويكون نهر أرس الحد بين الدولتين .
- ٢ - يخلّي الجيش الايراني طالش وموغان التي تؤول الى روسيا بموجب معاهدة گلستان .
- ٣ - تدفع ايروان عشرة ملايين تومان ذهباً الى روسيا غرامة حرب .

٤ - بعد تنفيذ الصلح يبعث بنائب السلطنة وولده محمد ميرزا من طرف ايران الى عاصمة روسيا لكي يعتذر رسمياً لنقض معاهدة گلستان . وقبل عباس ميرزا هذه الشروط وأوقف الحرب وذهب الى دهخوارقان للقاء باسكيفتش وكان عباس يصر على فتح على بعقد الصلح وإرسال مبعوث رسمي بسبب أن القائد الروسي كان يهدد في كل يوم بعد أن تقدمت جيوشه حتى قافلان كوه أنه سوف يتوجه الى طهران اذا رفضت شروطه وبعد تردد كبير أرسل أخيراً الشاه وزير الخارجية حاجي ميرزا آبا الحسن خان الى آذربايجان ومعه خطاب اعتماد وأرسل الى

عباس أن يصير ما أمكنه على تخفيض مبلغ غرامة الحرب حتى ينقصها إلى مليونين ونصف مليون •

وبعد مفاوضات طويلة بين باسكيفيتش وعباس ميرزا خفض في النهاية القائد الروسي مليونين ونصف مليون من المبلغ المقترح وقرر أن يذكر أن معدل الخسارة سبعة ملايين ونصف مليون ، وكان الأمر على وشك أن ينتهي بالصلح لولا ظهور أحداث في طهران تطلبت أسبابها ضرورة تأخيرها ، وتوضيح ذلك أن إنشاء طوالة مدة حروب الروس وإيران لم يسمح لابنه الرشيد الكفء حسين على ميرزا شجاع السلطنة وإلى خراسان بسبب التنافس القائم بينه وبين عباس ميرزا بالتدخل في الأمور ولم يستفد من وجوده بأذربايجان بأي شكل •

وحينما بلغت أنباء هزائم عباس ميرزا إلى خراسان ، تقدم شجاع السلطنة — ومعه مجموعة من جنوده بأعلام سوداء إلى طهران ، وتقدم آذربايجان على أنه مأمور من جانب الامام الرضا بطرد الروس • وكان إنشاء ساخطا على دفع الغرامة إلى الروس واغتتم حركة شجاع السلطنة وسيره إلى قزوین لارهاب الروس كما كان يعتقد •

ولما سمع باسكيفيتش هذا النبأ حنق إلى حد أنه قطع مفاوضات مع عباس ميرزا وقال له إذا لم يتحدد أمر الصلح في ظرف خمسة أيام فسوف يأتي تبريز وينتهي بجيشه للمسير إلى طهران • فأرسل عباس رسولا إلى طهران على جناح السرعة وحذر إنشاء وخامة العليقية فأرسل للشاه مجيرا ثلاثة ملايين ذهباً إلى عباس قدمها إلى باسكيفيتش في مقابلة أخرى معه بقرية تركمانتشاي ، وعقدت معاهدات تركمانتشاي — التي استمرت مفاوضاتها واعداد بنودها من أواسط جمادى الأولى (١٢٤٢ هـ) حتى أوائل شعبان (١٢٤٣ هـ) — في الخامس من شعبان من السنة الأخيرة ووقعها عن إيران حاج ميرزا أبو الحسن خان وزير الخارجية والله يار

خان آصف الدولة الذي كان يعيش في معسكر باسكيفتش من حين أن
فتح الروس تبريز أسيرا .

وتشمل المعاهدات التي أبرمت في تركمانتشاي معاهدتين سياسية
وتجارية ولكل منهما ملحق كذلك . وهذه المعاهدات أهم معاهدات في
تاريخ ايران بينها وبين دولة خارجية قبل ثورة ايران ونهضتها الأخيرة ،
لأنها فضلا عن اشتغالها على شروط وحدود صارت أساسا للمعاملات
السياسية والاقتصادية بين ايران وأكبر جاراتها أضحت نموذجا لكافة
الدولة الخارجية الأخرى التي عقدت بعد ذلك مع ايران معاهدات مثل
هذا القبيل ، لا سيما القسم المتعلق منها بحق نفوذ قناصل روسيا في
ايران (الامتيازات الأجنبية) الذي صار بالتدريج موضع التصويب من
طرف ايران في شأن قناصل كافة الدول الأجنبية أيضا ، وظل لفترة
الأساس الذي يقوم عليه اجراء النفوذ السياسي للموظفين الأجانب في
بلادنا .

وكانت الشروط الهامة لمعاهدات تركمانتشاي كالتالي :

١ - بموجب المادة (٤) للمعاهدة السياسية فقدت ايران فضلا
عن الولايات التي تخلت عنها لروسيا بمعاهدة كلستان ايروان ونخجوان
واردوباد أيضا وتحددت خطوط الحدود الحالية وهي من قلعة أرارات
حتى مصب نهر أستارا .

٢ - وبناء على المادة (٦) من نفس المعاهدة تعهدت ايران بدفع
خمسة ملايين تومان نقدا ذهبا غرامة حربية .

٣ - أكدت المادة (٧) ولاية عهد عباس ميرزا وتعهد روسيا بإبلاغه
العرش .

٤ - بموجب المادة (٨) حرمت ايران من حق الملاحة في بحر الخزر .

٥ - وبناء على المادة (١٠) نالت روسيا اذنا بارسال قنصل أو موظف

تجارى فى كل نقطة تراها صالحة لذلك على ألا يتجاوز عدد بعثته عن عشرة أشخاص .

٦ - وبموجب المادة (١٣) تعهد الطرفان تبادل الأسرى فى ظرف أربعة أشهر وفى حالة عدم حدوث التبادل وانقضت هذه المدة ، يحق لكل طرف أن يطالب بإطلاق سراح أسراه ويضم كل طرف برعاياه الأسرى اليه حيثما وجدهم .

٧ - وبموجب المادة (١٥) تعهد فتح على شاه بالعفو عن خانات آذربايجان الذين أظهروا عصيان إيران .

ويتعلق ملحقا معاهدات تركمانشاى بكيفية دفع غرامة الحرب وكافة الحقوق التى كانت للروس فى حالة تأخر إيران عن دفع أقساطها فى موعدها ، فضلا عن ذكر تفصيلات نظام استقبال السفير فوق العادة الذى تقرر أن يأتى من طرف روسيا الى إيران بعد عقد المعاهدة .

وأجبرت إيران وفق المعاهدة التجارية لتركمانتشاى على أن تعطى التجار الروس نفس الحق الممنوح لرعايا الدول ذات العلاقات الودية الكاملة بإيران وأن تكتفى بتحصيل رسوم جمركية بنسبة خمسة فى المائة من قيمتها عن البضائع الروسية ، علاوة على أنه يسمح لرعايا الروس الذين يودون الإقامة بإيران بشراء المنازل والمصلات والمخازن اذا أرادوا التجارة وغير ذلك .

قتل كريبايديف فى (١٢٤٤هـ) :-

لما اقتضت معاهدة تركمانتشاى من الدولتين إرسال سفير فوق العادة كل الى بلاط الأخرى أرسلت روسيا الى تبريز وطهران لهذا المنصب (كريبايديف) (Griebaidev) ابن أخت باسكيفتش وكان أحد الشعراء والكتاب الشبان الروس وقدم كريبايديف وكان ذا أصل ونسب عالىين ولذا اتصف بشديد الغرور والأنانية الى تبريز

ومعه زوجه الحبيبة ابنة خان ايروان ، ولما تركها بتبريز اتجه الى طهران •
ولما أتى طهران ، وكان كل فكره في زوجته بتبريز ويود انتهاء مأموريته
سريعا ، لم يهتم كثيرا بسبب شدة انشغال عقله بالمفاوضات بشأن
فرعيات تنفيذ معاهدة الصلح ، والتف حوله أيضا في طهران جماعة من
الأرمن والكرجيين المغرضين • وكان منهم آغا يعقوب من خصبان
الشاه الذى جعل نفسه أحد الرعايا الروس لكى يتهرب من دفع بقايا
ضرائب عليه ولاذ بكرييادف ، وحرصه على طلب اطلاق سراح جماعة
من الأسرى القدامى والجند الكرجيين وكانوا في خدمة شاه ايران
بموجب معاهدة الصلح ، وحدد من بين القابلين الجنسية الروسية احدى
زوجات الشاه وزوجه الله يارخان آصف الدولة الصدر الأعظم •

وأرسل كرييادف جماعة من الأرمن والكرجيين بتقدمهم آغا يعقوب
الى منازل رجال ايران وحقق مع النسوة الكرجيات لكى يعرف من منهن
تريد الجنسية الروسية وحمل جماعة منهن من بينهن زوجة آصف الدولة
الى السفارة الروسية • فتظلم آصف الدولة لدى علماء طهران وثارت
فتنة غريبة • ولما حرص آغا يعقوب الموظفين المسلحين في السفارة
الروسية على اطلاق النار على الايرانيين وقتل منهم ثلاثة ، انصب
الناس أيضا بفتوى من ميرزا مسيح المجتهد على سفارة الروس فقتلوا
كرييادف وثمانين من أتباعه •

وقد أصاب حدوث هذه الواقعة الهائلة الشاه بالاضطراب الشديد
كما طارلب عباس ميرزا لما حدث لأنه لم يأنس في نفسه القدرة على حرب
روسيا ورأى مقام سلطنته القادمة التى ضمننتها روسيا تتزلزل ، لهذا مع
أنه كان المقرر أن يتوجه عباس الى بطرسبرج ليقدم اعتذاره الا أنه سير
بعجلة ابنه خسرو وميرزا ومعه محمد خان الأمير العسكرى وسكرتيه
(كاتبه) ميرزا تقى الفراهانى الذى بلغ رتبة الأمير العسكرى بعد ذلك
الى العاصمة الروسية ، وفي هذه المأمورية بذل عباس ميرزا الذى لم يكن

يفكر في غير احكام أساس سلطنته القادمة ذروة ضعف النفس وكان غرضه في الحقيقة في الأغلب من ارسال خسرو ميرزا التوسل بباسكيفتش والاستتارة برأيه فيما هو الصالح له ، حتى انه أذاع امام اخوته المطالبين بالسلطنة انهم لو ثاروا عليه فلسوف يلوذ بباسكيفتش ويطلب امداده .

واتفق أن كانت روسيا في تلك الأيام مرتحنة بالحرب مع العثمانيين وثورات البلقان وقضية استقلال اليونان وهجوم ابراهيم باشا ابن محمد باشا فلم يكن فيها ولا في القفقاز جيش واحد .

لهذا السبب وأخذوا بشهادة سكرتير السفارة الروسية بطهران الذي كان قد هرب الى تفليس أثناء ثورة الشعب وأقر بخطأ كريبايديف ، رأى باسكيفتش صلاح أمره في المسألة ، لكنه خشية أن تهاجم ايران في هذا الظرف الخطير القفقاز بتشجيع من انجلترا والعثمانيين أفاد من ضعف نفس عباس ميرزا فهدده بالاستيلاء على ولايتي خوي وتبريز وعدم اعادتها ثانية الى ايران لو فكر في مهاجمة القفقاز ، وحدد أن صلاح عباس ميرزا هو أن يتقدم معتذرا على الفور لامبراطور روسيا ويرسل ابنه لهذا الاعتذار الى العاصمة الروسية .

ووافى خسرو ميرزاو رفاقه بناء على أمر عباس ميرزا بطرنبرج ونجحوا في مهمتهم مع أن الخوف على حياتهم كان قائما . وقد شهد سفير انجلترا ببراءة ساحة ايران أيضا ، وقد استقبل اميراطور روسيا خسرو وميرزا باحترام تام بسبب قلقه البالغ على مشاكل البلقان ، حتى أنه تسامح لأجل خسرو في أداء خمسمائة ألف تومان من بين المليون التي كانت ايران لا تزال مدينة بها لروسيا وهي القسط الأخير من الغرامة الحربية ولم يطلب غير أن يبعد الشاه ميرزا مسيح المجتهد عن طهران . وعاد خسرو ميرزا من العاصمة الروسية بعد ثلاثة أشهر الى طهران ، وأرسل الشاه مع عدم قبول شعب طهران ميرزا مسيح الى مشهد وخمدت الفتنة بهذا النحو .

مأمورية نائب السلطنة الى خراسان ويزد وكرمان :

ولما اطمأن فتح على شاه من جانب روسيا استدعى ولى العهد وخسرو ميرزا وبعد ارضائهم أمر ولى العهد بدفع المتمردين فى خمسة ، وقصد هو نفسه الى فارس لكى يدخل ابنا له آخر هو حسين على ميرزا الفرمان فرمان (الأمر) — الذى انقضت فترة وهو رافض أن يدفع الضرائب الديوانية وطاعة الدولة — طاعته . وسرعان ما أطاع الابن فعاد الشاه عن طريق خوزستان ولرستان وهمدان الى طهران .

وفى هذا الوقت وصلت الشاه أنباء أن أحد ذوى النفوذ بيزد واسمه عبد الرضا خان قد رفع علم الثورة وأن حسن على ميرزا شجاع السلطنة والى خراسان والابن الآخر للشاه وطالب ولاية العهد لا يبذل فى القضاء على فتنته ما ينبغى ، فضلا عن أن بلاد خراسان أثناء مشاكل الشاه ولى العهد فى حروب الروس قد صارت بفعل عصيان الخانات المحليين واغارات التركمان والأفغان ميدانا لاستيلاء الثوار من أولها لآخرها .

واستدعى الشاه ولى العهد من آذربايجان لصد المتمردين واقرار الأمور فى القسم الشرقى لایران وتحرك نائب السلطنة فى عام (١٢٤٦ هـ) وبرفقته ابناؤه محمد ميرزا وخسرو وميرزا وبهمين ميرزا ووزيره مسيرزا أبو القاسم القائم الثانى من طهران مبتدئا عن طريق قم صوب يزد ، وفى (١٢٤٧ هـ) أخذ يزد من عبد الرضا خان وقبض عليه ، فلما فر شجاع السلطنة أمام أخيه الى كرمان تعقبه نائب السلطنة الى تلك المدينة وأرسله بعد أن أمسك به الى أبيه بطهران فظل حتى آخر سلطنة فتح على شاه تحت المراقبة فى طهران ولم يعهد اليه بمهمة بعد ذلك .

وأبدى غير عبد الرضا خان وشجاع السلطنة مدعون آخرون عصيانهم للدولة فى خراسان وكانوا دائمي التمريض لأموال الناس وأرواحهم وأولهم محمد خان القرائى من خانات تربت حيدرية ثم رضا

قلی خان ایلیخان آکراد قوشان وجماعة من رؤساء التركمان هـنـسـول سرخس • فأرسل ولی العهد خسرو میرزا بمدفعية عن طریق کویر لصد محمد خان القرائی والاستيلاء علی قلاع قهستان وقاینات واتجه هو عن طریق استرآباد لضرب رضا قلی خان الی قوشان • وأصر أهل مشهد علی الا یدخلوا ولی العهد مدینتهم ، لكنهم لما سمعوا بقتوحات خسرو میرزا فی قائنات وانتصارات ولی العهد فی استيلائه علی قلاع رضا قلی خان دخلوا الطاعة فورد نائب السلطنة بیسر (الأرض القدسی) ، ولحق خسرو میرزا بوالده بمشهد بعد استعادة طبس وترشیز وفرار محمد خان وانتهت فتنة هذین الثائرين علی هذا النحو • ومع أن محمد خان آثر الفرار الا أن رضا قلی خان طلب عفو ولی العهد لما لم یرفیه قدرة علی الثبات فعفا عنه نائب السلطنة •

ولما کان خطر التركمان لا یزال قائما ومحمد خان لا یزال هاربنا أرسل نائب السلطنة خسرو میرزا الی آذربایجان للکی یأتی بقوات كافية منها الی خراسان ، وكان الذی یدیر فی هذه الآونة أمور آذربایجان باسم ولی العهد هو محمد خان زنکنة أمير الشرطة وكبير شیوخ آذربایجان • وأعد خسرو وزنکنة جيشا جدیدا وسیراه الی خراسان ، فهاجم نائب السلطنة بعونهم مدینة سرخس وبعد ذبح عام فی التركمان أمنهم ودفع بهذا فتنتهم •

وكان آخر ثائر لا یزال بثورته فی خراسان هو محمد خان القرائی الذی کان یمد كلما ساحت له الفرصة المتمردين الآخرين فبعث نائب السلطنة بمحمد میرزا لدفعه وأمنه محمد میرزا وأرسله مکرمًا الی والده فخلل یعیش بنفس هذا الوضع فی خدمة نائب السلطنة •

حصار هراة فی (١٢٤٩هـ) :

ولما قرت أمور خراسان استدعی الشاه نائب سلطنته الی طهران

وكان استدعاؤه الذى حدث فى ربيع عام (١٢٤٩ هـ) لى يظهر تقديره لخدماته ثم ليدفع به الى الحملة على أفغانستان والاستيلاء على هراة ، وكان هذه الخطوة نتيجة لتحريك الروس لبلاط ايران لأن روسيا قد قام جنودها بالاستيلاء وبسط قوتهم على الأراضي فى التركستان وآسيا المركزية ، وبدفع ايران الى غزو أفغانستان كانوا يهدفون الى توليد الخوف فى الانجليز منافسيهم فى آسيا بتهديد أفغانستان ومعايير الهند التى كانت مدينة هراة مفتاحا لها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى صرف تفكير ايران عن آذربايجان واستعادة الولايات المفقودة ، وكان الانجليز لى يمنعوا تنفيذ خطة الروس ويسدوا تقدم الجيش الايرانى فى الشرق يسعون دائما الى توليد الثورات والمشقات فى خراسان ، وبتسليح الأفغان وتقويتهم ، ولا يدعون يد ايران التى بعد توقيعها معاهدة تركمانشاي دخلت تحت النفوذ الروسى كاملا تنبسط على هذا الجزء الأفغانى .

وكان قرار الشاه بارسال ولى عهده لحصار هراة فى الحسب قياما بمعاداة سياسة الانجليز ، فظهر عهد من مشاكل جديدة لايران أفضى فى النهاية كما سنرى فى أوائل سلطنة ناصر الدين شاه الى الحرب الرسمية بين ايران وانجلترا .

وبعد أن تلقى عباس ميرزا أوامر أبيه بمهاجمة هراة ومع أن صحته أخذت تدهل وتتخرف فقد أرسل خسرو ميرزا ومحمد ميرزا لحصارها من الناجيتين وعاد هو ومعه قائم المقام الى خراسان .

وكانت هراة وقتذاك بيد كامران ميرزا الذى يتبع اسما ايران وباطنا لم يكن لها صفاء بل كان يهاجم سيستان كلما سنحت له الفرصة . وهدد نائب السلطنة عن طريق يار محمد خان وزيره وكان بالجيش كامران ميرزا شديد التهديد ، وكان كامران مستعدا أن يرضى أولياء ايران بأى وسيلة يريدون ، الا أن الروس المصريين على الحرب دفعوا ولى العهد

التي الحملة على هراة فأنا ب محمد ميرزا على حكم خراسان وقام بهذا الأمر بصحبة جماعة من الأمراء القاجاريين ، لكنه استدعى إلى طهران في هذا الوقت عن طريق النساء الذي كان في فترة نقاهة من مرضه ويخشى أن يموت في غياب ولي العهد فتضطرب أوضاع السلطنة ، فاضطر ولي العهد إلى إرسال محمد ميرزا مكانه إلى هراة وترك قائم المقام في خراسان على رأس ثمانية آلاف لكي ينطلق بهم لمعاونة محاصري هراة إذا اقتضى الأمر وتوجه هو إلى طهران .

ولما رأى قائم المقام أن حصار هراة أمر صعب بعد تحرك عباس ميرزا توجه إليها وأمر كل أمير بالاستيلاء على القلاع الواقعة على الطريق إلى هراة ، فوقعت المدينة تحت الحصار من أطرافها .

موت عباس ميرزا ليلة العاشر من جمادى الثانية (١٢٤٩ هـ) :

ولما وصل نائب السلطنة إلى قصر والده بطهران وكان عليلاً ويشكو المرض من نحو عشرة أعوام وتحت علاج أحد الأطباء الانجليز طلب إلى والده باصرار أن يسمح له بالعودة إلى مشهد حتى يودع ثراها إذا وافاه الأجل ، فتحرك لهذا من طهران إلى مشهد واشتد عليه المرض أثناء السفر ، وشاء الله أن يموت طبيبه الانجليزي أثناء عودته إلى تبريز لاعداد دوائه فهد هذا الخبر من قوى ولي العهد أكثر من ذي قبل ، حتى وافته منيته بعد قليل من وصوله إلى مشهد أي ليلة العاشر من جمادى الثانية (١٢٤٩ هـ) ودفن فيها حين كان عمره لم يزد عن السابعة والأربعين .

وكان عباس يعد أعز أولاد فتح على الكثيرين لديه ، وكان عامة من أحسن القاجاريين لأنه ، علاوة على شجاعته ومهارته في الأمور العسكرية ، كان ذا اهتمام يفوق إخوته بالأمور الادارية وتصريف أمور الملك ، وقام أيام حكمه لأذربايجان بتعريف الايرانيين بالحضارة الجديدة والشئون

العسكرية والمدنية الأوربية ، وفضلا عن ذلك عمل على بناء المدفعية والقلاع وصنع الأسلحة وإنشاء مصانع عدة للنسج البطاطين واعداد البارود وطبع الكتب في تبريز وخوى على أحدث نظام بعون الأوربيين ، كما أرسل عددا من الطلبة الى لندن والحرفيين الى روسيا ، وهو أول من أشاع في ايران الطباعة بحروف الرصاض . ولا ينبغي اغفال هذا الأمر عن الانظار وهو أن الشطر الأعظم من الازدهار عهد حكم عباس ميرزا وولايته يعود الى كفاءة ووجود رجال كانوا يعملون تحت امرته من قبيل محمد خان الأمير العسكري ومربي ميرزا تقى خان الأمير الكبير وميرزا بزرگ قائم المقام الأول ووالده ميرزا أبو القاسم قائم المقام الثاني وميرزا محمد صادق همای المروزي كاتب (الوقائع) وميرزا محمد علي المستوفي الآشتياني وغيرهم .

ولما وصل خبر وفاة ولي العهد رأى قائم المقام الذي كان على وشك الاستيلاء على هراة أن الصلاح في الصلح مع كامران خان خاصة وأن محمد ميرزا كان يخشى مع وجود أعمامه وأخوته الكثيرين أن يحرم ولاية العهد ، فصالح كامران على عجل بشرط أن يرسل سنويا قدرا من الخراج الى طهران وأتى الجميع مشهدا ومنها الى طهران .

وطالب بعض من أولاد فتح علي شاه مثل حسين علي ميرزا قائد القواد وعلي ميرزا ظل السلطان وابن دولتشاه محمد حسين ميرزا حشمة الدولة بولاية العهد الى شاه أفشار ، وأسكتهم الشاه بتدابير كثيرة وأصدر فرمان ولاية العهد وحكومة آذربايجان باسم محمد ميرزا وأرسله بمنصب قائم المقام الى تبريز .

وممن اتهم بعدائه لمحمد ميرزا أيضا خسرو ميرزا أخوه الأكبر والأكثر فضلا الذي خلى معسكر آذربايجان خوفا من قائم المقام وركن الى الفرار ، ثم أخوه جهانكير ميرزا حاكم أردبيل ، فأمسك محمد ميرزا بهذين الأخوين وحبسهم بأردبيل . وخسرو ميرزا مؤلف كتاب في

التاريخ هو (نامه خسروان) بالفارسية السهلة ، وجهانكير ميرزا بدوره صاحب كتاب آخر تاريخى اسمه (تاريخ نو) وهو تذليل لكتاب (مآثر سلطانية) تأليف عبد الرزاق الدنبلى المفتون (٢) ويشمل حوادث ما بين سنتى (١٢٤١ هـ) و (١٢٦٧) .

وفاة فتح على شاه فى التاسع عشر من جمادى الآخرة (١٢٥٠ هـ) :

وبعد أن سير فتح على شاه محمد ميرزا الى آذربايجان تحرك هو من طهران الى الجنوب لى يقضى على المشائعات القائلة ان الشاه مات عقب ولى العهد فى نفس السنة ولكى يوصل بما بقى من خراج فارس الذى رفض حاكمها دفعه ، ولهذين الأمرين أتى كاشان من العاصمة على رأس ثلاثين ألف فارس ومانش ، فوصل حسين على ميرزا الحاكم (الأمر) الى والده يفين فى كاشان ، لكنه بدلا من أن يسلمه كل ما بقى عليه قدم وحسب ثلاثة عشر ألف تومان فزادت هذه المسألة الشاه الذى كان مريضا مرضا أكثر مما سبق وأمر بحبسه وتوجيه موظفين ومستوفين خاصين لايصال بقية المال الى فارس ، ومع اشتداد المرض على الشاه فقد فرق جماعة من الخصيان والأعيان بصحبة على الأطراف لجمع الضرائب . وبعد يوم أو اثنين من انفصال هذه الجماعة عن اصفهان أى فى التاسع عشر من جمادى الآخرة (١٢٥٠ هـ) توفي فتح على شاه فى سن الثامنة والستين فى اصفهان بعد حكم دام سبعة وثلاثين عاما ، وحمل جسده منها ليدفن بقسم .

(١) عبد الرزاق بيك الدنبلى المتوفى فى (١٢٤٣ هـ) ولد عام ١١٧٦ هـ فى خوى لكنه رحل الى شيراز وتردد على محافل العلم والأدب وصار ادبيا عالما . وبقي الدنبلى حتى وفاة كريم خان الزندى بشيراز وانتقل الى اصفهان من بعده وبلغ خدمة فتح على شاه فتقرب اليه ولف تاريخ القاجارية وآثار خاقانى . ومن آثاره الأخرى حدائق الجنان فى سسر العلماء والفضلاء المعاصرين له وقد أمد المؤلف تنقيحه وسماه تجربة الاحرار وتسليية الأبرار وتأسى فى انشائه بتاريخ وصاف وكليستان السعدى . وكان الدنبلى شاعرا يتخلص بالمفتون فوق انه ناثر ومؤرخ .

كان فتح على شاه طوال فترة سلطنته على السدوام في تحريك
والتشغال بمصارعة الثوار بالداخل والأعداء بالخارج ، ومع أنه لم يكن
يميل إلى القتال ويفضل عليه الدعة والتلذذ إلا أن أوضاع عهده ألجأته
إلى الحرب ، لكن الشاه قل أن حضر الحرب خاصة حروب الأجانب التي
لم يأتها قط بشخصه ، اللهم إلا مرة وصل فيها آذربايجان لتجميع
الجيش على جهاد الروس وما أن سمع بهزائم جنود ولي عهده حتى آب
إلى السلطانية .

ويدين أغلب الانتصارات التي صارت نصب فتح على شاه لابنائيه
الأكفاء وقواده الأقوياء منهم الذين قضوا طوال مدة سلطنته التي دامت
سبعة وثلاثين عاما على الثوار الكثيرين على الحكم وحفظوا إيران تحت
أمر وحكم واحد بالرغم من سياسة الأجانب العدائية وهجماتهم عليها .
وتعود شهرة فتح على شاه الخاصة في الداخل والخارج إلى حبه
للمتعة والمال وكثرة أولاده وزوجاته وأوضاع بلاطه وبعض أفعاله
الساخرة البلهاء . فقد ولد لهذا الملك مدة عمره نحو ألفي ولد أبناء وبنات
وأحفاد . حين مات بقي عنه سبعة وخمسون ولدا وست وأربعون ابنة
ومائتان وستة وتسعون حفيدا من ابنائه ومائتان واثنان وتسعون حفيدا
من بناته ومائة وست وخمسون امرأة كن ذات أولاد منه . وكان فتح على
الشاه يقول الشعر ويتخلص بلقب (خاقان) وفترة سلطنته فتح على
شاه من ناحية ازدهار الأدب الفارسي استمرار للنهضة الأدبية التي بدأت
في عصر الزنديين ، لا سيما وقد بلغ في هذا العصر تقاليد أساليب نظم
قدماء الشعر الفرس أوجها ، وقد تزيين في أيامه طبقة من المؤرخين
والمنشئين الذين أخرجوا النثر الفارسي عن حال الانحطاط عهد الصفويين
ووضعوه في مساره الصحيح .

سلطنة محمود شاه

(١٢٥٠هـ - ١٢٦٤هـ)

لما بلغ خبر وفاة فتح علي محمد ميرزا ابن عباس ميرزا الذي ولى العهد من بعد أبيه جلس على عرش السلطنة في السادس من رجب (١٢٥٠هـ) في تبريز بعون ميرزا أبي القاسم الفراهاني قائم المقام الثاني ، وتوجه في الرابع عشر من هذا الشهر يصحبه مسفيرا انجلترا وروسيا والمدفعية وجيش كبير يتألف من القادة الانجليز من آذربايجان الى طهران . وقبل بلوغه لها عزم بعض أعمامه مثل علي ميرزا ظل السلطان وحسين علي ميرزا فرمان فرما (الأمر) وحسن علي ميرزا شجاع السلطنة خلافة أبيهم ، فاستولى من بينهم ظل السلطان على العاصمة وأعلن نفسه عادلشاه وعلى شاه وسك العملة باسمه وشغل مدة أربعين يوما حتى قدوم محمد شاه بانفاق أموال الخزنة الملكية والإشراف والتبذير الى أن وافى محمد شاه طهران في التاسع عشر من شعبان فاستسلم ظل السلطان وعفا عنه الشاه .

وسلك حسين علي ميرزا فرمان فرما (الأمر) وأخوه شجاع السلطنة حسن علي ميرزا سبيل الثورة في شيناز وأرسل الأول أخاه للسيطرة على العراق ، ولما كان الشاه يخشى جانب أخويه جهانكير ميرزا وخسرو ميرزا كذلك ويخاف أن ينضموا الى الثوار غيرهم أمر بسمكهما في أردبيل .

وحين بلغ محمد شاه طهران اختار قائم المقام الثاني لوزارته فأرسل بتدبير منه وقيادة لند ساى ومنوتشهر خان الكرجي معتمد الدولة قوات متأهبة لدفع شجاع السلطنة فألحقت به الهزيمة بالقرب من قمشة ، واستعاد معتمد الدولة شيناز من الأخوين الأمر وشجاع السلطنة وتمكن من أسرهما ، فسلم شجاع السلطنة وألقى في السجن ، ولقى الأمر حتفه في وباء عام بطهران .

قتل قائم المقام في الليلة الأخيرة من صفر (١٢٥١ هـ) :

ولما تغلب محمد شاه مستعينا بقائم المقام وبتدبيره على أكثر طالبى السلطة واستقر على كرسى الملك هرع على أثر أبيه في قتله اعتماد الدولة حاجى ميرزا إبراهيم فاقنتاه في قتله ميرزا تقى خان الأمير الكبير وهو قائم المقام الثانى مدير الأمور ومؤسس أساس سلطنته ، وكان سبب ذلك فوق الاصلاحات المالية التى أقدم عليها قسائم المقام على تنفيذها وكانت على كره من أغلب أعيان البلاط ، أنه كان متصفا بالغرور والاستبداد بالرأى الى حد ما ولم يكن يراعى في تصريف الأمور رأى محمد شاه الضعيف النفس العاجز .

وتألب أعداء قائم المقام مع حاجى ميرزا عباس أو حاجى ميرزا الآغاسى الذى كان يعد نفسه عارفا ومرشدا ولهذا وبسبب سابقة تعليمه كان اذا نفوذا على الشاه ، وعن طريقه أحنقوا الشاه على من له حقوق مسلم بها عليه وعلى أبيه . وفى الخامس والعشرين من صفر (١٢٥١ هـ) استدعى الشاه قائم المقام من قصر (باغ لاله زار) (١) بجوار شارع لاله زار الحالى بطهران) وكانت وقتذاك تقع خارج المدينة الى قصر (باغ نكارستان) (٢) (مكان دار العلوم العالية) فحبس فيها قائم المقام من غير أن يقابل الشاه حتى الليلة الأخيرة لشهر صفر حين مات فيها خنقا بحكم محمد شاه فى إحدى غرف قصر نكارستان العليا ، ثم دفن جسد هذا الرجل الفاضل الفذ بجوار ضريح (حضرة عبد العظيم) .

وقائم المقام الثانى هو ابن ميرزا عيسى أو ميرزا بزرگ قائم المقام الأول — كما أسلفنا — ومن السادات الحسينيين بمهر آباد من فراهان ، وقد نصب بعد وفاة أبيه قائم المقام الأول عام (١٢٣٧ هـ) فى

(١) أى حديقة الشقائق

(٢) أى روضة الزينة (المعرض)

وباء تبريز وزيراً لعباسى ميرزا نائب السلطنة خلفاً لوالده ، ومن عام (١٢٤٩هـ) حين مات نائب السلطنة في مشهد احتفظ بهذا المنصب في خدمة محمد ميرزا وتزوج باحدى بنات فتح على شاه وكانت أخت عباس ميرزا الشقيق ، أو بعبارة أخرى كانت عمه محمد شاه زوجة لقائم المقام .

وكان قائم المقام الثانى فضلاً عن كفاءته وخبرته رجلاً كبير الفضل مشق ونموذج زمانه في حسن الخط وسلاسة الانشاء وجزالة وفن الاستيفاء والسياق ومبتكر لأسلوب جديد في النثر الفارسي ينعدم نظيره في السلاسة والعذوبة والمتانة على وجه الخصوص ، وكان من يعمل تحت امرته فضلاً منشئين جميعاً . وقد أفضى وجود قائم المقام في تبريز الى تجمع جمع كثير من أهل الفضل والانشاء بها وإلى بعث نهضة جديدة في انشاء النثر الفارسي (٣) .

وبعد قتل قائم المقام فوض محمد شاه وزارته الى حاجي ميرزا الآغاسى وظل هذا الرجل المشهور بالجهل والبلاهة والعجز في الصدارة حتى نهاية سلطنة محمد شاه وكان هذا يبدى عن احترام وحسب خاصين له .

غزو هراة (١٢٥٣ - ١٢٥٤هـ) :

سبق القول ان جنود ايران يعد ولى العهد في (١٢٤٩هـ) وكانوا في

(٣) ولد قائم المقام عام (١١٩٣هـ) ، وكان استاذاً في علوم الحكمة والادب والنظم والنثر الفارسي والعربي ومنشئاته وتأليفه نموذج فصيح للعصر القاجارى وتنهج نهج الكليستان . أما في الشعر فكان قائم المقام يفتنى الأسلوب الخراسانى ومع هذا غله ابتكار فيه وتجديد . ومن آثاره المعروفة المثنوى الفكاهى (جلالير نامه) على لسان أحد خدمه المسمى (جلالير) والذى صار موضع تقليد الشاعر المعروف ابرج ميرزا (مقوفى ١٣٠٤ ش) في كتابه (عارف نامه) . وفي جلالير نامه ينتقد قائم المقام أوضاع الجيش والدولة بأسلوب ساخر . وكان لقائم المقام اشعار شكوى حزينة يظهر فيها واضحا آثار الحوادث الدموية التى حدثت في حياته .

شغل بحصار هراة بقيادة محمد ميرزا وقائم المقام الثاني رفعوا أيديهم عن متابعة الحرب في هذه المرحلة لترتيب خلافة ولي العهد وتعزيز مقام محمد ميرزا وصالحوا كامران محمد وقنع محمد ميرزا أن يؤدي كامران خرجا سنويا الى ايران ويعد نفسه تبعا لايران .

وفي أوائل حكم محمد شاه نقض كامران العهد بل هاجم سيستان ، وكان محمد شاه لا تبرح فكره فكرة الاستيلاء على هراة وكان الروس يودون النفوذ الى هراة بسبب استعمارهم لما حول بخارى وخيوة واقتربهم الى حدود أفغانستان فكانوا يشجعون الشاه على هذا الغزو ، ولذلك لم يبد الشاه كبير الاهتمام بالمستشارين والوظفين العسكريين الانجليز الذي أتوا الى العاصمة طهران وكان من بينهم هنري راولينس (Henry Rawlinson) العالم المعروف وقارىء نقوش بيستون

المسمارية ، بل سرح القواد العسكريين الانجليز الباقين الذين كانوا يعملون في خدمته وقصد هراة في التاسع عشر من ربيع الثاني (١٢٥٣ هـ) .

ولما لم تجد انجلترا التي تعهدت في معاهدتها مع ايران ألا تتدخل في خلافات ايران وأفغانستان نتيجة لمساعدتها الى صرف الشاه عن غزو هراة قامت باثارة الأمراء الأفغان على ايران ، ومن ذلك أرسلت رسولا الى دوست محمد خان أمير كابل يدعوه الى عين كامران ميرزا . وقبل دوست محمد معاونة كامران مقترحا شروطا لذلك فلما رفضها نائب السلطنة الهندي وسعى الروس كذلك سعيا حثيثا في اجتذاب دوست محمد وأخيه أمير قندهار كهنديل خان اليهم انتهى بهذين الأخوين الى أن انحازوا الى جانب الشاه ولم يقد الانجليز بشيء من وراء مساعدتهم .

وكان كامران ميرزا معاقرا للأفيون والخمر عاجزا فأقبل وزيره يسار محمد خان على جمع الجند واحكام قلعة هراة وأمدده مهندس المدفعية الانجليزي (بوتينجر) (Pottinger) خير امداد في عمله هذا ، ولهذا ظل محمد شاه وقواته عشرة شهور يخالف قلعة هراة عاجزين

عن تسخيرها ، أما في شمال أفغانستان فقد نجح الله يار آصف الدولة
في تحقيق انتصارات هامة .

وأثناء حصار هراة قدم السفير الانجليزي جون مكنيل
(John McNeill) الى معسكر الشاه وبعد ذهابه الى هراة
ومقابلته كامران ميرزا ويار محمد نخان قرر أن ينهي الحرب بالمصلح ،
لكن بقدوم السفير الروسي آنذاك سيمونيتش (Simonitch)
الى الشاه بدوره وتقويته بعون موظف كبير روسي طلب الشاه من السفير
الانجليزي دفع غرامة مالية نظير تركه حصار هراة ، ولما استطع السفير
قبول الطلب أمر الشاه بالاستمرار في الحصار وعاد جون مكنيل الى
طهران في أشد الحنق وهدد الشاه انه لو أقدم على السيطرة على هراة
فلنسوف تعتبر إنجلترا عمله هذا عملا عدائيا لها ، وبعد فترة قام الأسطول
الانجليزي بالاستيلاء على جزيرة خرج لكي تمنع الشاه عن قصده .

وفي النهاية حين أدرك الشاه في الثامن من جمادى الآخرة (١٢٥٤ هـ)
انه عاجز عن الاستيلاء على هراة ولن يتحاشى القعداء العلني للانجليز
رفع حصاره عن المدينة بعد تكبد خسائر فادحة وعاد الى طهران دون
أن يقرر شيئا أو يرتب أمرا مع كامران ميرزا وكان هذه الحادثة لطمة
قوية لحيشية إيران في الداخل والخارج .

حكاية آغا خان المصلاتي : -

في عام (١٢٣٢ هـ) قتل شاه خليل الله من السادات الحسينيين في
يزد بيد العصاة وكان الرئيس الروحي لبقية الاسماعيلية في إيران والهند
كما وصل بعد ذلك الى حكم كرمان ، ولكي يسترضي فتح على شاه أنصاره
زوج ابنه الأكبر آغا خان احدي بناته وجعله حاكما لقم ومصلات .
وظل آغا خان محترما في بلاط القاجاريين وفسوخ اليه محمد شاه في
(١٢٥١ هـ) حكومة كرمان . وفي (١٢٥٥ هـ) آثر آغا خان الثورة لاستيائه

من مسلك حاجى ميرزا الآغاسى معه ، فلم يستطع لقاء جنود الدولة فلاذ بقلعة بم ، وأقام بعد اتيانه طهران فى (محلات) بأمر من الشاه .

وبعد فترة أتى آغاخان الى يزد متذرعاً بالحج فالتف حوله فيها المريدون وسلك آغاخان ثانية طريق العصيان . وتوجه لقتاله هذه المرة ولد فتح على شاه المحب للفضل بهاء الدولة بهمن ميرزا الذى كان يحكم يزد واضطر آغاخان الى التحصن بكرمان ولما غلب على أمره فيها أيضاً رحل فى (١٢٥٧هـ) الى الهند عن طريق قندهار ودخل حماية الانجليز . وما تزال أسرته على نفس حاله بالهند تتراأس الاسماعيلية بها وبإيران .

خلافات ايران والعثمانيين : —

النتجاً فى عام (١٢٥٨هـ) محمود باشا والى السليمانية بعد عزله الى ايران ، فأرسل محمد شاه رسالة يتوسط فيها له لدى الباب العالى طالبا منه اعادته الى عمله الأول ، فلما أغفل الباب العالى قبول طلب الشاه أمر الشاه والى كردستان بمهاجمة العثمانيين لمساعدة محمود باشا ، فعجز الوالى عن تنفيذ مهمته ولقى الهزيمة فأصدر الشاه أمره بجمع قوات همدان لقتال العثمانيين .

وخلاف هذه المسألة فقد كان يحدث دائما ما بين ايران والعثمانيين خلاف حول مشاكل الحدود وهجوم قبائل الطرفين احداها على الأخرى وسوء معاملة العثمانيين للحجاج والتجار الايرانيين فى العراق ، من ذلك وقت انشغال محمد شاه بحصار هراة أى فى عام (١٢٥٣هـ) ، جرد والى بغداد جيوشه لمهاجمة المحمرة فى مقابل البصرة لحسده ازدهار التجارة فيها فخرّب قسما هاما منها وأصاب تجارها بأضرار بالغة .

ولازالة هذه الخلافات وتحديد خط الحدود تقرر فى النهاية بوساطة سفراء انجلترا وروسيا فى طهران واستانبول تشكيل لجنة من ممثلى الدول الأربع ، فتألفت هذه اللجنة ولكن حل مشكلات الدولتين كان صعبا

والمفاوضات طويلة الى حد أنه صعب الوصول الى نتيجة ثابتة .

وفي (١٢٥٨هـ) أرسل والى بغداد الجديد قواته الى كربلاء بحجة أنها ومشاهد الشيعة المقدسة في العراق تعصى أوامره ويتحصن بها كل من يريد عصيان أمره وقام بقتل أهلها فقتل بغلظة نحو ألف من أبريائها كان كلهم من الشيعة وأكثرهم رعايا لايران .

وحقق الشاه وكان مريضا لما سمع هذا الخبر فأصر على تحريك قواته الى العراق العربى لينتقم لهذا الفعل وحادثة المحمرة من العثمانيين ، لكن ممثلى روسيا وانجلترا تدخلوا ثانية وتقرر تأليف لجنة في أرزنه الروم من مبعوثى الدول الأربع .

وكان يمثل ايران في هذه اللجنة ميرزا تقى خان الفراهانى الذى يخدم في تبريز تحت إمرة ميرزا محمد زنكنة الأمير العسكرى وفي بلاط ولى العهد .

ومكث ميرزا تقى خان نحو ثلاثة أعوام وبضع العام (من ١٢٥٨ حتى ١٢٦٢هـ) في أرضروم (أرزنه الروم) يتفاوض مع ممثلى الدول المجاورة لازالة الخلافات بين ايران والعثمانيين ، وكان على شفا القتل أثناء هذه المدة أيضا نتيجة لثورة العامة وتحريك الأعداء . وفي النهاية بتاريخ السادس عشر من جمادى الثانية (١٢٦٢هـ) عقدت معاهدة ثانية وتبودلت بين ممثلى ايران والعثمانيين بأرضروم تشمل تسع مواد .

وبموجب المعاهدة الثانية لأرضروم المكمل للمعاهدة الأولى بها (المنعقدة في ١٢٣٨هـ) صرحت ايران نظرا عن مطالبتها بالسليمانية والقسم الغربى لولاية زهاب ، واعترفت الدولة العثمانية ازاء هذا بحق تملك ايران لميناء المحمرة وجزيرة الخضر والساحل الأيسر لشط العرب وحق ملاحتها في هذه الأجزاء ، وقرر أن يتخلى العثمانيون عن معاملتها السيئة السابقة للحجاج والتجار الايرانيين ، وأن يعامل الطرفان رعايا الطرف الآخر وفق القواعد الدولية .

فتنة سالار في (١٢٦٢هـ) :

كان الله يار آصف الدولة قاجار دولو الصدر الأعظم السابق لفتح على شاه وخال محمد شاه قد نصب من أوائل سلطنة محمد شاه على حكومة خراسان ، ولما كان دائم الميل الى بلوغ منصب صدارته السابق ويتذرع دائما بأى وسيلة لهذا الأمر ساءت العلاقات ما بينه وأتباعه وبين حاجى ميرزا الآغاسى ، وكان الأخير يجهد فى إقصاء آصف الدولة عن البلاط بسبب استيلائه التام على عقل الشاه والاقبال من شأنه وشأن أولاده بكل طريقة .

وفى عام (١٢٦٢هـ) عصى حسن خان سالار ولد آصف الدولة وكان ينوب عن والده فى حكم خراسان بعلّة كبر سن أبيه وأمر حاجى الآغاسى يدفعه مريض محمد شاه الدائم وخراب أوضاع البلاط ، وظهر بينه وبين بلاط طهران الصراع . وارتحل آصف الدولة الى طهران متظاهرا بالإصلاح ومبطنًا تعزيز مكانته ومكانة أبيه والتأثير على الشاه ، ومع أنه أخذ أمر ولاية مشهد لسالار وخراسان لابنه الثانى ، سقط من نظر قبول الشاه لنفوذ حاجى وأجبر على السفر الى مكة والاقامة بالنجف .

أما سالار فقد بدأ بضم قلعة كلات اليه مستعينًا بأكراد قوشان ثم اتجه ناحية العاصمة بالقوات التى جمعها وتقدم حتى سبزوار . فأرسل الشاه أخاه حمزة ميرزا حشمة الدولة لحكم خراسان ودفع السالار . وأوقع حشمة الدولة الهزيمة بسالار فيما بين سبزوار وشاهرود فهرب الى قبائل التركمان . وأراد حشمة الدولة تعقب سالار لولا أن شسبت بمشهد فتن فأتاها . وفى نفس الوقت تقدم بهمن ميرزا بهاء الدولة الذى كان له حكم آذربايجان وتمرد بتجريض آصف الدولة معتذرا واضطر الى الهجرة الى روسيا وترك إيران .

ظهور مذهب البائية : —

فى أوائل عهد سلطنة فتح على شاه قام أحد علماء الشيعة من أهل

ساحل البحرين أو الأحساء واسمه الشيخ أحمد بن زين الدين ، وكان فصيحا فاضلا لكن مفرطا مغاليا في تشيعه ، بنشر عقائده في أصول الدين بعد مقامه في النجف والتي كانت تخالف عقائد علماء الشيعة الامامية السابقين ، بمعنى أنه قبل من أصول الدين الخمسة التوحيد والنبوة والامامة وأنكر العدل والمعاد (أى البعث الجسماني) . وقال ان العدل مثله مثل سائر صفات الله الثبوتية وليس من علة بأن يوضع بالاختصاص ركن من أركان أصول الدين ، وأنكر المعاد الجسماني لأن الجسم يفنى بعد الموت ، وكان يقول انه لا يبقى من الانسان غير مسادة لطيفة ، وفي هذه الحالة لا يمكن بعث الجسم في القيامة .

واناء ذلك عد الشيخ أحمد الاحسائي الاعتقاد بركن آخر يسمى أتباعه الركن الرابع أمرا لازما ومن جملة أصول الدين وهذه العقيدة الاعتقاد برجل وكيل أو نائب من بين الشيعة الكاملين يكون واسطة بين سائر الشيعة والامام الغائب وكان الشيخ أحمد الأحسائي يعد نفسه آنذاك شيعيا كاملا ويسمى أشيعا أحمد الأحسائي بالشيخية .

وبعد الشيخ أحمد انتهت رئاسة الفرقة الشيعية أو مقام الشيعي الكامل الى أحد تلامذته وكان حاج سيد كاظم الرشتي وكان سيد هذا يعترف له بهذه المكانة من قبل الشيخية حتى سنة وفاته (١٢٥٩ هـ) وكان كثرة من التلاميذ يفيدون من مجلس دروسه .

وبعد وفاة الحاج سيد الكاظم اشتعلت المنافسة بين تلميذين له بسبب خلافته وعد كل منهما هذا المنصب حقا له وهما الحاج محمد كريم خان القاجار والسيد علي محمد الشيرازي . وسمى السيد علي محمد نفسه الباب بدلا من لقب الشيعي الكامل والركن الرابع ، وكان غرضه من ايثار هذه الكلمة التي كانت تطلق على وكلاء الامام الغائب من زمان الغيبة الكبرى هو أن يكون وسيلة الاتصال بالامام الغائب وطريق الوصول الى هذا الفيض . وقد ظل الحاج محمد كريم علي رئاسة الشيخية أصحاب الشيخ أحمد والسيد كاظم بينما قام السيد علي محمد

بالتدريج بتأسيس مذهب جديد سمي البابية • وكان ظهور دعوى السيد علي محمد عام (١٢٦٠هـ) سنة الألف القمرية من تاريخ غيبة الامام الثاني عشر التي حدثت عام (٢٦٠هـ) في عقيدة الشيعة •

وبعد قليل من قيام السيد علي محمد وسمي من نطاق دعواه فعدد نفسه الامام الغائب الذي انتظر ظهوره الشيعة طوال الألف عام وأتى بكتاب سماه (البيان) الذي كان يعتقد زاعما أنه ناسخ للمقرآن الكريم • وقد أوجدت دعوة السيد علي محمد أشياء لها في بوشهر وشيراز وبعض بلاد إيران الأخرى ، من ذلك أن منوتشهر خان معتمد الدولة استدعى الباب لأصفهان وجعله تحت حمايته ، الا أن بعد وفاة معتمد الدولة في (١٢٦٣هـ) لما أخذ الباب يدعو لنفسه في أصفهان ، سيق بأمر من محمد شاه منها الى آذربايجان وحبس بقلعة (تشهريق) وفي شعبان (١٢٦٦هـ) كما سنرى أطلق عليه النار بناء على فتوى علماء تبريز •

وفاة محمد شاه ليلة السادس من شوال (١٢٦٤هـ) : —

اشتد في أواخر عام (١٢٦٤هـ) مرض النقرس على الشاه وكان يؤلمه دائما وكان محمد شاه مريضا بأمراض أخرى ، وفي النهاية مات ليلة السادس من شوال في قصره الجديد في غرب (تجريش) وهو في نحو الثانية والأربعين ، وقد استغرق حكمه أربعة عشر عاما وثلاثة شهور • ولم يكن محمد شاه بوجه عام ملكا حميدا فهو معروف بضعف النفس والعجز ، وقد خرب حبه الخارق الذي كان يبيديه للحاج ميرزا الأغاسي أغلب الأمور لأن قوة نفوذ هذا الحاج بلغت ذروتها في طول مدة حكمه ، ولم يكن يهتم بشكوى تصله منه أو أتباعه ، بل ان هذا الشاه الضعيف كان معتقدا في كرامات للحاج وكان يقابل قوله ورأيه بالاحترام والقبول من كل جهة • وكان للحاج أيضا سياسة في التعمير والدفاع عن المملكة ، ولهذا أنفق أكثر أموال البلاد باسراف في بناء المدافع وشق الترع ولم يثمر فعله غير اضاءة المال سدى •

الفصل الثامن عشر

سلطنة ناصر الدين شاه

(١٢٦٤ - ١٣١٣ هـ)

زادت أوضاع إيران بعد موت محمد شاه والتي ساءت بسبب عجز
الشاه والحاج ميرزا الآغاسي سوءاً على سوء خاصة وأن أكثر كبار البلد
قد أظهروا عصيان الحاج الآغاسي لسخطهم على أفعاله وحنقهم عليه
وكانوا يترقبون سانحة للقيام عليه وطرده • فقد ركن سالار ولد
آصف الدولة للثورة في خراسان من ناحية ومن ناحية أخرى بعث انتشار
مذهب البابية والشقاق الذي أوجده بين الناس والمشاحنات التي جرت
في الولايات الى تزلزل الأوضاع •

ولما رأى حاجي ميرزا الآغاسي أن الوزراء وغيرهم لا ينصاعون الى
أمره وانهم ينتظرون مقدم ولي العهد ليطلبوا اليه عزله عن رئاسة
الوزراء ، بدأ فجمع عدداً من الجنود في طهران حوله حتى سمع منه
مهمة بطلب السلطنة ، لكنه في النهاية لما رأى أنه لن يستطيع تحقيق فعل
اضطر الى التحصن بـ (حاضرة عبد العظيم) اشفاقاً واحتتمى بضريحه •
وأفضى ذبوع خبر موت محمد شاه وحركة الآغاسي لا الى انحلال
الأمر عن نظامها وترتيبها في طهران وحسب وإنما الى اشتعال الفتنة
والاضطرابات في غالب الولايات أيضاً ، وأخذ كل من الكبار يأخذ برأيه
وفقط في العاصمة ، وطفق الجميع يدعى أن ولي العهد بعد قدومه
سيعطيه الصدارة أو رئاسة الوزارة •

أما من أمسك بأزمة الأمور بكفاءة وخبرة بالأمر الى حد ما في

العاصمة حتى قسدم الشاه الجديد فقد كانت (مهد عليا) أم ولي العهد وأدارت دفعة الأمور بعون قلى ميرزا الذى لقب باعتضاد الدولة بعد ذلك وكانت له وزارتها بعد مفاوضات مع ممثلى روسيا وانجلترا السياسيين . واستدعى ولي عهد الدولة ناصر الدين ميرزا وكان يومذاك لا يزيد عن السادسة عشرة ويقيم بتبريز من طرف مهد عليا وممثلى روسيا وانجلترا الى طهران .

وكانت ادارة أمور آذربايجان العسكرية كما قلنا سابقا فى ذاك الوقت بيد محمد خان زنكنة الأمير العسكرى وكاتبه ميرزا تقى خان الفراهانى الوزير العسكرى ، فلما كان تحرك الشاه الجديد الى طهران وقد اقترن به اشتغال الاضطرابات بالعاصمة وفى الطرق لا يمكن بغير قوات كافية فقد تكفل الأمير العسكرى بالأمر فبذل أقصى كفاءته وتدابيره فى هذا الشأن . ولما لقي هذا الأمير بين ذلك حتفه ، منح ناصر الدين شاه لقبه لميرزا تقى خان وأوصل الأمير العسكرى الجديد الشاه الذى سبق أن جلس مكان أبيه فى تبريز فى الرابع عشر من شوال (١٢٦٤ هـ) الى طهران العاصمة ، ولقب الشاه قبل دخوله لها ميرزا تقى خان الأمير العسكرى بلقب الأتابك الأعظم واختاره لرئاسة الوزارة فبدل هذا الاختيار آمال كثير من الطامحين الى هذا المنصب الى يأس فأخذوا من هذا الوقت فى معاداة تقى خان وتحطيم أمره وكان أكبر هذه الجماعة ميرزا آغا خان النورى وزير الجيش الذى سبق أن نفاه الحاج الآغاسى الى كاشان وقدم الى طهران بعد احتماؤه بضريح عبد العظيم ودخل المدينة تحفه مظاهرا الاحترام تحت حماية السفير الانجليزى ويبدو أن الانجليز كانوا يخططون لابلاغه الصدارة رغم أنف تقى خان الذى ظنوا أنه يميل الى السياسة الروسية . وأمر ناصر الدين شاه آغا خان بالعودة من حيث أتى لأنه دخل طهران بدون اذنه ، لكنه بقى بالعاصمة بوساطة الانجليز وتقرر أن يمارس عمله السابق تحت امره تقى خان .

القضاء على فتنة سالار في (١٢٦٦ هـ) : —

بعد أن فر حسن خان سالار الى التركمان ، ظهو عن حمزة ميرزا حشمة الدولة وأتباعه على غير ما يجب عجز وتقصير فنهبوا أموال الناس وأرتكبوا فيهم أفعالا مردولة فأخذ محمد خان أخو سالار وكان متحصنا بمشهد مع جماعة من رفاقه يؤلب الناس ضد حشمة الدولة الى أن انحاز أهل هذه المدينة الى سالار وثاروا مؤيدين له ، واتجه سالار بدوره بمعونة التركمان نحو المدينة فأنزلوا بجند حشمة الدولة الهزيمة وحاصروه بها الى وقت شيوع نبأ وفاة محمد شاه .

وفي تلك الأنباء هاجم مدينة جام يار محمد خان الأفغانى الوزير السابق لكامران ميرزا حاكم هراة الذى سبق أن قتل أميره في (١٢٥٦ هـ) واستقل بها ، وألقى في روع حشمة الدولة وسالار كليهما أنه قادم لمعون كل منهما ، فلما بلغ مشهد انحاز الى حشمة الدولة وأنجاه من الحصار ، لكنه لم يستطع التغلب على سالار بسبب نقص المؤونة فانسحب الى هراة وجد سالار في اثره حتى جام وصارت خراسان في حالة عجيبة من المهرج والفوضى .

والكى يقضى الأمير الكبير على فتنة سالار ويقر أمور خراسان أمر أخا حشمة الدولة سلطان مراد ميرزا بالتوجه من طهران ومعه مدفعيته وسبعة آلاف من المشاة الى خراسان فغلب سلطان حشمة الدولة على مقربة من جوين ، وبعد أن ضم اليه سبزوار وترشيز ونيشابور استدعى حشمة الدولة وكان يعيش في حوالى هراة في حماية يار محمد خان ، وأرسله الى طهران بأمر من الأمير وولى هو خراسان .

وبقى سلطان مراد كل عام (١٢٦٥ هـ) يحاصر مشهد ويحارب أتباع سالار وكان الأمير يمدده من طهران دائماً الى أن ضاق الأمر على المحاصرين أوائل عام (١٢٦٦ هـ) ودخل سلطان مراد مشهد ، فاحتفى سالار وأخواه رولداه بضريح الرضا وخطب الى سلطان عفوه ، لكن هذا الأمير وقد شهر بغلظته وشدة أورد سالار ومن معه ليلة الاثنين

السادس عشر من جمادى الآخرة (١٢٦٦هـ) مورد التلف وانتهت بهذا
فتن خراسان ولقب سلطان مراد ميرزا بلقب حسام السلطنة

ثورة البابية :-

أثناء حبس السيد على محمد بشيراز واقامته باصفهان دعا من
اعتنقوا مذهب الناس في غالب ولايات ايران الى هذا الدين الجديد
وساروا في تبليغه والدعوة اليه وارتفع أمرهم خاصة في يزد وخراسان
ومازندران وزنجان ، وكان علماء الدين والحكام يتعقبونهم بشدة فانتهى
الأمر بينهم بالتدريج الى التنازع والفتن والقتل وبدلاً من أن ينتهى ذلك
الى القضاء عليهم كان يؤدى على النقيض الى توليد المصاعب ومضاعفة
تعصب البابية في نشرهم الدين الجديد وفي تفانيهم فيه ، وكانت هذه
الطائفة تعد الأمير الكبير مسئولاً عن عدم تقدم أمرهم ، لذا تأمرت على
قتله فانكشفت مؤامرتهم ولقى المتآمرون عذاباً شديداً .

وأرسل الأمير الكبير جنوداً من الخاصة للقضاء على البابية بعد أن
صاروا مبعث اختلال الأمن في غالب الولايات ، فغلبوا وقتلوا في كل
مكان رؤساءهم ، لكنهم ووجهوا في مازندران وزنجان مقاومة شديدة
منهم . وفي النهاية تمكن الأمير الكبير من هزيمة البابية في هاتين
الولايتين في عام (١٢٦٥هـ) وكانوا مستبسلين في الدفاع عنهما ،
واستصفى قلاعهم .

وبين كان القتال مستعراً مع البابية ، كان السيد على محمد سجين
قلعة تشهريق بأذربايجان ، فلما قضى على مجاهدى البابية تقرر قتل
امامهم ، فأتى بالسيد على محمد من تشهريق الى تبريز ، وبعد عقد
مجلس مناظرة بينه وبين علماء تبريز قتل بالرصاص يوم الاثنين السابع
والعشرين من شعبان (١٢٦٦هـ) .

ولما قتل السيد على محمد ثار الخلاف بين أتباعه على خلافته ،
فانحازت جماعة قليلة الى ميرزا يحيى المعروف (بصبح الأزل) وتبعته
الأكثرية ميرزا حسين على بهاء الله وكان هذان الرجلان من أهل قرية

(نور) بمازندران وأخوين من ناحية الأب ، وعلى اتفاق في البداية ، لكن التنافس شب بينهما بعد ذلك بقليل ، فقام اتباع بهاء الله وهم البهائية بمعادة أشيع صبح الأزل وهم الأزلية وكان الأزلية هم القلة .

وفي عام (١٢٦٨ هـ) أي بعد قتل الأمير الكبير أطلق البابية النار في طهران في الثامن والعشرين من شوال على ناصر الدين شاه ، لكنهم أخطأوه ، وبسبب ذلك قبض على جماعة من رؤسائهم وقتلوا أشنع قتلة .

عهد صدارة الأمير الكبير والانجازات الهامة لهذا الرجل العظيم : —

كان ميرزا تقى خان الأمير العسكرى وهو بلا شبهة من كبار رجال الدور الأخير لتاريخ ايران من أهل هزاوه أصلا وهى من قرى فراهان ، وكان أبوه (كربلائى قربان) في بداية حاله في خدمة ميرزا أبى القاسم قائم المقام الثانى يعمل طباشا ثم ناظرا ، وتربى الأمير أيضا منذ عهد شبابه في معية قائم المقام ، وصار من كتاب هذا الرجل الكفاء ، ثم بلغ منصب مساعد ميرزا محمد خان زنكنه الأمير العسكرى ولقب بلقب الوزير العسكرى . وقد بدأت شهرة ميرزا تقى خان من وقت مأموريته مع خسرو ميرزا الى بطر سبرج ، وأثناء سفارته الى الدولة العثمانية وعقده معاهدة أرزنة الروم الثانية ونتيجة للكفاءة التى ظهرت منه أيام اقامته في هذه المدينة ، بلغت شهرة تقى خان الوزير العسكرى الى كل الأسماع واعترف القاصى والدانى بمهارته وأملوا في مستقبله الوضاء .

وكما سبق الشرح ، ورث ميرزا تقى خان منصب ميرزا محمد خان زنكنه بعد موته ولقبه في آذربايجان ، وبذل في ابلاغ ناصر الدين شاه الى طهران واجلاس على عرش السلطنة غاية كفاءته ، ونصب في رئاسة وزارة ايران (صدارتها) مع وجود كثير من الطامحين بلقب الأتابك الأعظم (الحادى والعشرين من ذى القعدة عام ١٢٦٤ هـ) ، وتزوج في السنة التالية بأمر الشاه من أخته ، فزاد عن ذى قبل قوة ونفوذا .

وحيثما قبض الأمير الكبير على أزمة الأمور كانت أوضاع ايران

مختلفة من كل ناحية ، فتوق فتنة سالار والبابية وقصف الطامعون في السلطنة والصدارة في كل جانب يترقبون فرصة ويثيرون القلاقل ، وكان نظام الجيش متضعفا وكانت الخزائن خاوية وعدد المتطوعين الذين احتازوا من محمد شاه وحاجي ميرزا الآغاسي أنواعا مختلفة من الاقطاع والوهبات لا حصر له ، وكان الموظفون الأجانب يتدخلون في شئون البلاد الداخلية على أي نحو يشاؤون ، ولم تكن إيران تشابه البلاد الراقية من حيث الإدارة والنظم التي رأى الأمير بعضها وسمع وصف بعضها الآخر في شيء ، ولم تكن لديها من العلم والصناعة أساس يمكنها به أن تؤمن مستقبلها ازاء البلاد المتحضرة . وبدلا من أن يظهر هذا الرجل المخلص ذو العزم العجز أمام كل هذه الموانع والمشاكل أقبل بقوة عظيمة على اصلاح ما تخرب وازالة نواحي العجز واستجلاب أسباب التعمير وإنتاج الثروة وتهيئة أسباب تعليم الشعب واصلاح المالية والجيش والنهضة بالبلد ، لكن للأسف كان هذا الرجل وحده وله في البلاط والداخل والخارج أعداء أقوياء وغرماء متسلطون يقفون سدا في طريقه ويحولون دون تقدم أعماله الإصلاحية .

ومع أن فترة رئاسة الأمير الكبأ للوزارة كانت قصيرة (ثلاث سنوات وثلاثة شهور) ومع وجود عظم المشاكل وسعاية السعاة وعداء خصومه المستمر ، فقد خلف آثار الخير في تنظيم إدارة كل شيء بإيران وتمهيد طريق رقي هذا البلد ونهضته بحيث تجعل المرء حين يلحظ فهرسها يدين بالاعجاب بهذا الرجل ويقر بعظم مكانته وكانت هذه الأعمال الخيرة عن حبه لوطنه وعزة نفسه واستقامته فضلا عن مهارته وخبرته وقوته المتميزة ، وهاك خلاصة انجازات الأمير الكبير واصلاحاته :

١ - أمر الأمير في أول عهده بحذف الألقاب وصفات التشريف التي لا معنى لها والتي كان الكتاب جارين عليها حسب عادة العهد

الصفوى وأوائل القاجارى فى مراسلاتهم وأن يكتفى فى خطابه بلفظ
(جناب) عن لقب الصدر الأعظم ، •

٢ — سد طريق كافة العائدات غير المشروعة التى كان موظفو
الدولة يأخذونها عنفا من هذا وذاك تحت اسم (الداخل) ومنع الارتشاء
تماما وجعل لكل مأمور وموظف راتبا حسب كفاءته وعمله •

٣ — وبعد وصوله الى طهران بفترة وجيزة عين هيئة لتحديد
ميزان الدخل القومى والمنصرف واتضح فى الحال أن وضع المالية ليس
سيئا الى الحد الذى كان متصورا ، لأنه مع وجود النفقات الضائعة
سدى فلم يكن رصيد الخزانة دينارا واحدا وكان يلزم فوق ذلك أموال
على وجه السرعة للقضاء على فتنة خراسان وثورة سالار وتجيش
الجيوش لذلك •

وعلاجا لذلك أسقط الأمير الكبير فى الخطوة الأولى أغلب الاقطاعات
والهبات الضائعة التى كان رجال الدين والأمراء والمتملقين يحصلونها
بغير استحقاق ، ولم يأبه اذ ذاك بقول أحد لأنه لم يكن هو نفسه قابلا
للرشوة أو يسير طريقه بالتهديد أو الترغيب ، وبهذا النحو خفض مبالغ
عظمى من نفقات الدولة وجعل وصول الضرائب تحت نظام عادل ، وروج
التجارة الداخلية والخارجية بمدد ظل الأمن لها وبحمائته للتجار رواج
تام ، وشجع الصناعة المحلية وحث الصناع على احتذاء للصناعة
الخارجية ، وبعث بفريق منهم لتعلم الحرف والصناعات الى بلاد
الغرب ، وبذل كبير مساعيه للاستزراع وتعمير البلاد ، ونتج عن ذلك أنه
لم يعتدل ميزان الدخل والمنصرف وحسب بل توفر مال فى الخزانة أيضا
عندما أخلى الأمير الكبير عن الأمور •

٤ — ولكى يعلم الأمير الكبير الشعب ويوقظه أقدم على نشر
الصحف وترجمة الكتب وتأسيس (المدرسة العالية) بطهران فضلا عن

ارساله بعض الطلبة الى البلاد الأوروبية واستخدام المعلمين والأساتذة الأوروبيين ، وأسس مدرسة دار الفنون لتعليم الطب والفنون الحربية واللغات الأجنبية ، وإن كان افتتاحها قد حدث بعد عزل الأمير بمدة قليلة .

وقد أمر الأمير الكبير ببناء مدرسة مناسبة لإنشاء دار الفنون ، واستقدم عدداً من المعلمين والمستشارين من النمسا ، وقد تم بناء المدرسة ووصول المعلمين الأجانب بعد اعتزال الأمير بنحو ثلاثة شهور ، وافتتحت دار الفنون رسماً في الخامس من ربيع الأول (١٢٦٨ هـ) ، ودخلها للتعليم بها أول أمرها مائة من الأمراء والأعيان ورجال الدولة بلبس خاص لتحصيل فنون المشاة والفروسية والمدفعية والهندسة وأفرع الطب واللغات الأجنبية .

هـ — وحين بلغ الأمير طهران ، لم يكن جيش إيران النظامي يزيد عدد الموجودين به عن الثلاثمائة جندي مع انه كان اسماً يضم أربعة آلاف ، فتوجه الأمير من فوره وقد كان القائد العام لجيش إيران أو الأمير العسكري (أمير العسكر) وله معرفة كاملة بالفنون العسكرية أيام عباس ميرزا وهو بآذربايجان الى اصلاح أمور الجيش فنظم جيشاً متدرباً على يد المعلمين الأوزبكيين (١) تغلب بهم على ثورات الولايات فضلاً عن أن البنادق وبعض الآلات الحربية الأخرى رمهات الجيش

(١) يقول القاءاني في مدح الأمير :

زدت عدد الجيش بمقر عرش الشاه

حد أن مشاته وخرسانه غطوا طريقاً مسيرته شهران (سياقي) والقاءاني هو ميرزا حبيب الله المتوفى (١٢٧٠ هـ) شاعر كبير ابن شاعر أيضاً ، ولد عام (١٢٢٢) بشيراز وتعلم بخراسان وتغرب الى حسن علي شجاع السلطنة فتخلص باسم ابنه اوكتاي قاآن وعن طريقه اتصل بفتح علي ومحمد شاه وناصر الدين ومدحهم . والقاءاني من أشهر شعراء القصيدة في العصر القاجاري نسج على منوال شعراء خراسان خاصة العنصري والفرخي ومنوتشهرى . وله فوق ديوان شعره كتاب باسم (بريشان) أي المتفرق والمضطرب نشره يحاكي الكستان . ومع انه أول شاعر إيراني تعلم الفرنسية الا انه لم يتأثر بمعرفته بها في شعره .

قد صار أمرا متداولاً بإيران ، وقد شجع الأساتذة الإيرانيين على تقليد الأوربيين في هذا المجال بمدّهم بالمساعدات والحوافز .

٦ - قبل صدارة الأمير الكبير خاصة بعد تحميل إيران معاهدة تركمانتشاي كان سفيراً روسيا وانجلترا يتدخلان في أمور البلاد الداخلية كيفما يشاءان وكان الشاه ووزرائه في حقيقة الأمر آله لتنفيذ مطالب أحدهما حيناً والعبوة في يد الآخر حيناً آخر . فحدد الأمير الكبير من نفوذ هذين السفيرين في طهران بحسم وقال ان تدخل الأجانب في الأمور الداخلية يكون معقولا ومسموحا به الى الحد الذي لا يصدّم فيه كرامة الأمة ومنعتها ، وفي حين تحرك ناصر الدين شاه عن تبريز لم يسمح للقنصل الانجليزي أن يتعهد بحماية الأرمن بها ، لأنه كان يعد هذا الأمر من واجبات دولة إيران . ولما طلب سفيراً روسيا وانجلترا أثناء فتنة سالار وحصار مشهد التوسط للصلح بين الدولة وثار مشهد أجاب الأمير بصراحة أن أهل مشهد يفضلون أن يسقط منهم عشرون ألفاً صرعى على أن يستولى الشاه على مدينتهم بوساطة الأجانب .

٧ - بدأ الأمير الكبير كذلك بانجازات لتجميل طهران ورفع مستوى حال أهلها والارتقاء بالعاصمة ، فأنشأ لهم سوقاً ومنزلاً للقوافل (خاناً) سمي باسمه وبناء خاصاً جديداً يضم بضعة دكاكين لم يكن لها مثيل من حيث الجمال والجدة في طهران ، وخطط لجلب بعض مياه نهر الكرج لشرب الناس وتعمير المدينة وأمر بتنظيف الحمامات وكانت له في هذا المجال خطط أخرى لم يوفق في انجازها بسبب قصر فترة صدارته .

عزل الأهـير وقتله : -

مع أن انجازات الأمير الإصلاحية كانت كلها تتضمن الخير والنفع العامين وفي حالة درام صدارته كانت إيران تقترب بالسعادة والرقى

والرفعة الا أنها كانت تحرك ازاء ذلك حسد المغرضين وعداء الطفيليين يوما عن يوم بسبب أنه أبعدهم عن الأمور لفسادهم وعجزهم وأقفسن طرق نفوذهم ومنافعهم ، وكانت هذه الشرذمة تأمل في وسيلتين لطرح الأمير أرضا هما صغر سن الشاب وعدم حنكته ونفوذ أمه مهـد عليـا الخارق والتي لم تكن من البداية على نظرة حسنة للأمير وكانت تحتج في الظاهر في عدائها له بأنه من عائلة متواضعة ولهذا قطع باستبداد قام رواتب الأمراء والأعيان والنجباء ورجال الدين وما كان يجرى عليهم من أموال وقصر أيديهم عن سائر الأمور بينما كانت حقيقة الأمر أن الأمير قد قطع على مهـد عليا طريق أفعالها ونفوذها الباطل وسد على بعض أعمال لهوها ، لهذا كانت على عناد تام له وتريد بكل وسيلة أن تجلس في مكانه ميرزا آغا خان النورى وزير الجيش •

وأول حركة معادية علنية صدرت عن أعدائه ضده حدثت بعد توليه الصدارة بنحو خمسة شهور أى بعد مرور عشرة أيام من زواجه بأخت الشاه رغم رفض مهـد عليا ، فقد حرص أعداء الأمير في الثامن عشر من ربيع الثانى (١٢٦٥ هـ) خمسة أفواج (ألفى جندى وخمسمائة) من الجنود الأذربايجانيين المقيمين بالعاصمة وكانت رواتبهم قد تأخرت على الثورة على الأمير الكبير وطلب تغييره • فالتف الثوار حول منزل الأمير وتهتكوا في أفعالهم وأفسدوا وقتل اثنان من خدم الأمير في هذه الحادثة ، ولم يجد الشاه وقد عجز عن اخماد هذه الفتنة بدا من قبول طلب عزل الأمير • وأتى الأمير منزل ميرزا آغا خان ، وتمكن آغا خان وجمع آخر من اخماد ثورة الجنود بمشقة وعاد الأمير الى عمله ولقب آغا خان بلقب اعتماد الدولة •

ومع أن ناصر الدين شاه كان لا يزال اذ ذاك حدثا فقد ظل فترة يقاوم ايعازات أعداء الأمير وتحريضات أمه وكان يدافع عن أعمال هذا الأمير وانجازاته ، لكنه صار بالتدريج مغلوب مكرهم ، وبدأ من أواخر

عام (١٢٦٧هـ) يغير نظره شيئاً فشيئاً إلى هذا الأمير المحنك خاصة وأنه كان أثيراً جداً عند الجنود وأقهم المعرضون للشاه أن الأمير يفكر في السلطنة ، وبسبب أن الأمير تأن يستخدم بعض الاستبداد في تنفيذ أعماله وكان غالباً لا يهتم بأوامر الشاه الشاب ، اتشد سوء ظن الشاه به ، إلى أن حدث أن استدعى الأمير في رجوعه من سفر لأصفهان أحد أخوة الشاه إلى طهران وكان الشاه قد نصبه على حكم قم مخالفاً بذلك أمره ، وأقر الشاه أخاه مرة ثانية على حكم هذه المدينة من الأمير لما فعل ، ولما أتى إلى طهران ، لم يعد يستدعيه من العشرين من المحرم (١٢٦٨هـ) إلى البلاط وأصدر فرمان عزله عن الصدارة ، لكنه ترك منصب أمارته للعسكر له ، وجعل ميرزا آغاخان اعتماد الدولة النوري وزير الجيش السابق رئيساً لوزرائه .

وبعد عزل أمير العسكر ، خافت مهد عليا واعتماد الدولة من بقاء الأمير في طهران وخشياً أن يعطف الشاه عليه بعد قليل فيدعوه ثانية إلى الصدارة فحثا الشاه أن يكلف الأمير بحكم فارس أو قم أو أصفهان . ولم يقبل الأمير الأمر بداية ، لكنه انتهى إلى الرضا بحكم كاشان . وفي هذه الأثناء أرسل السفير الروسي والذي كان يبدى اهتماماً خاصاً بالمحافظة على حياة الأمير ولم يكن راضياً بصدارة اعتماد الدولة ، جماعة لحراسته جهلاً منه أحاطت بمنزله . فأغضب هذا العمل الطائش الشاه ورجاله وبعث على أن يبعد الأمير إلى حديقة (غين) بكاشان . ولما خشى رجال البلاط خطوات السفير الروسي وأعمال نفوذه لارجاع الأمير حرضوا الشاه في النهاية على إصدار أمر قتل هذا الرجل الذي ليس له نظير ، وأرسلوا إلى كاشان جلاداً خاصاً شاء الله أن يكون ممن رباهم الأمير ونشأهم ، فحرض في الثامن عشر من ربيع الأول (١٢٦٨هـ) الدلاك على قطع عروقه وهو بالحمام ، ولفظ الأمير الكبير آخر أنفاسه في حمام فبن بكاشان بهذه الطريقة المؤلمة دون أن يبدي عجزاً أو استغاثة وحمل جسده منها ليدفن بمشهد .

الاستيلاء على هــراة في (١٢٧٣هـ) :-

لم يكن ميرزا آغاخان النورى الذى ولى الصدارة بعد عزل الأمير الكبير وكن لقبه اعتماد الدولة فى كفاءة هذا الأمير ولا حنكته فى أى شىء وكان غير جدير لأفكار هذا الرجل الماهر البعيد النظر العالية ولا انجازاته للصالحه ، فبدأ فى أول خطوة له بعزل أغلب حكام الولايات والعمال الذين نصبهم الأمير وأحل محلهم معارفه والمتعلقين به وأعاد قدرا من الرواتب التى بغير حق والمجريات التى قطعها الأمير لاصلاح وضع الخزانة وأمحت أكثر اصلاحات الأمير الكبير بسببه ولأسباب أخرى أو توقفت •

وتزامن القسم الأخير لصدارة اعتماد الدولة النورى التى استمرت من (١٢٦٨هـ) حتى (١٢٧٥هـ) مع وقائع عظمى مثل حروب القرم (الكريمة) فى شبه جزيرة البلقان وسواحل البحر الأسود الأوربية ما بين روسيا من ناحية والعثمانيين وروسيا وفرنسا من ناحية أخرى ، ولما كان العثمانيون والانجليز من كبار جيران ايران يتقاتلون فى هذه الحروب ضد روسيا جارتها الأخرى فقد سعت الدول الثلاث الى أن تجتذب ايران الى كل منها ، وكانت روسيا تؤمل ايران بعود لمهاجمة العثمانيين وأفغانستان من ناحية وكان الانجليز والعثمانيون يوعدها من ناحية أخرى بعود لاكتساب وحدتها معهما أو حيادها • وليسوء الحظ بدلا من أن تنفذ ايران من هذه الفرصة السانحة جرت اليها بسبب صغر سن الشاه وجهل الصدر الأعظم ضرا كبيرا بمعنى أن الشاه غير رأيه مرارا فى انحيازه لأحد الطرفين ، وارتفع الخلاف بينه وبين الصدر الأعظم لأن كلا منهما كانت له سياسة خاصة وفى النهاية حينما أراد الشاه أن يدخل الحرب مساعدا الانجليز والعثمانيين وفرنسا ضد روسيا رفض الحلفاء اقتراحه لأنهم كانوا على شفا هزيمة روسيا ولأنهم كانوا يرون أنه سوف يتوجب عليهم بعد ذلك الحفاظ على ايران من انتقام

روسيا بامداداتهم العسكرية وكان هذا الأمر يعنى أخطارا عظيمة لهم
ولهذا فقد رضوا بحبياد ايران .

وكان اعتماد الدولة حتى هذا التاريخ قد أظهر انحيازه التام الى
الانجليز لكنه غير رأيه بسبب عداة شخصى مع سفير بريطانيا بسبب
مسائل واهية ، وبسبب رسالة شديدة كتبها الى السفير الانجليزى ،
غادر هذا السفير وأعضاء سفارته العاصمة فى الخامس والعشرين من
ربيع الأول (١٢٧٢هـ) وانقطعت العلاقات السياسية بين ايران وانجلترا
مع مساعى سفير فرنسا البالغة لازالة الخلاف بين الصدر الأعظم
والسفير الانجليزى .

ومات يار حمد خان عام (١٢٦٨هـ) وكان أولا وزير كامران ميرزا
ثم استولى على هراة بعد قتل أميره وظل حاكما لها وذلك بسبب اظهاره
الطاعة لايران ولوالى خراسان ، وخلفه ابنه صيد محمد خان وسار سيره
أبيه أيضا فى طاعة ايران ، لكنه بما أنه كان عتلا قبيح المسلك دعا أهل
هراة فى غيابه محمد يوسف ميرزا حفيد فيروز ميرزا وكان مقيما بمشهد
اليهم فوليها فى الحرم (١٢٧٢هـ) وأرسل الى بلاط ايران عهد تبعيته
واستقر فى حقيقة الأمر على حكم هراة تابعا لها وقبض على صيد محمد
خان وقتل .

وتقدم دوست محمد خان حاكم كابل وقندهار بعد تحالفه مع
الانجليز للاستيلاء على هراة فاستمد محمد يوسف حسام السلطنة والى
خراسان ، لكنه بعد وصول الجيش الايرانى سلك طريق الخيانة وأخذ فى
نهب الجيش الذى قدم لمساعدته . وتحرك هذه المرة حسام السلطنة
بنفسه الى هراة وألقى بحصاره عليها وبقت هراة من رمضان (١٢٧٢هـ)
حتى الخامس والعشرين من صفر (١٢٧٣هـ) تحت حصار الجيش الايرانى
ولم يكف طوال هذه المدة حسام السلطنة عن حربه بالرغم من تهديدات
الانجليز ومساعى دوست محمد الى أن فتش فى النهاية فى الخامس

والعشرين من صفر (١٢٧٣هـ) قلعته المحكمة عن طريق مهندس فرنسي ،
ودخلت هذه المدينة تحت تصرف ايران المباشر وهى من المعابر
الاساسية للهند .

وفي أثناء حصار هراة أرسل اعتماد الدولة فرخ خان أمين الدولة
الكاشانى ، وقد فوض اليه كافة التصرف ، الى استانبول وباريس
لاصلاح ما حدث بينه وبين السفير الانجليزى من خصام انتهى الى قطع
العلاقات بين الدولتين ، وذلك بمقابلة سفيرى انجلترا فى هذين البلدين
ويعيد العلاقات الحسنة ثانية بين ايران وبريطانيا . واقترح السفير
الانجليزى فى استانبول أخيرا بعد اصرار أمين الدولة على لقائه مرات
ورفضه لقاءه شروطا قاسية لى يحدد علاقات البلدين كان من بينها
طلبه عزل اعتماد الدولة عن الصدارة . ورفض أمين الدولة قبولها
بسبب شدتها وبلوغه خبر فتح هراة ، وعاجل الى باريس لعل نابليون
الثالث امبراطور فرنسا بتوسطه يفصل فى الخلاف بين ايران وانجلترا
الى وضع أفضل .

وقررت انجلترا بعد رفض شروط سفيرها فى استانبول من طرف
أمين الدولة أن تجبر ايران على اخلاء هراة بارسال سفن حربية وجيش
لايران ، واحتلت السفن الانجليزية لهذا القصد فى السادس من ربيع
الثانى (١٢٧٣هـ) جزيرة خرج ونزل جيشها فى بوشهر واحتلوها بدورهم .
وأنفذ ناصر الدين شاه ميرزا محمد خان قاجار الذى ولى الصدارة
كذلك بعد هذا لطرده الانجليز فى الجنوب ، لكنه لم يستطع ولا خائلا
ميرزا احتشام الدولة والى خوزستان ايقاف تقدم الانجليز فى بوشهر
والحمرة برغم شجاعة جنود ايران ، وتقدم الانجليز حتى الأهواز .

وكان فرخ خان أمين الدولة أثناء هذا داخلا فى باريس فى مفاوضات
مع السفير الانجليزى بوساطة امبراطور فرنسا الى أن عقدت فى السابع
من رجب (١٢٧٣هـ) معاهدة باريس بينهما وتقرر أن يخلى الانجليز جزر

ايران وموانئها وأن تسحب ايران جنودها من هراة وأفغانستان وتعترف باستقلالهما وأن تصرف نظرها عن أى ادعاء لها خاص بهما وأن ترضى بحكم الانجليز فى حل الخلافات التى تنشأ بين ايران وأفغانستان وقد زادت معاهدة باريس التى بموجبها خرجت أفغانستان كلية عن تبعية ايران ودفعت بايران الى الاعتذار للسفير الانجليزى من قوة نفوذ انجلترا فى البلاط الايرانى وتقبل اعتماد الدولة شروطها باغتباط تام لأنه كان يخشى ما هو أسوأ منها وحمد الله على أن الانجليز لا يصرون على عزله ، ولكن صدارته لم تدم طويلا بعد انتهاء الحرب مع انجلترا لأن ناصر الدين شاه عزله عنها بعد أن اطلع على فساد الأمور فى عهد رئاسته للوزارة وذلك فى المحرم (١٢٧٥هـ) وأمسك بنفسه أزمة الأمور وأمر بتشكيل أكثر من وزارة فى ايران متأسيا ببلاد أوروبا مثل وزارة الأمور الخارجية ووزارة المالية ووزارة الأمور الداخلية ووزارة الحربية ووزارة توظيف العاملين ووزارة العلوم • وفوض وزارة المالية الى ميرزا يوسف مستوفى الممالك الآستيانى الذى سبق أن نفاه اعتماد الدولة الى آشيتان كما استوزر على قلى ميرزا اعتماد السلطنة للعلوم وميرزا محمد خان قاجار الذى لقب بلقب (سبهسالار) أى قائد الجيوش فى الحربية ، وظل هذا الحال حتى عام (١٢٨١هـ) حين تصدر ميرزا محمد خان قاجار الوزارة •

حرب سرخس فى (١٢٧١) ومرو فى (١٢٧٦هـ) :-

قبل غزو هراة وحكومة حسام السلطنة الثانية على خراسان أى فى (١٢٧١هـ) وعهد حكومة فريدون ميرزا الأمر (فرمانفرما) أتى والى خوارزم محمد أمين خان الذى لقى فيما سبق هزيمة على يد حسام السلطنة الى مرو مرة أخرى وهاجم خراسان وتقدم حتى سرخس • فتقدم اليه فريدون ميرزا وفى رجب (١٢٧١هـ) أصاب خان خيوه فى سرخس بهزيمة شديدة وقتل محمد أمين خان فى المعركة وأرسل رأسه

الى طهران وعاد فريدون ميرزا بعد طرد التركمان على حدود مرو الى مشهد •

لكن مهاجمة التركمان لأهل مدن خراسان لم يكن بالأمر الذى يزول بهذه السهولة لأن هذه الجماعة الناهبة المتقلة بالصحراء كانت دائما سبب الاضرار بأهالى خراسان واسترabad وندر أنهم نجوا من أذاهم •

وفى أواخر عام (١٢٧٦هـ) سير ناصر الدين شاه لاقتلاع شأفة تركمان تكة وسالور حشمة الدولة حمزة ميرزا يصحبه ميرزا محمد قوام الدولة الأستيانى على رأس أربعين ألفا الى حدود مرو • ولقى جنود ايران بسبب عدم احتياطهم والخلافات التى شبت بين حشمة الدولة وقوام الدولة هزيمة مرة من التركمان فى السابع عشر من ربيع الأول ، وقتل أو أسر نحو ثلثيهم بسبب انعدام المؤون وسوء وضع معترك الحرب ومياه (تنجن) التى أطلقها التركمان تحت أقدامهم ، وعاد حشمة الدولة وقوام الدولة الى مشهد يجللها الفضح فعزلها الشاه وأحضرهما الى طهران ، وأمر حسام السلطنة ثانية بتولى خراسان فأقر أمورها • وفى هذه الأوقات بدأ الروس باحتلال التركستان الشرقية والغربية ووديان سيحون وجيحون فيما بين شمال بحيرة آرال وشرق بحر الخزر واجتاحوا هذه الأراضى واحدة بعد الأخرى فاستولوا من بينها على خيوة فى (١٢٧٠هـ) وطاشقند وسمرقند وبخارى فى (١٢٨١هـ) و (١٢٨٥هـ) وباستيلائهم على هذه المناطق اقتربوا الى وادى أترک وصحراء التركمان ولكى يفتح الروس طريقهم الى أفغانستان وخراسان قرروا ازالة التركمان ومع أنهم لقوا منهم الهزيمة فى عام (١٢٩٦هـ) الا أنهم قضوا على تركمان تكة تماما فى (١٢٩٨هـ) فى كوك تبه ، وزال خطر هذه الجماعة عن أهل خراسان واسترabad ، الا أن خطرا أفدح حل محله نشأ بمجاورة روسيا لايران فى هذا الاتجاه •

تحدد حدود ايران :-

باستثناء حدود ايران الشمالية الغربية أى الحدود بين آذربايجان والأمالك الروسية فيما وراء القفقاز التى حددتها معاهدة تركمانتشاى وحدود ايران مع الدولة العثمانية التى قررتها معاهدة أرزنه الروم فقد كانت سائر حدود ايران الباقية غير ثابتة الملامح حتى أواسط عهد ناصر الدين شاه لأن القبائل والبدو (التركمان والأفغان والبلوج) كانوا يسكنون غالب هذه الحدود ، ولم يكن ممكنا تحديد خطوط الحدود فيها بسبب هجماتهم الدائمة على بلاط ايران الشمالية الشرقية والشرقية وعدم ثبات طوائفهم فى أماكن بعينها . وكانت هذه الحال موجبة بصورة ما فى الحدود الغربية لآذربايجان والكرديستان وخوزستان بالرغم من وجود معاهدة أرزنه الروم ، اذ كانت هجرات القبائل الكردية والعربية من ناحية لأخرى تولد المشاكل دوما بين ايران والدولة العثمانية .

وبعد اعلان استقلال أفغانستان واستقطاع هراة من ايران واحتلال الانجليز لقسم من بلوجستان وبلوغ حدود أملاك الروس الى استرأباد وخراسان ، أصبح أمر تحديد حدود ايران فى الناحية الشمالية الشرقية والشرقية من ايران مع جيرانها الجدد موضع الاهتمام .

كانت بلوجستان حتى أوائل عهد ناصر الدين شاه بتمامها تحت طوع ايران وكان خانها يؤدى الخراج لها عهد الأمير الكبير ، الا أن ضعف الدولة فى عهد خلفائه وثورات خراسان وأفغانستان قد أدى بالقسم الشرقى لهذه الولاية التى تبعد أكثر عن كرمان الى القلاقل والثورات ، وبعد أن أنهى الانجليز خطهم البرقى الدائرى فى ايران فى عام (١٢٨٠ هـ) وانتهوا الى ميناء كوادر دخلوا فى مفاوضات لتحديد الحدود بينها وبين امبراطوريتهم فى الهند فى هذه الناحية ، وكان المفوض من جانب الانجليز لهذا الامر من اسمه (جولد سميد) (Goldsmid)

وبعد مدة من المفاوضات قبل أخيرا ناصر الدين شاه بمقترحات جولد سميث وقررت الحدود الحالية من شرق ميناء كوادر حتى شرق كوهك .

وحددت هيئة كانت برئاسة جولد سميث أيضا بين عامي (١٢٨٨) و (١٢٨٩ هـ) . القسم الشمالي للحدود بين بلوچستان الانجليزية وايران أى الخط ما بين كوهك وجبل الملك الأسود والحدود بين سيستان الايرانية والأفغانية ، وبعد سلسلتين من المفاوضات الأخرى التي تمت بين عامي (١٣١٤ هـ) و (١٣١٧ هـ) بين ممثلي ايران والانجليز حددت قطعا الحدود الحالية لبلوچستان وسيستان .

أما الحدود ما بين مقدمة جبال ذى الفقار وصحراء سيستان وهى الحدود بين خراسان وولايات هراة السابقة فقد كانت غير محددة على وجه الدقة وكان ينشعب فى الغالب بين الأفغان واهل خراسان النزاع بسبب تقسيم المساء والمواقع وغيرهما وظل هذا الحال من الاختلاف حتى عام (١٣١٤ هجرية شمسية) (١) حين ثبتت الحدود الحالية بين ايران وافغانستان بواسطة تركيا .

وفى المحرم من عام (١٢٩٩ هـ) عقد معاهدة بين ايران وروسيا تقرر بموجبها خط الحدود الحالية بين خراسان والتركستان ، الا أن الروس لم يكونوا يحترمون شروط هذه المعاهدة كثيرا لخطتهم السيئة لبسط نفوذهم فى سواحل بحر الخزر واستراياد وخراسان ، وكانوا يحتجون دائما بأوهى الحجج للهجوم على تلك المناطق كما حدث عام (١٣٠١ هـ) حينما استولوا على سرخس القديمة على الساحل الأيمن لتجن واحتلوا جزائر آشور آده ازاء ميناء كز متذرعين بضرب القائناساق التراكمة ودفعتهم . وفى (١٣١٠ هـ) استقطعوا قصبة فيروزة بضغط على ايران . وقد زالت الخلافات بين ايران وروسيا بموجب المعاهدة التي

(١) تقويم هجرى يبدأ من الهجرة على أساس السنة الشمسية وهو نقل عن التقويم الهجرى القمري المعمول به بنحو اثنين وأربعين عاما بحسبكم تحسب السنة القمرية عن الشمسية وقد استخدم التقويم الهجريان فى ايران .

عقدت بين ايران والحكم الجديد في روسيا في السابع عشر من جمادى الآخرة عام (١٣٣٩ هـ) (السادس والعشرين من فبراير عام ١٩٢١ م) بمعنى أن الدولة البلشفية أخلت جزائر آشور آده وفيروزه لايران واعترفت ايران أيضا بتملك روسيا سرخس القديمة .

اما الحدود الغربية لايران فمع أنها لم يطرأ عليها تغيير فادح بعد عقد معاهدة أرزنه الروم الثانية ، فقد كانت تنشأ خلافات بين ايران والعثمانيين بسبب بعض الأجزاء خاصة مناطق القبائل التي على الحدود بينهما ، وكان الخلاف الأساسي في هذه النواحي بسبب قطور من بلاد خوى التي احتلها العثمانيون أثناء ثورة سالار وانشغال ايران بأمور خراسان . وكانت جارتا ايران والعثمانيين أعنى الانجليز والروس يحكمون غالبا في حل هذه الخلافات ، كما حدث مرة عام (١٢٨٢ هـ) ومرة ثانية أثناء عقد معاهدة برلين بعد هزيمة العثمانيين من الروس أي في عام (١٢٩٦ هـ) اذ توسطتا في الاصلاح بين الدولتين في هذا الخصوص ، الى أن انتهى الأمر بعودة قطور الى ايران بموجب المادة (٦٠) من تلك المعاهدة . ولكن مع هذا لم تنزل الخلافات على الحدود بين الايرانيين والعثمانيين ، الى أن حل عام (١٣٣٢) حين أرسلت الدول الأربع ممثليها لتحديد الخط القطعي لحدود غرب ايران اليها ، وقد أنهت هذه الهيئة مهمتها قبل أن تشتعل الحرب بين العثمانيين والروس ومعهم الانجليز أيام الحرب العالمية الأولى بيوم واحد فقط ، وتحددت الحدود النهائية بين ايران والدولة العثمانية الا أن ايران لم تعترف رسميا بهذه الحدود واعترضت على جزء منها خاصة الجزء المجاور لشط العرب وبعد أن أنقسمت الدولة العثمانية وتأسست دولة العراق الجديدة تحت سيادة انجلترا وأصبحت جارة ايران في هذا الجزء جددت ايران اعتراضها ، وتحول حل الخلافات على الحدود بين ايران والعراق الى عصبة الأمم ، وبعد بضع جولات من المفاوضات ، حلت أخيرا الدولتان خلافتهما على الحدود بينهما في عام (١٣١٥ هـ . شمسية) بالمفاوضات المباشرة وانتهى الأمر لصالح ايران .

صدارة حاجى ميرزا حسين خان السبهبسالار : —

كما سبق أن أشرنا لم يختار ناصر الدين شاه بعد عزله اعتماد الدولة النورى واحدا غيره للصدارة حتى عام (١٢٨١ هـ) وانما ألف هيئة وزارية كانت رئاستها فى الحقيقة للشاه . وفى عام (١٢٨١ هـ) فى الرابع والعشرين من شوال منه اختار ناصر الدين شاه ميرزا محمد خان قاجار وزير الحربية وقائد الجيوش (سبهبسالار) — الذى بذل فى السنة السابقة لهذا العام فى تأديبه تركمان استراياد كفاءة ولقب بالسبهبسالار الأعظم — للصدارة وترك له الشاه أيضا وزارات الحربية والمالية والخارجية التى كان الشاه يديرها مباشرة .

ولبتت صدارة ميرزا محمد خان قاجار حتى عام (١٢٨٤ هـ) وفى هذا العام أعطى الشاه لميرزا يوسف مستوفى الممالك وزير المالية عمل محمد قاجار فظل مستوفى الممالك يدير أمور الصدارة حتى عام (١٢٨٨ هـ) بغير لقب الصدارة .

وفى الرحلة التى قام بها الشاه الى مشهد عام (١٢٨٧ هـ) استرعى نظره الخدمات التى قام بها حاجى ميرزا حسين خان القزوينى الملقب بمشير الدولة السفير الكبير لايران فى البلاط العثمانى ، فاستدعاه الى طهران ونصبه وزيرا للعدل وتوظيف العاملين والأوقاف . وبعد اعتزال مستوفى الممالك اختار الشاه ميرزا حسين خان مشير الدولة أولا بلقب قائد الجيوش (سبهبسالار) وزيرا للحربية وقيادة الجيش ثم للصدارة فى التاسع والعشرين من شعبان (١٢٨٨ هـ) .

وكان حاجى ميرزا حسين خان رجلا متعلما محبا للإصلاح والارتقاء ففكر فى متابعة اصلاحات الأمير الكبير وبدأ فاستصدر من الشاه أمرا باصلاح وضع البلاط وهيئة الوزراء ثم نظم أمور الجيش وكان كل دأبه هو أن تكون ايران مملكة يحكمها القانون تعرج فى مدرج الرقى والعدل والمساواة ولكى يعرف الشاه على رقى البلاد المتحضرة صاحبه فى عام (١٢٩٠ هـ) الى بلاد أوروبا بالرغم من مخالفة رجال الدين .

وقبل تحرك الشاه الأول الى أوروبا بعام منح السببسالار امتياز
انشاء خط حديدى فى ايران يبدأ من طهران الى رشت ومن العاصمة الى
خليج فارس لمدة سبعين عاما لأحد الرعايا الانجليز واسمه «البارون رويتر»
(Baron de Reuter) وتقرر أنه اذا لم يبدأ صاحب الامتياز
فى العمل حتى خمسة عشر شهرا من أول عام (١٢٩١ هـ) يدفع الى ايران
أربعين ألف ليرة انجليزية .

ولم يتفق هذا الامتياز ومصالح ايران اذ أنه وضع تقريبا جميع
التصرف فى الأمور الاقتصادية الايرانية فى مدة سبعين عاما لأحد الأجانب
وكان يعطيه الحق فى استخراج كافة معادن البلاد (باستثناء الذهب
والفضة والأحجار الكريمة) والافادة بجميع الغابات والترع وقنوات
المياه وحق تصدير جميع المحاصيل الوطنية وتأسيس بنك والبريد
والبرق والمصانع وغيرها ، وصار تنفيذ هذا الامتياز أمرا مشكلا لرويتر
الى حد أن الطرفين المتعاهدين سرعان ما أدركا أن هذا الأمر قد تم
بدون دراسة من الجانبين . فضلا عن أن انتشار شروطه صار سبب
جدال كثير فى أوروبا ودفع بالروس الى الغضب وتهديد ايران . ولهذا
أدرك ناصر الدين شاه فى سفره لأوروبا تخطيط دولته السياسى . وتجمعت
فى طريق مشروع رويتر من طرف ايران مشاكل جعلته لا يبدأ عمله فى
الموعد المحدد ولهذا ألغى الامتياز وجمدت ايران أربعين ألفا هى وديعة
رويتر ، الا أن البارون لم يكتب عن طلب استردادها الى أن منحت ايران
فى السابع والعشرين من جمادى الأولى عام (١٣٠٦ هـ) البارون المذكور
لاسترضائه امتيازاً بتأسيس البنك الشاهنشاهى الايرانى لمدة ستين عاما
وحصرت حق نشر أوراق النقد لهذا البنك .

وفى عودة الشاه من أوروبا أى فى رجب (١٢٩٠ هـ) دفع حاجى
ميرزا حسين خان الى اعتزال الصدارة والاقامة برشت بسبب الخلاف
الشديد الذى نشأ بين البلاط ورجال الدين وصدارته ، ولما وصل الشاه
الى العاصمة نصب مستوفى الممالك فيها ، ثم استوزر ميرزا حسين خان

للخارجية ومنحه في عام (١٢٩١هـ) لقب السبها سالار الأعظم ووزارة
الحربية أيضا •

ومع أنه لم يعد للسبها سالار نفس حماسه السابق في عهد وزارته
الثانية حين تعهد وزارتي الخارجية والحربية ، إلا أنه جاهد لتفتيح
أعين الشعب الإيراني وأسماعه ، من ذلك تشجيعه الشاه على تأسيس
صحيفة بالفرنسية والفارسية واستقدم أحد البلجيكين لإدارتها
ب طهران • لكنه بمجرد أن صدر العدد الأول من هذه الصحيفة في المحرم
(١٢٩٣هـ) وهو لا يوافق أهواء الشاه ولا رجاله ولحديثه عن الحرية
والمساواة والعدل وسيادة القانون وعداء التملق حتى أصدر الأمر
بتوقفها •

وقد صاحب حسين خان ناصر الدين شاه أيضا في سفره الثاني
لأوروبا في (١٢٩٥هـ) وبعد عودة الشاه من سفره هذا أشركه مع مستوفي
الممالك في إدارة كافة أمور البلاد وظل هذا الحال إلى أن أزاله عام
(١٢٩٧هـ) عن وزارتي الخارجية والحربية ولقب السبها سالار ووجهه إلى
حكم قزوین ، ثم حكومة آذربايجان بعد هذا بقليل • وأثناء مهمته هذه
ذهب إلى روسيا سفيرا فوق العادة ، وبعد عودته توجه لحكم خراسان
وسیستان وتولى أمور مشهد ، وكان هذا المنصب في حقيقته بمثابة إبعاده
عن العاصمة • وتوفي السبها سالار في منصبه هذا في مشهد في الهادي
والعشرين من ذي الحجة (١٢٩٨هـ) في سن السابعة والخمسين •

ونعاجني ميرزا حسين خان مشير الدولة السبها سالار القزويني أكبر
رجال العهد القاجاري بعد الأمير الكبير ، ومن آثار هذا الرجل الجليل
مسجد سبها سالار بطهران وقصر دار الشورى الوطنية الإيرانية •

تعريف إيران إلى الحضارة الغربية : —

مع أن إيران دخلت منذ العهد الصفوي في علاقة كلية مع البلاد
المتحضرة والغربية ونظير بها بعض وسائل الحضارة الجديدة ومقتضياتها

من قبيل الأسلحة النارية والعسكرية الأوروبية وصناعة السفن وغير ذلك تقليدا لأصحاب الحضارة الغربيين ، واستمر ذلك أيام نادر أيضا ، إلا أن اتساع نطاق تقليد الحضارة الأوروبية لم يكن قط مثلما كان عهد سلطنة ناصر الدين شاه الطويلة نوعا . والسبب الباعث الى ذلك فضلا عن اتساع العلاقات بين إيران وأوروبا وانبساط حدود مستعمرات بعض من الدول الأوروبية حتى حدود إيران هو اهتمام عدد من الرجال الإيرانيين ذوى الفطنة وحب الارتقاء كانوا قد تعرفوا الى الحضارة الغربية وأدركوا كل الادراك مزايها .

وأول نهضة بدأت في هذا السبيل في عهد المقاجريين كما أشرنا فيما سبق حدثت أوائل حكم فتح على شاه . ففي تلك الأيام نتيجة لقدوم هيئة عسكرية فرنسية الى إيران ولما أقدمت عليه من اصلاح لأهــوان الجيش وبناء المدافع ووضع الخرائط وجمع المعلومات الجغرافية المفيدة المتعلقة بإيران توجهت أذهان القائمين على أمر إيران الى حد كبير الى ضرورة الاقتباس من الحضارة الأوروبية . ثم قام عباس ميرزا ببعث الطلبة وأرباب الحرف الى إنجلترا وروسيا ، وأنشأ مصانع كذلك بمعاونة الخبراء للمدفعية والبارود والأقمشة والمطابع وغير ذلك في آذربايجان .

والسبب الأساسى لمعرفة إيران الحضارة الجديدة في عهد ناصر الدين شاه يرجع الى بذل العناية الخاصة من قبل ثلاثة من الوزراء المستبصرين المحبين للتجديد كانوا له وأولهم الأمير الكبير الذى ذكرنا نبذة من انجازاته في هذا المضمار فيما سبق ، وثانيهم حاجى ميرزا حسين خان مشير الدولة السبـهسالار الأعظم الذى كشف في رحلتى السفر اللتين صاحب فيهما هذا الشاه محاسن الحضارة الغربية ومزياتها اليه عيانا ، فأقبل نتيجة لهذا الشاه على جلب بعض من مظاهر هذه الحضارة ولوازمها . وثالثهم ميرزا على خان أمين الملك الذى لقب بعدد بأمين الدولة . وقد أيد هذه النهضة كذلك بعض من التجار من مثل حاجى

محمد حسن الأصفهاني « أمين ضرب العملة » ورجال آخريين مثل يحيى خان مشير الدولة أخى السببهسالار واعتضاد السلطنة على تقى ميرزا ، وهاك خلاصة تاريخية لاقتباس بعض مستلزمات الحضارة الجديدة : —

١ — ظل البريد يدار فى ايران حتى عام (١٢٩٢هـ) عن طريق منازل البريد تحت امرة من كانوا يسمون رؤساء البريد (تشابار باشى) ولم يكن له صورة منظمة مستحسنة ، وفى هذا العام استخدمت ايران أحد المستشارين النمساويين لتنظيم بريدها وفقا للنظام الأوربى الجديد ، فلقى بريد ايران بعونه التأسيس المنظم ، وبعد هذا بعامين قبلت ايران عضوا فى اتحاد البريد العالمى • وعين بعده « أشـتال » (Stahl) الروسى مديرا عاما لبريد ايران ، ومع أن فترة ادارته لم تدم أكثر من عام الا انه ، وكان رجلا كثير العلم والدقة ، قام مدة اقامته بايران بدراسات علمية قيمة عن المعادن والأوضاع الجغرافية لشمال ايران وجنوبها الشرقى ونشر مقالات وخرائط كثيرة الأهمية تتعلق بهذه الاماكن •

وبعد رحيل اشتال صار بريد البلاد مرة أخرى حتى فترة رهن الفوضى الى أن ترك الشاه ادارته الى وزير الرسائل الخاصة وهو ميرزا على خان أمين الدولة ، فأداره لسنوات ادارة حسنة •

٢ — أول خط للبرق (التلغراف) عمل فى ايران كان عام (١٢٧٤هـ) بين قصر السلطنة الشاهى وقصر (باغ لا لهزار) • وبعد هذا بعامين مد خط بين طهران والسلطانية بعون على قلى ميرزا اعتضاد السلطنة ، ثم امتد الى تبريز بعد هذا بعام •

وحدث فى نفس الوقت أن دخل الانجليز فى مفاوضات مع ايران ليربط لندن مع بمباى بالبرق عن طريق اليااسة ، فبدأوا فى عام (١٢٨٠هـ) بأخذ امتياز انشاء خط بين خانقين وطهران وبوشهر ، ثم مدوا بعد ذلك

خطا آخر من جلفا الى طهران عام (١٢٨٦ هـ) ، وعام (١٣١٩ هـ) دار خط آخر عن طريقهم من كاشان الى يزد وكرمان وبلوچستان . وقد تركت سائر هذه الخطوط بعد انتهاء مدة الامتياز الى ايران وهى اليوم تحت ادارة الدولة المباشرة .

٣ - كان لكل من مدن ايران الكبرى حتى عام (١٢٩٤ هـ) دار ضرب العملة خاصة ، وكانت المسكوكات تضرب فى كل مكان تحت اشراف أحد المعاييرين الذين تحددهم الدولة ، الا انها اختلفت بعضها عن الآخر فى الشكل والعيار . وفى هذه السنة استجلبت الدولة وسائل تأسيس دار لضرب العملة الجديدة من أوروبا الى طهران وعهدت للعمل فيها الى اشراف أحد المستشارين الألمان ومجموعة من الخبراء الفرنسيين وكانت رئاستهم أولا لميرزا على خان أمين الدولة لكن بعد أن تأسست فى عام (١٢٩٦ هـ) دار ضرب جديدة ترأس آغا محمد ابراهيم خان أمين السلطان المسئول عن شراب الشاه هذا المنصب ، وقد خرجت أول عملة جديدة راجت فى سائر ايران فى هذا التاريخ من تلك الدار الجديدة .

٤ - ومع أن المبشرين النصارى قد قدموا الى ايران فى العصر الصفوى بأول مطبعة رصاصية الا ان الطبع انتهى بها بعد قليل من الرواج الى أن أسس عام (١٣٤٠ هـ) فى طهران أول كتب مطبوعة بالمطابع الرصاصية والمشهورة بالمطابع المعتمدة بعون منوشهر خان معتمد الدولة .

ولما سافر ناصر الدين شاه سفره الأول الى أوروبا أتى بمستلزمات مطبعة كاملة الى ايران بالشراء ، وزاد انتشار الصحف فى عهده من عدد المطابع ، وعمت المطابع من بعد تبريز وطهران سائر مدن ايران أيضا . وأول صحيفة أنشئت احتذاء بأوروبا كانت فى أواخر سلطنة فتح على شاه ، لكنها توقفت على الصدور بعد أن ظلت تصدر حتى عهد محمد شاه ، الى أن قرر الأمير الكبير فى السنة الرابعة لحكم ناصر الدين شاه نشر صحيفة درج بها موجز أحداث العالم ليطلع عليها شعب ايران .

وقد صدر أول أعداد هذه الصحيفة التي سميت (وقائس اتفاقية) ونظمت بإشراف أحد الانجليز يوم الجمعة الخامس من ربيع الثاني عام (١٢٦٧ هـ) في طهران وسميت هذه الصحيفة عام (١٢٧٧ هـ) باسم صحيفة دولة ايران العلية وزينت بالصور ، وفي عهد ناصر الدين أيضا صدرت بضع صحف في طهران وتبريز باللغات الأجنبية ، كان من ضمنها الصحيفة التي أصدرها حسين خان السبهاالار بالفرنسية في طهران وتوقفت بعد عدد واحد ثم الصحيفة العلية الايرانية التي اديرت تحت اشراف اعتضاد السلطنة والتي كان يكتب في كل عدد لها بضع صفحات بالعربية والفرنسية أيضا .

٥ - بعد إلغاء امتياز البارون دي رويتر واشتداد التنافس بين الروس والانجليز في ايران صار كل مشروع لم خطوط السكك الحديدية بها عقيما ، ولم يمد غير خط قصير في عام (١٣٠١ هـ) بين العاصمة وضريح (حضرة عبد العظيم) ثم تأسس خط آخر في (١٣٠٧ هـ) بين آمل ومحمود آباد بماندريان بسعى محمد حسن أمين دار ضرب العملة ، وسرعان ما توقف الخط الثاني ، ولم يفد الخط الأول شيئا بسبب قصره .

وأول خط هام نوعا ما قبل النهضة الأخيرة بايران هو خط جلفا وتبريز وفرعه من صوفيان حتى شرفخانه الذي نال امتيازه الروس وأنهوه عام (١٣٣٤ هـ) وقد ترك هذا الخط لايران بعد معاهدة (١٣٣٩ هـ) بين ايران والدولة البلشفية في روسيا .

أما طرق عربات الخيول والبريد فقد شق كثرة منها في ايران في ذلك الوقت ومن قبيلتها طريق طهران ماندريان وطهران الى الغرب والتي تولى انشاءها مهندس نمساوي .

٦ - بعد انشاء مدرسة دار الفنون وبعث الطلبة الى أوروبا أكثر من مرة ، فتح رجال ايران وتجارها في أوروبا والهند باب العلوم الجديدة

الأوربية. نوعا ما على ايران وأصبح متداولاً ترجمة الكتب وتأليفها في العلوم الجديدة مثل الفلك والجغرافيا والعلوم الطبيعية والطبية والفنون العسكرية ، واهتم الناس بتعلم اللغات الأجنبية ، وصار اعتضاد السلطنة ومعتمد الدولة فرهاد ميرزا وإدارة مدرسة دار الفنون ووزارة الطباعة والنشر ودار الترجمة وجماعة من الأرامنسة الواقفين على الفارسية واللغات الأجنبية المرشدين للشعب في هذا السبيل .

٧ — وعلاوة على المؤسسات والمصانع التي كانت تهيمن عليها الدولة كدار ضرب العملة وصناعة البارود والبنادق وغير ذلك قدمت جماعة من الرجال والتجار الى ايران بعدة مصانع لخدمة المرافق العامة من مثل مصنع مصابيح الكيروسين الذي أسسه ميرزا حسن خان السبهبسالار في (١٢٩٧ هـ) ومصنع لسكر بكهريزك الذي بدأ في العمل بهمة ميرزا علي خان أمين الدولة في (١٣١٧ هـ) ومصنع البلور والصينيات والحرير التي أسسها جميعا أمين ضرب العملة ، وقد وقف عن العمل بعد فترة قليلة عدد كبير — نوعا ما — من المصانع الأخرى مثل مصانع الكبريت والنسيج بسبب المنافسة الخارجية وعدم وجود رأس المال الكافي والخبراء .

٨ — شاع في عهد ناصر الدين شاه كثير من الآداب والعادات الأجنبية في ايران أيضا ومع أن انتشارها قد بدأ من عهد فتح علي ومحمد شاه إلا أن انطلاقه قد زاد عن ذي قبل في ذلك العهد ، ومن آثار هذا العهد طرح القلانس وتغيير الملابس وتداول الأطعمة الأوربية وشرب الشاي وارتقاء زراعة شجر الأفيون والدخان والبطاطس وبعض النبات والأزهار غير الوطنية .

قتل ناصر الدين شاه في ذي القعدة (١٣١٤ هـ) : —

كما سبق الشرح بعد أن أزال ناصر الدين شاه ميرزا حسين خان السبهبسالار عن الصدارة عام (١٢٩٠ هـ) فوضها لميرزا يوسف مستوفي

الممالك وظل مستوفى الممالك الذى كان يقال له الآغا فى هذا المنصب حتى عام وفاته (١٣٠٣هـ) .

وفى عهد صدارة مستوفى الممالك كانت الحادثة الهامة هى ثورة الشيخ عبيد الله من رؤساء الأكراد على الحدود الغربية لآذربايجان والكرديستان عام (١٢٩٧هـ) . وكان هذا الشيخ معدودا من الأئمة الدينيين والصوفية فكان له بين بنى جلده نفوذ وقد نجح أثناء حرب العثمانيين والروس فى جمع قدر من السلاح ، وبدأ العصيان والمهاجمة بهدف توحيد عامة القبائل الكردية على حدود ايران من الناحيتين تحت امرته ، فجاءه حمزة ميرزا حشمة الدولة لازالته ، ووافى حمزة أجله المحتوم موته طبيعية أثناء دفعه اتباع الشيخ عبيد الله فاختر حسين خان السبهبسالار لاتمام مهمته . وأحرق السبهبسالار وحسين على خان الكروسي أمير العسكر ووزير المرافق العامة باتباع الشيخ أولهما من ناحية أروجى ومراغه والثانى من جهة كروس ولاذ الشيخ فارا الى الدولة العثمانية بعد بضع هزائم فحمته هذه الدولة لكنها تعهدت بالامتناع عن اعادته لايران .

وبعد موت مستوفى الممالك فوض الشاه بالصدارة الى ميرزا على أصغر خان أمين السلطان ابن الآغا محمد ابراهيم مسئول مشارب الشاه وكان اذذاك لا يزيد عن الثلاثين ثم لقبه بعد ذلك بالوزير الأعظم . وظل أمين السلطان بالصدارة حتى آخر حكم ناصر الدين شاه ، ولما كان ذكيا ورجل الدسائس فقد استولى على عقل الشاه وأمسك فضلا عن الصدارة بوزارات البلاط والداخلية والجمرك والخزانة وادارة دور ضرب العملة وحكومة الموانئ ، ومع هذه القوة فلم يكن مهتما باصلاح البلاد وترقيتها ولم يكن فى مثل فكر الأمير الكبير والسبهبسالار وأمين الدولة بل كان يسعى أبلى من أى شئ الى المحافظة على مناصبه وكسب رضا الشاه ورجاله .

وصاحب أمين السلطات الشاه في شهر شعبان (١٣٠٦ هـ) الى أوروبا ، ومنح الشاه أثناء هذا السفر الثالث لأوروبا الذي استغرق من شعبان (١٣٠٦ هـ) حتى صفر (١٣٠٧) بعض الامتيازات البالغة الضرر الى الانجليز بتشجيع أمين السلطان وسمسرة أو دلالة ملكم خان ناظم الدولة سفير ايران في لندن والذي كان أصلا من أرامنة جلفا أصفهان ورجلا طموحا لا خلق له مخادعا محبا للمال ، ومن أخذ هذه الامتيازات انما أخذوها باعطاء نثرشى الضخمة للملك وأمين السلطان والهدايا القيمة لناصر الدين شاه وكان من جملة هذه الامتيازات حق افتتاح دور الميسر واليانصيب والقمار في ايران والتي حاز ملكم أولا على السماح بها من الشاه ثم باع قرار السماح بها الى مجموعة من المساهمين الانجليز . ثم منح امتياز احتكار شراء وبيع الطباق والدخان والمشمومات في ايران للداخل والخارج لشركة انجليزية لمدة خمسين سنة فقط بشرط أن تدفع الشركة سنويا الى ايران خمس عشرة ألف ليرة انجليزية وربع أرباحها . وقد أصدر قرار هذا الامتياز أثناء سفر الشاه الأخير الى انجلترا لكن امتيازه وقع عليه في الثامن والعشرين من رجب (١٣٠٨ هـ) .

وألغى الشاه امتياز الميسر واليانصيب والقمار فورا بعد عودته الى طهران ووقوفه على أعمال سرقة ملكم وغضب على ملكم وعزله ، لكن الدولة فشلت في أن تستعيد الأموال التي استلبها ملكم من شركائه باسم الدولة بسبب هذا الامتياز وعادت خسارتها الى ايران .

أما امتياز احتكار الدخان فقد دخل في عام (١٣٠٨ هـ) مرحلته العملية وأنشئت شركة باسم (هيئة دخانيات شاهنشاهية ايران) في لندن وأرسلت ممثلها لايران وتسلت ادارة لها عرفت بالرجى (Régie) وبدأت مقدمات احتكار شراء دخانيات ايران وبيعها وتصديرها في يد عمال تلك الشركة .

وبدا شعب ايران في الثورة على اثر معلوماته القليلة عن احوال البلاد الأجنبية واطلاعه على الصحف الفارسية الصادرة في استانبول ومن ثم عرف بشروط هذا الاحتكار وقارنه بامتياز منحتة الدولة العثمانية لاحتكار دخانها لشركة أجنبية بشروط أفضل وفشل أمين السلطان برغم محاولاته تهديد العلماء الشيعة وترغيبهم وقد قاموا بمساعدة الشعب وأفتوا بحكم تحريم استخدام الدخانيات أن يرجعهم عن سلوك الثورة ، وأخذ عدااء الرجى يأخذ شيئاً فشيئاً شكل ثورة الشعب على البلاط وأصول الاستبداد ، وكان امام القوم في هذا السبيل في طهران الحاج ميرزا حسن الآشتياني (١٢٤٣ - ١٣١٩ هـ) من أجلة علماء الأصول وفي مشهد الحاج ميرزا حسن الشيرازي (متوفى عام ١٣١٢ هـ) رئيس الشيعة وقد جاهد كلاهما قدر وسعه للقضاء على امتياز الاحتكار حتى ألغى الشاه وأمين السلطان أخيراً هذا الامتياز في السادس عشر من جمادى الأولى (١٣٠٩ هـ) خشية ثورة الناس وإعلان العلماء للجهاد وطوت شركة دخانيات الشاهنشاهية بساطها من ايران •

وقد أفهمت حادثة الرجى والنجاح الذى أصابه الشعب والعلماء بالغاء امتيازها الناس وعلماءها أنه يمكن بالضغط والثورة منع الأعمال المستبدة للحكم الاستبدادى للشاه وصدرة الأعظم ، وكان هذا مقدمة لمثل هذه الثورات في أيام صدارة أمين السلطان وعين الدولة عهد حكم مظفر الدين شاه • لكن ازاء الغاء امتياز الرجى فقد نشأ عن هذا شقاء عظيم لايران وهو أن الشاه وأمين السلطان لكى يدفعوا الخسائر التى تسببت للشركة الانجليزية أثناء شروعها في العمل أجبروا على أن يستدينوا من البنك الملكى خمسين ألف ليرة انجليزية ليدفعوها اليها • وكان هذا أول قرض تستقرضه ايران من أجنبى ، وقد زاد هذا القرض والقروض الأخرى التى اقتترضتها الدولة في عهد ناصر الدين شاه وخلفائه من انجلترا وروسيا شقاء ايران يوماً بعد يوم وفتحت أيدي

نفوذ واستيلاء جارتها الجنوبية والشمالية في هذه البلاد أكثر عن ذي قبل .

وقد تزايد فساد بلاط ناصر الدين شاه وظلم الحكام وجورهم خاصة الارتشاء في أواخر الحكم ، ولم يك بين الرجال القائمين بالأمور من يفكر في العلاج ، لأنه لم يجرؤ أحد أن ينبس ببنت شفة عن طلب الإصلاح أمام نفوذ أمين السلطان الذي فاق الحدود واستيلائه على عقل الشاه . وكانت إدارة الأمور في ظاهرها لمجلس شورى مؤلف من أمين السلطان وكامران ميرزا نائب السلطنة وولد الشاه ووزير الحربية وحاكم طهران وميرزا علي خان أمين الدولة وزير البريد (الرسائل الخاصة) والأوقاف وتوظيف العاملين ووزيري الخارجية والتغراف ، ولم يكن بينهم رجل عليم بالأمور خاطب للإصلاح غير أمين الدولة لكنه كان عاجزاً وكانت الخصومة والتنافس قائمين دائماً بينه وبين أمين السلطان إلى أن أرسله أمين السلطان في أواسط عام (١٣١٣هـ) قبل قتل ناصر الدين شاه ببضعة شهور إلى تبريز ليتولى حكم آذربايجان وأبعده في الحقيقة عن طهران .

وقد أدت هذه الأحوال خاصة أفعال أمين السلطان غير المرضية ومعه كامران ميرزا بالشعب الذي انتصر في قضية المرجى وعرف حقوقه عن طريق عدد من العلماء والتجار والمطلعين على أحوال أوروبا إلى أن يفكر في إصلاح الفساد ونقد أسلوب الحكم الاستبدادي وأعمال أمين السلطان وكامران ميرزا الاستبدادية النفعية ، وكان جمع كبير من الداخل والخارج يسعون إلى إيقاف الشعب مثل أمين الدولة والحاج الشيخ الهادي النجم آبادي (١٢٥٠ - ١٣٢٠هـ) والسيد جمال الأسدآبادي الهمداني (الأفغاني) (١٢٥٤ - ١٣١٤هـ) . وقام ملكم بسبب عداوته للأمين السلطان وطلبه لمنصبه وقصر يده عن الأمور إلى حد ما بتأسيس صحيفة القانون في لندن وأنشأ يذكر مظالم الحكم الاستبدادي باسم سيادة القانون وتغيير وضع حكومة إيران ، ولم تخل كتاباته من التأثير

في الشعب بسبب كثرة العامية بها ووصولها من الخارج •

وفي السابع عشر من ذي القعدة (١٣١٣هـ) حين انصرم من سلطنة ناصر الدين شاه تسعة وأربعون عاما وخرج الشاه يومها لزيارة ضريح (حضرة عبد العظيم) أطلق عليه النار ميرزا رضا الكرمانى ممن رباهم الحاج الشيخ الهادى النجم آبادى والسيد جمال الدين الأفغانى وظلمهم كامران ميرزا ، ومات ناصر الدين شاه — وكان يهيم احتفال مرور خمسين عاما على سلطنته — متأثرا بهذه الضربة •

سلطنة مظفر الدين شاه

(١٣١٣ — ١٣٢٤هـ)

مظفر الدين شاه الذى ولد عام (١٢٦٩هـ) هو رابع أبناء ناصر الدين شاه ومات أخواه الأكبر منه معين الدين ميرزا وأمير قاسم خان في صغرها بعد أن نال كلاهما ولاية العهد أحدهما بعد الآخر ، ولم يبلغها الابن الثالث لناصر الدين شاه مسعود ميرزا ظل السلطان والذى يكبر مظفر الدين بثلاث سنوات بسبب أن أمه لم تكن من الأسرة الحاكمة ، وظل مظفر الدين من عام (١٢٧٤هـ) حين ولى العهد وهو ابن الخامسة حتى أن قتل والده نحو أربعين سنة في ولاية العهد ، وقل أن خرج خلال هذه الفترة من آذربايجان مع أن والده سافر الى أوروبا ثلاث مرات وساح في أغلب بلاد ايران ، وكان ضعيف النفس جباناً مصاباً بالعلل من أواسط عمره فبعد ذاك لذلك كان يعيش في جهل تام بأوضاع العالم ومضال الملك ولم يسع أبوه ناصر الدين كما يتوجب في أمر تربيته وولايته في خدمته بالمستبصرين الأكفاء من الناس ، ورقى مظفر الدين العرش والذى كان دأبه الدائب معايشة الندماء وأهل النفاق الجهلاء وهو في حال من السذاجة واللهو وانعدام البصيرة ، وبسبب أن آذربايجان كانت يومئذ تحت نفوذ الروس الكامل السياسى فقد كانت غالبية من

حول ولى العهد مائلة الى السياسة الروسية .

بعد مقتل ناصر الدين شاه وقدم ولى العهد الى طهران بقى أمين السلطان صاحب القوة الفائقة الحدود فى الصدارة على حاله ، ومع أن طلاب الحرية والساعين الى انهاء أساس الحكم الاستبدادى وزوال دولته كانوا يأملون فى تحسن الأوضاع الا أن الشاه لم يأبه بمطلبهم فأيسوا من تخلية أمين السلطان من الصدارة ، بيد أن وزارة أمين السلطان لم تدم أكثر من سبعة شهور وعزله عنها الشاه فى أواخر (١٣١٤هـ) واستدعى أمين الدولة من آذربايجان الى طهران وجعله رئيسا للوزراء فى الحادى عشر من ذى القعدة من ذلك العام ، ثم نصبه فى رجب (١٣١٥هـ) فى الصدارة ، وأعطى بذلك طلاب الإصلاح آمالا وقد كانوا يثقون بأمانة أمين الدولة وعلمه ووطنيته .

وعمل أمين الدولة أيام صدارته على اصلاح الأمور ووضع نصب عينيه تنفيذ المشاريع التى أعدها الأمير الكبير وحاجى ميرزا حسن خان السبهاى فى هذا المجال ، فأطلق حرية الصحف وأكثر عددها وقام بإنشاء المدارس وأسس جمعية لتطوير العلوم ولما كانت أوضاع البلد المالية متردية للغاية ولم يكن بالخزانة مال يفى بنفقات الشاه الداخلية ، وكان كل شىء يدخل جيوب المتطفلين وحاشية الشاه وخدمه المتعديدين عمل أمين الدولة على ادارة المالية والجمرك والخزانة ادارة منظمة ولأجل هذا قام باستقدام المستشارين من الخارج فضلا عن قضائه على تزوير المستوفيين ونهبهم والموظفين الماليين ، وكان من ضمن هؤلاء المستشارين ثلاثة من الباجيكيين استدعاهم لايران ، وأشهرهم (نوز) ، لتنظيم الجمرك ودور ضرب العملة والبريد . ومع أن نوز قد خرج كما سوف نرى عن حدود المسموح به له فى ايران وسلك طريق منفعته الشخصية وخدمة الأجانب الا أن أساس الجمرك والبريد الحالى بايران يسند اليه ومستشارى بلجيكا الباقيين اللذين استقدمهما أمين الدولة الى ايران .

وقد تسببت انجازات أمين الدولة في تجديد ميزان الدخل القومي ومنصرفه وتنظيم الميزانية ومنع الرشوة والتطفل وتأسيس العدالة خاصة تحديد رواتب رجال الشاه ومجرياتهم في تحريك عداوتهم له ، وأخذ أعوان أمين السلطان الدائبين في أرجاءه يوسعون من شقة العداوة الى أن عزل الشاه في (١٣١٦هـ) أمين الدولة واستدعى أمين السلطان من قم الى طهران وأسندت اليه الصدارة .

ودامت صدارة أمين السلطان الثانية في عهد مظفر الدين شاه من عام (١٣١٦هـ) الى (١٣٢١) وزاد في هذه الفترة التي لقب فيها بلقب الأتابك الأعظم أيضا شقاء ايران ونكبتها أضعافا مضاعفة عما سبق ، لأن أمين السلطان بدل أن يجد علاجا للعجز المالي وتضعف أحوال البلاد عن طريق الاصلاحات الداخلية وقطع أيدي السارقين والمرتشين انطلق يستقرض الأجانب ، كما حدث في عامي (١٣١٨هـ) و (١٣٢٠) حين اقترض قرضين نحسين من روسيا وترك العائدات الجمركية لشمال ايران لدفع هذه القروض تحت اختيار الروس في الحقيقة ، وأتاح للمستشارين البلجيكي ما جعله للروس في ادارة الجمرك والتجارة ، وبلغ نوز من النفوذ حد أنه اعترف به في (١٣٢١هـ) وزيرا لجمرك ايران .

أما الأموال التي عادت عن هذه القروض فقد أنفقت كلها لدفع رواتب الطفيليين ونفقات سفرين لا فائدة منهما للشاه الى أوربا (في ١٣١٨ و ١٣٢٠هـ) ولم ينفق منها دينار واحد لخير البلاد وصلاحها .

وخلاف هذين القرضين من روسيا اقترض ثالث عام (١٣١٨هـ) من انجلترا وضاع رهنا له عائدات مصايد بحر الخزر والبريسد والبرق وجمارك فارس والخليج ، وعلى هذا النحو استقر أفضل طرق الدخل القومي التي ينبغي أن يعيش الشعب عليها في أيدي الأجانب فزاد تسلط الأجانب أكثر مما مضى .

وأصبح خراب الوضع المالي وأسفار الشاه العابثة وأفعاله اللاهية.

وأعمال أمين السلطان الأتمانية الحمقاء باعثاً أخيراً على اعتراضات الشعب
الشديدة ، ولما كان يعد كل هذه الأوضاع مسببة عن الأتراك أخذ في
الضغط ومعه رجال الدين في طهران لعزله ، وطلب جادا عزله من الشاه
في جمادى الآخرة (١٣٣١هـ) فعزله الشاه وعين مكانه سلطان مجيد ميرزا
عين الدولة .

الفصل التاسع عشر

دستور ايران

لجأ عين الدولة في بلوغة الصدارة أولا الى موادعة وملاطفة طلاب الحرية والعلماء ومن سعى في عزل أمين السلطان ، لكنه سلك طريق الاستبداد بعد قليل بسبب حبه لمنافعه وجهله وغفلته عن مصالح البلاد ، وكان مظفر الدين قد فوض حكومة الولايات جميعا ما عدا أصفهان التي كانت في يد أخيه الأكبر ظل السلطان الى أولاده فلم يقصروا في ظلمهم للشعب ، فما جعل كره الشعب لعين الدولة وأتباع الشنائه وأقاربه وأسلوب معاملتهم يزيد يوما بعد يوم ، ووسط هذا أخذ مؤيدو أمين السلطان يؤلبون الناس والعلماء على معاداة عين الدولة خاصة وأنه ترك أزمة الأمور الشرعية والعرفية تحت تصرف الشيخ فضل الله النوري نوعا ما وكان من علماء طهران ذوى النفوذ القوي وكانت جماعة أخرى من العلماء غير راضية عن هذا الأمر .

وألّف عدد من محبى الإصلاح والناقمين على الأوضاع في أواخر عام (١٣٢٢هـ) جمعية في الخفاء لدستورية حكم ايران ، وأبدى الآغا سيد محمد الطباطبائي وكان ذا سعى دائم لايقاظ الشعب ومن علماء طهران كمال موافقته لأفكارهم . ولما أنه وقع في أوائل عام (١٣٢٣هـ) نسخ من صورة للمسيو نوز رئيس الجمرك في أيدي الوعاظ والعلماء ظهر فيها نوز معتما بعمامة ومرتديا العباءة ، تذرعوا بهذه الصورة أنها توهمين للإسلام وهاجموا الحكومة على رؤوس المنابر ، وكان امام المعترضين في هذا الآغا سيد عبد الله البهبهاني الناقم على عين الدولة غير أن عين

الدولة لم يهتم بهذه الثورة بل زاد نوز قوة على قوة مع توالي الأيام .
وحتى لا تصل أيدي الثائرين الى الشاه سيره الى أوروبا بحجة العلاج ،
وهدأت ثائرة الثائرين حتى عاد الشاه من أوروبا الى حد ما .

أما عين الدولة الذي كان حانقا لتحركات العلماء وعداء التجار
بسبب غلاء السكر له ولمسيو نوز فقد قرر أن يغلظ لهم حتى بعد عودة
الشاه من أوروبا في رجب (١٣٢٣هـ) وأجمع على أن يظهر لهم قوته ، الا
أنه في نفس هذا الوقت بلغت الأنباء من الولايات تنهى اساءة بعض
الولاة معاملة رجال الدين ، وقام علاء الدولة حاكم طهران بضرب بعض
التجار بالعصا ، لذا اتجه مخالفو عين الدولة وعلماء طهران الذين تحالفوا
معا عليه في رمضان (١٣٢٣هـ) الى ضريح (حضرة عبيد العظيم) في
السادس عشر من شوال من نفس العام ، وصار عداؤهم لعين الدولة
علنيا وبدأت الثورة .

اصدار فرمان الدستور في الزابع عشر من جمادى الآخرة (١٣٢٤هـ) :

وبعد مدة من المحادثات بين الثوار والبلاط عاد العلماء في السادس
عشر من ذي القعدة (١٣٢٣هـ) باحترام تلم الى طهران بأمر من الشاه أن
يجيب عين الدولة مطالبهم بتأسيس دار للعدالة ، وقد جرت هذه الحادثة
التي كانت هزيمة لعين الدولة في الحق الناس عليه وصار مطلب دار
العدالة والدستور أمرا علنيا ، وكان أول نصر لهم هو عزل علاء الدولة
عن حكومة طهران .

ولما عاد العلماء لم يغير عين الدولة مسلكه بل طفق يوقف بعض
الضعف ويشرد بعض طلاب الحرية وكان من بينهم السيد جمال الدين
الأصفهاني أشهر خطباء ووعاظ المظالمين بالدستور الذي أبعدته الى قسم
وبعض آخر التي كلات وقام بتعطيل تنفيذ أمر الشاه بتأسيس دار
العدالة بكل ما وسعه من استبداد وحظر على الناس المسير بطهران ليلا ،
وكان المصدر الأعظم يفعل كل ما يحلو له مستغلا مرض الشاه يومذاك

وجهله التسام بأوضاع الدولة .

ونتيجة لضغوط عين الدولة واستبداده هاج الشعب مرة أخرى وعقدوا اجتماعا هذه المرة في المسجد الجامع بطهران وطالبوا علنا بعزل عين الدولة وتنفيذ فرمان الشاه بتأسيس دار العدالة ، فأرسل عين الدولة جنودا عسكريين إلى المسجد لتفريق المجتمعين وقتل في النزاع بين الطرفين اثنان من طلاب الحرية ، فذهب العلماء إلى قم واحتفى جمع من أهل العاصمة بالسفارة الانجليزية . وفي النهاية عزل الشاه عين الدولة ، وأحل محله بالصدارة ميرزا نصر الله خان النائيني مشير الدولة وكان وزير الخارجية ، وأصدر في الرابع عشر من جمادى الثانية (١٣٢٤هـ) فرمان الدستور وتآلف في الثامن عشر من شعبان من نفس العام أول مجلس شورى وطنى ايرانى ودونت القوانين الأساسية ووقعها الشاه في الرابع عشر من ذى القعدة ، ومات بعدها بخمسة أيام .

سلطنة محمد على شاه

(١٣٢٤ - ١٣٢٧ هـ)

ولى محمد على ميرزا الذى ولد في تبريز في عام (١٣١٩هـ) وكانت أمه ابنة ميرزا تقى خان الأمير الكبير العهد في عام (١٣١٣هـ) وحكم آذربايجان ، وبعد موت مظفر الدين شاه جلس على العرش بعد أن استدعى إلى طهران في مرض موت أبيه باسم محمد على شاه ، وأقر القانون الأساسى للدستور الذى وقع عليه أبوه من قبل ووعده بأن يسير وفق الدستور ووفق كل بنوده ، لكنه بسبب استبداده الطبعى وأناحيته وظلمه ووقوعه تحت نفوذ شر ذمة أعداء الدستور مثل الأمير (بهادر جنك) وزير البلاط ولياخوف القائد الروسى لقوات القزاق ، لم يتوان عن أى خطوة عذائية بعد قليل من جلوسه على العرش للدستور وأثمته . ومع أن نواب الدورة الأولى للمجلس الذين كانوا يجهدون بحماسة

تامة لاصلاح أوضاع ايران قد تمكنوا من الفوز بطرد «المسيو نوز رئيس
الجمرك العام ووزير الخزانة من الخدمة أمام السياسة الروسية التي
تحفظه بحمايته شديد الحفظ ، الا أن الروس أخذوا يقوون من أزر
الشاه الجديد في عدائه للمجلس والدستور يوما بعد يوم الى أن ألقى
محمد علي شاه بمشير الدولة عن الصدارة واستدعى أمين السلطان من
أوربا وفوض إليه أمورها في ربيع الأول (١٣٢٥هـ) .

وهم أمين السلطان في خطوته الأولى أن يقترض من روسيا قرضا
جديدا يعاونه النواب المعتدلون بالمجلس لكن النواب المتطرفين خاصة
ممثلي آذربايجان لم يكفهم ممانعة تنفيذ المشروع بل ثاروا بالخلاف
والعداء الجدى له ولم يطل الأمر حتى قتل أمين السلطان في رجب
(١٣٢٥هـ) على يد أحد الفدائيين المحبين للدستور حينما كان يغادر
المجلس ، واختار الشاه بعد هذه الحادثة بفترة وزير المالية السابق
أبا القاسم خان ناصر الملك الهمداني من خريجي جامعة اكسفورد وكان
مصدر خدمات أيضا أيام صدارة أمين الدولة لكى يترأس الوزراء .

وفشل ناصر الملك مع دراساته المتقدمة وتجربه الطويلة واعتدال
مسلكه أن يصلح مالية المملكة ، ومع أن في ذلك الوقت وقع محمد علي
شاه الملحق المقيم للقانون الأساسى بناء على ضغط النواب ودخل
المجلس بنفسه وأقسم بالقرآن الكريم على الحفاظ على الدستور الا انه
لم يكف عن اساءة معاملة طلاب الدستور وتشجيع أعدائهم ، ووصل به
العناد في هذا الى أنه حبس ناصر الملك والوزراء الآخرين وهم بنفسه
أساس الدستور لكنه انصرف عن همته لشدة ضعف نفسه وخوفه من
ثورة طلاب الحرية مؤقتا .

وظفق طلاب الحرية وكانوا على علم كامل بنية الشاه السيئة
يجمعون الجنود المتطوعين الوطنيين في العاصمة والولايات للدفاع عن
الدستور وأرواحهم وأعلن الصراع بين الدستور والاستبداد وبلغ حد أن

النواب بالمجلس طلبوا الى الشاه أن يبعد عنه سعة من حاشيته كان هم المحرضين الأول على ازالة الدستور ومع أن الشاه وعد بهذا الا انه قام بالقبض على ثمانية من النواب المفوهين وذوى النفوذ وتشريدهم ، وبما أنه لم يكن مطمئنا في اقامته بالعاصمة تحرك في التاسع من جمادى الأولى (١٣٢٦هـ) الى قصر باغ شاه خارج البوابة الغربية لطهران ، وصارت العاصمة في فوضى تامة بسبب تجمع جماعة من هواة الاستبداد في ميدان الطوبخانه (المدفعية) واعتداءات المنتهزين للفرص والأشرار .

وفي النهاية في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من جمادى الأولى قصف لياخوف الروسى وجماعة من الجنود القازاق والمسيلاخورية المجلس بالمدفعية ومع دفاع المدافعين عن المجلس لمدة سبع ساعات الا أنهم غلبوا على أمرهم وقتل بعض النواب وأسر بعض آخر وفر أكثرهم وتواروا .

وبدأ الشاه بالسيد محمد الطباطبائى والسيد عبد الله البهبهانى فنفاهما وقتل جماعة من الصحفيين وخطباء الدستور وألقى بجمع آخر في السجن ، وبهذا زال الدستور الأول لایران الذى دام من الرابع عشر من جمادى الآخرة (١٣٢٤هـ) حتى الثالث والعشرين من جمادى الأولى (١٣٢٦هـ) وبدأ عهد (الاستبداد الصغير) وظل النزاع قائما بين أتباع الدستور وأشياع الاستبداد في أيام الاستبداد الصغير الذى طال ما يزيد عن العام .

ومع أن الشاه تغلب على مخالفيه بضرب مقر مجلس الشورى وبالقضاء على الجمعيات الوطنية في العاصمة الا أن أغلب الولايات لم تنصع للاستبداد ، بل دفعت أعماله التى ارتكبها من نقض عهده ونكث قسمه ومعاداته لأساس تحصل عليه الشعب بشق النفس بطلاب الحرية في الولايات الى الثورة العلنية وقتال القوات الملكية ونواب الشاه ولا سيما أحرار تبريز الذين استولوا عليها ، ولما أمر عين الدولة والذى

يعدّه طلاب الدستور أعدى أعدائه باعادة سيطرة الحكم عليها اشتعل حماس والتهاوب الوطنيين للمقاومة وفشلت قوات الدولة في أن تجتاح المدينة مع حصارها لها بضعة شهور .

وأثرت مقاومة أهل تبريز البطولية برئاسة ستارخان القائد الوطني وباقر خان في الولايات الأخرى شيئا فشيئا وحثت الأحرار ومحسبي الحرية على الثورة ومن بينهم محمد ولي خان التنكايني الذي بدأ بأن أرسله الشاه لضرب الوطنيين في تبريز فخرج على تنكاين وأعلن انحيازه للدستور ، وتحالفت جماعة من المهاجرين الإيرانيين من القفقاز والأرامنة أيضا يترأسهم بيرم خان وغيره في رشت مع محمد ولي خان الذي لقب بعد ذلك بالقائد الأعظم . وفي أصفهان أيضا أعلن الرؤساء البختياريون عن انحيازهم للدستور ، وقدم علي قلى خان السردار الأسعد من رؤساء هذه القبيلة المتصف باستنارة الفكر وكان في أوروبا الى أصفهان وأخرج بعون نجف قلى خان مصصام السلطنة أصفهان عن قوات الدولة ، وتقاطروا الوطنيون من أكثر من ناحية لفتح طهران والقضاء على الشاه ناحية العاصمة ، وفي حرب قصيرة جرت في قرية بادامك بالقرب من الكرج هزموا حماة الشاه وهم القوات القزاق والسيلاخور ، ودخلوا طهران في صباح السابع والعشرين من جمادى الآخرة (١٣٢٧هـ) ، فلاذ محمد علي شاه أولا بقصر (باغ سلطنت آباد) ثم بالسفارة الروسية واستقال من السلطنة .

سلطنة أحمد شاه

(١٣٢٧ - ١٣٤٣هـ)

بعد أن احتفى محمد علي شاه بالسفارة الروسية واعتزاله السلطنة اجلس الثوار الأحرار في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة (١٣٢٧هـ) ابنه ذا الاثنا عشر عاما أحمد ميرزا مكان والده وكانوا قد

نصبوا المنتكابين وزيراً للحربية والأسعد البختياري وزيراً للداخلية ،
وتقرر أن ينوب واحد عن السلطنة الى أن يبلغ الشاه الجديد الرشد
فترك هذا المنصب مؤقتاً الى حين افتتاح المجلس النيابي الثاني للأحد
من الرؤساء الكبار البين لأسرة قاجار وهو عضد الملك . وبعد خلع
محمد علي شاه عن السلطنة آل تصريف الأمور الى يد هيئة إدارية
أمسكت بأزمة الأمور حتى تأليف المجلس الجديد ، وطفقت في تنظيم
مقدمات الانتخابات ونفى محمد علي ميرزا وأعوانه عن إيران والقبح
على أعداء الدستور وعقابهم . وبعد مفاوضات مسببة بين طلاب الحرية
المنتصرين وممثلي سفارتي روسيا وإنجلترا الذين تعهدوا بحماية محمد
علي ميرزا والدفاع عن منافع الشخصية وقع بلاط طرد الشاه المخلوع
في النهاية في السادس عشر من رجب (١٣٢٧ هـ) قراراً يشمل ست مواد
صار بموجبه أن يترك محمد علي ميرزا كافة الجواهر الملكية التي يحتفظ
بها معه مع الوثائق المتعلقة بها للدولة ويخرج من إيران في ظرف خمسة
عشر يوماً وتدفع له الدولة سنوياً خمسة وسبعين ألف تومان راتباً له .
ورحل الشاه المخلوع بعد توقيع هذا القرار بقليل الى روسيا ، وكانت
الدولة مستعدة أن ترفع راتبه الى مائة ألف تومان له لكنه بعد فترة لما
عاد الى إيران للاستيلاء ثانية على سلطتها وقام بمحاولات في استيراد
وبين التركمان ضد الدستور وغلب وهرب ، قطعت الدولة راتبه . وفي
الحكومة الجديدة التي ألفها الأحرار مؤقتاً احتفظ بمنصب وزارة
الخارجية لأبي القاسم خان ناصر الملك الهمداني الذي كان بأوروبا ، لكنه
تعطل بطل في عودته الى إيران وكان محمد علي شاه قد استدعاه لرئاسة
الوزارة قبل انتصار الوطنيين بقليل .

وقبل افتتاح المجلس الثاني استحوذ المنتصرون بطهران على
جماعة من رؤساء الاستبداد وبعد محاكمتهم قامت بشنقهم . وأشبه
هذه الجماعة الشيخ فضل الله النوري الذي تسبب في صدارة عمين
الدولة والمجلس الأول والاستبداد الصغير في إيذاء طلاب الدستور

وكان منحازا بكلية الى الاستبداد وتاريخ مقتله هو الثالث عشر من رجب (١٣٢٧هـ) •

وفي الدورة الثانية للمجلس ثارت خلافات شديدة بين النواب بسبب الاصلاحات الأساسية والأمر السياسي وانقسم النواب الى أحزاب عدة قام من بينها الحزب الديمقراطي المتطرف والحزب المعتدل ينافس أحدهما الآخر ويعاديه ، وتبدل الصفاء السابق بين التنكا بنى والسردار الأسعد الى عداء وبلغ الثانى رئاسة الوزراء بعون الديمقراطيين •

وفي عام (١٣٢٨هـ) توفى عضد الملك نائب السلطنة وظل النواب فى صراع حول انتخاب من يخلفه مدة من الوقت ، وكانت جماعة تريد ناصر الملك لهذا المنصب وأخرى تشايح المرحوم ميرزا حسن خان مستوفى الممالك الاشيتيانى • وفى النهاية نجح المنحازون الى ناصر الملك واختير ناصر الملك لنيابة السلطنة ومستوفى الممالك لرئاسة الوزراء •

ولما كان مسلك الديمقراطيين والأحرار متطرفا ازاء السياسة الروسية فى ايران ، فكانت روسيا بدورها دائمة توليد المصاعب لتحطيم الدستور كما حدث فى عام (١٣٢٩هـ) حين أتوا بمحمد على ميرزا الى استرأباد وأخذ هو وأخوه سالار الدولة الذى كان يجمع الجند فى غرب ايران ويسبب المشقات للدولة يهاجمان ايران بدعوى استرجاع السلطنة ، لكن الدولة نجحت أخيرا فى ان تطرد هذين الأخوين عن ايران وتحفظ الدستور من شرهما •

وفى نفس عام (١٣٢٩هـ) قرر مجلس الشورى الوطنى الايرانى استخدام هيئة من الخبراء والمستشارين الأمريكان وكان يعانى الأمرين بسبب فوضى المالية وقلة الدخل ، فقدمت هذه الهيئة وعلى رأسها (مورجان شوستر) (Morgan Shuster) فأعطى شوستر وكان رجلا نشطا جادا صادقا فى مدة قليلة مالية ايران بعون معاونيه الأمريكين وضعها وشكلها اللائق وثار أثرا عند كافة محبى الاصلاح الايرانيين •

(باكسو) أيضا وبهذا صارت ايران تقريبا وقت أن كاثت الحرب العالمية في طريقها إلى الانتهاء تحت النفوذ الانجليزى ، ولكي تكون ايران بتمامها منطقة نفوذ للانجليز دأب هؤلاء على إثارة المشاكل أمام قبول ممثلين لايران في جمعية الصلح الدولي ، حتى أجبروا ايران أخيرا في شوال (١٣٣٧ هـ) (اغسطس ١٩١٩م) على عقد قرار منحوس آخر وكان هذا القرار المعروف بقرار (١٩١٩) يضع اختيار تمام أمور ايران العسكرية والمالية والجمركية بحكرا على المستشارين الانجليز ويجعلها تحت حماية بريطانيا ، ولحسن الحظ فان هيئة عصبة الأمم التي تألفت من فترة قريبة لم تعترف بهذا القرار رسما لأنه عقد خلافا لأسسها . وفي ايران ثارت جماعة من الأحرار ضده واعترضت أمريكا بشأن عقده .

وظفق رئيس الوزراء الايراني الذي وقع هذا القرار ينفذ مواده بحبس المخالفين وتثريدهم والرسال أحمد شاه الى أوربا وايقاف بعض الصحف لكن بسبب ما ذكرناه آنفا وظهور أحداث سوف نذكرها في الفصل التالي زال هذا القرار المشؤوم بدوره ، وانتهى عهد شقاء ايران .

أسماء الملوك القاجاريين وسنوات حكم كل منهم

- ١ — آغا محمد خان (١٢١٢ — ١٢٥٠ هـ)
- ٢ — فتح علي شاه بن حسين قلي خان اخي آغا محمد خان . (١٢١٢ — ١٢٥٠ هـ)
- ٣ — محمد شاه بن عباس ميرزا بن فتح علي شاه (١٢٥٠ — ١٢٦٤ هـ)
- ٤ — ناصر الدين شاه بن محمد شاه (١٢٦٤ — ١٣١٣ هـ)
- ٥ — مظفر الدين شاه بن ناصر الدين شاه (١٣١٣ هـ — ١٣٢٤ هـ)
- ٦ — محمد علي شاه بن مظفر الدين شاه (١٣٢٤ — ١٣٢٧ هـ)
- ٧ — أحمد شاه بن محمد علي شاه (١٣٢٧ — ١٣٤٣ هـ)

(تم بحمد الله)

